
Bibliotheca Alexandrina
00118979

كتاب
امجاد مريم البتول

والدة الاله الكليّة القداسة

المؤلَّف من القديس

الفونسوس ليكوري

اسقف مدينة القديسة اغاثى ده كوتى

موسس

جمعية الفادي الكلي القداسة

وهو جزيل الافادة للقارئين والواعظين

وينقسم الى قسمين

القسم الاول

طبعة ثانية



باورشليم

في دير الرهبان الفرنسيسكانيين

سنة ١٨٧٩

REIMPRIMATUR

† V. Patriarcha Hierosolymitanus.

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

الفاتحة

☆ ابتهالٌ من المولف نحو مخلصنا يسوع المسيح ☆
* ونحو والدته مريم البتول *

يا سيّدي يسوع المسيح مخلّصي الكلّي الحب . اني اذ كنت عارفاً انا عبدك الحقير. بانّه يرضيك ويسرك جدًّا ذاك الذي يجتهد فيما تتمجد به والدتك الكليَّة القداسة . المحبوبة منك بهذا المقدار وترغب ان تشاهدها محبوبةً من الجميع ومكرمةً منهم * فمن ثمَّ قد فكرتُ بان اظهر الى الوجود هذا التأليف المدوَّن مني فيما يلاحظ امجادها . فانا لا اجد احدًا لاضعَ هذا الكتاب تحت حمايته افضل من ان اقدّمهُ لديك . لانهُ مختصٌ بمجد هذه الامّ الالهية . فاذًا انا اكرسهُ لاسمك واجعلهُ تحت حمايتك * فاقبل منّي هذه التقدمة الجزئيَّة التي تظهر حبّي نحوك ونحو والدتك الكليَّة العذوبة . وانت امطر على قلوب الذين يقرأُونهُ نعمَك المقدسة . وعواطف الحب المضطرم نحو هذه البتول البريَّة من الدنس . التي انتَ جعلتها ملجاً للمخلصين اجمعين . واضعًا فيها رجاءهم * فاتضرّع اليك بان تنعم عليَّ مكافاةً عن تعبي هذا الدني . بان افوزَ بالحبّ عينه الذي اشتهي ان جميع الذين يتلون هذا الكتاب تضطرم به قلوبهم نحو والدتك ☆

ثم انني التجئُ اليك بعدُ يا سيّدتي الكليَّة الحلاوة مريم أُمّي . فانت تعلمينَ جيداً كيف انني وضعتُ عليك بعد يسوع كل رجآء خلاصي الابدي . لان خيري جميعهُ . ورجوعي الى الرب . ودعوتي الى ترك العالم . ثم سائر

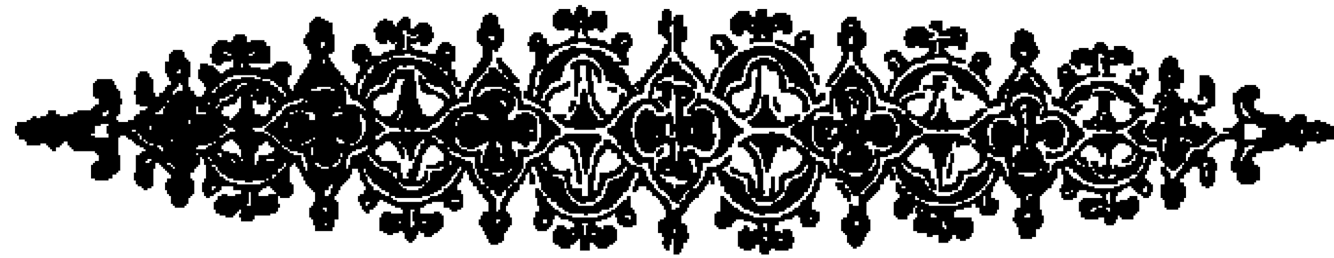
انهُ في القسم الاول من هذا الكتاب يُبرهَن عن النعم الغزيرة السامية
التي توزّعها والدة الاله على الانام المتعبدين لها. كما سيتضح في تفسير
كلمات الصلوة المبدوة „السلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة“
وفي القسم الثاني يُبرهَن عمَّا يختص باعياد هذه السيدة
المتقدمة. وعمَّا يلاحظ احزانها بوجه العموم والخصوص. ثم
تُورَد الاشياء المتعلقة بفضائلها السامية. وانواع العبادات
التي يجب ان تُكرَّم بها. والاخبار المُنتخَبة الملاحظة
هذا الموضوع واخيراً يضاف الى ذلك مختصر سيرة
حيوة الطوباوي المؤلّف. مرتبةً من المُستخرِج نفسهِ

فقد تَرْجَمَ هذا الكتاب من اللّغة الايطاليانية
الى اللّغة العربية السيد مكسيموس مظلوم
رئيس اساقفة ميرالكيا الروميّ
الملكيّ الحلبيّ الكليّ الشرف
✿ ✿ والاحترام ✿ ✿
✿ ✿ ✿ ✿ ✿ ✿
✿ ✿ ✿ ✿
✿ ✿
✿

☆ تنبيهٌ ☆

* من المستخرج الى القاري *

اعلم ايها العزيز. انني في استخراجي جميع الشهادات المدونة في هذا الكتاب من مولفهِ الطوباوي . قد ترجمتُ الاقوال المستشهدة منهُ عن اصلها بالتمام كما هي في ذاتها. ولكنني بعد ان عيّنتُ لشهادات الكتاب المقدس فقط اصحاحاتها واعدادها. قد عدلت عن تعيين الكتب والمقالات والفصول والاعداد. التي هو نقل منها شهاداتٍ اخر عن تاليفات كثيرين من الاباء القديسين والعلماء الشهيرين. وانما اهملتُ ذلك. حيث ان الكتب الموصَى اليها لا توجَد في لّغتنا العربية. وبالتالي لا ثمرةً من تسميتها مفصلاً . سوَى الاسهاب الممل. وقطع سياق الخطاب. فاذًا لا تنسبنَّ
* نوع هذا الاجتناب الاَّ لهذي العلّة فقط *



النعم التي حزتها من الله. فهذه كلها اعترف باني نلتها منهُ تعالى بواسطتكِ * فامرٌ واضحٌ لديكِ هو انهُ لكي اراكِ محبوبةً من الجميع كما تستحقين ولكي اعطيكِ علامةً ما تدلُّ على معرفتي الجميل واقراري بكل الخيرات التي صنعتيها معي. فقد اعتنيتُ على الدوام في مديحكِ سرًّا وجهرًا في كل اينٍ. باهتمامي في ان الجميع يتمسكون بعبادتكِ العذبة الخلاصية. وانا اترجّى ان استمر سالكًا بهذا الاجتهاد الى اخر نَفَس من حياتي. ولكنني اشاهد ذاتي لاجل تقدمي في السن. وانحلال جسمي بالامراض. قد صرتُ قريبًا من نهاية غربتي عن هذا العالم. ودخولي في ابواب الابديّة. ولهذا قد فكرتُ بان اترك في العالم قبل موتي الكتاب الحاضر. الذي بهِ اداوم على مديحكِ. واحرّض الاخرين على اذاعة مجدكِ وعظمة مراحمكِ واشفاقكِ الذي تستعملينهُ نحو المتعبدينَ لكِ * فاؤمل منكِ يا سلطانتي الكليّة السمو ان تكون هديّتي هذه الفقريّة. البعيدة بعدًا شاسعًا عن ان تليقَ باستحقاقكِ. مقبولةً لدى قلبكِ الفائض النعم. لذ انها هديةٌ موعبةٌ من الحب. فامددي اذًا ذراعكِ المملو عذوبةً الذي بهِ قد انتشلتيني من العالم ومن الجحيم. واقتبلي بيدكِ هذا الكتاب. وحامي عنهُ كشيءٍ مختصّ بكِ. الاّ انهُ يجب ان يكون معلومًا لديكِ. انني عوضًا عن هذه العبودية الجزئيّة. اريد منكِ مكافاةً ما وهي ان تمنحيني هذا الشي. وهو انني منذ الان فصاعداً احبكِ اشدّ حبًا من ذي قبل. وانَّ كلَّ من اتخذ كتابي هذا في يدهِ يعود ملتهب القلب بنارِ الحب نحوكِ ويزداد فيهِ ذلك بنوع انه يرغب في مشاهدتكِ محبوبةً من الاخرين ايضًا * وهكذا يهتمّ بنشاطٍ وبكل انعطافٍ وعنايةٍ في ان يذيع بمقدارِ طاقتهِ تسابيحكِ وعظائمكِ وحسن الرجاء الوطيد بمفاعيل شفاعاتكِ الكليّة الاقتدار. فهكذا ارجو وكذلك فليكنْ آمين ✿

✿ ايضاح ارادة المؤلف ✿

انّني طاعةً لمراسيم البابا اوربانوس الثامن ذي الذكر المقدّس. اعلن ارادتي موضحًا باني لا اعتقد بجميع العجائب والنعم والحوادث المندرجة في هذا الكتاب. وكذلك بتسمية قديسٍ ام طوباويٍّ بعضًا من عبيد الله الابرار

الذين لم تكن بعدُ تدونت اسماؤهم قانونيًا في مدرج القديسين. الاَّ اعتقادًا بشريًّا محضًا. ما عدا تلك الاشياء فقط المثبتة من الكنيسة الرومانية الجامعة المقدّسة. ومن السدّة البطرسية الرسولية التي اعلن ذاتي ابنًا لها وطائعًا لاوامرها. ولذلك فاني أُخضِع ذاتي وكل ما حررتهُ في تأليفي هذا لحكمِها ✿

✿ تنبيهٌ من المؤلف للقارئ ✿

انّي لكيلا ادع محلاً في اقوال هذا الكتاب لمحبّي الاعتراض والانتقاد. فقد رايتُ ملائمًا ان ازيد في ايضاحِ بعض قضايا يمكن للمشار اليهم ان يجدوها فيهِ وتظهر لديهم كأنّها مبالغةٌ او مظلمةٌ * فهنا اشير عن هذه القضايا وان وجدت غيرها „ايها القارىء المحب المشفق“ فاتوسل اليك بان تحكم بها على نيّتي بانها بالحقيقة لم تُورَد مني ولم ارِد ان افهم معناها الاَّ بحسب تفسيرها الصادق. المطابق علم اللاهوت النقي الوطيد. بموجب تعليم الكنيسة الرومانية الجامعة المقدسة. التي اعلن ذاتي ابنًا وكلّيَّ الطاعة لها. فانا قد قلتُ في مقدمة هذا الكتاب مشيرًا عمَّا اوردتهُ في الفصل السادس منهُ * انَّ اللهَ ارادَ ان جميع النعم تتصل الينا بواسطة مريم البتول والدة الاله. فهذي انما هي حقيقةٌ ذات تعزيةٍ عظيمةٍ للانفس المنعطفة بالحبِ نحو مريم الكلية القداسة. وللخطاه المساكين الذين يرغبون الرجوع الى الله بالتوبه. فلا يجب ان تظهر لدىَ البعض هذه القضية انها غريبةٌ عن التعليم اللاهوتي الصحيح. لان الاب الكلي التعمق في علم اللاهوت القديس اوغوسطينوس يقول في الراس السادس من كتابه عن البتوليّة المقدّسة بحكمٍ عامٍ. انَّ مريم والدة الاله قد ساعدت بواسطة فضيلة حبها على الميلاد الروحي لجميع اعضاء الكنيسة. وكذلك احد العلما الافاضل الذي لم يُتَهم بالمبالغة او بالعبادة ذات الرعونة والحرارة الافكيّة (وهو السيد نيكوله في الفصل الثاني من ارشادهِ الخامس) يضيف الى ذلك بقوله. انهُ كما انَّ يسوع المسيح قد اسس بالخصوص كنيستهُ. واثبتها عند جبل الجلجلة. فامرٌ واضحٌ هو ان والدتهُ البتول القديسة قد ساعدت مشتركةً معهُ بالعمل بنوعٍ جليلٍ وفريدٍ في تاسيس هذي الكنيسة وتكوينها. وبالنوع نفسهِ يمكن ان يقال انهُ ولئن كانت هذه القديسة ولدت يسوع المسيح راس الكنيسة من دون مخاضٍ واوجاعٍ. الاَّ انها ليس

من دون آلامٍ واوجاعٍ قد ولدت فيها بعد الجسم الذي المسيح هو راسهُ. فلهذا قد ابتدأتْ هي عند جبل الجلجلة ان تصير بنوعٍ خصوصيٍ اماً للكنيسة كلها * فاذاً لكي نوضح ذلك جميعهُ باختصار نقول. ان الله الآب الكلّي القداسة لكي يمجد والدة المخلص. قد شآء ورسمَ ان الحب العظيم المتصفة هي بهِ يجتذبها الى ان تتضرع من اجل جميع الذين اوفى عنهم وخلصهم ابنها الالهي. باهراقهِ من اجلهم دمهُ الكريم الفايق الثمن ذي الاستحقاقات الغير المتناهية. الدم الذي بهِ وحدهُ خلاصنا وحياتنا وقيامتنا * فسنداً على هذا التعليم وتبعاً لما يوافقهُ قصدتُ ايراد ما كتبتهُ في بعض امكنةٍ من القسم الاول من هذا الكتاب. حيث ان جملةً من القديسين انفسهم في مدائحهم مريم البتول. وفي ابتهالاتهم نحوها وفي ميامرهم المختصة بتقريظها. لم يجدوا صعوبةً او مانعاً في ان يقولوا عنها ما قلتهُ انا. فمن ثمَّ احد الابا القدما المُورد ذكرهُ من الرجل الشهير فينجانسوس كونتاصون (ف ١ ميمر ٦ كتاب ١٠ مجلد ٢ من تاليفهِ الملقّب بلاهوت العقل والقلب) قد كتب قائلاً „ان ملءَ النعم قد وُجدَ في المسيح كفي الهامة الجارية منها هذه النعم. واما في مريم فوجد ملءُ النعم كفي العنق الذي بواسطتهِ تجري النِّعم من الراس الى الجسم" وهذا الامر قد علّمه باتضاحٍ القديس توما اللاهوتي (في تفسيره السلام الملكي) قائلاً „انَّ الطوباوية مريم البتول هي ممتلئةٌ نعمةً على ثلثة انواعٍ فالثالث منها هو فيضان النعم لجميع البشر". فانهُ لامرٌ عظيمٌ هو ان يكون البعض من القديسين حاصلاً على نعمةٍ كافية لخلاص كثيرين * ولكن امرٌ اعظم من ذلك بما لا يُحدّ هو ان احدهم يكون حاصلاً على النعمة في ان يخلّص جميع البشر الذين هم في العالم باسره. فهذا الامر يوجد في يسوع المسيح. وفي سيدتنا مريم العذرآء لانهُ في اي خطرٍ من الاخطار العظيمة يكون حاصلاً الانسان فيمكنهُ ان يستمد الخلاص بواسطة هذه السيّدة المجيدة * ولذلك قيل عنها في العدد ٤ من الاصحاح ٤ من سفر النشيد „عنقكِ كبرج داود المبنيّ بالمحاصن المعلق عليهِ الف ترسٍ" (اي الدافعة الاخطار كلها). فمن ثمَّ في كل عملٍ من اعمال الفضائل يمكن استمداد معونتها. ولذلك تقول هي في العدد ٢٥ من الاصحاح ٢٤ من سفر حكمة ابن سيراخ هكذا „فيَّ انا كل رجاء حيوةٍ وفضيلة" ✿

القسم الاول

✿ يحتوي على مقدمةٍ وعشرة فصولٍ وخاتمةٍ ✿

المقدمة

✿ خطابٌ من المؤلف للقارىء ✿

ايها القارئ العزيز اخي بالبنوة لمريم البتول. انهُ من حيث ان العبادة التي حركتني لان اكتب انا هذا المؤلَّف. ولان تقرأهُ انت الان. من شأنها ان تجعلني واياك ابنين سعيدين لهذه الام الصالحة * فاذا اتفق لك ان تسمع شخصاً ما قائلاً عنّي . انهُ لقد كان يمكنني ان اوفّر عن ذاتي هذا التعب. بعد ان وُجد قبلي كثيرون الذين الّفوا كتباً جليلةً وعديدةً في هذا الموضوع . فاتوسّل اليك بان تجيب وتقول لهُ كلمات الانبا فرنكونه التي تركها مدونةً في مكتبة الاباء. وهي ان مدائح والدة الاله هي ينبوعٌ متدفقٌ بهذا المقدار. حتى انهُ بقدر ما يتسع حوضهُ فيمتلىء طافحاً. وبقدر ما يمتلىء ويطفح . فيمتد متسعاً * يعني بذلك ان هذه البتول الطوباوية هي هكذا عظيمةً جليلةً ساميةً. حتى انهُ مهما أُطنب في مديحها وتفاضلت تقريظات صفاتها فلا يكون التمجيد استوفى بها موضعهُ . بل لن تزال هي مستحقةً مديحاً اعظم . وفي هذا الشان يقول القديس اوغوسطينوس (فيما كتبهُ الى ديونيسيوس القرطاجني) انهُ ليس فقط السن البشر كلها بل ايضاً اذا استحالت اعضا البشريين كافةً الى السنٍ ولغاتٍ فلا تكفي لان تصف مدائح هذه السيّدة بقدر ما تستحق هي من التقريظات ✿

فانا قد وجدت كتبًا كثيرةً . منها كبير الحجم ومنها صغيره حاويةً تماجيد مريم العذرآء . وتاملتها جيدًا فنظرت ان هذه الكتب منها غليظ الجرم ومنها عسر الاقتنآء او انها غير مطابقةٍ لمقصودي . فلهذا قد اجتهدت في" انّي اقتطفتُ من جميع التاليفات التي راجعتها في شان ذلك حسبما طالت يدي . الاشيا التي اوردتها باختصارٍ في هذا الكتاب عن الارآء والقضايا المنتخبة باوفر تدقيقٍ . والحاوية المعاني الروحيّة الاجزل افادةً . مما جآء في مصنفات اباء الكنيسة وعلمائها اللاهوتيين * لكي اجعل للانام العُبّاد واسطةً سهلةً لان يحصلوا بتعبٍ قليلٍ وبمصروفٍ جزئيٍ . على مؤلفٍ تضرم في قلوبهم قرأته نيران الحب نحو هذه السيّدة المجيدة . قاصدًا في الوقت عينهِ ان اضع بازاء اعين الكهنة موضوعاتٍ مختلفةً وكثيرةً يمكنهم بواسطتها ان يحرّكوا الشعب في عظاتهم الى النمو في العبادة لهذه الامّ الالهيّة *

على انها لعادةٌ مستعملةٌ من المحبّين العالميين هي التكلّم مراتٍ كثيرة عن الاشخاص المحبوبين منهم وعمّا يأول الى مديحهم . وذلك لكي يشاهدوا موضوع حبهم ممدوحًا من الاخرين ايضًا * فاذًا ينبغي ان يعتبر حبًا جزئيًا قليلًا جدًا لمريم البتول حب اولئك الذين يدعون بانهم من محبّيها . لانهم يتكلمون عنها وفي شان تكريمها قليلًا . ولا يهتمون في ان الاخرين ايضًا ينعطفون منشغفين في حبّها * فليس هو على هذه الصورة سلوك اولئك المحبّين الحقيقيين لهذه السيّدة المحبوبة في الغاية . لان هولآء يصبون قلبيًا مرتاحين باشواقٍ لان يذيعوا مدائحها في كلّ مكانٍ . ويشتهون ان العالم باسرهِ يتعلّق بحبّها . ولهذا يجتهدون دائمًا ومشتهرًا وعلى انفرادٍ في ان يضرموا في قلوب الجميع شُهب الحبّ الطوباوي المتّقدة نارهُ في احشائهم نحو سلطانتهم هذه الحبيبة *

فلكي يقتنعَ كل احدٍ بانهُ ملائمٌ ومفيدٌ لخير الشعوب الحقيقي نمو العبادة لوالدة الاله وتوطيدها فيها بينهم . فيليق بهِ ان يتامل حسنًا ما تقوله العلمآء الافاضلُ في هذا الشان . فيقول القديس بوناونتورا . انَّ اولئكَ الذينَ يجتهدونَ في ان يذيعوا تمجيدات مريم ومدائحها . فالملكوت السماوي هو لهم بتاكيدٍ * ويثبت هذا ريكاردوس الذي من سان لورانسوس (في كتابهِ الثاني في مديحها) قائلًا „ انَّ تكريم سلطانة الملئكة هذه انما هو نفس

اكتساب الحيوة الابدية" ويضيف الى ذلك مبرهنًا بان مَن يكرّمها في هذا الدهر فهي تكرّمهُ بدلًا من ذلك في الدهر العتيد * فمن تراهُ لا يعلم الوعد الذي وعدت بهِ مريم عينها اولئك الذين يهتمون بعنايةٍ في ان يجعلوها معروفةً ومحبوبةً في هذا العالم بقولها (ص ٢٤ ع ٣٠ من حكمة ابن سيراخ) "مَن شرحني فحصل لهُ الحيوة الابديَّة". كما تخصص بها الكنيسة هذه الالفاظ في خدمة عيد الحبل بها البري من الدنس. فمن ثمَّ يهتف القديس بوناونتورا الذي اعتنى بهذا المقدار في انتشار تقريظاتها صارخًا "فلتتهلل نفسي مبتهجةً بها لان خيراتٍ عظيمة مُعدَّةً للذين يجتهدون في مديحها" ثم يضيف الى ذلك قائلًا "وانهُ من حيث ان الكتب الالهيَّة كافةً تتكلم في تمجيدها. فلنهتم اذًا على الدوام في ان نعظّم هذه الام الالهيَّة بقلوبنا وشفاهنا والسنتنا لكي تقيدنا هي يومًا ما الى ملك الطوباويين" *

ثم انهُ في الراس الرابع عشر من اوحية القديسة بريجيتا توجد مدونةً هذه القضية وهي انهُ حيث كان من عادة الاسقف الطوباوي ايمينغوس ان يبدأ اعتياديًا عظاتهِ بمديح والدة الاله. فهذه السيّدة قد ظهرت يومًا ما للقديسة بريجيتا وقالت لها "اخبري الاسقف ايمينغوس الذي اعتادَ ان يبدأ مواعظهُ بالفاظ التكريم في شاني. بانني اريد ان اكون امًا خصوصيةً لهُ. وساجعلهُ ان يفوز بميتةٍ صالحةٍ. وانا بذاتي ساقود نفسهُ امام الله" * وبالحقيقة ان هذا الطوباوي قد رقد بالرب رقود القديسين بسلامٍ تامٍ حينما كان يصلّي. وهكذا تمَّ الامر باحد الواعظين من رهبنة القديس عبد الاحد الذي كان من عادتهِ ان يختتم مواعظهُ غالبًا بمديح هذه السيّدة الجليلة. فحينما دنت ساعة موتهِ. قد حضرت بازآئه سلطانة السموات وانقذتهُ من الابالسة مشجعةً اياهُ. وعند انفصال نفسهِ من جسدهِ اقادتها هي صحبتها الى السعادة * ثم ان توما الكامبيسي الجزيل التعبّد لمريم يشير (في خطابه الثاني) على ان هذه السيّدة تخاطب ابنها الالهي هكذا قائلةً "ترأف يا ابني مشفقًا على انفس اولئك الذين يحبونك ويكرّموني" *

اما نظرًا الى الافادة العظيمة التي تجتنيها الشعوب من التعبّد لمريم العذرآء فيقول القديس انسلموس (في الراس ١ من الجزء ٥ من كتابه ٣) "انهُ من حيث ان احشآء والدة الاله وبطنها الطاهر المقدّس قد صار الطريق

التي بواسطتها تحصل الخطأة على الخلاص الابدي . فلا يمكن ان الاثمة لا يرجعون الى الرب بالتوبة ويفوزون بالخلاص بواسطة اذاعة مدائح هذه السيّدة والانذار بتمجيداتها" * فان كان هذا الرأى صادقًا حقيقيًّا كما اعتبرهُ انا بانهُ خالٍ من الارتياب. فبموجبهِ سابرهن في الفصل السادس من هذا الكتاب بان النعم كلها تتوزع بواسطة مريم وحدها . وبان الذين يفوزون بالخلاص الابدي جميعًا يحصلون على ذلك بواسطة هذه الام الالهيَّة. وبالتالي يمكن القول ضرورةً انهُ باذاعة عبادتها وبانتشار مدائحها وبالاتكال الوطيد على مفعول شفاعاتها يتعلّق خلاص الجميع * فبهذا النوع نحن نعرف ان القدّيس برنردينوس السيانى قد اجتذب شعوب ايطاليا الى طريق القداسة . ومثلهُ القديس عبد الاحد بهذه الواسطة قد اكتسب الى التوبة شعوب اقاليمَ مختلفة . وكذلك القديس لويس بالترانوس كان في عظاتهِ جميعها يحرّض الشعب ويحثّهم على حسن التعبّد لهذه الملكة السموية كما ان كثيرين اخرين سلكوا مسلكًا كذا مفيدًا للمؤمنين ✿

ثم ان الاب بولس السنيري الشاب المرسل الفاضل الذائع الصيت . قد كان كل مرةٍ يمارس خدمة الرسالة في مكانٍ ما . فكان يصنع عظةً خصوصيّةً في شان التعبّد لمريم والدة الاله بقولهِ مرارًا بان هذه العظة هي العظةُ المحبوبة لديه في الغاية . وهكذا نحن في ممارستنا خدمة الرسالة قد انبعنا من دون اهمالٍ بتةً . الفريضة التي عندنا في ان نصنع في كل زمنٍ من خدمة الرسالات عظةً خصوصيّةً في شان والدة الاله . فنستطيع ان نقدّم شهادةً صادقةً جدًّا في انهُ لم تكن غالبًا تصنع في الشعوب اثمارًا بهذا المقدار جليلةً عظةٌ من جميع مواعظنا . نظير ما كانت تثمر تلك العظة المختصّة بمراحم العذرآء المجيدة * وانما قلت بمراحم العذرآء . لان القديس برنردوس يقول (في عظتهِ الرابعه) " اننا ولئن كنّا نمدح تواضع هذه السيّدة . ونسبح بتوليتها منذهلين من سمو طهارتها . ولكن مع ذلك من حيث اننا خطأة بائسون فنتعزّى بافضل نوعٍ . ونبتهج عند سماعنا التكلم عن رحمتها واشفاقها . اذ اننا نعطف نحو هذه الفضيلة اشد انعطافًا ونتذكرها متواترًا . ومن اجلها نستغيث بهذه الرحومة مراتٍ مترادفة" * فمن ثمَّ انني قد تركت للعلمآء الاخرين التكلم عن سائر صفات والدة الاله الجليلة . واتخذت على ذاتي التكلم في هذا

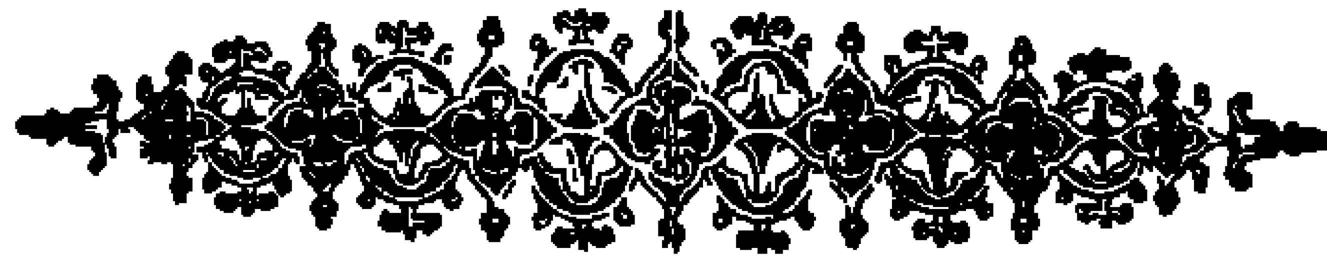
الكتاب بنوعٍ اخص عن رحمتها واشفاقها ورافتها العظيمة· وعن اقتدار مفعول شفاعاتها · بعد ان اقتطفت بتعبٍ في مدة سنين كثيرة من حياتي بقدر ما استطعت· كل ما رايتهُ في كتب الاباء القديسين والعلما الشهيرين في شان رحمة هذه السيّدة واشفاقها ومقدرة شفاعاتها * ومن حيث انهُ في الصلوة الجليلة المختصّة بها والمثبّتة من الكنيسة · التي أُمرت الاكليروس العلمانيّ والقانوني بتلاوتها في اكثر ايام السنة· وهي الصلوة التي بدؤُها „ السلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة " توجد الالفاظ المبرهنة بنوعٍ عجيبٍ سمو مراحم هذي السيّدة · وعظم اقتدار تضرعاتها لدَى الله * فلهذا قد باشرت بالوجه الاول خطابي في شرح كلماتٍ عديدةٍ من هذه الصلوة ضمن فصولٍ متميزةٍ· وبعد ذلك لاعتباري ان اقدّم للمتعبدين لهذه الام الالهيّة شيئًا محبوبًا منهم · فقد مارست تحرير ارشاداتٍ او عظاتٍ تختصّ باعيادها المتقدمة وتلاحظ فضائلها · مدونًا في اثنائها انواع العبادات المختلفة المستعملة كثيرًا من عبّادها · والمؤيدة من الكنيسة ✿

فان كان يسرك ايها القارىء الحسن العبادة تاليفي هذا الحقير كما أُومل· فارجوك ان تتوسل من اجلي لدَى البتول القديسة والدة الإله لكي تمنحني رجاءً وطيدًا في سمو اقتدار حمايتها * فاستمد لي اذًا منها هذه النعمة كما انني اعدك بان اتضرّع من اجلك لكي تحصل انت ايضًا على هذي الموهبة كيفما كنت انت في ذاتك فقط اذك تصنع معي هذه الرحمة * فطوبى لمن يتمسّك بالحبّ والرجآء بهاتين الرسيّين الخلاصيتين وهما يسوع ومريم· لانهُ بتمسكهِ بهما لا يمكن ان يدركهُ الهلاك ابدًا * فلننقل معًا ايها القارىء الحبيب ما قالهُ الفونسوس رودريكوس وهو „ يا يسوع ومريم انتما موضوع حبّي الكلّي الحلاوة فليحترق بي التالم لاجلكما وأُموت حبًّا بكما· واكون بجملتي لكما ولا يكن لي شيءٌ " * فلنحب يسوع ومريم وبذلك نصير قديسين· الامر الذي لا توجد سعادةٌ توازيهِ من كل السعادات التي يمكننا ان نؤملها ونتوقّعها بالرجآء· وهوذا انني اودعك بسلامٍ ايها الاخ القارىء مؤملاً ان اراك يومًا ما في الفردوس السماوي · عند قدمَي هذه الام الكليّة الحلاوة وعند قدمَي ابنها الكلّي الحب نحوها· حيث نمجدهما معًا ونسبحهما ونشكرهما وجهًا بازآء وجهٍ الى ابد الدهور آمين ✿

✿ صلوةً ✿

* بها تُطلَب من العذرآء الطوباوية نعمة الميتة الصالحة *

يا امّي الكليّة الحلاوة مريم ملجأ الخطأة الاشقيا. انّي اتوسّل اليكِ بحق ذاك التالم الذي تكبدتيهِ حين مشاهدتكِ موتَ ابنكِ على الصليب. بان تعينيني برحمتكِ عندما تلتزم نفسي بان تفارق هذا العالم. فاقصي عنّي بعيداً الاعدآء الجهنميين. واحضري عندي حينئذٍ لتتسلّمي نفسي وتقوديها امام القاضي الابدي. ولا تهمليني يا سلطانتي لانهُ يلزمكِ ان تكوني سندي العظيم بعد يسوع المسيح في تلك الساعة المخوفة * فتضرعي من اجلي لدى ابنكِ في ان يهبني بحق صلاحهِ ان اموت وقتئذٍ معانقًا قدميكِ. وان اسلّم روحي فيما بين جراحاتهِ تعالى المقدسة قائلاً. يا يسوع ويا مريم انني اهبكما قلبي ونفسي معاً آمين ✿



الفصل الاول

✿ في تفسير الكلمات الأولى من الصلوة الآتي ذكرها وهي ✿

السلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة . السلام عليكِ يا حياتنا ولذتنا ورجانا . اليكِ نصرخ نحن المنفيين اولاد حوّآء ونحوكِ نتنهد نائحين وباكين في هذا الوادي وادي الدموع . فاصغي اذًا الينا يا شفيعتنا وانعطفي بنظركِ الرأوف نحونا وارينا بعد هذا المنفى يسوع ثمرة بطنكِ المباركة .
✿ يا شفوقة يا رأوفة يا مريم البتول الحلوة اللذيذة امين ✿

✿ ويشتمل هذا الفصل الاول على اربعة اجزا ✿

❦ الجزء الاول ❦

✿ في انه يجب ان يكون رجاؤنا وطيداً في مريم والدة الاله ✿
✿ من حيث انها هي الملكة ام الرحمة ✿

ان مريم البتول الكلية القداسة من حيث انها قد حازت من الله هذه الرتبة الكليّة السموّ. وهي انها صارت والدةً لملك الملوك وسيّد الممالك جميعها. فبكل عدلٍ واستحقاقٍ قد كرّمتها الكنيسة بصفة ملكة. وتريد من الجميع ان يكرّموها بهذه الصفة المجيدة . على انهُ يقول القديس اثناسيوس „ ان كان الابنُ ملكًا فيلزم بكل عدلٍ ان تُدعى والدتهُ ملكةً وتُعتبر كذلك " ويضيف على هذا القديس برنردينوس السياني (في العدد الحادي والخمسين من المجلّد الثاني) قائلاً „ انهُ من الوقت الذي فيهِ قد ارتضت مريم

البتول بان تكون أُمًّا للكلمة الازلي . فقد استحقّت منذ تلك الساعة ان تصير ملكة العالم وكل المخلوقات " والانبا ارنولدوس يبرهن هكذا „ انهُ ان كانت لحمان جسم العذرآ المجيدة غير متميّزة عن لحمان ابنها يسوع . فكيف يمكن ان يكون شخصها منفصلاً عن صفة التملّك في مملكة ابنها . وهي أُمّهُ . ولذلك يلزم ان يقال ان مجد المملكة ليس هو مشتركًا فيما بين الابن ووالدتهِ ومشاعًا لهما فقط . بل ايضًا هو خاصٌّ بكلٍّ منهما " ✿

ويقول الانبا روبارتوس „ انهُ ان كان يسوع المسيح هو ملك الكائنات اجمع . فمريم والدتهُ هي ايضًا ملكة المخلوقات بأسرها " . فمن ثمَّ كتَبَ القديس برنردينوس المار ذكرهُ „ ان كل المخلوقات التي تخدم الله يلزمها ان تخدم مريم ايضًا . لان جميع الملائكة والبشر وكل الموجودات في السما والارض . فبحسب كونهم خاضعين لمملكة الله فهم خاضعون لسلطان مريم البتول ايضًا " (ف ٦١ كتاب ٢) فلهذا يتّجهُ الانبا غواريكوس نحو هذه الام الالهيّة مخاطبًا ايّاها هكذا „ فداومي اذًا يا مريم على ممارسة سلطان تملككِ امينةً مطمأنّةً . وتصرّفي كما تشائين بخيرات ابنكِ جميعها . لانهُ من كونكِ امًّا وعروسةً لملك العالم فيلزم ان تخضع لكِ المملكة . اذ انكِ ملكةٌ ويخصكِ التولّي على المخلوقات بأسرها " ✿

فاذًا مريم البتول هي ملكةٌ . ولكن فليعلم الجميع وليتعزّوا بانها هي ملكةٌ كليّة العذوبة والحلاوة والحلم والشفقة . منعطفةٌ لصنيع الخير معنا نحن المساكين الاذلاّ . ولذلك تريد منا الكنيسة ان نسلّم عليها بهذه الصلوة مسمين ايّاها „ ملكة الرحمة " ثم ان صفة ملكة تشير كما يقول الطوباوي البرتوس الكبير الى الحنو والعناية نحو الفقرآء خلافًا لتسمية مسلطة مقتدرة فانها تشير الى الصرامة والخوف . فسينكا الفيلسوف يعلّم قائلاً „ ان جلالة الملوك والملكات انما تتلألأ في اسعافهم المساكين واحسانهم اليهم " . امّا المغتصبون الذين يختلسون الكراسي الملوكيّة ويختطفونها . فانما غايتهم هي خير ذواتهم لا غير . وامّا الملوك الشرعيون فغايتهم خير رعاياهم . ولذلك جرت الرسوم في ان تُدهن هامة الملك يوم احتفال تتويجه بزيت . دلالةً على الليونة والرحمة والرافة . لكي يتذكر التزامهُ في ان يعتني فضلاً عن كل شيء بما يصنع بهِ الرحمة والاحسان مع الخاضعين لولايتهِ ✿

فمن ثمَّ يلتزم الملوك بان يجتهدوا بالوجه الاول في اعمال الرحمة. ولكن ليس بنوع انهم يتركون ممارسة واجبات العدل نحو المذنبين حينما يحتاج الامر للعقاب. غير ان تصرّف مريم البتول ليس هو على هذه الصورة. لانها ولئن كانت هي ملكةً. فمع ذلك ليست هي ملكةً مؤدّبةً معاقبةً منتقمةً من المذنبين بل هي „ملكة الرحمة" المنعطفة الى الشفقة وصنيع الرحمة فقط والى منح الغفران للخطاة. ولهذا قد شاءت الكنيسة بطريق القصد ان ندعوها بالحصر „ملكة الرحمة". فعندما كان يتامل المعلم جرسون العظيم اول مسجّلي الديوان الملوكي في مدينة باريس. تلك الكلمات الداودية الموردة من المرتّل في العدد الثاني عشر من المزمور الحادي والستين وهي قوله „مرةً واحدةً تكلّمَ الربُّ وهاتينِ الاثنتينِ سمعتُ ان العزّة للّه ولك ياربّ الرحمة لانك انت تجازي كلَّ احدٍ نظير اعماله". فقد فسرها هو هكذا قائلاً (في البحث الرابع من القسم الاول من تأليفه) „وانهُ اذ كانت مملكة الله قائمةً ومتوقفةً على هاتينِ الاثنتينِ وهما العدالة والرحمة. فالرب قد قسم لذاته ملك العدل. حافظاً لشخصهِ فقط الانتقام. ووهب قسم مملكة الرحمة لمريم والدتهِ. راسماً بان المراحم كلها التي يمنحها للبشر تكون موزعةً منهُ بواسطة ملكة الرحمة هذه حسبما تشاء هي وتريد". وقد اثبت ذلك القديس توما اللاهوتي في مقدمته على الرسائل القانونية بقوله „ان البتول القدّيسة حينما حبلت في احشائها بالكلمة الازلي وولدته تعالى. فقد حازت نصف مملكة الله بصيرورتها ملكة الرحمة. وحفظ يسوع ابنها لذاتهِ صفة ملك العدل" ☆

فالاب الازلي انما اقام يسوع المسيح ملكاً للعدل. ولذلك جعلهُ قاضياً وديّاناً مطلقاً للعالم بأسرهِ. ومن ثمَّ يهتف المرتل قائلاً „اللهمَّ اعطِ حكمك للملك وعدلك لابن الملك" (مزمور ٧١ ع ١) فهنا احد مفسري الكتاب المقدس البارعين يخاطب الله بقوله „ايّها الرب انك انما اعطيت ابنك مملكة العدل. ووهبت مريم والدتهُ مملكة رحمتك". والقديس بوناونتورا يغيّر الالفاظ الداوديه المذكورة كموجب هذا التفسير قائلاً „اللهمَّ اعطِ عدلك للملك ورحمتك لامّ الملك". وكذلك يقول السيّد ارناسطوس رئيس اساقفة براغا „ان الاب الازلي قد خصّص الابن بوظيفة قاضٍ معاقبٍ بالعدل.

ومنح الامّ وظيفة الاشفاق والرحمة نحو المساكين والسعي في اسعافهم". ومن ثمّ فالنبي داود نفسهُ سبق مشيرًا الى ان الله قد مسح (لكي نقول هكذا) مكرسًا مريم البتول ملكة الرحمة بزيت البهجة (مزمور ٤٤) لكي نبتهج نحن بأجمعنا اولاد آدم الاشقيا المساكين. ونتهلل عند تذكرنا ان لنا في السموات ملكةً ممسوحةً بزيت الرحمة. مملوةً من الرأفة والاشفاق نحونا. حسبما يقول القديس بوناونتورا (في الفصل ٧) "ان مريم هي ممتلية من مسحة الرحمة ومن زيت الرافة كما قيل ان الله قد مسحكِ بزيت البهجة" ✿

ففي هذا الموضوع قد احسن الطوباوي البرتوس الكبير بتخصيصهِ بوالدة الاله قصّة استير الملكة. التي قد كانت رسمًا وصورةً لملكتنا الشريفة. ففي الاصحاح الرابع من سفر استير يورد. انهُ اذ كان متملكًا احشوروش الملك قد خرج امرٌ الى جميع حدود مملكته في قتل اليهود جميعًا. فحينئذٍ مردخاي الذي كان احد هولآء المقضي عليهم بالموت. قد استخدم استير شافعةً في امر مصابهم. لكي تدخل واسطةً مع الملك وتجذبهُ لان ينقض الحكومة المبرزة ضدهم. فهذه الملكة قد رفضت في الاول ان تتداخل في هذي القضيّة. لخوفها من ان تسبّب للملك احشوروش زيادة الغيظ. غير ان مردخاي قد الحّ عليها وارسل يقول لها بأنها لا تفتكر في ان تخلّص نفسها فقط معرضةً عن ابناء جنسها في الوقت الذي فيهِ انما رفعها الرب الى كرسي الملك. لكي تنال الخلاص لليهود كافةً. فهكذا قال مردخاي وكذلك نحن الخطأة الاذلاّ يمكننا ان نقول لملكتنا مريم المجيدة "لا تفتكري ايتها السيّدة بان الله قد رفعك الى مرتبة ملكة العالم لكي تعتني في شأن خيرك فقط. بل حتى انكِ اذ صرتِ عظيمةً سامية الاقتدار تستطيعين ان تترأفي مشفقةً علينا ومهتمةً في اسعافنا نحن البائسين" ✿

فاحشوروش الملك حينما شاهد استير ممتثلةً بازائهِ قد سالها بحبٍّ قائلاً "ما لكِ يا استير الملكة وما هي طلبتكِ". فاجابتهُ وقالت لهُ "ان وجدتُ في عيني الملك نعمةً وان رأى الملك ان يهبَ لي نفسي في سؤالي وامتي في طلبتي" فالملك قد قبل التماسها. وامر حالاً بان لا تجري مراسيمهُ المبرزة ضد اليهود الى الفعل فاذًا ان كان الملك احشوروش قد استجاب طلبة استير لاجل حبّهِ اياها. ووهب اليهود نعمةَ الخلاص من

الموت اكراماً لها. فكيف يمكن ان لا يقبل الباري تعالى طلبات مريم البتول. مع انهُ يحبها حباً غير متناهٍ. او كيف يمكن ان يرفض توسلاتها في شأن خير الخطاه الذين يلتجئون اليها مستغيثين بشفاعتها حينما تقول هي لهُ عزَّ وجلَّ "اذني ان كنت وجدت لدى عينيك نعمةً ايها الملك. فهبني شعبي الذي اتوسل اليك من اجله" (هذا وان البتول الام الالهيَّة تعلم جيداً انها هي وحدها المباركة في النسآء. والطوباوية في جميع البشر لانها وجدت النعمة التي هم اضاعوها. وتعرف انها كلّية التقبول لدى سيّدها. ومحبوبة منهُ افضل حباً من جميع الملئكة والبشر معاً). فهل هو ممكنٌ انها تلتمس منهُ تعالى قايلةً "ان كنت تحبّني ايها السيّد فامنحني هولآء الخطاة الذين اتضرّع اليك من اجلهم" وهو جلَّت قداستهُ لا يقبل طلبتها. فمن تراهُ يجهل مقدار قوّة تضرعات هذه السيدة امام الله. مع ان شريعة الرحمة في لسانها كما قيل عنها في العدد ٢٦ من الاصحاح ٣١ من سفر الامثال. فكل تضرعٍ تصنعهُ هي فهو محسوبٌ بمنزلة شريعةٍ مرسومة من الله. بان توهب الرحمة والنعمة لكل اولئك الذين تتوسل هي من اجلهم. فالقديس برنردوس في تفسير هذه الصلوة اي "السلام عليكِ يا ملكة الرحمة" يسأل كمستفهمٍ لماذا تسمّي الكنيسة مريم العذرآ ملكة الرحمة. ثم يجيب هو نفسهُ على سؤاله هذا قائلاً "لاننا نحن نوقن معتقدين بانها هي تفتتح ابواب رحمة الله التي لا قرار لعمقها. وتهب هذه الرحمة لمن تريد وحينما تشآ وبالنوع الذي ترومهُ. ولهذا لا يوجد خاطئ ما اصلاً يمضي هالكاً ولو كانت جرائمه تتفاوت سائر الشناعات ان كانت مريم تحامي عنه" ☆

ولكن هل يحقّ لنا ان نخاف من ان هذه الام الالهيّة. لا تتنازل لان تدخل واسطةً وشفيعةً لدى الله من اجل خاطيء ما. لانها تشاهدهُ حاملاً وسقاً ثقيلاً من خطايا كثيرة. او هل ربما اننا نرهب ونرتجف من سمو مقام هذه الملكة. ومن علوّ قمّة القداسة الحاصلة هي عليها. لا لعمري. لانهُ كما يقول القديس غريغوريوس الكبير (في الرسالة ٤٧ من كتابه ١) "انه بمقدار ما هذه الملكة هي عالية الشان وسامية في القداسة. فبمقدار ذلك هي افضل عذوبةً وحنواً واعظم اشفاقاً نحو اسعاف الخطاه الذين

يروموت الخطاة من مآثمهم بالتوبة . ويقصدون شفاعتها مستغيثين بها فاي نعم ان عظمة الملوك وسمو جلالة الملكات يسببان في قلوب رعاياهم الرهبة . ويصدانهم عن سهولة الامتثال امامهم في البلاط الملوكي لخوفهم منهم . إلَّا انهُ يقول القديس برنردوس " اي خوفٍ يمكنهُ ان يعتري الخطاة اليائسين من انهم يلتجئون الى ملكة الرحمة هذه . في الوقت الذي فيهِ لا تظهر هي شيئًا من الصرامة على من يتقدم اليها مستغيثًا بها . بل تعلن لهُ ذاتها بكليّتها مملوةً من العذوبة والرفق والحنو . وهي نفسها تقدم للجميع لبناً وصوفاً " اي انها ليس فقط تمنح السائل مسألتهُ . بل ايضاً هي عينها تقدم لنا جميعاً لبن الرحمة . لكي تشجعنا على توطيد الرجاء في شفاعتها . وصوف الحماية الذي اذا ما تردينا بهِ فنلجو من صواعق انتقام العدل الالهي *

فيخبرنا سفاطونيوس عن الملك تيطس قيصر بانهُ لم يكن يعرف هذا الملك ان يرفض ايهاب نعمةٍ ما الى من كان يلتجيء اليهِ في طلبها منهُ . بل الابلغ من ذلك انهُ هو نفسهُ بعض الاحيان كان يعد بايهاب النعم باكثر مما كان ينتظر منهُ . وكان من عادتهِ ان يعطي الجواب لمن كان يجتهد في تخفيض هذا السخاء فيه قائلاً لهُ " انهُ يلزم الملك ان لا يصرف احداً من حضرتهِ غير راضٍ منهُ بعد ان يكون سمح لهُ بالحضور امامهُ وباستماع طلبتهِ " فاي نعم ان هذا الملك كان يقول هكذا . الّا انه بالحقيقة كان يتفق لهُ مراتٍ كثيرة ان يستعمل الافك . او يخلّ في مواعيدهِ غير متمٍ اياها * ولكن ملكتنا هذي الالهيّة لا يمكنها ان تكذب . بل وتستطيع ان تستمد لعبيدها كل ما تريدهُ لهم . ويضاف الى ذلك (كما يقول عنها لودوفيكوس بلوسيوس في الراس ١٢ من كتابه ٤) " انها هي حاصلة على قلبٍ بهذا المقدار موعَب حنوًا ورافةً . حتى انها لا تستطيع ان تحتمل هذا الامر . وهو ان احدَ الذين يتضرعون اليها ولو مهما كان في ذاته يمضي من امامها غير راضٍ . وغير متعزٍّ بنوال مطلوبه " بل ان القديس برنردوس (في تفسيرهِ الصلوة المار ذكرها) يخاطب هذي السيّدة هكذا قائلاً " ترى كيف تقدرين يا مريم ان ترفضي اسعاف البائسين المستغيثين بكِ . وانتِ هي ملكة الرحمة . وترى من هي تلك الرعايا

الخاضعة لملكة الرحمة سوى الفقرا المساكين الاذلاء. فانتِ هي ملكة الرحمة وانا هو الخاطىء الاكثر دناءةً من الجميع. فاذاً انا هو الاكثر خطاءً فيما بين الرعايا الخاضعة لملكتكِ. ولذلك يلزم ان تكون عنايتكِ بي اشد فاعليةً من اهتمامكِ في الاخرين اجمع *

فارحمينا اذاً يا ملكة الرحمة واهتمّي في خلاصنا. ولا تقولي لنا انكِ لا تستطيعين اسعافنا لكون خطايانا هي كثيرةٌ جداً وسلطانكِ عظيمٌ ومطلقٌ وقلبكِ بهذا المقدار حنونٌ ورؤوف. حتى ان مآثمنا مهما كانت عديدة وكثيرة فلا يمكنها ان تسمو على سلطانكِ واشفاقكِ. فلا شيء من الاشياء يمكنه ان يقاوم سلطتكِ. لان خالقكِ ومبدعنا اجمعين اذ كان يريد اكرامكِ بحسب كونكِ اماً لهُ. فيعدّ شرفكِ وتكريمكِ راجعين لشخصه. على انهُ (كما ينتج واضحاً من اقوال القديس غريغوريوس النيكوميدي. في خطبته على نياح مريم البتول. وعنهُ هي ماخوذة الالفاظ المتقدم ايرادها) ولئن كانت هذه السيدة مملوءةً من الالتزام ومعرفة الجميل نحو ابنها الالهي. على ما انعم هو بهِ عليها برفعه اياها الى مقام والدةٍ حقيقيةٍ لهُ. فمع ذلك امرٌ غير قابل الانكار هو ان هذا الابن عينهُ هو ملتزمٌ ليس بالقليل لامّهِ هذه. لاجل اعطائها اياه الطبيعة الانسانية من دمائها النقية. فمن ثمَّ لكي يكافي يسوع المسيح والدتهُ ويفي على نوعٍ ما التزامهُ نحوها. فيسرّ بتمجيدها واكرامها في انهُ بنوعٍ خاصٍ يستجيب دائماً طلباتها كلها *

فكم ينبغي اذاً ان يكون رجاؤنا وطيداً في هذه الملكة. عند معرفتنا عظمة الاقتدار التي هي عليهِ لدى الله. ويضاف الى ذلك تاملنا في كم هي غنيةٌ ومملوةٌ من الرحمة. بنوع انهُ لا يوجد انسانٌ يحيى على الارض من دون ان يشترك بمفاعيل اشفاقها واسعافها. الامر الذي قد اعلنتهُ هذه السيدة المجيدة نفسها للقديسة بريجيتا. (كما يوجد مدوناً في الراس ٦ من الكتاب ١ من سيرة حيوة هذه القديسة) التي خاطبتها البتول والدة الاله قائلةً « انني انا هي ملكة السماء وام الرحمة. وانا هي فرح الابرار والباب الذي بواسطته تدخل الخطاة الى الله. فلا يوجد على الارض خاطىء ما يعيش بهذا المقدار ملعوناً ويستمرّ خالياً من اسعاف رحمتي. لانهُ مَن لا

يستفيد من مفعول شفاعتي شيئًا. فينال قلما يكون هذي النعمة. وهي ان تقلّ عنهُ تجارب الشياطين. بنوع انها لكانت ضده باكثر قوةً لولا شفاعتي. فلا يوجد احدٌ. بحيث انهُ لا يكون قد لُعن مطلقًا (اي باللعنة الاخيرة المحكوم بها من دون امكانية نقض الحكومة) ويمضي مطرودًا من امام الله. بعد ان يكون استدعاني الى معونته مستغيثًا بي. ولا يرجع اليهِ تعالى ويتمتع برحمتهِ الالهية * فانا قد سُمّيت من الجميع ام الرحمة وبالحقيقة ان رحمة الله نحو البشر قد صيّرتني هكذا شفوقةً رأوفةً نحوهم * فلهذا شقيٌّ هو وسيكون شقيًا على الدوام في الحيوة العتيدة. ذاك الذي مع امكانهِ ان يلتجيء اليَّ وهو في هذه الحيوة. انا التي بهذا المقدار شفوقةٌ نحو الجميع. وراغبةٌ عمل الخير مع الخطاة. ولا يستغيث بي بل يذهب هالكًا" ☆

فلنلتجيء اذًا الى هذه الملكة الكليّة العذوبة والرأفة. ولكن التجاءً متصلًا. ان كنّا نريد ان نجعل امر خلاصنا الابدي في امان. واذا كان تأملنا في كثرة خطايانا يخيفنا ويضعف شجاعتنا. فلنفكر في ان مريم لاجل هذه الغاية عينها قد أُقيمت من الله ملكةً للرحمة. وهي لكي تخلّص بواسطة حمايتها الخطاة الاشد شقاءً والاوفر تيهًا في طريق الهلاك. الذين يلتجئون اليها. لان هولا عتيدون ان يكونوا لها في السماء نظير اكليلٍ مستديرٍ حولها. حسبما يخاطبها عروسها الالهي في الاصحاح الرابع من سفر النشيد قائلًا "تعالي معي يا عروستي من لبنان. معي من لبنان فتتكلّلينَ من صِيَرِ الاسود ومن جبال النمور" * فترى ما هي صِيَرُ الوحوش الضارية هذه سوى الخطاة الاشقيا الذين اضحت انفسهم صِيَرًا للمآثم التي هي وحوشٌ شنيعة الصُوَر بنوعٍ مهول. فحسبما يفسر الانبا روبارتوس (في كتابه ٣ على سفر النشيد) قائلًا "من صِيَرِ هذه الاسود تتكللين. فخلاصهم يكون تاجًا لكِ" على ان هولآء الخطأة الادلآء بالخصوص الذين يفوزون بالخلاص الابدي بواسطتكِ ايتها الملكة العظيمة. فهم الذين عتيدون ان يكونوا اكليلًا لكِ في الفردوس السماوي. لان خلاصهم هو تاجٌ لكِ. وبالحقيقة انهُ لتاجٌ لايقٌ وملائم يحق لمن هي ملكة الرحمة التي هي انتِ ☆

☆ وفي هذا الشأن يوافق ايراد الخبر الاتي ذكرهُ ☆

* نموذج *

انهُ مدوَّنٌ في سيرة حيوة البارَّة كاترينا المختصة بالقديس اوغوسطينوس. انهُ في المكان الذي فيه كانت خادمة الرب هذه. قد كانت هناك امرأةٌ اسمها مريم. التي منذ حداثتها قد كانت تمرّغت في حماة المآثم. وتأصلت فيها الرذائل الشنيعة. فحينما تقدمت في العمر والسنين لم تكن بعدُ تركت سيرتها الاولى الرديَّة. مدنسةً بهذا المقدار من الخطايا. حتى ان اهل بلدتها قد طردوها من وطنهم. ونفوها الى مغارةٍ بعيدةٍ عنهم. كي تعيش هناك حيث ماتت فيها بعد مرذولة منتنة. من دون تناول الاسرار المقدسة. ولذلك قد دُفنت جثّتها في احد الحقول كجيفة وحشٍ مكروهٍ. فالبارَّة كاترينا التي كانت من عادتها ان تقدم تضرعاتٍ حارّة. من اجل اولئك الذين كانت تسمع عنهم انهم فارقوا هذه الحيوة. فقد اهملت الصلوة من اجل نفس هذه الامرأة التعيسة. لظنّها فيها نظير ما كان ظن الجميع انها قد ماتت هالكةً في الجحيم * فبعد ان مضى من الزمن اربع سنوات. واذا يومًا ما بنفسٍ من الانفس الكائنة في المطهر قد ظهرت للبارّة كاترينا قائلةً لها „ ايتها الاخت كاترينا كم هو تعيس حظّي. فانتِ دائمًا تتوسّلين لله من اجل اسعاف كل الانفس التي تسمعين خبر انتقالها من هذه الدنيا. فكيف من اجلي انا فقط لم توجد عندكِ شفقةٌ" فعبدة الرب كاترينا قد سألتها قائلةً „ ومن هي انتِ" فاجابتها هذي النفس بقولها „ اني انا هي تلك الامرأة المسكينة مريم. التي ماتت منفيةً في المغارة" ثم سألتها كاترينا مستفهمةً بقولها لها „ كيف جرى الامر. انهُ امكنكِ ان تخلصي من الهلاك" فاجابتها „ اي نعم انني فزت بالخلاص بواسطة مراحم مريم البتول" فقالت لها كاترينا „ وكيف تمّ ذلك" فاخذت تلك ان تخبرها قائلةً „ انني حينما رأيتُ ذاتي قريبةً من الموت اخذت اتأمل في شقاوتي. وفي انني مملوةٌ من المآثم ومهملةٌ من الجميع. ومن ثمَّ اتجهت نحو والدة الاله قائلةً لها. انكِ ايتها السيدة انتِ هي ملجأ المتروكين المهمَلين. فانتِ هي رجائي الوحيد وانتِ وحدكِ تقدرين ان تعينيني. فارحميني وترأفي عليَّ" فالبتول القديسة قد استمدت لي من الله نعمة

الندامة الصادقة. وهكذا قد مت ونجوت من الهلاك. ثم ان البتول ملكتي قد استماحت لي من الرب هذه النعمة ايضاً. وهي ان زمن اقامتي في العذابات المطهرية لا يكون مستطيلاً. بل اختصرتهُ لي بنوع اني اتكبّدُ العذاب مضاعفًا. بدلاً مما كان يلزمني ان احتملهُ ازمنةً مستطيلةً. ولذلك لست الان محتاجةً لاجل خلاصي من المطهر. سوى الى بعض ذبائح الهية تتقدم لله من اجلي * فمن ثمَّ اتوسل اليكِ بان تهتمي في ان بعض الكهنة يتمون ذلك وانا اعدكِ بان اتضرّع من اجلكِ دائمًا لدى الله ولمريم البتول". فالبارّة كاترينا من دون تاخيرٍ قد اجتهدت في ان تصير تقدمة تلك القداسات عن نفس مريم المذكورة. التي ظهرت لها مرةً ثانيةً بعد ايامٍ وجيزة ملتحفةً بالانوار الاكثر لمعاناً من ضياء الشمس وقالت لها "انني اشكر فضلكِ ايتها الاخت كاترينا. فهوذا انا الان منطلقةٌ الى السمآء. لكي اسبّح رحمة الله إلهي واتضرّع لديهِ من اجلكِ" *

* صلوة *

يا سيدتي ووالدة إلهي مريم الطوباوية. ان مسكيناً مثخناً بالجراح قبيح المنظر يتقدم امام ملكةٍ عظيمة الجلالة. فانا هو هذا المسكين. وقد امتثلت امامكِ انتِ التي هي ملكة السموات والارض. متوسلاً لديكِ بان تنظري اليَّ من علو السدّة التي انتِ جالسةٌ فوقها رامقةً بعين رأفتكِ انا العبد الخاطيء الذليل. فانما الله قد جعلكِ غنيّةً لكي تسعفي البائسين. واقامكِ ملكة للرحمة ليمكنكِ ان تترأفي على الاشقيآ التعيسين * فانظري اذًا اليَّ. واشفقي عليَّ. لاحظيني بطرف رأفتكِ. ولا تتركيني ان لم تنقليني من حال الخطآء الى حال القداسة. فانا اعلم ذاتي يقينًا انني لا استحق شيئًا من ذلك. بل بالاحرى انني مستاهل لاجل عدم معرفتي جميل المحسن اليَّ. ان أعرّى من النعم كلها التي حزتها من الرب بواسطتكِ. ولكن من حيث انكِ انتِ هي ملكة الرحمة. فلا تفتشينَ ولا تطلبينَ استحقاقاتٍ. بل تفحصينَ عن الاشقيآ المهملين لكي تسعفيهم. فترى مَن هو اكثر احتياجاً واشد شقاوةً منّي *

فانا اعلم ايتها البتول العالية الشان. انهُ من كونكِ ملكة المخلوقات

باسرها . فانتِ هي ملكتي انا ايضاً . الاَّ انني اريد بنوعٍ اخص واشد التزاماً ان اكرّس ذاتي بجملتي لخدمتكِ وعبادتكِ . لكي تتصرّفي بي حسبما تشائين وتريدين . ومن ثمَّ اقول نحوكِ كلمات القديس بوناونتورا وهي « انني اريد ان اسلّم ذاتي لولايتكِ ايتها السيّدة لكي تعضديني وتدبري احوالي كلها . وان لا تتركيني على هوائي » فعينيني انتِ يا ملكتي واحفظيني ولا تهمليني على هوآء نفسي . امريني واستخدميني كما تروين . بل عاقبيني ايضاً حينما لا اسلك بطاعتكِ . لان القصاصات التي تاتيني من يدكِ هي مفيدةٌ خلاصيةٌ لي . فانا افضل حال كوني عبداً لكِ . واعتبره اشرف لي من ان اكون متملكاً على الارض كلها . اذ لكِ فخلصيني . اقبليني خاصتكِ وبما انني لكِ فانتِ افكري في ان تخلصيني . فانا لا اريد بعد الان ان اكون لذاتي . بل انني اهبكِ نفسي وان كنت فيما مضى قد خدمتكِ بئس الخدمة . لاني اهملت الفرص والموضوعات المفيدة التي كان يمكنني ان اكرمكِ بها . فارغب منذ الان فصاعداً ان اتحد مع عبيدكِ المتمسكين بحبكِ اشد تمسكاً . القائمين على عبادتكِ باكثر حرارة . بل لا ارتضي بانهم يسبقوني في تكريمكِ وحبهم لكِ ايتها الام ملكتي المحبوبة في الغاية . فهكذا اعد وكذلك ارجو ان اتمم وعدي بواسطة معونتكِ امين ❊

❦ الجزء الثاني ❦

❊ في انه ينبغي ان يكون رجاؤنا وطيداً في مريم البتول ❊
❊ بافضل نوع ممَّا هي أُمنا ❊

انهُ ليس من دون افادةٍ او بطريق العرض تُدعَى مريم البتول من عبيدها بتسمية امٍّ لهم . ويبان كانهم لا يعرفون ان ينادوها بغير هذا الاسم . بل ولا يشبعون من تكراره في افواههم . وذلك بكل صوابٍ . لان هذه القدّيسة الجليلة هي امنا حقًّا لا الطبيعية بل الروحية . اي هي حقيقةً امٌّ لانفسنا ولسعادتنا الابدية . فالخطية حينما اعدمت انفسنا نعمة الله قد اعدمتها في الوقت عينه الحيوة الروحيَّة . فمن ثمَّ اذ اصبحت انفسنا على هذه الصورة مائتةً بتعاسةٍ عظيمةٍ . قد جآء يسوع مخلّصنا وبرافةٍ وحبٍ عديم الادراك

قد استرد لنا الحيوة التي كنا فقدناها . مكتسبًا لنا اياها بواسطة موته من اجلنا على خشبة الصليب . حسبما قال هو تعالى نفسهُ " فانما اتيت لكيما تكون لهم الحيوة وتكون اوفر" (يوحنا ص ١٠ ع ١٠) على ان يسوع المسيح . كما يبرهن اللاهوتيون . قد جلب علينا اعظم خير بواسطة سر الافتداء الذي صنعهُ . مما قد جلبت علينا خطيّة ادم من الخسران . وهكذا اذ قد صالحنا تعالى مع الله ابيه فصار ابًا لانفس الذين هم في شريعة النعمة . حسبما سبق النبي اشعيآ وتنبأ عنهُ مسميًّا اياهُ ابا العالم الآتي . "ورئيس السلام" (اشعيا ص ٩ ع ٦) فان كان يسوع ابًا لانفسنا . فمريم هي ام لها . لانها اذ اعطتنا يسوع فاعطتنا الحيوة الحقيقيّة . واذ قدّمت فيما بعد على جبل الجلجلة ابنها الحبيب من اجل خلاصنا . فقد ولدتنا حينئذٍ لحيوة النعمة الالهيّة *

ففي زمنين اذًا حسب اقوال الآبآ القدّيسين قد اضحت مريم البتول امًّا روحيةً لنا . فالزمن الاول هو حينما استحقّت ان تحمل في احشائها البتوليّة ابن الله . كما يقول الطوباوي البرتوس الكبير وباكثر اتساعٍ يتكلم عن ذلك القدّيس برنردينوس السياني بقوله (في الخطبة السادسة المختصة بالبتول القدّيسة) " ان هذي العذرآء المجيدة عندما بشّرها ملاك الرب بالحبل الإلهي . وهي اعطت رضاها المُنتظر من الكلمة الازلي بان يصير ابنًا لها . فمنذ تلك الساعة قد التمست هي من الله خلاصنا بحبٍّ فايق الادراك . واخذت تجتهد من ذلك الوقت في امر فدائنا واستنقاذنا بهذا المقدار . حتى انها حوتنا في مستودعها نظير امٍ كليّة الانعطاف والحب ". ثم ان القدّيس لوقا الانجيلي يقول في الاصحاح الثاني من بشارته اذ يخبر عن ميلاد مخلّصنا . ان مريم قد ولدت ابنها البكر * فهنا يتفلسف حسنًا احد العلمآء بقولهٍ . فاذًا ان كان الانجيلي يعلن لنا ان مريم البتول قد ولدت حينئذٍ ابنها البكر . فيلزم ان يُفترض انها قد ولدت بعد ذلك اولادًا اخرين . والّا لما كان سُمّي يسوع ابنها البكر . والحال انها لقاعدةٌ من قواعد الايمان هي ان مريم العذرآء لم يكن لها ابن آخر بالجسد سوى يسوع . ولم تلد قط جسديًا ابنًا اخر غيره * فاذًا يلزمها ان تكون حصلت على اولادٍ آخرين روحيين . وهولآ البنون انما هم نحن جميعنا . وهذا الامر نفسهُ قد اعلنهُ الرب لعبدتهِ

القدّيسة جالتروده . التي اذ كانت يومًا ما تقرأُ النصَّ الانجيلي المتقدّم ذكره وقد بهتت . لانها لم تكن تعلم ان توفق هذين الشيئين معًا . وهما ان مريم العذرا لم تكن امًا سوى ليسوع المسيح فقط . وكيف يمكن اذًا ان يُدعى هذا الابن الوحيد ابنها البكر . فالباري تعالى قد تنازل لان يفسر لها ذلك بان يسوع هو ابنها البكر بحسب الجسد . والبشر هم اولادها بحسب الروح ✿

وبهذا النوع يلزم ان تُفهَم الالفاظ المدونة في العدد الثاني من الاصحاح السابع من سفر النشيد عن مريم العذرا وهي „ بطنك عرمة حنطة مسيجة بالسوسن" فيشرح ذلك القديس امبروسيوس (في ارشاده عن البتوليه) قائلًا „ انهُ وان لم يكن يوجد في بطن مريم البتول الكلي الطهر . الَّا حبةٌ واحدةٌ فقط من الحنطة وهذه الحبة هي يسوع المسيح . فمع ذلك يقال عن بطنها انهُ عرمة حنطة . من حيث انهُ في تلك الحبة الوحيدة قد كان يوجد المختارون اجمعون . الذين قد كانت مريم مزمعةً ان تصير هي امهم" * ومن ثمَّ كتب الانبا غوليالموس (في العدد ١٣ من الراس ٤ على سفر النشيد) „ ان مريم بميلادها يسوع الذي هو خلاصنا وحياتنا قد ولدتنا كلنا للخلاص وللحيوة " ✿

واما الزمن الثاني الذي فيه قد اتخذتنا بنين هذه القديسة وصارت هي فيه امنا . اذ ولدتنا بالنعمة . فهو حينما قدمت للاب الازلي عند جبل الجلجلة ابنها الحبيب من اجل خلاصنا بالآمٍ شديدة المراس . ولذلك يبرهن القديس اوغوسطينوس (في الراس ٦ على البتوليه) بانهُ اذ كانت هذه الام الالهية قد ساعدت حينئذٍ بوسطة حبها مشتركةً بالعمل لكي يولد المومنون لحيوة النعمة . فقد صارت لاجل ذلك ايضًا امًا روحيةً لنا اجمعين نحن الذين هم اعضاءٌ لراسنا الذي هو يسوع المسيح . وهذا هو تفسير ما يقال في العدد السادس من الاصحاح الاول من سفر النشيد عن هذي الطوباوية هكذا „ جعلوني في الكروم حافظة . وما نظرت كرمي" * على ان مريم لاجل خلاص انفسنا قد ارتضت بان تقرّب حيوة ابنها الحبيب ضحية بالموت . كما يقول عنها غوليالموس „ انها لكي تصنع الخلاص لانفس كثيرة العدد قد قدمت هي نفسها للموت" . فمَن تراهُ كان هو نفس مريم

البتول سوى يسوع ابنها الذي كان هو حياتها وموضوع حبها الكلي. ولاجل ذلك قد كان سبق البار سمعان الشيخ واخبرها بان سيفاً كان عتيداً ان يجوز في نفسها يوماً ما باوجاعٍ شديدة (لوقا ص ٢ ع ٣٥) كما قد تمَّ بالحقيقة. لا سيما بتلك الحربة التي طعن بها جنب يسوع. الذي هو روح هذه الام الطوباوية. وحينئذٍ هي ولدتنا للحيوة الابدية باوجاعها الاليمة. ومن ثمَّ نستطيع كلنا ان ندعى اولاد اوجاع مريم. فامنا هذه الكلية الحب قد كانت دائماً متحدةً بجملتها مع مشيئة الله. ولذلك يورد القديس بوناونتورا قائلاً „ان هذي القديسة عندما لاحظت محبة الاب الازلي للبشر. حتى انهُ كان يريد ان يميت ابنهُ لاجل خلاصنا. واعتبرت محبة الابن بارادته ان يموت عنا * فهي لكي توافق مفاعيل هذا الحب الشديد. من الاب والابن نحو الجنس البشري. فاظهرت تمام ارادتها مرتضيةً في ان ابنها يموت لكي نخلص نحن" *

فاي نعم ان المسيح يسوع في تخليصه الجنس البشري بموته عنهم. اراد ان يكون هو وحدهُ فادياً. كما يقول اشعيا النبي (ص ٦٣ ع ٣) „قد دست المعصرة وحدي" غير انهُ اذ رأى تعالى اشواق مريم العظيمة الى المساعدة والاهتمام في خلاص البشر. فجعل انها بواسطة تقدمتها قرباناً حيوة ابنها يسوعَ نفسه. تصير مساعدةً ومشتركةً في عمل خلاصنا. وهكذا تعود هي اماً لانفسنا * وهذا قد اوضحه فادينا حينما كان على الصليب قبل ان يموت. لانهُ اذ نظر الى والدته مريم. والى تلميذه القديس يوحنا واقفين تحت صليبه. فقال اولاً لمريم „ يا امرأة ها ابنكِ " (يوحنا ص ١٩ ع ٢٦) وكانهُ اراد ان يقول لها. هوذا الانسان الذي من تقدمتكِ لله حياتي من اجل خلاصه ها هو قد ولد بالنعمة * ثم بعد ذلك التفت يسوع نحو القديس يوحنا وقال له „هذه امك" فيقول القديس برنردينوس السياني (في العظة ٥٥ من كتابه ١) „ان مريم البتول بواسطة هذه الكلمات. قد صارت اماً ليس للقديس يوحنا الرسول فقط. بل لكل البشر ايضاً لاجل شدة الحبِ الذي احبتهم بهِ" ولذلك يتفلسف حسناً العلاَّمة سيلفاريا. بان القديس يوحنا الانجيلي عينهُ في تخبيره عن هذا الحادث قد كتب هكذا „ثم قال يسوع للتلميذ ها امك" * فمن ثمَّ يلزم ان تُعتبر جيداً هذه

الكلمات وهي. ان يسوع المسيح لم يقل ذلك متوخيًا شخص يوحنا. بل قال للتلميذ من دون ان يدعوهُ باسمه يوحنا. ليوضح انه تعالى قد اقام والدته امًا عامةً لكل اولئك الذين من حيث انهم مسيحيون يُطلق عليهم تسمية تلاميذ لهُ تعالى ✿

„ فاذا هي ام الحب الجميل" تقول مريم العذرا (حكمة ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٢٤) على ان حبها. كما يقول احد العلما هو „ الذي يصيّر انفسنا جميلةً لدى عيني الله. ويجعل ان هذه الام المتقدة بالمحبة تقبلنا اولاداً لها" لانها هي كلها محبة" نحونا نحن المقبولين منها اولاداً لها. ولاجل ذلك يهتف نحوها القديس بونافنتورا قائلاً „ ترى اية امٍ تحب اولادها وتجتهد دائماً في خيرهم. بمقدار ما تحبيننا انتِ يا ملكتنا الكلية العذوبة وتجتهدين في خيرنا ونمونا" ✿

فطوباويون هم اولئك الذين يعيشون تحت حماية امٍ هي بهذا المقدار محبّةٌ ومقتدرةٌ. فالنبي داود وان لم تكن بعدُ في زمانهِ ولدت مريم المجيدة فمع ذلك كان يبتغي من الله الخلاص بحسب كونهِ ابنًا لها بقوله (مزمور ٨٥ ع ١٦) „ خلص ابن آمتك" فيقول القديس اوغوسطينوس (في تفسيره المزمور ٨٥) „ ومن هي آمتك" فانما هي التي قالت لجبرائيل „ ها انا آمةٌ للرب فليكن لي حسب قولك" * ثم يهتف الكردينال بالاريينوس بقوله (في تفسير السبع الكلمات) „ فمن تراهُ يستطيع ان يتجاسر على ان يختطف هولاء البنين من حضن مريم. بعد ان يكونوا التجأوا اليها هاربين ليخلصوا من ايدي اعدائهم. واي رجزٍ جهنميٍ. او غضب ذي الم يقدر ان ينتصر عليهم ان كانوا يضعون رجاءهم تحت حماية هذه الام العظيمة" فيخبر الطبيعيون عن السمكة البحرية المساة بالينا. انها حينما تشاهد اولادها كائنةً في خطرٍ اما من قبل اختباط البحر. واما من قبل الصيادين. ففي الحال تفتح فاها وتبتلع اولادها في جوفها * فعلى هذه الصورة يقول نوفاريوس „ ان امنا الحنونة حينما ترانا نحن اولادها في الخطر الذي يحيق بنا من قبل شدة التجارب. فماذا تصنع. انها حينئذٍ تخفينا بحبٍ كانهُ داخل احشائها وهناك تحامي عنا ولا تهملنا من محافظتها حتى تبلغنا الى مينا الفردوس السماوي الامين" * فلتكوني دائمًا مباركةً ايتها الام الكلية الحب والجزيلة

التراؤف والاشفاق. وليكن على الدوام مسبحًا الاله' الذي اعطاك اماً لنا. وملجاً اميناً نهرب اليه من مخاطر هذه الحيوة ✿

ثم ان هذه الام الرحومة قد اوحت الى القديسه بريجيتا (راسع ٣٨ كتاب ٤) قائلةً لها „هكذا انه' كما ان احدى الامهات اذا شاهدت ابنها فيما بين سيوف الاعدا. فتبذل كل قوتها واستطاعتها في استنقاذه منهم. فهكذا انا اصنع كل وقت مع اولادي وان كانوا خطاة. وذلك كل مرة يلتجئون اليَّ لكي اعينهم" فلاجل هذا السبب نحن ننتصر في حربنا مع قوات الجحيم. وسنكون على الدوام غالبين وحاملين راية الظفر. بواسطة التجائنا الى والدة الاله امنا قائلين لها „تحت ذيل حمايتك نلتجيء يا والدة الاله القديسه" فكم وكم من الانتصارات العظيمة قد حصلت للمومنين ضد القوة الجهنمية بتلاوتهم هذه الصلوة. التي وان تكن قائمة من كلمات وجيزة. الا انها تتضمن قوةً عظيمةً ومن جملة الذين قد انتصروا دائماً على الشيطان بواسطة هذه الصلوة. الاخت ماريا كاترينا كروجيفيسا من رهبنة القديس بناديكتوس ✿

فافرحوا مبتهجين اذاً يا جميع الذين هم اولاد مريم العذرا. واعلموا ان هذه السيدة تقبل بنيناً لها. كل اولئك الذين يريدون ان يحصلوا على هذا التبني * فتهللوا اذاً ولا تخافوا من خطر الهلاك في الوقت الذي فيه انتم حاصلون على حماية هذه الام المقتدرة الفاضلة عنكم. ولذلك كان يخاطب نفسه' القديس بوناونتورا قائلاً „لماذا تخافين يا نفسي وما الذي يريعك. فلا تقلقي لان قضية خلاصك الابدي لا يلتحقها الخسران. اذ ان الحكومة العتيدة ان تبرز في شانها هي متعلقةٌ بارادة يسوع الذي هو اخوك. وبحماية مريم التي هي امك" * فنظير هذا القديس يمكنه ان يشجع ذاته ويخاطب نفسه' كل انسان يحب هذه الام الصالحة. ويكون له' فيها ثقةٌ ورجاءٌ وطيدٌ وبمثل ذلك كان يهتف القديس انسلموس فرحاً مشجعاً نفسهُ واياناً معاً (في تضرعه نحو البتول) قائلاً „ويا له' من رجاء مغبوط ويا له' من ملجاء امين. وهو ان والدة الاله هي والدتي فاية طمانينة يمكننا ان نفوز افضل من هذه. وهي ان امر خلاصنا هو متعلقٌ على ارادة اخينا الصالح وامنا الشفوقة ومتوقفٌ على مشيئتهما" * فهوذا امنا تسمّعنا صوتها وتدعونا

اليها بقائلةً „من كان صغيراً فليات ِ اليَّ" (سفر الامثال ص ٩ ع ٤) فمن عادة الاطفال والاحداث ان يوجد اسم امهم متكرراً في افواههم. ومن ثم في كل خطرٍ يداهمهم وفي كل خوفٍ يعتريهم. فحالاً تسمعهم ينادون يا امي يا امي * فاواه يا مريم الكلية الحلاوة. اه يا ايتها الام الشديدة الحب نحو اولادها. ان هذا هو بالحصر الامر الذي ترغبينه. وهو انه اذ تداهمنا الاخطار والتجارب فندعوك ِ دائماً. لانك ِ تريدين ان تعيننا وتخلصينا نظير ما خلصت ِ جميع البنين الذين لحد الان قصدوك ِ والتجأوا اليك ِ ☆

☆ نموذج ☆

انه لمحررٌ في الفصل السابع من الكتاب الخامس من تاريخ تاسيس الرهبنة اليسوعية في مملكة نابولي. عن شابٍ شريف الحسب والنسب جداً يُدعى غوليالموس الفنسطونيوس اصلهُ من بلاد سكوتسيا. بان هذا الشاب قد كان نسيباً للسلطان يعقوب. ولانه ولد وتربى في الهرطقة. فاستمر عائشاً في ضلالها. ولكن ضياء النعمة الالهية قد اشرق على قلبه. ومن ثمَّ اخذ يكتشف على فساد معتقده. فسافر الى بلاد فرنسا حيث انهُ بواسطة ارشادات احد الابا اليسوعيين الفضلاء الذي كان هو ايضاً من بلاد سكوتسيا. وزد على ذلك انه بواسطة شفاعة والدة الاله. قد عرف اخيراً صدق الايمان الكاثوليكي وفساد الهرطقة. فرفضها واعتنق الايمان الحقيقي. ثم حضر بعد ذلك الى مدينة روميه. وهناك اذ راهُ يوماً ما احد اصدقائه حزيناً باكياً. سالهُ عن سبب ذلك. فاجابهُ الشاب بانهُ في تلك الليلة قد ظهرت لهُ امه في الحلم. واخبرتهُ بانها هلكت في جهنم. وقالت له نعمَّا صنعت يا ابني باعتناقك الايمان الكاثوليكي. لانيِ انا انما هلكت لاني متُّ هرطوقية * فالشاب بعد هذه الرويا قد ازداد حرارة في عبادة والدة الاله. مختاراً اياها اماً وحيدةً لهُ. وهي قد الهمتهُ لان يتمسك بالدعوة الرهبانية. كما كان اعتمد وابرز على ذاته نذراً بذلك ولكن من حيث انهُ كان وقتئذٍ عليل المزاج. فسافر من روميه الى مدينة نابولي بحجة تغيير الهوا. الا ان الرب قد اراد ان هذا الشاب يموت في نابولي راهباً. على انهُ اذ رأى ذاتهُ هناك مدنفاً

علي التلف. شرع يتوسل بدموعٍ لرئيس الرهبان. وللجمعية في ان يقبلوهُ اخاً لهم * فمن ثم قد ابرز النذور الرهبانية امام القربان الاقدس. الذي تناولهُ زوادةً اخيرةً. وهكذا أُحصي في عدد الرهبان اليسوعيين. وبعمله هذا قد حرك الحاضرين اجمعين الى الخشوع وذرف الدموع. عند مشاهدتهم اياه متهللاً يقدم الشكر بقلبٍ ملآن من الحب لامه العذرا المجيدة. على ما فاز بهِ من لدن الله من النعم بشفاعاتها. في رفضه الهرطقة وتمسكه بالايمان المستقيم. ودخوله اخيراً بين الرهبان على ان يموت ناذراً في بيت الرب ولهذا كان يهتف مبتهجاً بقوله. "يا لها من سعادةٍ. ويا لها من ميتةٍ مجيدةٍ ان يسلم الانسان نفسهُ بيد الله فيما بين رفقةٍ ملائكية وان البعض حرّضه على ان يفتكر بان ياخذ قليلاً من الراحه هادياً. فاجابهُ قائلاً "ان هذا الزمان ليس بزمن الراحة. لاني الان قد دنوت من نهاية حياتي" ثم بعد ذلك قبل ان يرقد بالرب قال للحاضرين "يا اخوتي اما تنظرون ههنا هولاء الملائكة المحيطين بي ليساعدوني" * وعندما سمعهُ احد الرهبان يتكلم بصوتٍ منخفضٍ. وسالهُ بماذا كان يتفوه ولمن كان يخاطب. فاجابهُ الشاب بان ملاكهُ الحارس قد اخبرهُ بان زمن اقامته في المطهر كان وجيزاً. وانهُ من دون ابطاء كان مزمعاً ان يفوز بالسعادة الابدية * قال هذا ورجع مخاطباً والدة الاله مكرراً نحوها الشكر وقائلاً "يا امي يا امي" وهكذا اسلم الروح كطفلٍ مبتهجٍ على ذراعي والدتهِ وفي حضنها. وبعد هذا بزمنٍ وجيزٍ قد أُوحي الى احد الرهبان الابرار. بان نفس غوليالموس المذكور قد حصلت على السعادة السموية ✿

✿ صلوةٌ ✿

يا امي الكلية القداسة. كيف هو ممكن ان اعيش انا في المآثم ولي امٌ بهذا المقدار سامية في القداسة. وكيف ان امّي هي ملتهبةٌ بنيران الحب الشديد نحو الله. وانا احب المخلوقات * هي غنيةٌ بهذا المقدار بالفضائل الجليلة. وانا فقيرٌ بالكلية * فاي نعم يا امي انني لم اعد مستحقاً ان اكون ابناً لكِ. لاني ظهرت بالحقيقة عديم المعروف. وناكر الجميل بزيادة من قبل سيرتي الردية. ولكنني اكتفي بان تقبليني عبداً لكِ. ولكي

احصل على ذلك اي قبولك اياي فيما بين عبيدك الاكثر دناءة فانا مستعد لان ارفض املاك العالم باسره. اي نعم اني راض بهذا. ولكني اتوسل اليك بان تمكنيني على الدوام من تسميتك امي. لان هذي التسمية تملأني من البهجة والتعزية. وتجتذبني الى الخشوع والندامة. وتذكرني باني ملتزم في ان احبك. وتصيّرني ان اوطد رجاءي فيك بافضل نوع. لانه حينما يفاجيني الخوف من قبل كثرة خطاياي. ويكتنفني الجزع من صرامة الديونة الالهية الرهيبة. فعندما افتكر بانك انت امي. فاشعر حالاً في ذاتي بالشجاعة طارحاً عني اليأس بعيداً * فاسمحي لي اذاً بان ادعوك امي الجليلة. امي المحبوبة مني في الغاية. فهكذا انا اسميك وكذلك اريد ان ادعوك دائماً. فانت بعد الله يلزم ان تكوني على الدوام رجائي وملجأي وموضوع حبي في وادي الدموع هذا * ثم اومل ان اموت مسلماً نفسي في اخر دقيقة من حياتي بين يديك المقدستين. وقائلاً يا امي مريم عينيني واسعفيني وارحميني آمين ✿

الجزء الثالث

✿ في كم هو عظيم الحب الذي به نحبنا هذه الام الالهية ✿

فان كانت اذاً مريم البتول هي امنا. فيمكننا ان نتامل بكل صواب صدق محبتها نحونا * فالمحبة التي بها البنون يحبون والديهم هي محبة ضرورية لازمة. وهذا هو السبب الذي من اجله رسمت الشريعة الالهية على الاولاد. الوصية بمحبة والديهم (كما يورد القديس توما اللاهوتي في الراس ٤ من كتيبه الستين) الاّ انه لا توجد وصية ما خصوصية مرسومة على الوالدين بان يحبوا بنيهم. من حيث ان المحبة الكائنة في الوالدين نحو المولودين منهم. هي محبة مغروسة فيهم طبيعياً وثابتة وطيدة في قلوبهم غريزياً. حتى ان الوحوش الاشد شراسة (حسبما يعلم القديس امبروسيوس في الفصل ٤ من كتابه ٦) لا تستطيع ان لا تحب جرائها المولودة منها. ولذلك يورد المورخون عن النمرة الشرسة طبعاً. انها اذا سمعت صوت جرائها المخطوفة بايدي الصيادين ضمن المركب في البحر. فتطرح ذاتها في المياه سابحةً. وتسرع لتدرك المركب الذي منه تسمع هي صوت اولادها. فاذاً تقول

مريم امنا الكلية الحب نحونا. انهُ ان كانَ الثمرات انفسهنَّ لا تستطعنَ ان تنسينَ اجريتهنَّ فكيف انا يمكنني ان انسى ان احبكم انتم اولادي. ومن ثم يقول اشعيا النبي عن لسان الله „ هل تنسى الامراة ابنها. او تنل لا ترحم اولاد بطنها. فان نست الامراة اولادها الّا اني لا انساك يقول الرب الضابط الكل" فهنا مريم تردف كلامها نحونا قائلةً. انهُ اذا اتفق ان يحدث هذا الامر الذي يبان انهُ غير ممكنٍ. وهو ان والدةً تنسى بنيها. او لا ترحم اولاد جوفها. فمع ذلك لا يمكن لي ان اهمل من محبتي نفساً ما تكون متبننةً لي ✲

فمريم هي امنا لا الطبيعية (كما قلنا قبلًا) بل هي امنا بالحب. حسبما يقال في سفر حكمة ابن سيراخ „ انا هي المحبة الجميلة" (ص ٢٤ ع ٢٤) فاذًا المحبة وحدها التي هي نحبنا بها. فهذه جعلتها ان تصير امنا ولذلك يقول احد العلما „ ان مريم تفتخر بحال كونها ام المحبة. لانها اذ اتخذتنا بنينًا لها فاضحت بكليتها حبًا متقدًا نحونا. لانهُ ترى مَن يستطيع ان يصف عظم المحبة. التي هي في قلب مريم نحونا نحن الاشقيا البائسين" فيقول ارنولدوس كارنوطانسه (في شرحه عن لفظة سيد) „ انها اي مريم البتول. قد كانت حين موت ابنها يسوع المسيح تشتهي بحرارةٍ شديدة ان تموت هي ايضاً مع ابنها حباً بنا" ويضيف الى ذلك القديس امبروسيوس في الراس ٧ من ارشاده فيما يخص البتولية) بقوله „ انهُ كما ان الابن كان معلقًا على الصليب منازعًا. فهكذا امهُ مريم كانت تقدم ذاتها للجلادين لتبذل حياتها من اجلنا" ✲

فهنا يلزمنا ان نبحث عن علل هذا الحب واسبابه لاننا بذلك نفهم بافضل نوعٍ مقدار ما نحبنا به هذه الام الصالحة. فالسبب الاول الذي من اجله تحب مريم البشر محبةً هكذا مضطرمةً فانما صادر عن الحب العظيم الذي به تحب هي الله. لان وصية المحبة لله ووصية المحبة للقريب. فانما هما وصيةٌ واحدةٌ حسبما يعلمنا القديس يوحنا الرسول بقوله „ ولنا منه هذه الوصية من احب الله. فليحب اخاه ايضاً" (يوحنا اولى ص ٤ ع ٢١) بنوع انه بمقدار ما يزداد الحب لله. فبمقدار ذلك ينمو الحب للقريب متزائدًا. ولهذا نحن نعلم ان القديسين لاجل انهم كانوا

يحبون الله حباً وافراً · فمارسوا نحو القريب الاعمال التي نحن نندهش منها عند تاملنا اياها · لانهم قد اتصلوا ليس فقط الى ان يفقدوا حريتهم واضعين ذواتهم تحت الاسر. بل لان يبذلوا حياتهم ايضاً من اجل خلاص القريب · فليقرأ ما صنعهُ القديس فرنسيس سافاريوس في بلاد الهند · حيث انهُ لرغبته في ان يسعف انفس اولئك الشعوب البرابرة · كان يجتاز صاعداً الى الجبال الغير المسلوكة · مطوحاً ذاته في اخطارٍ مختلفة الانواع · ليمكنه ان يجد اولئك المساكين الذين كانوا يقطنون في المغائر والكهوف نظير الوحوش الفاقدة الاستئناس · ويكتسبهم الى معرفة الله والى الايمان به تعالى · والقديس فرنسيس سالس لكي يجتذب الهراطقة سكان اقليم كابلاي الى الايمان الكاثوليكي · قد استمر مدة سنةٍ يلقي ذاتهُ يومياً في خطر الموت · باجتيازه ماشياً على يديه ورجليه من فوق خشبة كانت ممتدة على النهر · مجلدةً مع المياه من شدة البرد · لكي يكرز على الشعوب القاطنين في عبر النهر · المصرّين على ضلالهم · والقديس باولينوس قد باع ذاتهُ اسيراً · لكي يستفك من السبي احد الشبان ويردهُ لامه الارملة · والقديس فيدالّه قد ارتضى بان يموت من اجل اكتسابه الى الرب اولئك الهراطقة الذين كان ينذرهم بالايمان المستقيم · فاذاً من حيث ان القديسين كانوا يحبون الله حباً شديداً · فقد اتصلوا الى ان يصنعوا اشيا كثيرة مثل هذه حباً بالقريب · ولكن ترى من هو الذي احب الله نظير ما احبتهُ مريم العذرا · فهذه الطوباوية قد احبتهُ تعالى منذ نعومة اظفارها · محبةً اعظم ممّا احبهُ به القديسون اجمع · والملائكة قاطبةً في ازمنة حياتهم كلها · كما سنتكلم عن ذلك باكثر اتساعٍ عند تكلمنا عن فضائل هذه الام الالهية · التي هي نفسها قد اوحت الى الاخت البارة ماريا كروجيفيسا (كما هو مدون في الراس ٥ من الكتاب ٢ من سيرة حياتها) بان الحب الذي كان يشتعل لهيبهُ في قلبها نحو الله · كانت نارهُ بهذا القدار متقدة · حتى انهُ لو وُضعت الارض والسموات في ذاك الاتون · لتغيبت مستحيلةً الى رمادٍ · ومن ثمّ بالنسبة والمقابلة لحرارة هذا الحب لم تكن حرارة قلوب السيرافيم الّا كنسيم صبحٍ باردٍ · فاذاً من حيث انهُ لم يكن يوجد فيها بين ارواح الطوباويين باسرهم من يماثل حبها لله · فهكذا نحن لا نستطيع ان نجد بعد الله من يحبنا

تظير هذه الام الكلية الحب. حتى انهُ اذا اجتمع حبُ جميع الامهات اللوي به يحببنَ اولادهنَّ. جملةً مع حب كل العرسان لعروساتهم. والقديسين والملئكة للمتعيدين لهم. فلا يبلغ مقدار هذا المجموع العظيم. لان يوازي حب مريم البتول لنفسٍ واحدةٍ فقط من انفسنا. بل ان الاب نيارامبارك يقول. ان المحبة الكائنة في قلوب جميع الامهات نحو بنيهنَّ. اذا اجتمعت معاً فلا تصوّر ولا ظل المحبة التي في قلب هذه البتول نحو واحدٍ فقط منا. حتى انها هي وحدها تحبنا اشدّ حباً. ممّا يحب بعضهم بعضاً الملئكة كافةً والقديسون اجمعون ✿

وما عدا ذلك ان امنا هذه الصالحة انما تحبنا هكذا حباً شديداً لاجل اننا قد سُلّمنا لملاحظتها من ابنها الالهي يسوع المسيح المحبوب منها فوق كل شيء. حينما قال لها وهو على الصليب قبل موته "يا امراة ها ابنكِ" معلناً لها في شخص تلميذه يوحنا. اشخاصنا نحن البشر جميعاً. كما تكلمنا عن ذلك آنفاً. وهذه الكلمات قد كانت هي الاخيرة المقولة منهُ لوالدته الطوباوية. والحال انهُ لامرٌ واضحٌ هو ان التوصيات التي تتركها الاشخاص المحبوبون في ساعة موتهم. فتُعتبَر وتُكـرَّم من محبيهم ولا تُهمَل منسيةً. ثم يضاف الى هذا كله اننا نحن بنون اعـزّا جـداً على قلب امنا هذه الحنونة. من قبيل اخر ايضاً. وهو من قبل ثمن الاوجاع الشديدة التي بها قد اتخذتنا لها ابناء. على انهُ لا شك في ان الامهات، اللاي يتكبدنَ اوجاعاً زائدةً. ومخاطر خصوصيةً. من اجل حفظ حيوة البعض من اولادهنَّ. فيكون حبهنَّ نحو هولا اشدَّ ممّا هو نحو باقي بنيهنَّ الاخرين. فلنحن هم هولا الاولاد الذين. لكي تكتسب لنا حيوة النعمة امنا هذه الالهية قد التزمت بان تحتمل تلك الاوجاع الشديدة. التي بها قدمت عنا حيوة ابنها يسوع مصلوباً على الخشبة. مرتضيةً بان تتكبد تلك المشاهدة الموعية مرارةً. وهي موت وحيدها امام عينيها. فيما بين العذابات من اجل خلاصنا. ومن قبيل ذلك القربان المقدم منها على هذه الصورة نحن وُلدنا حينئذٍ لحيوة النعمة. وبالتالي انها اتخذتنا لها بنين باوجاع هذا عظم مقدارها. ولذلك نحن لديها اولادٌ ذوو قيمة معتبرة. فمن ثمَّ بموجب ما هو مكتوب عن الحب الذي به احب الاب الازلي البشر. باعطائه ابنهُ الوحيد بدلاً

عنهم. كما هو مدون في الانجيل المقدس „ انهُ هكذا احب الله العالم حتى انهُ بذل ابنهُ الوحيد لكيلا يهلك كل من يومن بهِ" (يوحنا ص ٣ ع ١٦). فكذلك يقول القديس بوناونتورا. يمكن ان يُمثَّل القول بانهُ هكذا احبت مريم العالم. حتى انها بذلت ابنها الوحيد من اجلهم. ولكن متى بذلت مريم ابنها الوحيد من اجل البشر. فيجيب الاب نيارامبارك بانها قد بذلتهُ عنهم. اولاً حينما سمحت لهُ بان يمضي الى الموت. ثانياً قد بذلتهُ عند ما كان يمكنها ان تحامي هي بمفردها امام القضاة عن حيوة ابنها. في الوقت الذي فيه اهملهُ الجميع. امّا بروح البغضة وامّا بحركة الخوف. وهي لم تفعل ذلك. مع ان كلمات امٍ مملوةٍ من الحكمة مثلها. وبراهينها السديدة. قد كانت تحصل على اعتبارٍ عظيمٍ قلما يكون في منبر بيلاطوس الذي هو نفسهُ كان مقتنعاً ببرارة يسوع. وبالتالي لكانت هي تقدر ان توخرهُ عن ان يبرز حكومة الموت ضد ابنها. فمع ذلك لم ترد هي ان تفوه ولا بكلمةٍ واحدةٍ بالمحاماة عنهُ لكيلا تمنع موتهُ الذي عليه كان متعلقاً امر خلاصنا الابدي. ثالثًا واخيرًا قد بذلتهُ عنا الوف مراتٍ على جبل الجلجلة. بوقوفها تحت صليبه مدة ثلث ساعات نزاعهِ. حاضرةً موته. ففي كل رفة عينٍ من تلك الثلث الساعات. كانت تقرّب حياتهُ ذبيحةً من اجلنا باوجاعٍ فايقة الوصف وبحبٍ شديد نحونا. وقد كان عزمها بهذا المقدار ثابتًا على بذل حيوة ابنها عنا. حتى انهُ حسبما يقول القديسان انسلموس وانطونينوس. انهُ لو اتفق حينئذٍ الّا يعود يوجد من الجلادين احد. ليكمل ضد ابنها حكومة الموت. لكانت هي نفسها اماتتهُ مصلوباً لتتمّم بذلك ارادة الاب الازلي. الذي كان يشاء موتهُ لاجل خلاصنا. على انهُ ان كان اب الاباء ابراهيم عينهُ قد اتصف بشجاعة مثل هذه. منطلقاً بابنهِ الحبيب اسحق الى الجبل لكي يذبحهُ بيديه قرباناً لله. فيلزمنا ان لا نرتاب بان مريم البتول الاعظم قداسةً من ابراهيم. والاوفر طاعةً منه لاوامر الله. لكانت بالحقيقة تممت بيديها هذي الذبيحة باكثر شجاعةٍ وباشد عزمٍ. لو لم يوجد من الجلادين مَن يميتهُ. فلنعُد الان اذًا الى موضوعنا. وهو انهُ كم يلزمنا ان نعيش حافظين معرفة الجميل نحو امنا هذه الحنونة. مقابلةً

للحب الذي احبتنا به اعني بتقدمتها ابنها قرباناً باوجاعٍ هكذا مرة. لكي تكتسب لجميعنا الخلاص. فالباري تعالى قد كافى حسناً عزم ابينا ابراهيم واستعداده لان يذبح لهُ ابنهُ. واما نحن فماذا يمكننا ان نكافي به هذه السيدة الجليلة. عن حيوة ابنها يسوع التي قربتها ضحيةً عنا. مع ان هذا الابن الالهي هو اشرف واعز وافضل بما لا يُحدّ من اسحق بن ابراهيم ابينا. فيقول القديس بوناونتورا „ ان حب مريم ايانا بهذا النوع قد الزمنا التزاماً كلياً بان نحبها. اذ نتامل بانها احبتنا حباً فايقاً وشديداً للغاية لانها بذلت عنا ابنها الطبيعي الوحيد الذي كانت تحبهُ اعظم من حبها نفسها ” ☆

فمما تقدم ايرادهُ ينتج السبب الثاني الذي من اجلهِ تحبنا والدة الاله محبةً هكذا شديدةً . وهو لانها تشاهد واضحاً ان انفسنا هي ثمن دم ابنها الوحيد يسوع المسيح وموته. على انهُ اذا اتفق ان اماً تشاهد امامها عبداً قد اشتراهُ ابنها الحبيب بهذا الثمن . وهو انهُ استمرّ مدة عشرين سنةً مسجوناً . يتكبد انواع الشدائد والالام التي اكتسبهُ بها . فترى كم كانت هذه الام لاجل ذلك فقط تعتبر ذات العبد وتكرمهُ. فمريم تعلم جيداً ان ابنها الالهي لم يأتِ الي العالم . الاَّ لكي يخلصنا نحن المساكين . كما يعلن هذا الامر هو تعالى نفسهُ بقوله „ ان ابن البشر انما جاء ليخلّص الهالك ” (لوقا ص ١٩ ع ١٠) ولاجل تخليصنا قد ارتضى بان يبيح حياتهُ عينها „ مخضعاً ذاتهُ حتى الموت موت الصليب ” (فيلبي ص ٢ ع ٨). فاذاً لو كانت مريم تحبنا قليلاً. لكانت توضح انها تعتبر كلا شيء ثمن دم ابنها الذي هو قيمة خلاصنا . فقد أُوحي الى القديسة اليصابات الراهبة. بان مريم البتول منذ كانت عائشةً في هيكل الرب باورشليم . لم تكن تصنع شيئاً اخر سوى ان تتضرع من اجلنا . بتوسلاتها للهِ في ان يرسل عاجلاً ابنهُ ليخلص العالم . فمن ثمَّ كم يلزمنا ان نعتبر انها الان تحبنا بافضل نوعٍ. بعد ان شاهدت ان ابنها قد كرّمنا بهذا المقدار. حتى انهُ اراد ان يشترينا بثمنٍ هذا سمو قيمتهِ ☆

ثم من حيث ان جميع البشر قد أُفتدوا من يسوع. فلهذا مريم تحبهم كافةً من دون استثناء. وتسعى في خيرهم اجمعين. فالقديس يوحنا

الانجيلي رآها في جلياته ملتحفةً بالشمس. كما هو مدون في بدء الاصحاح الثاني عشر من رؤيا يوحنا هكذا „ وظهرت ايةٌ عظيمةٌ في السما امراةٌ ملتحفةٌ بالشمس" فيقال انها ملتحفة بالشمس. لسبب انهُ لا يوجد في الارض كلها من لا تتصل اليه حرارة الشمس. كما يقول المرتل „ وليس من يختفي من حرارتها" (مزمور ١٨ ع ٧) فعلى هذه الصورة لا يوجد انسانٌ حي على وجه الارض معدوماً من حب مريم اياهُ. فالعلاّمة ايديوطا يخصّص كلمات „ وليس من يختفي من حرارتها" بالحب الشديد الحرارة الذي في قلب مريم نحو الجميع. ويقول القديس انطونينوس „ ترى من يستطيع ان يعقل بالتمام مقدار سمو عناية هذه الام نحونا كافةً ولذلك هي توزع رحمتها على الجميع. فاتحةً حضن رافتها لكل احدٍ" ويثبّت ذلك القديس برنردوس بقوله „ لاجل ان امنا هذه قد رغبت قلبيًا خلاص جميع البشر فساعدت مشتركةً بعمل خلاصهم كافةً" ومن ثم انها لمفيدةٌ هي في الغاية الطريقة المُستعمَلة من البعض من عبيد هذه الام الالهية. وهي انهم. كما يخبر كورنيليوس الحجري. من عادتهم ان يتوسلوا الى الرب في ان يمنحهم تلك النعم. التي تطلبها من اجلهم الطوباوية مريم البتول. اذ يبتهل كلٌ هكذا قائلاً „ يارب اعطني الشيء الذي تلتمسهُ منك لاجلي مريم العذراء الكلية القداسة" فيقول كورنيليوس المذكور انهم بالصواب يصنعون هذه الطلبة. من حيث ان امنا هذي الحبيبة. ترغب لنا خيراتٍ اعظم من تلك التي نحن نفتكر فيها. ثم ان برنردينوس البوسطي الحسن العبادة يقول (في عظته الخامسة) „ ان مريم تحب ان تصنع معنا الخير. وان توزّع علينا النعم اكثر ممّا نحن نبتغي ان نفوز بالخير والنعم المشتهاة منا" ولهذا فالطوباوي البرتوس الكبير يخصص بوالدة الاله تلك الكلمات المدونة في سفر الحكمة (ص ٦ ع ١٤) وهي „ انها تبادر الى مَن يشتهيها لكي تظهر لهم اولاً" اي ان مريم تسبق هي متقدمةً لقبول الذين يلتجئون اليها. لكي تظهر لهم قبل ان يفتشوا عليها. فبهذا المقدار هو شديد الحب الذي تحبنا به هذه الام الصالحة. يقول ريكاردوس. حتى انها حالما تلاحظ احتياجاتنا فهي نفسها تاتي لمعونتنا *

فان كانت اذاً مريم جوادةً سخيةً نحو الجميع. حتى نحو اولئك

الفاكري الجميل ايضًا والمتوانين والذين يحبونها قليلًا ويقصدونها نادرًا. فكم باكثر من ذلك تتلألأ جودتها وصلاحها ومفاعيل حبها نحو اولئك الذين يحبونها كثيرًا ويستغيثون بها بتواترٍ ومراتٍ كثيرة طالبين معونتها. فبالحقيقة „ان الذين يحبونها يبصرونها بسهولةٍ. والذين يبتغونها يصادفونها" (سفر الحكمة ص ٦ ع ١٣) „فكم هو سهل (يردف كلامهُ الطوباوي الهرتوس بكلامه) ان تُصادَف مريم من الذين يحبونها. حيث يجدونها مملوةً من الرافة والحنو والحب نحوهم" (امثال ص ٨ ع ٨) فهي تعلن واضحًا انها لا تستطيع ان لا تحب من يحبها. ثم انهُ ولئن كانت هذه السيدة الكلية الانعطاف تحب البشر اجمعين. بحسب كونهم اولادها. فمع ذلك يقول القديس برنردوس انها تحب بنوعٍ خاصٍّ وممتاز اولئك الذين يحبونها. فمحبو مريم هولاء السعيدون ليس فقط هي تحبهم بل ايضًا تخدمهم كما يقول ايديوطا ✰

ففي تاريخ رهبنة القديس عبد الاحد. يُورَد عن احد هولا الابا المدعو لاوناردوس. الذي كان من عادته ان يستغيث بمريم ام الرحمة مرات كثيرة في النهار. فهذا اذ كان مدنفًا على الموت. قد شاهد ملكةً فايقًا وصف جمالها الفريد قد جاءت اليه وجلست بحذائه. ثم قالت لهُ „اتريد يا لاوناردوس ان تموت وتحضر عند ابني وعندي" فاجابها الراهب المذكور قائلًا „وانتِ مَن هي" فقالت لهُ „اني انا هي البتول ام المراحم فانت قد استدعيتني مراتٍ هكذا عديدة. وهوذا اني الان قد اتيتُ لاخذك. فلنذهب اذًا الى الفردوس السماوي" ومن حيث ان لاوناردوس قد رقد بالرب في ذلك النهار عينهِ. فنؤمل ان يكون لحق هذه السيدة الى السعادة المغبوطة ✰

فالطوبى لمَن يحبكِ ايتها البتول الكلية العذوبة. ان الاخ يوحنا باركمانس المكرم الراهب اليسوعي. كان من عادته ان يقول هكذا „ان كنت انا احب مريم. فانا متاكدٌ اني افوز بنعمة الثبات الاخيرة. وسأنال من الله كل ما اريدهُ" ومن ثمَّ لم يكن يغفل هذا الشاب الحسن العبادة. او يكتفي من ان يكرر مراتٍ عديدة في ذاته هذه الكلمات وهي „اني اريد ان احب مريم. اني اشاء محبة مريم" ولكن ان حب هذه الام

الصالحة لبنيها. يتفاوت بما لا يُحدّ حب اولادها اياها جميعاً. ولو احبوها بكل استطاعتهم. فيقول القديس اغناطيوس الشهيد „ ان مريم هي شديدة الحب نحو محبيها " فليحبوها اذاً نظير القديس سطانيسلاوس كوستكا. الذي كان يحبها بانعطاف قلبيٍ هذا حدهُ. حتى انهُ حينما كان يتكلم عنها ويخاطب الاخرين في شانها. فقد كان يحرك في قلوب سامعيه اشواقاً متقدة لحبها. وقد اخترع لذاته كلماتٍ خصوصية والقاباً جديدةً ينعت بها امه هذه العزيزة لديه ويكرمها. فلم يكن يبتدئ عملاً ما قبل ان يلتفت اولاً نحو احدى ايقوناتها مستمداً منها البركة. وعند تلاوته الفرض المختص بها. ام المسبحة الوردية. او صلواتٍ اخرى راجعة لعبادتها. فكان يتم ذلك بعواطف باطنة وبدالة ابنية كانه يخاطب شخصها نفسهُ وجهاً بازاء وجهٍ. وحين استماعه ترتيل الصلوة التي بدءها „ السلام عليكِ يا ملكة الرحمة " فكان يتقد كله بحرارة نار الحب ليس باطناً فقط. بل خارجاً ايضاً. بعلاماتٍ تظهر في وجهه. فيوماً ما سالهُ احد ابا جمعيتهم اليسوعية. اذ كان ذاهباً برفقتهِ لزيارة ايقونةٍ مختصةٍ بهذه السيدة الطوباوية قائلاً „ كم هو مقدار الحب الذي به انت تحب مريم البتول " فاجابهُ سطانيسلاوس „ انهُ ماذا يمكنني ان اقول لك ايها الاب اكثر من هذا. وهو انها هي امي " ولكن يخبر الاب المشار اليه. بان الشاب القديس قد تلفظ بالكلمات المذكورة بصوتٍ خشوعيٍ. وبحركات عواطف الاحتشام والحب بهذا المقدار. حتى انهُ كان يظهر ليس كانسانٍ بل كملاكٍ يخاطبهُ عن محبة مريم ✲

فليحبوها نظير الطوباوي ارمانوس الذي كان يسميها عروسته بالحب. لاجل انه قد كان كُرّم هو من هذه السيدة نفسها بلقب عريسٍ ✲ فليحبوها نظير القديس فيلبس النيري. الذي كان يمتلي تعزيةً وفرحاً بمجرد تامله اياها. ولذلك كان يدعوها لذتهُ وتنعمهُ ✲ ثم فليحبوها بمقدار ما كان يحبها القديس بوناونتورا. الذي ليس فقط كان يسميها سيدتهُ وامهُ. بل ليظهر عظم انعطافه نحوها وحبه الشديد اياها. فكان يدعوها ايضاً قلبهُ ونفسهُ وروحهُ ✲ فليحبوها نظير القديس برنردوس محبها العظيم. الذي بهذا المقدار كان انشغافه متزائداً في محبته امه هذه العزيزة. حتى انه كان يسميها „ سالبة القلوب. مختطفة الالباب " ولكي يوضح حقائق الحب الذي كان

متقداً في جوارحه نحوها فكان يقول لها هكذا „ امَا انكِ خطفتِ قلبي" وليسموها حبيبتهم ومعشوقتهم. كما كان يسميها القديس برذِدوس السياني. الذي كان يوميًا يمضي ليزور ايقونتها. لكي يوضح لها حبهُ اياها بمخاطباتٍ خشوعيةٍ كان يتفوه بها مع ملكتهِ هذه العظيمة. ولذلك حينما كان يسالهُ احدٌ الى اين ماضٍ. فكان يجيبهُ „ اني ذاهبٌ عند معشوقتي لكي اراها " فليحبوها نظير القديس لويس غونزاغا. الذي بهذا المقدار كان يلتهب بالحب نحوها. حتى انهُ حالما كان يسمع ذكر اسمها الحلو. فكان شهاب نار المحبة المتقد في قلبه يظهر في وجنتيهِ فيحمر وجهه طافحًا كلون الورد. بنوعٍ كان يُلاحظ عياناً من الجميع * فليحبوها شبه القديس فرنسيس صولانس. الذي على نوعٍ ما قد جنَّ (ولكن جنونًا مقدسًا) في حبه اياها. حتى انهُ احيانًا كان يستعمل بعض الات الطرب في ترتيلهِ امام بعض ايقوناتها تراتيل مقدسة. وكان يقول انهُ نظير ما تصنع العشّاق العالميون حباً بمعشوقاتهم. فهو كان يجعل افراحهُ مع حبيبته وملكته مريم الطوباوية *

فليحبوها كما احبها عددٌ هكذا عظيمٌ من القديسين والابرار الذين لم يكونوا يعودوا يعلمون باية طرائق يمكنهم ان يظهروا حقائق حبهم اياها الشديد. فالاب ايرونيموس الطراكسوي الراهب اليسوعي. كان يمتلىء سرورًا عند تسميته ذاته اسير مريم. ودلالةً على كونه اسيرها. كان يمضي مراتٍ كثيرة ليزورها في كنيسةٍ مشيدةٍ على اسمها. وهناك ما عساهُ كان يصنع. انهُ عند وصوله الى تلك الكنيسة كان يبل البلاط بدموعه المنسكبة من عينيه. بحبٍ خشوعيٍّ مشتعلة نارهُ في قلبهِ نحو هذه السيدة. وبعد ذلك كان يكنس البلاط بلسانه ووجهه. مقبلاً اياهُ نحو الف مرةٍ تقريباً. لتفكره في ان ذلك البيت هو مسكن سيدتهِ وملكتهِ المحبوبة منهُ * والاب دياكوس مارتيناس اليسوعي الذي لشدة حرارة حبه وعبادته لهذه المثلثة القداسة. قد كُرّم من الملئكة بانهم اخذوهُ مخطوفاً الى السماء في ايام اعيادها المقدسة. ليشاهد هناك كم من الاحتفال العظيم يُصنع في الايام المختصة بتكريمها. فهذا الاب البار كان من عادته ان يقول هكذا „ اواه ليتني امتلك قلوب جميع الملئكة والقديسين. لكي احب مريم نظير ما هم

يحبونها . واني اتمنى ان انال سني حيوة البشر كلهم . لكي اصرفها جميعها في اعمال الحب لهذه السيدة " فليحبوها نظير ما كان يحبها كارلوس ابن القديسة بريجيتا . الذي كان يقول . انهُ لم يعد يعلم اي شيء يمكنهُ ان يعزيه في هذا العالم ويبهجهُ . بمقدار ما كان يحصل على ذلك . عند تامله في ان مريم هي بهذا القدار محبوبة من الله . وكان يضيف الى ذلك بقوله . انهُ لقد كان هو احتمل باختيارٍ ورضا . اشدَّ ما يمكن احتماله من العذابات . لكيلا تخسر مريم درجةً ما من درجات المجد العظيم الحاصلة هي عليه في السما . لو امكن ان تلم بها هذه الخسارة . وانهُ على فرض وان كان مستحيلاً بان العظمة المالكة عليها مريم في المجد السماوي توهب لهُ . لكان تنزل عنها واعطاها لهذه السيدة . ليصير مجدها وعظمتها ذات استحقاقٍ افضل ✿

ثم فليشتهوا ان يقدموا حياتهم عينها ضحيةً . وبرهاناً على حقيقة حبهم لمريم . كما كان يشتهي ذلك الفونسوس رودريكوس * واخيراً فليبلغوا الى انهم ينقشون على صدورهم مكتوباً بنخس الابر . اسمها المحبوب في الغاية . كما صنع فرنسيس بينانسيوس الراهب . وكذلك راداغونده عروسة السلطان كلوطاريوس . او انهم يتصلون الى ان يدمغوا لحمانهم بحديدٍ محمي . محفورٍ فيه اسم هذه الطوباوية العذب . لكي يستمر مرتسماً بابلغ نوع في اجسادهم . كما فعل باتيستا اركينتوس . واوغسطينوس اسبينوزا الراهبان اليسوعيان . علامةً لشدة حبهما هذه الام الالهية ✿

فمهما كان حبهم شديداً نحو مريم . ولو انهم اجتهدوا بكل قوتهم . واهتموا في ان يخترعوا انواعاً غريبةً . مما تصنعهُ العشاق والمغرمون في المحبة . ليظهروا لاولئك المحبوبين منهم حقائق غرامهم وتعلق قلوبهم بالحب لهم . فمع ذلك هولا اي محبو مريم . لا يستطيعون ان يبلغوا الى ان يحبوها بمقدار ما هي تحبهم . ولهذا يقول القديس بطرس داميانوس (في العظة الاولى على ميلادها) " انا عالمٌ يا سيدتي انهُ فيما بين اولئك الذين يحبونكِ . فانتِ هي المتصفة بالحب نحوهم اكثر من جميعهم . لانكِ تحبيننا محبةً لا يمكن ان ينتصر عليها حبٌ ما مهما كان شديداً " فمرةً ما اذ كان واقفاً امام احدى ايقونات والدة الاله . المكرم الفونسوس

رودريكوس اليسوعي . وهناك شعر بزيادة التهاب قلبه بنار الحب نحو هذه الطوباوية . فطفرت الدموع من مقلتيه . وهتف مخاطباً حبيبته البتول قائلاً „ انني لعالمٌ يا امي المحبوبة في الغاية انك تحبينني . ولكنك لا تحبينني بمقدار ما انا احبك„ فحينئذٍ مريم العذراء كمن اُهين في موضوع المحبة . قد اجابته من الايقونة قائلةً „ ماذا تتكلم يا الفونسوس . واي شيء تقول . هيهات ان تدرك مقدار تفاضل الحب الذي انا احبك به . عن المحبة التي انت تحبني بها . فاعلم ان البعد الشاسع الكائن فيما بين السما والارض لا يساوي البعد الكائن بين الحب الذي لي نحوك . والحب الذي لك نحوي „ ☆

فاذاً بكل صوابٍ يهتف القديس بوناونتورا صارخاً „ يا لهم من طوباويين بالحقيقة وسعيدين . اولئك الذين لهم الحظ المغبوط . في ان يدوموا امينين في التعبد لهذه الام الكلية الحب . وثابتين في محبتهم اياها . وذلك لان هذه الملكة المكافية المعروف . لا يمكن ان تدع ذاتها مغلوبةً من محبة المتعبدين لها „ فمريم اذ اتبعت في ذلك نموذج فادينا يسوع المسيح الكلي المحبة نحونا . فتمنح الذين يحبونها اضعاف الحب . مفيضةً عليهم انعاماتها ومواهبها واسعافاتها لهم . (فاذاً مباحٌ لي ان اهتف انا ايضاً . مع القديس انسلموس في مناجاته البتول وابنها قائلاً) „ فليلتهب من اجلكما قلبي دائماً ولتذب نفسي كلها بنار الحب نحوكما . يا مخلصي يسوع المحبوب . ويا امي العزيزة مريم . فامنحا هذه الموهبة لنفسي بان احبكما . لانني من دون نعمتكما لا استطيع ان احبكما . فاعطياني لاجل استحقاقاتكما . لا لاجل استحقاقاتي هذه النعمة . وهي ان احبكما بمقدار ما تستحقان ☆ فيا ايها الاله المحب البشر . انهُ لقد امكنك ان تموت متجسداً من اجل اعدائك . فهل انك تستطيع بعد ذلك ان تنكر ايهاب طلبة مَن يلتمس منك ان تمنحهُ ان يحبك . ويحب والدتك المجيدة „ ☆



✲ نموذج ✲

انهُ يوجد مسطرًا في الراس السابع من المجلد الثاني من تاليف الاب اوريانا . ان ابنةً مسكينةً من بنات الفلاحين . مهنتها رعاية الغنم . كانت متعبدةً لوالدة الاله بتعلق قلب هذا حدهُ . حتى ان نعمها واذتها وسرورها . كان قائمًا في ان تتردد على كنيسةٍ صغيرةٍ حقيرةٍ . مبنيةٍ على اسم هذه السيدة المجيدة . كائنة في الجبل الذي فيه تلك الابنة كانت تترك الغنم ان ترعى . وهي تنفرد في المعبد المذكور لتصلي . وتكرّم امها العذرا الفايقة القداسة . ومن حيث انها شاهدت ان شخص هذه البتول الموجود هناك . لم يكن مكتسياً برداء لايقٍ . فطفقت تكدّ وتعمل بيدها وشاحاً لذاك التمثال المقدس بقدر مكنتها . ثم انها يوماً ما قد اقتطفت من زهور الحقل باقةً . وصنعت منها اكليلاً . وجاءت به الى المعبد حيث صعدت فوق الهيكل . ووضعت اكليل الزهور فوق هامة شخص البتول القديسة قائلةً لها „ انني لقد كنت اتمنى يا امي ان اضع على راسكِ اكليلاً من ذهبٍ مرصع بالجواهر . ولكن لعدم مقدرتي على ذلك . لاني فقيرةٌ . فاتوسل اليكِ بان تقبلي مني هذا الاكليل الحقير المولف من الزهور . وليكن مقبولاً لديكِ عربوناً للحب الذي انا احبكِ به ” فبهذه الانواع وامثالها كانت تلك الابنة البتولة تكرم سيدتها الجليلة . متعبدةً لها ببساطة قلب . فلنتامل الان كيف ان هذي الام الالهية كافت تلك الفتاة ابنتها . عن زياراتها اياها في ذاك المعبد . وعن مفاعيل حبها الابني نحوها . فقد انطرحت الابنة الراعية مريضةً بمرضٍ ثقيل دنت به من زمن انتقالها من هذه الحيوة . فاتفق ان اثنين من الرهبان كانا عابري الطريق في تلك الارض . فلتعبهما من مشقة السفر . اتكيا تحت شجرةٍ ليستريحا . حيث إن احدهما نام . والاخر لبث ساهرًا . الَّا انهما قد شاهدا معًا هذه الرؤيا . وهي ان مصافًا جزيل العدد من العذارى الجميلات الصور . قد اقبلنَ مجتازاتٍ بقربٍ منهما . وفيما بين ذاك المصاف كانت توجد واحدة منهنَّ فائقة عليهنَّ بالبهاء والجمال والعظمة والهيبة . فاحد ذينك الراهبين قد سال تلك الامراة الجليلة قائلاً „ ايتها السيدة مَن انتِ . والى اين تمضينَ في

هذه الطريق ” فاجابت هي وقالت لهُ „ اني انا هي والدة الالـه . وهوذا اني منطلقةٌ وصحبتي هولا البتولات القديسات . لنزور في القرية القريبة فتاة مسكينة راعية غنم مشرفة على الموت . لانها مرات كثيرة كانت تزورني ” قالت هذا وغابت الرؤيا عن ابصار ذينك الراهبين اللذين قال احدهما للاخر . قم بنا لنمضي نحن ايضاً لنشاهد هذه الابنة . فنهضا مسرعين . وطفقا يفتشان في القرية على بيت تلك العذراء المريضة . الى ان وجداهُ ودخلاهُ فنظراها متكئة فوق قليل من التبن . وبعد ان سلما عليها قالت لهما „ اطلبا الى الله ايها الاخوان العزيزان . ان يمنحكما ان تشاهدا الجمعية المحيطة بي والمساعدة اياي . فالراهبان جثيا حالاً على ركبهما مصليين . فرايا مريم والدة الاله قائمةً بجانب الابنة المريضة وبيدها اكليل . وكانت تعزي المنازعة وتشجعها . وهوذا تلك البتولات قد ابتدأنَ ان يرتلنَ . وفيما بين اصوات تلك التراتيل قد انفصلت نفس الابنة المباركة من جسدها . وحينئذٍ مريم البتول كللت النفس بذاك الاكليل الذي كان بيدها . واخذتها صحبتها مع المصاف باسرهِ وصعدنَ الى السما ☆

☆ صلوة ☆

ايتها السيدة انني ادعوكِ مع القديس بوناونتورا „ مختطفة القلوب ” اذ انكِ بواسطة حبكِ نحو عبيدكِ . وبمواهبكِ التي تمنحيهم اياها . تستولينَ على قلوبهم . فاخطفي قلبي ايضاً انا الحقير . القلب الذي يشتهي ان يحبكِ كثيراً . فانتِ لاجل جمال نفسكِ العظيم قد اكتسبتِ حب الله الشديد نحوكِ . حتى انكِ اجتذبتيهِ من السما الى الارض متجسداً من احشائكِ البتولية . فهل انني اعيش من دون ان احبكِ * كلاّ . بل انني اهتف نحوكِ مع عبدكِ الاخر المنشغف في حبكِ . وهو ابنكِ يوحنا باركمانس الراهب اليسوعي قائلاً „ انهُ لا يمكنني ان اهجع اصلاً من ان ادعوكِ . الى ان اتاكد يقيناً انني فزت بالمحبة لكِ حباً ثابتاً وطيداً خاشعاً نحوكِ * انتِ يا امي التي قد احببتيني محبةً جزيلةً . في الوقت عينه الذي فيه انا كنت عديم المعروف وناكر الجميل ” فترى ماذا كان يحل بي من الويل . لولا تكونين احببتيني واستمديتِ لي مراحم

هكذا عظيمةً. فان كنت اذًا انعطفت بالحب نحوي. في الوقت الذي فيه لم اكن انا احبك. فكم يلزمني بالاكثر ان ارجو من صلاحك ما بتغيَّر. حيث انني احبك الان. اي نعم اني احبك يا امي. واتمنى ان احصل على قلب احبك به. بدلاً من كل اولئك المنكودي الحظ الذين لا يحبونك. واشتهي ان يكون لي لسانٌ يوازي الف لسان. لكي امدحك به واعظمك. مبرهنًا ومخبرًا ومعلمًا كل احد بمقدار عظمتك. وبسمو قداستك. وبغنى رحمتك. وبشدة محبتك نحو الذين يحبونك. فلو كنت كثير الاموال. لكنت اصرف غنائي جميعهُ فيها يأول لتكريمك. ولو اكون حاصلاً على رعايا خاضعة لسلطاني. لكنت اجتهد في ان اجعلهم كافةً منشغفين في حبك. واخيرًا اريد ان اصرف من اجل مجدك. واكرامًا لشخصك ثمن دمي. وحياتي ايضًا ان لزم الامر. فانا اذًا احبك يا امي. ولكنني في الوقت عينه اخشى من ان لا تكون محبتي لك حقيقية. لاني اسمع ما يقال من الفيلسوف „ان الحب يجعل المحبين شبيهين بالاشخاص المحبوبين منهم" فاذاً عندما ارى ذاتي بهذا المقدار بعيداً عن ان اكون شبيهًا بك. فاستدل من هذه العلامة على ان حبي لك ليس بحقيقي. لانك انت كلية الطهارة والنقاوة. وانا مملو من الدرن والادناس. انت هكذا متواضعةً وانا بالضد متكبرٌ. انت بهذا المقدار ساميةٌ في القداسة. وانا بجملتي موعبٌ من الاثام. ولكن من حيث انك تحبينني ايتها الام الحنونة. فانت قديرة على ان تصنعي هذا الامر. وهو ان تصيّريني شبيهاً بك. فانك قد وهبت قوة على تغيير القلوب. فاذاً خذي قلبي هذا وغيّريه. وبذلك تظهرين للعالم مقدار عظم اعمالك وانعامك نحو الذين تحبينهم. فقدسيني واجعليني اهلاً لان اكون ابناً مرضيًا لك فهكذا ارجو وكذلك فليكن لي امين ☆

❦ الجزء الرابع ❦

✿ في ان مريم العذرا هي ام الخطاه ايضًا ✿
✿ الراجعين الي الرب بالتوبة ✿

ان مريم والدة الاله قد اوحت الى القديسة بريجيتا (راس ١٣٨ كتاب ٤) بانها هي امٌ ليس للابرار والصديقين فقط. بل للخطاة وللاشرار ايضًا. بحيث انهم يريدون ان يرجعوا عن المآثم " فدائمًا هو مستعدٌ قلب هذه الام الحنونة. لان تسعف كل مَن يلتجيء اليها من الخطاه متذللاً امام قدميها. راغبًا عمل التوبة. ولان تعاملهُ بالحنو والرحمة اكثر من امٍ طبيعيةٍ لهُ وهذا هو ما كتبه القديس غريغوريوس الكبير الى الاميرة ماتيلده (كتاب ٤ رسالة ٤٧) قائلاً „ اقصدي الاَّ ترجعي الى الخطية. وانا اضمن لكِ انكِ تجدين مريم مستعدةً لاعانتكِ في كل ما ترتاحين اليه. اكثر من استعداد امٍ طبيعيةٍ لكِ " ولكن من يشتهي ان يكون ابنًا لهذه الام العظيمة. فيلزمهُ اولاً ان يترك الخطية. وبعد ذلك يومل ان يقبل منها فيما بين اولادها. فيتامل ريكاردوس في تلك الكلمات المدونة في سفر الامثال (ص ٣١ ع ٢٨) وهي „ انهضت اولادها " ويبرهن كيف انهُ يقال اولاً عن النهوض. ثم بعده يذكر التبني. علامةً على ان مَن لم يهتم قبل كل شيء في ان ينهض من خطاياه التي كان سقط فيها. فلا يمكن ان يكون ابنًا لمريم. اذ انهُ لا يستحق ان يُدعَى ابناً لامٍ هكذا عظيمة ذاك الذي هو في حال الخطية المميتة. لانهُ كما ينبّه القديس بطرس الذهبي النطق „ بان مَن يصنع اعمالاً مضادةً لاعمال مريم. فينكر بالفعل تصميم ارادته في ان يكون ابنًا لها " فمريم هي متواضعةٌ وهو يريد ان يعيش متكبراً. مريم هي طاهرةٌ. وهو دنسٌ. مريم هي مملوةٌ من الحب وهو يريد ان يبغض قريبهُ. وبذلك جميعه يعطي علامةً على انهُ ليس هو ابناً لهذه الام القديسة. بل ولا يرغب حقًا التبني لها. ومن ثَمّ يردف ريكاردوس كلامهُ السابق بهذه الكلمات قائلاً „ ان اولاد مريم هم متشبّهون بها بالطهارة والتواضع والوداعة والحلم والرحمة " لانهُ ترى مَن

يمكنه ان يتجاسر ان يدعو ذاته ابناً لهذي الام الجليلة . مع انه يغيظها بسيرته الرديه * فاحد الخطاة يوماً ما اذ كان يخاطب والدة الاله قال لها „ اظهري ذاتك بالفعل انك ام " فاجابته البتول القديسة „ اظهر ذاتك انت بالفعل انك ابن " (كما هو مدوّن من الاب اورياما) ومرةً ما اذ كان يسميها احد الخطاة ام الرحمة مستدعياً اياها . فاجابته هذه الام الالهية قائلةً „ انكم انتم ايها الخطاه حينما تريدون اني اساعدكم واعينكم . فتسمونني ام الرحمة . وبعد ذلك لا تكفوا عن ان تجعلوني بواسطة خطاياكم ام الحزن " اما ريكاردوس فيخصّص بمريم العذراء ما قاله الله في حكمة ابن سيراخ (ص ٣ ع ١٨) „ ان مَن شتم امه لعنة الله تنزل به " اي ان لعنة الله تحل باولئك الذين يحزنون قلب هذه الام الصالحة بسيرتهم الرديه . وباصرارهم على اثامهم *

فقولي باصرارهم على الخطية . وذلك لان الخاطىء الذي يجتهد مغتصباً ذاته على الخروج من المأثم . فهذا وان لم يكن بعد خرج بالكلية عن الخطيه . فعند ما يلتجيء الى والدة الاله . فهذه الام الرأوفة تعضده وتسعفه لان يرجع الى حال نعمة الله . كما قد سمعت ذلك القديسة بريجيتا من فادينا نفسه في احد الاوحية . بخطابه مع والدته قائلاً لها „ ان اولئك الذين يجتهدون مغتصبين ذواتهم على القيام من سقطتهم راجعين الى الله . فانت تساعدينهم بالمعونات من دون ان تتركي احداً من تعزيتك " فاذاً حينما يكون الخاطىء مصراً على مآثمه من دون ارادة الرجوع الى الله . فمريم لا تقدر ان تحبه . ولكن اذا شاهد ذاته موثوقاً برباطات الم ما . او رذيلة ما قد صيّرته اسيراً للعدو الجهنمي والتجأ اقله الى البتول القديسة بالصلوات برجاء وطيد وبمواظبة . في ان تنتشله من الاثم وتخرجه من الخطية . فهذه الام الصالحة تمدّ اليه يدها المقتدره وتفكه من تلك القيود والسلاسل وتقوده الى الطريق المستقيمة . وتجعله في سبيل الخلاص . فالمجمع التريدنتيني المقدس قد حرم الهرطقة التي بموجبها يقال . ان كل الصلوات والاعمال التي يصنعها الخاطىء وهو في حال الخطية . اي وهو عادم نعمة الله هي خطايا * فيقول القديس برنردوس „ ان الصلوه في فم الخاطىء وان لم تكن جميلةً . لانها غير مرافقة من المحبة . فمع ذلك هي مفيدةً له

ومثمرةٌ وملائمةٌ لخروجه من الخطية" لانهُ كما يعلّم القديس توما اللاهوتي "بانهُ اي نعم ان صلوات الخاطيء هي عديمة الاستحقاق. ولكنها فعالةٌ لان تستمد من الله نعمة الغفران. من حيث ان قوة نوال الطلبات هي موسسة لا على استحقاق الطالب. بل على جود الله وصلاحه. وعلى استحقاقات يسوع المسيح ومواعيده القائل بها" ان كل من يسأل يُعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له (لوقا ص ١١ ع ١٠) فهذا عينهُ يجب ان يقال عن اولئك الذين يتضرعون الى والدة الاله القديسة * فيقول القديس انسلموس "ان كان الذي يتوسل لا يستحق ان تُستجاب توسلاتهُ. فاستحقاقات مريم التي هو يلتجيء اليها تصيّر طلبته مقبولةً" ومن ثمّ فالقديس برنردوس (في عظته الثالثة المصنوعة منه في بيرمون الميلاد) يحرّض الخطاة كافةً على الالتجاء الى مريم ام الرحمة بالتوسلات. وعلى ان يوطدوا رجاءهم كثيرًا في مفعول شفاعاتها. لان الخاطيء اذا لم يستاهل بذاته ان ينال مطلوبه. فالباري تعالى لاجل سمو استحقاقات هذه الطوباوية التي تتضرع اليه من اجله. يهبهُ تلك النعم التي تكون هي التمستها لهُ منه عزّ وجلّ. فهكذا يقول القديس نفسهُ "لانك يا هذا ان كنت غير مستحق ان يُعطى لك مطلوبك. فيُعطى لمريم لكي تاخذ منها انت ما تاخذهُ * لان هذه هي وظيفة الام الصالحة (يقول القديس عينهُ في محلٍ اخر) التي يكون لها ابنان. وهي تعلم ان كلًّا منهما هو عازمٌ في قلبه على ان يقتل الاخر ببغضةٍ متبادلةٍ. فترى ماذا تصنع امٌ هذه صفتها في حادثٍ كذا. سوى ان تبذل ما عندها من الجهد. في ان تصالح احدهما مع الاخر وتزيل العداوة من بينهما. فهكذا مريم العذراء التي هي امٌ ليسوع المسيح. وامٌ للانسان (اي لكل البشر) فهذه حينما تشاهد خاطئًا ما كائنًا في حال العداوة ليسوع المسيح. فلا تقدر ان تحتمل ذلك. بل تبذل عنايتها كلها في ان توقع الصلح والسلام فيما بينهما" فهذي السيدة الكلية الحنو لا تطلب شيئًا اخر من الخاطيء سوى ان يلتجيء اليها. وتكون نيتهُ ان ينقي ذاتهُ من خطاياه بالتوبة. على انها متى رأت الخاطيء اتيًا امام قدميها مستغيثًا بها وطالبًا الرحمة. فهي لا تلاحظ الآثم المتدنس هو بها. بل تنظر الى نيته وقصده الصالح الذي التجأ به هو اليها. فاذًا حينما يقصدها

الخاطئ بعزمٍ جيدٍ وبنيةٍ مقدسةٍ. فهي تعتنقهُ وتقبلهُ. ولا تستنكف من ان تشفيهُ من كل جراحاتهِ الاثيمة المقرحة بها نفسهُ. ولو كان هو قبلاً صنع الخطايا الموجودة في العالم باسرها. لان هذه الام الكلية الحب لبنيها هي مدعوة منا بلقب ام الرحمة وليس ذلك من قبل التبجيل او التكريم بل هي حقاً وصدقاً كذلك. وبالعمنية تظهر حقايق تسميتها هذه. وتعلنها لدى الجميع. بالحب والرافة والانعطاف والحنو والرحمة. التي بها تسعفنا وتساعدنا وتنعم علينا وهذا جميعهُ يتضح جلياً من كلمات هذه السيدة الفايقة القداسة التي اوحت بها للقديسة بريجيتا (كتاب ١ راس ٢٣ من سيرة حياتها) وهي „ان الخاطئ مهما صنع من الشر واقبل اليَّ بحسن عبادةٍ. فلا الاحظ كثرة مآثمه. بل انظر الى نيته وعزمه اللذين اقبل اليَّ بهما. ولا استنكف من ان اشفي جراحاتهِ. لانني أُلقَّب بام الرحمة وانا بالحقيقة كذلك „ ✿

فاذاً من حيث ان مريم هي امٌ للخطاة الذين يريدون الرجوع عن الخطية. فلا يمكن ان لا تاخذها الشفقة عليهم والانعطاف نحوهم. بل بالحري يظهر كانها تشعر في ذاتها بمرارة شقاوة بنيها وبامراضهم. كما لو كانت هي نفسها مصابة بها. فالامراة الكنعانية حينما كانت تتوسل الى يسوع المسيح. من اجل شفاء ابنتها المعذبة من الشيطان قالت لهُ تعالى „ارحمني يارب يا ابن داود فان ابنتي يعذبها الشيطان عذاباً شديداً „ (متى ص ١٥ ع ٢٢) فلماذا قالت لهُ ارحمني انا. والحال ان ابنتها التي كانت تتعذب من الشيطان وليس هي. وبالتالي كان يلزمها ان تقول. يارب يا ابن داود ارحم ابنتي. لا ان تقول. ارحمني انا. ولكن بالصواب وليس من دون سببٍ قالت هكذا. لان الامهات يشعرنَ في ذواتهنَّ بمرارة مصائب اولادهنَّ. كانها مصائبهنَّ الشخصية. فلاجل ذلك يقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس (في مدائح البتول) „ان مريم حينما يلتجئ اليها احد الخطاة مستغيثاً بها. فهي تتوسل من اجلهِ لدى الله. وكانها تقول لهُ تعالى هكذا „يا سيدي ان هذه النفس المسكينة الموجودة في حال الخطية هي ابنتي. فلهذا اسالك ان ترحمني انا. احرى من ان اقول لك ارحمها هي. لاني انا امها „ اواه فليرتضِ الله بان الخطاة

جميعاً يلتجئون الى هذه الام الحلوة العطوفة . لانهم من دون ريب يفوزون منهُ تعالى بالغفران عن مآثمهم * ففي هذا الموضوع يهتف القديس بوناونتورا منذهلاً وصارخاً „ انك يا مريم تعتنقين بحب والدي الخاطئ المرذول من العالم باسره . ولا تتركينهُ الى ان تصالحيه مع ديانه الذي هو ابنك ” فهذا القديس يعني بالالفاظ المذكورة . ان جميع الخلايق حتى العناصر العديمة الحس نفسها . كالنار والهوا والارض تبغض الخاطئ المصرّ على اثامه . وكانها تريد ان تطردهُ وتنتقم منهُ لكي تصلح الاهانة المصنوعة منهُ ضد خالقها وسيدها المطلق . وتعوض الكرامة المسلوبة عنهُ بالخطية . ولكن اذا التجأ هذا الخاطئ المنكود الحظ الى مريم . فهل انها تطردهُ رازلةً اياه كلا . انها لن تقصيه . بل متى كانت نيتهُ ان يستمد منها المعونة في تخليصه ذاتهُ من الخطيه . فتقبلهُ بكل بشاشةٍ وحبٍ بحسبما هي امٌّ لهُ . ولا تتركهُ ان لم يفز بواسطة اقتدار شفاعتها بالمصالحة مع الله . وبالحصول على نعمة التقديس من الجود الالهي ❁

فالاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الثاني يخبرنا من الخطاب الذي تفوهت به مع داود الملك . تلك الامراة التقوعية الحكيمة بهذا المضمون قائلةً لهُ „ يا سيدي الملك انهُ قد كان لي ابنان . ولاجل سوء حظي قد قتل احدهما الاخر . وبالتالي قد فقدت الواحد منهما . والان تريد الشريعة ان تعدمني الابن الثاني الذي بقي لي وحيداً . فارحمني اذا الام المسكينة . وصيّرني الا افقد الابنين معاً ” فحينئذٍ داود اخذتهُ الشفقة على هذه الام . فخلص من حكومة الموت ابنها القاتل وردهُ اليها * فعلى نوعٍ ما يظهر ان مريم تستخدم هذه الالفاظ . حينما ترى الباري تعالى مغتاظاً ضد ذاك الخاطئ الذي يكون التجأ اليها مستغيثاً بها . فتقول لهُ „ الهي انهُ لقد كان لي ابنان . وهما يسوع والانسان . فالانسان قد قتل يسوع مصلوباً على الخشبة . والان شريعة عدلك الالهي تريد بحكومتها ان تهلك الانسان . فيا سيدي ان ابني يسوع قد مات . فاشفق عليَّ اذاً وصيّرني الَّا افقد ابني الثاني بعد اني عدمت الابن الاول ” فحقاً ان الله بغير شكٍ لا يهلك اولئك الخطاه الذين يستغيثون بمريم . وهي تتوسل لله من اجلهم . اذ ان الله عينهُ قد جعل هولا الخطاه اولاداً لها .

بصيرورته اياها امًا لهم. فالرجل الحسن العبادة لابسارجيوس يجعل كأنّ الباري تعالى يتكلم هكذا قائلًا „ انني قد سلمت الخطاة لمريم بمنزلة بنين. ومن ثَمّ هي تهتم في ان تكمّل واجبات وظيفتها هذه. وليس احدٌ من اولئك الذين سلموا لعنايتها. خاصةً الذين يستغيثون بها. يمضي مهملًا منها الى الهلاك. بل انها تقود الجديع اليَّ على قدر استطاعتها ✿

ويقول بلوسيوس „ ترى مَن يستطيع ان يصف بالكفاية عظم الرحمة والخير والعناية والمحبة. التي بها تهتم امنا هذه الالهية في امر خلاصنا. حينما نستدعيها لمعونتنا ونلتجيء اليها " ويقول القديس برنردوس (في احد ميامره) „ فلنتقدم اذًا امام هذه الام الصالحة جاثين لدى قدميها المقدستين ولنضبطهما ولا نفارقها ولا نطلقها ان لم تباركنا. وبذلك تقتبلنا اولادًا لها " فمَن يمكنه ان يرتاب او يضعف رجاؤه في هذه الام الرأوفة. او في شفقتها نحونا (يقول القديس بوناونتورا) „ حتى ولو اني افترضت بانها ترغب في ابادتي فانا لا ازال وطيد الرجا فيها واومل ان اموت امام ايقونتها. وهكذا افوز بالخلاص " فكل احد من الخطاة حينما يلتجيء الى هذه الام الكلية الشفقة. يلزمهُ كذلك ان يتفوه نحوها قائلًا „ ايتها السيدة امي. انني لاجل مآثمي استحق ان ترفضيني من امامكِ. وان تعاقبيني بالقصاصات المستوجبتها خطاياي. ولكن لو انكِ رذلتيني. فانا لا يمكن ان اضعف رجائي فيكِ. ولا يحيق بي اليأس من رحمتكِ. بل اثق بان انال الخلاص بواسطتكِ. فانا كلّي الامل فيكِ وشديد الاتكال عليكِ. وارجو ان احصل على هذا الحظ السعيد. وهو ان اموت امام احدى ايقوناتكِ. مسلّماً نفسي بين يدي رحمتكِ. وبذلك اطمان بالّا امضي هالكًا. بل انطلق الى السما لكي اسبحكِ برفقة عبيدكِ الكثير عددهم. الذين لاستغاثتهم بكِ في ساعة موتهم. ولاعانتكِ اياهم بقوة شفاعاتكِ المقتدرة. قد فارقوا هذه الحيوة فائزين بالخلاص „ وهنا فليقرا النموذج الاتي ايرادهُ. ليفهَم ان كان يمكن لاحد الخطاة. ان يقطع رجاءه من رحمة هذه الام الصالحة. او من مفاعيل حبها الشديد اذا التجأ اليها ✿

☆ نموذج ☆

ان بالواجانسه يخبر (في مطابع تاريخه) بانهُ قد كان في مدينة ريدوليوس في بلاد انكلتيرا سنة ١٤٣٠ شاب شريف الاصل. اسمهُ ارناسطوس. الذي بعد ان وزّع جميع الميراث المخلّف لهُ عن مورثيه. وكل ما كان يملكهُ على الفقرا والمحتاجين. قد ترهب في احد الديورة. حيث كان يسير بسيرةٍ مملوةٍ من حقيقة روح الكمال الانجيلي. حتى ان روساءه انفسهم كانوا يعتبرون فضيلتهُ ويكرمونهُ. لاسيما لاجل عبادته الخصوصية الحارة نحو والدة الالـه. فحدث في تلك الايام ان الطاعون قد دخل في المدينة المذكوره. ولذلك قد التجأت سكانها الى رهبان ذاك الدير. طالبين منهم تقدمة التضرعات من اجلهم. فرئيس الدير قد رسم على ارناسطوس ان يمضي الى الكنيسة. ويمارس الصلوات امام هيكل العذراء المجيدة باتصالٍ. والّا يبارح الهيكل ان لم يحصل على جوابٍ ما من هذه السيدة الجليلة. فالشاب قد تمّم ذلك واستمر مدة ثلثة ايام. الى ان فاز اخيراً من البتول القديسة. بانها علّمتهُ ان الشعب يتلون بعض صلواتٍ مرسومة منها. لينجوا من الطاعون. كما انهم قد اكملوا ذلك وفازوا بالنجاه تماماً. فاتفق فيما بعد انَّ ذلك الشاب قد فترت حرارة عبادته نحو العذرا المجيدة. ومن ثمَّ قد وثب عليه الشيطان بتجارب قوية جداً. لاسيما باشيا مضادة العفة. محركًا في عقله العزم على ان يهرب من الدير. ومن حيث ان هذا المسكين لم يتجه بالاستغاثة نحو ملجأ المحاربين. فقبل هواجس ابليس. وعزم على ان يطرح ذاتهُ من احد جدران الدير ويفرّ هاربا. ولكن وفيما هو مجتازٌ من رواق الدير. حيث كانت توجد ايقونةٌ لوالدة الالـه. فقد خاطبتهُ هذه السيدة من تلك الايقونة قائلةً „ يا ابني لماذا قد اهملتني" فحينئذٍ ارناسطوس قد انطرح في الارض امامها مملواً من الاندهال والهلع والندامة معاً. واجابها قائلاً „ الّا تنظرين يا سيدتي كيف انني ما عدت اقدر ان احتمل التجارب. فلماذا انتِ لم تعينيني" فقالت لهُ القديسة „ وانت لِما تغافلتَ عن ان تستغيث بي. فلو انك التجأتَ اليَّ واستدعيتني الى معونتك. لما اتصلت الى الحال الكائن انت عليها. فمنذ

الان وصاعداً اتكل عليّ واستغث بي ولا يخامرك ريبٌ" فارناسطوس قد رجع الى قلايته ولكن قد وثبت عليه التجارب ثانيةً . ومن كونه لم يهتم في ان يلتجيء الى العذرا المجيدة فقد غُلب اخيراً من عدوه الجهنمي. وهرب من الدير. وسلم ذاته لمفاعيل الالام الرديئة بسيرةٍ كلية الشناعة. مجتازاً من فعل خطية الى اخرى حتى انهُ صار قتولاً ناهباً . لانهُ اكترى فندقاً يستقبل فيه الغربا بالاجرة ويبيعهم قوتاً وخمراً . وفي الليل كان يقتل من امكنه قتلهم ويسلب امتعتهم . ففي ليلةٍ ما قد وُجد فيما بين الذين اماتهم على هذه الصورة ابن عم والي تلك البلدة . فهذا الوالي بموجب الدلائل التي حصل عليها في قيام الفحص ولاجل ما ياتي ذكرهُ قد حكم على ارناسطوس بالشنق . غير انهُ في الزمن الذي كان فيه الفحص مقاماً قبل ابراز الحكومه . قد اتفق انهُ جاء الى الفندق شابٌ ما شريف المقام . وعندما استقبلهُ ارناسطوس قد صمّم عزمهُ على ان يقتلهُ ليلاً. كما فعل بالاخرين . فلما بلغت الساعة المقصودة منهُ . دخل سرًّا الى المسكن الراقد فيه ذلك الشاب ليميتهُ على فراشه . فلم يرَ الشاب بل عوضاً منهُ شاهد مطروحاً فوق الفراش شخص مخلصنا يسوع المسيح مبجنًا على الصليب مملوًا من الجراحات . الذي قد نظر اليه بعين راوفة قائلاً „ أمَا يكفيك يا ناكر الجميل انني قد مُت مرةً واحدةً من اجلك . بل تريد ان تميتني مقتولاً بيدك من جديد . فامدد ذراعك سريعاً واقتلني ثانيةً" فحينئذٍ ارناسطوس طفق يبكي بمرارةٍ واجابهُ قائلاً بدموعٍ „ هوذا انا يا سيدي امامك . ومن حيث انك استعملت معي رحمة هكذا عظيمة . فانا اريد ان اعود اليك راجعاً" قال هذا وحالاً خرج من الفندق ليمضي الى الدير ويمارس افعال التوبة . لكن وفيما هو مجتاز قد صادفتهُ خدام الشريعة فمسكوه واتوا به الى القاضي . فلما مُثل في ديوانه قد اعترف مقراً بجميع ما كان صنعهُ . وبقتله كل الذين اماتهم في الفندق . فحينئذٍ الوالي ابرز ضده حكم الموت مشنوقاً . من دون ان يعطيه زمناً ليعترف بخطاياه في منبر سر التوبة . فوقتئذٍ ارناسطوس التجأ الى ام الرحمة مستغيثاً بها . فالجلاد اي نعم انه شنقهُ الّا ان والدة الاله قد حفظتهُ في الحيوة . وفكتهُ من الحبل وسرحتهُ امرةً اياهُ بقولها لهُ „ ارجع الى الدير

واعمل توبةً . وفي اليوم الذي فيه تشاهد في يدي ورقةً توضح ان خطاياك قد غفرت . فحينئذٍ هيىء ذاتك للموت" فارفاسطوس عاد الى ديره . واخبر رئيسهُ بهذا جميعه . وشرع يباشر افعال التوبة الاشد صرامةً . واستمر على ذلك عدةً من السنين . الى انهُ يوماً ما راى في يد الطوباوية مريم البتول ورقة الغفران . ومن ثمَّ استعد حالاً الى الموت . ورقد بالرب بميتةٍ مقدسة ✿

✿ صلوة ✿

يا مريم الكلية القداسة . ايتها الملكة المسلطة . والدة الاله المستحقة هذه الرتبة السامية الجلال . انني اذ الاحظ ذاتي بهذا المقدار مملواً من الذل والادران والخطايا . فلم يكن يليق بي ان اتجاسر على التقدم اليكِ . وعلى ان ادعوكِ اماً لي . ولكن لا اريد ان شقاوتي هذه تعدمني التعزية العظيمة . والرجا الامين اللذين اشعر بهما عندما اسميكِ امي . فانا اعلم اني مستحقٌ ان تطرديني من امامكِ . الّا انني اتوسل اليكِ بان تتاملي في جميع ما تكبدهُ من الالام . وما صنعهُ من اجلي يسوع ابنكِ . وبعد ذلك اطرديني ان قدرتِ . فانا هو احد الخطاة البائسين . ولكنني اهنت العزة الالهية اكثر من الاخرين . الّا ان الشر قد صار . وفات . فالان انا التجىء اليكِ . وانتِ قادرةٌ ان تعينيني . فغيثيني يا امي وساعديني . ولا تقولي لي انكِ لا تستطيعين اسعافي . لاني اعرف انكِ قادرةٌ على كل ما تشآين . وتنالين من الهكِ جميع ما ترغبين . واما ان قلتِ لي انكِ لا تريدين ان تعينيني . فقلما يكون عرفيني الى مَن التجىء لكي يساعدني في حال مصائبي هذه الثقيلة . فانا اهتف اليكِ والى ابنكِ بالفاظ القديس انسلموس قائلاً "اما انك انت يا مخلصي ترحمني بمغفرتك لي اثامي . وانتِ يا امي تشفقين عليَّ معينةً اياي . واما انكما تقولان لي من هم الاشخاص الاقوى منكما لاستغيث بهم . ومن هم الذين استطيع ان اتكل عليهم . فلا يوجد لا في السماء ولا على الارض احدٌ يمكنني ان احصل منهُ على رحمةٍ وشفقةٍ اكثر منكما . او يستطيع هو ان يساعدني افضل منكما . فانت هو ابي يا يسوع . وانتِ هي امي يا

مريم. فانهما تحبان من هم اكثر احتياجًا. واوفر شقاوةً. وترضيان في طلبهم لتخلصاهم. فانا هو احد الاثمة المستحقين ان يطرحوا في جهنم. بل الاشد قبحًا وتعاسةً من جميعهم. ولكن لا حاجة بان تجولا ههنا وهنا لتطلباني بل ولا انا ادّعي بانهُ يلزمكما التفتيش عليَّ. لكنني اقدم لكما ذاتي برجاء وطيدٍ في انكما لا تعرضان عني وتتركاني مهملاً منكما. فهوذا اني منطرحٌ على اقدامكما. فاغفر لي يا يسوع مخلصي. وانتِ يا مريم عينيني امين ✿

الفصلُ الثاني

✿ في شرح ما يلاحظ هذه الكلمات وهي ✿
✿ يا حياتنا ولذّتنا ✿

✿ وفيه ثلثة اجزا ✿

الجزء الاول

✿ في ان مريم البتول هي حياتنا لانها تستمد لنا غفران خطايانا ✿

انهُ لكي تفهم جيداً العلة التي من اجلها تجعلنا الكنيسة المقدسة. ان نسمي مريم العذرا حياتنا. فيلزم ان تعرف انهُ كما ان النفس تعطي الحيوة للجسد. فهكذا النعمة الالهية تعطي الحيوة للنفس. لان النفس من دون النعمة الالهية. نعم انها تُسمَّى حيةً. ولكنها بالحقيقة مائتةٌ. كما قيل في سفر الرؤيا (ص ٣ ع ١) لملاك كنيسة سرديس "اني اعرف اعمالك ان لك اسماً انك حيٌّ ولكن انت ميت" فاذاً ان تستمد مريم البتول للخطاة بواسطة شفاعاتها نعمة الله. فبهذا النوع ترد لهم الحيوة فاسمع كيف ان الكنيسة تجعل مريم متكلمةً عن ذاتها. بتخصيصها لها الكلمات المقولة في العدد السابع عشر من الاصحاح الثامن من سفر

الامثال وهي „ ان الذين يبتكرون اليَّ يجدونني " اي ان الذين يطلبوني باكراً يعني حالما يمكنهم فهقاً يجدونني . بل ان السبعين مترجماً قد وضعوا عوضاً من لفظة يجدونني هذه الكلمات وهي „ يجدون نعمةً " ومن ثمَّ ان الذين يلتجئون الى مريم يحصلون على نعمة الله . ثم انهُ في العدد الاخير من الاصحاح المذكور توجد مدونة هذه الكلمات وهي „ ان مَن يجدني يجد الحيوة ويستقي الخلاص من الرب " فهنا القديس بوناونتورا يهتف عند تفسيره الكلمات المقدم ذكرها قائلاً „ اسمعوا يا معشر الذين يشتهون الحصول على ملكوت الله . كرموا مريم فتجدوا الحيوة والخلاص الابدي " ✿

والقديس برنردينوس السيانى يقول (في الراس ٨ عظة ٦١ من المجلد الاول من تاليفه) „ ان الله لم يرد ان يبيد الانسان من الوجود بعد سقوطه بالخطية في عدن . لاجل الحب الخاص الدي كان يحب به هذي الابنة العتيدة " ثم بعد ذلك يقول هذه الالفاظ الاخرى وهي „ انني لا ارتاب في ان كل المراحم والغفرانات التي فاز بها الخطاه في زمن الناموس القديم فالله قد منحهم اياها ملاحظةً لهذه البتول المباركة لا غير " ✿

فلهذا يحرّضنا حسناً القديس برنردوس بقوله „ ان كنا اضعنا نعمة الله نحن الاشقيا . فلنجتهد في ان نكتسبها ثانيةً بواسطة مريم " لاننا ان كنا نحن اضعنا هذه النعمة فمريم قد وجدتها . ومن ثمَّ كان القديس المذكور يسميها „ واجدة النعمة . او ظافرة بالنعمة " وهذه الصفة قد نعتها بها لتعزيتنا العظيمة القديس جبرائيل رئيس الملائكة بقوله لها „ لا تخافي يا مريم فقد ظفرتِ بنعمةٍ من عند الله " (لوقا ص ١ ع ٣٠) ولكن انه لامرٌ محقق هو ان مريم قط لم توجد خالية من نعمة الله . فكيف اذاً زعيم الملائكة جبرائيل يقول لها „ قد وجدتِ نعمةً . او ظفرتِ بنعمةٍ من عند الله " والحال ان مَن يجد شيئًا او يظفر بشيءٍ . فيلزم ان لا يكون هو قبلاً حاصلاً عليه . فالبتول القديسة قد كانت دائمًا مع الله . وحاصلة على الدوام في حال النعمة . بل ممتلية منها . كما اعلن ذلك القديس جبرائيل رئيس الملائكة نفسهُ . حالما انتصب امامها هاتفاً نحوها „ افرحي يا ممتلية نعمةً الرب معكِ " فان كانت اذًا مريم لم تجد هذه النعمة او

تظفر بها لذاتها . لانها وُجدت دائماً ممتلية منها . فلمَن وجدتها . فيجيب عن ذلك في تفسيره النص المتقدم ذكرهُ الكردينال اوغون الجليل قائلاً „ ان مريم قد وجدتها للخطاة الذين كانوا اضاعوها . فليسرع اذاً نحو مريم اولئك الخطاة الذين اضاعوا النعمة . لانهم يجدون عندها من دون ريب هذي النعمة المفقودة منهم . وليقولوا لها هكذا * ايتها السيدة ان الشيء الضائع يلزم ان يُردَّ لمَن اضاعهُ . فهذه النعمة التي انتِ وجدتيها ليست هي لكِ . لانكِ انتِ قط ما اضعتيها . فهي لنا لاننا نحن الذين اضعناها . ولهذا يلزمكِ ان ترديها لنا " ثم يستنتج من هذا الراي ريكاردوس الذي من سان لورانسوس (في كتابه ٢ على العذرا) بقوله „ فان كنا اذاً نرغب ان نحصل على نعمة الله . فلنذهب نحو مريم التي قد وجدت هذه النعمة . ودائماً هي واجدتها * ولانها قد كانت على الدوام . كما هي الان ولم تزل سرمداً محبوبة عزيزة لدى الله . فاذاً متى التجأنا اليها . فمن دون ريبٍ اصلاً نحصل على النعمة " ثم ممَّا جاء مدوناً عن هذه السيدة في العدد العاشر من الاصحاح الثامن والاخير من سفر نشيد الانشاد المقدس وهو „ انا سورٌ وثدياي كبرجٍ . فكنت انا في عينهِ كواجدة سلامٍ " يتضح ان الله قد اقامها سوراً وملجاً لنا لاجل حمايتنا . وواسطة فيما بيننا نحن الخطاة وبينه تعالى للسلام . فسنداً على الكلمات المقدم ذكرها يشجّع القديس برنردوس الخاطيء قائلاً لهُ „ امضِ الى ام الرحمة هذه . واكشف لها الجراحات الكائنة في نفسك من قبل خطاياك . وحينئذٍ هي بتاكيدٍ تتضرع الى ابنها بان يغفر لك اكراماً للحليب الذي ارضعتهُ اياهُ من ثدييها . وابنها بلا ريب يستجيب تضرعها من اجلك لحبهِ اياها " كما يتضح من عملية الكنيسة المقدسة التي تحثنا على ان نطلب من الله ان يمنحنا معونة شفاعة مريم ذات الاقتدار . لكي ننهض من اجداث خطايانا . وذلك بواسطة تلك الصلوة الاعتيادية وهي „ امنح ايها الاله الرحوم عوناً لضعفنا لكي ننهض بشفاعة القديسة مريم والدة الاله التي نحتفل تذكارها من سقطات مآثمنا وقبائحنا " *

فاذاً بالصواب يسمي مريم البتول القديس لورنسيوس يوستينياني „ رجاء عمال الاثم " لانها هي وحدها تلك التيِ تستمد لهم من الله غفران

خطاياهم. وكذلك بكل لياقةٍ يدعوها القديس برنردوس „ سلم الخطاة" لان هذه الملكة الشفوقة. اذ تمد يدها الى الاثمة المساكين الواقعين في حفرة الخطية. فتنتشلهم مصعدة اياهم من هوتة الاثم الى الله كعلى سلمٍ * وهكذا بكل عدالةٍ يسميها القديس اوغوسطينوس (في عظته ١٨ على القديسين) „ رجاءنا نحن الخطاة" لاننا بوساطتها هي وحدها نترجى الصفح عن ذنوبنا كلها. وهذا نفسه' يقوله القديس يوحنا فم الذهب اي „ ان الخطاة بشفاعات مريم فقط يفوزون بالغفران من الله" ومن ثمَّ بعد ذلك يحييها بالسلام عن لسان جميع الخطاة (في فرض عيد ميلادها) قائلاً „السلام عليكِ من الرب يا والدة الاله وامنا. ايتها العرش السماوي حيث يجلس الله. فانتِ هي السدة التي منها يوزع الرب انعامه' كلها. فتوسلي الى يسوع دائماً من اجلنا. لكي نستطيع بواسطة صلواتكِ ان نستمد الغفران في يوم المحاسبة. ونفوز بالمجد الطوباوي الى الابد" ✿

واخيراً بالصواب تُدعى مريم مطلع الصبح كما هو مدون عنها هكذا „ من هذه المشرقة كمطلع الصبح جميلة كالقمر منتخبة كالشمس" (نشيد الانشاد ص ٦ ع ٩) اي نعم انها هي الفجر الصباحي. لان الحبر الاعظم اينوشانسيوس يقول (في عظته الثانية على صعودها) „ انه' من حيث ان الصباح هو نهاية الليل وبداية النهار. فبالصواب ان مريم البتول قد شُبهت بالصبح. لانها هي نهاية الرذائل وبداية الفضائل" فالمفعول عينه الذي صنعته' مريم في العالم حين ميلادها تفعله' في نفس كل انسانٍ حين تتلد فيه العبادة نحوها. ولذلك يخاطبها القديس جرمانوس (في عظته الثالثة على نياحها) قائلاً „ يا والدة الاله ان حمايتكِ ونصرتكِ هي عديمة الفنا. وشفاعتكِ هي الحيوة" وفي عظته المختصة بعيد وضع زنارها يقول „ان اسم مريم لمن يلفظ بهِ بحسن عبادةٍ وحبٍ هو علامة وجود الحياة. او انه من دون ابطاءٍ يحصل المتلفظ بهِ على الحيوة" ✿

فقد رتلت هي نفسها قائلةً „ ها منذ الان يعطيني الطوبى جميع الاجيال" (لوقا ص ١ ع ٤٨) فيقول نحوها القديس برنردوس. (في عظته المختصة بالعنصرة) „ اي نعم يا سيدتي لاجل ذلك يدعوكِ طوباوية البشر جميعهم. لان عبيدكِ كلهم ينالون بواسطتكِ حيوة النعمة والمجد الابدي"

(ويقول في خطبته على ميلادها) „ان الخطاة بكِ يجدون الغفران. واما الصديقون فيحصلون بكِ على نعمة الثبات. وبعد ذلك على الحيوة السرمديه” (وهنا يتكلم المتعبد لها برنردينوس البوسطي في عظته على ميلادها قائلاً) „لا يقل رجاك ايها الخاطىء. حتى ولو انك تكون ارتكبت افعال الخطايا كلها. بل التجيء بطمانينةٍ الى هذه السيدة. لانك تجدها مملوة اليدين من الرحمة — فمريم ترغب ان تصنع معك الخير وتهبك النعم. باكثر وافضل مما انت ترغب وتشتهي ان تقتبل منها” ✲

ثم ان القديس اندراوس الاقريطشي يسمي مريم „طمانينة الغفران الالهي” وبهذا يُفهم انهُ حينما تلتجيء الخطاة الى مريم لكي يتصالحوا مع الله. فالباري تعالى يعدهم بالغفران ويخولهم الطمانينة ويعطيهم عربونًا لهذه الطمانينة مريم نفسها. التي قد وهبناها عزَّ وجلَّ محامية عنا. ولاجل شفاعاتها يغفر الخطايا كلها بقوة استحقاقات يسوع المسيح لاولئك الذين يستغيثون بها ويقصدون نصرتها * والقديسة بريجيتا قد عرفت من الملاك (في الراس ٩) „ان الانبيا القديسين كانوا يتهللون عند ما عرفوا ان الله لاجل تواضع مريم وطهارتها. كان مزمعاً ان يرتضي بمصالحة الخطاة. وبان يقتبل في نعمته اولئك الذين كانوا اغاظوه” ✲

فلا ينبغي لكائنٍ من كان من الخطاة ان يخاف اصلاً. من انهُ يمكن ان مريم تطردهُ اذا استدعاها لمعونته مستغيثًا برافتها. كلا. لانها هي ام الرحمة. وبحسب صفتها هذه ترغب خلاص الخطاة الاكثر شقاوةً * فيقول القديس برنردوس „ان مريم هي تلك السفينة التي كل من يحتمي فيها لا يدركهُ الغرق الابدي” فداخل سفينة نوح قد خلصت من الطوفان البهائم والوحوش ايضاً. وهكذا ضمن حماية مريم وتحت ظل عنايتها تخلص الخطاة ايضاً * فالقديسة جلترودة قد شاهدت في الرؤيا يوماً ما مريم البتول مقتبلة تحت اذيال برفيرها جملةً من الوحوش الضارية. اسوداً ونمورةً ودببًا وغيرها. ثم لاحظت كيف ان مريم ليس فقط لم تكن تطرد من حولها تلك الوحوش. بل بالعكس كانت باشفاقٍ وحنوٍ تجمعها وتلاطفها وتنعطف نحوها. ومن هذه الرؤيا قد عرفت القديسة ان الخطاة الاشد تعاسةً والاكثر اثمًا. حينما يبادرون الى حماية هذه الام

. الرأوفة . فلا يُقصون من امامهم مطرودين . بل يَقبلون منها مخلصين من الموت الابدي . فلنذهب اذاً وندخل ضمن هذه السفينة . ولنلتجىء تحت ذيل حماية مريم التي من الموكد لا تطردنا . بل من دون ريبٍ تهتم في امر خلاصنا ✿

✿ نموذجٌ ✿

ان الاب يوفيوس يخبرنا عن امراة ردية السيرة اسمها هيلانه . فهذه اتفق لها يوماً ما بطريق الصدفة . ان تسمع في الكنيسة عظةً مختصةً بالوردية . فلما خرجت من المعبد الالهي اشترت مسبحة من مسابح الوردية . الا انها حملتها خفيةً كيلا يراها احدٌ . ثم شرعت فيها بعد تمارس صلوة هذه المسبحة . ومع انها كانت تتلوها من دون عواطف العبادة . فمع ذلك قد افاضت البتول القديسة في قلبها عذوبة وتعزية بهذا المقدار عظيمة عند ما كانت تصلي بها . حتى انها ما عادة تعرف تهمل تلاوتها . وبذلك قد حصل عندها تكره ونفور من سيرتها القبيحة . بنوع انها لم تعد تحتمل توبيخ ضميرها الشديد . او تجد راحة لافكارها القلقة . ومن ثمَّ شعرت بنفسها منجذبة باغتصابٍ الى ان تمضي تعترف بخطاياها في منبر التوبة . كما فعلت حقاً بتوجعٍ وندامةٍ قلبيةٍ بهذا المقدار عظيمةٍ . حتى ان معلم اعترافها قد استوعب من ذلك اندهالاً . فبعد نهاية الاعتراف ذهبت امام هيكل والدة الاله . لكي تقدم الشكر لمعينتها هذه المقتدرة . وهناك اكملت صلوة الوردية . فلام الالهية قد تنازلت لان تخاطبها من تلك الايقونة قائلةً لها „ يكفيكِ يا هيلانه ما قد اغظتِ به الله لحد الان . وما اهنتيني به . فمنذ هذا اليوم فصاعداً غيري سيرتكِ . وانا ساهبكِ جانباً ليس بقليل من انعامي ” فهيلانه الخاطئة المسكينة قد امتلأت خجلاً واندهالاً واجابتها هاتفةً „ ايتها البتول الكلية القداسة . انني بالحقيقة قد عشت لحد هذا الوقت خاطئةً اثيمةً شقيةً دنسةً . ولكن انتِ من حيث انكِ قادرةٌ على كل ما تشائين . فعينيني لاني اهبكِ ذاتي بجملتها . واريد ان اصرف ما بقي من حياتي في اعمال التوبة وفاءً عن مآثمي ” ثم خرجت من الكنيسة وبمعونة والدة الاله قد وزعت كل ما

كانت تملكهُ على الفقراء والمحتاجين . وشرعت تمارس افعال التوبة الاشد صرامةً . فاي نعم ان التجارب قد نهضت لمحاربتها ووثبت عليها بقوةٍ كليةٍ . الاَّ انها اي هيلانه لم تكن تغفل عن الالتجاء المتصل الى معينة التائبين . وبذلك كانت دائماً تنتصر على اعدائها الجهنميين . وقد حصلت على انعامٍ وافرةٍ فائقة الطبيعة . حتى انها فازت باوحيةٍ سماوية وبروح النبوة ايضاً . واخيراً قبل نياحها بايامٍ وجيزة . قد انذرتها والدة الاله مخبرةً اياها عن وقت خروجها من هذه الحيوة . ولما جاءت الساعة قد حضرت اليها هذه الام الالهية عينها مع ابنها الحبيب لتعزيتها . وعند انفصالها من الجسد قد شوهدت نفسها بصورة حمامةٍ بيضا جزيلة الجمال . صعدت متطايرةً الى السما لتمجد الله في السعادة الابدية سرمداً ❁

❁ صلوةٌ ❁

هوذا انني منطرحٌ على قدميكِ يا والدة الهي . يا رجائي الوحيد انا الخاطىء الشقي طالباً منكِ الرافة . فانتِ تُدعين من الكنيسة كلها ومن المومنين اجمعين „ ملجا الخطاة " فاذاً انتِ هي ملجاي ويخصكِ ان تخلصيني „ فانتِ تعلمين كم هي عظيمة رغبة ابنكِ امر خلاصنا . وتعرفين يا والدة الاله الكلية الحلاوة مقدار ما يسر وحيدكِ المبارك بتخليصنا " (غوليالموس الباريسي) ومعلومٌ هو لديكِ كم قد احتمل يسوع لاجل خلاصي . فانا اذكركِ يا امي بالام حبيبكِ . وهي البرد الذي تكبدهُ في مغارة بيت لحم . ومشقة هربهِ الى مصر . واتعابهُ ودمه الذي سفكهُ واوجاع الموت التي احتملها امام عينيكِ مقتولاً على الصليب . فاوضحي ذاتكِ انكِ تحبين هذا الابن الالهي . في الوقت الذي فيه انا اتوسل اليكِ بان تعينيني حباً به . امددي يدكِ اليَّ انا الواقع الملتمس منكِ الشفقة . فلو اني اكون قديساً لما كنت طلبت الرحمة . بل من حيث اني خاطىء فانا ملتجىء اليكِ لكونكِ ام المراحم . فانا اعلم ان قلبكِ الحنون يتعزى كثيراً باعانة البائسين . حينما يمكنكِ ان تعينيهم اذ لا تجدينهم مصرين على اثامهم . فاذاً ابهجي اليوم قلبكِ الرأوف وعزيني . لانه توجد لكِ حجة لان تخلصيني . اذ اني مسكينٌ مستحق جهنم .

وتقدرين ان تساعديني . لاني لا اريد ان اكون مصراً على عمل الخطيئة . فانا اضع ذاتي في يدك . فقولي لي ماذا يجب ان اصنع . واستمدي لي قوةً لاقدر ان اتمم ما ترسمينهُ عليَّ . في الوقت الذي فيه انا اقصد ان افعل كل ما يمكنني صنيعهُ . لكي ارجع الى حال النعمة الالهية . فانا اهرب محتمياً تحت كنف وقايتك . وابنكِ يسوع يريد ان التجيء اليكِ . حتى لاجل مجده ومجدكِ بحسب كونكِ امهُ يسعفني للخلاص ليس فقط دمهُ المسفوك لهذه الغاية . بل معونة صلواتكِ ايضًا من اجلي لديه . فهو ارسلني اليكِ لكي تعينيني . وهوذا انا اسرعت مستغيثًا بكِ . وواثقًا فيكِ برجاء وطيد . فانتِ تطلبين متضرعةً من اجل الكثيرين . فصلي من اجلي انا ايضاً ولو كلمةً واحدةً . قولي لله انكِ تريدين ان تخلصيني . وحينئذٍ لا ريب في انهُ تعالى يخلصني . فقولي لهُ اني انا خاصتكِ . واكثر من هذا انا لا اطلب منكِ ✿

❦ الجزء الثاني ❦

✿ في ان مريم هي حياتنا من كونها تستمد لنا ✿
* نعمة الثبات في البر *

ان نعمة الثبات الاخيرة هي موهبة الهية عظيمة جدًا . وقد حدد المجمع التريدنتيني المقدس بانها موهبة مجانية مطلقًا . لا يمكننا اصلاً ان نستحقها بذواتنا . بل كما يعلّم القديس اوغوسطينوس ان كل اولئك الذين يلتمسون من الله نعمة الثبات فينالونها . وحسبما يقول سوارس انهم حقًا ينالونها من دون خلل . طالما يداومون على ان يطلبوها من الله باجتهادٍ لحد نهاية حياتهم . لان هذا الثبات على التماسها يوميًا . كما يقول الكردينال بالارمينوس يُعتبر كبرهان على انهم يوميًا ينالونها * فان كان امرًا حقيقياً هو ان كل النعم التي تفاض علينا من الله . فتتوزع علينا بواسطة مريم البتول . حسب الراي المعتبر الان رايًا عامًا . والذي انا اعتقد صدقهُ . كما سابرهن عنهُ في الفصل السادس من هذا القسم . فكذلك يكون امرًا حقيقيًا هو اننا بواسطة مريم فقط . يمكننا ان نرجو نعمة الثبات الاخيرة

هذه العظمى وان نفوز بها . ومن دون ريب نحن ننالها ان كنا نطلبها بدالةٍ وبحسن اتكالٍ دائماً من هذه القديسة . التي هي نفسها وعدت بان تمنحها . لكل اولئك الذين يخدمونها بامانةٍ في هذه الحيوة . حسبما تستخدم الكنيسة المقدسة عن لسانها في خدمة عيد الحبل بها . كلمات العدد الثلثين من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر حكمة ابن سيراخ . وهي هذه „ ان الذين يعملون فيَّ لا يخطئون . ومَن شرحني تحصل له الحيوة الابدية ☆

فلكي نحفظ نحن في حيوة النعمة الالهية . فضروري لنا هو ان نكون حاصلين على القوة الروحية . ليمكننا ان نصادم كل اعدا خلاصنا . فهذه القوة نحن نقدر ان نحصل عليها بواسطة مريم فقط . كما جاء عنها في العدد الرابع عشر من الاصحاح الثامن من سفر الامثال بهذه الكلمات „ لي هي القوة بي تتملك الملوك ” فاذًا مريم تقول ان هذه القوة هي لي . لان الله قد دفع في يدي هذه الموهبة لكي اوزعها انا على المتعبدين لي . وبي تتملك الملوك . اي ان عبيدي بواسطتي يتملكون مسلطين على حواسهم كلها . وعلى الامهم . وبهذه الصورة يؤهلون لان يملكوا فيها بعد الملك السماوي الى الابد . فيا لها من قوة عظيمة هي تلك الفائز بها المتعبدون لهذه السيدة الكلية العظمة . وبها ينتصرون على تجارب الجحيم كلها * ثم ان مريم العذرا هي ذات البرج المدون عنهُ هكذا „ ان عنقكِ هو كبرج داود المبني بالمحاصن المعلق عليه الف ترسٍ وكافة اسلحة المقتدرين ” (نشيد الانشاد ص ٤ ع ٤) فهي نظير البرج الحصين المستدير بالاسوار لمحافظة محبينها الملتجئين اليها لتحامي عنهم . والمتعبدون لها يجدون في هذا البرج الذي هو مريم . كل الاسلحة التي بها يحاربون عن ذواتهم ضد قوات الجحيم ☆

فمن ثمَّ تُدعى البتول الكلية القداسة شجرة الدلب كما جاء عنها القول في سفر حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ١٩) هكذا „ انني كالدلب ارتفعت على شط الماء في الشوارع ” فالكردينال اوغون يفسر ذلك . بان شجرة الدلب لها اوراق بصورة الاتراس . وبذلك يتضح المعنى بان مريم تتخذ على ذاتها حماية كل اولئك الذين يلتجئون اليها مستغيثين بمعونتها . وترد

عنهم قوة اعدائهم * ثم ان الطوباوي امادوس (في ميمرة الثامن) يعطي هذا النص تفسيراً اخر وهو „ان مريم تُسمَّى شجرة الدلب . لانهُ كما ان هذه الشجرة هي ذات كبرٍ واغصانٍ ضخمةٍ واوراقٍ مدغمةٍ . وبالتالي تعطي تحتها وحولها ميداناً واسعاً . فيهِ يستظل المسافرون عابروا الطريق مستترين بفيئها من حرارة الشمس . ومحتمين تحتها من الامطار . فهكذا تحت اذيال حماية مريم وعنايتها . يجد البشريون ميداناً فيهِ يلتجئون من حرارة نيران الشهوات والالام . ومن شدة عواصف التجارب " *

فيا لتعاسة تلك الانفس التي تبتعد عن هذا الملجأ الامين . وتهمل التعبد لهذه السيدة . وتتغاضى عن الاستغاثة بها في حين الاحتياج . فيقول القديس برنردوس „ترى كيف يكون حال العالم سوى ظلمةٍ حالكةٍ دائمةٍ مكروهةٍ . على فرض ان الشمس لا تعود تشرق في جلد السما " فكذلك اذا خسرت نفس ما عبادتها لمريم . فحالاً تضحى تائهةً في تلك الظلمة المقال عنها من المرتل „جعل الظلمة فكان ليلٌ وفيهِ تعبر سائر وحوش الغاب " (مزمور ١٠٣ ع ٢٠) اي حينما لا يشرق في نفسٍ ما النور الالهي . فيصير ظلامٌ وتضحى النفس مربضاً لوحوش الخطايا كافةً . وللشياطين ايضاً * فالويل اذاً (يقول القديس انسلموس) ثم الويل لاولئك الذين يحتقرون ضياء هذه الشمس . اي يرفضون التعبد لمريم محتقرينهُ " ومن ثمَّ بالصواب كان القديس فرنسيس بورجيا يرتاب هل يمكن ان تفوز بنعمة الثبات الاخيرة . انفس اولئك الذين لا توجد فيهم عبادةٌ خصوصية نحو البتول الطوباوية . فهذا القديس يوماً ما دخل عند المبتدئين في الرهبانية . واخذ يفحصهم ويسال كل واحدٍ منهم عن القديس الذي كانت لهُ نحوهُ عبادةٌ خصوصية ومن ذلك عرف ان البعض منهم لم تكن فيهم هذه العبادة لمريم العذراء . فاستدعى معلم المبتدئين وحرَّصهُ بالسهر بنوعٍ خاص على تصرفات المشار اليهم . الذين قد تحقق عنهم فيما بعد بالعمل انهم اضاعوا اثمار دعوتهم بتعاسةٍ . لانهم خرجوا من الرهبنة * فاذاً ليس من دون برهان راهن كان القديس جرمانوس يسمي والدة الاله „نسمة حيوة المسيحيين " مبرهناً ذلك بقوله (في خطبته على والدة الاله) „انهُ كما ان الجسد لا يمكنهُ ان يحيى من غير التنفس فهكذا النفس

لا يمكنها ان تحيَ من دون ان تلتجيء الى مريم . التي بوساطتها نحن بالحقيقة نكتسب النعمة الالهية حيوة النفس ونحتفظ بها " فقد اتفق يوماً ما ان الطوباوي الانوس قد تجرب مرة من الشيطان ومن كونه تغاضى عن ان يلتجيء الى والدة الاله مستغيثاً بمعونتها فاوشك ان يسقط في هوتة الاثم. الاَّ ان هذه السيدة قد ظهرت لهُ ولكي تجعلهُ في المستقبل اكثر حرصاً . قد لطمتهُ علي خدهِ قائلةً لهُ " انك لو كنت استدعيتني لمعونتك حالاً . لما كنت حصلت في هذا الخطر المبين " ✲

وبالعكس (تقول مريم) " مغبوطٌ هو الانسان الذي يستمعني والذي يسهر كل يومٍ عند ابوابي ويحفظ اوزات مداخلي " (سفر الامثال ص ٨ ع ٢٤ : كما ترتل الكنيسة في عيد الحبل بهذه السيدة) اي الطوبى لذاك الانسان الذي يصغى الى صوتي . واذلك يلبث مستيقظاً وياتي باتصالٍ ليقرع ابواب رحمتي . ويستمد مني الاستنارة والمعونة * على ان البتول مريم تهتم في ان تستميح من الله لهذا المتعبد لها نوراً وقوةً . ليمكنهُ ان يخرج من عوائده الردية . ويسلك في سبل الفضائل . ولذلك نُعتت العذرا المجيدة من الحبر الاعظم اينوشانسيوس الثالث في عظته الثانية علي صعودها الى السما بهذه الكلمات وهي " ان مريم قمرٌ في الليل . ونجمةٌ في الصبح . وشمسٌ في النهار " فهي قمرٌ لمَن هو اعمى في ليل الخطية . لكي تنيرهُ لمعرفة الحال الشقية الكائن عليها التي تفضي بهِ الى الهلاك . وهي نجمة الصبح اي (سابقة الشمس ومنذرة بقرب اشراقها) لمَن قد استنار عقلهُ . وعرف سوء حالهِ . لكي تصيرهُ ان يخرج من هوتة الاثام ويرجع الى حال النعمة الالهية . وهي اخيراً شمسٌ لمَن هو حاصلٌ على نعمة التقديس . لكيلا يرجع متهوراً بالسقوط في خطيةٍ ما ✲

ثم ان العلما يخصصون مريم الطوباوية بتلك الكلمات المقولة في حكمة ابن سيراخ وهي " ان رباطاتها هي رباطات الخلاص " (ص ٦ ع ٣١) " فما هي رباطات الخلاص (يسال القديس لورانسوس يوستينياني . ويجيب هو على سواله بقوله) هي ان مريم توثق عبيدها برباطات الحفظ الخلاصية . لكيلا يتوهوا في طريق الرذائل " والقديس بوناونتورا في تفسيرهِ الكلمات الاخرى وهي " في جمهور القديسين مقامي " (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ١٦)

يقول هكذا „ ان مريم ليس فقط ان مقامها هو في جمهور القديسين · بل ايضاً هي تحفظ القديسين (اي الابرار الاحيا في العالم) لكيلا يرجعوا الى الوراء متقهقرين · وتحفظ فضائلهم لئلا تنقص فيهم · وتمنع الشياطين لكيلا يضروهم بشيء ردي ” ✿

وقد يقال ان المتعبدين لمريم هم مترّدون بأثوابٍ مضعفةٍ · كما هو مكتوب „ ان اهل بيتها جميعهم لابسون ثياباً مضاعفة ” (امثال ص ٣١ ع ٢١) فكورنيليوس الحجري يفسر ما هي هذه الثياب المضاعفة بقوله „ ان البتول القديسة تزين عبيدها الامنا بفضائل ابنها وبفضائلها هي ايضاً · واذ يكونون على هذه الصورة لابسين اثواب الفضائل · فيحفظون في نعمة الثبات ” ولذلك القديس فيلبس نيري كان دائماً يرشد تلاميذهُ قائلاً لهم „ يا اولادي ان كنتم ترغبون نعمة الثبات الاخيرة · فكونوا حسني العبادة لمريم العذرا ” وكذلك كان يقول الطوباوي الاخ يوحنا باركمانس اليسوعي „ ان مَن يحب مريم ينَل نعمة الثبات الاخيرة ” ونعمًا الراي هو ما يلاحظهُ الانبا روبارتوس في مَثَل الابن الشاطر بقوله „ انهُ لو كانت ام هذا الابن المتمرد بعدُ حيةً · فاما انهُ لم يكن قط ابتعدَ عن بيت ابيه · واما انهُ لما كان تاخر عن الرجوع كل ذلك الزمان المستطيل ” ويعني بهذا ان مَن هو ابنٌ لمريم البتول · فاما انهُ لا يبتعد اصلاً عن الله · واما اذا ابتعد لسوء حظهِ فلا يبطو عن الرجوع اليه تعالى بالتوبة ✿

فليتَ كل البشر يحبون هذه السيدة الكلية الاشفاق والمحبة · وفي حين تجاربهم من التجارب يلتجئون اليها سريعًا · فاذا فعلوا ذلك هل يسقط احدٌ منهم في الاثم · او هل يمضي احدٌ منهم هالكًا · كلا · بل انهُ يسقط في هوتة الخطية وينحدر الى هاوية الجحيم مَن لا يلتجيء الى هذه الملكة * فالقديس لورانسوس يوستينياني يخصص بوالدة الاله تلك الكلمات المقولة في سفر حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ٨) وهي „ في امواج البحر مشيت ” ثم يجعلها ان تتكلم هكذا „ انني امشي جملةً مع عبيدي فيها بين العواصف حيث هم يوجدون · لكي اساعدهم واخلصهم من هوتة الاثام ومن بحر الخطية ” ✿

فيخبر الاب برنردينوس البوسطي ان البعض من مربي الطيور الناغية

كان علّم طيراً صغيراً هذه الكلمات وهي „ السلام لكِ يا مريم" ليناغي بها . فيوماً ما انقض الطير الخطاف وهو الباشق على ذاك الطير الصغير ليخطفهُ . الا انهُ حالما الطير صرخ „ السلام لكِ يا مريم" فالباشق سقط في الارض مائتاً . فبهذا الحادث اراد الباري تعالى ان ينبهنا . على انهُ ان كان طيرٌ عديم التعقل قد خلص من الموت . لتلفظه باسم مريم . فكم باولى حجة ٍ ينجو من التجارب ومن وثبات الشياطين . ذاك الذي يهتم في ان يعوّد ذاته على الالتجاء الى هذه السيدة مستغيثاً بها * فيقول القديس توما الفيلانوفي (في عظته على ميلاد البتول) انه لا يلزمنا ان نصنع شيئاً اخر حينما تاتي ضدنا الابالسة لتجربنا . سوى ما تصنعهُ فراخ الدجاجة حينما ترى الطير الخطاف . اي انها تهرب سريعاً وتختفي تحت جناحي الدجاجة . فهكذا نحن عند ما نشعر بقدوم التجربة وبالهواجس الردية . فمن دون ابطاء ومن غير ان نتكلم شيئاً ما عن التجربة . فلنسرع واضعين ذواتنا تحت كنف هذه الام الالهية " (ثم يقول ايضاً) „ وانتِ ايتها السيدة امنا يلزمكِ ان تحمينا لانهُ لا يوجد لنا بعد الله ملجا اخر سواكِ . فانتِ هي رجاؤنا الوحيد والحامية عنا الفريدة . وبكِ نثق مطمانين " *

فلنختم اذاً كلامنا مع القديس برنردوس (في ميمرة على انجيل البشارة) بقوله „ ايها الانسان من اية رتبة ٍ كنتَ . فانت تعلم انك في هذه الحيوة لا تزال سائراً في بحرٍ عجاج فيما بين الاخطار والمهالك المملوة منها هذه الارض . فان كنت لا تريد ان تغرق هالكاً . فلا تحد نظرك عن هذه النجمة التي هي مريم . بل تغرس فيها واستغث بها . ثم في اخطار الخطايا . وفي حدوث الانزعاجات والمصائب والتجارب والارتيابات . وفي الاشيا التي يلزمك ان تمارسها وتعتمد عليها . افتكر دائماً في ان مريم تقدر ان تعينك . ولذلك ادعُها اليك مستغيثاً بها . وهي تعضدك وتنقذك . فلا يبرح من قلبك اسمها المقتدر بحسن الاتكال . ولا ينتزح عن شفتيك باستدعائك اياها لمعونتك . فان كنت تتبع هذه السيدة فلا تضل عن الطريق تائهاً عن سبيل الخلاص . وطالما انت ملتجيء اليها . فلا يمكن ان تخيب من رجائك . واذا هي مسكتك بيدها . فلن تسقط ابداً . وان هي حامت عنك فليس لك ان ترتاب في خلاصك . وان هي قادتك . فمن دون

تعبٍ انت تبلغ الى السعادة الابديـة. وبالاجمال ان كانت مريم تهتم في امورك. فمن دون ريب انت تمتلك السما" ✿

✿ نموذجٌ ✿

انها لشهيرةٌ هي خبرية القديسة مريم المصرية المدونة في الكتاب الاول من سير الابا. فهذه اذ كان عمرها اثنتي عشرة سنةً. هربت من بيت اهلها. ومضت الى مدينة الاسكندريه حيث عاشت بسيرة هكذا قبيحة. حتى انها صارت حجر عثرةٍ لجميع سكان المدينـة. فبعـد ان استمرت على عمل القبائح مدة ست عشرة سنـة. قـد مضت الى اورشليم في زمن الاحتفال بعيـد ارتفاع الصليب المقدس. وتحركت لان تـدخل هي ايضاً الى الكنيسة بروح التفرج احرى مما بروح العبادة. ولكن عند ما دنت من باب المعبـد الالهي. شعرت بيـدٍ غير منظورة كانت تردها غصباً الى الوراء لئلا تدخل داخلاً. واذ امتحنت الامر مرةً ثانيـة ثم ثالثـة ورابعـة. ومنعت بقوةٍ فايقة الطبيعة عن الدخول الى الكنيسة. فحينئذٍ قد انفردت ناحيـةً وعرفت الشقيـة ليس من دون اشراق النور الالهي في عقلها. ان الله لاجل قبائح سيرتها قد كان يرذلها من كنيستـه ايضاً. فلاجل حسن حظها قـد رفعت عينيها حيث كانت. فرأت اماعها على الحائط ايقونـة العذرا المجيدة. فاتجهت نحوها بدموع قائلـةً „ يا والدة الالـه ارحمي هذه الخاطية المسكينة. فانا الاحظ انهُ لاجل كثرة خطاياي لا استحق ان تنظري اليَّ. ولكن انتِ هي ملجا الخطاة. فعينيني حباً بابنكِ يسوع. واجعليني ان ادخل الكنيسة. لاني اريد ان اغيّر سيرتي. وامضي فامارس افعال التوبة حيثما تريدين" فحينئذٍ قد شعرت كانَّ البتول القديسة كانت تقول لها باطناً „ انهُ لاجل انكِ التجأتِ اليَّ قاصدةً ان تتوبي عن مآثمكِ. فانهضي وادخلي الكنيسة لان بابها قد فُتح لكِ" فقامت ودخلت بيت الرب وسجدت للصليب المقدس وبكت علي خطاياها. ثم رجعت امام الايقونة قائلةً „ يا سيدتي اوضحي لي اين انفرد لعمل التوبة. اذ اني مستعدةٌ لان اتمم ما ترسمينهُ عليَّ" فاجابتها العذرا الطوباوية بقولها „ اذهبي الى عبر الاردن. وهنـاك تجدين مكان راحتـكِ" فانطلقت واعترفت

بخطاياها وتناولت القربان الاقدس واجتازت نهر الاردن. ودخلت الى القفر الذي فهمت هي انهُ كان يلزمها ان تباشر فيه افعال التوبة * ففي مدة السبع عشرة سنة الاولى التي مكثت بها في ذلك القفر. قد احتملت محاربات شديدة من التجارب الشيطانية. ولكن ماذا كانت تصنع هي حينئذٍ. انها لم تكن تفعل شيئًا اخر سوى الالتجا المتصل لوالدة الاله. وهذه الام الرأوفة قد استمدت لها من الله قوةً لان تقاوم الارواح الجهنمية في بحر تلك السنين وتنتصر عليها. وهكذا عند نهاية السبع عشرة سنةً قد هدأت عنها التجارب. واستمرت هي في ذلك القفر الى السنة السابعة والخمسين من انفرادها فيه * فلما بلغت الى السنة السابعة والثمانين من حياتها. فبعناية الهية قد وجدها هناك الانبا القديس زوسيموس. الذي اخبرتهُ هي بسيرة حياتها كلها. وتوسلت اليه بان ياتيها في السنة المقبلة بالقربان الاقدس. كما تمم هو مطلوبها برجوعه اليها وبمناولته اياها السر المسجود لهُ. ثم بعد ذلك تضرعت اليه بان يزورها في السنة الاخرى ايضاً. الاَّ انهُ حينما رجع اليها في الميعاد قد رأها مائتةً. وكان جسدها محاطاً باشعةٍ نورانيةٍ. ورأى مكتوبةً عند راسها هذه الكلمات وهي « ادفن في هذا المكان جسدي انا الخاطئة المسكينة وصلِ من اجلي لدى الله » فقد دفنها وقد جاء اليه اسدٌ وحفر لهُ الارض. ثم رجع الى ديره واخبر بعجائب الرحمة الالهية التي صنعها الله مع هذه التائبة السعيدة ✿

✿ صلوة ✿

ايتها الفايقة القداسة أم الرأفة مريم البتول. هوذا عند قدميكِ منطرحٌ الانسان الخاين. الذي لانهُ كافى ببئس المكافاه. بل بنكران الجميل النعم التي نالها من الله بواسطتكِ. فصار خائنًا لله ولكِ. ولكن اعلمي ايتها السيدة ان شقاوتي هذه ليس فقط لا تنزع مني رجائي فيكِ. بل ايضًا توطدهُ وتزيدني املاً وثقةً بكِ. لاني اعتبر ان شقاوة حالي تضاعف فيكِ الشفقة نحوي. فاظهري ذاتكِ يا مريم. انكِ انتِ بالنسبة اليَّ هي تلك الرحومة عينها نحو كل اولئك الذين يستغيثون بكِ. المملوة من السخاء والرافة. فيكفيني ان ترمقيني بنظركِ العطوف وان تشفقي عليَّ. فان كان

قلبكِ يشفق عليَّ. فلا يمكنكِ ان لا تحامي عني. واذا صرت انا في حمايتكِ فممن اخاف. كلا انني لا اخشى من شيء اصلاً. لا من قبل خطاياي. لانكِ انتِ قادرةٌ ان تصلحي الضرر الذي حدث فيَّ ولا من الشياطين. لانكِ انتِ اقوى من الجحيم باسره. ولا من قبل ابنكِ المغتاظ عليَّ بعدلٍ. لانهُ تعالى بكلمةٍ واحدةٍ تتوسلين بها لديه من اجلي يهدأُ غضبهُ. فانا انما اخاف من شيء واحدٍ فقط. وهو اني انسى ان التجيء اليكِ حينما تداهمني التجربة. وهكذا اهلك. ولكن هذا هو الشي الذي اريد اليوم ان اعد بهِ. وهو اني دائماً اسرع اليكِ ملتجئاً. فانتِ ساعديني على ان اتمّم ذلك. ثم لاحظي هذه الفرصة الجيدة التي فيها انتِ ترغبين ان تكمّلي مسرتكِ. وهي ان تسعفي احد البائسين الاذلّا الذي انا هو ✿

فرجائي هو فيكِ عظيمٌ يا والدة الاله. ومنكِ انتظر نوال النعمة بان ابكي على خطاياي كما هو متوجبٌ عليَّ. وبان افوز بالقوة في ان لا ارجع الى الخطية. وان كنت انا سقيماً. فانتِ قادرةٌ على ان تشفيني ايتها الطبيبة السماوية وان كانت مآثمي قد صيرتني ضعيفاً. فمعونتكِ تجعلني قوياً. فانا ارجو كل شيء منكِ يا مريم المجيدة. لانكِ تقدرين على كل شيء لدى الله امين ✿

❦ الجزء الثالث ❦

✿ في ان مريم البتول الحلوة اللذيذة. تجعل الموت عذباً ✿
* للمتعبدين لها *

انهُ مكتوبٌ „في كل زمان يُحب الصديق وفي الشدائد يُعرف الاخ" (امثال ص ١٧ ع ١٧) فالاصدقا المحقون والاقربا لا يُعرفون جيداً في زمن الراحة والهدو. بل في حين المصائب والتعاسة. فاما الاصدقا العالميون فلا يهملون صديقهم طالما هو في السعة والنجاح. ولكن اذا سقط هو في محنةٍ. والمت به شدةٌ لاسيما عندما يدنو من الموت. فحينئذٍ يتركونهُ حالاً معرضين عنهُ * واما مريم البتول فلا تتصرف هكذا مع عبيدها. لان هذه

النسيدة الصالحة والام العطوفة . لا تهمل خدّامها الامنا المتعبدين لها . ولا تتغافل عنهم في اوقات احتياجاتهم . لا سيما عند موتهم الذي هو الوقت الاكثر احتياجاً . لانهُ زمن الشدة الامرّ من كل شدائد العالم . وبحسبما انها صارت علة حياتنا في مدة سكنانا في الارض التي نحن فيها منفيّون . فهكذا توضح ذاتها انها هي تعزيتنا ولذّتنا حين موتنا . باكتسابها لنا ميتةً حلوةً مغبوطةً . لان هذي السيدة منذ ذاك اليوم العظيم . الذي فيه حصلت هي على الحظ السعيد . وعلى الحزن الشديد معاً بحضورها تحت صليب ابنها عند موته . فاذ كان هو راس المنتخبين للمجد . فقد اكتسبت هي هذه النعمة . وهي ان تحضر عند جميع المختارين حين موتهم . ولذلك تحثنا الكنيسة المقدسة ان نتوسل الى هذي البتول الطوباوية . لكي تساعدنا بنوعٍ خاص في ساعة موتنا . بقولنا لها في السلام الملئكي "صلي لاجلنا نحن الخطاة . الان وفي ساعة موتنا امين" ✿

فشدائد النازعين هي كثيرةً واحزانهم مُرّةً . اولاً لاجل توبيخ ضمائرهم عن الخطايا التي فعلوها . ثانياً لاجل الخوف من المحاسبة والدينونة القريب حدوثها . ثالثاً من قبل عدم معرفة حقايق امر خلاصهم الابدي . ففي ذاك الوقت بنوعٍ خصوصي تثب على تلك النفس النازعة قوات الجحيم متسلحةً ضدها . والشيطان يبذل كل استطاعتهِ في اكتسابها حصتهُ قبل ان تدخل الى الابدية . لمعرفته ان زمناً وجيزاً بقي لهُ في محاربتها . وانهُ اذا نفذت هي من يده في تلك الساعة . فلا يعود يمكنهُ ان يكتسبها ابداً . كما هو مكتوبٌ في الابوكاليبسي (ص ١٢ ع ١٢) "الويل للارض والبحر لان ابليس نزل اليكما . ولهُ غضبٌ عظيمٌ . لانهُ يعلم ان زمناً قليلاً بقي لهُ" ولذلك فالشيطان الذي اعتاد ان يجرب تلك النفس في مدة حياتها . فلا يكتفي بان يجربها هو وحدهُ في حين انفصالها من الجسد . بل يستدعي معهُ آخرين من رفقائه . كما قال اشعيا النبي "وتمتلىء بيوتهم تنانين" (ص ١٣ ع ٢١) اي انهُ حينما يدنو الانسان من الموت . فيمتلىء بيتهُ من الشياطين الذين يتحدون معاً لمحاربته وخسارته ✿

فيورَد عن القديس اندراوس افاينوس . انهُ حينما دنت ساعة موته . قد جاء اليه عشرة الاف شيطاناً ليحاربوه بالتجارب . ولذلك قد حصل هو

في حين نزاعهِ على معركةٍ قويةٍ جدًا من القوات الجهنمية بهذا القدار هائلة. حتى ان جميع الرهبان الذين كانوا محيطين بهِ قد ارتاعوا خوفًا، وقد شاهدوا وجه القديس قد انتفخ بزيادةٍ من شدة المجاهدة، واستحال الى السواد. ونظروا اعضا جسده كلها ترتعش فرقًا بانزعاجٍ قوي. وعينيهِ مذرفةً تيارات من الدموع. وراسهُ يتخبط. وهذه العلامات كلها كانت تدل بكفايةٍ على شدة المعركة التي كان القديس يحارب بها قوات الجحيم. فالجميع طفقوا يبكون من التوجع لهُ. ويضاعفون الصلوات والابتهالات من اجلهِ. في الوقت الذي فيه كانوا يرتجفون من شدة الخوف والهلع اللذين ألمَّا بهم. عند مشاهدتهم قديسًا يموت على هذه الحال. غير ان تعزيتهم الوحيدة كانت قائمةً في انهم. كانوا يشاهدونهُ مراتٍ مترادفةً يجول بعينيهِ نحو ايقونة والدة الاله الموجودة بالقرب من فراشهِ. كمَن يلتمس منها المعونة، متذكرين ما كان يقولهُ هو لهم في مدة حياتهِ مراتٍ كثيرةً. بان مريم البتول مزمعة ان تكون ملجأهُ في ساعة موتهِ" * فقد ارتضى الله اخيراً بان عبدهُ هذا البار يفوز بالانتصار الكامل المجيد. لان جسمهُ قد هدأ من اختباطهِ. وزال انتفاخ وجههِ. وارتد الى لونهِ القديم. واحدق بنظرهِ بعبادةٍ في تلك الايقونة محنياً لديها راسهُ باحترامٍ. كمَن يشكر فضلها. (ويُظن بالصواب ان البتول المجيدة قد ظهرت لهُ حينئذٍ) وهكذا بكل هدوٍ وسلامٍ قد انتقل الى الحيوة الابدية. مسلماً نفسهُ بيدَي هذه السيدة الجليلة بعذوبةٍ سماويةٍ. وفي تلك الساعة عينها كانت احدى الراهبات الكبوشيات مدنفةً على الموت. فهتفت نحو الراهبات الحاضرات عندها قائلةً "يا اخواتي اتلونَ السلام الملكي. لانهُ الان قد مات قديس *

فيا لها من تعزيةٍ عظيمةٍ وهي ان المردة الجهنميين يهربون عند حضور هذه الملكة. فان كنا نحن نحصل على مريم عند ساعة موتنا محاميةً عنا. فاي خوفٍ يمكن ان يعترينا من قوات الجحيم كلها. فالنبي والملك داود عندما ألمَّ بهِ الخوف من التفكر في ساعة موتهِ. قد شجع ذاتهُ بقوة الرجاء باستحقاقات موت مخلصهِ العتيد. وفي قوة شفاعة مريم البتول. ومن ثم هتف مرتلاً "ان انا مشيت في وادي ظلال الموت فلا اخشى الشر لانك معي. عصاك وقضيبك هما يعزيانني" (مزمور ٢٢ ع ٤) فالكردينال اوغون يفسر هذه العصا

يعود الصلب الذي عليه مات فادينا. ويعني بالقضيب مريم البتول. التي قيل عنها «يخرج قضيبٌ من اصل يسى. وتصعد زهرةٌ من اصله» (اشعيا ص ١١ ع ١) ثم يقول القديس بطرس داميانوس «ان هذه الام الالهية هي ذاك القضيب الذي به تغلب اغتصابات الاعدا الجهنميين» ولذلك القديس انطونينوس يشجعنا بقوله «ان تكن مريم معنا فمن يقدر ان يقاومنا» فالاب عمانويل باديال اليسوعي حينما ادنفَ على الموت قد ظهرت لهُ مريم العذرا مشجعةً اياهُ بقولها لهُ «هوذا الان قد جاءت الساعة التي فيها تفرح معك الملئكة مقدمين لك التهنئة وقائلين «يا لها من مشقاتٍ واتعابٍ سعيدةٍ. ويا لها من اماتاتٍ وتقشفاتٍ قد كوفيت حسنًا» ثم في الوقت عينه قد شوهد عددٌ جزيلٌ من الشياطين هاربين برجزٍ وصارخين «واه يا لتعاستنا اننا ما عدنا نقدر ان نصنع شيئًا. لاجل ان تلك التي هي بريئة من العيب تحامي عنهُ» ومثل ذلك الاب كاسبار هيافود قد وثبت عليه الشياطين ساعة موته بتجربة قوية جدًا ضد الايمان. اما هو فالتجأ حالًا الى والدة الاله الكلية القداسة. وبعد ذلك سُمع صوته هاتفًا «انني اشكركِ يا مريم لانكِ اتيتِ لمعونتي» ☆

امَّا القديس بوناونتورا فيقول «ان مريم ترسل زعيم الملئكة ميخائيل مع ملئكته ليحاموا عن عبيدها في ساعة موتهم. ويصدموا عنهم عاجلًا محاربة الشياطين. ولكي يتسلموا انفسهم كافةً. لا سيما اولئك الذين كانوا يلتجئون اليها على الدوام» ☆

واما اشعيا النبي فيقول «الهاوية من اسفل ماست لك لاستقبال قدومك» (ص ١٤ ع ٩) اي انهُ عند خروج الانسان من هذه الحيوة يقلق الجحيم. ويرسل الشياطين الاشد رداوةً لكي يجربوا تلك النفس قبل انفصالها من الجسد. ثم ليرافقوها بعد خروجها منهُ الى المحكمة الالهية. حيث مزمعة ان تُحاكم من يسوع المسيح ليشتكوا عليها هناك «الَّا ان ريكاردوس يقول «انه حينما تكون تلك النفس في حماية مريم العذرا. فالشياطين لا يتجاسرون ولا على ان يشتكوا ضدها. لمعرفتهم ان القاضي قط لم يكن قبلاً حكم بالهلاك. على نفسٍ ما تكون والدتهُ العظيمة قد حامت عنها. بل ولا هو عتيدٌ ان يحكم مثل ذلك على نفسٍ

توجد تحت حمايتها " والقديس ايرونيموس كتب في رسالته الثانية الى البتول اوسطوكيا „ ان مريم تساعد عبيدها المحبوبين وتعينهم. ليس في ساعة موتهم فقط. بل انها تاتي ايضًا لملاقاتهم في دخولهم الى الحيوة العتيدة. لكي تشجعهم وترافقهم الى المحكمة الالهية " وهذا هو مطابق لما قالته والدة الاله عينها للقديسة بريجيتا. بتكلمها عن المتعبدين لها حينما يدنون من ساعة موتهم هكذا „ انني بحسب كوني سيدتهم وامهم المكرمة منهم. اعتني بهم حين موتهم واملأهم من التعزية والنعيم " ويضيف الى ذلك القديس فيلتجانسوس فراري بقوله (في عظته على عيد نياحها) „ ان هذه الملكة الكلية الحب تقتبل تحت برفيرها انفس عبيدها. وهي ذاتها تقدمهنَّ لدى ابنها الديان. وبهذا النوع تستمد لهنَّ الخلاص من دون ريب " وهذا نفسهُ قد حدث لكارلوس ابن القديسة بريجيتا. وهو انهُ اذ مات هذا الشاب حينما كان خادمًا بالوظيفة الجندية المخطرة. في مكانٍ بعيدٍ عن والدته القديسة. فهذه قد حصلت في ارتيابٍ بامر خلاصه. الاَّ ان الطوباوية مريم البتول قد اوحت اليها. بان كارلوس قد فاز بالخلاص. لاجل الحب الذي كان هو يحبها به. ولذلك هي عينها قد ساعدتهُ وحركتهُ الى ابراز افعال الفضائل الضروري فعلها من المسيحيين في تلك الساعة. ثم ان القديسة قد رأت في الوقت عينه يسوع المسيح جالساً على العرش. وان الشيطان قد امتثل امامهُ متشكياً من قضيتين. وهما ان البتول مريم قد منعتهُ عن ان يجرب كارلوس في ساعة موته. وانها هي احضرت نفسهُ في المحكمة الالهية وخلصتها. من دون ان تعطيه زمنًا لان يقدم ضد هذه النفس. البراهين التي لاجلها كان يقتضي على زعمه ان تهلك وتكون خاصتهُ. ثم شاهدت اخيرًا ان الديان الالهي قد طرد الشيطان من امامه. وان نفس كارلوس قد أُخذت الى السعادة الابدية ☆

فيقول يشوع بن سيراخ (ص ٦ ع ٢٩ و ٣١) „ ان رباطاتها هي رباطات الخلاص " فان في اواخرك تجد الراحة بها " فالطوبى لك ايها الاخ ان كنت في اخر حياتك عند ساعة الموت توجد مقيدًا بقيود الحب العذبة نحو والدة الاله. لان هذه السلاسل هي رباطات الخلاص. التي تضمن لك امر سعادتك الابدية. وتجعلك ان تتمتع حين موتك بتلك الراحة والسلام

وبالهدو المغبوط. الذي يكون هو بدء السلام الدائم والنعيم السرمدي * فيخبرنا الاب بيناتي بانهُ اذ اتفق لهُ ان يحضر عند احد المتعبدين لمريم الاتقيا حين موته. فقد سمع من فمه قبل رقاده هذه الكلمات وهي „ اه لو كنت يا ابني تعلم حقيقة التعزية العظيمة والسرور الباطن. اللذين اشعر انا بهما لاجل اني خدمت والدة الاله الكلية القداسة. فانا لا استطيع ان اشرح لك ماهية الابتهاج والتهاليل اللذين تشعر بهما نفسي الان في ساعة الموت " والاب سوارس لاجل انهُ كان حارًا جدًا في عبادته لهذه الطوباوية (حتى انه كان يقول ان استحقاق تلاوة السلام الملكي مرةً واحدةً هو لديه اشرف من علومه كلها) فقد حصل ساعة موته على فرحٍ بهذا المقدار عظيمٍ. حتى انهُ تفوه بهذي الكلمات حال انفصال نفسهِ من جسده قائلًا „ انني لم اكن قط اتصور بعقلي ان الموت بهذا المقدار هو لذيذٌ " فمن دون شكٍ انك انت ايضًا ايها القاري المتعبد لمريم. ستشعر بهذه التعزية والسرور حين موتك. ان كنتَ في تلك الساعة تفتكر في انك قد احببت في حياتك هذه الام الصالحة. التي لا تعرف ان لا تكون امينةً نحو اولادها. الذين يكونون امينين في خدمتها. ويكرمونها بزيارات كنائسها او ايقوناتها وبتلاوة ورديتها وبصيامات ٍ ما. وباكثر من ذلك بتقدمة الشكر لها مرات ٍ كثيرةً. وبمدائحها وبالالتجاء المتصل الى كنف وقايتها وطلب معوناتها ☆

ثم لا يمكن ان يعدمك هذا الابتهاج الباطن تفكرك بحال كونك في زمنٍ ما قد كنت خاطئًا. هذا ان كنت منذ الان فصاعدًا تهتم في ان تعيش بسيرةٍ صالحةٍ. وفي ان تخدم هذي السيدة الكلية الحنو والاشفاق والامينة نحو عبيدها. فهي في حين شدائدك. وفي اوقات التجارب التي يثب عليك بها الشيطان لكي يسقطك في قطع الرجاء تعضدك وتشجعك. حتى انها هي نفسها تحضر عندك ساعة موتك لتسعفك * فالقديس بطرس داميانوس يخبر بان شقيقهُ مرتينوس. قد مضى يومًا ما امام هيكل والدة الاله. ليكرس ذاتهُ اسيرًا لها. من اجل انهُ كان يعرف ذاتهُ انهُ اغاظ الله بخطية ما. فوضع زنارهُ في عنقهِ علامة اسرهِ لها قائلًا „ يا مرأة الطهارة سيدتي. اني انا الخاطىء التعيس قد اهنت الهي واغظتكِ

بآثامي ختم العفة . فلا يوجد عندي دواء آخر سوى ان اقدم ذاتي اسيرًا لكِ . فهوذا اني اليوم اكرس نفسي عبداً لكِ . فاقبلي هذا المؤيس العاصي المتمرد ولا تعرضي عنهُ مستكرهةً منهُ " ثم وضع عند درج الهيكل كميةً من المال واعدًا بان يقدم مثلها كل سنةٍ بمنزلة جزيةٍ وخراجٍ تاكيداً لكونه اسيرها * فبعد مدةٍ من الزمان قد مرض مرتينوس المرض الاخير . ولكن قبل ان يموت قد سمعهُ البعض في احد الايام صباحاً يتكلم هكذا „ قوموا ناهضين . انتصبوا واقفين . وقدموا الاكرام ملحنين لسيدتي " ثم بعد ذلك قال „ ما هذه النعمة العظيمة يا ملكة السما . أهكذا انتِ تتنازلين مرتضيةً بان تزوري هذا العبد الخاطىء . فباركيني يا سيدتي . ولا تسمحي بان امضي هالكًا بعد انكِ شرفتيني بحضوركِ عندي " واذ دخل حينئذٍ اليهِ اخوهُ القديس بطرس . فمرتينوس قد اخبرهُ بمجيء والدة الاله عندهُ وبانها باركتهُ . الّا انهُ تشكى لهُ من ان اولئك الاشخاص الذين كانوا حاضرين عندهُ . استمروا جالسين على الكراسي بحضرة هذه السيدة الجليلة . قال هذا وبعد برهةٍ رقد بالرب بسلامٍ وعذوبةٍ * فعلى هذه الصورة ستكون ميتتك ايها القارىء العزيز. ان كنتَ تعيش امينًا في عبادتك لمريم . هذا ولو كنت فيما مضى اغظت الله باثامك . فمع ذلك هي تعتني في انك تحصل على ميتةٍ صالحةٍ حلوةٍ لذيذةٍ . واذا اتفق انك في حين الموت تمتلىء خوفًا ورعدةً . ويضعف رجاؤك عند تاملك كثرة خطاياك . فهذه الام الحنونة تاتي اليك لتشجعك وتقويك . كما فعلت مع ادولفوس صاحب مقاطعة الساتسيا . الذي بعد ان كان هجر العالم وترهب تحت قانون القديس فرنسيس . كما يورد في تاريخ هذه الرهبنة . فقد اضحى كلي التعبد لوالدة الاله . فلما بلغ الى ايام حيوتهِ الاخيرة . وحضرت امام عينيهِ عقليًا جميع تصرفاته التي كان مارسها في العالم . وما عامل به الرعايا الذين كانوا خاضعين لهُ . ثم تامل صرامة ديونة الله العادلة . فبدأ يخاف كثيرًا من الموت . لارتيابه في امر خلاصهِ الابدي . فحينئذٍ مريم (التي لا تنام حين وجود عبيدها في الشدائد) قد جاءت اليهِ مرافقةً من عددٍ وافرٍ من القديسين . واخذت تشجعهُ قائلة لهُ هذه الكلمات المملوة عذوبةً هكذا „ يا ادولفوس العزيز لديَّ جدًا . انت هو خاصتي . وقد اُعطيتَ

لي . فالان لماذا تخاف بهذا المقدار من الموت " فوقتئذٍ عبد مريم المذكور عندما سمع منها هذا الالفاظ قد زال عنهُ كل خوفٍ واستوعب بهجة . وهكذا تنيح مسرورًا بسلامٍ *

فلنتشجّع نحن ايضًا ولئن كنا خطاة . ولنسلّم ذواتنا بهذا الرجا . وهو ان مريم عتيدة ان تاتي لمعونتنا في ساعة الموت لتعزينا بحضورها عندنا . هذا ان كنا نخدمها بامانةٍ ومحبةٍ في زمن حياتنا الباقية لنا على الارض * فملكتنا هذه اذ خاطبت يومًا ما القديسة ماتيلده . قد وعدت بانها تاتي في ساعة الموت عند جميع المتعبدين لها . الذين يكونون في زمن حياتهم خدموها بامانةٍ لكي تسعفهم وتعينهم . وهذه هي كلماتها « اني اريد بحسبما انا ام كلية الحنو والاشفاق . ان احضر بلا ريب في ساعة الموت عند جميع اولئك الذين يكونون في حياتهم خدموني بحسن عبادةٍ . لكي احامي عنهم واعزيهم " فيا لها من تعزيةٍ لا توصف تكون لنا في ذلك الوقت الاخير . الذي يداركنا فيه قيام الدعوى المعلّقة علينا الحكومة الابدية على انفسنا وهي : ان نشاهد عندنا ملكة السماوات مساعدةً لنا . ومشجعةً ايانا حسب وعدها لنا في ان تحامي عنا في تلك المحكمة الرهيبة * فما عدا النموذجات المتقدم ايرادها في شان مساعدة مريم عبيدها ساعة الموت . توجد مدوّنةً في كتبٍ كثيرة ومختلفة . اخبارٌ غير محصاة تحقق لنا ذلك وفيها بين الكثيرين قد فازت بهذه النعمة القديسة كيارة . والقديس فيليكوس الكبوشي . والطوباوية كيارة التي من جبل فالكو . والقديسة تريزيا . والقديس بطرس الكانتراوي . ولاجل زيادة تعزيتنا نشير الى غير هولاء ايضًا باختصارٍ * فيخبر الاب كراسات بان القديسة مريم اونياجانسه . قد رأت البتول الطوباوية واقفةً عند فراش امراة ارملةٍ مدنفة على الموت في مدينة فيلابرويي . التي كانت متعوبةً جداً من شدة الحمى الحاصلة لها . فمريم الكلية الحداسة كانت تعزيها وتخفف عنها سعير الحمى بواسطة مروحة * والقديس يوحنا دي ديو الذي كان جزيل التعبد لهذه السيدة . قد كان ينتظر حضورها اليه ساعة موته . واذ لم يرَ ذاتهُ حاصلاً على اتمام هذا الامل قد اعتراهُ الغم الشديد . وربما انهُ اخذ يشكو من ذلك . الا انهُ في الزمن المرسوم قد حضرت عندهُ هذه الام الكلية الطوبى . وكانها

ارادت ان توبخه' على ضعف رجائه. فقالت له' هذه الكلمات الجليلة التي ينبغي ان توعب قلوب جميع عبيد مريم شجاعةً وتعزيةً وهي „ انهُ' ليس من عادتي يا يوحنا ان اترك في ساعة الموت المتعبدين لي" وكانها كانت تقول له' „ بماذا كنت تفتكر يا يوحنا خاصتي. هل افلك ظننت اني تغافلت عنك. أَمَا تعلم اني لا اعرف ان اترك في ساعة الموت المتعبدين لي مهملةً اياهم. فانا ما اتيت اليك قبل هذا الوقت لانه' لم يكن بعدُ جاء الزمن. واما الآن فاذ حضرت الساعة. فهوذا اني جئت لاخذك. فهلمَّ معي لنذهب الى الفردوس السماوي" وبعد ذلك ببرهةٍ قد رقد القديس بالرب. وارتقت نفسه' الى النعيم الابدي لتشكر فضل ملكتها الكلية الحب. (وهذا جميعه هو مدوّن في مجموع البولانديستي بتاريخ اليوم الثامن من شهر اذار) ✡

✡ نموذج ✡

فالان نحن ننهي هذا الجزء بالنموذج الاتي ايضًا. الذي منهُ' يُفهم الى اي حدٍ من الحنو والرافة والشفقة تتصل هذه الام الصالحة نحو اولادها في ساعة موتهم (وهذا الخبر هو مُدونٌ في الراس ٣٨ من القسم ٣ من تاليف كريسوغونوس الملقب بالعالِم المريمي) وهو ان خوري احدى الكنائس ان كان حاضرًا عند احد الاغنيا وقد ادنف على الموت وكان هذا الغني قاطنًا في دار مزينة بامتعة ثمينة ومخدومًا من عدد وافر من العبيد والاقربا والمحبين. فنظر الشياطين محتاطين بالمسكن بصورة كلابٍ ينتظرون موت ذاك الغني. لياخذوا نفسه' الى الجحيم. كما قد تمَّ لانهُ' مات في حال الخطية. ففيما كان الخوري مقيمًا عنده حين منازعته قد دُعي لياخذ القربان الاقدس زوادةً اخيرةً الى امراة فقيرة من اهل خورنته مريضة. قد التمست ان ياتوها بالاسرار المقدسة قبل ان يدركها الموت. فالخوري لانه' لم يمكنه' ان يترك نفس ذاك الغني المحتاجة الى المساعدة القصوى. قد ارسل بدلاً منه' كاهنًا اخر لخدمة تلك الامراة. فالكاهن اخذ القربان المقدس من الكنيسة وانطلق الى بيت الامراة. التي حينما وصل الى مكان سكناها لم يرَ هناك لا عبيدًا يخدمونها. ولا اصدقا ومعزين. ولا امتعة ثمينة في

البيت . لان تلك الامراة الصالحة كانت فقيرةً وربما راقدة على قليلٍ من التبن . ولكنهُ شاهد الامر العجيب في الغاية . وهو ان البيت كان يلمع باشراق انوارٍ لا يُحدق بها . وبجانب مرقد الامراة كانت واقفة والدة الاله المثلثة القداسة تعزي المريضة . وبيدها لفافة رفيعة كانت تمسح بها عرق الموت عن تلك المنازعة . فالكاهن عند نظرة هذه السيدة امتلا هيبةً وتوقف عن الدخول الى المخدع الرافدة فيه المريضة . الّا ان البتول القديسة اشارت اليه بان يدخل . وهي نفسها قدمت لهُ الكرسي الذي كان هناك ليجلس عليه ويستمع اعتراف عبدتها المريضة . التي حينئذٍ قد اعترفت لديهِ وبعدهُ تناولت من يده القربان الاقدس بعبادةٍ كلية . واخيراً سلّمت نفسها بين يدي ام الرحمة متنيحةً بالرب ✿

✿ صلوة ✿

اواه ترى كيف عتيدةً ان تكون ميتتي انا الخاطئ التعيس يا امي الكلية الحلاوة . فانا عند تاملي في تلك الساعة التي فيها مزمعة ان تنفصل نفسي من جسدي . وتحضر في المحكمة الالهية . فمنذ هذا الوقت ارتعد خائفا واجزع مرتعشا . وارتاب مشككاً في امر خلاصي . لتذكري باني مراتٍ كثيرة قد سجلت انا بيدي حكومة الهلاك على نفسي . اي كل مرةٍ ارتكبت الخطية المميتة . الّا ان رجائي كلهُ مستندٌ على استحقاقات دم ابنكِ يسوع يا مريم الطوباوية . ومؤسس على اقتدار شفاعاتكِ . فانتِ هي ملكة السماء وسيدة العالمين . ويكفي القول انكِ والدة الاله . فاي نعم انكِ لعظيمة الجلال . ولكن عظمتكِ لا تبعدكِ عن الانعطاف والتنازل لملاحظة شقاوتنا وذلنا . الذي هو نفسهُ يجتذبكِ للحنو نحونا . فمحبو العالم عند ما يرتفعون الى مقامٍ عالٍ ويحصلون على مرتبةٍ شريفة . فيبتعدون متكرهين حتى من النظر ايضاً الى اصدقائهم الاولين الفقرا الحقيرين . غير ان قلبكِ الشريف المملو من الحب ليس هو كذلك . بل حيثما يشاهد الناس الاكثر مسكنةً . والاشد ذلاً . والاوفر احتياجاً . فهناك ينعطف اعظم انعطافاً لاسعافهم . فانتِ حالما تُستدعين منا . تسرعين الى اغاثتنا . بل بالاحرى تسبقين تضرعاتنا بايهابكِ ايانا ما نحتاج اليه . وتعزينا في حال

احزاننا. وتبددين عنا زوابع التجارب وعواصف المحن. وتصدمين عنا اعداءنا. وبالاجمال لا تهملين فرصةً ما من ان تسعي بها فيها يأول الى خيرنا. فلتكن مباركةً تلك اليد القادرة على كل شيء. التي جمعت في شخصك الجليل. مع سمو العظمة والرفعة شدة الانعطاف والحنو. ومع جلالة الرتبة والوظيفة حرارة الحب والعناية. فاذا اشكر الهي دائمًا على هذه المواهب. وافرح بها متهللاً مع ذاتي. لاني اضع في سعادتك سعادتي انا ايضاً. واحتسب شرفك وحسن حظك كانه خاص بي. فيا معزية الحزانى عزي حزينًا ملتجئًا اليك. فانا اشعر بالغم والحزن من قبل توبيخ ضميري المثقل بخطايا هكذا عديدة. التي لا اعلم ان كنت بكيت وندمت عليها. والاحظ ان اعمالي كلها مملوةٌ من الوحل والحماة ومن النقائص الشنيعة. وانظر ان قوات الجحيم هي منتظرة موتي لكي تشتكي عليّ في المحكمة الرهيبة. واتامل في كيف ان العدل الالهي المهان مني يريد حق الوفا عن الاهانات. فما عساه ان يحل بي يا امي. لانه ان كنت لا تسعفيني فلا شك في اني اهلك. فماذا تقولين الا تريدين ان تعينيني. فعزيني ايتها البتول الراوفة. واستمدي لي قوةً لان اصلح سيرتي. ولان اثبت امينا نحو الله في المدة الباقية من حياتي. وعند ساعة الموت لا تهمليني يا رجائي. بل اسعفيني حينئذٍ باوفر عنايةٍ. وشجعيني بالّا اقطع رجائي عند نظري كثرة خطاياي التي من اجلها يقاومني الشيطان في المحاسبة. ثم اغفري لي يا سيدتي جراءتي في التماسي منك ان تاتي اليّ وقتئذٍ انت بذاتك. لكي تعزيني بحضرتك. فانت منحت هذه النعمة لكثيرين. فاذاً انا ايضاً ارغبها ملتمساً اياها واذا كانت جسارتي بهذا الطلب هي باهظة. فجودتك وصلاحك يفوقانها عظمةً. لانك تفتشين على الاشد دناءة والاوفر ذلاً لتنعمي عليهم. ومن ثم انا واثقٌ بصلاحك. فليكن مجد افتخارك موبداً في انك خلصت نفساً من قعر الجحيم بعد ان كانت هلكت. واقتديتها الى مملكتك التي فيها ارجو ان اتعزى بوجودي دائمًا امام قدميك. لكي اشكرك واباركك واحبك الى الابد. يا مريم انا انتظرك. فلا تدعيني ان امضي خائبًا من هذه التعزية التي ارجو نوالها. فليكن فليكن امين ✿

الفصل الثالث

* فيما يلاحظ هذه الكلمات وهي *
* السلام عليكِ يا رجانا *

* وفيه جزءان *

الجزء الاول

* في ان مريم البتول هي رجاء الجميع *

ان الهراطقة المتاخرين لا يستطيعون ان يحتملوا منا ان نسلم على والدة الاله . بتسميتنا اياها رجانا . ويقولون ان الله وحدهُ هو رجاؤنا . وان من يضع رجاءهُ في الخليقة فهو ملعون من الله عينه على لسان ارميا النبي القائل „ ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان " (ص ١٧ ع ٥) فيصرخون بان مريم هي مخلوقةٌ . فكيف يمكن للخليقة ان تكون رجانا . هذا ما تقولهُ الهراطقة . ولكن مع ذلك فالكنيسة المقدسة تريد ان كلاً من الكنائسيين ومن الرهبان . ان يرفع صوتهُ نيابةً من الموءمنين كافةً ويستدعي مريم بهذا الاسم الحلو قائلاً „ السلام عليكِ يا رجانا اجمعين " *

فالقديس توما المعلم الملائكي يبين انهُ على نوعين يمكننا ان نضع رجانا في شخصٍ ما امَّا بحسب كونه علة اصلية او بحسب كونه علة الواسطة . فاولئك الذين يرجون من الملك نعمةً ما فيرجونها منهُ بحسبما هو سيدٌ مطلقٌ . ثم يرجونها من احد وزرائهِ او من احد المحبوبين لديه . بحسبما هو شفيعٌ ووسيطٌ عند الملك في نوالهِ اياها لهم . فاذا مُنحت تلك النعمة . فتكون مُنحت من الملك بحسبما هو علةٌ اصليةٌ ولكنها انما تتصل الى المُنعم عليهم بها بواسطة الشخص المقبول لديه . ومن ثَمَّ ليس من دون حجةٍ . ذاك الذي

يطلب النعمة يسمّي الرجل المتوسط والمتشفع في نوالها رجاءه * فالملك السماوي الذي هو الجودة المحضة الغير المتناهية. يرغب جداً ان يغنينا بانعامه. ولكن من حيث انهُ من قبلنا امرٌ ضروري ان يوجد فينا الرجا وحسن الاتكال. فلكي ينمي عزّ وجلّ فينا هذا الامل والثقة. قد اعطانا والدتهُ عينها اماً وشفيعةً ووسيطةً. مانحاً اياها كل الاستطاعة في ان تسعفنا وتعيننا. ولهذا يريد تعالى ان نضع فيها وعليها رجا خلاصنا الابدي وامل كل خيرنا. اما اولئك الذين يضعون رجاهم في المخلوقات فقط. من دون ان يكون هذا الرجا متعلقاً بالله وراجعاً اليه. كما يفعل الخطاة الذين لكي يكتسبوا الصداقة والخير لذواتهم من انسانٍ ما فيرتضون بان يغيظوا الله. فهولاء هم بالحقيقة ملعونون من الله. كما يقول ارميا النبي. واما اولئك الذين يرجون مريم واضعين فيها رجاهم بحسب كونها والدة الاله. المقتدرة على ان تستمد لهم منهُ جلّ صلاحه النعم والحيوة الابدية. فهولاء هم مباركون. وبذلك يسرّون قلب الله. الذي يريد ان يشاهد بهذا المقدار مكرمةً من خليقته. تلك المخلوقة التي احبتهُ في هذا العالم اكثر من جميع البشر والملئكة ايضاً *

فمن ثمَّ نحن بكل صوابٍ وعدلٍ نسمّي هذي البتول القديسة رجانا. اذ نرجو ان ننال بواسطة شفاعاتها. ذاك الشيء الذي لا يمكننا ان ننالهُ بمجرد صلواتنا (كما قال الكردينال بالارمينوس) ثم يقول القديس انسلموس „ اننا انما نتوسل الى العذرا حتى ان علو مقام هذه المتشفعة بنا يكمّل نقصنا ويسد عن دناءتنا وعدم استحقاقنا. وان تقديم تضرعاتنا للبتول القديسة برجائنا فيها ليس هو قطع الرجا من رحمة الله. بل هو خوفٌ من نقص استعدادنا وتاهبنا ” *

فاذاً ليس من دون حجةٍ راهنة. تخصص الكنيسة المقدسة بوالدة الاله تلك الكلمات المدونة في حكمة ابن سيراخ وهي „ انا هي ام الرجا المقدس” (ص ٢٤ ع ٢٤) وانما ندعوها بهذا اللقب. لانها تجعل فينا الرجا. ولكن لا الرجا في خيرات هذه الارض الفاسدة العابرة. بل الرجا المقدس في خيرات الحيوة الابدية. اي الخيرات المغبوطة العديمة الفناء والفايقة الادراك * فالقديس افرام السرياني (في مديحه على البتول المجيدة) يحيّي هذه الام

المباركة هكذا قائلاً „ السلام عليكِ يا رجا نفسي. يا خلاص المسيحيين الاكيد. يا غيث الخطاة ومعونتهم. يا حماية المومنين وملجاهم. يا خلاص العالم " والقديس بسيليوس الكبير ينبهنا على انهُ بعد الله لم يكن يوجد لنا رجاء ما في احدٍ. الّا في مريم العذرا. ولذلك كان يدعوها هكذا „ يا رجانا الوحيد بعد الله " والقديس افرام في المكان المذكور انفاً. بعد ان يتامل في ترتيب العناية الالهية الحاضر. الذي به رسم الله (كما يقول القديس برنردوس. وحسبما نحن مزمعون ان نبين ذلك في محله) ان كل اولئك الذين يفوزون بالخلاص. فيحصلون عليه بواسطة مريم البتول. يهتف نحوها هكذا مخاطبًا „ اينها السيدة لا تهملي ان تحفظينا. وان تضعينا تحت ذيل حمايتك. لانهُ بعد الله ليس لنا رجاء اخر آلاك " وهذا عينهُ يقولهُ القديس توما الفيلانوفي مسميًا اياها „ ملجانا الوحيد. وعوننا الفريد. وحمايتنا وحصننا الوطيد " ☆

ويبان ان القديس برنردوس يشير عن العلة في ذلك بقوله „ تامل يا انسان الرسم الالهي الذي قد صنعهُ الله ليوزع علينا بواسطتهِ رحمتهُ باكثر سخاء وباوفر طلاقةٍ. لانه اذ اراد ان يفدي الجنس البشري. فقد وضع قيمة الفدا كلها في يد مريم لكي توزعهُ هي حسبما تشاء وتحب " ☆

فالباري تعالى قد امر نبيهُ موسى بان يصنع المُغتفر كلهُ من ذهبٍ نقي. مبيناً لهُ انهُ من فوق المُغتفر كان مزمعًا ان يخاطبهُ. كما هو مدون في سفر الخروج (ص ٢٥ ع ١٧ ع ٢٢) هكذا „ وتصنع موضع الغفران من ذهبٍ نقي — ومن هناك انا اوصيك واكلمك من فوق الغشا " فيقول احد العلما (وهو باجيوكالي) „ ان هذا المُغتفَر هو مريم الطوباوية. التي بواسطتها يكلم الله البشر. ومن هناك يهبنا الغفران والنعم والعطايا " ولذلك يقول القديس ايريناوس (في الراس ٣٣ من الكتاب ٣ ضد فالنتينانوس) „ ان الكلمة الالهي قبل ان يتجسد في احشاء مريم. قد ارسل اليها رئيس الملئكة جبرائيل. لكي يطلب رضاها بذلك. لانهُ اراد ان من مريم يبلغ الى العالم سر التجسد " ومن ثمّ يقول ايديوطا ان الخيرات كلها. والمعونات باسرها. والنعم كافةً. التي اقتبلها من الله البشريون فيما مضى. والعتيدون ان يقتبلوها الى حين نهاية العالم. فهذه كلها قد اتصلت وتتصل اليهم

بواسطة شفاعات مريم" فاذاً ليس من دون حجة راهنة يهتف بلوسيوس المتعبد لها صارخاً „ ترى مَن هو ذاك الاحمق والتعيس معًا الذي لا يحبك يا مريم. انتِ التي هي بهذا المقدار موضوع** شهي للمحبة. وحسنة المكافاة لمحبيك. فانتِ في حال الشك والارتياب والقلق. تنيرين عقول اولئك الذين يلتجئون اليكِ حين شدائدهم. وتعزين الحزانى الذين يتكلون عليكِ عند وجودهم في الاخطار. وتسعفين كل من يدعوكِ مستغيثاً بكِ. فانتِ هي بعد ابنكِ الالهي خلاص عبيدكِ الامنا الاكيد. فالسلام عليكِ اذاً يا رجا المؤيسين. ويا معونة المهملين. انكِ لقادرةٌ على كل ما تشائين يا مريم. لان ابنكِ يريد ان يكرمكِ بصنيعه حالاً كل ما تريدينه منهُ" ☆

والقديس جرمانوس لمعرفته ان مريم هي بمنزلة ينبوع لكل خيرٍ. وعلة للنجاة من كل شرٍ. فيستدعيها لمعونته قائلاً هكذا „ يا سيدتي انكِ انتِ هي السند الوحيد المُعطي لي من الله. وانتِ قيادي ورشدي في مدة غربتي هذه. وانتِ قوةٌ لضعفي. وغنى عظيم لفقري ومسكنتي. ونجاةٌ لي من قيودي. وانتِ هي رجا خلاصي. فاتضرع اليكِ بان تستجيبي طلباتي. وبان تشفقي على تنهداتي. اذ انكِ انتِ هي ملكتي وملجاي وحياتي. ومعونتي ورجائي وحمايتي وحصني" ☆

ثم بالصواب اذاً يخصص القديس انطونينوس بهذه السيدة. الكلمات المدونة في سفر الحكمة وهي „ قد جاءتني الخيرات كلها معها" (ص ٧ ع ١١) بقوله „ فمن حيث ان مريم هي والدة الاله وموزعة كل الخيرات. فيمكن حسناً ان يقول العالم. وبنوعٍ خصوصي اولئك الذين في العالم يحيون متعبدين لهذه الملكة. انهم جملةً مع العبادة لها قد فازوا بالخيرات كلها" ومن ثمَّ يقول الانبا جالانسه قولاً مطلقًا „ان من يصادف مريم فيصادف كل الخيرات والنعم والفضائل" لانها تستمد هي لهُ بواسطة شفاعاتها المقتدرة. كل شيء يحتاج اليه لان يصير غنياً بالنعمة الالهية. فهي توضح لنا انها حاويةٌ عندها خزائن غنى الله والرحمة الالهية. لكي توزعها في مساعدة محبيها „ فعندي الغنى والمجد واقتنا العظمة والعدل — لكيما اغني الذين يحبونني" (امثال ص ٨ ع ١٨ ع ٢١) ولهذا كان يقول القديس

بوناونتورا „ انهُ يلزمنا جميعًا ان نرفع اعيننا دائمًا الى يدي مريم. لكي نقتبل بواسطتها ذاك الخير الذي نبتغيه" ✡

فكم وكم من المتكبرين قد اقتنوا بواسطة عبادتهم لمريم فضيلة التواضع. والغضوبون الحلم. والعميان النظر. والمؤيسون الرجا. والهالكون الخلاص. وهذا هو بالحصر الامر الذي سبقت هذه البتول الطوباوية. وقالتهُ هي نفسها في بيت نسيبتها القديسة اليصابات. حينما تلفظت بتلك التسبحة الجليلة قائلةً „ فها منذ الان يعطيني الطوبى سائر الاجيال" (لوقا ص ١ ع ٤٨) فهذه الكلمات اذ كررها القديس برنردوس في عظته الثانية على عيد العنصرة قد قال „هوذا ان الشعوب كلهم يدعونكِ طوباويةً. لانكِ اعطيتِ الشعوب كافةً الحيوة والمجد. لان الخطاة بكِ يصادفون الغفران. والصديقين بكِ يجدون الثبات في حال نعمة الله" ومن ثمَّ يقول الرجل العابد لانسبارجيوس. مصوراً كانَّ الرب يخاطب البشر هكذا „ ايها الناس المساكين اولاد ادم العائشون فيها بين اعداء كثيرين. والمحاطون من كل ناحيةٍ بالشدائد والاحزان. اجتهدوا في ان تكرموا بعبادةٍ خصوصيةٍ. وبمحبةٍ متقدةٍ والدتي واعكم. لاني انا قد منحت العالم هذه الامِ نموذجاً. لكي تتعلموا منها ان تعيشوا كما يجب عليكم. واعطيتكموها ملجأً. لكي تسرعوا اليها مستغيثين بها في احزانكم. فانا خلقت هذي الابنة بالصفات الحاصلة هي عليها. بنوع انهُ لا يوجد احدٌ يخاف من ان يتقدم اليها. او انهُ يمسك ذاتهُ عن الاستغاثة بها. ولذلك قد كونتها بخلقةٍ ذات اشفاق وتعطف ورحمة بهذا المقدار من الكمال. حتى انها لا تعرف ان ترفض احدًا او تنفر منهُ ام تتغاضى عنهُ من الملتجئين اليها. ولم تعلم ان تنكر احسانها على احدٍ مطلقًا من الطالبين معونتها. فهي دائمًا توجد باسطةً رداء رحمتها. ولا تسمح بان يمضي احدٌ من امامها غير متعزٍ" فليكن اذًا على الدوام مباركًا صلاح الهنا الغير المتناهي. على ايهابه ايانا هذه الام الالهية والمحامية الشفوقة الكلية الحب ✡

ثم ان القديس بوناونتورا المُغرم بشدة الحب ليسوع المسيح ولوالدته المجيدة يقول هكذا „ انهُ ولو ان الرب قد رذلني. فانا اعلم انهُ لا يمكنهُ ان يرفض مَن يحبهُ ومَن يطلبهُ من كل قلبه. فانا امسكهُ بحبي اياهُ ولا

اطلقهُ ان لم يباركني . وهو لا يبتعد عني ان لم اسبق وابتعد عنه بسوء افعالي . فاذا لم اقدر ان افعل شيئًا اخر. فقلما يكون اختفي في جراحاته . واذ اكون هناك. فهو لا يستطيع ان يراني خارجاً عن ذاته" واخيراً يضيف الى ذلك هذا القول „ فان كان مخلصي يطردني من امام قدميه بسبب خطاياي . فحينئذٍ انا انطرح على قدمي والدته مريم . وهناك استمر جاثيًا من دون ان افارقها . ان لم تستمد هي لي الغفران . لان ام الرحمة هذه لا تعرف . بل وقط لم تعلم ان لا تشفق على المساكين البائسين . او لا تعضد المستغيثين بها المضنوكين المستمدين منها الاعانة . ولهذا اذا لم يكن من قبل الالتزام . فقلما يكون من قبل الشفقة تجتذب ابنها لان يهبني الغفران " ✿

فلنختتم اذًا الايراد مع العلّامة افتيميوس قائلين „ انظري الينا بعينيكِ الشائقتين يا امنا الكلية الرافة . لاننا نحن عبيدكِ . وفيكِ قد وطدنا رجانا باسره " ✿

✿ نموذج ✿

انهُ يُخبر في التاليف الملقب „ بكنز الوردية " عن رجل ما شريف الحسب والوظيفة بانه قد كان كلي التعبد لهذه الام الالهية . ومن ثمَّ كان شيّد داخل داره الواسعة كنيسةً صغيرةً . وهناك كان من عادته ان ينفرد مصليًا امام ايقونة والدة الاله المصورة فيها ببراعةٍ . ولم يكن يمارس هذه الصلوات نهاراً فقط بل في الليل ايضاً . معدماً ذاته لذة النوم ساعاتٍ بجملتها ليكرم سيدتهُ المحبوبة منهُ * فامراة هذا الرجل الشريف . مع انها هي ايضاً كانت من النسا الاكابر الحسنات الديانة . قد دخل عندها الشك وروح الغيرة . عند ما كانت تلاحظ رجلها هذا ينهض من فراشه في الساعة الاكثر هدواً من زمن الليل . ويخرج من مكان رقاده الى خارجٍ ولا يرجع الاَّ بعد زمنٍ ليس بقليل . فلما ازداد يومًا فيومًا الارتياب في عقل هذه المسكينة . قد فكرت لمجاة قلبها من هذي الشوكة ان تسال قرينها هذا بجراءةٍ . ان كان يوجد في قلبه حبٌّ ما لامراة اخرى غيرها . فالرجل الجليل اجابها متبسمًا بقوله „ اعلمي انني احب امراةً سيدةً لا يوجد

في العالم مثلها موضوعٌ شهيٌ للحب الشديد . وقد وهبتها قلبي بجملته . ولقد يمكنني ان اموت بالاحرى قبل ان انتزح عن حبي اياها . ولو انك تعرفينها . لقلتِ لي انتِ نفسكِ ان احبها بابلغ نوع ممّا هي الان محبوبةٌ مني " وانما كان يشير بذلك جميعهِ عن البتول الكلية القداسة . التي حقًا كان هو يحبها بهذا المقدار . غير ان امراتهُ عند سماعها منهُ هذا القول . قد توطد ارتيابها السابق بزيادةٍ ولكنها لكي تتحقق الامر افضل تحقيقًا . قد سالتهُ ايضًا . ان كان سبب قيامهِ من فراشهِ ليلًا . وخروجه الى برّا انمّا هو لكي يمضي عند هذه الامراة . فالرجل الذي لم يكن يعلم روح الغيرة والشك الكائن في قلب امراته قد اجابها . اي نعم ان الامر هو كذلك * فترى ماذا صنعت هذي الامرأة التي عُمي عقلها بتصديق ارتيابها الكاذب . انها ليلةً ما عند ما نهض رجلها حسب عادتهِ من فراشهِ . وذهب خارجًا الى المعبد السابق ذكرهُ . فهي من زيادة الغم اخذت السكين كمقطوعة الرجا . وجزت بها عنقها ذابحةً ذاتها حيث بعد برهةٍ ماتت . امّا الرجل فعند نهاية صلواتهِ قد رجع الى مرقده . ولكنهُ شعر بالفراش كانّه مبلل بمياه غزيرة . فصرخ الى امراته باسمها . واذْ لم تردّ عليه جوابًا . اوقد المصباح وحضر اليها . واذا هي مذبوحةٌ . والمرقد عائمٌ بالدم . فحينئذٍ فكر بالصواب انها ذبحت نفسها بروح الغيرة مويسةً . فما الذي فعلهُ هو حينئذٍ . انهُ اغلق باب الحجرة على امراته . ورجع الى المعبد حيث جثا امام ايقونة والدة الاله الكلية القداسة . وابتدأ يقول لها هكذا بدموعٍ منحدرةٍ من عينيهِ „ أنظرتِ يا امي في اية حالٍ من الحزن انا كائنٌ . فان كنتِ لا تعزيني انتِ فالى مَن التجىء لافوز بالتعزية منهُ . فافتكري بانهُ لاجل مجيئي الى ههنا لكي اكرمكِ . قد احاقت بي هذه المصيبة العظمى . وهي ان اشاهد قرينتي مذبوحةً وهالكةً ايضًا . فانتِ قادرةٌ يا امي على مداواة الامر " فحقًا ان مَن يتضرع الى ام الرحمة هذه بحسن الرجا . فينال كل ما يبتغيه . لان هذا الرجل الشريف عند ما انهى صلاتهُ المقدم ايرادها . سمع صوت واحدةٍ من جواريه تقول لهُ „ يا سيدي ارجع الى حجرتك . لان سيدتي امراتك تدعوك اليها " فالرجل خرج من المعبد حالًا . ولكنهُ من زيادة الفرح لم يصدّق ما

قيل لهُ. بل لاجل الامتحان طلب من الجارية ان تذهب ثانيةً الى الحجرة. لترى ان كانت حقًّا سيدتها تريد رجوعهُ الى هناك. فالجارية مضت وعادت اليهِ مؤكدةً لهُ ان زوجتهُ طلبت ذهابهُ اليها عاجلًا لانها منتظرتهُ بشوقٍ. فانطلق حينئذٍ هو بثقةٍ وفتح باب المخدع فرأى امرأتهُ حيةً. وحينئذٍ قد انطرحت على قدميهِ باكيةً ومتوسلةً اليهِ بان يغفر لها قائلةً لهُ „اواه يا قريني العزيز. ان والدة الاله لاجل تضرعاتك لديها من اجلي قد خلصتني من جهنم. وهكذا كلاهما معًا مضيا الى المعبد بدموعٍ غزيرةٍ من شدة الفرح. ليقدما الشكر الواجب للبتول الكلية الاقتدار. ثم ان الرجل في اليوم المقبل صنع وليمةً لجميع الاقربا والانسبا وامر امرأتهُ ان تخبرهم بالحادث كما تمَّ. وهي شرحت لهم حقائقهُ وارتهم في عنقها علامة الجرح. الذي ما زال اثره موجودًا لتأكيد الاعجوبة. ومن ثم قد ازدادت في الجميع حرارة العبادة والحب نحو هذه السيدة والام الالهية ❀

❀ صلوةٌ ❀

يا ام الحب المقدس. يا حياتنا وملجأنا. انكِ تعلمين ان ابنكِ يسوع. اذ لم يكتفِ بان يقيم ذاتهُ شفيعًا ابديًا من اجلنا لدى ابيهِ الازلي. قد اراد انكِ انتِ ايضًا تهتمين في ان تستمدي لنا منهُ الرحمة الالهية. فهو قد رسم ورتب ان صلواتكِ وتضرعاتكِ تفيدنا للخلاص. وقد منح توسلاتكِ قوةً عظيمةً لان تنال كل ما تطلبينهُ. فاذًا انا الخاطىء المسكين اليكِ التجىء يا رجا المؤيسين. وهكذا ارجو يا سيدتي ان انال الخلاص باستحقاقات ابنكِ يسوع المسيح. وبقوة شفاعاتكِ. فهذا هو رجائي. وانا واثقٌ بهِ ومتكل عليكِ بهذا المقدار بامانة. حتى ان خلاصي لو كان الان هو في يدي لكنت اسلمكِ اياه. لاني اعتمد على مفعول رحمتكِ وحمايتكِ افضل من اعتمادي على اعمالي كلها. فلا تهمليني يا امي ورجائي كما استحق. بل لاحظي شقاوتي وانعطفي مشفقةً عليَّ باعانتكِ اياي لكي انال الخلاص. فانا اعترف باني مراتٍ كثيرة قد اغلقت باب قلبي ضد الانوار السماوية. وضد المعونات الالهية التي قد استمديتيها لي من الرب. ولكن اشفاقكِ نحو البائسين. وقوة شفاعتكِ لدى الله تفوق عدد خطاياي كلها.

وتسمو على شرها وخباثتها . فامرٌ معلومٌ هو عند اهل السما والارض . ان من تحامي انتِ عنهُ لا يمكن ان يهلك . فليهملني اذاً الجميع وينسوني . بحيثُ انكِ لا تهمليني انتِ يا والدة الاله المقتدرة على كل شيء . قولي لله انني انا عبدكِ . وانكِ محامية عني وهذا يكفيني لان افوز بالخلاص . فانا اتكل عليكِ يا مريم رجائي . وفي هذا الرجا اعيش وبه اريد ان اموت كما اومل . ومن ثمَّ لا اكف اصلاً من ان اقول . ان يسوع هو رجائي الوحيد . وبعد يسوع رجائي الوحيد هو في مريم البتول ☆

الجزء الثاني

☆ في ان مريم العذرا هي رجا الخطاة ☆

ان الله بعد ان خلق الارض قد ابدع نيّرين ليضئا عليها . كما هو مُدوَّن في سفر التكوين „ان الله صنع نيّرين عظيمين . فالنيّر الاكبر لسلطان النهار . والنيّر الاصغر لسلطان الليل" (ص ١ ع ١٦) اي الشمس والقمر . فيقول الكردينال اوغون في تفسيره هذا الاصحاح „ان الشمس هي رسمٌ ليسوع المسيح الذي تتمتع الابرار بنوره اذ يحيون في نهار النعمة الالهية . واما القمر فهو رسمٌ لمريم البتول التي بواسطتها يستنير الخطاة العائشون في ليل المأثم" فمن حيث اذاً ان مريم هي هذا القمر السعيد المفيد للخطاة الاذلاء . فاذا اتفق لاحدهم . كما يقول البابا اينوشانسيوس الثالث (في عظته على نياح البتولة) „ان يوجد ساقطاً في ليل الخطية . ترى ماذا يصنع بعد ان يكون فقد نور الشمس بفقدانه النعمة الالهية . فليلتجيء الى نور القمر . اي فليتوسل الى مريم وهي تنيرهُ ليعرف شقاوة حاله . وتهبه قوةً لان يخرج سرعةً من طريق الاثم" ويقول القديس متوديوس „انهُ بواسطة صلوات مريم الطوباوية يرجع الى الله بالتوبة على الدوام عددٌ غير مُحصى من الخطاة" ☆

فاحدى الصفات التي الكنيسة المقدسة تشجعنا على الالتجاء لهذه الام الالهية وتقوي الاثمة البائسين بابلغ نوعٍ على الرجوع الى التوبة . هي هذه الصفة او التسمية اي „ملجا الخطاة" التي بها تستدعيها هي بالطلبات .

فبموجب رسوم العهد العتيق قد كانت في بلاد اليهودية مدينةٌ تُسمَّى الملجا. حيث كان المذنبون يفرون اليها هاربين من الامكنة التي فيها ارتكبوا الذنب. فكانوا ينجون بدخولهم اليها من القصاصات المرسومة ضد ذُنوبهم. امَّا في الزمن الحاضر فلم تعد توجد مدن الملجا كما كانت سابقًا. ولكن عندنا واحدة فقط. وهي مدينة الله مريم التي يشير اليها النبي والملك داود هاتفًا „قد قيلت فيكِ المجدات يا مدينة الله" (مزمور ٨٦ ع ٣) الَّا انهُ يوجد هذا الفرق فما بين مدن الملجا القديمة وبين هذه المدينة. وهو انهُ في تلك لم تكن الخطاة كافةً ولا المذنبون بكل انواع المآثم يجدون الحماية وحق الملجأ وامَّا في هذه المدينة. اي تحت كنف حماية مريم العذراء فبالخلاف تجد الخطاة اجمعون. والمذنبون بانواع الفواحش والسيئات كافةً. ملجأً اميناً وحصنًا منيعاً. متى هربوا محتمين بها. كما يسميها القديس يوحنا الدمشقي (في ميمره الثاني على نياحها) متكلماً عن لسانها بقوله „اني انا هي مدينة الملجا لجميع اولئك الذين ياتون اليَّ من دون استثناء" ☆

فيكفى للهارب ان يبلغ الى هذا الملجأ لان ذاك الذي يكون حصل على الحظ السعيد بان يدخل ضمن هذه المدينة. لا يعود محتاجاً للتكلم عن شيء لكي يفوز بالخلاص. حسبما يقول ارميا النبي (ص ٨ ع ١٤) „ لماذا نجلس. اجتمعوا وندخل القرية الحصينة ونسكت هناك" فيفسر هذا النص الطوباوي البارتوس الكبير قائلاً „ان هذه القرية الحصينة هي مريم البتول المحصنة بالنعمة والمجد" وكذلك يقال في التفسير الملقب غلوسا عن لفظة „ونسكت هناك" اننا لاجل كثرة خطايانا اذ ليس عندنا جراءةٌ ولا لنا دالةٌ لان نطلب من الرب الغفران. فيكفينا ان ندخل هذه المدينة الحصينة. ونسكت هناك. لان مريم حينئذٍ تتكلم هي وتتوسل من اجلنا" ولذلك يحرّض الخطاة كافةً احد العلما (وهو بناديكتوس فارناندس) على ان يهربوا ملتجئين تحت كنف حماية مريم قائلًا „اهرب يا ادم ويا حوا ويا جميع اولادهما كلكم. الذين قد اغظتم الله. اهربوا وفوزوا بالنجاة. بالتجائيكم الى حماية هذه الام الصالحة" وهكذا القديس اوغوسطينوس يقول „ألَا تعلمون ان مريم هي مدينة الملجا الوحيدة. وملاذ الخطاة الفريد" ☆

فمن ثمَّ يهتف القديس افرام السرياني (في مديحه البتول) قائلاً „انتِ هي الحامية الوحيدة عن الخطاة . والمناضلة الوحيدة عن اولئك الذين لا معينَ لهم. فالسلام عليكِ يا ملجا الخطاة وسندهم وماواهم. الذي فيه وحدهُ يمكنهم ان يجدوا الحماية والمهرب الامين” وهذا هو ما يتامل به احد الكتبة بان الملك والنبي داود قصد ان يشير اليه بهذه الكلمات وهي „لانهُ يخفيني في مظلته في يوم السوء ويسترني في ستر خيمته” (مزمور ٢٦ ع ٥) فيقول ان الرب يخفيني في مظلته. فترى مَن هي مظلة الله الاَّ مريم البتول حسبما يدعوها القديس جرمانوس بقوله „ان مريم هي المظلة المصنوعة من الله التي لم يدخل اليها الاَّ العلي وحدهُ. لكي يكمّل فيها عمل الخلاص السري بافتداء الجنس البشري” وفي هذا الشان قال معلم الكنيسة العظيم القديس باسيليوس „ان الله قد اعطانا مريم العذرا بمنزلة مستشفى عمومي مشاع حيث يمكن لجميع المرضى والمسقومين الذين هم فقرا وعادمون كل المعونات ان يجدوا فيه ماواهم وراحتهم” فالان انا اسال مستفهمًا. بانهُ اذ كانت البيمارستانات انما تشيدت لتُقبل فيها المساكين. فمَن هم اولئك الذين لهم حق اكثر ممَّن سواهم على ان يُقبلوا فيها الاَّ اولئك الاكثر فقرًا والاجزل احتياجًا والاوفر سقمًا والاشد مرضًا ✿

فمن ثمَّ ان مَن يوجد في ابلغ شقاوةٍ. لاجل انهُ يكون اشد فقراً من الاستحقاقات. والمُثقَّل بامراض النفس الاكثر خطرًا وهذا انما يكون من مصاف الخطاة. فيبان انهُ يمكن لهُ ان يقول نحو مريم „يا سيدتي انتِ هي البيمارستان وملجأ المرضى المساكين. فلا تطرديني اذًا في الوقت الذي انا فيه لاجل اني اكثر فقرًا من الاخرين واشد سقمًا منهم فيوجد لي الحق بابلغ نوع وباكثر صراحة من البقية على ان اُقبل في هذا البيمارستان” فلنقل اذًا مع ما قالهُ القديس توما الفيلانوفي „يا مريم اننا نحن الخطاة الاذلا البائسين لا نعرف. ولا يمكننا ان نجد ملجأً اخر سواكِ. انتِ هي رجاؤنا الوحيد الذي فيه نضع امر خلاصنا الابدي. لانكِ انتِ هي المحامية الوحيدة عنا لدى يسوع المسيح. واليكِ نهرب كلنا مستغيثين بكِ” ✿

ففي احد الاوحية التي حصلت عليها القديسة بريجيتا تسمى مريم „النجم المتقدم امام الشمس” وهذا يرشدنا لكي نفهم انهُ حينما توجد في

نفس احدٍ من الخطاة علامات ظاهرةٍ تدل على ان ذلك الانسان هو متعبد لهذه الام الالهية . فهذا هو دليلٌ اكيدٌ على انهُ بعد قليلٍ من الزمن تصير تلك النفس غنيةً من النعمة الالهية * اما القديس بوناونتورا المجيد فلكي ينعش في قلوب الخطاة الرجا في حماية مريم . يصور لنا بحراً ما مختبطاً هائجاً بعواصف شديدةٍ . حيث يوجد الخطاة الذين سقطوا فيه من سفينة النعمة الالهية وغرقوا فيما بين تموج قلق الفكر . واختباط الارادة . وعواصف توبيخ الضمير . وبين انزعاج الخوف من دينونة العدل الالهي . تائهين من دون قائدٍ . وخلواً من نورٍ يرشدهم حاصلين على اواخر انفاس الرجا وعلى قرب الابادة باليأس . فعلى هذه الصورة يبان ان القديس المذكور اذ يشاء ان يخاطب الخطاة كيف ان مريم هي نجمة البحر . كما يدعوها الجميع بهذه الصفة . حينئذٍ يعلي صوتهُ صارخاً نحوهم هكذا „ ايها الخطاة المساكين المنزعجون الحاصلون في الابادة . لا تاْيسوا ولا يضعف رجاؤكم . بل ارفعوا عيونكم الى هذه النجمة البهية الجميلة . واهجعوا من اختباطكم مستنشقين النسمة واطمأنوا بثقةٍ . لان هذه النجمة تصيّركم ان تخرجوا من الغرق وتبلغكم الى مينا الخلاص " *

وبهذا الروح نفسه القديس برنردوس يخاطب الخاطىء قائلاً له „ فان كنت لا تريد ان تهلك غارقاً في العاصفة . فاتجه نحو النجمة وادعُ الى معونتك مريم " لانها (كما يقول العابد بلوسيوس) „ هي السند الوحيد والدوا الشافي لخلاص اولئك الذين سقطوا في حال اغاظة الله بالخطية . وهي ملجا جميع المجربين والصابين " فامُ الرحمة هذه هي محسنة عذبة لطيفة راوفة بكليتها ليس نحو الصديقين فقط . بل نحو الخطاة المؤيسين ايضاً . ولذلك انها حينما ترى هولا يقصدون معونتها بالتجائهم اليها . وتلاحظ انهم حقاً يصنعون هذا قلبياً . فحالاً تساعدهم وتعينهم وتستمد لهم من ابنها الغفران . ومن عادتها الاَّ ترذل احداً . ولا تتغاضى عن مطلوبه ولو مهما كان هو عديم الاستحقاق . ولذلك لا تنكر على احدٍ مطلقاً حمايتها وعنايتها . بل تعزي الجميع . ويكفي مراتٍ كثيرة انها اذ تُستدعى ويستغاث بها فتكمل حالاً مرغوب من يقصدها . وبواسطة عذوبتها تجتذب الخطاة الى التعبد لها . وتيقظهم من رقاد الخطية . ولو كانوا من اولئك المعدومة منهم محبة الله

والمتمرغين في حماة الرذائل. وهكذا بواسطة افعال التعبد لها يتاهبون لان يقتبلوا النعمة الالهية. واخيراً يصيرون اهلاً لنوال المجد الابدي * على ان الله قدْ كوّن ابنتهُ هذي المحبوبة منهُ تكويناً مملواً من الرافة والعذوبة والرفق والحلم. بنوع انهُ لا يوجد احدٌ يمكنهُ ان يرتاب في انها تقبلهُ متى التجأ اليها لانها لا تعرف ان ترد احداً. خائباً من مفاعيل شفاعاتها من اجله. ثم ينهي ايرادهُ الكاتب العابد المقدم ذكرهُ بقوله اخيراً „ انهُ ليس من الممكن ان يمضي هالكاً من يمارس باتضاعٍ واهتمامٍ. واجبات العبادة لهذه الام الالهية *

ثم ان هذه السيدة قد سُمّيت في سفر حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ١٩) بشجرة الدلب. لانهُ كما ان شجرة الدلب تعطي ظلاً رحباً لالتجاء للمسافرين من حرارة الشمس. فهكذا مريم عند ما تشاهد نار غضب العدل الالهي متقدةً ضد الخطاة. فتدعوهم لان يستظلوا في ظل حماية شفاعاتها * فالقديس بوناونتورا يتامل في كيف ان النبي اشعيا كان يتشكى في ازمنته قائلاً „ ها انك غضبت يارب اذ اخطأنا — وليس من يدعو باسمك او ينتبه ليعتصم بك" (ص ٦٤ ع ٥ و ٧) اي انك انت يارب مغتاظٌ بكل عدلٍ وحقٍ من الخطاة. ولا يوجد من يمكنهُ ان يسترضيك عنا. فبكل صوابٍ قال النبي هذه الكلمات من حيث انهُ في ذلك الوقت لم تكن بعدُ جاءت مريم الى العالم. واما الان فاذا كان الباري تعالى مغتاظاً ضد احد الخطاة. ومريم شرعت تستعطفهُ محاميةً عن ذاك الخاطىء فلا ريب في انها تهدي غضب ابنها الالهي عن ان يعاقبهُ وهكذا تخلصهُ. بل الابلغ من ذلك (يتابع القديس بوناونتورا كلامهُ بكلامه) هو انهُ „ لا يمكن ان يوجد احدٌ اكثر استطاعةً من مريم على المحاماة عنا. حتى انها تمد يدها وتمسك سيف العدل الالهي مانعةً اياه عن ان ينقضّ فوق عنق الخاطىء" ثم انهُ حسب الفاظ هذا القديس يقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس „ ان الله قبل ميلاد مريم البتول في العالم كان يشكو من انهُ لم يكن يوجد وقتئذٍ مَن كان يهدّي غضبهُ عن ان ينتقم من الخطاة". كما يقول تعالى على لسان حزقيال النبي (ص ٢٢ ع ٣٠) „ اني قد طلبت من بينهم رجلاً يبني جداراً ويقاومني عن

الارض لئلا اخربها فلم اجد » الاَّ انهُ بعد ان جاءَت مريم الى الدنيا، فهي تستعطفهُ جلَّ صلاحه وتهدي غضبهُ بواسطتها ✿

فلهذا القديس باسيليوس الكبير يشجّع الخطاة (في خطبته علىْ عيد البشارة) قائلاً « لا تأيس اصلاً ايها الخاطىء. بل التجىء الى مريم في احتياجاتك كلها واستدعها الى معونتك. فتجدها مستعدة على الدوام لمساعدتك. لان هذي هي الارادة الالهية. اي ان مريم تعضد الكل معينةً اياهم في كل شيء يحتاجون اليه » فام الرحمة هذه تحب من كل قلبها ان تخلص الخطاة الاشقيا البائسين. حباً هكذا متقداً حتى انها هي نفسها تفتش عليهم مجتهدةً في اعانتهم. ولذلك اذا استغاثوا بمساعدتها مستدعينها لاسعافهم فهي تعرف حسناً ان تجد الطريقة التي بها تصيّرهم مقبولين لدى الله ومحبوبين منهُ* فاسحاق رئيس الابا اذ كان يشتهي ان يغتذي بلحوم بعض الحيوانات البرّية. قد طلب من ابنه العيس ان يصطاد لهُ منها ما يمكنهُ. ويصلحها لهُ اطعمةً موعداً اياهُ بان يمنحهُ البركة الابوية. الَّا ان رفقا زوجتهُ ام العيس نفسه لرغبتها في ان اسحاق يمنح البركة لابنها الاخر يعقوب لا للعيس. فطلبت من يعقوب قائلةً لهُ « امضي الى الغنم وايتيني بجديين رخصين. فاصلحهما اطعمةً لابيك على ما يحب لياكل منها ويباركك قبل ان يموت » (تكوين ص ٢٧ ع ٩) فيقول القديس انطونينوس « ان رفقا كانت رسماً لمريم التي تقول للملئكة ايتوني بالخطاة (الذين قد مُثّلوا بالجدا) لكي اصلحهم انا بطريقةٍ ملائمةٍ (اي باكتسابي لهم نعمة الندامة والعزم على عدم الرجوع الى الخطية) واجعلهم مقبولين لدى سيدي » ثم ان الانبا فرانكونه اذ لاحظ هذا التفسير يقول « ان مريم تعرف جيداً ان تصلح هولا الجدا اطعمةً لذيذة. بنوع ان ذوقهم ليس فقط يماثل ذوق لحمان الخشف والغزلان والايل. بل ايضاً مراتٍ كثيرةٍ يفوقها لذةً » ✿

على ان البتول الكلية الطوبى عينها قد اوحت الى القديسة بريجيتا بانهُ لا يوجد في العالم خاطىء ما مهما كان باثمه عدواً لله. يلتجىء اليها مستمداً منها المعونة. الاَّ ويرجع اليه تعالى تائباً ويكتسب ثانيةً نعمته الالهية التي كان فقدها » والقديسة بريجيتا نفسها قد سمعت يوماً ما يسوع المسيح مخاطباً والدته الطوباوية. بانها تستطيع هي ان تنال منهُ عزّ وجلَّ الى

لوسيفوروس عينه. ان يرجع الى حال النعمة الالهية. ان كان هو يتضع ويلتجيء اليها طالباً منها المعونة. فاي نعم ان اركون الظلام هذا. الروح المتعجرف لا يمكن ان يواضع ذاته' لان يلتمس حماية مريم. ولكن اذا فرضنا هذا الحادث الغريب. وهو لو امكن للوسيفوروس ان يتواضع مستغيثاً بمريم فهي لكانت تشفق عليه. وبقوة صلواتها الفعالة لكانت تستميح له من الله الغفران والخلاص. غير ان الشيء الذي لا يمكن حدوثه مع الشيطان. فهذا بلا ريب يبلغ مفعوله' مع الخطاة الذين يالتجئون الى ام الرحمة هذي ✪

ثم ان سفينة نوح قد كانت بالصواب رسماً لمريم المجيدة. فكما انه' في تلك السفينة كانت توجد حيوانات الارض كلها. فهكذا تحت اذيال حماية مريم يجد ملجاً اميناً جميع الخطأة الذين لاجل رذائلهم وعوائدهم وخطاياهم اللحمية هم شبيهون بالوحوش والحيوانات. ولكن بهذا الفرق. كما يقول احد العلما (وهو باجيوكالي) „اي ان الوحوش كما دخلت السفينة كذلك خرجت منها وحوشاً من دون تغيير. اذ ان الذئب الذي دخل اليها خرج منها ذئباً. والنمر استمر نمراً. واما تحت حماية مريم فالذئب يستحيل الى خاروفٍ. والنمرة تصير حمامةً" فيوماً ما القديسة جالتروده قد شاهدت في الرويا عدةً من الوحوش. اسوداً. ودبباً. ونمورة كائنة تحت برفير مريم البتول المفتوح للجميع. ولاحظت ان مريم ليس فقط لم تكن تطرد عنها تلك الوحوش. بل باكثر من ذلك كانت تشير اليها بيدها وتحافظ عليها. ثم اخبرت هذه القديسة اي جالتروده بان تلك الحيوانات هي رمز الى الخطاة الاشقيا البائسون. الذين حينما يلتجئون الى مريم. فهي تقتبلهم بعذوبة ورافة ومحبة ✪

فاذاً بالصواب امكن للقديس برنردوس ان يهتف نحو هذه الام المجيدة قائلاً „ انكِ ايتها السيدة لا ترذلين احداً من الخطاة. مهما كان عاتياً ومنافقاً ورديًا. متى قصدكِ مقترباً منكِ. واذا التمس منكِ المعونة فلا تكرهين من انكِ تمدين يدكِ ذات الاشفاق وتخرجينه من عمق يأسه ومن إقصى شقاوته * فليكن مباركاً على الدوام وممجداً بالشكر الواجب الهنا الصالح. الذي صنعكِ يا مريم المحبوبة في الغاية. مملوةً من الحلاوة

والانعطاف. حتى نحو الخطاة الاكثر شقاوةً. فحقًا انهُ تعيسٌ هو ذاك الذي لا يحبك، ومع انهُ يستطيع ان يلتجىء اليكِ. فمع ذلك لا يتكل عليكِ، ولا يثق بكِ، لان من لا يستغيث بمريم يمضي هالكًا. وبالعكس مَن هو الذي خاب من رجائه وادركهُ الهلاك من الذين تمسكوا بها" ☆

فالكتاب المقدس يخبرنا في الاصحاح الثاني من سفر راعوث بان باعاز قد سمح لهذه الامراة راعوث بان تتبع الحصادين المستاجرين منهُ في اراضيه. وتلتقط السنبل الذي كان يسقط من ايديهم على الارض. فيقول القديس بوناونتورا (في تفسيره هذا النص) "انهُ كما ان راعوث قد وجدت نعمةً في عيني باعاز. فهكذا مريم قد وجدت نعمةً في عيني الرب بان تستطيع ان تجمع ملتقطةً السنبل الذي يهملهُ الحصادون مطروحًا في الارض. فالحصادون انما هم الفعلة الانجيليون. المرسلون. والواعظون. والمرشدون. ومعلموا الاعتراف الذين يوميًا يجمعون الانفس لله ويكتسبونها لهُ تعالى. ولكن توجد بعض الانفس عاصيةً عليهم ومصرةً على الاثم حاصلةً في قساوة القلب ولذلك تُهمَل من هولا الحصادين. فسُمح لمريم وحدها الاقتدار على ان تخلص بقوة شفاعاتها. هذه السنبلات المهملة المتروكة من الفعلة الانجيليين. الّا انهم لتعيسون بالحقيقة اولئك الخطاة الذين هذه صفتهم. ان كانوا لا يتركون مريم ان تلتقطهم. لانهم حينئذٍ من غير شكٍ يضحون ملعونين هالكين. وبالعكس لمغبوطون هم اولئك المُهملون الذين يستغيثون بمريم الام الصالحة" لانهُ (كما يقول العابد بلوسيوس) "لا يوجد في العالم خاطىء بهذا المقدار هالكٌ في حماة المأثم. ويُرذل من مريم مطرودًا. بل اذا اقبل نحوها طالبًا منها المعونة. فهي كامِ حنونةٍ تقدر وتعرف وتريد حقًا ان تصالحهُ مع ابنها وتكتسب لهُ المغفرة" ☆

فبكل صواب يسلم عليكِ ايتها الملكة سيدتي القديس يوحنا الدمشقي هاتفًا "السلام عليكِ يا رجا من ليس لهم رجا" وكذلك القديس لورانسيوس يوستينياني يسميكِ "رجاء عمّال الاثم" والقديس اوغوسطينوس يدعوكِ "ملجأ الخطاة الوحيد" والقديس افرام يلقبكِ "بمينا الخلاص الامين للمسافرين في البحر العالي" وهو نفسه في مكانٍ اخر ينعتكِ "بمحامية الهالكين" وهكذا القديس .برنردوس يحرض الخطاة حتى القاطعين رجاهم على

ان لا يأيسوا ومن ثمَّ يهتف نحوكِ مملواً فرحاً بكِ انّتِ أمة المحبوبة منه في الغاية صارخاً „ترى من يمكنه ايتها السيدة ان لا يثق بكِ متكلاً عليكِ بحسن الرجا. بعد انكِ تسعفين المقطوع رجاهم انفسهم. فانا لا ارتاب اصلاً باننا حالما نحن نلتجيء اليكِ فدائماً نفوز بكل ما نبتغيه. فليرجوكِ اذاً المقطوع رجاهم" ثم انّ القديس انطونينوس يخبرنا بانه اذ كان يوماً ما احد الخطاة حاصلاً في حال الاثم عادماً نعمة الله. قد راى ذاته حاضراً في المحكمة الالهية امام يسوع المسيح. وشاهد الشيطان يقدم عليه الشكايات. ومريم البتول تحامي عنه ضدها. فالعدو الجهنمي قدم حينئذٍ سجلاً مدونةً فيه مآثم هذا الخاطيء كلها. واذ وُضع ذاك السّجل في ميزان العدل الالهي بازاء الاعمال الصالحة التي كان هو فعلها. قد وُجد اثقل بما لا يحد من تلك الاعمال. فماذا صنعت وقتئذٍ مريم المحامية العظيمة عن الخاطيء. فقد مدت يدها الحلوة على كفة الميزان فوق الاعمال الصالحة وجذبتها. فوُجدت اثقل كثيراً من سّجل الخطايا. وبذلك اوضحت للخاطيء في تلك الرويا. انها هي تستمد له من الله الغفران ان كان يغيّر سيرته الاثيمة. كما تمّ الامر حقاً. بان الخاطيء المومى اليه حينما رجع الى ذاته قد تاب عن خطاياه بسيرةٍ صالحة ❊

❊ نموذج ❊

لقد اخبرنا الطوباوي يوحنا اورلتوس الملقّب لاجل تواضعه بالتلميذ. عن رجلٍ مقترن بسر الزيجة كان عائشاً في الخطية عادماً نعمة الله. فامراته التي كانت صالحةً اذ لم يمكنها ان تجلبه الى ترك الخطية. قد توسلت اليه بان يمارس. وهو في تلك الحال الشقية قلما يكون هذه العبادة نحو والدة الاله. وهي انه كل مرةٍ يجتاز من مكان توجد فيه ايقونةٌ ما لهذه السيدة. فيتلو تكريماً لها „السلام لكِ يا مريم الخ" فالرجل المومى اليه قد ابتدأ ان يمارس ذلك. فليلةً ما اذ كان هذا المنافق ذاهباً ليصنع الخطية قد شاهد امامه نوراً لامعاً. واذ حدّق به فراه مصباحاً متقداً امام ايقونةٍ لمريم البتول حاملةً على ذراعيها طفلها الالهي يسوع. فحينئذٍ حسب عادته صلى السلام الملكي. ولكن ماذا راى. انه شاهد الطفل يسوع مكسي الجسم بجراحاتٍ مثخنة تقطر دماً كثيراً. فللوقت هو قد بهت وتوجع

ايضاً بافتكاره في ان كثرة خطاياه كانت علةً لجراحات المخلص · فطفق يبكي بدموعٍ غزيرةٍ. الأ انهُ لاحظ ان الطفل الالهي كان يعطيه ظهرًا غير مريدٍ ان ينظر اليه. الامر الذي املاهُ من القلق والغم. ومن ثمَّ التجأَ نحو والدته المجيدة متضرعاً اليها بقوله „ ان ابنكِ يطردني من امامه يا ام الرحمة · فانا لا اقدر ان اجد محاميةً عني ذات اقتدارٍ ورافةٍ مثلكِ اديه · اذ انكِ امهُ · فعينيني انتِ يا ملكتي وصلي من اجلي امامهُ " فالام الالهية قد اجابته من تلك الايقونة قائلةً „ انكم انتم ايها الخطاة تسمونني ام الرحمة. ولكن في الوقت عينه لا تهملون ان تجعلوني ام الشقاوة · بتجديدكم الام ابني واوجاعي معًا " الا انها مع ذلك لحنوها العظيم الذي من اجله لا تعرف ان تصرف احدًا من الملتجئين اليها من غير تعزيةٍ. قد التفتت الى ابنها وشرعت تتوسل اليه من اجل ذاك الخاطىء بان يغفر لهُ · فيسوع استمر يظهر نفورًا من هذه الطلبة · فحينئذٍ البتول قد وضعت الطفلَ في تلك الحنية التي كانت نظير هيكلٍ. وسجدت امامه قائلةً لهُ „ انني لا انهض من امام قدميك يا ابني ان لم تغفر لهذا الخاطىء " فوقتئذٍ اجابها يسوع بقوله „ انهُ لا يمكنني يا امي ان انكر عليكِ شيئًا. أفتريدين ان اغفر لهُ · فانا حبًا بكِ اسامحهُ عن ذنوبه · فادعيه الى هاهنا ليقبّل جراحاتي " فالخاطىء تكميلاً لامره الالهي تقدم باكياً مرتعداً وبدأً يقبّل تلك الجراحات واحداً فواحداً · وفي حين تقبيله كلاً منها كان يُشفى الجرح · واخيراً الطفل الالهي عانقهُ علامةً للغفرات وهكذا رجع ذاك الخاطىء الى بيته متعزياً · وغيّر سيرتهُ الرديئة · وعاش بالصلاح مُغرَمًا بالحب لوالدة الاله التي استمدت لهُ هذه النعمة العظيمة ☆

☆ صلوة ☆

انني اسجد يا مريم البتول الكلية الطهارة لقلبكِ المثلث القداسة · الذي صار موضوع تنعمٍ لله الضابط الكل · وقلبًا مملوًا من التواضع والنقاوة والحب الالهي · فانا الخاطىء التعيس اتي اليكِ بقلبٍ موعب الاماً رديئة وحماةً · ولكن ليس لاجل ذلك تنفرين يا ام الرافة مني · بل انعطفي باوفر اشفاقٍ نحوي وعينيني · ولا تطلبي فيَّ لكي تساعديني · لا

استحقاقات ولا فضائل . فانا انسان ضال لا استحق سوى الجحيم . ولكني اتوسل اليك بان تلاحظي في هذا الامر فقط . وهو الرجا الذي لي فيك . والارادة الحقيقية في ان اتوب عن شروري . فانظري ما الذي صنعه واحتمله من اجلي يسوع ابنك . وحينئذٍ اهمليني ان كنت تقدرين ان تهمليني . فانا اضع امامك كل آلام حياته البرد الذي تكبده في الاسطبل . السفر الذي صنعه بذهابه الى مصر . الدم الذي سفكه . والفقر . والاحزان . والاوصاب . والموت الذي احتمله حباً بي بحضورك . وهكذا اكراماً لحبك ابنك اهتمي بخلاصي . فانا لا اريد ان اخاف يا امي . بل ولا اقدر ان اخشى من انك تطرديني الان انا الملتجيء اليك طالباً ان تسعفيني . لاني لو كنت ارتاب في ذلك لاضحيت من المفترين على رحمتك التي تفتش على البائسين لتساعدهم . فلا تنكري ايتها السيدة رافتك على من لم ينكر عليه يسوع ابنك دمه . ولكن استحقاقات هذا الدم لا تتخصص بي ان كنت لا تتوسلين انت من اجلي لدى الله . فانا منك ارجو خلاصي . في الوقت الذي فيه انا لا اطلب لا اموالاً ولا كرامات . ولا شيئاً اخر من خيرات الارض . بل التمس منك نعمة الله . والحب لابنك . وتكميل ارادته . والفردوس السماوي . لكي احبه هناك الى الابد . فهل يمكن ان لا تقبلي طلبتي هذه كلا . اني اومل ان تستجيبيني . فصلي لاجلي بان انال النعمة التي طلبتها . واقبليني تحت كنف وقايتك . ولا تتركيني يا امي . بل داومي التضرع من اجلي طالما لا تشاهديني بلغت الى السما مخلصاً . حيث انطرح على قدميك لكي اباركك واشكرك الى الابد امين ✿



الفصلُ الرابع

* فيا يلاحظ هذه الكلمات وهي *
* اليكِ نصرخ نحن المنفيين اولاد حوا *

* وفيه جزءان *

الجزء الاول

* في استعداد مريم الطوباوية لان تعين مَن يصرخ اليها *

فيا لشقاوتنا نحن الذين اذ كنا اولاداً لامنا حوا التعيسة. ولاجل ذلك نحن مدنسون امام الله بجريرة خطيتها نفسها ومحكوم علينا بالعقاب عينه الذي حُكم به عليها. فنسير تائهين في وادي الدموع هذه منفيين من وطننا. باكين ومحزونين من قبل اوجاع كثيرة ملمة بانفسنا وباجسادنا. ولكنّه لمغبوطٌ ذاك الذي فيما بين هذه الشقاوات يلتجيء مراتٍ مترادفةً الى معزية العالم. ملجأ المساكين والدة الاله متعبدًا لها ويدعوها مستغيثًا بها كما قيل عنه „ مغبوطٌ الانسان الذي يستمعني والذي يسهر كل يومٍ عند ابوابي ويحفظ اوزان مداخلي ” (امثال ص ٨ ع ٣٤) فتقول مريم مغبوط مَن يصغى الى مشوراتي. ولا يهمل ان يواظب على الالتجاء الى ابواب رحمتي مستغيثًا بشفاعتي وملتمسًا معونتي. فمن ثَّم تعلمنا حسنًا امنا الكنيسة المقدسة كم يلزمنا ان نلتجيء برجاءٍ واهتمامٍ الى هذه المحامية عنا المقتدرة الملوة حبًا نحونا. راسمةً علينا نحن اولادها بان تكون عبادتنا خصوصيةً نحو هذي الكلية القداسة ومتميزةً جدًا. وامرتنا بان نحتفل في مدارِ السنة اعيادًا كثيرة لتكريمها. وبان يومًا واحدًا من كل سبّةٍ يكون مختصًا بها ومكرسًا بنوعٍ خاص لاجلها. وبان جميع الاكليروس العلماني

والقانوني يتلون يومياً في الفرض الالهي نيابةً عن الشعب المومن كافةً. الكلمات المختصة بالاستغاثة بها وباستدعائها لمعونتنا. وبان تلث مراتٍ في كل يومٍ اي صباحاً وظهرًا ومساء عند قرع الناقوس يحييها المومنون بالسلام الملئكي * ثم لقد كان يكفي لكي يفهم ذلك واضحاً ان يصير التامل في ان كل مرةٍ تحدث الشدائد العمومية. فدائمًا تمارس الكنيسة الطلبات والزياحات وزيارات المعابد والايقونات المختصة بهذه السيدة الجليلة. التي انما تريد هي منا هذه العبادات ليس كأنَّها محتاجةً اليها. ولا تكريماً لشخصها ترغب هكذا ان ندعوها باتصالٍ ونستغيث بها. لان هذه جميعها هي شيء جزئي حقير بالنسبة الى شرفها ومقامها الكلي العظمة. بل لكي ينمو فينا نحوها الرجا وحسن الاتكال وحرارة العبادة والحب. وبذلك يمكنها هي ان تسعفنا بابلغ نوع وتعزينا. كما يقول القديس بوناونتورا هكذا „ انها هي تطلب اولئك الذين يتقدمون اليها بحسن عبادةٍ وباحترامٍ لانها تحب هولا وتعولهم وتقبلهم بصفة بنين لها" *

ثم يقول القديس بوناونتورا عينه „ ان الامراة راعوث التي تفسير اسمها ناظرة ومسرعة كانت رسمًا لمريم البتول. على ان مريم هذي المجيدة اذ تنظر حال شقاوتنا وذلنا واحتياجنا فتسرع مهتمةً في ان تسعفنا برحمتها" وكذلك نوفارينوس يضيف الى هذا قائلاً „ ان مريم لاجل رغبتها واشواقها الى عمل الخير معنا لا تعرف ان تتاخر اصلاً عن ذلك. ومن حيث انها لم تكن بخيلةً في حفظ انعامها. فبحسب كونها ام الرحمة لا تقدر ان تمسك ذاتها عن ان تسكب بكل سرعةٍ على عبيدها خزائن سخائها" *

فيا لحسن استعداد هذه الام الصالحة لاسعاف من يستدعيها لمعونته. كما قيل عنها „ ثدياكِ كخشفَي ظبيةٍ توأمين" (نشيد ص ٤ ع ٥) فريكاردوس الذي من سان لورانسوس اذ يفسر هذه الكلمات يقول „ ان ثديي مريم هما مهيئات لان يفيضا بسرعةٍ لبن الرحمة لكل من يلتمسها نظير اسراع خشف الظبية" ثم ان المعلم المذكور يوكد لنا ان رأفة مريم تباح منها نحو كل احدٍ يستمدها. ولئن لم يكن يستعمل هو نحوها في التماسه الرحمة تضرعاتٍ او ابتهالاتٍ اخر سوى السلام الملئكي. ولذلك يشهد نوفارينوس بان مريم لا تسرع فقط بل تطير ايضاً لمساعدة من يستغيث بها. فهي

عند استعمالها الرحمة لا تعرف ان تبتعد من ان تتشبه بالهها فكما ان الرب يسرع ليعين اولئك الذين يستمدون منهُ الاسعاف . لانهُ صادق في اتمام مواعيده التي وعدنا بها قائلاً „ اسالوا تُعطوا „ فهكذا مريم حينما تُستدعى فحالاً توجد حاضرةً لان تعين مَن يستغيث بها ومتضرعاً اليها * وبهذا يُفهم مَن هي تلك الامراة التي قيل عنها في الابوكاليبسي (ص ١٢ ع ١٤) هكذا „ فأعطيت الامراة جناحَي نسر عظيم لتطير الى البرية „ فالمعلم ريبايرا يفسر ذلك بان هذين الجناحين هما الحب الذي به مريم البتول طارت الى الله „ الّا ان الطوباوي اماديوس يقول „ ان هذين الجناحين اللذين هما جناحا النسر يفسران السرعة الكلية التي اذ تفوق بها مريم على خفة جولان السيرافيم انفسهم فتسعف من ثم اولادها على الدوام بمعونتها „ ☆

فلاجل ذلك يخبرنا القديس لوقا البشير في الانجيل المقدس . عن سفر الطوباوية مريم لزيارة نسيبتها القديسة اليصابات . ولكي تملأ تلك العيلة كلها من النعم . لم تبطؤ في مسيرها . بل كما يقول هذا الانجيلي „ان مريم قامت وذهبت مسرعةً الى الجبل الى مدينة يهوذا „ (لوقا ص ١ ع ٣٩) الامر الذي لا يُذكر انها فعلتهُ عند رجوعها . ولذلك يقال عن مريم „ان يديها هما مخروطتان من ذهب „ (نشيد ص ٥ ع ١٤) فيقول ريكاردوس „ انهُ كما ان الاعمال التي تُمارس بواسطة صنعة الخراطة هي تنتهي باوفر سرعة وسهولة . فهكذا مريم هي الاكثر استعداداً وسرعةً من جميع القديسين في اعانة المتعبدين لها وفي اسعافهم „ فهي حاصلةٌ على اشواقٍ عظيمةٍ دائماً لتعزية الجميع . وحالما تسمع صوت من يستغيث بها . فعلى الفور تقتبل التضرع وتقضي الحاجة بكل انعطافٍ (حسبما يقول بلوسيوس) فبالصواب اذاً يسميها القديس بوناونتورا „ خلاص مَن يستغيث بها „ مريداً ان يعني بان مَن يشاء ان يفوز بالخلاص . فيكفيه ان يلتجىء الى هذه الام الالهية التي على قول ريكاردوس انها تهيىء ذاتها دائماً لاسعاف من يدعوها . لان برنردينوس البوسطي يورد „ ان هذه السيدة العظيمة تشتهي ان تهبنا نعماً اشد اشتهاء من رغبتنا نحن ان نقبل النعم لذواتنا „ ☆

ثم ان كثرة خطايانا . لا ينبغي ان تضعف رجاءنا في استجابة مريم

لطلباتنا. حينما نلتجىء لدى قدميها. فهي ام الرحمة. والحال ان الرحمة لا يعود لها مكانٌ عند ما لا يوجد من يفتقر اليها. ومن ثمَّ كما ان الام الصالحةُ لا تكره ان تضع دواءً شافياً لابنها المبتلي بداء الجرب. ولئن كانت مداواتهُ صعبةً محركةً الى الاستكراه والنفور. فهكذا امنا هذه الحنونة لا تعرف ان تهملنا حينما نستغيث بها. ولئن كانت وافرةً هي نتانة خطايانا التي تشفينا هي منها. فهذا هو ما يوردهُ ريكاردوس. وهذا ما قد قصدت ان تسير اليه هذه الام الالهية نفسها حينما اظهرت للقديسة جالتروده. كيف انها كانت تبسط برفيرها لكي تقتبل تحت حمايتها كل من ياتي اليها. وحينئذٍ قد فهمت هي اي القديسة جالتروده ان الملائكة كافةً يهتمون في ان يحاموا عن المتعبدين لمريم ضد قوات الجحيم *

فبهذا المقدار هي عظيمةٌ الرافة الكائنة في قلب هذه الام الصالحة نحونا. وهكذا هو شديدٌ الحب الذي تحبنا به. حتى انها لا تنتظر تضرعاتنا لتعيننا * فقيل في سفر الحكمة (ص ٦ ع ١٤) „انها هي تبادر الى من يشتهيها. لكي تظهر لهم اولاً" فالقديس انسلموس يخصص هذه الكلمات بمريم. ويقول „انها هي تسبق وتبادر لتعضد الذين يشتهون حمايتها. وبذلك يلزمنا ان نفهم انها هي تستمد لنا من الله انعاماً كثيرة قبل ان نطلبها نحن منها" ولهذا يقول ريكاردوس الذي من سان فيتوره „ان مريم تُسمَّى قمراً. لانها هي ليس فقط مثل القمر قريبة منا وسريعة الاجابة لمن يستغيث بها. بل باكثر من ذلك هي تحب خيرنا بهذا المقدار حتى انها في احتياجاتنا تسبق هي تضرعاتنا. ورحمتها هي مستعدةٌ لاعانتنا اكثر من استعدادنا نحن لان نستمد منها الرحمة. وهذا انما يصدر (يتبع قولهُ ريكاردوس عينهُ بقوله) من قبيل ان صدر مريم هو مملو من الرافة والاشفاق. ولذلك حالما تشعر هي باحتياجاتنا فلا يتاخر هذا الصدر السخي عن ان يفيض حالاً لبن الرحمة. لان هذه الملكة الحنونة لا تقدر ان تعلم افتقار نفس احدٍ الى الاسعاف ووجودها في حال السوء ولا تمد هي يدها لمعونتها وقضا حاجتها" *

فهذه الام الراوفة اذ كانت عائشةً على الارض فمن جملة ما قدمت لنا من البراهين الدالة على شدة اشفاقها علينا في انها تسبق مهتمةً في

حدّ عوزنا واسعافنا في احتياجاتنا قبل ان نتوسل اليها ذاك البرهان المورد منها من القديس يوحنا الانجيلي في الاصحاح الثاني من بشارته في خبرية عرس قانا الجليل. اي ان هذه الام الشفوقة عند ما شاهدت حينئذ الغم الحاصل للعروس ولعروسته. من قبل نفاد الخمر من ذلك العرس اذ لم يعد لهما استطاعة على احضار خمرٍ اخر لاهل الوليمة بعد نهاية الخمر الاول. ومن ثمَّ استحوذ عليهما الخجل من المجتمعين الى العرس. فتحركت هي الى الشفقة عليهما من دون ان يلتمسا منها اعانةً ما. بل بمجرد نظرها اياهما في تلك الحال واسرعت لاسعافهما. لانها لا تقدر ان تشاهد احداً محتاجاً ولا تبادر لمساعدته. فلهذا توسلت الى ابنها يسوع بان يعزيهما مخبرةً اياه باحتياجهما وقائلةً „ ان ليس عندهم خمرٌ" فبعد هذا لكي يعزي مخاصنا تلك الجمعية وبنوعٍ خاص لكي يرضي قلب والدته الملو حنواً نحوهم قد صنع الاعجوبة المشهورة باحالته الماء الى خمرٍ. فهنا نوفارينوس يبرهن مستنتجاً بانه „ ان كانت مريم هي مستعدةً بهذا المقدار لان تسعف المحتاجين الذين لم يلتمسوا منها الاعانة. كما تمَّ في الحادث المذكور. فكم هي بابلغ نوعٍ وباعظم اشفاقٍ مستعدة دائماً لان تعزي من يستغيث بها. ويلتجىء اليها ملتمساً منها المعونة" ✿

ومن ثمَّ البابا اينوشانسيوس الثالث يوبخ ذاك الانسان الذي يدخله الريب في مساعدة هذه السيدة اياه مبرهناً بقوله „ اترى ممكنٌ هو ان يوجد في الكون انسانٌ التمس من هذه السيدة العذبة مريم المجيدة معونةً ولم تسعفه هي" وكما يقول الطوباوي اوتيكيانوس „ ترى مَن هو ذاك الذي يلتجىء اليك ايتها البتول الطوباوية باعانةٍ. ويرجع خازياً مهملاً من حمايتك وعنايتك التي تقدر ان تعين كل احدٍ من الاشقيا اليائسين. وتخلص الخطاة الويسين والاكثر خطراً للهلاك. فهذا الحادث ما اتفق قط ولن يكون ابداً وهو ان ترفضي احداً من المتكلين عليكِ" ويقول القديس برنردوس „ انني ارتضي كل الرضا بان لا يعود يتكلم خيراً. ولا يمدح رحمتكِ ايتها البتول القديسة. ذاك الذي يكون استغاث بكِ في احتياجاته ويفتكر بانه لم ينل منكِ الاهتمام بقضا حاجته. هذا ان امكن ان يوجد انسانٌ كذا" ✿

وباشد بلاغةٍ يقول العابد بلوسيوس „ انهُ لاسهل هو ان تخرب السموات والارض. من ان مريم ترفض ان تعين مَن يتضرع اليها بنيةٍ صالحةٍ طالباً مُساعدتها وواثقًا بها برجاء ثابت” ثم ان القديس انسلموس يضيف الى ذلك ما يزيد اتكالنا واعتمادنا على هذي السيدة الرحومة بقوله „ اننا عند ما نلتجيء الى هذه الام الالهية يلزمنا ليس فقط ان نكون مطمأنين في صفاعين حمايتها ايانا. بل ايضًا اننا بعض الاحيان نصدق ان طلبتنا تقبل ونفوز بالخلاص باكثر سرعةٍ بالتجائنا الى مريم مستغيثين باسمها المقدس. من ان نستغيث باسم يسوع مخلصنا. والسبب في ذلك اي بمصادفتنا الخلاص باوفر سرعةٍ بالتجائنا الى الام ممَّا بالتجائنا الى الابن ليس لان مريم هي اكثر اقتدارًا من ابنها الالهي على خلاصنا. اذ اننا نعلم ان يسوع هو مخلصنا الوحيد. الذي باستحقاقاته هو فقط قد اكتسب ويكتسب لنا الخلاص. بل من حيث اننا اذ نتقدم الى يسوع بالالتجاء. ونتامل وقتئذٍ كيف انهُ هو ديّاننا ايضًا المختص بهِ ان يعاقب الخائنين ناكري الجميل. فيمكن ان ينقص فينا من ثمَّ حسن الرجا الضروري لنوال مطلوباتنا. الا اننا حينما نتقدم الى مريم التي لم تكن لها وظيفة اخرى سوى ان تشفق علينا بحسب كونها ام الرحمة. وان تحامي عنا بحسب كونها شفيعتنا. فيبان ان رجانا وثقتنا واتكالنا يكون باوفر طمانينة وباعظم ثبات * على انهُ يتفق ليس نادرًا ان اشيا كثيرة تُلتمس من الله فلا تُعطى. وتُلتمس من مريم فتُعطى. فكيف يكون هذا. فيجيب نيكيفوروس „ بان هذا يحدث لا كان مريم هي اعظم استطاعةً وقدرة من الله. بل لان الله نفسهُ قد حكم ورسم بان نكرَّم والدتهُ على هذه الصورة” *

على انها لذيذةٌ ومسرةٌ هي المواعيد التي وعد الرب عينهُ بان يصنعها. وهي انهُ يُقرأُ في الراس الثمانين من الكتاب الاول من الاوحية للقديسة بريجيتا. انهُ يومًا ما قد سمعت هذه القديسة يسوع المسيح مخاطبًا والدته هكذا „ اطلبي مني يا امي كل ما تريدين لاني لا انكر عليكِ اعطاء شيء ما من جميع ما تسالينيه. واعلمي ان كل اولئك الذين يطلبون مني شيئًا من النعم حبًا بكِ. حتى ولئن كانوا خطاةً بحيث ان تكون فيهم ارادةٌ للرجوع عن الخطية. فانا اعدهم بان استجيب لهم” وهذا نفسهُ

قد اوحى به الى القديسة جالتروده حينما سمعت مخلصنا عينه قائلاً لوالدته . بانه بحسب قدرته الضابطة الكل قد منح ان يستعمل الرحمة مع اولئك الخطاة الذين يستغيثون بها . باي نوعٍ وطريقةٍ تشاء هي استعمال الرحمة معهم * فليقل اذاً كل اولئك الذين يستدعون مريم ام الرحمة لمعونتهم برجاء عظيم . ما كان يقوله نحوها القديس اوغوسطينوس هكذا « اذكري ايتها السيدة الرؤوفة انه لم يسمع قط منذ تاسيس العالم ان احداً رُذل منكِ مُهمَلاً . ولهذا سامحيني ان كنت اقول لكِ انني لا اريد ان اكون انا هو هذا الانسان التعيس الاول . اي بعد ان التجيء اليكِ اعود خائباً واُهمل منكِ فارغاً » *

* نموذج *

فالقديس فرنسيس سالس قد اختبر في ذاته مفاعيل الصلوة المقدم ذكرها كما يورد في الراس الرابع من الكتاب الاول من سيرة حياته . على ان هذا القديس قد كان تقريباً في السنة السابعة عشرة من عمره مقيماً في مدينة باريس مهتماً في درس العلوم . في الوقت عينه الذي فيه كان غرامه ولذته الانعكاف على افعال التعبد والحب المقدس لله . الامر الذي وجد لديه نعيماً على الارض . فالباري تعالى لكي يختبره بافضل نوعٍ ويجعله اشد تعلقاً به قد سمح بان الشيطان يصور له مبجناً في عقله ان جميع ما كان يمارسه من الخير لم يفده بتةً . من حيث انه بموجب سابق علم الله وحكمه أُحصي في عدد المرذولين . فتبرقع العقل واليبس الروحي اللذان تركه فيهما الله بارادةٍ مقصودة في هذا الزمن عينه . حتى انه اضحى عديم الحس في جميع التصورات الاكثر عذوبةً . التي كانت تستحضر منه في شان صلاح الله وجوده الغير المتناهي . قد اوقعاه بحزنٍ شديد وجعلا مجالاً عظيماً للتجربة حتى امتلأ جوف هذا الشاب مرارةً علقمية بنوع انه لخوفه وارتيابه الموعى اليهما قد عدم شاهية الاكل . وفقد راحة النوم . وتغيرت هيئة وجهه . وابتعدت عنه امارات التعزية والفرح حتى ان كل مَن كان يراه في تلك الحال لم يكن يمكنه الّا يتوجع له من اجلها *

ففي مدة دوام هذه الزوبعة المهيلة لم يكن يعلم هذا القديس ان يفتكر في شيءٍ اخر او ان يفه بكلماتٍ اخر سوى فيما يزيده توجعاً وغماً وضعف رجاء. ومن ثم كان يقول هكذا „ فاذاً انا ساكون معدوماً نعمة الهي الذي فيما مضى قد اظهر لي ذاته بهذا المقدار موضوعاً شهياً للحب والعذوبة. فيا ايها الحب ويا ايها الجمال اللذان انا كرست لكما عواطف قلبي كلها فهل لا اعود اتمتع بعد بتعزياتكما. يا والدة الاله العذرا الفايقة جمالاً على بنات اورشليم كلهن. هل انني لا اقدر اذاً ان اشاهدك في الفردوس السماوي. اواه ايتها السيدة ان كنت انا لست بعتيدٍ ان ارى وجهك الكلي الجمال. فقلما يكون لا تسمحي باني في جهنم العنك واجدف عليك" فهذه الاقوال كانت حينئذٍ ثمرة انفعالات قلبٍ نعم انه مغرم في الحب لله وللبتول الطوباوية. الا انه مفعم من الحزن الشديد * فالتجربة المذكورة قد استمرت مستحوذةً على هذا البار مدة شهرٍ كاملٍ. الا ان الرب قد تنازل اخيراً لان ينجيه منها بواسطة معزية العالم مريم الكلية القداسة. التي كان قبلاً هذا القديس كرس بتوليته تكريماً لها. وكان من عادته ان يقول انه وضع فيها رجاه كله. فيوماً ما عند رجوعه مساء نحو مكان سكناه قد دخل الى كنيسةٍ. وهناك شاهد لوحاً معلقاً على الحائط مكتوبةً فيه الصلوة السابق ذكرها المقولة من القديس اوغوسطينوس وهي „ اذكري ايتها السيدة الرؤوفة انه لم يُسمع قط منذ تاسيس العالم ان احداً رُذل منكِ مُهملاً. ولهذا سامحيني ان كنت اقول لكِ انني لا اريد ان اكون انا هو هذا الانسان الاول التعيس. اي بعد ان التجيء اليكِ اعود خائباً وأُهمل منكِ مرذولاً" فتقدم القديس فرنسيس امام هيكل والدة الاله في تلك الكنيسة وتلى هذه الصلوة بعواطف حبٍ مضطرم. وجدد هناك نذر حفظ البتولية لهذه الام الالهية موعداً بان يتلو يومياً مسبحتها الوردية. ثم اضاف الى ذلك جميعه قائلاً „ كوني محاميةً عني يا ملكتي لدى ابنكِ الذي انا لا اجسر ان التجيء اليه. فان كنت انا التعيس يا امي لا استطيع في العالم الاني ان احب سيدي الذي انا اعلم انه بهذا المقدار هو مستحقٌ ان يُحب. فقلما يكون استمدي لي انتِ هذه النعمة وهي ان احبه تعالى في هذا العالم اعظم حباً اقدر

عليه. فهذه الموهبة اطلبها منكِ وارجو نوالها " قال هذا واسلم ذاتهُ بكليتها بين يدي الرحمة الالهية خاضعاً كل الخضوع لمشية الله. ولكن عند ما انهى صلواته المقدم ذكرها قد خلصته حالاً امهُ الالهية الكلية العذوبة من تلك التجربة. وفاز بالسلام الباطن تماماً وشُفي معاً من مرضه الجسدي. ومن ثمَّ استمر سائراً بحسن العبادة لمريم التي بعد ذلك لم يعد يكف مدة حيوتهِ كلها. عن ان يذيع تسابيحها ومدائحها ومفاعيل رحمتها وينذر بها في مواعظه وتاليفاته الجليلة ❊

❊ صلوةٌ ❊

يا والدة الاله ملكة الملائكة ورجا البشر انصتي الى من يدعوكِ واصغي الى من يلتجيء اليكِ. فهوذا اني الان منطرحٌ على قدميكِ انا الشقي المستاسر من الجحيم. مريداً ان اكرّس ذاتي عبداً لكِ علي الدوام موعداً بان اخدمكِ واكرمكِ في جميع ايام حياتي بكل استطاعتي. فانا الاحظ جيداً ان عبودية اسيرٍ هكذا دني عاصٍ مثلي لا تكرمكِ. اذ اني قد اهنت كثيراً ابنكِ ومخلصي يسوع. ولكن انتِ اذا قبلتِ عبداً لكِ اسيراً عديم الاستحقاق. وبواسطة شفاعاتكِ غيّرتِ حالهُ السيئة مصيّرةً اياهُ اهلاً لخدمتكِ. فرحمتكِ هذه عينها المستعملة منكِ نحوهُ بهذا النوع تعطيكِ الكرامة التي انا الحقير الذليل لا اقدر ان اكرمكِ بها. فاقبليني اذاً ولا ترفضيني يا امي. فالكلمة الازلي قد انحدر من السما الى الارض ليطلب هذه الاغنام الضالة. واذ اراد ان يخلصها قد صيّركِ امهُ بتجسده منكِ. فهل انتِ تحتقرين خروفاً من هذه الاغنام يلتجيء اليكِ لكي يجد بواسطتكِ يسوع. فالثمن قد دُفع لاجل خلاصي من الاسر ولنوالي الحيوة الابدية. لان مخلصي قد سفك دمهُ الذي هو كافٍ لان يفدي عوالم غير متناهٍ عددها. ولم يعُد باقياً سوى ان استحقاقات هذا الدم تتخصص بي انا ايضاً. ولكن كما يقول لي القديس برنردوس انهُ متعلقٌ بكِ ايتها البتول المباركة. ان توزعي الاستحقاقات المذكورة على من تريدين. ومختصٌ بكِ كرأي القديس بونافنتورا ايضاً هو ان تخلصي من تشائين. فاذاً عينيني يا ملكتي وخلصيني يا سلطانتي. فانا اسلمكِ نفسي

الان بجملتها. وانت افتكري في امر خلاصها. فيا خلاص من يستغيث بك حسبما يقول القديس المذكور عينه انت خلصيني ✿

✿ الجزء الثاني ✿

✿ في اقتدار مريم البتول على ان تحامي عمَّن يستغيث بها ✿
✱ في حين التجارب المسببة لهُ من الشيطان ✱

ان مريم الكلية القداسة هي سلطانةٌ ليس على السموات والقديسين فقط. بل على الجحيم والشياطين ايضًا. لاجل انها انتصرت عليهم انتصارًا مجيدًا بقوة فضائلها. فالباري تعالى منذ بدء الخليقة سبق واخبر الحية الجهنمية بالغلبة والسطلة اللتين كانت عتيدةً مريم ملكتنا هذه ان تفوز بهما ضدها. بايعاذه اليها عن الامراة المزمع اتيانها الى العالم للانتصار عليها. عندما قال عزَّ وجلَّ لهذه الحية „ ولاجعلنَّ العداوة فيما بينك وبين الامراة وفيما بين نسلك وفيما بين نسلها وهي تسحق راسك„ (تكوين ص ٣ ع ١٥) فمَن هي هذه الامراة عدوة الحية الاَّ مريم التي بواسطة تواضعها الجميل وحياتها المقدسة قد انتصرت دائمًا على الحية واخمدت قوتها. فيشهد القديس كبريانوس بقوله „ ان الوعد من الله بتلك الامراة كان عن والدة سيدنا يسوع المسيح. مبرهنًا بان الله لم يقل للحية قد جعلت العداوة فيما بينك وبين الامراة ليُفهم بها حوا. بل قال لاجعلنَّ العداوة قولاً يخص المستقبل. ليبيّن لها ان هذه العداوة لم تكن مع حوا التي كانت وقتئذٍ في الوجود. بل مع امراةٍ اخرى عتيدة ان تولد من نسل حوا „ وتجلب للابوين الاولين خيرًا اعظم من الذي خسراهُ بخطايتهما„ كما يقول القديس فيلجانسوس فراري. فمريم اذًا هي تلك الامراة العظيمة القوية التي غلبت الشيطان. وسحقت راسهُ باخمادها كبرياءهُ كقوله تعالى عنها „ وهي تسحق راسك„ فبعض المفسرين يرتابون في ان كانت هذه الكلمات قيلت عن مريم ام عن يسوع المسيح. لان السبعين مترجمًا قد كتبوا „ ونسلها يسحق راسك„ الاَّ انه يوجد عندنا في النسخة العامة (التي هي مثبتة من المجمع التريدنتيني) كما قلنا اعلاهُ اي „ وهي

تسحق راسك" وهكذا فهم معناها القديسون امبروسيوس وايرونيموس واوغوسطينوس ويوحنا فم الذهب وغيرهم كثيرون جدًا . ولكن هب ان الامر هو كما اراد اخرون اي „نسلها يسحق راسك" فالمعنى هو واحد لانه سواء كان المسيح بواسطة هذه الامراة امه سحق راس الحية او ان مريم بقوة ابنها المسيح سحقته . فمن دون ريب ان لوسيفوروس المتعجرف قد غلب مقهورًا وسحقت هامته مكسورةً من هذه البتول مريم المباركة . التي فازت عليه بالانتصار التام حسبما يقول القديس برنردوس . ومن ثمَّ نظير اسيرٍ ماخوذٍ في الحرب هو مضطرٌ جبرًا عن مشيئته لان يخضع لاوامر هذه الملكة . ثم يقول القديس برونونه „ان حوا بواسطة انغلابها من الحية قد جلبت لنا الموت والظلام . الا ان البتول الطوباوية بانتصارها على الشيطان قد جلبت لنا الحيوة والنور . وقد ربطت الشيطان بنوع انه ما عاد يقدر ان يفعل ادنى ضررٍ بالمتعبدين لها" ✿

فحسنًا يفسر ريكاردوس الذي من سان لورانسوس تلك الكلمات المدونة في سفر الامثال (ص ٣١ ع ١١) عن الامراة الشجاعة وهي „ان قلب رجلها يثق بها ولا يحتاج الى غنائم . مَن كانت على هذه الحال لن تعوزها ذخائر تملكها" فيقول „ان الله قد استودع في يد مريم قلب يسوع لكي تهتم هي في ان تصيّر البشر ان يحبوه كما يفسر كورنيليوس . وبهذا النوع لن تعوزه ذخائر يملكها اي اكتساب الانفس . لانها هي تغنيه بكثرة الانفس اللاي كان الجحيم اغتنمهنَّ لذاته لو لم تخلصهنَّ بقوة مساعدتها المقتدرة" ✿

فامرٌ معلومٌ هو ان اغصان النخل هي علامة الانتصار . فلهذا قد وُضعت ملكتنا في عرشٍ عالٍ لتُشاهد من جميع السلطات نظير نخلةٍ . علامة للغلبة الاكيدة التي يمكن لجميع الذين هم تحت حمايتها ان يعدوا بها ذواتهم . ولهذا قيل عنها في سفر حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ١٨) „كمثل النخلة ارتفعت في الارياف لكي احامي حقًا عنكم" حسبما يضيف الى ذلك الطوباوي البرتوس الكبير (كانَّ مريم تقول نحونا) „انه حينما يثب عليكم الشيطان يا اولادي ليحاربكم فالتجئوا اليَّ وانظروني وتشجعوا . لانكم تشاهدون بي انا المحامية عنكم حقيقة انتصاركم" فمن ثم

ان الالتجاء الى مريم هو واسطة كلية الامن للفوز بالغلبة على قوات الجحيم كلها «من حيث انها (كما يقول القديس برنردينوس السياني) هي ملكة الجحيم ايضاً وسيدة الشياطين . لانها هي التي تحاربهم وتغلبهم . ولهذا قد سُميت هذه الملكة . مخيفة كالصفوف المرتبة » (نشيد ص ٦ ع ٣) فهي مخيفة مرعبة لقوات الجحيم . وهي كالصفوف المرتبة لانها تعلم ان ترتب حسناً سلطانها واقتدارها ورحمتها وتضرعاتها . لخذل الاعدا وابادتهم . ولانتصار عبيدها ونجاحهم واسعافهم . عند ما يلتجئون اليها خاصةً حينما تحاربهم التجارب مستغيثينَ بها وملتمسين عونها ✻

ثم ان الروح القدس يجعل مريم متكلمةً هكذا «انا مثل الجفنة اثمرت رائحة طيبةً» (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٢٣) فيقول القديس برنردوس في تفسيره هذا النص «انه كما ان الحيات والافاعي تهرب من الجفنة . فهكذا الشياطين يهربون من تلك النفس السعيدة التي هم يشعرون برائحة تعبدها لمريم . ولهذا تُسمَّى ايضاً هذه الملكة ارزًا كما قيل عنها «كالارز ارتفعت في لبنان» (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ١٧) وذلك ليس فقط من حيث ان قلب شجر الارز هو سالم من الفساد والسوس . كما وُجدت مريم معصومةً من الخطية . بل ايضاً لانهُ كما ان رائحة الارز تجعل الحيات ان تهرب بعيداً . فهكذا مريم بواسطة قداستها تصيّر الشياطين ان يهربوا» حسبما يقول الكردينال اوغون في تفسيره الكلمات المذكورة ✻

ففي بلاد اليهودية قد كانت تحصل الانتصارات للشعب الاسرائيلي بواسطة تابوت العهد . ومن ثمَّ كان موسى النبي ينتصر على الاعدا بقوله عند ما كان يُرفع هذا التابوت «قم يارب ولتتبدد اعداوك ويهرب مبغضوك من امام وجهك» (سفر العدد ص ١٠ ع ٣٥) وعلى هذه الصورة قد فاز بنو اسرائيل بالانتصار على مدينة اريحا ثم على الشعوب الفلسطينيين فيما بعد «لان هناك تابوت الله يومئذٍ كان معهم» (سفر الملوك الاول ص ١٤ ع ١٨) فامرٌ معلومٌ لدى الجميع هو ان تابوت العهد قد كان رسماً لمريم العذرا «لانه (يقول كورنيليوس الحجري) كما ان هذا التابوت كان يحوي ضمنهُ المنَّ . ومثلهُ ضمن مريم يوجد يسوع الذي نظير ذلك كان المنّ رسمًا لهُ . فبواسطة هذا التابوت (الذي هو مريم) يُعطى الانتصار

على الاعدا الذين هم في الارض والذين هم في الجحيم " ولهذا يقول القديس برنردينوس السياني " ان مريم التي هي تابوت العهد الجديد حينما ارتفعت الى مقام ملكة السما . فوقتئذٍ ضعفت سلطة الجحيم على البشر وُغلبت " *

فكم من الخوف والهلع يعتري الشياطين. وكم ترتعد ارتجافاً من مريم المجيدة ومن ذكر اسمها العظيم قوات الجحيم . كما يقول القديس بوناونتورا * فهذا القديس يقابل هولا الاعدا مبثلاً اياهم باوالمك الاعدا المذكورين من ايوب البار بقوله " انهم في الظلام ينقبون البيوت كما تواعدوا بالنهار ولم يروا النور وان طلع الصبح سريعاً فيحسبونه ظلال الموت ويسلكون في الظلمة كانها هي نور" (ايوب ص ٢٤ ع ١٦ و ع ١٧) اي ان السارقين يذهبون في ظلام الليل ليسرقوا البيوت . ولكن متى اشرق ضيا الصبح فيهربون كما لو تكون ظهرت لهم صورة الموت وظله " فهكذا ان الشياطين (يقول القديس بوناونتورا) يدخلون الى النفس في وقت الظلام اي حينما توجد النفس مظلمةً بالجهل . ولكن حالما تاتي الى تلك النفس نعمة مريم ورحمتها . فلجمة الصبح هذه الجميلة تزيح الظلمات وتصيّر الاعدا الجهنميين ان يهربوا مدبرين من النفس كمن ظلال الموت . فاذًا مغبوطٌ هو ذاك الذي في وقت معركته مع قوات الجحيم يستغيث باسم مريم العظيم " *

ثم انهُ مطابقةً لما تقدم ذكرهُ قد أُوحي الى القديسة بريجيتا بان الله قد وهب مريم قوةً بهذا المقدار شديدةً على الشياطين. حتى انهُ في كل الاوقات التي فيها هولا يحاربون احد عبيدها بالتجارب . وهذا يستغيث باسمها . فعلى اية اشارةٍ تعطيها هي ضدهم يهربون حالاً مرتجفين هلعاً . ويرتضون بالاحرى بان تتضاعف عليهم العذابات عاجلاً من انهم يشاهدون ذواتهم مسادين من مريم بقوةٍ هكذا عظيمة *

اما كورنيليوس الحجري . ففي تفسيرهِ الكلمات التي بها العروس الالهي يمدح في سفر النشيد عروستهُ هذه المحبوبة قائلاً " كمثل السوسن بين الاشواك هكذا قرينتي بين البنات " (ص ٢ ع ٢) يتفلسف مبرهناً بقوله " كما ان زهرة السوسن هي دواءٌ قويٌ ضد الحيات والسموم . فهكذا ان استدعا اسم مريم هو دواءٌ فريدُ المنفعة للانتصار على جميع التجارب .

لا سيما المضادة العفة. حسبما يختبر ذلك بالعمل برأيٍ عامٍ كل اولئك الذين يستعملونهُ" ☆

والقديس يوحنا الدمشقي (في تكلمه على البشارة بسر التجسد) يقول "انني اذ كنت وطيد الرجا فيكِ يا والدة الاله. فمن دون ريبٍ انا مخلص* ويمكنني ان اطرد اعدائي لحصولي على عنايتكِ ومعونتكِ الكلية الاقتدار بمنزلة ترسٍ" فكذلك يستطيع ان يقول كل مَن يكون حاصلاً على السعادة بتعبده لهذه الملكة العظيمة "انني اذا دعوتكِ مترجياً بكِ يا والدة الاله فمن المؤكد انا لا أُغلب من اعدائي. لاني اذ اكون معضداً بحمايتكِ. فاجري في اثر هولا الاعدا طارداً اياهم. ولكوني اضع ضدهم مساعدتكِ اياي ومعونتكِ الكلية الاقتدار نظير الترس المنيع. فمن دون ريبٍ انا انتصر عليهم" وكما يقول احد ابا الروم العلما يعقوب الراهب (في عظته على ميلاد البتولة) مخاطباً للرب في شان مريم هكذا "فانت يا سيدي قد اعطيتنا هذه الام سلاحاً كلي القدرة الذي بواسطته نحن ننتصر بتاكيدٍ على اعدائنا اجمعين." ☆

ثم ان العدد الحادي والعشرون من الاصحاح الثالث عشر من سفر الخروج يخبرنا بان الله في اقتيادهِ الشعب الاسرائيلي من مصر الى ارض الميعاد "كان يتقدمهم بعمود غمامٍ نهاراً ليظهر لهم الطريق وبعمود نارٍ في الليل. وما فقد عمود الغمام نهاراً ولا عمود النار ليلاً قدام الشعب كافةً" فيقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس "ان في هذا العمود الكائن تارةً عمود غمامٍ وتارةً عمود نارٍ الذي في الحالتين كان رسماً لمريم. توجد الوظيفتان المستعملتان على الدوام من هذه الاسطوانة العظيمة مريم في خيرنا. فهي عمود غمامٍ تحمينا من حرارة نار غضب العدل الالهي. وكعمود نارٍ تحامي عنا ضد وثبات الشياطين" ويضيف الى ذلك القديس بوناونتورا "انها هي كعمود نارٍ. لانهُ كما ان الشمع يذوب من امام وجه النار. فهكذا الشياطين يفقدون قوتهم ضد انفس اولئك الذين مراتٍ مترادفةً يذكرون اسم مريم ويستغيثون بهِ بعبادةٍ. وبنوع افضل اذا اهتموا في ان يقتدوا بنموذجاتها" ☆

ويويد ذلك القديس برفردوس بقوله "ان الابالسة يرتعدون هلعاً

يرتجفون ارتعاشًا من مجرد سماعهم ذكر اسم مريم المجيد" ويضيف الى هذا توما الكمبيسي قائلاً „ انهُ نظير ما يحدث للبشر ان يسقطوا مطروحين في الارض اذا انقضت صاعقةٌ من السما غائصةً في الارض بالقرب منهم. فعلى هذه الصورة يسقط الشياطين مغلوبين حالما يسمعون التلفظ باسم مريم" فكم وكم حصل المتعبدون حسنًا لهذه السيدة على انتصاراتٍ غريبةٍ مجيدةٍ ضد هولا الاعدا عند استغاثتهم باسمها الكلي القداسة. فبهذا الاسم قد غلب اعداءَ الجهنميين القديس انطونيوس البدواني. ومثلهُ الطوباوي اريكوس صوسونه مع اخرين كثيرين. من المغرمين بمحبة هذه السيدة. ثم لشهيرٌ هو في تاريخ الرسالة الى بلاد اليابون „ انهُ مرةً قد ظهر لاحد المسيحيين هناك عددٌ عظيمٌ من الشياطين بصور وحوشٍ ضارية مخيفة جداً متهددين اياهُ بالافتراس. الّا ان هذا المسيحي قد اجاب وقال لهم هكذا * انهُ لا توجد معي اسلحةٌ تخيفكم. فان كان الله قد سمح لكم بضرري فافعلوا بي ما يحسن عندكم. غير اني استعمل بالمحاماة عن نفسي ضدكم الاسمين الكلية عذوبتهما. وهما اسما يسوع ومريم * فحالما هو تلفظ بهذين الاسمين المجيدين. واذا بالارض قد انفتحت وابتلعت في قلبها تلك الارواح المتعجرفة" والقديس انسلموس يشهد بانهُ بالامتحان العملي قد شاهد كثيرين وسمع عن غيرهم. بانهم عند استغاثتهم باسم مريم قد نجوا حالاً من الاخطار التي داهمتهم *

اما القديس بوناونتورا ففي مزموراته المختصة بالبتول الطوباوية يقول هكذا „ ان اسمكِ العظيم يا مريم هو مجيدٌ في الغاية ومحبوبٌ جداً. فاولئك الذين يفكرون بان يتلفظوا به في ساعة موتهم لا يخافون من الجحيم بجملته. لان الشياطين عند سماعهم تسمية مريم يتركون حالاً تلك النفس" ويضيف الى ذلك بقوله „ انهُ لا يوثر خوفًا في قلوب العساكر المحاربين على وجه الارض خبر مجيء اعدائهم. بجيوشٍ عظيمة العدد والقوة والاسلحة ضدهم. بمقدار ما يوثّر من الخوف في قلوب قوات الجحيم ذكر اسم مريم واقتدارها" ويقول القديس جرمانوس „ وانكِ ايتها السيدة تجعلين عبيدكِ امنين مطمأنين من غوائل وثبات العدو كلها. وذلك بمجرد استدعائهم اسمكِ الكلي الاقتدار" فيا حبذا لو كان المسيحيون يستمرون

منتبهين على ان يستغيثوا برجاء وثقة في حين هجوم التجارب ضدهم باسم مريم. اذ انهم بذلك يلجون حقاً من السقوط بالخطية. لان الطوباوي الانوس يقول «ان انهتاف بهذا الاسم العظيم يرعب الشيطان ويرجف الجحيم» بل ان والدة الاله نفسها قد اوحت الى القديسة بريجيتا. بان العدو الجهنمي يفرّ هارباً عن انفس اولئك الذين كانوا تحت حوزته. ولو وُجدوا من الخطاة الاشد تعاسةً. والاكثر بعداً عن الله. والاوفر دنواً من الهلاك. والاقوى اسرًا لهذا العدو عينه. وذلك حالما يسمعهم يستغيثون باسم مريم ذي الاقتدار طالبين معونتها بنيةٍ حقيقيةٍ على عدم الرجوع الى الخطية. غير ان تلك النفس (كقول والدة الاله عينها في الوحي الموحى اليه) ان كانت لا تنقي ذاتها وتنزع عنها الخطية بواسطة الندامة والتوجع. فالشياطين من دون تاخيرٍ يرجعون اليها ويجدّدون اخذ التملك عليها كما كانوا قبلاً ☆

☆ نموذج ☆

قد كان في مدينة راجيسبارجيوس احد طغمة الاكليروس المدعوين «تابعي القانون» اسمهُ ارنولدوس جزيل التعبد لوالدة الاله الطوباوية. فهذا عند ما دنا من ساعة الموت قد تناول الاسرار المقدسة. وتوسل الى ذوي جمعيته بالّا يهملوهُ في ذاك الوقت الاخير. فعند ما انهى كلماته معهم واذا به قد استحال الى حالٍ اخرى بحضورهم. مملوة من القلق والاضطراب والارتعاش. مكدوداً بعرقٍ بارد ثم بصوتٍ مرتجف صرخ نحوهم قائلاً «أما تنظرون هولا الشياطين المريدين ان يختطفوني الى جهنم» ثم بعد ذلك عجّ صارخاً بقوله «يا اخوتي استغيثوا لاجلي باسم مريم واستمدوا لي منها المعونة. لاني ارجو منها ان تهبني الانتصار والغلبة الكاملة» فعند ذلك ابتدأ الحاضرون لديه بتلاوة طلبة العذرا المجيدة. وحين قولهم «يا قديسة مريم صلي لاجله» هتف المنازع نحوهم قائلاً «كرروا كرروا ذكر اسم مريم لاني الان قد دنوت من المحكمة الالهية» ثم بعد ان هجع قليلاً قال «اي نعم انني فعلت ذلك ولكن صنعت عنهُ توبةً» وفي غضون هذا القول التفت نحو البتول القديسة قائلاً «يا مريم انا اخلص ناجياً انه

كنتِ تعينيني " فبعد ذلك بزمنٍ ما قد وثبت عليه الشياطين من جديد محاربين اياهُ بالتجارب . الاَّ انهُ كان هو يحامي عن نفسه برسم الصليب المقدس . وباستغاثته بمريم البتول . وعلى هذه الصورة اجتاز كل تلك الليلة . فلما اشرق ضيا الفجر فارنواُدوس امتلأ تعزيةً وابتهاجًا وصرخ قائلاً " ان مريم سيدتي وملجأي قد استمدت لي الغفران والخلاص " وبعد هذا اذ كان متفرسًا في انطوباوية الداعية اياهُ لان يتبعها قال لها " اني ات يا سيدتي اتٍ وراكِ " وكان يغتصب ذاتهُ لينهض من على الفراش . ولكن اذ لم يمكنهُ ان يتبعها بالجسد . فحالاً رقد بهدوءٍ وسلامٍ وهكذا اتبعها بالنفس الى الملك السماوي كما نومل ☆

☆ صلوة ☆

هوذا انا الخاطىء المسكين طريحٌ على قدميكِ يا مريم رجائي . بعد اني مراتٍ كثيرة حصلت بخطاياي اسيرًا للشيطان والجحيم . فانا اعلم جيدًا اني اهملت ذاتي ان أُغلب من ابليس المحال لعدم التجائي اليكِ يا ملجأي . لاني لو كنت دائمًا اهرب الى حمايتكِ . واستغيث باسمكِ لما كنت سقطت اصلاً . الاَّ انني ارجو يا سيدتي المحبوبة في الغاية ان اكون بواسطتكِ قد خرجت من حوزة الشيطان وان يكون الله جاد عليَّ بالغفران . ولكنني ارتعد خائفًا من ان اسقط جديدًا في المستقبل ضمن قيود اعدائي الشياطين . لاني اعرف انهم ما قطعوا املهم من ان ينتصروا عليَّ ثانية . وهوذا هم يعدون لي تجارب وامتحاناتٍ جديدة ليثبوا عليَّ بها . فيا ملكتي وملجأي عينيني واتخذيني تحت ذيل برفيركِ . ولا تسمحي بان تشاهديني مرةً اخرى ساقطًا في اسرهم . فانا اعلم انكِ تسعفيني وتهبيني الانتصار عليهم طالما انا استغيث بكِ . ومن هذا القبيل انا لا اخشى . ولكنّي اخاف من ان انسى في حين هجوم التجارب عليَّ ان استدعيكِ لمعونتي . فاذاً انما الان اتضرع اليكِ بان تمنحيني هذه النعمة التي اريدها منكِ ايتها البتول الكلية القداسة . وهي ان افتكر فيكِ دائمًا لا سيما حينما اوجد في ميدان المعركة . فاجعليني ان لا اهمل حينئذٍ ان ادعوكِ مراتٍ مترادفة قائلاً . يا مريم عينيني . ساعديني

يا مريم · واخيراً عند ما يكون بلغ اليوم النهائي للجاز حربي مع الجحيم اعني ساعة موتي · فوقتئذٍ اسعفيني يا سيدتي بابلغ نوع · وانتِ نفسكِ ذكريني في ان استغيث بكِ باكثر اتصال · امّا بفمي وامّا بقلبي · حتى اذا ما اسلمت روحي في حال وجود اسم ابنكِ يسوع الكلي القداسة واسمكِ الكلي الحلاوة في فمي · فاستطيع ان آتي امام قدميكِ لاباركك وامدحكِ من دون ان انفصل عنكِ الى الابد امين ✿

الفصل الخامس

✿ فيما يلاحظ هذه الكلمات وهي ✿
✿ نحوكِ نتنهد نائحين وباكين في هذا الوادي ✿
✿ وادي الدموع ✿

✿ وفيه جزءان ✿

الجزء الاول

✿ في عظم احتياجنا الى شفاعة مريم البتول في شان خلاصنا الابدي ✿

ان الاستغاثة والتضرع الى القديسين · وبنوعٍ خاص الى سلطانتهم كافةً مريم الكلية القداسة · لكي يستمدوا لنا من الله نعمهُ الالهية هو شيء ليس فقط جائزٌ بل ايضاً مفيدٌ حميدٌ مقدسٌ · وهذه هي قاعدةٌ من قواعد الايمان محددةٌ في المجامع المقدسة · ضد الهراطقة الذين يرفضونها كانها ذات افتراء على يسوع المسيح الذي هو الوسيط الوحيد فيما بيننا وبين الله ابيه · على انهُ ان كان ارميا النبي بعد موته بسنين هكذا عديدة صلى امام الله · متضرعاً من اجل خلاص مدينة اورشليم من يد نيكانور قائد جيوش الملك ديمتريوس · كما هو مدوَّن في الاصحاح الخامس عشر من سفر المكابيين

الملقي . ولكن كان الشيوخ المذكورون في سفر الابوكاليبسي يقدمون لله صلوات القديسين. وان كان الطوباوي بطرس الرسول وعد تلاميذه بان يذكرهم بعد موته والقديس اسطفانوس صلى من اجل مضطهديه. والقديس بولس تضرع من اجل رفاقائه . وبالاجمال ان كان القديسون يستطيعون ان يصلوا من اجلنا . فكيف نحن لا نقدر ان نتوسل اليهم لكي يتضرعوا من اجلنا لدى الله * فالقديس بولس يطلب من تلاميذه ان يصلوا لاجله قائلاً „ يا اخوتي صلوا عنا " (تسالونيكي اولى ٥ ع ٢٥) والقديس يعقوب الرسول يحرض المؤمنين على ان يصلي بعضهم من اجل بعض بقوله „ وليصلِ بعضكم على بعضٍ لتخلصوا " (يعقوب ص ٥ ع ١٦) فاذاً نحن ايضاً يمكننا ان نصنع ذلك *

فاي نعم انهُ لا ينكر احدٌ اصلاً ان يسوع المسيح هو وسيط العدل الوحيد. الذي بواسطة استحقاقاته قد اكتسب لنا المصالحة مع الله . ولكن بالضد منكرةٌ هي بل اثيمةٌ نفاقيةٌ هذه القضية وهي. ان الله لا يتنازل ان يهب انعامهُ لقبوله تضرعات القديسين فاذاً مقبولة هي شفاعة القديسين عند الله من اجلنا لا سيما شفاعة والدته مريم الكلية القداسة . التي يرغب فادينا يسوع رغبةً عظيمةً ان يراها محبوبةً ومكرمة من كل احدٍ. فترى مَن يمكنهُ ان يجهل ان الكرامات التي تُعطى للامهات هي راجعةٌ للبنين كما هو مكتوبٌ „ ان فخر الاولاد هو اباؤهم " (امثال ص ١٧ ع ٦) فمن ثمَّ يقول القديس برنردوس „ لا ينكر احدٌ بان مَن يمدح كثيراً الام يحتقر مجد الابن . لانهُ بمقدار ما تُعظَّم الامّ فبالاكثر من ذلك يُمدَح الابن " ويقول القديس ايدالفونسوس „ ان الكرامات باسرها التي تتقدم للامّ وللملكة فهي راجعةٌ للابن وللملك " على انهُ لا يرتاب احدٌ في انهُ بقوة استحقاقات يسوع قد أُعطي لمريم سلطة عظيمة جداً على ان تكون هي وسيطة في امر خلاصنا . لكن لا وسيطة العدل بل وسيطة النعمة والشفاعة . فبهذه الصفة بالحصر يسميها القديس بوناونتورا بقوله „ ان مريم هي وسيطة خلاصنا الامينة " والقديس لورانسوس يوستينياني يقول „ كيف لا تكون ممتلئة نعمة تلك التي هي سلّم الفردوس . وهي باب السما . والوسيطة الحقيقية فيما بين الله والبشر " *

فلهذا حسنًا ينبّه القديس انسلموس بانهُ حينما نحن نتوسل الى العذرا المجيدة في ان تستمد لنا النعم. لا نأيس من الرحمة الالهية. بل بالاحرى اننا نأيس من استحقاقنا. ونتضرع الى مريم لكي تستعمل علو شانها ورتبتها العظيمة في عيني الله. متممةً نقص استحقاقنا نحن الاذلا الحقيرين ✿

فاذاً لا ريبَ في ان الالتجاء الى شفاعة مريم البتول هو شيء مفيدٌ ومقدس. ولا ينكر ذلك الا اولئك الذين نقص منهم الايمان. غير ان الشيء الذي نحن ههنا نهتم في اثباته هو. ان شفاعة مريم هي ضروريةٌ ايضاً لامر خلاصنا. ولكن لكي نتكلم كما يجب فنقول ان شفاعتها هي ضروريةٌ لخلاصنا لا بضرورةٍ مطلقة بل بضرورةٍ ادبية. مبرهنين بان هذه الضرورة الادبية هي صادرة عن ارادة الله نفسه. الذي شاء ان النعم كلها التي هو يوزعها بسخائه الالهي تتصل الينا من يد مريم. كما يرتأي القديس برنردوس وهذا الرأي يمكن حسناً ان يقال عنهُ انهُ هو الان راي عموميٌ فيما بين اللاهوتيين والعلما. كما يسميه راياً عاماً مولف الكتاب الملقّب « مملكة مريم » وقد اعتنق الراي المذكور العلماء فاغا. وماندوتسا. وباجيوكالي. والسنيري. وبوارة. وكراسات. مع لاهوتيين اخرين ماهرين لا يُحصى عددهم. حتى ان الاب ناطاليس اسكندر العلّامة المدقق جداً في تعاليمه وايراداته. يقول هو عينه في الرسالة السادسة والسبعين من المجلد الرابع من لاهوته النظري « ان ارادة الله هي ان النعم كلها نحن ننتظرها بواسطة شفاعة مريم البتول الكلية الاقتدار التي نحن نستغيث بها » ثم انهُ يستشهد في تاييد هذا الراي كلمات القديس برنردوس الشهيرة وهي قولهُ « هكذا هي ارادة الله ان كل شيء نحن نفوز بهِ فننالهُ بواسطة مريم » وهذا نفسهُ يرتأيه الاب كونتانصونه. وذلك في تفسيره كلمات يسوع المسيح التي قالها لتلميذه الحبيب يوحنا وهو على الصليب اي « ها امك » وكأنّهُ يقول انهُ ليس احدٌ يشترك باستحقاق دمي مستفيدا الّا بشفاعة امي. فجراحاتي هي ينابيع النعم ولكنها لا تتصل هذه الينابيع الّا بواسطة مريم امي التي هي القناة. وانتَ يا يوحنا تلميذي ستكون محبوبًا مني بمقدار المحبة التي انت بها تحبها » ✿

فهذه القضية اي ان كل الخيرات التي تتصل الينا من الرب. فتاتي

علينا كافةً بواسطة مريم. لم تكن مرضيةً جداً لاحد المعلمين المحدثين الذي ولئن كان يتكلم بحسن ديانةٍ. وبقواعد علمية في تمييزه العبادات الصادقة من الباطلة. فمع ذلك اذ يتعاطى الكلام عن العبادة المختصة بهذه الام الالهية. فقد اظهر على ذاته البخل الزائد في ان لا يخصّص هذه البتول القديسة بصفةٍ تأول لمجدها. بعد ان القديسين جرمانوس. وانسلموس. ويوحنا الدمشقي. وبونافنتورا. وانطونينوس. وبرنردينوس السياني. ثم الانبا كالاس المكرم. مع علمآ اخرين كثيرين لم يجدوا ادنى صعوبة في ان يخصّصوها بها بقولهم. انه لاجل السبب المذكور انفاً. فشفاعة مريم البتول المجيدة ليس فقط هي مفيدةٌ للخلاص. بل ايضاً هي ضروريةٌ ادبيًا لنواله. اما المعلم المنوه عنه فيقول ان قضيةً هذه صفتها وهي. ان الله لا يمنح نعمةً ما الاّ بواسطة مريم العذرا هي قضيةٌ متسعةٌ جدًا غير محدودة. وهي نوع من المبالغة قد جاءت على افواه البعض من القديسين بحرارة عبادتهم. واننا اذا اردنا ان نفهم معنى قولهم بنوعٍ مستقيم. فيمكن من هذا القبيل فقط ان تصدق كلماتهم. وهو من كوننا بواسطة مريم. قد حصلنا على يسوع المسيح متجسدًا. الذي باستحقاقاته نحن نقتبل جميع النعم. والا فعلى زعمه انه لضلالٌ هو الاعتقاد بان الله لا يقدر ان يعطي النعم من دون تضرعات مريم. لان الرسول بولس يقول „ ان الله واحدٌ هو والوسيط بين الله والناس واحدٌ هو الانسان يسوع المسيح (تيموتاوس اولى ص ٢ ع ٥) فهذا ما قاله المعلم المحدث المشار اليه ✿

غير اني بروح السلام ذاته الذي هو يعلمني به في كتابه عينه اجاوبه بانه شيءٌ هو وسيط العدل بقوة الاستحقاقات. وشيءٌ اخر هو وسيط النعمة بطريقة التضرع والشفاعة. وكذلك شيءٌ هو القول ان الله لا يقدر ان يعطي النعم من دون شفاعة مريم البتول. وشيءٌ اخر هو القول انه لا يريد تعالى ان يمنحها من غير شفاعتها. فنحن نعترف جيداً بان الله هو ينبوع كل خيرٍ. وان الرب هو حرٌّ مطلقٌ في منح النعم. وان مريم العذرا لم تكن وليست هي شيئًا اخر سوى خليقةٍ محضة. وبان كل ما تناله هي من الله فانما تنالهُ على سبيل النعمة المجانية منهُ عزَّ وجلَّ. ولكن ترى مَن يمكنهُ ان ينكر انهُ امرٌ صوابيٌ وعادلٌ ولايقٌ جداً هو القول. ان الله

لكي يرفع شان هذه المخلوقة الجليلة. التي قد كرمتهُ واحبتهُ في مدة حياتها اكثر من المخلوقات كلها. وانهُ جلَّ صلاحه اذ انتخب هذه البتول القديسة اماً حقيقيةً بالجسد لابنه الوحيد والمخلص العام. فيريد ان النعم كلها التي يهبها للانفس المفتداة بدم ابنه عينه تتوزع بواسطة هذه الام الالهية. ثم اننا نعترف حقاً بان يسوع المسيح هو وسيط العدل الوحيد حسبما بيّنا انفاً. وانهُ باستحقاقاته الغير المتناهية قد اكتسب لنا النعم والخلاص. ولكن نحن نقول ان مريم هي وسيطة النعمة. وانهُ ولئن كان جميع ما تناله هي فانما تناله بقوة استحقاقات يسوع المسيح. فمع ذلك كل النعم التي نلتمسها نحصل عليها بواسطة شفاعة هذه السيدة ✿

ففي هذا الراي لا يوجد بالحقيقة شيء مضادّ للقضايا الدينية المقدسة. بل بالاحرى هو مطابقٌ لها بكل اجزائه. وهو حسب تعليم الكنيسة التي في صلواتها العمومية المثبتة منها تعلمنا بان نلتجيء باتصالٍ الى هذه الام الالهية. وبان نستغيث بها. وبان ندعوها „شافية المرضى„ „ملجأ الخطاة„ „معونة المسيحيين„ „حياتنا„ „رجانا„ ثم من حيث ان الكنيسة عينها في صلوات الفرض الالهي المرسومة تلاوتهُ في اعياد مريم البتول. تخصصها بالكلمات المدونة في الكتاب الالهي عن الحكمة. فبهذا تعلمنا اننا في مريم نجد كل رجاء „فيَّ انا كل رجاء حيوةٍ وفضيلة„ في مريم كل نعمةٍ „فيَّ انا نعمة كل مسلكٍ وحقٍ„ وبالاجمال في مريم الحيوة والخلاص الابدي „من شرحني تحصل له الحيوة الابدية„ ان الذين يعملون بي لا يخطئون „مَن يجدني يجد الحيوة ويستقي الخلاص من عند الرب„ فهذه كلها هي اشيا توضح لنا الضرورة التي من اجلها نفتقر الى شفاعة مريم من اجلنا (وهي مسجلة في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر حكمة ابن سيراخ وفي الاصحاح الثامن من سفر الامثال) ✿

فهذا هو ذات الراي الذي يوطدنا فيه اباءُ قديسون جداً. وعلماءُ لاهوتيون كثيروا العدد. ولذلك ليس بعدلٍ هو قول المعلم الحديث المشار اليه انفاً. وهو ان البعض من القديسين لكي يرفعوا شان مريم اوردوا هذه القضية الواسعة الغير المقيدة. وانها جاءت في افواههم كالفاظ مبالغة. والحال ان ذلك يوجب الزيغان عن الحق الامر الذي لا يجب ان نقولهُ عن

انام قديسين قد تكلموا بروح اللـه الذي هو روح الحق * وهنا فليسمح لي بان ادخل حاشيـةً مختصرةً موضحاً بها رأيي . وهو انـه حينما يوجد راي او حكم يكون راجعًا لكرامة البتول مريم الكلية القداسة. ويكون لهُ اساس ما. ولا يتضمن تضاداً ما لا لقواعد الايمان. ولا لمراسيم الكنيسة الجامعة واوامرها. ولا للحـق . فعدم التمسك بذاك الراي . او مقاومتـهُ سنداً على ان الراي المضاد يمكن ان يكون حقيقياً. فهذا يعلن قلة العبادة لوالدة الالة * أما انا فلا اريد ان اكون من عدد هولا الاشخاص القليلي العبادة لها. واشتهي ان لا تكون ولا انت ايها القاري العزيز من مصافهم. بالاحرى ان تكون من عدد اولئـك الذين يعتمـدون بثبات العزم بملء التصديق على كل شيء يمكن من دون ضلال او غلط ان يُعتقـد بـهِ في شان تمجيـد مريم وتكريمها . كما يتكلم عن ذلـك الانبا روبارتوس الذي يضع فيها بين التكريمات المقبولة من هذه الام الالهية. الاعتقاد بثبات في كل ما يلاحظ عظمتها ومجدها * على انـهُ اذا لم يكن عندنا نموذج اخر في ان نمدح مريم المجيدة بتقريظات وتكريمات ما . ونكون امينين من الخوف من ان نتجاوز بذلك الحدود الواجبة. فيكفينا نموذج الاب العظيم فيما بين اباء الكنيسة الجامعة. وهو القديس اوغوسطينوس الذي يقول « اننا حينما نورد في مديحنا مريم كل شيء يمكن ان يقال من المديح والوصف والتقريظات والتكريمات . فهذا جميعهُ هو قليل وجزئي بالنسبة الى ما تستحقهُ رتبتها السامية. وشرف حال كونها والدة الالـه » ثم ان الكنيسـة المقدسـة وضعت في خدمـة القداس الالهي المختص بمريم الطوباويـة هـذه الكلمات وهي « لانـكِ انتِ سعيدة ومستحقةٌ في الغاية ايتها البتول القديسة مريم الدائم والتقريظات والتسابيح كلها » *

ولكن فلنرجعنَّ الان الى موضوعنا . ولنسمعنَّ ماذا يقول القديسون في شان هذا الراي المقدم ذكرهُ. فالقديس برنردوس يتكلم هكذا قائـلاً « ان الله قد املأ مريم من النعم جميعها لكي يقتبل البشريون بعد ذلك بواسطة مريم عينها كانها مجرى او قناةٍ. كل ما يتصل اليهم من الخيرات » ثم ان القديس المذكور يضيف الى ذلك هذه الملاحظة المعتبرة ايضاً . ومن ثمَّ يقول « ان نهر هذه النعم الالهية لم يكن موجوداً في العالم ولا جارياً الى الجميع قبل ان

تُغلق هذي البتول الكلية القداسة. وذلك لانهُ لم يكن بعدُ وُجدَ هذا المجرى. ولا كُوّنت هذه القناة المشتهاة في الغاية * ولهذا قد أُعطيت مريم للعالم. حتى انهُ بواسطة هذه القناة تجري الينا على الدوام النعم الالهية" *

فلذلك كما ان اليفانا قائد جيوش بختنصر ملك الاثوريين حينما حاصر مدينة بيت فالوا. امر غلمانهُ بان يهدموا قناة الماء الجاري الى المدينة. فالشيطان على هذه الصورة يعتني بكل جهده واستطاعته في ان يجعل الانفس ان تخسر حسن تعبدها لوالدة الاله. لكي يغلق بذلك قناة النعم. وهكذا بسهولةٍ كلية يمكنه ان يكتسب تلك الانفس لذاته ويضعها تحت حوزته * وفي هذا الصدد ينبه القديس برنردوس المومنين بقوله „ تاملي ايتها الانفس المسيحية بكم من الحب والانعطاف وحسن التعبد يريد الرب منا ان نكرم ملكتنا هذه. بالتجائنا دائماً الى حمايتها. وباعتصامنا بالرجا في شفاعاتها. لانهُ تعالى قد اذخر فيها ملء الخيرات كلها. حتى اننا نعلم ان جميع ما يوجد عندنا بعد ذلك من الرجا والنعم والخلاص. فانما نحصل عليه بواسطة مريم" وكذلك يقول القديس انطونينوس „ ان المراحم كلها التي أستعملت نحو البشر. فجميعها جاءتهم بواسطة مريم" *

ومن ثمَّ مريم قد لُقّبت بالقمر. فيقول القديس بوناونتورا „ انهُ كما ان القمر هو كائنٌ فيما بين الشمس وبين الارض. وان الشيء الذي يقتبلهُ هو من الشمس (اي الاشعة والضيا) يمنحهُ هو للارض. فهكذا مريم تقتبل من السما اشعة انعام الشمس الالهية لكي تفيضها علينا نحن القاطنين في الارض" *

ولهذا هي قد لُقّبت ايضاً بباب السما كما تدعوها الكنيسة المقدسة بقولها „ افرحي يا باب السما السعيد" فحسبها يبرهن القديس برنردوس نفسهُ „ بانه كما ان كل مرسوم ملوكي يمنح بقوته الملك نعمةً ما. يلزم ان يخرج من باب ديوانه الملوكي. فكذلك نحن أُعطينا مريم كبابٍ يجتاز الينا بواسطتها جميع ما نحصل عليه" ويضيف الى هذا القديس بوناونتورا قائلاً „ ان مريم تُسمّى باب السما. لانهُ لا يمكن لاحدٍ ان يدخل الى السما من دون ان يجتاز بواسطة مريم التي هي الباب" *

ثم ان القديس ايرونيموس يوطدنا في هذا الراي في عظتـه على صعود البتولـة (ولئن كان حسب راي البعض ان هذي العظة هي لرجلٍ قديم مجهول الاسم واندرجت فيها بين تاليفات هذا القديس) حيث يقول „ انّ في يسوع المسيح وُجد ملء النعم كلها كوجوده في الهامـة. ومنها اي من هذه الهامـة تتصل الينا نحن اعضا جسده السري كل الارواح الحيـة. اي المعونات الالهيـة لكي نحصل على الخلاص الابدي. ثم انـهُ في مريم ايضاً قد وُجـد ملء هذه الانعام عينها كوجودها في العنق او الرقبـة. التي بواسطتها تلك الارواح الحية تجتاز من الراس الى الاعضا" وهذا الراي قد توطد من القديس برنرديـنوس السياني الذي قـد فسر القول المقدم ذكرهُ تفسيراً ذا ايضاحٍ ابلغ بقولـه „ انـهُ بواسطـة مريم تُرسل الى المومنين الذين هم جسـد يسوع المسيح السري جميع نعم الحيوة الروحيـة. التي تنحـدر على هذه الاعضا من يسوع المسيح الذي هو راسها " ✿

وهنا القديس بوناوفنتورا يورد السبب مبرهناً بقولـه „ انـهُ اذ كان الباري تعالى قـد ارتضى بان يسكن في مستودع هذه العذرا القديسـة. فعلى نوعٍ ما اكتسبت هي سلطـاناً على النعم كلها. لانـهُ من حيث ان من مستودعها الطاهر المقدس قد خرج يسوع المسيح. فقد خرجت منها صحبته انهر المواهب الالهيـة كانها من بحرٍ محيطٍ" ونظير ذلـك يقول القـديس برنرديـنوس السياني بافصح عبارةٍ هكذا „ انـهُ من حينما حبلت هذه الام البتول بالكلمة الالهي متجسداً في احشائها. فقد اكتسبت هي (لكي نقول على هذه الصورة) حجـةً ما وحقاً خصوصياً المواهب التي تنحدر علينا من الروح القدس. بنوع انـهُ فيما بعد لم تتصل الى خليقـةٍ ما من الخلايق ولا نعمةٌ واحدةٌ من الله. الاّ بواسطة مريم وعن يدها " ✿

وهكـذا احـد العلما (وهو كراسات في كتاب العبادة لمريم) قد فسر على هذا النوع نفسـه كلمات النبي ارميا (ص ٣١ ع ٢٢) المقولة منـهُ عن تجسـد الكلمـة الازلي من مريم بقولـه „ ان الرب خلق شيئًا جديداً في الارض انثى ستحيط برجل " حيث يبرهن قائـلاً „ كما انـهُ من النقطـة الكائنة في وسط دايرةٍ ما لا يخرج ولا خط من الخطوط المحدة بها خارجاً عن الدايرة. من دون ان يجتاز قبلاً بالخط المحيط بالدايرة نفسها. فهكذا

ولا نعمةٌ من النعم تخرج ممنوحةً من يسوع المسيح الذي هو ينبوع النعم والخيرات كلها مفاضةً علينا . من دون ان تجتاز بمريم التي احاطته به تعالى . بعد ان افتبلته في مستودعها ومن ثم نحن ننال النعم بواسطة هذه الانثى التي احاطت رجلاً " ✡

ولهذا يقول القديس برنردينوس عينه „ انه' لاجل ذلك كل المواهب وجميع الفضائل وسائر النعم تتوزع من يد مريم . على اولئك الذين هي تروم ان تمنحهم اياها . وفي الاوقات التي هي تشاء منحها . وبالانواع التي تريد توزيعها " وكذلك ريكاردوس يقول „ ان جميع الخيرات التي يصنعها مع خلائقه . فيريد ان تجتاز عن يد مريم موزعةً عليهم بواسطتها " . ومن هذا القبيل الانبا جالاس المكرم يحرض كل احدٍ على ان يلتجيء الى خازنة النعم هذه . كما هو يسميها هكذا „ لانه' بواسطتها فقط ينبغي ان يقتبل العالم وكل البشر الخيرات التي يمكنهم ان يرجوها " فمن هذا جميعه يتضح جلياً ان القديسين والعلما الموردة اقوالهم انفاً . المصرحين بان كل النعم التي تاتينا من الله انما تتوزع علينا بواسطة مريم . لم يقصدوا بذلك ان يبينوا هذا فقط . وهو اننا من مريم قد حصلنا على يسوع المسيح كلمة الله متجسداً . الذي هو ينبوع النعم والخيرات كلها . الامر الذي قصد المعلم الحديث المنوه عنه' في بدء هذا الجزء ان يفسر به اقوالهم . بل انهم قد اكدوا لنا هذه الحقيقة ايضاً . وهي „ ان الله بعد ان اعطانا ابنه' الوحيد يسوع المسيح . يريد ان النعم كلها التي توزعت وتتوزع على البشر من حين تجسد ابنه الى منتهى العالم . ممنوحةً لهم باستحقاقات هذا الابن الالهي نفسه . تكون معطاة لهم وهم يفوزون بها عن يد مريم وبواسطة شفاعاتها لديه " ✡

فاذاً يختتم القول الاب سوارس بانه' في هذه الايام قد اضحى الراي المذكور راياً عاماً في الكنيسة . وهو ان شفاعة مريم البتول هي ليس مفيدةً فقط لنا لاجل نوال الخلاص' الابدي . بل هي ضروريةٌ ايضاً لذلك . لا بضرورةٍ مطلقة كما نبهنا في محله . لكن بضرورةٍ ادبية . لان وساطة يسوع المسيح هي وحدها ضروريةٌ لخلاصنا بضرورةٍ مطلقة ＊ على ان الكنيسة ترتأي مع القديس برنردوس بان الله قد رسم مريداً ان النعم كلها من دون

استثناء تتوزع علينا بواسطة مريم · بنوع انهُ ولا نعمةٌ منها تُعطى لنا الاَّ عن يدها · وقبل القديس برنردوس قد كان اثبت هذا الراي القديس ايدالفونسوس بقولهِ نحو والدة الاله "يا مريم ان الرب قد حكم بان يسلم بيديكِ كل الخيرات التي اعدها لتتوزع على البشر· ولذلك قد ايتمنكِ على الخزائن كلها وعلى كنوز النعم جميعها" ولهذا يقول القديس بطرس داميانوس "ان الله لم يرد ان يتجسد متانساً الاَّ برضا مريم اولاً لكي نوجد كلنا ممنونين لها بنوعٍ عظيم من المنّة ثانياً لكي نفهم ان العناية بامر خلاصنا اجمعين قد فُوضت لهذه البتول القديسة" ☆

فمن ثمَّ اذ تامل القديس بوناونتورا في كلمات اشعيا النبي المدونة منهُ في بدء الاصحاح الحادي عشر من نبوتهِ وهي "ستخرج عصا من اصل يسى وتصعد زهرةٌ من اصلهِ وتستريح عليها روح الرب" فقال هو اي القديس بوناونتورا عن ذلك هذه الالفاظ الجليلة وهي "ان كل مَن يرغب مشتهياً ان ينال نعمة الروح القدس· فليفتش على الزهرة في العصا · اي على يسوع في مريم· لاننا بواسطة العصا نجد الزهرة وبواسطة الزهرة نجد الله" ثم يضيف الى ذلك قائلاً "فان كنت يا هذا تريد ان تحصل على هذه الزهرة · فاهتم بواسطة التضرعات في ان تجتذب الى صالحك عصا الزهرة · وهكذا تفوز بالزهرة عينها" وان لم تفعل ذلك يقول الاب المعلم السيرافيمي بوناونتورا في تفسيره الكلمات الانجيلية وهي ان المجوس "دخلوا البيت فوجدوا الصبي مع مريم امهِ" (متى ص ٢ ع ١١) فلا تحصل على يسوع الذي لا يوجد الاَّ مع مريم وبواسطة مريم· ويختتم قولهُ بانهُ "عبثاً ومن دون فايدةٍ يطلب ان يجد يسوع ذاك الذي لا يفتش على ان يجدهُ مع مريم" ومن ثمَّ يقول القديس ايدالفونسوس هكذا "انا اريد ان اكون عبداً للابن· ومن حيث انهُ لا يكون اصلاً احد عبداً للابن ان لم يكن عبداً للام· فلهذا انا ابذل كل اهتمامي في تعبدي لمريم" ☆

* نموذج *

لقد اخبرنا المعلمات بالواجانسه وكيساريوس عن شاب ما ذي اصل شريف. بانهُ بعد ان كان اصرف جميع الغنى الواسع المخلف لهُ ميراثاً من ابيه مبدداً اياهُ في المعاصي والقبائح. قد صار اخيراً فقيراً فاقداً كل شيء. حتى انهُ اضطر لحفظ حياته لان يدور متسولاً يجتذي صدقةً. ولذلك اي لخجله من حاله سافر من وطنه الى بلدةٍ اخرى ليكون فيها مجهولاً. ففي مسافة هذا السفر قد صادف في الطريق احد اولئك الذين كانوا عبيداً لابيه. فلما شاهد ذاك العبد ابن سيده في تلك الحال السيئة من الفقر مملواً من الحزن والاكتئاب. تقدم اليه وشرع يعزيه ويطمنه موعداً اياهُ بانهُ مزمع ان يقودهُ امام احد الامرا العظمين. الذي يهتم به في كل ما كان يعوزه. فهذا العبد كان رجلاً ساحراً منافقاً. ومن ثم جاء في اليوم المعين منهُ عند ذاك الشاب. فاخذه وذهب به الى البرية ودخلا في حرشٍ كائن بجانب بحيرةٍ. وهناك بدأ يتكلم مع شخصٍ غير منظور. فلهذا سالهُ الشاب مستفهماً بقوله لهُ „مع مَن انت تتكلم" فاجابهُ ذاك „انني اتكلم مع الشيطان" ولكن الشاب امتلأ خوفاً من هذا الجواب فاخذ يشجعهُ ويطمنهُ. وهكذا استمر يخاطب الشيطان قائلاً لهُ „يا سيد ان هذا الشاب قد بلغ الى اقصى الفقر والقلة. ويريد ان يرجع الى سعادة حاله الاولى" فالعدو الجهنمي اجاب وقال لهُ „انهُ متى اراد الشاب ان يطيعني فانا سارجعهُ الى حال الثروة اكثر من ذي قبل. ولكن قبل كل شيء يلزمهُ ان ينكر الله" فالشاب استوعب اشمئزازاً ونفوراً من هذا الطلب. الاَّ ان ذاك الساحر اللعين قد اجتذبهُ لان يكفر به تعالى فكفر به. ثم ان الشيطان اردف كلامهُ بقوله „ان هذا لا يكفي بل يلزمهُ ان ينكر مريم البتول ايضاً. لان هذي هي تلك التي نحن نعرف جيداً ان خسارتنا هي صادرةٌ من قبلها بالاكثر. فكم وكم هي تختطف من ايدينا من الانفس وتردها الى الله وتخلصها" فالشاب قال لهُ „كلا. انا لا يمكن ان انكر مريم امي لان هذه هي رجائي باسره بل اني ارتضي بالاحرى بان ادور اتسول بحال الفقر الكلي جميع ايام حياتي من اني افعل ذلك"

قال هذا وانصرف من ذاك المكان. ففي رجوعه اتفق لهُ ان يمرَّ من على باب احدى الكنائس المشيدة على اسم والدة الاله. فدخل اليها مملوًا من الحزن والغم. وجثا امام ايقونتها باكيًا. واخذ يتوسل اليها بحرارةٍ في ان تستمد لهُ غفران خطاياهُ. فهذي الام الراوفة شرعت تطلب من اجله الى ابنها الالهي. امَّا يسوع ففي الابتدا قال لها "ان هذا الخائن قد نكرني يا امي" ولكن عندما نظر ان والدتهُ لم تزل تتضرع اليه فاخيراً قال لها "اني انا قط ما نكرت عليكِ شيئًا. فليكن لهذا الشاب الغفران عن خطاياه لاجل طلبتكِ" فالرجل الغني الذي كان فيما مضى اشترى من ذاك الشاب جميع املاكه ومقتناه رويدًا رويدًا. وهو اي الشاب كان اصرف اثمانها في الرذائل. قد شاهد بمنظرٍ سري هذا الحادث. ولاحظ الرافة المصنوعة من والدة الاله نحو هذا المسكين. فارسل استدعاهُ اليه وقدَّم لهُ ابنتهُ الوحيدة عروسةً لهُ وازوجهُ بها. وجعلهُ وريثًا لجميع الغنى الذي كان يملكهُ. وعلى هذه الصورة قد اكتسب الشاب نعمة الله ومعًا حصل على خيراتٍ ارضية غنية بابلغ مما كان قبلًا ✿

✿ صلوة ✿

تاملي يا نفسي كم هي جليلةٌ فضيلة الرجا بالخلاص والحيوة الابدية التي ملَّكيها الرب. باعطائهِ اياكِ رحمةً منهُ الثقة والرجا في شفاعة امه وحمايتها. هذا بعد انكِ لاجل خطاياكِ قد استحقيتِ مراتٍ كثيرة سقوطكِ من نعمته تعالى. وحصولكِ تحت غضبه معدة للهلاك في جهنم. فاشكري اذًا الهكِ وامدحي شفيعتكِ مريم التي تنازلت لان تقبلكِ تحت ستر حمايتها. حسبما تحقق لكِ كثرة النعم التي حصلتِ عليها لحد الان بواسطتها. اي نعم انني اشكركِ يا امي المحبوبة مني جدًا من اجل جميع الخيرات التي صنعتيها معي انا الشقي المستحق جهنم. فكم هي كثيرة الاخطار التي انتِ قد نجيتيني منها يا ملكتي. كم من الانوار وهبتيني وكم من المراحم افضتِ عليَّ مستمدةً لي ذلك جميعهُ من الله. ولكن اية مكافاةٍ بالخير صنعتُ معكِ واي اكرام قدمتُ لكِ. انتِ التي بهذا المقدار اعتنيتِ بي وافضلتِ عليَّ ✿

فاذاً جودتكِ وحدها هي التي اجتذبتكِ لذلك. فمَن يعطيني ان ابيع من اجلكِ دمي وحياتي. بل ان هذا هو شيء؟ قليل بالنسبة لما انا ملتزمٌ بهِ لكِ. وللمنّة التي لكِ عليَّ. لانكِ قد انقذتيني من الموت الابدي. وقد صيرتيني ان اكتسب من جديد كما اومل النعمة الالهية التي كنت فقدتها بخطاياي. وبالاجمال انني اعترف بان سعادتي كلها هي اتية من قبلكِ ومسببة لي منكِ. فانا يا سيدتي المحبوبة في الغاية لا استطيع ان اكافيكِ بشيء اخر. سوى بان اباركَكِ واسبحكِ وامدحكِ دائماً. فلا تنفري من ان تقبلي مني ذلك انا الخاطىء الذليل المُغرم بمحبة صلاحكِ. فان يكن قلبي غير مستحقٍ ان يحبكِ لانهُ غير نقي بل مملوءٌ من الانعطافات نحو الاشيا الارضية. فيخصكِ انتِ ان تغيريه. ثم اتحديني بالهي وشدي وثاق حبي اياهُ بنوع اني لا اعود اقدر ان انفصل عن محبته. فهذا هو الشيء الذي انتِ تطلبينهُ مني وهو ان احب الهكِ. وهذا انا اطلبهُ منكِ فاستمدي لي منهُ ان احبهُ حباً شديداً على الدوام. وغير ذاك انا لا اشتهي امين ✿

❦ الجزء الثاني ❦

✿ في موضوع الجزء الاول نفسه ✿

ان القديس برنردوس يقول «انهُ كما ان رجلاً وامراةً قد اشتركا بالعمل الذي صدر عنهُ خرابنا وتعاستنا وابادتنا. فهكذا كان من الصواب ان رجلاً اخر وامراةً اخرى يشتركان بالعمل الذي منهُ يحصل لنا اكتساب ما كنا فقدناهُ. وهذا قد تمَّ بواسطة الشخصين العظيمين وهما يسوع المسيح ومريم البتول والدتهُ. فلا ريبَ ولا اشكالَ في ان يسوع المسيح وحدهُ هو كلي الكفاية لان يفدينا. ولكن الاليق هو ان خلاصنا يكون مسبباً من شخصين رجل وامراة. كما ان هلاكنا كان مسبباً من شخصين رجلٍ وامراةٍ» ✿

فمن ثمَّ البارتوس الطوباوي يسمي مريم «المشتركة بالعمل في سر الافتدا» فهذه البتول عينها قد اوحت للقديسة بريجيتا بانهُ كما ان ادم وحوا قد باعا العالم لاجل تفاحةٍ. فهكذا هي وابنها يسوع بقلبٍ واحدٍ فيهما قد

افتديا العالم. ثم يقول القديس انسلموس „ ان اللـه قد استطاع جيداً ان يخلق العالم من العدم ولكن حينما هلك العالم ضائعاً بالخطية. لم يرد تعالى ان يكمل اصلاح العالم وخلاصهُ من دون ان تكون مريم مشاركةً في هذا العمل " ☆

امَّا الاب سوارس فيفسّر ذلك بان مريم قد اشتركت بعمل سر الافتداء لاجل خلاصنا على ثلثة انواعٍ. اولاً لكون هذي البتول قد استحقت باستحقاق اللياقة والمناسبة تجسد الكلمة الازلي في احشائها. ثانياً لاجل انها اهتمت كثيراً بالتضرعات من اجلنا حينما كانت عائشةً على الارض. ثالثاً لكونها اختيارياً قدمت للـه حيوة ابنها ضحيةً لاجل خلاصنا. فلهذا قد رتب الرب عدلاً انـهُ لاجل اشتراكها. بحبٍ عظيم في عمل خلاص البشر كافةً „ الامر الصادر عنهُ بمجدٍ الهي هكذا سامٍ فالبشر اجمعون بواسطة شفاعاتها ينالون الخلاص الابدي " ☆

فمريم تُسمَّى „ شريكة عمل تبريرنا " لان اللـه ائتمنها على النعم كلها لتوزعها علينا. ولهذا يبرهن القديس برنردوس مثبتاً ذلك بقولـه „ ان جميع البشر الماضين والحاضرين والمستقبلين يلزمهم ان يلاحظوا مريم بمنزلة واسطة لخلاص كل الاجيال. والموضوع الملائم لذلك " ☆

ثم ان مخلصنا يسوع المسيح يقول في انجيلـه المقدس „ ان ما من احدٍ يقدر ان يقبل اليَّ ما لم يجتذبـه الاب الذي ارسلني " (يوحنا ص ٦ ع ٤٤) اي انـهُ لا يمكن لاحدٍ ان يحصل على فادينا ويكون من خاصتـه ان لم يمنحهُ الله الاب نعمتـهُ الالهية. فهكذا يقول مخلصنا عن والدتـه. حسبما يورد ريكاردوس في تفسيرهِ العدد الثالث من الاصحاح الثاني من سفر النشيد „ ما من احدٍ يقدر ان يقبل اليَّ الاَّ مَن اجتذبتـهُ امي بواسطة تضرعاتها لديَّ من اجله " على ان يسوع هو ثمرة احشاء مريم. حسبما هتفت القديسة اليصابات قائلةً نحوها „ مباركةٌ هي ثمرة بطنكِ " (لوقا ص ١ ع ٤٢) فلما كان ملتزماً كل من اراد ان يحصل على الثمرة ان يمضي ساعياً نحو الشجرة. فهكذا اذًا كل مَن رام ان يحصل على يسوع فيلزمـهُ ان يذهب الى مريم. ومَن وجد مريم فمن دون ريبٍ يجد يسوع. فالقديسة اليصابات حينما رأت البتول الكلية القداسة داخلةً الى

منزلها. لم تعد هي تعلم باية الفاظٍ تقدم لها الشكر عن هذه الزيارة. سوى انها باتضاعٍ عميق هتفت نحوها قائلةً «من اين لي مثل هذا ان تاتي ام ربي اليَّ» (لوقا ص ١ ع ٤٣) ولكن هنا لقائلٍ ان يقول كيف يكون هذا. هل ان اليصابات كانت تجهل ان ليس مريم وحدها دخلت منزلها. بل يسوع ايضاً جاء ليزورها. فاذاً لماذا قالت عن ذاتها انها لم تكن مستحقةً مجيء مريم اليها. ولم تقل بالاحرى انها غير مستحقةٍ دخول يسوع الى بيتها. فالجواب هو ان القديسة المذكورة كانت تعلم جيداً انهُ حينما تاتي مريم. فتاتي بيسوع ايضاً معها. ولذلك قد اكتفت هي بان تقدم الشكر للام من دون ان تذكر الابن ❊

ثم انهُ قد كُتب عن الامراة الشجاعة «انها صارت كمركب تاجرٍ ومن بلدةٍ بعيدةٍ جمعت خبزها» (امثال ص ٣١ ع ١٤) فمريم هي هذا المركب السعيد الذي جلب الينا من السما يسوع المسيح الخبز الحي النازل من السما ليعطينا الحيوة الابدية. كما يقول هو تعالى «انا هو الخبز الحي الذي نزلت من السما ومَن اكل من هذا الخبز يحيَ الى الابد (يوحنا ص ٦ ع ٥١) فمن ثمَّ يقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس «انه في بحر هذا العالم يباد غارقًا كل اولئك الذين لا يوجدون داخل هذا المركب. اي الذين لم تكن مريم محاميةً عنهم. فكل مرةٍ نوجد نحن في خطر الغرق. اما من قبل التجارب التي تثب علينا. واما من قبل الالام المتجندة في اعضائنا. فيلزمنا ان نصرخ ملتجئين الى مريم ونهتف نحوها قائلين. عيننا عاجلاً ايتها السيدة. وخلصينا ان كنتِ لا تريدين ان تشاهدينا هالكين «يا سيدة نجينا فاننا نهلك» فلاحظ هنا كيف ان ريكاردوس المذكور لم يكن يرتاب في انهُ يمكن القول لمريم البتول «يا سيدة نجينا فاننا نهلك» خلافاً لما كان يضع من الصعوبات الكثيرة المعلم الحديث المشار اليه في الجزء السابق ضد هذا القول. بل انهُ كان يمنع مطلقاً ان يقال نحو العذرا المجيدة «يا مريم خلصينا» زاعماً ان خلاصنا هو مختصٌ بالله وحدهُ. ولكن فليقل لنا هذا المعلم. هل لا يمكن لانسانٍ محكوم عليه بالموت ان يقول لرجل من المحبوبين عند الملك «خلصني بوساطتك لدى الملك متشفعاً بي في ان يعفي عني واهبًا لي الحيوة»

فان كان ذلك ممكناً بدون ريبٍ فلماذا نحن لا نقدر ان نقول نحو والدة الاله „ خلصينا باستمدادكِ لنا من الله نعمة الحيوة الابدية ” فالقديس يوحنا الدمشقي لم يجد صعوبةً في ان يهتف نحو هذه العذراء المجيدة (في خطبته على مديحها) „ ايتها الملكة البرية من الدنس خلصيني منقذةً اياي من الهلاك الابدي ” والقديس بوناونتورا يسميها „ خلاص المستغيثين بها ” والكنيسة المقدسة قد ثبتت بالعملية الدائمة يومياً استدعاء مريم بصفة شافية المرضى وخلاص السقما . ومع ذلك جميعه أيمكن لنا ان نرتاب من قولنا „ خلصينا يا مريم ” مع انهُ لا يُفتح باب الخلاص لاحدٍ الّا بواسطتها . كما يقول العلامة باجيوكالي . بل قبل هذا كان القديس جرمانوس نفسه قال „ انهُ لا يخلص احدٌ الّا بواسطتكِ ايتها العذرا ” (كما هو مدون في خطبته على وضع زنارها) ✼

ولكن فلنعد الى موضوعنا متاملين ماذا يقول غير ذلك القديسون . كيف ان شفاعات هذه الام الالهية هي ضروريةٌ لنا . فالمجيد القديس غايطانوس يوضح علانيةً „ انهُ اي نعم اننا نقدر ان نفتش على النعم . ولكن لا يمكننا ان نفوز بنوالها من دون شفاعة مريم من اجلنا ” وهذا القول يثبته القديس انطونينوس متفوهاً بهذه العبارة الجليلة وهي „ ان من يطلب النعم ويريد ان يحصل عليها من غير شفاعة مريم . فهو كمَن يدَّعي بان يطير من غير جناحين . لانهُ كما ان فرعون قال ليوسف البار „ ان ارض مصر كلها هي في يدك ” وكما ان كل اولئك الذين كانوا يلتجئون الى فرعون طالبين الاسعاف كان هو يقول لهم „ امضوا الى يوسف ” فهكذا الباري تعالى حينما نحن نلتمس منهُ النعم فيرسلنا الى والدته بقوله لنا „ امضوا الى مريم ” لانهُ عزَّ وجلَّ قد رسم . حسبما يقول القديس برنردوس „ بالّا يمنح نعمة ما الّا عن يد مريم ” فمن ثم يبرهن ريكاردوس الذي من سان لورانسوس قائلاً „ ان خلاصنا هو في يد مريم بنوع انهُ يمكننا نحن المسيحيين ان نقول لها بافضل ممّا قالهُ المصريون ليوسف „ ان خلاصنا هو في يدك ” وكذلك يقول ايديوطا المكرم „ ان خلاصنا هو في يد مريم ” وهذا عينهُ يقولهُ كاسيانوس باقوى عبارة هاتفاً „ ان خلاص العالم كلهُ قائمٌ في عناية مريم الوافرة . اي ان خلاص الجميع هو متعلقٌ بالاجمال في ان

يكونوا مسعفين من مريم ومحامى عنها عنهم. لان مَن تحامي عنهُ مريم يخلص. ومَن لا تحامي مريم عنهُ يهلك" ثم ان القديس برنردينوس السياني يقول نحو والدة الاله "ايتها السيدة انكِ اذ انتِ هي موزعة النعم كلها. ونعمة الخلاص انما تُعطى بواسطتكِ انتِ فقط. فاذاً خلاصنا هو متعلق بكِ" ✿

فلاجل هذا بالصواب يقول ريكاردوس "انهُ نظير ما يسقط الحجر متكردسًا في الحفرة. متى نُقبت من تحته الارض التي كانت تسندهُ. فكذلك النفس اذا عدمت اسعاف مريم اياها فتسقط اولًا في حفرة الخطية وبعد ذلك تهبط الى هاوية جهنم ويضيف الى هذا القديس بوناونتورا قائلاً "ان الله لا يهبنا نعمة الخلاص من دون شفاعة مريم — وكما ان الطفل الرضيع اذا عدم مرضعتهُ لا يمكنهُ ان يعيش. فهكذا اذا عدم احدنا محاماة مريم ومساعدتها. فلا يمكنهُ ان يفوز بالخلاص. ولذلك احرصك يا انسان على حفظ هذه العبادة دائماً والّا تهملها حتى تبلغ الى السما وهناك تقتبل من مريم البركة" ويقول القديس جرمانوس (في ميمرة على عيد وضع زنار العذرا) هاتفًا نحوها "ترى مَن يعرف الله جيداً الّا بواسطتكِ يا مريم الكلية القداسة. مَن تراه يخلص. مَن هو ذاك الذي ينجو من الاخطار. مَن يمكنهُ ان يحصل على نعمة ما الّا بواسطتكِ يا والدة الاله. يا امًا وبتولاً معاً يا ممتلئة نعمةً" ثم يقول لها مخاطبًا (في عظته على نياحها) انكِ اذا لم تفتحي انتِ للناس الطريق فلا يوجد احدٌ ناجيًا من لسع لسان اللحم والخطية" ✿

ثم ان القديس برنردوس يبرهن قائلًا "كما انهُ لا يمكننا ان ندنو من الله الاب الازلي الّا بواسطة يسوع المسيح. فعلى هذه الصورة ليس لنا طريقٌ للدنو من هذا الابن الازلي يسوع المسيح الّا بواسطة مريم امهِ" وهوذا السبب الذي يوردهُ القديس المذكور بان الرب من اجله قد رسم في اننا كلنا نخلص بواسطة شفاعة مريم. وهو لكي نقتبل نحن في السما بواسطة مريم ذاك المخلص نفسهُ الذي بواسطتها كان أُعطي لنا في الارض. ولهذا يسميها القديس "ام النعمة وام خلاصنا" فمن ثَمّ بالصواب يهتف القديس جرمانوس (في ميمرة المذكور انفًا) صارخًا نحوها هكذا "فاذاً

ماذا كان يحيق بنا. واي رجاء خلاص كان بقي لنا. لو كنتِ تهملينا يا مريم انتِ التي هي حيوة المسيحيين اجمعين" *

الّا ان المعلم الحديث المشار اليه في الجزء السابق يتفلسف بقوله „ انهُ ان كانت النعم كلها تتوزع بواسطة مريم. فاذاً عندما نحن نلتجيء الى القديسين طالبين منهم ان يسعفونا بتضرعاتهم من اجلنا. فيلزمهم ان يتجهوا نحو مريم عينها مستمدين منها نوال النعم. الامر الذي لم يصدقهُ احد" ولا حلم به انسانٌ" فاجيب على ذلك انهُ نظراً الى تصديق هذه القضية لا يوجد شيء من الضلال في الايمان. ولا عدم لياقة. او مناسبة فاي عدم لياقةٍ يمكن ان يوجد في هذا. وهو ان الله لكي يكرّم والدتهُ المجيدة. بعد ان اقامها ملكةً على القديسين. واراد ان النعم كلها تتوزع بيدها. يريد ايضاً ان القديسين يلتجئون اليها حينما يرغبون ان يستمدوا للمتعبدين لهم بعض النعم. واما نظراً الى القول بان هذه القضية ما حلم بها انسانٌ. فانا الاحظ انها قد قيلت واضحاً من القديسين برنردوس وانسلموس ويوناونتورا. ومع هولا من الاب سوارس ومن كثيرين اخرين * فيقول القديس برنردوس „ انهُ عبثًا وسدًى يلتمس احد بتضرعاته من القديسين الاخرين نعمةً ما يبتغي هو نوالها. ان كانت مريم لا تتوسط في استمدادها لهُ" وكذلك احد العلما في تفسيره كلمات النبي داوود بقوله „ لوجهكِ يصلي كل اغنيا الشعب" (مزمور ٤٤ ع ١٣) يورد ما تقدم ذكره قائلاً „ ان اغنيا شعب الله العظيم انما هم القديسون الذين حينما يريدون ان يستمدوا نعمةً ما لاحدٍ من المتعبدين لهم. فيصلون لوجه مريم ملتمسين منها ان تهتم في نوال تلك النعمة المطلوبة" ومن ثم بكل حقٍ وصواب يقول الاب سوارس „ نحن نتوسل للقديسين في ان يصلوا لوجه مريم بحسب كونها ملكتهم وسيدتهم من اجل خيرنا واسعافنا" *

وهذا هو مطابقٌ لما وعد بهِ القديس برنردوس للقديسة فرنسيسكا الرومانية. كما يخبرنا الاب مركيزة بقوله „ ان القديس برنردوس ظهر يوماً ما للقديسة فرنسيسكا الرومانية. واذ اتخذ على ذاته حمايتها والمناضلة عنها. فوعدها بان يتوسل من اجلها لدى الام الالهية" ويضيف الى هذه القضية اثباتًا القديس انسلموس مخاطبًا القديسة والدة الاله هكذا „ ان ذاك الشيء

الذي يمكن نوالهُ بواسطة شفاعات هولا القديسين كلهم المتحدة معكِ. فهذا يمكن نوالهُ جيداً من دون مساعدتهم بواسطة شفاعاتكِ انتِ وحدكِ. فلماذا انتِ وحدكِ حاصلةٌ على اقتدارٍ هكذا عظيم. فانَّما ذلك هو لانكِ انتِ وحدكِ والدة الاله مخلصنا العام اجمعين. وانتِ هي عروسة الله. وانتِ هي سلطانة السما والارض العامة. فان كنتِ انتِ لا تتضرعين من اجلنا ولا تتكلمين في صالحنا. فلا احدٌ من القديسين يصلي من اجلنا او يساعدنا. ولكن ان انعطفتِ انتِ لاغاثتنا. فالجميع يصلون عنا ويسعفونا. اي ان القديسين كافةً حينئذٍ يجتهدون في خيرنا" فمن ثمَّ الاب السينيري (في كتابه المُلقَّب بالتعبد للعذرا) يخصص مع الكنيسة المقدسة بوالدة الاله تلك الكلمات المدونة في سفر حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ٨) وهي „ انا درت دائرة السما وحدي" قائلاً „ انهُ كما ان الفلك الاول يحرك بواسطة حركته سائر الافلاك الأخر معاً. فهكذا حينما تتحرك مريم لان تتضرع من اجل نفسٍ ما فبحركتها تجعل سكان السما كافةً ان يتحركوا بالصلوات معها" وبابلغ من ذلك يقول القديس بوناونتورا „ ان مريم حينئذٍ بحسب كونها ملكةً تامر كل الملئكة والقديسين بان يتحدوا معها. وبان يضيفوا الى صلواتها تضرعاتهم ايضاً" ✲

ثم على هذه الصورة اخيراً يُفهم السبب الذي من اجله تحثنا الكنيسة المقدسة. على ان ندعو هذه الام الالهية ونسلم عليها بتسميتنا اياها بهذا اللقب العظيم قائلين نحوها „ يا رجانا" فلوتاروس المنافق كان يقول انهُ لم يكن بطاقته ان يحتمل تصرف الكنيسة الرومانية بتسميتها مريم „ رجانا" مع انها انما هي خليقةٌ محضةٌ. ولذاك كان يصرخ قائلاً „ لا اقدر احتمل ان ادعو مريم رجائي وحياتي. لان الله وحدهُ ويسوع المسيح بحسب كونه الوسيط عنا فهما رجانا" بل ان الله يلعن عن لسان ارميا النبي من يضع رجاهُ في الخليقة بقوله „ ملعون الرجل الذي يتوكل على الانسان" (ارميا ص ١٧ ع ٥) الاَّ ان الكنيسة المقدسة تعلمنا ان نستغيث بمريم في جميع الحوادث وان نسميها رجانا بقولنا لها „ السلام عليكِ يا رجانا" فاي نعم انهُ بالحقيقة ملعونٌ هو ذاك الذي يضع رجاهُ في الخليقة من دون تعلق او اضافةٍ الى الله بالكلية. لان الله هو وحدهُ ينبوع كل الخيرات وموزعها.

والخليقة من دون الله ليس عندها شيء مطلقاً ولا تقدر ان تعطي شيئاً. ولكن الامر هو بالخلاف اذا كان الله عينهُ قد رسم كما ابنّا فيما تقدم شرحهُ. بان مريم تكون رجانا نظراً الى رسمه تعالى بان النعم الالهية كلها تتوزع علينا منهُ بواسطة مريم * ولذلك كان القديس برنردوس يدعوها „ علة رجائه باسره „ ومثلهُ كان يقول القديس يوحنا الدمشقي. الذي بمخاطبته البتول المجيدة يهتف قائلاً „ انني لقد وضعت يا سيدتي فيكِ رجائي كلهُ. ومنكِ انا انتظر خلاصي انتظاراً متصلاً „ ويقول القديس توما اللاهوتي „ ان مريم هي كل رجا خلاصنا „ والقديس افرام السرياني يقول نحوها هكذا „ ايتها البتول الكلية القداسة اقبلينا تحت حمايتكِ. ان كنتِ تريدين ان تشاهدينا مخلصين. لانهُ لا يوجد عندنا رجاء اخر في امر خلاصنا الا بواسطتكِ „ *

فلنختم اذاً الايراد مع القديس برنردوس القائل „فلنجتهدن في ان نكرم بعواطف قلوبنا الاشد حباً هذه الام الالهية مريم الكلية قداستها. لان هذي هي مشيئة الرب الذي اراد ان نقبل من يدها كل خيرٍ. ولذلك فكل مرةٍ نشتهي راغبين الحصول على نعمةٍ ما. فلنهتم في ان نستمدها من الله بواسطة مريم. محسنين اتكالنا ورجانا وثقتنا في اننا ننال بوساطتها ما نبتغيه „ ثم يقول القديس المذكور نفسهُ „ انك ان كنت يا هذا لا تستحق من الله نوال تلك النعمة التي انت تلتمسها منهُ. فمريم هي مستحقةٌ لديه ان تكتسبها لك — على ان كل شيء نقدمهُ نحن لله ان كان اعمالاً وان كان صلوات. فلنجتهد في ان نقدمهُ لديه تعالى عن يد مريم وبواسطتها. هذا ان اردنا ان الرب يقبل منا ذلك „ *

* نموذج *

انها لشهيرةٌ هي خبرية تاوفيلوس المُعرقَل المُدوَّنة من البطريرك القسطنطيني اوتيكانوس. الذي كان هو شاهداً عيانياً على حقيقة الامر الاتي ايراده المثبت من القديس بطرس داميانوس ايضاً. ومثلهُ من القديسين برنردوس وبوناونتورا وانطونينوس. ومن غيرهم اخرين كما يوجد مدوناً من الاب كراسات * فقد كان تاوفيلوس هذا رئيس شمامسةٍ في كنيسة مدينة ادنه

من اقليم كيليكيا . وكان حاصلاً عند الشعب على اعتبارٍ عظيم . حتى ان الرعية كانت تريد سيامته عليها اسقفاً . غير انه قد رفض هو قبول هذه الدرجة تواضعاً منه . ولكن اذ حدث بعد ذلك ان البعض قدموا ضده شكاياتٍ . ومن جرائها قد عُزل هو عن وظيفته . فاستحوذ عليه من ثمَّ غمٌّ بهذا المقدار شديدٌ . حتى ان الالام النفسانية قد اعمت قلبه وروحه . ولذلك مضى الى احد السحرا اليهود طالباً معونته . وهذا الساحر المنافق قد صيره ان يحصل على خطابٍ مع الشيطان مشافهةً مستمدًا منه العون في امر مصيبته . اما الشيطان فطلب من تاوفيلوس هذا الشرط الاثيم . ان كان هو يريد منه الاسعاف . يلزمه ان ينكر قبل كل شيء يسوع ومريم امه . وان يدوّن رفضه اياهما في صكٍ محرر بخط يده ويدفعه اليه . فتاوفيلوس قد ارتضى بهذا الفعل الكلي النفاق وسطر الصك بخطه وسلمه للعدو الجهنمي . ففي اليوم المقبل اذ ان اسقف المدينة فحص جيداً دعوى تاوفيلوس . وعرف انه كان بريًا من تلك الشكايات . قد استدعاه اليه واستغفر منه ورجعه الى وظيفته كما كان قبلاً . فحينئذٍ تاوفيلوس شعر بتوبيخ ضمير شديد بمرارةٍ كانت تمزق احشاه على الفعل الاثيم الذي صنعه . وشرع يبكي ويذرف الدموع الحارة باتصالٍ . ثم انطلق الى احدى الكنائس وانطرح امام ايقونة والدة الاله الكائنة هناك . مغرقاً الارض بالدموع المنسكبة من مقلتيه وهتف قائلاً „ يا والدة الاله انا لا اريد ان اقطع رجائي وانا حاصل على شخصكِ المملو من الرأفة والحنو والقدير على اعانتي " ثم واظب على التضرعات والبكا مدة اربعين يوماً ملتمساً الغوث من هذه الام الالهية التي بعد ذلك ظهرت له ليلاً قائلةً „ ماذا صنعت يا تاوفيلوس . لقد رفضت صداقتك وحبك لابني ولي انا ايضاً متنزلاً عنهما . وذلك بين يدي عدوي وعدوك الجهنمي " فاجاب تاوفيلوس وقال لها „ انه يخصكِ انتِ ايتها السيدة ان تغفري لي وان تستمدي لي الغفران من ابنكِ " فاذ لاحظت هذه السيدة الرحوم قلبها حسن ثقة تاوفيلوس ورجاه فيها قالت له „ كن مطمانًا متعزياً لاني اريد ان اتوسل له من اجلك " فتاوفيلوس اذ تشجع من هذا الوعد قد ضاعف افعال التوبة وسكب الدموع والصلوات من دون ان يفارق مكانه امام تلك الايقونة وهوذا

العذرا المجيدة قد ظهرت لهُ ثانيةً فرحةً وقالت لهُ « ابتهج يا تاوفيلوس وكن مسروراً. لاني قدمت امام الله صلواتك ودموعك وهو تعالى قد قبلها وقد غفر لك. ولكن يلزمك منذ الان فصاعداً ان تكون عارف الجميل وامينا نحوهُ عزَّ وجلَّ ». فاجاب تاوفيلوس قائلاً « يا سيدتي ان هذا لا يكفيني بالتمام. لان الشيطان لم يزل حافظاً عندهُ الصك الذي دفعتهُ اليه مدوناً فيه رفضي ابنك واياك. فانت تقدرين ان تلزميه بان يرد لي هذا الصك » فبعد ثلثة ايامٍ اذ نهض تاوفيلوس صباحاً من رقادهِ. قد راى الصك نفسهُ موضوعاً على صدرهِ. ومن ثمَّ مضى في اليوم عينه الى الكنيسة حيث كان الاسقف حاضراً مع شعبٍ غفيرٍ. وانطرح على قدمي هذا الراعي معترفاً جهاراً بما كان صنعهُ. واخبر بحقيقة الاعجوبة. وسلم بيد الاسقف ذاك الصك الذي حرقهُ الاسقف حالاً امام جميع الشعب. الذين بدموعٍ غزيرة من شدة الفرح كانوا يقدمون الشكر لله ممجدين رافته ورحمته. ومسبحين حنو والدته ام الرحمة على ما فعلتهُ مع ذاك الخاطئ. الذي من هناك رجع الى كنيسة والدة الاله مملواً من الفرح. وبعد ثلثة ايامٍ فقط انتقل من هذه الحيوة وهو مكرر التسابيح والشكر ليسوع ولامه الطوباوية ✿

✿ صلوة ✿

يا ام الرحمة وسلطانة الرافة الموزعة النعم على كل اولئك الذين يلتجئون اليك بسخاء هكذا عظيم بحسبما انت ملكة. وبمحبةٍ هذا حد حرارتها بحسبما انت امٌ لنا كلية الحب. فانا اليوم اقصد فضلك ملتجئاً اليك انا الخالي من الاستحقاقات والفضائل. والمثقل بالديون التي عليَّ للعدل الالهي. فيا مريم انت حافظة في يديك مفاتيح الرحمة الالهية الغير المتناهية فلا تنسي حال فقري واحتياجي. ولا تتركيني يائساً هكذا في اقصى حدود المسكنة. فانت بهذا المقدار سخيةً جوادةً نحو الجميع حتى انك اعتدت ان تهبي اكثر مما يلتمس منك. فكوني نحوي انا ايضاً نظير الاخرين. يا سيدتي حامي عني وهذا هو كل ما اطلبهُ منك. لانك اذا قبلتيني تحت حمايتك مناضلةً عني. فلا يمكن ان اخاف من احدٍ.

اي لا اخشى من الشياطين لانكِ انتِ اشدُّ قوةً من الجحيم باسره . ولا من خطاياي لانكِ تقدرين ان تستمدي لي من الله غفراناً عاماً عنها . وذلك بكلمةٍ واحدةٍ تقولينها لله في صالحي . بل اني ان حزت محاماتكِ عني فلا اخاف حتى ولا من غضب العدل الالهي ضدي . لان الله لاجل تضرع واحد تقدمينهُ لديه من اجلي يهدأ رجزهُ عني ويسترضي . وبالاجمال اذا حصلتُ انا تحت ظلكِ معضداً منكِ فعندي الرجا في ان انال كل شيء ابتغيه . لانكِ تقدرين على كل شيء . فامرٌ معلومٌ عندي يا ام الرحمة انكِ تسرين مبتهجةً وتفتخرين ممجدةً في اعانتكِ الفقرا الاكثر احتياجاً والاشد شقاوةً . بحيث انكِ لا تشاهدينهم مصرّين على عمل الاثم وبذلك تقدرين ان تسعفيهم . فانا انَّما خاطئ ولكنني لستُ مصراً على الخطية بل اريد ان اغيّر سيرتي واصلحها . ومن حيث انكِ تقدرين ان تعينيني . فاذاً عينيني وخلصيني . ها هوذا انا في هذا اليوم اضع ذاتي بجملتها في يدكِ . فقولي لي ماذا ينبغي ان اصنع لكي ارضي الله . لاني اريد حالاً ان اتممهُ . مؤملاً صنيعهُ بمعونتكِ يا مريم امي ونوري وتعزيتي وملجأي ورجائي امين ☆



الفصل السادس

* فيما يخص هذه الكلمات وهي *
* فاصغي اذًا الينا يا شفيعتنا *

* وفيه ثلثة اجزا *

الجزء الاول

* في ان مريم العذرا هي شفيعةٌ قادرةٌ ان تخلص الجميع *

ان السلطة التي للامهات على اولادهنَّ هي بهذا المقدار عظيمةٌ. حتى انهُ ولئن كان البنون ملوكًا ولهم السلطان على جميع الشعوب الخاضعين لممالكهم. فلا يمكن على الاطلاق ان امهاتهم يكنَّ خاضعات لولايتهم كانهنَّ من الرعايا. فاي نعم ان يسوع المسيح هو الان كائنٌ في السما جالسًا من عن يمين الله الاب اي بجسبما هو انسان ايضًا (كما يفسر القديس توما اللاهوتي) لهُ سلطانٌ اعلى مطلقٌ كلي الاقتدار على جميع الكائنات والمخلوقات. حتى على مريم العذرا ايضًا. بحسبما ان ناسوتهُ هو متحدٌ من دون انفصالٍ مع لاهوتهِ ومتقنمٌ باقنومهِ الالهي الذي هو اقنوم الكلمة الازلي. فمع ذلك امرٌ حقيقيٌ هو على الدوام انهُ تعالى وقتًا ما اي حينما كان عائشًا بالجسد في الارض. قد اراد ان يواضع ذاتهُ ويكون خاضعًا لمريم امه كمرؤسٍ لها. كما يشهد لنا القديس لوقا الانجيلي (ص ٢ ع ٥١) بان يسوع كان يعيش مع امهِ مريم ومع خطيبها القديس يوسف في الناصرة خاضعًا لهما. بل باكثر من ذلك يقول القديس امبروسيوس „ انه من حيث ان يسوع ارتضى بان يختار مريم امًا لهُ فصار بالحقيقة ملزومًا بان يطيعها ويخضع لها" ولذلك يقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس

„ انهُ يقال عن القديسين الاخرين انهم كانوا مع الله ، الا انهُ عن مريم وحدها يمكن ان يقال انها حصلت على الحظ السعيد وهو انها ليس فقط وجدت خاضعةً لارادة الله بل ايضًا ان الله قد اخضع ذاته تحت ارادتها — وفي الوقت عينه الذي فيه مكتوبٌ هو عن العذارى الاخريات انهنَّ يتبعنَ الخاروف الى حيثما يسير (ابوكاليبسي ص١٤ ع ٤) ففيه نفسه يمكن ان يقال عن الخروف الالهي عينه انهُ كان يتبع مريم في هذه الارض . لاجل انهُ كان اخضع ذاتهُ لها وصار مرؤسها ” ☆

فمن ثمَّ نقول ان مريم وان لم تكن في السما قادرةً على ان تامر ابنها . فمع ذلك ان تضرعاتها لديه هي دائمًا تضرعات والدةٍ . ولهذا هي تضرعاتٌ كلية الاقتدار على ان تنال كل ما تطلبهُ . فيقول القديس بوناونتورا „ ان مريم هيَ حاصلةٌ على هذا الاختصاص عند ابنها وهو انها كلية الاقتدار على ان تستمد منهُ كل شيء تريدهُ „ ولما ذلك . انهُ بالحصر هو للسبب الذي اشرنا اليه انفًا والذي بعد قليلٍ نفحص عنهُ باسهاب . اي لان تضرعات مريم لديه تعالى هي تضرعات امٍ لهُ . ولاجل هذه العلة يقول القديس بطرس داميانوس „ ان مريم العذرا تقدر على كل ما تريد كما في السما كذلك على الارض . اذ انها تستطيع ان تعضد برجاء الخلاص المقطوعين من الرجا انفسهم ” ثم يقول ايضًا „ انهُ حيثما تلتمس هي نعمةً ما لاجلنا من ابنها يسوع المسيح (المسمّى من هذا القديس هيكل الرحمة حيث يفوز الخطاة من الله بالغفران) فابنها الالهي يعتبر بهذا المقدار تضرعاتها ويكرمها . ويريد ارادةً مطلقةً ان يرضيها . حتى انها حيثما تتوسل هي . فيظهر انها تامر احرى من ان تتضرع . وتبان انها سيدةٌ احرى من عبدةٍ ” فعلى هذه الصورة يريد يسوع ان يكرم هذه الوالدة العزيزة التي قد كرمتهُ هي في مدة حياتها تكريمًا كلي القبول لديه . بانهُ حالًا يستجيب طلباتها بقدر ما تشا وبحسبما تشتهي . الامر الذي يوطده القديس جرمانوس بالفاظٍ جليلةٍ (في ميمره على نياحها) قائلًا نحوها هكذا „ انكِ انتِ هي والدة الاله الكلية الاقتدار على خلاص الخطاة . ولا تحتاجين لدى الله الى شيء اخر يجعل كلامكِ مقبولًا عنده بعد انكِ انما انتِ هي ام الحيوة ” ☆

ولاجل هذا لم يجد القديس يرزدينوس السياني صعوبةً في ان يعطي

هذا الحكم قائلاً ”انه حينئذٍ تبرز مريم اوامرها فالجميع يطيعون حتى الإله عينه“ مويدًا بالحقيقة ان يقول. ان الله يستجيب تضرعاتها كانها اوامر وليس كتوسلات. ولهذا يكتب القديس انسلموس مخاطبًا والدة الاله بهذه الالفاظ وهي ”ان الرب قد رفعكِ ايتها العذراء القديسة الى مقام وحال هذا عظم سعادتهما. بنوع انكِ بواسطتهما تقدرين على ان تستمدي منه كل النعم الممكن منحها لعبيدكِ. لان حمايتكِ هي كلية الاقتدار“ اي نعم ان حمايتكِ هي قادرةٌ على كل شيء يا مريم. كما يدعوكِ القديس قزما الاورشليمي. وحسبما يقرع ذلك ريكاردوس الذي من سان لورانسوس قائلاً ”حقًا ان مريم هي قادرة على كل شيء. من حيث ان الملكة بقوة كل الشرائع لها ان تتمتع بالاختصاصات عينها التي يتمتع بها الملك“ فعلى هذه الصورة يقول القديس انطونينوس ”ان الله قد وضع الكنيسة الجامعة كلها ليس فقط تحت حماية مريم بل ايضًا تحت ولايتها وسلطانها“ ✲

فان كان يلزم اذًا ان تكون الوالدة حاصلة على السلطان نفسه المختص بابنها. فبالصواب يسوع الذي هو بذاته قادرٌ على كل شيء قد صير والدته مريم قادرةً على كل شيء. ولكن بهذا التمييز. وهو ان يسوع هو قادرٌ على كل شيء من ذات طبعه ومن قبل لاهوته ذاتيًا. واما مريم فخصصت بهذه الصفة من قبيل نعمته تعالى. وهذا يتحقق بالعملية وهو ان كل شيء تطلبه الوالدة فلا يمكن ان الابن ينكر عليها منه شيئًا. كما اوحى للقديسة بريجيتا التي يومًا ما سمعت يسوع مخاطبًا مريم هكذا ”انكِ تعلمين يا امي كم اني احبكِ. فاذًا اطلبي مني كل شيء حتى مهما كانت مسالتكِ عظيمةً فانا لا يمكن اصلاً ان لا اقبلها. لانكِ حينما كنتِ معي في الارض لم تنكري قط شيئًا ان تعمليه حبًا بي. فالان اذ انا كائنٌ في السما فامرٌ عادلٌ هو ان اصنع كل ما انتِ تريدينه مني“ فانما مريم تسمى قادرةً على كل شيء بالنوع الذي يمكن ان تحصل عليه خليقةٌ ما لم تكن موضوعًا قابلاً بذاتها لان تملك صفة الهية. فبهذا النوع مريم هي قادرةٌ على كل شيء اي لانها بواسطة تضرعاتها تقدر ان تنال كل ما تطلبه ✲

فبالصواب اذاً يقول نحوك يا شفيعتنا العظيمة القديس برنردوس هكذا « ريدي ما تحبين. فكل شيء يتم. ريدني أن ترفعي الخاطي الاكثر اثماً والاشد يأساً الى اعظم درجة من القداسة. ففي سلطانك ان تصنعي ذلك؟ ثم ان الطوباوي البرتوس الكبير فهاً يخص هذا الموضوع يجعل مريم متكلمة هكذا « انه يلزمني ان اكون مسؤلة بتضرعات الغير لدي في ان اريد. لاني ان اردت فامر ضروري هو ان يصنع ما اريده» فمن ثم اذ كان يتامل القديس بطرس داميانوس هذه المقدرة العظيمة التي لمريم. فبتوسله نحوها في ان تترأف علينا يخاطبها قائلاً « يا مريم شفيعتنا العزيزة. انه من حيث انك حاصلة على قلب هكذا حنون. حتى انك لا تعرفين بل لا تقدرين ان تشاهدي الفقرا المحتاجين من دون ان تشفقي عليهم. وفي الوقت عينه تستطيعين امام الله على ان تخلصي كل اولئك الذين انت تحامين عنهم. فلا تنفري اذاً من ان تتخذي على ذاتك المحاماة عن دعوانا نحن ايضاً الاشقيا البائسين الواضعين رجانا باسره فيك. فان كانت صلواتنا وتضرعاتنا لا تحركك لذلك. فليعطفك نحونا قلبك الرؤوف. ولتحركك قلما يكون سلطتك. لان الله لاجل هذه الغاية قد اغناك باقتدار هذا عظم حده. حتى انك بمقدار ما انت غنية مستطيعة على اسعافنا. فباكثر من ذلك تكونين رحومة وتريدين ان تساعدينا» ثم ان القديس برنردوس يوكد لنا هذا الموضوع بقوله هكذا « أن مريم كما في الاقتدار كذلك في الرحمة هي غنية بنوع لا حد له. فبحسبما ان حبها هو كلي الاقتدار. كذلك هي كلية الاشفاق لان تحنو علينا راحمةً. وعمليتها المتصلة معنا تبرهن حقائق الامر» *

فمن حيثما كانت مريم عائشةً على الارض لم يكن لها اهتمام بالوجه الاول من بعد عنايتها فيما خص مجد الله. سوى في ان تعين المحتاجين. ونحن نعلم انها منذ ذلك الوقت قد تمتعت من قبل الله بهذه الخاصة. وهي ان تستجاب طلباتها في كل شيء تلتمسه. وهذا هو معروف لدينا من الحادث المكتمل في عرس قانا الجليل حينما نقص الخمر. فوقتئذ لاشفاقها وتوجعها من جرى الخجل الذي اعترى اهل البيت. قد طلبت من ابنها ان يعزيهم بصنيعه اعجوبةً قائلةً له « ان ليس عندهم خمر»

امّا يسوع فاجابها بقوله « ما لي ولك ايتها الامراة لم تات ساعتي بعد» (يوحنا ص ٢ ع ٤) فتامل ايها القارئ كيف انهُ يبان من جوابه تعالى عدم ارادته حينئذٍ ان يصنع تلك المعجزة . بل كأنَّهُ اراد ان يقول لوالدته المجيدة « ما الذي يهمني ويعنيك بنقصان الخمر من عندهم . فالان ليس هو بلايق بي ان امارس صنع العجائب اذ لم يكن جاء زمن * كرازتي بالانجيل . الزمن الذي فيه ينبغي لي ان اثبّت حقايق تعليمي بعجائب ظاهرة » ولكن مع ذلك جميعه فمريم كأنها فازت منهُ بمطلوبها . فقالت للخدام « اصنعوا كل ما يامركم به » اي اسرعوا فاملأوا الاجاجين ماء فتنظرون كيف انها مزمعةٌ ان تحصل التعزية للجميع . وبالحقيقة ان مخلصنا لكي يرضي والدتهُ ويتمّم مرغوبها قد احال تلك المياه الى خمرٍ جيدٍ . فكيف تمّ هذا . اي ان كان الزمن المعين منهُ تعالى لصنيع العجائب لم يكن جاء بعد . لانهُ حفظ الى حين الكرازة بالانجيل . فكيف الان فعل هو هذه الاية خلافاً للمراسيم الالهية السابق تحديدها . فيجاب على ذلك . كلّا . اي ان هذا العمل لم يكن مضاداً لترتيب الله . لانهُ وان لم يكن جاء بعدُ الزمن الذي فيه اعتياديًا كان ينبغي صنيع المعجزات فمع ذلك كان الله منذ الازل بقوة مرسومٍ اخر حدد . ان جميع ما كانت مريم المصطفاة منهُ عتيدة ان تطلبه . فلن تُرَدَّ مسالتها به فارغةً . ومن ثمَّ اذ لم تكن مريم تجهل هذه الخاصة والنعمة الجليلة الممنوحة لها . فمع انهُ استبان لها من جواب ابنها ان مطلوبها لم يكن مستجابًا . فمع ذلك قالت هي للخدام ان يفعلوا كل ما كان يامرهم به . بالفاظٍ تدل واضحاً على نوالها النعمة التي التمستها . وهذا هو معنى ما يفسر به القديس يوحنا فم الذهب الكلمات المقدم ذكرها وهي المقولة من فادينا نحو والدته « ما لي ولكِ ايتها الامراة لم تاتِ ساعتي بعد » فيقول « ان مخلصنا وان كان اجابها هكذا نفياً فمع ذلك لكي يكرم هو هذه الام الالهية لم يتاخر عن ان يطيعها مكملاً ما طلبتهُ منهُ » وهذا عينهُ قد ايدهُ القديس * توما اللاهوتي حيث قال : انهُ بهذه الكلمات وهي « انهُ لم تاتِ ساعتي بعدُ » اراد ان يبيّن انهُ لقد كان اخّر صنيع تلك الاية . لو كان احدٌ اخر غير امه طلب منهُ هذه النعمة . ولكن اذ ان والدتهُ التمستها منهُ . فحالاً

هو صنع الاعجوبة" ثم ان القديسين كيرللس وايرونيموس يفسران هذا النص كما تقدم القول حسبما يورد البرادي. ومثلهما كتب الفاندافانسه في شرحه معنى كلمات الانجيل المار ذكرها اذ يقول „ان المسيح لكي يكرم والدتهُ قد قدم زمن صنيع العجائب" ✿

وبالاجمال انهُ لامرٌ اكيدٌ هو انهُ لن توجد خليقةٌ ما تقدر ان تستمد لنا من اللـه نحن الاشقيا مراحم ورافاتٍ هكذا غنيـة. نظير هذه الشفيعـة الصالحة التي قد كرمها الله بذلك. ليس فقط بحسبما هي آمتـهُ المحبوبـة منـهُ بل ايضاً بحسبما هي امـهُ الحقيقيـة. وهذا عينـهُ يقولـهُ غوليالموس الباريسي. فاذا يكفي ان تتكلم مريم ليتمم ابنها كل ما تريدهُ منهُ* ففي تكلم الرب مع عروسة النشيد المفهوم بها والدة الالـه يقول نحوها هكذا „انتِ الجالسة في البساتين الاصحاب يصغون. فسمعيني صوتكِ" (نشيد ص ٨ ع ١٣) فالاصحاب انَّما هم القديسون الذين حينما يطلبون نعمةً ما راجعةً لخير المتعبدين لهم. فينتظرون ان ملكتهم تستمدها من الله وتنالها. لانـهُ (كما اوردنا في الفصل السابق) لا تتوزع نعمـةٌ ما من النعم الا بواسطة شفاعة مريم. فكيف تستمد هي هذه النعم. انـهُ يكفي ان تتكلم لان الابن حالاً يستجيب لها. وهذه هي الفاظ غوليالموس الباريسي في تفسيره كلمات سفر النشيد المتقدم ذكرها حيث يجعل المسيح مخاطباً والدته هكذا „انتِ التي تسكنين في البساتين السماوية تشفعي بدالةٍ ورجاءٍ من اجل مَن تريدين. لاني لا استطيع ان انسى حال كوني ابناً لـكِ. وبالتالي لا اقدر ان افكر عليكِ الشيء الذي تطلبينـهُ مني انتِ التي هي امي. بل انـهُ يكفي لقبول ما تلتمسينـهُ ان تلفظي الكلمة فاستجيبها انا ابنكِ" ✿

ثم يقول الانبا غوفريدوس „ان مريم وان كانت تستمد من الالـه ابنها النعم متوسلـةً. فمع ذلك هي تتضرع اليـه على نوعٍ ما بروحٍ رئاسي بحسبما هي والدتهُ. فاذاً نحن من دون ريبٍ مطلقاً يلزمنا ان نعتبر ان كل ما تطلبـهُ منـهُ تعالى لاجلنا وجميع ما ترغبهُ لنا فنحصل عليه من دون ريبٍ ✿

اما فالاريوس مكسيموس فيخبرنا بان كوريولانوس حينما كان محاصراً مدينة

رومية . فلم تكن تؤثر في قلبه حركة الحنو والرافة تضرعات اصدقائه وسكان المدينة باسرهم . ولكن حينما ظهرت امامه فاتوريا والدته لتتضرع اليه من اجلهم . فوقتئذٍ ما عاد هو استطاع ان يستمر ثابتًا على رفض المطلوب بل حالًا رفع الحصار عن المدينة . الا ان تضرعات مريم لدى يسوع هي بما لا يُحدّ اكثر قبولًا من تضرعات فاتوريا لدى كوريولانوس بمقدار ما ان هذا الابن الالهي هو مجازٍ عادل ومحبٌ عظيمٌ لامه هذه الجليلة * على ان الاب يوستينوس فيكونيانسه قد كتب قائلًا « ان تنهدةً واحدة من الطوباوية مريم لها قبولٌ واستحقاقٌ امام الله اكثر مما تستطيع عليه لديه تعالى توسلات جميع القديسين معًا » وهذا الامر عينه قد اعترف به الشيطان نفسه للقديس عبد الاحد مضطرًا من قبل ما حتم به عليه هذا القديس عينه . حينما كان يخرجه من انسانٍ معترى منه . حسبما يخبر الاب باجيوكالي . اي انه قال له ان تنهدًا واحدًا مصنوعاً من والدة الاله له مفعولٌ امام الله افضل من صلوات جميع القديسين والقديسات وتضرعاتهم وتوسلاتهم لديه عزَّ وجلَّ *

ثم يقول القديس انطونينوس « ان صلوات البتول مريم الطوباوية اذ انها هي صلوات امٍ . فلها نوعٌ من حق التامر ولهذا فلمن المستحيل ان لا تُقبل طلبتها حينما تتضرع » ولذلك يخاطب البتول المجيدة القديس جرمانوس مشجعًا كل الخطاة بان يلتجئوا الى هذه الشفيعة الحارة وقائلًا نحوها « انكِ يا مريم اذ كنتِ حاصلةً على السلطان الوالدي نحو الله فتستمدين الغفران للخطاة الاكثر اثماً والاشد قبحًا لان ذاك الرب الذي في كل شيء يعرفكِ اماً حقيقيةً له . فلا يمكنه ان لا يهبكِ كل شيء تسالينه » ولهذا القديسة بريجيتا قد سمعت القديسين في السما يتكلمون مع والدة الاله قائلين لها « ايتها السيدة المباركة . ما هو الشيء الذي انتِ لا تقدرين ان تصنعيه . لان الشيء الذي تريدينه فهذا هو الشيء الذي يُعمل » ومن ثمَّ يطابق هذا الكلام ذاك القول الشهير وهو « ان السلطة التي لله هي لصلاتكِ ايتها العذرا » ويقول القديس اوغوسطينوس « فهل انها لا تكون لايقة بصلاح الرب هذه القضية . وهي « ان يحفظ شرف مقام والدته . والحال انه تعالى يعلن واضحاً انه لم ياتِ الى الارض ليحل

الناموس بل ليتممهُ. والحال ان احدى وصايا هذا الناموس هي الحتم على الاولاد بان يكرموا والديهم " بل ان القديس جاورجيوس رئيس اساقفة نيكوميدية يضيف الى ذلك قائلاً „ ان يسوع المسيح لكي يفي على نوعٍ ما الالتزام الذي عليه لهذه الام الالهية . لاجل انها اعطتهُ بواسطة ارتضائها بسر التجسد الكون الانساني من دمائها. فيكيل هو جميع ما تطلبهُ منهُ " وهنا يهتف القديس متوديوس الشهيد صارخاً „ افرحي يا مريم لانكِ حصلتِ على الحظ السعيد في ان يكون مديونًا لكِ ذاك الابن الذي هو يعطي الجميع ولا يقبل من احدٍ شيئًا فنحن كلنا مديونون لله في جميع ما عندنا على الاطلاق . لان كل شيء هو ممنوح منهُ هبةً لنا واما انتِ فاراد الله نفسهُ ان يكون مديونًا لكِ باخذه منكِ الناسوت " ولذلك يقول القديس اوغوسطينوس „ ان مريم قد استحقت ان تعطي الناسوت للكلمة الازلي . وبهذا الناسوت تمَّ افتداءُ الجنس البشري وصرنا نحن ناجين من الموت الابدي . فلهذا مريم هي مقتدرةٌ اكثر من الجميع على اسعافنا لان نحصل على الخلاص الابدي " وكذلك كتب القديس تاوفيلوس الاسقف الاسكندري الذي كان عائشًا على زمن القديس ايرونيموس قائلاً هكذا „ ان الابن يسر مرتضياً بان والدتهُ تتوسل اليه . لانهُ يريد ان يهبها جميع ما تشاءُ مانحاً اياها ذلك حبًا بها واعتباراً لها . وبهذا يريد ان يجازيها عمَّا اقتبلهُ منها اعني الجسد الانساني " فمن ثمَّ يلتفت القديس يوحنا الدمشقي نحو العذرا مخاطباً اياها بهذه الكلمات وهي „ فانتِ اذاً يا مريم بحسب كونكِ والدة الاله تقدرين ان تخلصي الجميع بواسطة صلواتكِ التي لها قيمة سلطات امٍ وحاصلة على اعتبار سطوة والدةٍ " ✿

فلنلجز القول بالفاظ القديس بوناونتورا الذي عند تاملهِ في مقدار عظمة الخير المصنوع من الله معنا بملحهِ ايانا مريم شفيعةً بنا . يخاطب هذه البتول المجيدة قائلاً „ يا لسمو جودة صلاح الهنا الفايقة الادراك بالحقيقة . والعديمة التناهي . لانهُ اراد ان يهبنا نحن الاثمة الاشقيا شفيعةً جليلةً التي هي انتِ ايتها السيدة المعظمة . لكي تستطيعي بواسطة شفاعتكِ المقتدرة ان تستمدي لنا من الخير والنعم بمقدار ما انتِ تريدين — ويا لعظمة رافة الرب الذي لئلا نهرب نحن خوفاً من الحكومة المزمعة ان تبرز

على دعوانا في ديوانه الالهي. قد اقام لنا محامية وشفيعة والدته نفسها التي لها السلطان على النعم" ☆

☆ نموذج ☆

ان الاب راتسي الراهب الكامندولازي يخبرنا (في الاعجوبة ٤٧ من كتابه على عجائب العذرا) بانه كان شاب ما الذي بعد وفاة والده قد ارسلته والدته الى بلاط احد السلطين ليخدم هناك. الا ان هذه الام الحسنة العبادة نحو والدة الاله قد الزمت ابنها قبل سفره من عندها بان يعطيها وعداً في انه كل يوم يتلو السلام الملائكي وعند نهاية تلاوته اياه يقول هذه الكلمات وهي " ايتها البتول المباركة عينيني في ساعة موتي" فبعد ان وصل الشاب الى مكان الخدمة التي مضى ليمارسها قد اتبع طريق الرذيلة وافتعال المآثم. حتى ان سيده اضطر لان يطرده من خدمته. ومن ثمّ لنظره ذاته في تلك الحال السيئة عادم القوت الضروري لحياته. شرع كمقطوع الرجا يطوف في البراري. يغذو ويقتل. غير انه وهو في تلك الظروف لم يكن يتغافل عن اتمام ما كان وعد به امه ملتجئاً مرات كثيرة الى شفاعة ام الرحمة. فاخيراً قبض عليه يوماً ما خدام الشريعة واُعطي ضده حكم الموت. ففي اليوم المتقدم على وضع الحكومة بالعمل اذ كان هو في السجن غائصاً في بحر من الحزن. عند تامله من جهة اولى شقاوة سيرته وثقل خطاياه وحكومة الموت ضده. ومن جهة اخرى مرارة حزن والدته عند سماعها بموته على هذه الصورة المفضوحة الصيت. فالشيطان لنظره اياه مويساً من شدة الغم قد ظهر له بصورة شاب جميل. ودنا منه موعداً اياه باطلاقه من السجن وبخلاصه من الموت ان كان يفعل كل ما كان يريده منه. واذ وعده الشاب بذلك فحينئذٍ اخبره عن ذاته بانه كان الشيطان وبانه قد جاء لمعونته. ولكن هذا العدو الجهنمي قد طلب منه قبل كل شيء ان ينكر يسوع واسرار الديانة المسيحية. فالشاب الشقي قد نكرها. الأ انه اذ طلب منه الشيطان ان ينكر مريم العذرا فاجابه. كلاّ. ان هذا الامر لا يمكن ان افعله. وحينئذٍ التفت هو اي الشاب نحو والدة الاله قائلاً لها تلك الصلوة التي كان تعلمها من امه وهي " ايتها

البتول المباركة عينيني في ساعة موتي" فعند تلفظه بهذه الكلمة غاب عنهُ الشيطان . غير ان الشاب بقي مملوًا من مرارة الحزن على كونه زاد على خطاياهُ السابقة هذه الخطية الاخيرة الاشد شناعةً ونفاقًا من جميعها . وهي نكرانهُ يسوع المسيح واسرار ديانته . ولكنه واظب الالتجا الى شفاعة الام الالهية فهي استمدت لهُ نعمة الندامة على خطاياهُ كلها . ولذلك قد اعترف في منبر الذمة بها بدموعٍ غزيرة وبتوجعٍ من قلبه فحينما اخرجتهُ خدام الشريعة بعد ذلك من الحبس ليمضوا به الى مكان القتل . ففي الطريق اذ شاهد هو احد تماثيل والدة الاله قد حياها بالسلام الملئكي حسب عادته مضيفاً اليه تلك الكلمات وهي " ايتها البتول المباركة عينيني في ساعة موتي " فالتمثال عند ذلك احنى لهُ راسهُ بنوعٍ قد شاهدهُ الشعب كلهُ . كانَّ العذرا المجيدة قد سلمت عليه شاكرةً معروفه . فالشاب حينئذٍ ازداد تخشعًا وطلب من الجنود ان يسمحوا لهُ بان يدنو من ذلك التمثال ويقبل قدمَي العذرا . ففي الاول توقفوا عن السماح لهُ بهذا . لانهُ خارج عن الرسوم الاَّ انهم خوفاً من الشعب الذي كان شاهد الاعجوبة وبدأ يصرخ ضدهم . اقتادوا الشاب امام التمثال المقدس . فيا للعجب انهُ عند ما انطرح هو مقبلاً قدمَي البتول . فهي مدت يدها ومسكته شديداً بنوع انهُ لم يعد ممكناً تخليصهُ منها . فحينئذٍ صرخ الشعب كلهُ " هذه نعمة نعمة " وهكذا صار . وأعطيت النعمة للشاب بانهُ خلص ناجيًا من الموت . فرجع الى وطنه وسار سيرةً مسيحية فاضلة . وزاد حرارة في التعبد لمريم التي انقذتهُ على هذه الصورة من الموت الزمني ومن الموت الابدي ايضاً ☆

☆ صلوة ☆

انني اخاطبك يا والدة الاله العظيمة الشان بالفاظ القديس برنردوس قائلاً " ان ابنكِ هو سريع الاصغا الى طلباتكِ . وكل شيء تسالينهُ فهو حالاً يعطيكِ اياهُ . فتكلمي اذًا لديه يا مريم شفيعتنا في خيرنا نحن الاشقيا الذليلين . متذكرةً انكِ انما قد فوضكِ تعالى هذا السلطان والاقتدار لاجل خيرنا . لان الله نفسهُ لهذه الغاية قد صيّر ذاتهُ مديونًا لكِ مرتضيًا بان ياخذ منكِ جسدًا بشريًا لكي تستطيعي حسب مشيئتكِ

ان توزعي على المساكين غنى المراحم الالهية . فنحن هم عبيدك ومختصون بنوع ممتاز بالتعبد لك . وفيما بين الاخرين اومل ان اكون انا واحداً منهم . ونحن نفتخر باننا عائشون تحت كنفك وفائزون بحمايتك . فان كنت انت تصنعين الخير مع الجميع حتى مع اولئك الذين لا يعرفونك . او لا يكرمونك بل بالاحرى يهينونك ويجدفون عليك . فبكم من الرجا يلزمنا نحن ان نومل منك افضل عناية . ومن جودك اجزل سخاء . ومن رحمتك (التي تفتش من تلقاء ذاتها على المحتاجين لتسعفهم اعظم حنو بعد اننا نحبك ونكرمك ونثق بك متكلين عليك . فاي نعم اننا خطاة جداً . ولكن الله قد اغناك بالرافة وفوضك سلطاناً مطلقاً يفوق كثيراً على عدم استحقاقنا . ويسمو بما لا يحد على كثرة خطايانا . فانت تريدين خلاصنا وتقدرين عليه . ونحن باكثر من ذلك موملونه . وفيك نرجو ان نفوز به بمقدار ما نحن غير مستحقين له . لكي نمجدك في السما بافضل نوع حينما نبلغ اليك بواسطة مفعول شفاعاتك من اجلنا . والان نحن نقدم لديك يا ام الرحمة انفسنا التي في وقت ما كانت جميلةً مغتسلةً بدم يسوع المسيح . ولكنها فيما بعد قد تدنست بالاثم . فانت الان اهتمي في تطهيرها مستمدة لنا من الله رجوعاً صادقاً اليه تعالى وتوبة عن الخطية . ومستميحةً لنا نعمة الحب له عزَّ وجلَّ . ونعمة الثبات على الخير . ثم نعمة الخلاص الابدي . فاي نعم ان مطاليبنا هذه منك هي عظيمةٌ ولكن هل لا تقدرين ان تناليها لنا كلها . او هل هي زائدةٌ بالنسبة للحب الذي يحبك به الله . والحال انه يكفي لذلك ان تفتحي فمك متوسلة لدى ابنك . وهو لا ينكر عليك شيئاً مهما كان . فتوسلي اذاً يا مريم وصلي من اجلنا . ومن دون ريب انت تنالين ما تطلبينه ونحن نفوز بالخلاص حقاً ☆



❀ الجزء الثاني ❀

٭ في ان مريم العذرا هي شفيعةٌ بهذا المقدار مملوةٌ من الرافة ٭
٭ حتى انها لا ترفض ان تحامي عن دعاوي من هم اشد شقاوةً ايضاً ٭

ان الاسباب والحجج التي من اجلها نحن ملتزمون بان نحب ملكتنا هذه الكلية المحبة هي بهذا المقدار كثيرةٍ وقوية حتى انهُ اذا كان سكان الارض اجمعون يمدحونها . والواعظون كافةً لا يخطبون في المنابر الا في تقريظاتها والبشر كلهم يسفكون دماءهم من اجلها . فلم يكن ذلك تكريماً كافياً ومكافاةً تامة لمعرفة الجميل الذي نحن مديونون به لشدة الحب الذي به تحب هذه السيدة البشريين كافةً . حتى الخطاة الاكثر اثماً الذين يحفظون نحوها نوعاً من المحبة والعبادة ٭ فرايموندوس يوردانوس الكرم المسمى ايديوطا كان يقول „ ان مريم لا تعرف ان لا تحب من يحبها . بل لا تنفر من ان تتنازل لان تخدم من يخدمها . ممارسةً نحوهُ (وان كان خاطئاً) كل مفاعيل اقتدار شفاعتها لتستمد لهُ الغفران من ابنها المبارك . فهكذا هي عظيمةٌ رافتها وحنوها حتى انهُ وليس من احدٍ ولو كان قد بلغ الى دركات الجحيم يمكنهُ ان يخاف من الالتجاء اليها منطرحاً لدى قدميها . لانها لا تطرد احداً من المستغيثين بها" فمريم بحسبها هي شفيعتنا الكلية الحب نحونا . هي عينها تقدم تضرعاتنا لدى الله نحن عبيدها . لا سيما تلك التوسلات التي تكون قدمت اليها . لانَّهُ كما ان الابن يشفع فينا لدى الاب . فكذلك هي نفسها تشفع فينا لدى الابن . ولا تتغافل عن ان تمارس عنايتها امامهما معاً اي لدى الاب والابن في صالح امورنا . وفي قضية خلاصنا الابدي الى ان تنال لنا تلك النعم التي نحن نبتغيها ٭ فاذاً ليس من دون اساسٍ راهب يسمي الطوباوي ديونيسيوس كارتوزيانوس البتول القديسة „ ملجأ الهالكين الفريد ورجاء الاشقيا وشفيعة الخطاة اجمعين الذين يلتجئون اليها" ولكن اذا وُجد خاطئ ما الذي وان لم يكن يرتاب في اقتدار مريم . فمع ذلك يقل رجاؤهُ في رافتها خائفاً ربما من انها لا تريد ان تساعدهُ لاجل ثقل خطاياهُ وكثرتها . فالقديس بوناونتورا يشجع

الخاطئ الذي على هذه الصفة قائلاً له „ انه لعظيم" هو وفريد الاختصاص الذي لمريم لدى ابنها بان تنال منه كل شيء هي تريده بصلواتها اماسه. ولكن ترى ما الذي يفيدنا اقتدار مريم ان كانت هي لا تفتكر فينا. اصلاً. كلا. لا ينبغي لنا ان نرتاب. بل فلنكن مطمئنين ولنشكر الرب دائماً ولنمدح والدته الالهية. لانه كما انها هي امام الله مقبولة مكرمة اكثر من جميع القديسين. فهكذا هي شفيعتنا الاشد غيرة والاكثر حباً والاعظم محامية عما يأول لخيرنا " فمن ثم يهتف القديس جرمانوس مملوا من الفرح قائلاً نحوها „ فمن هو يا ام الرحمة الذي بعد يسوع ابنك يهتم بنا بهذا المقدار معتنياً في خيرنا نظيرك. من هو الذي يحمينا من التجارب التي تحزننا مثلما تحامين انت عنا. من هو الذي يرتضي بان يتشفع في الخطاة ويعضدهم وكانه يحارب عنهم نظيرك. فاذاً ان حمايتك يا مريم هي اكثر حباً واشد قوة مما نحن يمكننا ان نتصوره في عقولنا „ لانه (يقول ايديوطا) من حيث ان القديسين كافة يستطيعون ان يفيدوا الذين هم متعبدون لهم افادة خصوصية زائدة عن الاخرين فلام الالهية بحسبما هي ملكة الجميع. هي على هذه الصورة شفيعة الجميع ومعتنية حارة في خلاص الجميع من دون استثناء " ✡ •

فهي تهتم في كل احد حتى في الاشرار. بل انها تفتخر هي في كونها تدعى محامية الخطاة وشفيعتهم الخاصة. حسبما اوضحت ذلك هي نفسها لعبدة الرب الراهبة مريم فيلاني المكرمة قائلة لها „ انني من بعد الصفة الشريفة التي امتلكها بكوني والدة الاله فافتخر بهذه الصفة الاخرى اكثر من البقية وهي كوني أدعى شفيعة الخطاة " ثم يقول الطوباوي اماداوس „ ان سلطانتنا لا تهمل ان تعتني لدى العزة الالهية دائماً بالتضرعات الكلية الاقتدار من حيث انها وهي في السما تعلم جيداً حال شقاوتنا وشدة احتياجاتنا. فلا تقدر ان لا تتوجع من جرائنا والا تشفق علينا. ومن ثم بحب والدي بحسبما هي امنا تنعطف باشفاق وتعتني بحنو في ان تسعفنا على الدوام وتهتم في امر خلاصنا الابدي " ولهذا ريكاردوس الذي من سان لورانسوس يشجع كل انسان مهما وجد شقياً على الالتجا الى مريم شفيعتنا بحسن اتكال. موكداً له بانه يجد فيها دائماً استعداداً

حياً لاسعافه. كما يقول غوفريدوس «ان مريم هي على الدوام مستعدة لان تصليَ من اجل الجميع» ☆

فيا لها من عنايةٍ وغيرةٍ حارة تتعاطى بها شفيعتنا المجيدة دعوى خلاصنا الابدي. (يقول القديس برنردوس) لاننا في حال غربتنا هذه قد سبقتنا وقدمتنا شفيعتنا التي لكونها ام الديان وام الرحمة ايضاً فتتعاطى امر خلاصنا وتكتسب لنا الدعوى» ثم ان القديس اوغوسطينوس اذ كان يتامل الحب والاعتنا اللذين بهما تهتم مريم دائماً في تضرعاتها لدى العزة الالهية. لكي يغفر لنا الرب خطايانا ويسعفنا بانعامه ويخلصنا من المخاطر وينجينا من الشقاوة والهلاك. يقول مخاطباً هذه السلطانة المجيدة هكذا «اي نعم ايتها السيدة ان القديسين كلهم يحبون خلاصنا ويصلون من اجلنا. ولكن الحب والشفقة والحنو والانعطافات التي تظهرينها نحونا انتِ من السما باستمداداتك لنا بواسطة تضرعاتكِ نعماً هكذا عظيمة من الله. فهذا كله يلزمنا بان نعترف بانه ليس لنا في السما سوى شفيعة واحدة التي هي انتِ وانكِ انتِ وحدكِ محبة صادقة حقيقية مهتمة ومعتنية في خيرنا وخلاصنا» ثم يقول القديس جرمانوس «ترى مَن هو الذي يمكنه ان يدرك الاهتمامات والاعتنا والغيرة التي بها تسعفنا مريم امام الله دائماً في قضا احتياجاتنا. لان رافتها واشفاقها نحونا نحن الاشقيا. وحبها ايانا ورغبتها خيرنا هي بهذا المقدار وافرةٌ وحارة وصادقة. حتى انها تصلي من اجلنا من دون مللٍ وتكرر تضرعاتها. ولا تشبع من التوسل في صالحنا. وهكذا تسعفنا بانقاذها ايانا من الشرور وباستمدادها لنا النعم التي نحتاج اليها» ☆

فيا لشقاوتنا وتعاستنا نحن الخطاة لو لم نكن حاصلين على هذه الشفيعة العظيمة والمقتدرة جداً والرحومة في الغاية وحكيمةً بما لا يوصف وذات فطنة غير معتادة «حتى ان القاضي الالهي ابنها يسوع (يقول ريكاردوس) لا يمكنه ان يحكم بالهلاك على اولئك المذنبين الذين هي تحامي عنهم» ومن ثمَّ يسلّم عليها القديس يوحنا جاومانزا قائلاً «السلام عليكِ ايتها الشفيعة اللاشية من الدعاوي كل الخصومات» لان جميع الدعاوي المحامى عنها من هذه الشفيعة الكلية الفطنة والحكمة فتكتسب كافة من دون ان

تجسر واحدة منها. ولهذا يسمي مريم القديس بوناونتورا „ ابيغال الحكمة " فابيغال هي تلك الامراة (المذكورة في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الملوك الاول). التي عرفت جيداً ان تهدي بواسطة توسلاتها وبراهين حكمتها غضب داود الملك حينما وُجه هو ممتلئًا رجزًا ضد نابال. فقد راق قلب داود اذاً بواسطة تضرعات ابيغال بهذا المقدار حتى انهُ هو نفسهُ شكر فضلها قائلاً لها „ مباركٌ الرب الهُ اسرائيل الذي ارسلكِ اليوم تجاهي. ومباركٌ هو كلامكِ ومباركةٌ انتِ كما منعتيني اليوم عن ان ادخل في الدم وانتقم بيدي " فهذا الامر عينهُ تصنعهُ مريم في السما علي الدوام في صالح خطاة لا يُحصى عددهم. لانها تعرف هي جيداً ان تهدي غضب العدل الالهي بواسطة تضرعاتها المملوة اشفاقاً. وبكلماتها ذات العذوبة والحكمة. حتى ان الله نفسهُ يباركها عن ذلك وكانهُ على نوعٍ ما يشكر عناية حبها وتضرعاتها التي تمسكهُ عن ان يهمل هولا الخطاة. ويعاقبهم حسبما يستحقون. فيقول القديس برنردوس „ انهُ لاجل هذه الغاية اذ كان الاب الازلي يريد ان يستعمل معنا كل انواع الرحمة الممكنة فما عدا الشفيع الاول والاصلي الذي يشفع فينا لديه وهو ابنهُ يسوع المسيح. قد منحنا هذه الشفيعة التي هي مريم لدى ابنها يسوع المسيح عينه " ✿

فلا ريبَ ولا اشكالَ (يقول القديس برنردوس نفسهُ) في ان يسوع المسيح هو وسيط العدل الوحيد فيما بين الله الاب وبين البشر. وهو الذي بقوة استحقاقاته الخصوصية الذاتية يقدر حقاً حسب مواعيده ان يكتسب لنا الغفرات والنعمة الالهية. ويريد ذلك. ولكن من حيث ان البشر يعرفون في شخص يسوع المسيح العظمة الالهية الكائنة به حسبما هو الهٌ. ويخافون منهُ. فلهذا لاقَ بالضرورة ان يُقام لنا شفيعٌ نقدر نحن ان نلتجيء اليه باقل خوفٍ وباكثر طمانينة. فاقام الله لنا مريم شفيعةً بنوع اننا لا نقدر ان نصادف محاميةً. لا اشد منها اقتداراً امام العزة الالهية. ولا اكثر منها اشفاقاً نحونا „ ولهذا بالحقيقة يفتري على مريم ليس بالقليل (يتبع القديس برنردوس كلامهُ السابق بقوله الحاضر) ذاك الذي يخاف من ان يمضي لدى قدمي هذه الشفيعة الموعبة من العذوبة والحلاوة. والبعيدة عن الصرامة والقساوة. بل هي بجملتها عواطف حبٍ واشفاقٍ

وحنو. فاقرأ يا هذا الاناجيل المقدسة كلها وافحصها جيداً. واذا رايت مدوناً عن مريم حادثاً ما يشير الى صرامتها وشدة معاملتها. فحينئذٍ خف منها واخشَ من ان تبادر اليها. غير انك لا تقدر ان تجد ذلك. فاذاً بادر اليها فرحاً وهي تخلصك بشفاعتها " ☆

امّا غوليالموس الباريسي فيجعل الخاطئ الملتجئ الى هذي السيدة ان يخاطبها بهذه العبارات الجليلة قائلاً لها "يا ام الهي اني فيما انا به من الحال الشقية عينها التي قد اوصلتني اليها خطاياي ابادر اليكِ ملتجئاً بكِ برجاء وطيد. فان طردتيني رافضةً اياي. فانا استطيع ان اقول لكِ انكِ على نوعٍ ما ملتزمةٌ انتِ بان تعينيني. لان الكنيسة الجامعة كلها والمومنين اجمعين يسمونكِ ام الرحمة. فانتِ هي يا مريم تلك التي لاجلَ كونها عزيزة امام الله ومحبوبةً منهُ فدائماً طلباتها هي مقبولة لديه تعالى. فرافتكِ العظيمة ما نقصت قط عن احدٍ. وعذوبتكِ وحلاوة قلبكِ وليونة ناسوتكِ ولطافة معاملتكِ لم تدعكِ اصلاً ان تحتقري احداً من الخطاة. مهما كانت حالهُ سيئة وءاثمهُ فظيعة وقبائحهُ شنيعة بحيث انهُ يستغيث بكِ مستمداً منكِ العون. لانهُ هل يمكن ان الكنيسة كلها تدعوكِ باطلاً وسدًى شفيعتها ومحاميتها. وتلقبكِ بملجأ البائسين. فلا يكن ابداً ان خطاياي تستطيع يا امي ان تمسككِ عن ان تتممي نحوي واجبات الوظيفة العظيمة ذات الرافة والرحمة المقلدة لكِ. والتي بموجبها انتِ هي الشفيعة للبشر والوسيطة فيما بينهم وبين الله لاجتلاب الصلح. وانتِ بعد ابنكِ هي الرجاء الوحيد للمويسين والملجأ الفريد للبايسين. فجميع ما انتِ حاصلةٌ عليه من النعمة والمجد ومن المرتبة العظمى عينها وهي حال كونكِ والدة الاله (فان أُبيح لي اقول) ان هذه كلها انتِ ملزومةٌ بان تعرفي جميلها عليكِ للخطاة. لان الكلمة الازلي بسبب هولا الخطاة قد صيركِ امّا لهُ بتجسده منكِ فاذاً من المستبعد جداً هو التفكر في ان الام الالهية التي ولدت للعالم ينبوع الرافة يمكن ان تنكر رحمتها على احد المساكين الملتجئين اليها. فمن حيث ان وظيفتكِ يا مريم هي ان تتوسطي فيما ياول للصلح بين الله والناس. فليحركِ لان تفتكري بي اشفاقكِ نفسه الذي هو بما لا يُحدّ عظيمٍ. حتى ان خطاياي مهما كانت كثيرة وكبيرة فلا يمكن ان تسمو عليه" ☆

„ فكونوا متعزين اذاً يا معشر صغيري الانفس (اقول لكم مع القديس توما الفيلانوفي) وابتهجوا بسرور يا مويسين. وتشجعوا معاً انتم ايها الخطاة كافةً. فان هذه البتول العظيمة التي هي والدة الهكم وديانكم. فهي هي نفسها شفيعة الجنس البشري والمحامية عنه. وهي مقتدرةٌ على ان تنال من الله كل شيء. وهي كلية الحكمة وتعرف جميع الوسائط التي بها تهدي غضب العدل الالهي. وهي شفيعةٌ عامةٌ مشاعةٌ للجميع. فتقبل كل احدٍ ولا ترفض اصلاً ان تحامي عن احدٍ مهما كان ممن يقصدونها ” ☆

☆ نموذج ☆

انه مما صنعته البتول المجيدة شفيعتنا الراوفة مع الراهبة المسماة بياتريكس. من راهبات الدير الكائن في فونطابرالدوس كما هو مدون من المعلم كيساريوس ومن الاب رهو. يظهر واضحاً سمو رافة هذه الشفيعة نحو الخطاة. فالراهبة المذكورة التعيسة اذ كانت غلبت من الام الدنس مغرمةً في عشق شابٍ ما قد كان ملك حبه قلبها. فاعتمدت على ان تهرب من الدير معه كما تممت الامر فعلاً لانها يوماً ما قد تقدمت امام ايقونة والدة الاله. وهناك تركت مفاتيح الدير بما ان وظيفتها كانت بوابة. وخرجت من الدير بروحٍ عديم الحيا. وعند ما وصلت الى بلدةٍ اخرى فهناك سلمت ذاتها لكل صنف من القبايح. واضحت امراة مشاعةً لفعل الدنس حيث استمرت مدة خمس عشرة سنة في هذه الحال الشقية. فيوماً ما بعد الزمن المذكور قد صودف في تلك المدينة الرجل المتعلقة به امور دير فونطابرالدوس الزمنية. فلما راته هناك تقدمت اليه لعلمها انها غير معروفةٍ منه. وسالته ان كان يعرف تلك الراهبة المدعوة بياتريكس. فاجابها الرجل „ اي نعم انني اعرفها جيداً. وهي موجودةٌ في الدير وبالحقيقة انها راهبة قديسة وقد اقيمت حديثًا معلمةً للمبتدئات ” فلما سمعت هي منه هذا الجواب قد بهتت متحيرةً قلقةً لم تعد تعلم ماذا تفتكر ولا كيف تصدق الامر. فمن ثم لكي تتحقق القضية جيداً بالامتحان قد غيرت ملبوسها وانطلقت الى الدير واستدعت الراهبة بياتريكس الموجودة هناك. وهوذا بوالدة الاله الكلية القداسة قد ظهرت امامها بالصورة والهيئة ذاتها

الصورة هي بها في تلك الايقونة التي كانت بياتريكس وضعت امامها مفاتيح الدير مع ثوبها الرهباني . وحينئذٍ قالت لها هذه الام الالهية هكذا « اعلمي يا بياتريكس انني لكي امنع عنكِ فضيحة الصيت وخسران السمعة الصالحة قد اتخذت على ذاتي صورتكِ وهيئتكِ . وعوضاً عنكِ قد مارست وظيفتكِ في كل مدة الخمس عشرة سنة التي كنتِ انتِ فيها بعيدةً عن الدير وعن الله . فارجعي يا ابنتي واعملي توبةً لان ابني لم يزل ينتظر رجوعكِ اليه . واجتهدي بواسطة صلاح سيرتكِ في ان تحفظي الاسم الصالح الذي انا اكتسبته لكِ ههنا بما تصرفتُ به على اسمكِ » قالت هذا وغابت من امامها . فوقتئذٍ بياتريكس دخلت الدير وتردت بالثوب الرهباني وعاشت كقديسةٍ حافظةً الجميل نحو المحسنة اليها وعند ما دنا موتها قد اخبرت بالحادث المذكور تمجيداً لمراحم والدة الاله شفيعتها ✲

✲ صلوة ✲

يا ام سيدي العظيمة اني الاحظ حسناً ان تصرفي مدة مديدة من السنين بنكران الجميل وبعدم المعروف نحو الله ونحوكِ . يستحق ان يُعاقب عدلاً بهذا العقاب وهو انكِ تهمليني متروكاً بعد الان من عنايتكِ واهتمامكِ . لان الخائن الكافر بالجميل نحو المحسن اليه لا يعود يستاهل الانعام . ولكن ايتها السيدة لي طمعٌ واعتبارٌ عظيمان في صلاحكِ . واعلم اكيداً ان جودتكِ هي اكبر كثيراً من كفراني بالجميل . فداومي اذاً يا ملجأ الخطاة على اسعافكِ خاطئاً بهذا المقدار محتاجاً وهو كلي الاتكال عليكِ . ولا تهمليه يا ام الرحمة . بل امددي يدكِ لتنهضي هذا الساقط البائس الطالب منكِ الرأفة . فانا اسالكِ يا مريم المجيدة اماً ان تحامي عني متشفعةً بي . واماً ان تخبريني الى من التجيء ليتخذ على ذاته حمايتي بنوعٍ اجود منكِ . ولكن اين يمكنني انا ان اجد شفيعةً لها استطاعةً امام الله وذات اشفاقٍ عليَّ اكثر منكِ بعد انكِ انتِ هي امٌ لله . فلا شكَّ في انكِ انما انتخبتِ اماً لمخلص العالم لكي تسعي في خلاص الخطاة . وقد أُعطيتِ لي خلاصاً . فخلصي ايتها البتول مَن يلتجيء اليكِ . لانني

اي نعم انا لا استحق محبتكِ بعد الان ولكن الشوق الذي في قلبكِ نحو خلاص الهالكين نظيري. فهذا يجعلني ان اوصل انكِ تحبيني. وان احببتيني فكيف يمكن ان اهلك. ولهذا ان انا فزت بالخلاص بواسطتكِ كما ارجو بثقةٍ منكِ يا امي المحبوبة في الغاية. فلا اعود اصلاً ان اوجد نحوكِ ناكر الجميل. بل ساكافي عدم معروفي السابق بالمدائح والتسابيح والتقريظات القلبية الى الابد في السما حيث انتِ تملكين سرمدًا بكل سعادةٍ. مرتلاً تعظيمات الشكر لرحمتكِ. ومقبلاً بتكرارٍ تلك اليد السخية التي خلصتني من جهنم مراتٍ عديدة طبقًا لعدد المرات التي بها انا سقطت في الخطية المميتة. فانا احبكِ يا مريم منقذتي ورجائي وملكتي وشفيعتي وامي. واريد ان احبكِ واعظمكِ دائمًا امين ☆

❋ الجزء الثالث ❋

☆ في ان مريم العذرا هي وسيطة الصلح فيما بين الله وبين الخطاة ☆

ان نعمة الله هي كنزٌ عظيمٌ فايق الثمن مُشتهى باشواقٍ متقدة من كل نفسٍ. فالروح القدس يسمي كنز النعمة كنزًا غير متناهٍ لاننا بواسطة نعمة الله نحن قد ارتقينا الى مرتبة خلان الله واصدقائه كقوله تعالى „ لانها للناس كنز لا ينفص والذين استعملوهُ بلغوا الى محبة الله محمودين من اجل الاشيا الموهوبة لهم من الارب " (سفر الحكمة ص ٧ ع ١٤) فمن ثمَّ مخلصنا يسوع المسيح الذي هو الهنا لم يرتَب في ان يسمي اصدقاهُ واحباهُ اولئك الذين هم في حال النعمة قائلاً لتلاميذه „ لا اسميكم الان عبيدًا لان العبد لا يعلم ما يصنع سيدهُ بل سميتكم احبائي " (يوحنا ص ١٥ ع ١٤) فلتكن ملعونةً الخطيئةُ لانها تلاشي رباط هذا الحب والصداقة مع الله. كما يقول اشعيا النبي (ص ٥٩ ع ٢) „ان اثامكم فرقت فيما بينكم وبين الهكم " بل ان الخطيئة تجعل النفس مبغوضة من الله كقوله عزَّ وجلَّ „ ان المنافق ونفاقهُ هما مبغوضان على حدٍ سواء عند الله " (سفر الحكمة ص ١٤ ع ٩) وهكذا من حال الصداقة لله تنتقل النفس الى حال العداوة لهُ تعالى * فماذا ينبغي اذًا ان يفعلهُ الخاطيء الذي لتعاسته

يصير في وقتٍ ما عدواً لله. انهُ يلزمهُ ان يجد لهُ وسيطاً يمكنهُ ان يستمد لـهُ من المراحم الالهيـة الغفران. ويجعلهُ ان يكتسب من جديد صداقـة اللـه ومحبتـه التي خسرها. فهنا القديس برنردوس يهتف قائلاً نحو الخاطىء الذي هذه الصفة صفتهُ هكذا „ افرح متعزياً ايها المسكين الذي خسرت اللـه. لان سيدك هذا نفسـهُ قد اعطاك الوسيط وهو ابنـهُ يسوع المسيح الذي يستمد لك منهُ كل شيء تريدهُ " ☆

ثم ان هذا القديس يتأوه من تصرف البعض قائلاً „ اواه كيف ان البشر يقـدرون ان يعتبروا صارماً هذا المخلص الذي هو كلي الرافـة والحنـو نحونا بهذا المقدار. حتى انهُ اباح حياتهُ ولاشى ذاتهُ من اجل خلاصنا. فترى لماذا يظنون مخوفاً ذاك الذي هو العذوبة والمحبة بالذات. فيا معشر الخطاة الويسين اي شيء انتم تخافون. فان كنتم انما تخشون لاجل انكم اغظتم الله واهنتموه فاعلموا ان يسوع قد سمر خطاياكم على الصليب مبجنـةً مع يديه نفسهما. ومن حيث انـهُ وفى عنها الوفا التام للعدل الالهي. فقد نزعها من انفسكم ملاشياً. ولكن ان كنتم تخافون من انكم تلتجئون الى يسوع المسيح. لان عظمة جبروته وعزة ربوبيتـهِ تخيفكم. من حيث انـه ولئن كان هو تانس متجسـداً فلم يزل الهاً حقاً. فهل تريدون لكم وسيطاً اخر يدخل بكم امام هذا الوسيط الالهي. فالتجئوا الى مريم لانها هي تتشفع من اجلكم لدى ابنها الذي من دون ارتيابٍ يستجيب طلباتها. وهو حينئذٍ يشفع فيكم لدى ابيه الذي لا يمكنهُ ان ينكر عليه شيئًا " „ فهذي الام الالهية يا اولادي (يختتم القديس برنردوس كلامهُ قائلاً) هي سلم الخطاة الذين بواسطتها يصعدون الى علو نعمـة اللـه. وهذه هي رجائي العظيم وهي اساس ثقتي كلها وبرهان اتكالي بجملته " ☆

فهوذا الالفاظ التي تتفوه بها عن ذاتها من قبل اللـه مريم البتـول قائلـةً „ انا سورٌ وثدياي كبرجين. فكنت انا في عينيـه كواجدة سلامـةً " (نشيد ص ٨ ع ١٠) اي انها تقول اني انا حصنٌ منيع ومحامية عن اولئك الذين يلتجئون اليَّ. ورحمتي هي لخيرهم نظير البرج لحمايتهم. ولهذا انا قد أُقمت من سيدي وسيطـةً للصلح والسلام فيما بين الله والبشر. ثم يقول الكردينال اوغون في تفسيره كلمات النشيد المقدم ذكرها „ ان مريم

هي الوسيطة العظيمة للصلح التي تستمد من الله السلم للاعدا وتفوز لهم بالصلح. وتكتسب الخلاص للخطاة الهالكين. وتنال الغفران للاثمة. وتستمد الرجا للمويسين" ومن ثمَّ قد دُعيت هذه العروسة من عروسها الالهي „ جميلةً مثل سرداق سليمان" (نشيد ص ١ ع ٤) على ان سرادق داود الملك كان سرادق الحرب. واماً سرادق سليمان فلم يكن الاّ سرادق السلام والصلح. وبهذا يشير الينا الروح القدس على ان ام الرحمة هذه لا تتعاطى شيئًا مختصاً بالحرب وبالانتقام من الخطاة بل انَّما تتعاطى الصلح والسلام فقط. وتهتم في اكتساب الغفران لهم عن جميع مآثمهم ✿

ولذلك قد رُمز الى مريم بحمامة نوح. التي بعد خروجها من السفينة قد رجعت اليها وفي فمها عودٌ من الزيتون فيه ورقةٌ. الامر الذي كان علامة الصلح والسلام الممنوح من الله للبشر بعد اتقاد نار غضبه ضدهم. ولذلك يخاطب القديس بوناونتورا البتول المجيدة هكذا قائلاً „ انتِ هي الحمامة الامينة التي اذ صرتِ واسطةً للبشر امام الله. قد اكتسبتِ للعالم الهالك السلام والصلح والخلاص" فمريم اذاً هي تلك الحمامة السماوية التي اجتلبت للعالم الهالك عود الزيتون علامة الرحمة والرضى. لانها اعطتنا يسوع المسيح ينبوع الرحمة واكتسبت لنا بعد ذلك باستحقاقات هذا الابن الالهي كل النعم التي يمنحناها الله. حسبما يقول الاب سبينالي * ثم ان القديس ابيفانيوس يلاحظ هذه القضية وهي „ كما انهُ بواسطة مريم أُعطي السلام من السما للعالم. فكذلك بواسطتها ما زال الخطاة على الدوام ينالون الصلح مع الله" ولهذا الطوباوي البرتوس الكبير يجعل مريم متكلمةً هكذا „ اني انا هي حمامة نوح التي جلبت للكنيسة السلام التام والصلح العام" ✿

وعلى هذه الصورة قد كان رسماً لمريم البتول ذاك القوس الذي راهُ القديس يوحنا الانجيلي في جليانه محيطاً بالعرش الالهي كقوله في سفر الابوكاليبسي (ص ٤ ع ٣) „ وكان قوس غمامٍ حول الكرسي منظرهُ كالزمرد" فالكردينال فيتاله في تفسيره هذا النص يقول „ ان مريم هي تلك التي تجول دائمًا حول كرسي الله في ديوان المحكمة الالهية. لكي تهتم في تخفيف صرامة العدل. وفي تلطيف الاحكام كيلا تُعاقب الخطاة بحسبما تستحق اعمالهم

السيئة " ثم ان القديس برنرديغوس السياني يقول " ان هذي البتول هي ذاك القوس الذي عنهُ خاطب الله نوح وبنيه قائلاً " ان هذه هي علامة الميثاق الذي اجعله بيني وبينكم وبين كل نفسٍ حية معكم ان اجعل قوسي في الغمام. فتكون علامة الميثاق بيني وبين الارض — وتظهر القوس في الغمام اذكر ميثاقي الابدي (تكوين ص ٩ ع ١٢ وما يتلوه) فمريم هي هذا القوس الذي هو علامة الصلح والميثاق الابدي" ويقول القديس المذكور نفسهُ " انهُ بالنوع الذي به حينما ينظر الله القوس في الغمام يذكر عهد الصلح وميثاق السلام الذي صنعهُ مع الارض. فبهذا النوع حينما تتضرع ابنه مريم يغفر هو للخطاة الاهانة المصنوعة منهم في حقه. ويوطد فيما بينه وبينهم الصلح والصداقة " ✿

ومن ثمَّ قد مُثلت مريم بالقمر كما قيل عنها " انها جميلةٌ مثل القمر" (نشيد ص ٦ ع ٩) فيقول القديس بوناونتورا " كما ان القمر هو متوسط فيما بين الشمس والارض. فهكذا مريم تدخل واسطةً فيما بين الله والناس الخطاة. لكي تهدّي غضب الرب عنهم. ولكي تنيرهم بالرجوع الى الله" فالوظيفة الخصوصية التي أُعطيت من الله لمريم في وضعه اياها على الارض هي قائمةٌ بالنوع الذي بهِ جاء الخطاب عنها في سفر النشيد بهذه الكلمات وهي " ارعي الجدا التي لكِ" (ص ١ ع ٧) فكانهُ تعالى حين خلقته مريم قال لها الكلمات المقدم ذكرها. لانهُ امرٌ واضحٌ يعرفهُ الجميع هو ان الخطاة قد مُثلوا بالجداء. فكما ان الابرار الذين مُثلوا بالخراف يُقامون من عن يمين الديان في حين الدينونة العامة. فهكذا الجدا يُقامون من عن شماله. ثم ان غوليالموس الباريسي يخاطب والدة الاله قائلاً " ان هولا الجدا قد سُلموا لرعايتكِ ايتها الام العظيمة مريم لكي تحيليهم الى خرافٍ. ومن حال كونهم مستحقين لاجل خطاياهم ان يُقاموا في يوم الدين من عن شمال الديان. فبواسطة تضرعاتكِ من اجلهم يحصلون على ان يُقاموا من عن يمينه تعالى " ثم ان الرب قد اوحى للقديسة كاترينا السيانية بانهُ قد خلق ابنتهُ المحبوبة مريم نظير طُعمٍ لذيذٍ يجتذب البشر بواسطته لا سيما الخطاة مكتسبًا اياهم للرجوع اليه * ولكن ينبغي هنا ان ننبه عن العبارة الجلية التي يوردها غوليالموس انكليكوس فيها يلاحظ كلمات سفر النشيد

وهي « ارعي الجدا التي لك » بقوله « ان الله يوصي مريم برعاية الجدا . لان مريم لا تخلص الخطاة اجمعين . بل اولئك فقط الذين يخدمونها ويكرمونها متعبدين لها . وبالضد ان الخطاة الذين يعيشون في اثامهم ولا يكرمونها تكرمةً خصوصيةً ولا يلتجئون اليها طالبين شفاعتها ليخرجوا من حال الخطية . فهولا ليسوا من جدائها بل انهم في يوم الموقف العظيم هم عتيدون ان يطردوا الى صف الشمال مع الابالسة » فيوماً ما اذ كان احد الاشراف لثقل خطاياه الكثيرة على منكبيه حاصلاً في القلق الذي دنا به الى اليأس من الخلاص . فاحد الرهبان المطلع على حاله السيئة قد شجعه لان يلتجيء الى والدة الاله امام احدى ايقوناتها الكائنة في كنيسةٍ ما اشار هو اليه عنها . فاقتبل الرجل المشورة الصالحة وذهب الى تلك الكنيسة . وعندما شاهد عن بعدٍ الايقونة المنوه عنها شعر حالاً في ذاته كانَّ البتول المجيدة كانت تدعوه بعذوبةٍ لان ياتي امامها بثقةٍ . فاسرع هو اليها منطرحاً لدى قدميها . ثم دنا منها ليقبلها . لان الايقونة كانت تمثالاً مجسماً . فالام الراوفة مدت حينئذٍ يدها اليه ليقبّلها . اما هو فرای مكتوباً على تلك اليد « انا اخلصك من محزنيك » وكأنها كانت تقول له « يا ابني لا تايس فانا انزع عنك خطاياك وقلق ضميرك وتوبيخاته التي تعذبك » فيقال في هذا الخبر ان ذاك الانسان عند قراءته تلك الكلمات قد شعر بانفعالات ندامةٍ شديدة على خطاياه . وبحبٍ ملتهبٍ نحو الله ونحو والدته المجيدة حتى انه لم يمكنه ان يعيش بعد ذلك اليوم بل تنيّح تحت قدمي هذه الام الحنونة * فكم وكم من الخطاة يرجعون الى الله بالتوبة يومياً بواسطة هذي السيدة التي تجتذبهم كحجر المغناطيس . حسبما اوضحت ذلك هي نفسها للقديسة بريجيتا قائلة لها في الوحي « انه كما ان حجر المغناطيس يجذب اليه الحديد . فهكذا انا اجذب اليَّ قلوب الناس الاشد توغلاً في الخطايا لكي اصالحهم مع الله » فهذا الامر العجيب لا يحدث نادراً بل ان التجربة اليومية توكده علانيةً . اما انا فيمكنني ان اقدم شهادةً صادقةً على حوادث كثيرة مثل هذه تمت في ازمنة معاطاتنا الرسالات والرياضات الروحية للشعب . حيث اتفق مرات عديدة ان كثيرين من الخطاة المصرّين على اثامهم . بعد انهم يكونون استمعوا عظاتنا

الكثيرة من دون ادنى افادةٍ لهم. ومن غير ان يتحركوا الى التوبة. فعند استماعهم العظة المختصة برحمة والدة الاله كانوا يبادرون الى منبر التوبة راجعين الى الله بندامة قلبية * ثم ان القديس غريغوريوس الكبير يخبر في كتابه الثالث من ادابياته عن الوحش المسمَّى نيونكورنوس او الاسد المقرن بانهُ بهذا المقدار هو شرسٌ كاسرٌ ومفترس قوي. حتى انهُ لمن المستحيل ان يقدر احد الصيادين ان يقتنصهُ. ولكن التجربة قد علمت الصيادين بالامتحان طريقةً سهلةً لمسك هذا الوحش من دون خطرٍ او تعب. وهي انهم يرسلون اليه شابة بتولاً التي عند ما تراهُ وتصرخ به. فهو حالما يسمع صوتها يدنو منها طائعاً ويسلّم ذاتهُ هادياً بين يديها لان تربطهُ وتسوقهُ معها " فكم وكم من الخطاة الاشد شراسةً من الحيوانات البرية والوحوش الضارية في ارتكاب المآثم يهربون من وجه الله. ولكن عند سماعهم عذوبة صوت هذه البكر الكلية الطهارة يبادرون الى حمايتها ويسلمون ذواتهم بين يديها مرتضين بان الله يربطهم برباطات حبه المقدس *

واما القديس يوحنا فم الذهب فيقول " ان مريم قد أُختيرت والدةً للاله حتى ان اولئك الخطاة المساكين الذين لاجل سيرتهم الردية لا يمكنهم ان يفوزوا بالخلاص بموجب العدل الالهي. فبحسب رافتها وعذوبتها وبقدرة شفاعتها تستمد لهم النعمة التي بها يخلصون " والقديس انسلموس يثبت ذلك بقوله " ان مريم قد أُقيمت مرتفعةً الى رتبة والدة الاله لاجل خير الخطاة اكثر ممّا لاجل خير الابرار. لان فادينا يسوع المسيح قد اعلن واضحاً انهُ انَّما جاء الى العالم لاجل خلاص الخطاة. اذ يقول " اني لم اتِ لادعو الصديقين بل الخطاة الى التوبة " ولهذا الكنيسة المقدسة تقول نحو والدة الاله هاتفةً " انكِ ايتها البتول لا تكرهين الخطاة الذين لولاهم لما كنتِ صرتِ قط اماً لابنٍ هكذا كلي العظمة " ولذلك يخاطب غوليالموس الباريسي هذه الطوباوية قائلاً " انكِ لملتزمةٌ انتِ يا مريم بان تساعدي الخطاة. لانكِ بسببهم قد حصلتِ على الحال الجليلة التي انتِ فيها. وان أُبيح لي قلت انكِ لمديونةٌ انتِ للخطاة بكل ما انتِ حاصلةٌ عليه من المواهب والنعم والعظمة. اي حال كونكِ والدة الاله. لانكِ

بسبب الخطاة قد خُلقتِ من الله منتخبةً. وأُهلتِ منهُ لان تستحقي ان تحصلي على الالهِ ابنًا لكِ" وهنا القديس انسلموس يستنتج مبرهنًا بقوله „فاذاً ان كانت مريم بسبب الخطاة حصلت على حال كونها والدة الاله. فكيف يمكنني ولو كانت خطاياي بهذا المقدار عظيمة ان أُيأس من نوال غفرانها" ✿

فالكنيسة المقدسة في الصلوة المختصة ببارموت عيد انتقال والدة الاله الى السما التي تقال في القداس توضح „ان هذه الام الالهية قد انتقلت من الارض الي السما لكي تتوسط لدى الله بثقةٍ. ولكي تُقبل بطمانينةٍ اكيدة وساطتها ومطلوباتها من اجلنا" ولذلك القديس يوستينوس يسميها „المفوَّضة المطلقة" اي بمنزلة قاضية مختارة. نظير ذاك الشخص الذي الجهتان المتخاصمتان تضعان في يده ان يتامل حقوق كلٍ منهما. وان يحكم عليهما بما يراهُ صواباً وحسبما يشاء" وانَّما يريد هذا القديس ان يعني بذلك انهُ كما ان المسيح هو وسيط الناس لدى الله ابيه. فهكذا مريم هي وسيطتهم امام ابنها. الذي يترك لها كل الحقوق ويسلمها ما يحق لهُ عليهم بحسبما هو ديانهم مفوضًا الامر لارادتها ✿

امَّا القديس اندراوس الاقريطشي فيسمي مريم „ضمينة صلحنا مع الله" وبهذا يريد ان يرشدنا ويعلمنا بان الله الذي برحمته الغير المتناهية يسعى راغبًا رجوع الخطاة اليه بالتوبة. لكي يصالحهم بايهابه اياهم الغفران. فلكي يكونوا على ثقةٍ وطمانينة به تعالى. يقدّم لهم والدتهُ بمنزلة ضمينةٍ. وكعربونٍ لتحقيق المغفرة. ومن ثمَّ يحييها هذا القديس بالسلام قائلاً لها „السلام عليكِ يا ضمينة صلح الله مع البشر" ومن هذا القبيل ياخذ القديس بوناونتورا بالتكلم نحو كلٍ من الخطاة بقوله „فان كنت يا هذا تخاف من ان يكون الله لاجل مآثمك مستعداً لان ينتقم منك. ترى ماذا تصنع. انهُ يلزمك ان تبادر نحو تلك التي هي رجا الخطاة اي نحو مريم. ولكن ان كنت تخاف من انها لا تريد هي ان تاخذ على ذاتها حمايتك واسعافك. فاعلم انها لا تقدر هي ان ترفض التجآءك اليها او قبول المحاماة عنك. لان الله نفسهُ قد رتب عليها هذا الامر واقامها في هذه الوظيفة وهي ان تسعف الخطاة البايسين" ✿

وهنا يقول الانبا ادم « هل يلزمهُ ربما ان يخاف من ان يذهب هالكاً ذاك الخاطيء الذي تقدم لهُ ذاتها ام القاضي عينها لان تكون اماً لهُ وشفيعةً ومحامية عنهُ. او هل انكِ يا مريم الملقبة عدلاً بام الرحمة يمكن ان تكرهي من ان تتضرعي لدى ابنكِ الالهي الذي هو القاضي والديان. من اجل ابنٍ اخر من اولادكِ الذي هو الخاطيء الملتجيء اليكِ. أممكنٌ هو لكِ ان ترفضي ان تعتني في خير نفسٍ مفتداة بدم ابنكِ. او انكِ لا تدخلين من اجلها واسطةً عند الفادي نفسه الذي لاجل ذلك مات على عود الصليب اي ليخلص الخطاة. كلاَّ. انكِ لن ترفضي هذا العمل بل انكِ بحبٍ كلي تقدمين ذاتكِ لان تصلي من اجل كل اولئك الذين يسرعون الى كنف وقايتكِ. عالمةً ان ذاك الاله الازلي الذي اقام ابنهُ الوحيد وسيطاً فيما بينه وبين الانسان. فهو تعالى نفسهُ قد اقامكِ وسيطةً فيما بين القاضي والمذنب » فمن ثم يعطف القديس برنردوس خطابهُ نحو الخاطيء قائلاً انك مهما كنت ايها الاثيم غارقاً في بحر حماة الرذائل. ومتعتقاً في الملكات الردية. فلا تقطع رجاك بل اشكر سيدك الذي لرغبته في ان يستعمل معك الرحمة. فليس فقط اعطاك ابنهُ نفسهُ شفيعاً بك لديه. بل ايضاً لكي يهبك شجاعةً وطمانينةً افضل وعلةً اكيدةً للرجا. فقد دبَّر لك وسيطةً مقتدرة على ان تستمد لك بواسطة صلواتها من اجلك كل ما هي تريده لك. فاذاً قم مسرعاً وامضِ الى مريم مستغيثاً بها وهكذا تعود خالصاً ناجياً » ✿

✿ نموذج ✿

ان روبانسا وبونيفاسيوس يخبراننا بما ياتي ذكرهُ. وهو انهُ قد كانت في مدينة فيورنسا ابنة شابة اسمها بناديكتا اي مباركة. ولكن الافضل هو ان تُسمّى ملعونةً لاجل السيرة الردية الدنسة المشككة القبيحة التي كانت هي حينئذٍ سائرة بها في تلك المدينة. فلاجل حسن حظ هذه الشقية قد جاء وقتئذٍ القديس عبد الاحد ليكرز في المدينة المذكورة. فبناديكتا بمجرد روح البحث والتفرج قد ذهبت يوماً ما لتسمع وعظ هذا القديس. غير ان الرب قد عطف قلبها الى الندامة عند سماعها تلك العظة. حتى انها بعد الكرز

قد تقدمت حالاً الى منبر الاعتراف امام القديس المذكور عينه مقرةً لديه بخطاياها بدموعٍ سخينة. فالقديس اقتبل اعترافها وحلها من مآثمها واضعاً عليها القانون الوفائي بان تصلي المسبحة الوردية. الاّ ان هذه الامراة التعيسة قد رجعت لاجل الملكات السيئة المتاصلة فيها الى خطاياها السابقة. فلما سمع ذلك عنها القديس عبد الاحد ذهب اليها ونبّها واجتهد في انها اعترفت عندهُ مرةً اخرى. ثم ان الباري تعالى لكي يوطدها في طريق التوبة قد كشف لها يوماً ما منظر جهنم. وهناك اراها بعض الهالكين الذين هي كانت علة سقوطهم في الخطايا. وبعد هذا قد فتح امامها سجلاً كانت مدونةً فيه خطاياها كلها. فعند ذلك امتلأت بناديكتا خوفاً ورعدةً من هذا وذاك. وبادرت نحو مريم العذرا مستغيثةً بها لكي تعينها. وحينئذٍ قد شاهدت ان هذه الام الالهية كانت متوسلةً لله من اجلها طالبةً منه عزَّ وجلَّ ان يهبها زمنًا كافياً فيه تبكي على مآثمها وتصنع اعمال التوبة الواجبة. فالرويا قد انتهت على هذه الصورة وبناديكتا شرعت تعيش بسيرةٍ صالحة. ولكن من حيث ان السجلّ الذي كانت رات فيه مدونةً قبائحها لم يعد يزول من فكرها. وكان يسبب لها خوفاً شديداً. فيوماً ما التجأت هي الى شفيعتها الحارّة ومعزيتها الوحيدة مريم قائلةً لها „اي نعم اني لاجل مآثمي الباهظة قد استحقيت ان اكون الان مدفونةً في قعر الجحيم. ولكن من حيث انكِ انتِ يا سيدتي قد استمديتِ لي زمناً لعمل التوبة وهكذا خلصتيني من جهنم. فالان انا التمس منكِ يا كلية الرافة هذه النعمة ايضاً وهي ان خطاياي المدونة في ذاك المصحف الذي رايتهُ. فهذه التي انا لا اكف اصلاً من ان ابكي عليها فلتصر بقوة شفاعاتكِ ممحيةً من السجلّ المذكور" فعند نهاية هذه الصلوة ظهرت لها والدة الاله وقالت لها „انهُ لاجل نوال مطلوبها كان يلزمها ان لا تغفل فيما بعد عن التذكر بخطاياها ولو كانت مُمحيت. والاّ تفتر من التامل في سمو رحمة الله المستعملة نحوها. وايضاً ان تفتكر مراتٍ كثيرة في الالام المقدسة التي تكبدها من اجل خلاصها فادي العالم. وان تتامل في ان كثيرين قد هلكوا في الدركات الجهنمية مع انهم ارتكبوا خطايا اقل جداً من مآثمها. ثم اخبرتها بانهُ في ذاك اليوم عينه قد كان مات طفلٌ ابن

ثماني سنين فقط بعد ارتكابه خطية واحدة مميتة لا غير ولاجلها حُكم عليه بالهلاك الابدي» فبناديكتا اذ انها بكل امانةٍ اطاعت البتول قد ظهر لها بعد ذلك مخلصنا يسوع المسيح مقدماً لها ذاك المصحف المدونة فيه خطاياها وقال لها «هوذا السجلّ. فانظري ان خطاياكِ قد مُحيت منهُ وهو الان ابيض كما تشاهدينهُ. فاكتبي فيه منذ الان فصاعداً افعال الحب والفضائل» وبالحقيقة ان بناديكتا قد عاشت بقية ايامها عيشةً مقدسةً استحقت بها ميتة صالحة وفازت بالخلاص الابدي ✿

✿ صلوة ✿

انهُ اذ كانت اذاً وظيفتكِ يا سيدتي الكلية الحلاوة هي كما يقول غوليالموس الباريسي ان تدخلي وسيطةً فيما بين اللـه وبين الخطاة. فانا اقول لكِ مع القديس توما الفيلانوفي اسرعي نشيطةً في تكميل واجبات وظيفتكِ هذه في شاني انا ايضاً. فلا تقولي لي انه عسر ان اربح دعواي لاني اعرف جيداً (وهكذا الجميع يقررون لي) ان كل الدعاوي التي انتِ حاميتِ عنها لم تخسر منها واحدة قط. ولو مهما وُجد الرجا مقطوعاً منها فهل دعواي وحدها تضيع. كلاَّ. فانا من ذلك لا اخاف. بل اني اخشى من شيء واحد وهو لئلا يدخل عندي الارتياب في انكِ ترتضين بالمحاماة عني. عند تاملي كثرة خطاياي وقبحها. الا انني اذ الاحظ من جهةٍ اولى عظمة رحمتكِ واتساعها. ومن جهةٍ اخرى شدة رغبتكِ القلبية المستوعب منها لبكِ الكلي الاشفاق في ان تعيني الخطاة الاكثر احتياجاً. فلذلك انا لا اخاف ولا من هذا الحادث ايضاً. لانهُ ترى مَن هو ذاك الذي مضى خائباً وانتهى هالكاً بعد ان كان التجأ اليكِ. فاذاً انا ادعوكِ لاغاثتي واسعافي يا شفيعتي العظيمة وملجأي وسندي ورجائي وامي. واستودع في يدكِ دعوى خلاصي الابدي مسلماً اياكِ نفسي بجملتها. فهذه النفس هي هالكة ولكن يخصكِ انتِ ان تخلصيها. الا ان نوعاً واحداً من الخوف بقي يحزنني يا ملكتي العزيزة وهو من ان يعتريني ربما هذا الشقا بان اتغافل يوماً واحداً عن ان اجدد ثقة رجائي فيكِ. ومن ثمَّ اتوسل اليكِ يا مريم شفيعتي بحق الحب الشديد الذي انتِ

لمحبين جهِ ابنكِ يسوع المسيح . ان تحفظي بي رجائي في شفاعتكِ وانت يزداد ثقة وطمانينة يوماً فيوماً. لانني ارجو بوساطتكِ ان اكتسب الصلح مع الله وادوم في هذه النعمة العظمى وهي صداقته تعالى التي فيها مضى قد احتقرتها وخسرتها بحماقتي . واذ انني اومل ان اكون نلتها من جديد بواسطتكِ. فارجو ايضاً ان احفظها في المستقبل دائمةً. واذا ما فزت بنعمة حفظها فاستطيع اخيراً ان آتي يوماً ما الى السما . حيث اقدم لكِ الشكر من اجلها . وهناك اسبح رحمة الله ورحمتكِ الى الابد . هكذا اومل وكذلك فليكن لي ٭

الفصل السابع

٭ فيما يلاحظ هذه الكلمات وهي ٭

٭ فانعطفي بنظركِ الراوف نحونا ٭

٭ وفيه يُبرهن بان مريم البتول هي بجملتها نظرٌ للتوجع من اجلنا ٭
٭ نحن الاشقيا لكي تعيننا ٭

فالقديس ابيفانيوس يسمي مريم „ذات الاعين الكثيرة” وذلك لاجل اهتمامها الكلي في ملاحظتنا واعانتنا ما دمنا في هذه الارض . فيوماً ما ان كان احد المقسمين يقسّم على احد المعترين من الشيطان فسال المُقسم هذا الروح النجس ان يخبرهُ ماذا كانت تصنع مريم العذرا . فاجابهُ العدو الجهنمي „ انها تنزل وتصعد ” مريداً ان يشير بذلك الى ان هذه السيدة الحنونة لم يكن لها اهتمامٌ اخر سوى في ان تنزل الى الارض . جالبةً للبشر النعم التي تكون استمدتها لهم من الله . ثم تصعد الى السما لكي تكتسب الرضوان الالهي نحو تضرعاتهم . فاذاً بالصواب يسمي هذه البتول المجيدة

القديس اندراوس افاليناوس « خدّامة السماء او عمّالة الفردوس » لانها على الدوام توجه مباشرة اعمال الرحمة باستعدادها النعم للجميع ابرارًا كانوا ام اشرارًا. فداود النبي يقول « عينا للرب على الصديقين واذناه الى طلبتهم » (مزمور ٣٣ ع ١٦) امّا ريكاردوس الذي من سان لورانسوس فيقول « ان عيني هذه السيدة هما مفتوحتان على الصديقين وعلى الخطاة بنوعٍ متساوٍ. لان عينيها هما عينا امٍ. والحال ان الوالدة تحدق بنظرها الى طفلها ملاحظة اياه بعنايةٍ ليس فقط لئلا يسقط بل ايضاً اذا سقط لتساعده وتقيمه من سقطته » *

وهذا الامر قد اوضحه مخلصنا يسوع المسيح نفسه بما اوحاه لامته القديسة بريجيتا التي يوماً ما سمعته تعالى يخاطب والدته المجيدة قائلاً لها « اطلبي مني يا امي كل ما تشتهينه » (الامر الذي على الدوام يصنعه عز وجل مسرورًا في ان يرضي قلب هذه الام المحبوبة منه في الغاية بتكميله كل ما هي تطلبه) ولكن ترى ما الذي التمسته مريم من ابنها الالهي بعد سؤاله اياها كما تقدم القول. فالقديسة بريجيتا نفسها سمعت مريم تطلب منه تعالى هذا الشيء بقولها له « يا ابني انك انت قد اقمتني بصفة ام الرحمة وبوظيفة شفيعة عن البائسين وملجأ للخطاة. والان تقول لي ماذا اشتهي منك. فانا اطلب اليك ان تصنع الرحمة مع المحتاجين » فمن ثم يقول القديس بوناونتورا مخاطباً والدة الاله هكذا « انك يا مريم انت بهذا المقدار ممتلئةٌ من الرحمة. وحريصةٌ على ان تسعفي للساكين. حتى انه يبان كأنه ليس لكِ اهتمامٌ لآخر سوى ان تكرمي على المساكين وترحمي البائسين وتشاهدي الاشقيا مكللين بالرحمة » ومن حيث انه فيما بين جميع المساكين الفقرا توجد الخطاة في اول رتبةٍ من الشقاوة والتعاسة فمريم (كقول بيدا المكرم في تفسيره الاصحاح الاول من بشارة القديس لوقا) تستمر على الدوام متوسلةً لدى ابنها من اجلهم » *

بل ان هذه السيدة منذ كانت عائشةً على الارض حسبما كتب القديس ايرونيموس (في رسالته الى البتول اوستوكيوس) قد كان قلبها كلي الانعطاف والحب نحو البشر بنوع ان توجعها وغمها من اجل مصيبة الغير

لم يكن يشعر بهما صاحب المصيبة عينهُ نظيرها" وقد اظهرت حقايق ذلك واضحاً في حادث عرس قانا الجليل (كما اشرنا عن هذا الامر في الفصول السابقة) „حيث انهُ اذ نقص الخمر عن ارباب الوليمة . فلاشفاقها عليهم من دون ان يلتمس احدٌ منها اسعافاً قد باشرت وظيفة معزية مملوة من الحنو في قضا احتياجهم . كما يورد القديس برنرديغوس السياني . وبمجرد توجعها للعريس والعروسة قد استمدت من ابنها الالهي فعل تلك الاية التي بها احال المياه الى خمرٍ جيّد" *

ثم ان القديس بطرس داميانوس يخاطب هذه البتول المجيدة هكذا قائلاً „فهل انكِ لاجل كونكِ ارتقيتِ الى مرتبة ملكة السماوات قد نسيتينا نحن الاذلا المساكين . كلاّ . لا يكن هذا الفكر في عقل احدٍ اصلاً . لانهُ امرٌ غير لايق هو ان قلباً هذه صفة رافتهِ وحنوهِ كما هو قلب مريم الكلية الرحمة . ينسي شقا حال اناسٍ مملوين من الفقر والمسكنة نظيرنا . ومن ثمَّ ليس لهُ مدخل عند هذه السيدة المثل الدارج وهو „ان المقامات تغيّر الصفات" لان هذا المثل هو جارٍ بالعمل فيما بين اهل العالم الذين اذا ارتقي احدهم الى مقامٍ ما شريف . فيمتلىء تغطرساً وكبرياء وينسي بالكلية اصدقاءهُ الاولين الفقرا . واما مريم فبخلاف ذلك انها تبتهج لحال كونها ارتقت الى مرتبةٍ تستطيع بها بابلغ نوعٍ وباكثر سخاء وباشد استطاعةٍ ان تسعف المحتاجين . الامر الذي اذ كان يتاملهُ القديس بوناونتورا . قد خصّص هذه البتول المجيدة بالكلمات التي قالها بوعز لراعوث وهي „بارك الرب عليكِ يا ابنتي لانكِ قد احسنتِ صنيعكِ في الاخير اكثر من الاول" (راعوث ص ٣ ع ١٠) مريداً ان يبيّن بهذا الامر ما شرحهُ هو نفسهُ فيما بعد . اي انهُ من حيث ان قلب مريم وهي عائشةٌ في العالم قد كان بهذا المقدار مملواً من الرافة نحو المحتاجين . فهو الان اعظم من ذلك اشفاقاً في حال كونها سلطانة السماء . ثم ان القديس يورد البرهان عن ذلك بقوله „ان هذه الام الالهية تظهر الان حقايق رحمتها الفضلى متعاظمةً بكثرة النعم الفايقة الاحصا التي تستمدها لنا . لانها الان تعرف افضل معرفة حال شقائنا وشدة احتياجنا . وكما ان اشعة الشمس تسمو متفاضلةً على اشعة القمر . فهكذا رحمة مريم

الان اذ هي في السما تسمو متفاضلةً على رحمتها التي كانت لها نحونا قبلاً في مدة حياتها على الارض. فمَن هو الذي يجيءُ في العالم ولا يتمتع باشراق نور الشمس. ومثله' من هو الذي لا يلمع فوق راسهِ ضيا رحمة مريم" *

فلاجل ذلك قيل عن هذه السعيدة „ انها منتخبةٌ كالشمس" (نشيد ص ٦ ع ٩) لانهُ لا يوجد احدٌ في العالم مستثنى من حرارة هذه الشمس. كما يقول عنها القديس بوناونتورا „ انهُ ليس احدٌ يختفي من سخونتها" وهذا عينهُ اوحت بهِ القديسة انيسا من السما للقديسة بريجيتا قائلةً لها „ ان سلطانتنا التي هي الان متحدةٌ بابنها في السما. لا يمكنها ان تنسى صلاحها الخاص بها. ومن ثمّ تستعمل هي الخير مع كل احدٍ حتى مع الخطاة الاكثر شرًّا والاشد نفاقًا بنوع ابدي. كما ان الشمس تنير الاجرام السماوية والارضية معًا. فهكذا لا يوجد احد في العالم لا يشترك بعذوبة قلب مريم متمتعاً بواسطتها بالرحمة الالهية" (ان كان هو يلتمس ذلك) ففي بلاد فالانصا قد كان موجوداً انسانٌ ما خاطىء جداً الذي ليأسه من الخلاص ولزعمه ان يهرب من حكومة العدل المتوجب عليه قد اعتمد على ان يتبع مذهب الهاجريين. ففي ذهابه نحو الميناء ليسافر بحراً اجتاز من امام كنيسةٍ كان يعظ فيها الاب ايرونيموس لويس اليسوعي في شان الرحمة الالهية. فالرجل الموما اليه اذ استمع تلك العظة قد رجع الى الله بالتوبة. واعترف بخطاياه' عند الاب ايرونيموس المذكور. فهذا الاب لانذهاله من حال التغيير العجيب الذي حصل عليه ذاك الخاطىء التائب. قد سالهُ مستفهماً ان كان هو معتاداً على افعال عبادةٍ ما مقبولة لدى الله. ومن اجلها قد وهبه' تعالى تلك النعمة الخصوصية الفعالة رحمةً مجانية. فاجابهُ الرجل بانهُ لم يكن يصنع شيئًا اخر سوى انهُ يومياً كان يلتجىء الى مريم العذرا طالباً منها ان لا تهملهُ. ثم ان هذا الاب الواعظ عينهُ قد وجد هناك في المستشفى رجلاً كان لهُ خمس وخمسون سنةً ما اعترف بخطاياهُ قط. ولم يكن يمارس شيئًا اخر من افعال الديانة والعبادة سوى انهُ كل مرةٍ كان يشاهد ايقونةً ما لوالدة الاله. فكان يلتمس منها الاَّ تدعهُ ان يموت في حال الخطية المميتة. وهو ذاتهُ اخبر باعترافه. بانهُ مرةً ما اذ

وجد هو مع عدو كان له يتضاربان بالسيوف . ففي المعركة قد تقوى عليه عدوه واخذ منه سيفه وبالتالي حصل لا محالة في خطر القتل من عدوه . فحينئذٍ هتف هو نحو والدة الاله قائلاً « اواه اني الان لقا عدمت مقتولاً وهكذا امضي هالكاً . فيا ام الخطاة عينيني » فعندما قال هذا قد راى ذاته من دون ان يعلم الكيفية قد أُخذ من المكان الذي كان هو فيه الى محلٍ بعيدٍ امين الغائلة من عدوه . وبعد هذا لعترف اعترافاً عاماً ومات مقتبلاً الاسرار المقدسة * اما القديس برنردوس فيقول « ان مريم قد اقامت ذاتها كلاً للكل في كل شيءٍ . وتفتح باب رحمتها لكل احدٍ لكي يدخل الجميع في هذا الباب وكلٌّ يجد ما يلايمه . فالاسير يصادف انقاذه من الاسر . والسقيم الشفاء . والمحزون التعزية والخاطىء الغفران . والله المجد . وهكذا اذ ان مريم هي الشمس فلا يوجد من يختفي من سخونتها » لانه من تراه يكون على الارض . يهتف القديس بوناونتورا . « ولا يحب هذه الملكة الكلية الحب . فهي ابهى من الشمس جمالاً . واطيب من الشهد حلاوةً . وهي كنزٌ من الصلاح . وموضوعٌ لحب الجميع . والكل يشعرون بعذوبة معاملتها . فانا احييكِ بالسلام يا سيدتي وامي بل قلبي الخاص ونفسي . فسامحيني يا مريم انه كنت اقول لكِ اني احبكِ . لاني ان كنت انا لست اهلاً لان احبكِ فانتِ لن تزالي اهلاً لان تحبي مني » *

ثم انه يورد في الراس ٥٣ من الكتاب ٤ من سيرة حيوة القديسة جالترودة ما اوحي بهِ لهذه القديسة بانه حينما تقال من المومنين هذه الكلمات نحو والدة الاله وهي « فاصغي اذاً الينا يا شفيعتنا وانعطفي بنظركِ الراوف نحونا » فلا تقدر هذه السيدة ان لا تنعطف لاجابة من يتوسل اليها بهذه الصلوة « فاي نعم ان عظمة رحمتكِ قد املأت الارض كلها (يقول القديس برنردوس) ايتها السيدة » ولهذا كتب القديس بوناونتورا قائلاً « ان هذي الام الشديدة الحب هي متعطشة باشواقٍ قلبية لان تصنع الخير مع الجميع . حتى انه يقال عنها بالصواب انها تهان ليس فقط من اولئك الذين يفترون عليها بالفاظٍ نفاقية (كما يفعل البعض الذين هم ذوو نفوسٍ سيئة لا سيما المتملكة فيهم رذيلة اللعب تحت مكسب وخسارة .

ومرات كثيرة من شدة يأسهم يجدفون على هذه السيدة المجيدة) بل ايضاً تهان من اولئك الذين لا يتوسلون اليها طالبين منها نعمةً ما - ولهذا يخاطبها القديس ايدابارتوس قائلاً « انكِ انتِ تعلّمينا ايتها السيدة ان نرجو منكِ انعاماً تفوق استحقاقاتنا . لانكِ لا تكتفين على الدوام من ان توزعي علينا نعماً كثيرة جداً جداً مما يمكن نحن ان نستاهلهُ » *

فالنبي اشعيا قد سبق متنبياً بانهُ بواسطة السر العظيم المتضمن افتداء الجنس البشري كان يلزم ان يتهيىء لنا نحن الاشقيا المحاربين كرسي للرحمة بقوله « وينصب الكرسي بالرحمة ويجلس عليه بالامانة في مسكن داود حاكماً وطالباً الحق ويجازي سريعاً ما هو في العدل » (اشعيا ص ١٦ ع ٥) فما هو هذا الكرسي - فيجيب القديس بونافنتورا قائلاً « ان هذا الكرسي هو مريم التي فيها يجد الجميع ابراراً كانوا ام اشراراً الرحمة والشجاعة - لانهُ كما ان السيد هو كلي الرحمة . فهكذا السيدة هي كلية الرافة والحنو . ومثل الابن هي امهُ سيدتنا لا ينكران رحمتهما على احدٍ من الملتجئين اليهما » ومن ثم يقول الانبا غواريكوس مصوراً يسوع يخاطب والدتهُ هكذا انني اضع فيكِ يا امي كرسي مملكتي في الوقت الذي فيهِ بواسطتكِ انا اصنع الرحمة واهب النعم التي تُطلَب مني . فانتِ قد اعطيتيني الكون الانساني من دمائك - وانا اعطيكِ الكون الالهي - اي الاقتدار على كل شيء - الامر الذي بواسطته تستطيعين ان تسعفي مخلصةً كل مَن تريدين ان يخلص » *

فيوماً ما حينما كانت القديسة جالترودة تتلو هذه الكلمات وهي « فانعطفي بنظركِ الرؤوف نحونا » قد شاهدت مريم البتول الكلية القداسة حاملة على ذراعيها طفلها الالهي . حيث اومت بيدها للقديسة الى عيني ابنها يسوع قائلةً لها « ان هاتين هما العينان المملوتان رحمةً ورافةً اللتان انا اقدر ان اعطفهما لخلاص كل اولئك الذين يستغيثون بي » ثم مرةً ما كان احد الخطاة ماثلاً امام ايقونة والدة الاله في احد الامكنة ومتوسلاً اليها بدموعٍ حارة بان تستمد لهُ من الله غفران خطاياهُ - فشاهد هذه الام الحنونة التفتت نحو ابنها الكائن في حضنها قائلةً لهُ « يا ابني هل ان دموع هذا الخاطىء تمضي خائبةً » وحينئذٍ سمع الخاطىء جواب يسوع لامهُ بقوله « قد غفرتُ لهُ » *

فكيف يمكن ان يخيب ضائعاً مَن يلتجيء الى هذه الأم الصالحة. بعد أن ابنها الاله بالذات قد وعد بان يصنع حباً بها الرحمة بقدر ما تريد. هي مع كل اولئك الذين يبادرون اليها طالبين الاسعاف. فهذا الامر قد اوحى بهِ الرب للقديسة بريجيتا اذ جعلها ان تسمع هذه الكلمات المقولة منهُ لامه مريم هكذا „ انني اهبكِ يا امي العزيزة من سلطان قدرتي على كل شيء ان تغفري الخطايا لجميع الاثمة الذين بحُسن عبادةٍ يلتجئون اليكِ مستغيثين برحمتكِ. وذلك باي نوعٍ انتِ تريدين ويرضيكِ " ومن ثمَّ اذ كان يتامل الانبا ادم بارسانيوس في عظم الرافة التي لهذه الام الالهية نحونا. هتف نحوها قائلاً „ يا ام الرحمة ان عظمة اقتداركِ هي موازية لعظمة رحمتكِ. لانكِ بمقدار ما انتِ مستطيعةٌ على ان تستمدي الغفران. فبمقدار ذلك انتِ رحومةٌ في ان تهبيه. لانكِ اي متى يمكن ان لا تتوجعي مشفقةً على الاشقيا المساكين انتِ التي هي ام الرحمة. واي متى يمكن الا تقدري ان تعينيهم انتِ التي هي ام الاله القادر على كل شيء. كلَّا. بل انكِ انتِ بالسهولة عينها التي بها تدركين جيدًا وتعرفين حسنًا حال شقاوتنا نحن البائسين. فبها نفسها انتِ تنالين لنا من الله كل ما تريدين " ✿

وهنا يهتف الانبا روبارتوس نحو هذه السيدة قائلاً „ تمتعي اذاً ايتها الملكة العظيمة بمجد ابنكِ في العلا واشبعي من هذا المجد. وارتضي بان ترسلي الينا نحن عبيدكِ واولادكِ المساكين الكائنين ههنا الفضلات التي تزيد عنكِ. متنازلةً لهذا الصنيع ليس كأنَّهُ لنا بهِ استحقاقٌ ما نحن الاثمة. بل رحمةً منكِ واشفاقًا علينا لنشترك بهذه الفضلات " ✿

ثم اذا اتفق لنا ان كثرة خطايانا تسوقنا الى ضعف الرجا بالغفران. فليقل كلٌ منا نحو هذه السيدة مع غوليالموس الباريسي هكذا „ لا توردي ايتها الملكة المجيدة خطاياي ضدي. لاني انا اورد رافتكِ ضد هذه الخطايا. ولا يكن اصلاً ان يقال ان ماثمي تستطيع ان تقاوم في المحاكمة رحمتكِ التي هي اقوى منها اقتداراً بما لا يُحدّ على ان تكتسب لي الغفران. اكثر ممَّا تقدر خطاياي على ان توجب عليَّ الهلاك " ✿

* نموذج *

انهُ يوجد مُدوَّناً في الراس الحادي عشر من القسم الاول من تاريخ الرهبنة الكبوشية انهُ كان في مدينة البندقيه رجل* وظيفته محاماة الدعاوي في المحاكم شهير الاسم جداً. الَّا انهُ بكثرة الغشوش والاختلاسات الخفية ضد العدل قد صارَ ذا مالٍ كثير. وبالتالي كان يعيش باطلاق العنان لشهوته بسيرةٍ رديةٍ في الغاية. وربما لم يعد باقياً فيه من افعال الديانة سوى انهُ كان معتاداً على ان يتلو يومياً صلوةً ما خصوصيةً تكريماً لوالدة الاله. ومع ذلك قد وُجدت هذه العبادة الضعيفة فيه كافيةً لان تنقذهُ برحمة هذي الام الصالحة من الموت الابدي. وتمَّ ذلك على النوع الاتي ايرادهُ. وهو ان الرجل الومى اليه لحسن حظه قد اكتسب معرفةً وصداقةً مع الاب الكبوشي متى باسوس ومن ثمَّ قد توسل بلجاجة الى هذا الاب في ان ياتي اليه يوماً ما يتغدى معهُ في بيته. فالاب المذكور قد ارتضى اخيراً اجابةً لتوسلاته المتكررة. وذهب عند الرجل الذي حالما راهُ في بيته قال لهُ "انني قبل كل شيء اريد ان اريك ايها الاب موضوعاً ربما قط لم تشاهدهُ في حياتك. وهو انهُ يوجد عندي سعدانٌ يخدمني في البيت بنوع افضل من انسانٍ فهيمٍ. لانهُ يغسل لي الكوس على المائدة وينقل الصحون للاكل ويفتح لي الباب ويغلقهُ" فاجابهُ الاب متى بقوله "تامل يا اخي في انهُ ربما لا يكون هذا السعدان حيواناً محضاً بل شيئًا اخر مزاداً عليه. فكيفما كان الامر احضرهُ الى ههنا" فبدأ الرجل يستدعي السعدان مثل عادته وباسمه. فلم ياتِ. ففتشوا عليه في كل مكانٍ من الدار الى ان وجدوهُ اخيراً مختفياً تحت السرير في مكانٍ ارضيٍ من اسفل البيت. الَّا انهم ما كانوا يقدرون ان يخرجوه من تحت السرير. فاخيراً قام الاب متى من محله ومضى مع الرجل الى حيثما كان السعدان مختفياً. وعند وصوله اليه قال لهُ بمحضر الجميع "اني امرك ايها الوحش الجهنمي بان تخرج خارجاً. واحتم عليك من قبل الله بان تخبرنا عن ذاتك مَن انت" فالسعدان اجابهُ بانهُ هو الشيطان وبانهُ انَّما كان مقيماً في ذاك البيت منتظراً الرجل محامي الدعاوي العائش بالخطية. حتى انهُ متى اهمل في يومٍ ما تلاوة تلك الصلوة التي بها كان هو

يكرّم والدة الاله. فحالاً بموجب الاذن الذي وُهب له من اللهِ يثب عليه فيخنقهُ وياخذ نفسهُ الى جهنم. فلما سمع الرجل هذا الكلام امتلأ خوفاً وانطرح على قدمي الاب متي طالباً الاغاثة. فهذا الاب البار قد شجّعهُ ثم التفت نحو الشيطان قائلاً له "اني امرك بسلطان الرب بان تخرج من هذا البيت من دون ان تصنع ضرراً ما بالكلية. ولكنني اسمح لك بان تثقب احد حيطان الدار علامةً لتاكيد خروجك وابتعادك من هنا" فحالاً قال هذا واذا بالشيطان قد فتح في الحائط نافذةً كبيرة بزلزلة مهولة وخرج. وقد شاء الله ان يبقى ذكر هذا الحادث زمناً مديداً. وذلك لانهُ كل مرةٍ كانوا يريدون ان يسدّوا تلك النافذة بموادٍ ما فكانت تستمر مفتوحةً الى ان وضعوا اخيراً بمشورة الاب متى عينه رخامةً منقوشة عليها صورة ملاكٍ. امّا الرجل محامي الدعاوي فقد رجع الى الله تائباً ونومل انهُ يكون استمر ثابتاً على التوبة الى الموت ✵

✵ صلوة ✵

ايتها البتول الثلثة القداسة. الخليقة الاعظم والاسمى من المخلوقات كلها. فانا التعيس العاصي على الهي احييكِ بالسلام من هذه الارض. معترفاً باني لا استحق نعمةً ما بل عقاباتٍ صارمة. ولا استاهل رحمةً ما بل دينونةً مقسطة. الّا انني لا اقول ذلك كانّي ضعيف الرجا في رافتكِ. لاني اعلم انكِ تفتخرين بان تكوني اشد تعطفاً واكثر رحمةً بمقدار ما انتِ اعظم سموّاً بالرتبة والمقام. واعرف انكِ تسرّين بحال كونكِ بهذا المقدار غنيةً لكي توزعي من غناكِ جزءًا علينا نحن المساكين. وافهم انهُ بقدر ما يكون اولئك الذين يلتجئون اليكِ اكثر فقرًا واوفر شقاوةً. فانتِ بابلغ من ذلك تحامين عنهم وتسعفينهم وتخلصينهم. فيا امي انتِ التي يوماً ما قد بكيتِ متوجعةً على موت ابنكِ من اجلي. اتوسل اليكِ بان تقدمي لدى الله تلك الدموع عينها. وان تستمدي لي لاجلها منهُ تعالى توجعاً حقيقياً على خطاياي. ففي حين موت ابنكِ قد سببت لكِ خطايا البشر من الحزن اشدهُ. ومن جملتهم قد اغمتكِ خطاياي انا ايضاً الكثيرة. فاستمدي لي اذاً يا مريم اني قلما يكون من الآن خاصتنا لا

اعود احزن قلبك. ولا اغيظ الهي بخطايا جديدةٍ وبنكران المعروف وعدم مراعاة الجميل . لانهُ ترى ماذا يفيدني بكاك من اجلي ان كنت استمر عائشاً عديم المعروف . وماذا تنفعني رحمتك ان كنت أُوجد من جديد خائناً وهكذا امضي هالكاً. فلا تسمحي بذلك ياملكتي. فانت قد عوضتِ لله عن نقائصي كلها . وتقدرين ان تنالي من الله كل شيء تريدين. وتستجيبين كل من يدعو اليك متضرعاً. ولهذا انا التمس منك هاتين النعمتين وارجو نوالهما منك بدون ريب او نقصان. وأريدهما من غير امهال. فاحداهما هي انك تستمدين لي من الله ان اكون اميناً في حقه تعالى بنوع ان لا اغيظهُ فيما بعد اصلاً. وثانيتهما هي ان احبهُ عز وجلَّ في سائر ايام حياتي الباقية بمقدار ما اغظتهُ فيما مضى *

الفصل الثامن

* في شان ما يلاحظ هذه الكلمات وهي *
* فارينا بعد هذا المنفى يسوع ثمرة بطنك المباركة *

* وفيه ثلثة اجزا *

الجزء الاول

* في ان مريم البتول تنجي المتعبدين لها من جهنم *

انهُ لمن المستحيل ان يمضي هالكاً في الجحيم من كان متعبداً لمريم بامانةٍ ويكرمها ويلتجيء اليها * فربما ان هذه القضية تظهر للبعض في بدء ملاحظتهم اياها انها متفاوتة الحدود. غير اني اتوسل الى مَن يقول ذلك عنها بالّا يحكم عليها بالشجب قبل ان يقرا ما انا مزمعٌ ان ابرهنهُ بالمحاماة عنها. فاقول ان « مَن كان للعذرا عبداً لن يدركهُ الهلاك ابداً » لا ينبغي

ان يُفهم بهِ عن اولئك الذين يطمعون باستنادهم على تعبدهم لمريم لكي يستهونوا بفعل الخطايا باقل خوفٍ. ولذلك يوجد البعض الذين ظلماً وعدواناً يتلومون على نوعٍ ما ضد تعظيم شان رحمة مريم نحو الخطاة قائلين „ ان هولا الاثمة عند سماعهم ذلك يستخدمونهُ بئس الاستخدام لكي يتزايدوا في افتعال الخطايا" على انهُ لا شكَّ في ان عبّاداً جهلة هذه صفتهم يستحقون لاجل طمعهم الجسور بالنوع المذكور عقاباً لا رحمةً. فاذاً انّما يُفهَم بالمتعبدين لمريم اولئك الذين يرغبون برغبةٍ حقيقية في ان يصلحوا ذواتهم ويغيّروا سيرتهم. وان يكرموها بحسن العبادة والامانة ويلتجئوا اليها مستغيثين بها. فعن هولا اقول انهُ لمن المستحيل ادبياً ان يدركهم الهلاك الابدي. فانا اجد ان هذه القضية هي مقولةٌ من الاب كراسات ايضاً. وقبل هذا الاب هي مقولةٌ من المعلم فاغا في الكتاب المسمى اللاهوت المريمي. ومن العلّامة ماتدونسا ثم من لاهوتيين اخرين غيرهم. ولكي يُعرَف جيداً ان هولاء العلما لم يوردوا هذه القضية بطريق العرض فلننظرنَّ ما الذي قالهُ في هذا الشان القديسون والمعلمون في بيعة الله. الّا انّي ارغب من القارئ ان لا يستغرب ايرادي ان كنت استشهد اراء كتبةٍ مختلفين يقولون شيئًا واحداً هو هو نفسهُ. لاني قصدت بذلك ان ادوّن ههنا اقوالهم كلها لكي ابيّن. كيف ان الكتبة الكنائسيين قد اتفقوا برأيٍ واحدٍ عند ايرادهم هذه القضية في مصنفاتٍ مختلفةٍ ☆

فيقول القديس انسلموس „ كما انهُ مَن ليس هو حسن التعبد لمريم. ولا محامي هي عنهُ لا يمكن لهُ ان يفوز بالخلاص. فهكذا لمن المستحيل ان يهلك مَن يلتجئ الى هذه البتول القديسة وهي تقتبلهُ في حمايتها بحبٍ" وهذا القول يوردهُ القديس انطونينوس بكلماتٍ تماثلهُ قائلاً „ كما انهُ من المستحيل هو ان يفوز بالخلاص مَن تغرب مريم عنهُ عيني رحمتها معرضةً عنهُ. فبالضرورة ينتج ان اولئك الذين مريم تلاحظهم بعين رافتها. ومحامي هي عنهم يحصلون علي الخلاص ويتمتعون بالمجد" فاذاً هذا القديس يضيف الى القول السابق ذكرهُ ان المتعبدين لمريم بالضرورة يتخلصون ☆

فليعتبرنَّ جيداً الجزء الاول من القضية الموردة من القديسين المقدم ذكرهما اولئك الذين لا يكترثون بعبادة مريم. او انهم بعد ابتدائهم بالعبادة

لها يهملونها كسلاً وتهاوناً . وليرهبوا مرتعدين من هذا الوعيد المخوف وهو انهُ غير ممكن ان يفوز بالخلاص اولئك الذين لا تحامي عنهم مريم الام الالهية . وهذا يورده اخرون ايضاً نظير الطوباوي البرتوس الكبير القائل „ان كل الذين ليسوا عبيداً لك يا مريم يهلكون جميعاً" والقديس بوناونتورا يقول „ان مَن يهمل تعبدهُ لمريم البتول فيموت في خطيته" وقال هو نفسهُ في مكان اخر „ان مَن لا يلتجيء اليك ايتها السيدة فلا يبلغ الى الفردوس السماوي" بل ان هذا القديس الجليل قد اتصل الى ان يقول „ انهُ ليس فقط لا يخلص اولئك الذين تغرب مريم عنهم نظرها معرضةً لكن ايضاً لا يوجد رجاء لخلاصهم" وقبل هولا القديسين قد كان اورد هذه القضية القديس اغناطيوس الرسولي الشهيد بتعليمه „في انهُ لا يمكن خلاص احد من الخطاة الا بواسطة مريم البتول المثلثة القداسة . التي بضد ذلك هي تخلّص بواسطة شفاعاتها ذات الرافة كثيرين من اولئك الذين بموجب العدل الالهي كان يلزم ان يهلكوا" فقد يوجد البعض الذين يصدقون بصعوبة ان هذه الكلمات هي حقاً للقديس اغناطيوس المذكور . اما الاب كراسات فقلما يكون يبرهن في ان القديس يوحنا فم الذهب استعمل هو ذاتهُ هذا القول . ويوجد ذلك مكرراً من الانبا جالانسه ايضاً . ثم بهذا المعنى تخصص الكنيسة المقدسة بمريم تلك الكلمات المدوَّنة في سفر الامثال (ص ٨ ع ٣٦) وهي „ان جميع الذين يمقتوني يحبون الموت" اي الذين يمقتوني ولا يحبوني فيجتلبون لذواتهم الموت ويحبونهُ . لان ريكاردوس الذي من سان لورانسوس في تفسيره كلمات سفر الامثال (ص ٣١ ع ١٤) وهي „فصارت كمركب تاجر" يقول „ان كل اولئك الذين هم خارج المركب المذكور يغرقون في بحر هذا العالم" حتى ان ايكولامباديوس الاراتيكي نفسهُ كان يعتبر علامةً اكيدةً للرذل الابدي قلة العبادة الموجودة في البعض لمريم والدة الاله اذ انهُ يقول هكذا „انهُ لا يقالنَّ اصلاً عني اني مضادّ لمريم التي اعتبر ان مَن يضادّها يكون حاصلاً على علامةٍ اكيدةٍ في عقله بانهُ هو من المرذولين" وبضد ذلك تقول مريم „من اطاعني لا يخزى" (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٣٠) ومَن يلتجيء اليَّ ويستمع ما اقولهُ لهُ لن يمضي هالكاً" ولهذا يقول نحوها القديس بوناونتورا „ان الذي يهتم في ان يكرمك ايتها السيدة فيكون بعيداً من ان يدركهُ

الهلاك" ويقول القديس ايلاريوس "ان هذا عينه يصح وأن كان مكرم العذرا قد اغاظ الله كثيرا فيما مضى" *

فمن ثمَّ يبذل الشيطان كل مجهوده مع الخطاة لكي يصيّرهم بعد ان اضاعوا نعمة الله بالاثم ان يفقدوا عبادتهم لمريم ايضاً * فامنا سارة حينما رات اسماعيل ابن هاجر المصرية يلعب مع اسحاق ابنها فخوفاً من ان الاول يعلّم الثاني عوائد ردية. قالت لرجلها ابراهيم ابينا "اخرج هذه الآمة وابنها" (تكوين ص ٢١ ع ١٠) وانّما لم تكتفِ سارة باخراج اسماعيل وحده من بيتها. بل ارادت اخراج امهِ ايضاً معهُ. لافتكارها ان اسمعيل لو كان يخرج هو وحده خارجاً وتبقى امه في البيت فمن المعلوم انهُ لكان يتردد هو الى هناك ليشاهد امهُ. وهكذا لا يزول سبب العثرة فيما بينه وبين ابنها اسحاق. فمثل ذلك الشيطان لا يكتفي بان يشاهد النفس تطرد عنها يسوع بفعل الخطية بل يريد منها ان تطرد امهُ مريم ايضاً بترك العبادة لها. لانه يخاف من ان الام بواسطة شفاعتها ترجّع الابن معها الى تلك النفس وخوفهُ هذا هو في محله. لان الاب العلّامة باجيوكالي يقول "ان مَن هو امين بمواظبته على تكريم والدة الاله فمن دون ابطآء يقتبل عندهُ هذا الاله راجعاً اليه بواسطة امه مريم" ولذلك بكل حق يسمي القديس افرام السرياني التعبد لمريم "صك العتق ومصحف الحرية" اي انهُ بواسطتها لا يعود المتعبد لها ماسوراً بعدُ من الجحيم ولا يمضي اليه هالكاً. كما انهُ اي القديس افرام نفسهُ يسمي مريم "المحامية عن الهالكين" وانهُ صادق ومحقق ايضاً ما يقولهُ القديس برنردوس وهو "ان مريم لا يمكن ان ينقصها الاقتدار او الارادة عن ان تخلصنا. اما الاقتدار فلانه من المستحيل على الإطلاق ان تضرعاتها لدى الله لا تفوز بالقبول التام. حسبما يقول القديس انطونينوس "انهُ لمن المستحيل مطلقاً ان طلبات والدة الاله تمضي خائبةً من القبول" وقال القديس برنردوس عينهُ "ان طلبات هذه الام الالهية لا يمكن اصلاً ان لا تستجاب او ان تذهب سدًى بل انها تستمد كل ما تشا" واما الارادة فلانها امنا وتشتهي تخليصنا اوفر اشتهاء منا نحن لانفسنا. فان كان ذلك كذلك اذاً كيف هو ممكنٌ حدوث هذا الامر وهو ان انساناً ما اميناً في عبادته لمريم يمضي هالكاً. لانهُ ان كان هذا الانسان خاطئاً ولكنهُ ذو

ارادةٍ على اصلاح سيرته بالتوبة . وذو ثباتٍ على الالتجاء الى هذه الام الصالحة. فيخصها ان تستمد له النور الذي به يخرج عن حالة السيئة. وتنال له التوجع القلبي على خطاياه والثبات على عمل الصلاح واخيراً الميتة الصالحة. لانهُ ترى اية امٍ يمكنها بسهولةٍ ان تخلّص ابنها من الموت بمجرد توسلها لدى القاضي في ان يمنحهُ نعمة العتق من حكومة الموت المبرزة ضدهُ . وهي تتاخر عن ان تصنع ذلك. فهل نحن نستطيع ان نفتكر هذا الفكر فضلاً عن ان نقبلهُ. وهو ان مريم التي هي الام الاشد حباً والاكثر اشفاقاً من كل الامهات نحو المتعبدين لها . فمع انها تقدر ان تخلّص نفس مَن هو ابنها من الموت الابدي . وتستطيع ان تفعل ذلك بكل سهولةٍ وهي لا تصنعهُ ☆

فيا لحسن حظنا ايها القارىء الحبيب ان كنا نشعر في ذواتنا ان الله قد منحنا الحب لسلطانة السما هذه . ووهبنا التعبد الامين لها الامر الذي من اجله يلزمنا ان نشكره عزَّ وجلَّ شكراً دائماً . على انهُ كما يقول القديس يوحنا الدمشقي . ان الله لا يهب هذه النعمة الّا لاولئك الذين هو يريد خلاصهم بارادةٍ خصوصيةٍ. وهذي هي كلمات القديس المذكور الجليلة التي بها ينعش رجاهُ ورجانا وهي « ان كنت انا اضع رجائي فيكِ يا والدة الاله فاكون مخلصاً . واذا ما كنت تحت كنف حمايتكِ فلا اخاف من شيء اصلاً. لان التعبد لكِ هو نفس امتلاك الاسلحة الضرورية للخلاص. التي لا يمنحها الله الّا لاولئك الذين هو تعالى يريد خلاصهم " ولهذا كان يسلّم عليها المعلم ارازموس قائلاً « السلام عليكِ يا مخيفة الجحيم ويا رجا المسيحيين لان الاتكال عليكِ هو تاكيد نوال الخلاص " ☆

فمن ثمَّ امرٌ محزنٌ جداً للشيطان ان يشاهد نفساً ما تواظب على واجبات العبادة لهذه الام الالهية. فيُقرأُ في سيرة حيوة الاب الفونسوس الافارس الكلي التعبد لمريم. انهُ اذ كان يمارس مرةً ما صلواته وشعر بذاته مجرباً بقلقٍ من افكارٍ ضد العفة محركة ضدهُ من الشيطان ليحزنهُ بها فقال لهُ حينئذٍ هذا العدو الجهنمي هكذا « اترك انت عبادتك هذه لمريم وانا انجيك من التجارب " ☆

ثم ان الاب الازلي قد اوحى الى القديسة كاترينا السيانية. كما هو نمورد

من بلوسيوس. بانهُ تعالى من قِبَل جودة صلاحه قد وهب مريم. اكراماً لابنه الوحيد المولود منها بالجسد. بانهُ ولا واحدٌ من الذين يستغيثون بشفاعاتها. ولو كان خاطئًا يضحى غنيمةً للجحيم " حتى ان النبي والملك داود كان يتوسل في ان تنقذ نفسهُ من الجحيم لاجل الحب الذي كان في قلبته وقتيئذٍ نحو مريم العتيدة ان تولد في العالم. اذ يقول " يارب احببت جمال بيتك وموضع محلة مجدك فلا تهلك مع الكفرة نفسي ولا مع رجال الدما حياتي " (مزمور ٢٥ ع ٨) لان مريم هي بيت الرب الذي شيدهُ عزَّ وجلَّ لذاته على الارض ليسكن فيه بين الناس واجداً فيها راحتهُ بتجسده منها. حسبما هو مُدوَّن عنها في سفر الامثال " ان الحكمة ابتنت لها بيتًا " (ص ٩ ع ١) فمن ثمَّ يقول القديس اغناطيوس الرسولي الشهيد " ان مَن كان مهتمًا في العبادة لمريم العذرا لا يمضي هالكًا " والقديس بوناونتورا يثبّت ذلك بقوله نحو هذه البتول المجيدة هكذا " ان المغرمين بحبك ايتها السيدة يتمتعون في هذه الحيوة بسلامٍ عظيم. وفي العالم العتيد لا يصادفون الموت الى الابد " ثم ان بلوسيوس الحسن التعبد يوكد لنا " بانهُ لا حدثَ قط ولا يحدثُ اصلاً ان انسانًا متعبداً لمريم باتضاعٍ ونشاطٍ يذهب هالكًا في الابدية " ☆

فكم وكم من الخطاة لكانوا هلكوا موبداً. او انهم لبثوا مصرين على اثامهم من دون توبةٍ. لولا تكون دخلت مريم وسيطةً عنهم لدى ابنها الالهي مستمدةً لهم منهُ الرحمة. فهكذا يقول المعلم توما الكامبيسي وهذا هو راي لاهوتيين كثيري العدد لاسيما القديس توما شمس المدارس. وهو ان والدة الاله قد وقّفت بقوة شفاعاتها لدى الله حكومة الهلاك المبرزة على كثيرين قد ماتوا في حال الخطية المميتة. مكتسبةً لهم نعمة الرجوع الى الحيوة ليمارسوا افعال التوبة فيخلصون بها. ثم يوردون في هذا الشان جملة حوادث هذه صفتها محررة من مورخين مدققين جداً. فمن جملة النموذجات المثبتة هذه القضية نورد هنا ما دوّنهُ فلوداردوس. الذي كان عائشاً نحو الجيل التاسع. فهذا العلّامة يخبرنا في تاريخه عن شماسٍ الجيلي اسمه ادالمانوس. الذي اذ كان قد حُكم عليه انهُ مات فحينما أُخذت جثتهُ الى القبر لتُدفن. قد رجعت روحهُ اليه فعاش واخبر بانهُ شاهد مكان جهنم حيث حُكم عليه

من العدل الالهي بالخلود هناك . ولكن لاجل تضرعات البتول المجيدة والدة الاله من اجله قد أُرجع الى العالم كي يمارس واجبات التوبة عن خطاياه ☆

وكذلك سوريوس يورد في الراس الخامس والثلثين من كتابه الاول „ان انساناً مدنياً رومانياً اسمهُ اندراوس قد كان مات بغير توبة . وان مريم قد استمدت لهُ من الله ان يرجع الى الحيوة حيث يمكنهُ ان يكتسب الغفرات" ☆

ويخبر بالبارتوس (في العدد الاول من القسم الثاني من الكتاب الثاني عشر على البتول الطوباوية) بانهُ في ازمنته حينما كان مجتازاً الملك سيجيزموندوس بعسكره في جبال البي . قد سمع صوتاً من جثةٍ كانت مطروحةً في الارض فانيةً لم يبقَ منها سوى العظام . وكان ذاك الميت يطلب معلم اعترافه قائلاً . انه لاجل كونه هو احد المتعبدين لمريم والدة الاله . فحينما كان خادماً في الجندية ومات . قد استمدت هي لهُ من الله النعمة في انهُ يستمر باقياً بالنفس مع تلك الجثة الى ان يعترف بخطاياه . وهكذا اذ جاء اليه احد الكهنة وسمع اعترافه فحينئذٍ مات ☆

فهذه النموذجات وغيرها لا يلزم ان تُستخدم لكي تشجع احداً ما من الجسورين على ان يعيش في حال الخطية . تحت الرجا في ان مريم العذرا تخلصهُ من جهنم وان ادركهُ الموت وهو في حال الخطية . لانهُ كما ان مَن يطرح ذاته في بئرٍ عميقةٍ تحت الامل في ان مريم تحفظه من الموت . حسبما صنعت ذلك بعض الاحيان مع غيره يُحسب احمق عديم العقل . فهكذا هو اشد حماقة واعظم جهالة تطويح الانسان ذاتهُ في خطر ان يموت في حال الخطية . تحت الامل في ان البتول الطوباوية تخلصه من جهنم . بل انما تفيد هذه النموذجات لان تنعش رجانا عند تاملنا في انهُ ان كانت شفاعات هذه الام الالهية . قد استطاعت ان تخلص من الجحيم ايضاً اولئك الذين ماتوا في حال الخطية . فكم باولى حجةٍ تحفظ من الذهاب الى جهنم اولئك الذين وهم في الحيوة يلتجئون اليها بنية ان يصلحوا ذواتهم ويغيروا سيرتهم الردية ويخدموا هذه السيدة بامانةٍ ☆

فلنقل اذاً نحوها مع القديس جرمانوس (في عظته على وضع زنارها) „ترى ما عساه ان يكون لنا يا امنا العزيزة نحن الذين نعم اننا خطاة . ولكننا

نريد ان ننقي ذواتنا من الاثم ونبادر اليك انتِ التي هي حيوة المسيحيين" فنحن يا سيدتنا نسمع القديس انسلموس قائلاً "انهُ لا يمضي هالكًا ذاك الذي انتِ تصلين من اجله مرةً واحدةً فقط" فاذاً صلي من اجلنا ونحن نعود ناجين من جهنم * ثم ان ريكاردوس الذي من سان ڤيتّر يقول "وترى مَن يمكنهُ (حينما احضر في الديوان الالهي) ان يخبرني بانني حصلت في دعواي على ان تكوني انتِ يا ام الرحمة محامية عني" والطوباوي اريكوس صوزونه قد كان يعلن جهاراً انهُ وضع نفسهُ في يدي مريم البتول. وكان يقول انهُ ان كان القاضي يعتمد على ان يحكم عليهِ بالهلاك. فهو كان يريد ان الحكومة عليهِ تدخل الى يد مريم. مترجياً هو بانهُ اذا تسلم الحكم لتينك اليدين المملوتين سخاءً واشفاقاً يدي مريم البتول. فمن دون ارتياب هي حينئذٍ توقف الحكومة" فهذا الامر عينهُ اقولهُ انا ايضاً يا ملكتي الكلية القداسة وارجو ان يكون لي. ولذلك اريد ان اكرر لديكِ الهتاف دائماً مع القديس بوناونتورا قائلاً "عليكِ يا سيدتي توكلت فلا اخزى الى الابد". فانا ايتها السيدة قد وضعت كل رجائي فيكِ مومّلاً من ثمَّ بتاكيدٍ ان لا ارى ذاتي ضائعاً. بل افوز بالخلاص في السما حيث اسبحكِ واحبكِ الى الابد *

* نموذج *

انهُ قد كان في احدى مدن اقليم فياندرا شابان حدثان في السن يدرسان العلوم. ولكن عوضاً عن انهما يهتمان وقتئذٍ في اكتساب العلوم قد كانا يبيحان لنفسهما كل نوعٍ من رذيلتي الشراهة والدنس. فاذ وجدا ليلةً ما من تلك الليالي المدنسة منهما بالقبائح في بيت امراةٍ خاطئةٍ لافتعال الاثم. فاحدهما الذي كان اسمهُ ريكاردوس بعد مضي ساعاتٍ من الليل قد رجع الى مكان سكناه. واما رفيقهُ فبقي عند تلك الامراة الدنسة. فعند ما دخل ريكاردوس الى مخدعه لينام قد فكر بانهُ في ذاك اليوم لم يكن صلى تلك المرات السلام الملكي حسبما كان معتاداً وحيث ان النوم كان حينئذٍ متغلباً عليهِ فكان يستصعب تلاوتها في ذاك الوقت. ولكن لم يرد ان يتركها مطلقاً بل

اغتصب ذاته وقالها. وان كان بقليل من العبادة وكانه نصف نائم. ثم اتكأ على سريره راقداً. فبعد برهةٍ فيما هو يغط في النوم سمع باب بيته يُقرع بشدةٍ. وحالاً من دون ان يفتح الباب قد شاهد رفيقه الشاب داخلاً اليه بصورةٍ مخيفةٍ من شدة البشاعة. واذ ساله مَن انت. قد اجابه ذاك قائلاً „أَمَا عدت تعرفني من انا" فقال له ريكاردوس „كيف انك قد استحلت الى هذه البشاعة حتى يبان كانك شيطان" فحينئذٍ ذاك التعيس تنفس الصعدا صارخاً „اواه الويل لي. فانا قد هلكت في جهنم" فساله ريكاردوس „وكيف تم ذلك" فاجابه الشخص بقوله „اعلم انه حينما خرجت انا بعدك من بيت تلك الامراة الدنسة. قد وثب عليَّ الشيطان فخنقني وبقي جسدي طريحًا في الطريق ونفسي حُكم عليها بالهلاك. ثم قال ايضاً ان هذا العقاب الذي حل بي قد كان معداً لك انت ايضاً. الاَّ ان الطوباوية مريم البتول لاجل الكرامة القليلة التي انت صنعتها لها. بتلاوتك السلام الملكي المعتاد على تلاوته. قد انقذتك من هذا العقاب. فسعيدٌ انت ان كنت تستفيد من هذا التنبيه الذي ارسلتني والدة الاله لان انبهك به" قال هذا ثم كشف رداه واظهر لريكاردوس اللهيب المحيط به والافاعي والعقارب التي كانت تلسعه وهكذا غاب من امامه. فوقتئذٍ ريكاردوس انطرح على الارض مدرفاً من عينيه تياراتٍ من الدموع مقدماً الشكر الواجب لوالدة الاله التي خلصته من الهلاك. وفيما كان يفتكر عازماً على الطريقة التي بها يغيّر سيرته ويصلحها قد سمع ناقوس دير الرهبان الفرنسيسكانيين يقرع لاجل الصلوة السحرية فناجى حينئذٍ ذاته قائلاً „ان الله يدعوني الى هذا الدير لكي اصنع توبةً عن خطاياي" فنهض في تلك الساعة عينها ومضى الى الدير متوسلاً لاولئك الابا بان يقبلوه عندهم. الاَّ انهم لمعرفتهم به وبفساد سيرته قد كانوا يرفضون قبوله. غير انه قد اخبرهم بالحادث جميعه بدموعٍ سخينةٍ. ومن حيث ان اثنين منهم خرجا حالاً وذهبا الى الطريق وشاهدا جثة ذاك الشاب التعيس ملقاة على الارض مخنوقة مسودةً نظير الفحم. فبعد ان رجعا واخبرا بالحقيقة قد قُبل ريكاردوس في الدير. وابتدأ بعيشةٍ فاضلةٍ. وفيما بعد ذهب الى بلاد الهند ليكرز بالايمان ومنها مضى الى بلاد اليابون. وهناك حصل اخيرًا على الحظ السعيد

والنعمة العظيمة بان يموت شهيداً من اجل الايمان بالمسيح محروقاً حياً (كما هو مدون في تاليف التونسوس اندرادا) ✿

✿ صلوة ✿

يا مريم امي العزيزة انه بأي عمقٍ من الشرور لقد كنت انا موجوداً الان . لولا ان يدكِ المملوة حنوًا واشفاقًا تحفظني مراتٍ كثيرة من السقوط بهوتة الهلاك . بل بأبلغ من ذلك كم من السنين لقد كانت مرّت عليّ لحد الان وانا في قعر الجحيم هالكًا . لو لم تكوني نجيتيني من جهنم . لان خطاياي الثقيلة كانت تقودني الى هناك والعدل الالهي قد كان حكم عليَّ بالخلود فيها . والشياطين كانوا ينتظرون بفرحٍ اتمام الحكومة لولا تخلصيني منها . وقد صنعتِ ذلك من دون ان اكون انا التمستهُ منكِ . وهكذا انقذتيني من غير ان اتوسل اليكِ يا امي الراوفة . فبماذا يمكنني ان اكافيكِ عن نعمٍ بهذا المقدار عظيمةٍ قد صنعتيها معي يا منقذتي . وعن حبٍ هذا حدهُ قد احببتيني بهِ . فانتِ قد انتصرتِ اخيرًا على قساوة قلبي واجتذبتيني لان احبكِ ولان اثق بكِ راجيًا . وبعد ذلك بكم وكم من الخطايا لكنت سقطت لو لم تساعدني يدكِ مرات كثيرة في الاخطار التي انا وُجدت فيها وتحفظيني من السقوط بها فداومي عنايتكِ في خلاصي من الجحيم يا امي الجليلة ويا رجائي الوطيد ويا حياتي . بل الاعز من حياتي نفسها . وانقذيني اولاً من الخطايا التي يمكن ان اسقط بها . ولا تسمحي بان اشتمكِ لاعنًا في جهنم . لاني احبكِ يا سيدتي المستحقة كل محبةٍ . فهل يمكن ان تحتمل صلاحكِ ان تشاهدي احد عبيدكِ الذي يحبكِ هالكًا . فاذا ارجوكِ بان تستمدي لي الاّ اكون بعد الان كافرًا بجميلكِ عليَّ . ولا خدئنًا في حق الهي الذي حباً بكِ قد وهبني نعماً هكذا عديدة وعظيمة . فماذا تخبريني يا مريم هل انني عتيد ان اخلص ام . هل انني امضي هالكًا . فاي نعم انني ساهلك ان كنت ابتعد عنكِ . ولكن مَن هو الذي يطيق ان ينفصل عن حبكِ . وكيف يمكنني ان انسى المحبة التي احببتيني بها . فانتِ بعد الله هي موضوع حب نفسي . بل لا اقدر ان اعيش من دون ان احبكِ . لاني مغرم القلب والنفس فيكِ وارجو ان احبكِ

دائماً في الزمن الحاضر والمستقبل وفي كل الابدية. ايتها الخليقة الاعظم جمالاً والاكثر قداسةً والاوفر عذوبةً وحلاوةً. والموضوع الافضل ما يكون في العالم باسره يستحق ان يُحَبَّ امين ☆

☙ الجزء الثاني ❧

☆ في ان مريم البتول تسعف انفس المتعبدين لها بعد الموت في المطهر ☆

انهم بالحقيقة لسعيدين جداً هم عُبّاد هذه الام الكلية الرأفة. لانهم يُسعَفون ويُعانون منها ليس في هذا العالم فقط بل في المطهر ايضاً يفوزون بمساعدتها لهم وبتعزيتها اياهم. ومن حيث ان الانفس في المطهر هي اكثر احتياجاً الى الاسعاف. لانها تتكبد هناك عذابات شديدة جداً من غير ان تقدر على مساعدة ذاتها بذاتها فبابلغ من ذلك تتلألأ مفاعيل شفقة ام الرحمة نحو تلك النفوس وذلك باجتهادها في اعانتها * فيقول القديس برنردينوس السياني „ان الكلية القداسة مريم لها سلطةٌ وسلطانٌ مطلقٌ في ذاك الحبس المطهري المحبوسة فيه الانفس التي هي عروسات يسوع المسيح. على ان تسعفهنَّ وان تخلصهنَّ ايضاً من تلك العذابات" ☆

فنظراً الى اسعاف مريم هذه الانفس فالقديس برنردينوس عينهُ اذ يخصّص بمريم تلك الكلمات المدونة في حكمة ابن سيراخ وهي „في امواج البحر مشيت" (ص ٢٤ ع ٨) يقول „ان عذابات المطهر تُسمى امواجاً لانها عذاباتٌ عابرةٌ وقتيةٌ خلافاً لعذابات جهنم الثابتة الابدية. وانّما تُدعى عذابات المطهر امواج البحر. لانها مرةٌ جداً كمياه البحر. فالانفس المتعبدة لمريم اذ تمتلىء من الحزن فيها بين امواج تلك العذابات المرة. فهذه السيدة تزورهنَّ مراتٍ كثيرة وتسعفهنَّ" وهنا يقول نوفاريانوس „هوذا البرهان الذي يوضح كم يجب ان يُعتبَر ويُحَبَّ التعبد لمريم السيدة الصالحة. لانها لا تعرف ان تنسى تلك الانفس المتعبدة لها. ولا تهمل ان تساعدهنَّ حينما تتعذب في ذاك اللهيب. على انهُ وان كانت هذه السيدة تسعف بوجه العموم كل الانفس الكائنة في المطهر. الّا انها مع ذلك تسعف اسعافاً خصوصياً انفس اولئك الذين في هذا العالم كانوا متعبدين لها عبادةً خصوصية" ☆

فهذي البتول المجيدة قد اوحت للقديسة بريجيتا قائلةً لها « اني انا أمٌّ لكل الانفس الكائنة في المطهر. ففي الوقت الذي فيه تتعذب تلك الانفس بشدةٍ بكل تلك العذابات المتوجبة على الخطايا المفعولة منهنَّ في العالم. ففيه انا في كل ساعةٍ اخففها عنهنَّ طالما هي هناك بواسطة صلواتي من اجلهنَّ » ثم ان هذه الام الشفوقة لا تانف من انها تاتي بذاتها بعض الاحيان الى ذلك السجن المقدس لكي تزور الانفس بناتها وتعزيهنَّ. كما جاء عنها القول في حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ٨) « اني دخلت سالكةً في عمق الغمر » حيث ان القديس بوناونتورا يخصص الكلمات المذكورة بوالدة الاله. مضيفاً اليها قوله عن لسانها « انا دخلت في عمق ذاك الغمر اي المطهر لكي اسعف بحضوري هناك تلك الانفس البارّة » اما القديس فيلجانسوس فراري فيقول « ان مريم هي مفيدةٌ للانفس الكائنة في المطهر. لانها تحصل بواسطتها على الاسعاف الكلّي » فيا لعظمة حنو هذه البتول القديسة الكلية الاشفاق نحو تلك الانفس التي تتكبد العذابات في المطهر. فانها على الدوام تشعر بمفاعيل المعونات والاسعافات التي تمارسها مريم العذراء نحوها *

لانهُ اية تعزيةٍ لهنَّ في حال ضيقتهنَّ سوى مريم واسعافها لهنَّ اذ هي ام الرحمة. فالقديسة بريجيتا يوماً ما سمعت يسوع المسيح يخاطب والدتهُ هكذا « انكِ يا امي انتِ هي ام الرحمة وانتِ هي تعزية الانفس الكائنة في المطهر » بل ان البتول الطوباوية عينها قالت للقديسة بريجيتا « انهُ كما ان المريض الفقير المطروح على الفراش يكون مملوًا من الحزن لمشاهدته ذاتهُ متروكًا مهملاً. الّا انهُ يحصل على تعزيةٍ وافرةٍ عند ما يسمع كلمةً ما تنذرٍ باسعافه. فهكذا تلك الانفس المطهرية تشعر بتعزيةٍ جزيلةٍ بمجرد سماعهن ذكر اسمي » فاذًا ان مجرد ذكر اسم مريم (الذي هو اسم رجاء وخلاص) يسبب للانفس المسجونة في المطهر تعزيةً وافرةً عند ما تلفظهُ بافواههنَّ بذاتها هولاء المحبوبات منها * امّا نوفارينوس فيقول « ان هذه الام المملوة من الحب عند ما تسمع الانفس المطهرية تستغيث باسمها. تضاعف هي تضرعاتها لدى الله الذي اجابةً لمطلوبها يتراف عليهنّ بالاسعاف. نظير الندا المنحدر من السما ليبرد عنهنَّ سعير تلك النيران الملتهبة » *

غيرات مريم العذرا لتظهر عنايتها نحو انفس المتعبدين لها ليس فقط في تعزيتهنَّ واسعافهنَّ في مدة أقامتهنَّ في المطهر. بل في انقاذهنَّ ايضاً من ذلك السجن بواسطة شفاعتها. ففي يوم صعود هذه القديسة والدة الاله المجيد من الارض الى السما جميع الانفس التي كانت وقتئذٍ في المطهر خلصت منطلقةً معها الى السعادة الابدية. كما كتب العلامة جرسون بقوله „ان سجن المطهر في ذلك اليوم صار فارغاً من الانفس التي كانت فيه " ✿

ويثبت ذلك نوفارينوس مبرهناً عنهُ باقوال كتبةٍ كنائسيين كثيرين معتبرين جداً وهو „ان والدة الاله في حين انتقالها من الارض الى السما التمست من ابنها الالهي هذه النعمة. وهي ان تخلّص جميع الانفس الكائنة في ذلك اليوم مسجونةً في المطهر وتقودهنَّ صحبتها الى النعيم" فيقول جرسون „ان البتول المجيدة من ذلك النهار اخذت سلطان التملك على هذا الاختصاص الممنوح لها من الله وهي ان تخلّص من المطهر انفس المتعبدين لها" وهذا يوكدهُ توكيداً مطلقاً القديس برنردينوس السياني بقوله „ان البتول الطوباوية هي حاصلة على هذه السلطة بالتفويض المطلق. وهو انها بواسطة تضرعاتها. وكذلك بتخصيصها استحقاقاتها الذاتية اسعافاً للانفس المطهرية. لا سيما انفس المتعبدين لها. تخلصهنَّ من تلك العذابات" وهذا عينهُ يقولهُ نوفارينوس معتبراً انهُ لاجل استحقاقات والدة الاله الخصوصية ليس فقط تعود العذابات المطهرية لطيفةً عذبةً على تلك الانفس. بل ايضاً تجعلها مقتصرةً عن الزمن المرسوم عليهنَّ. لانها بتوسلاتها من اجلهنَّ تنقص عنهنَّ زمن العذابات ليخلصنَ بسرعةٍ ✿

ثم ان القديس بطرس داميانوس يخبرنا عن امراةٍ اسمها ماروتسا „بانها قد ظهرت لاشبينتها بعد موتها وقالت لها. انها في يوم عيد صعود مريم البتول الى السما قد خلصت هي من عذابات المطهر. جملةً مع انفسٍ كثيرة تفوق عدداً على جميع الشعب الروماني. قد انطلقت كلها الى السماء" وكذلك يقول القديس ديونيسيوس كارتوزيانوس „ان والدة الاله في كل يومٍ من يومي هذين العيدين السنويين اي الميلاد والقيامة تنحدر بذاتها الى المطهر مرافقة من اجواقٍ ملائكية كثيرة. وتخلّص من السجن المطهري

انفساً عديدةً " ثم ان نوفارينوس يبرهن في ان هذه الطوباوية تصنع ذلك في كل يوم عيدٍ من اعيادها هي ايضاً الاحتفالية السنوية ❀

وما عدا هذا انه لشهيرٌ ومعروفٌ بكفايةٍ الوعد الذي وعدت بهِ السيدة المجيدة للبابا يوحنا الثاني والعشرين. الذي ظهرت هي لهُ وامرتهُ بان يعلن لجميع اولئك الذين يحصلون على ذواتهم ثوبها المسمى ثوب سيدة الكرمل. ان انفسهم تخلص من المطهر في يوم السبت الاول الذي ياتي بعد موتهم " فالحبر الاعظم المذكور كما يورد الاب كراسات قد اشهر ذلك واعلنهُ لجميع المؤمنين في منشوره البابوي الذي ابرزه في هذا الشان. وقد اثبت المنشور الموعى اليه الباباوات الكسندروس الخامس. واكليمنضوس الثامن وبيوس الخامس. وغريغوريوس الثالث عشر. وبولس الخامس الذي سنة ١٦١٢ ابرز منشوراً واعلن بهِ قائلاً „ان الشعب المسيحي يستطيع ان يعتقد بحسن عبادةٍ بان البتول الطوباوية تسعف بشفاعاتها المتصلة وباستحقاقاتها الذاتية وبحمايتها الخصوصية بعد الموت. وخاصةً في يوم السبت (المكرس لعبادتها من الكنيسة) انفس الاخوة المشتركين باخوية سيدة ثوب الكرمل الذين تنفصل انفسهم عن اجسادهم من هذه الحيوة وهم في حال نعمة الله ويكون هولاء الاخوة. حملوا على ذواتهم ثوبها بحفظ واجبات فضيلة الطهارة بقدر التزامات دعوتهم الخصوصية. ويكونون تلوا الفرض المختص بهذه السيدة. واذا لم يكونوا استطاعوا تلاوة هذا الفرض فيكونون حفظوا الصيامات الكنائسية. وامتنعوا عن اكل اللحم نهار الاربعا. ما عدا يوم عيد الميلاد" ثم في خدمة الفرض الاحتفالي المختص بعيد سيدة الكرمل يُقرا هكذا „انهُ يُعتقد الاعتقاد التقوي بان البتول القديسة تعزي بحبٍ والديٍ في المطهر انفس المشتركين بهذه الاخوية. وانها من دون تاخر تخلصهنَّ بواسطة شفاعاتها من تلك العذابات. وتقودهنَّ الى الوطن السماوي. (كما هو مدون تحت اليوم السادس عشر من شهر تموز في عيد سيدة الكرمل) فكيف لا نستطيع نحن ايضاً ان كنا متعبدين لهذه الام الصالحة ان نرجو لذواتنا النعم والاسعافات المقدم ذكرها. وكيف لا نقدر ان نومل اننا بعد موتنا نذهب الى السما من دون الدخول الى المطهر. مترجين نوال هذه النعمة لاجل خدمتنا والدة الاله وعبادتنا لها بحبٍ خاص. كما ان والدة الاله ارسلت الراهب ابونضوس

الى الطوباوي غوديفرادوس قائلةً له "امضِ فقل للاخ غوديفرادوس انهُ ان كان يتقدم في الفضيلة . سيكون مختصاً بابني وبي انا ايضاً . وحينما تخرج نفسهُ من جسده فانا اصيّرها ان لا تمضي الى المطهر بل اني اخذها انا واقدمها امام ابني" ✿

فان كنا اذاً نريد ان نسعف الانفس المطهرية فلنجتهدنَّ في ان نتوسل الى والدة الاله من اجلهنَّ في صلواتنا كافةً المقدمة منا في اسعافهنَّ. مخصصين اياهنَّ بنوعٍ ممتاز بصلوة المسبحة الوردية المقدسة . التي تجلب لهنَّ اسعافاً عظيماً حسبما يبان من النموذج الاتي ايرادهُ ✿

✿ نموذج ✿

ان الاب اوسابيوس نيارامبارك يخبرنا (في الراس ٢٩ من الكتاب ٤ على الانتصارات المريمية) بانهُ كانت في مدينة اراغونا ابنةٌ فتاة اسمها الكسندرا . فهذه لانها كانت شريفة الاصل وجميلةً جداً في الخلقة فتعلق بها بنوعٍ ممتاز عن الاخرين حب اثنين من الشبان بشدةٍ . ولاجل المغائرة التي اتقدت حرارتها فيما بين هذين الشابين احدهما ضد الاخر من جرى حبهما الزائد لتلك الفتاة . قد تضاربا بالاسلحة والاثنان سقطا على الارض مقتولين . فحينئذٍ اقربا هذين الشابين لشدة حزنهم على فقدهما وثبوا على الفتاة الكسندرا عينها . فقتلوها لاجل انها صارت علةً لموت ذينك التعيسين . ثم قطعوا راسها وطرحوهُ في بئرٍ عميقةٍ . فبعد ايامٍ من ذلك اذ كان القديس عبد الاحد ماراً بالقرب من البئر . فبالهامٍ خصوصيٍ من الله قد دنا من البئر عينها وقال "الكسندرا اخرجي خارجاً" واذا بالراس المقطوع صعد من البئر ولبث على حافتها متوسلاً للقديس بان يستمع اعترافها . فالقديس استمع اعتراف الكسندرا ونقل القربان الاقدس وناولها اياهُ زوادةً اخيرةً بمحضر جمٍ غفير قد تقاطر الى هناك من كل ناحيةٍ من المدينة لمشاهدة هذه العجيبة . وبعد ذلك القديس طلب من الكسندرا ان تخبرهُ كيف ولاية حجةٍ هي نالت من الله هذه النعمة . فاجابتهُ بانها حينما اماتها القاتلون وقطعوا راسها قد كانت هي موجودة في حال الخطية المميتة . ولكن والدة الاله الكلية القداسة مكافاةً لعبادتها لها بتلاوتها المسبحة الوردية قد

خفظتها في الحيوة * فقد استمر راس الكسندرا حياً عند حافة تلك البئر مدة يومين مشاهداً من جميع اولئك الذين كانوا ياتون الى هناك. وبعد ذلك ذهبت نفسها الى المطهر. غير انها عقيب خمسة عشر يوماً قد ظهرت للقديس عبد الاحد جميلةً لامعة بانضيا نظير كوكبٍ مشعشعٍ وقالت له ,, ان الاسعاف الخصوصي الذي يحصل للانفس المطهرية في تلك العذابات هو تلاوة المسبحة الوردية من اجلهنَّ. وان هذه الانفس اذ يتخلصنَ من المطهر بمفعول صلوة الوردية. فحالما يبلغنَ الى السما يمارسنَ تقدمة التوسلات لله من اجل اولئك الذين قد اسعفوهنَّ بتقدمتهم لاجلهنَّ هذه الصلوة الكلية الفاعلية على تخليصهنَّ من المطهر" قالت هذا ثم صعدت امام عيني القديس الى السما متهللةً بفرحٍ لا يوصف لتتمتع بالسعادة الطوباوية *

* صلوة *

يا سلطانة السماوات والارض يا ام مخلص العالم مريم المجيدة. اينتها المخلوقة الاعظم والاسمى والاجمل والاحب من كل المخلوقات. اني نعم ان كثيرين على الارض لا يحبونكِ ولا يعرفونكِ. ولكن توجد الوف وربوات وكرات ومليونات لا تحصى من الملائكة ومن الطوباويين في السما يحبونكِ ويسبحونكِ دائماً. ثم في هذه الارض ايضاً كم وكم من الانفس السعيدة تلتهب اتقاداً في نيران حبها اياكِ. وتعيش مغرمةً في صلاحكِ. فليتني احبكِ انا ايضاً يا سيدتي المحبوبة في الغاية. واهتم دائماً في اتمام خدمتي اياكِ وفي مديحكِ وتكرمتكِ. وفي الاجتهاد بان تكوني محبوبةً من الجميع. فانتِ قد صيرتِ الاله نفسه متعلقاً بحب جمال نفسكِ حتى انكِ. لكي اقول هكذا. قد اجتذبتيه من حضن ابيه الازلي لان يتجسد في احشائكِ الكلي الطهر ويصير ابناً حقيقياً لكِ. فهل اني انا الدودة الحقيرة لا التهب حباً بكِ. اني نعم يا امي الكلية الحلاوة انا ايضاً اريد ان احبكِ حباً شديداً. واقصد ان افعل كل ما اقدر عليه لكي اجعل الآخرين ايضاً ان يحبوكِ. فاقبلي اذاً يا مريم شوقي المتقد نحو حبكِ وساعديني على ان اضعهُ بالعمل. فانا اعلم ان المغرمين بحبكِ هم مقبولون لدى عيني الهكِ. لانهُ تعالى بعد الشيء المختص بمجده لا

يرتاح الى شيء اخر بمقدار ارتياحه الى ان تكوني ممجدةً مكرمةً محبوبةً من الجميع. فانا ارجو منكِ ايتها السيدة كل التوفيقات والسعادات. فبخصك ان تستمدي لي غفران خطاياي كلها. ونعمة الثبات على الخير. وان تساعديني في ساعة موتي. وبعد ذلك ان تخلصيني من العذابات المطهرية. واخيراً ان تقوديني الى الفردوس السماوي. فهذه الاشيا يترجاها منكِ محبوكِ ولا يخيبون من املهم. فارجوها منكِ انا ايضاً لاني احبكِ حبّاً شديداً فوق كل شيء بعد حبي لله امين ☆

☙ الجزء الثالث ❧

☆ في ان مريم العذرا تقود عبيدها الى الفردوس السماوي ☆

فيا لها من علامةٍ جليلةٍ للانتخاب الى المجد الحاصل عليها عبيد مريم البتول بتعبدهم لها. على ان الكنيسة المقدسة تخصص بهذه الام الالهية الكلمات المدونة في سفر حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ١١) وهي „ في هذه كلها طلبت راحتي وفي ميراث من ساحلّ " فيقول الكردينال اوغون في تفسيره هذا النص „ طوباوي هو ذاك الذي تجد مريم البتول المثلثة الغبطة راحةً في بيته. فمريم لاجل انها تحب الجميع تهتم في ان العبادة لها تنتشر عند الجميع. انما كثيرون امّا انهم لا يقبلون هذه العبادة. وامّا انهم لا يحفظونها. فمغبوطٌ هو الذي يقتبلها ويحفظها " ويضيف الى ذلك العلّامة باجيوكالي هذا التفسير ايضاً وهو „ ان قولها وفي ميراث من ساحلّ. انما هو انها تسكن في مَن هم ميراث الرب. لان العبادة لمريم البتول انّما تحل ساكنةً في جميع اولئك الذين هم ميراث الرب. اي الذين سيكونون في السما ساكنين يسبحونهُ تعالى الى الابد " ثم ان الطوباوية والدة الاله تتبع كلماتها السابقة بهذا الكلام قائلةً „ عند ذلك امرني خالق الجميع والذي خلقني استراح في مسكني وقال لي. اسكني في آل يعقوب ورثي في اسرائيل وفي مختاريَّ اجعلي اصولكِ " (ص ٢٤ ع ١٢) فتريد ان تعني بقولها هذا معلنةً „ ان خالقي قد تنازل لان ياتي فيستريح ساكناً في احشائي. وقد اراد مني ان احل قاطنةً في قلوب جميع المختارين (الذين جاءَ رسمهم

في شخص يعقوب وهم ميراث هذه البتول) وقد رسم ان في جميع المنتخبين للمجد تتاصل عبادتي ويتاسس فيهم الرجا بي والحب نحوي „ ✩

فكم وكم من الطوباويين الكائنين الان في السما لما كانوا وُجدوا هناك لولا تكون اقادتهم الى تلك السعادة مريم بقوة شفاعاتها المقتدرة. لان الكردينال اوغون يجعل هذه السيدة متكلمةً عن ذاتها بما جاء في العدد السادس من الاصحاح ٢٤ عينه من حكمة ابن سيراخ وهو „ انا جعلت ان يشرق في السما ضوء باقٍ„ اي انني قد صيّرت ان يتلألأ مشرقاً في السماوات عددٌ وافرٌ من المصابيح الابدية. بمقدار ما هو عدد عبيدي الحسني العبادة نحوي„ ومن ثم يتبع الكردينال المذكور كلامهُ بقولهِ „ ان قديسين كثيرين هم الان في السماوات وهولاء لولا شفاعة مريم لما كانوا هناك„ ويقول القديس بوناونتورا „ ان باب السما يُفتح لقبول كل اولئك الذين يحسنون رجاهم بثقةٍ في شفاعة مريم„ ولذلك سمى القديس افرام السرياني العبادة نحو هذه الام الالهية „ افتتاح ابواب الفردوس„ وكذلك بلوسيوس المتعبد ان يخاطب والدة الاله يقول هكذا „ انها قد سُلّمت ليدكِ ايتها السيدة مفاتيح الملك الطوباوي وخزائنه„ ولهذا يلزمنا ان نتوسل الى هذي السيدة على الدوام مكررين نحوها كلمات القديس امبروسيوس وهي „ افتحي لنا يا مريم ابواب الملكوت. لانكِ انتِ حافظةٌ بيدكِ مفاتيحهُ„ بل انكِ انتِ نفسكِ هي باب الملكوت. كما تدعوكِ الكنيسة المقدسة في طلباتها هاتفةً „ يا باب السما صلي لاجلنا„ ✩

ولهذه الغاية تسمي الكنيسة المقدسة هذه الام العظيمة „ نجمة البحر„ لانهُ (حسبما يقول القديس توما اللاهوتي في كتيبه الثامن) „ كما ان المسافرين في البحر يستدلون على المينا المقصود وصولهم اليها من قبل نجمة البحر. فهكذا المسيحيون هم مُقادون ومُرشدون في بحر هذا العالم للبلوغ الى مينا الخلاص وللدخول الى الفردوس بواسطة مريم البتول„ ✩

وكذلك من هذا القبيل يسمي القديس بطرس داميانوس والدة الاله „ سلّم السما„ لانهُ بواسطتها قد انحدر الله من السماوات الى الارض لكي يستحق البشريون بواسطتها هي نفسها ان يصعدوا من الارض الى السماء „ ثم يقول القديس انسطاسيوس مخاطباً هذه البتول الطوباوية هكذا „ انكِ لاجل هذه

الغاية عينها انت ايتها السيدة قد صرت ممتلئةً نعمةً. وهي لكي تكوني لنا طريقًا فبلغ بواسطته الى الخلاص. ومصعدًا لنرتقي به الى الوطن السماوي" ومن ثمّ القديس برنردوس يلقب مريم «بالمركبة الناقلة من الارض الى السما» والقديس يوحنا جاوماترا ايضاً يسميها كذلك قائلاً لها «السلام عليك ايتها المركبة الكلية الشرف التي بواسطتها تُنقل عُبَّادك من الارض الى الفردوس السماوي» ولهذا يهتف نحوها القديس بونافنتورا صارخاً «انهم الطوباويون هم اولئك الذين يعرفونك يا والدة الاله. اذ ان المعرفة بك هي المحجة التي يبلغ السائرون فيها الى الحيوة المديمة الموت. واذاعة فضائلك هي السبيل للوصول الى الخلاص الابدي» ✲

ففي تاريخ الرهبنة الفرنسيسكانية (ك ١ ق ١ راس ٣٥) يوجد مدوناً عن الراهب لاون «انهُ شاهد مرةً ما سلماً حمرا كان واقفاً عليها يسوع المسيح. ونظر سلماً اخرى بيضاء كانت واقفةً فوقها امهُ تعالى البتول القديسة. ثم نظر ان كثيرين كانوا يبتدئون ان يصعدوا على السلم الحمرا. ولكن بعد ذلك كانوا يسقطون من عليها الى الارض مرات كثيرة. بمقدار المرّات التي بها كانوا ابتدأوا ان يصعدوا اليها. ولهذا تحرضوا على الذهاب نحو السلم البيضا ليصعدوا فوقها. فشاهدهم هو من ثمّ انهم مضوا اليها وبكل سهولةٍ ارتقوا صاعدين عليها. اذ ان والدة الاله نفسها كانت تمد يدها فتمسكهم وتسندهم. وبهذا النوع كانوا يبلغون سالمين الى الفردوس السماوي» فيسال هنا القديس ديونيسيوس كارتوزيانوس قائلاً «مَن هو الذي يخلص. ومَن يبلغ الى الملكوت السماوي» (وهو ذاتهُ يجاوب على سوالهِ بقولهِ) «ان اولئك الذين تهتم من اجلهم ام الرحمة هذه بتضرعاتها. هم الذين يخلصون ويبلغون الى الملك السماوي آمين» وهذا الامر عينهُ تثبتهُ مريم نفسها بقولها «بي تتملك الملوك» (امثال ص ٨ ع ١٥) اي بواسطة شفاعتي تملك الانفس اولاً في هذه الحيوة الزائلة على الارض. بتسلطهم على الاهم وشهواتهم منتصرين غالبين. وبعد ذلك ينطلقون الى السما ليملكوا ابدياً حيث يصيرون جميعاً ملوكاً (كما يقول القديس اوغوسطينوس) «وبالاجمال ان مريم الطوباوية. كقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس. هي سيدة الفردوس السماوي. لانها هناك تامر حسبما تريد وبما تشاء وتدخل اليه مَن تريدهم»

ولهذا يخصص هو بها كلمات ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ١٥) وهي « وكان امري نافذاً في اورشليم » ولذلك من دون ريبٍ انا امر بما اشاء وادخل الى هناك مَن اريد » ومن حيث انها هي والدة رب الملكوت السماوي فبالصواب والعدل هي سيدة الفردوس حسبما يقول روبارتوس ✿

ثم ان هذه الام الالهية قد نالت لنا بواسطة صلواتها المقتدرة واسعافاتها الفعّالة الملك السماوي . ان كنا لا نضع من قِبَلنا مانعاً ما لامتلاكه . كما يقول القديس انطونينوس . ومن ثمَّ ان الانسان الذي يخدم هذه السيدة وهي تتشفع من اجله . فهو حاصلٌ على وثيقةٍ اكيدةٍ في نوال الفردوس . كانهُ حقاً هو كائنٌ فيه (حسبما يورد الانبا غواريكوس) ويضيف الى ذلك القديس يوحنا الدمشقي بقوله « ان الخدمة لمريم المجيدة والكيان من عدد عبيد بلاطها . هو سمة الشرف الاعظم مما يمكننا ان نحصل عليه . لان الخدمة لملكة السما هي امتلاك السما . والعيشة تحت اوامرها هي اعظم من التسلط الملوكي . وبضد ذلك ان الذين لا يخدمونها لا يخلصون . من حيث ان الذين هم معدومون من اسعافات هذه الام العظيمة . هم مُهملون ومتروكون من معونات ابنها ومن مساعدة اهل البلاط السماوي باسرهم » ✿

فليكن على الدوام ممجداً صلاح الهنا الغير المتناهي . لانه رتب ان يكون لنا في السماوات شفيعة مريم الطوباوية . حتى انها بحسب كونها والدةً للقاضي الديان واماً للرحمة . تتعاطى معاطاةً فعالةً بواسطة شفاعاتها ومحاماتها دعوى خلاصنا الابدي . وهذا هو تعليم القديس برنردوس . ويقول الاب يعقوب الراهب العلامة فيما بين الابا اليونانيين « ان الله قد جعل مريم نظير جسر للخلاص الذي اذا ما اجتزنا فوقهُ ناجين من امواج بحر هذا العالم . فنقدر ان نبلغ الى المينا المغبوط الذي منهُ ندخل الى الفردوس السماوي » ولذلك يهتف القديس بوناونتورا قائلاً « اسمعوا يا معشر الشعوب فانتم الذين تشتهون امتلاك الفردوس الابدي . اخدموا مريم وكرموها فتصادفون الحيوة السرمدية من دون ريبٍ » ✿

فلا ينبغي لاحدٍ مطلقاً ان ييأس من نوال السعادة الابدية حتى ولو كان هو من عدد الذين قد استحقوا جهنم بخطاياهم . لان هولا انفسهم اذا شرعوا ان يخدموا مريم بامانةٍ فلا يفقدون خلاصهم . ثم يقول القديس

جرمانوس مخاطباً العذرا هكذا „ ترى كم وكم من الخطاة قد اهتموا في ان يجدوا الله بواسطتك يا مريم وقد ادركوه وخلصوا" امَّا ريكاردوس الذي من سان لورانسوس فيتامل فيما هو مدون في الابوكاليبسي (ص ١٢ ع ١) وهو „ ان القديس يوحنا الانجيلي قد شاهد هذه الامراة الكلية القداسة. مكللةً على راسها باكليل مركب من اثني عشر كوكباً" وبعكس ذلك ان سفر النشيد (ص ٤ ع ٨) يوضح بان هذه العروسة الالهية هي مكللة من وحوش ضارية اسود ونمور اذ يخاطبها عروسها الالهي قائلاً „ تعالي يا عروستي من لبنان. هلمي من لبنان فتتكللين من صير الاسود ومن جبال النمور" فكيف اذاً ينبغي ان يُفهم هذا فيجيب ريكاردوس عينه „ بان هذه الوحوش الضارية هم الخطاة الذين بواسطة شفاعات مريم من اجلهم وبمساعدتها اياهم يستحيلون الى نجوم سماوية وكواكب ابدية. وهولا يليقون ان يكونوا اكليلاً لهامة ملكة الرحمة هذه افضل لياقةً من ان تتوج هي بكواكب السماء المادية كلها" ثم ان عبدة الرب الاخت الراهبة سيرافينا البتول التي من كابري. اذ كانت يوماً ما تتوسل الى الطوباوية مريم العذرا في الايام المتقدمة على عيد انتقالها الى السما (كما يقرا في سيرة حيوة هذه الراهبة) قد التمست منها ان تستمد من الله نعمة التوبة لالف واحد من الخطاة. ولكن لما بدأت تخاف من ان تكون طلبتها تزايدت عن الحدود. قد ظهرت لها العذرا المجيدة وهذّبت فيها هذا الخوف الباطل قائلةً لها „ لماذا تخشين. هل انني ربما لا استطيع ان انال من ابني نعمة الخلاص لالف واحد من الخطاة. فهوذا اني قد استمديت لك تمام الطلبة" قالت هذا واخذتها بالروح الى السما وهناك ارتها عدداً لا يُحصى من الانفس الاثيمة اللواتي كنَّ استحققنَ جهنم بخطاياهنَّ. وبعد ذلك بواسطة شفاعات هذه الام الالهية قد نلنَ الخلاص وبدأن ان يتمتعنَ بالسعادة الابدية" ✡

فاي نعم انهُ لا يوجد انسانٌ اصلاً طالما هو في قيد الحيوة الزمنية يقدر ان يكون متاكداً تاكيداً مطلقاً على خلاصهِ الابدي العتيد. كما كُتب „ لا يعرف الانسان ماذا المحبة ام البغضة كل شيء امامهم" (سفر الجامعة ص ٩ ع ١) ولكن مع ذلك فالنبي داود طلب من الله قائلاً „ يارب مَن يسكن في مسكنك او مَن يحل في جبل قدسك" (مزمور ١٤ ع ١) فيجيب القديس

بوناونتورا في تفسيره هذا النص مخاطباً الاثمة بقوله « يا معشر الخطاة فلنتبع اثر خطوات مريم. ولننطرح على قدميها المغبوطتين ولا نتركهما ان لم تباركنا هي. لان بركتها ايانا توكد لنا نوال الملكوت » ويقول القديس انسلموس « لانهُ يكفينا ايتها البتول السيدة لانكِ تريدين ان تخلصينا. لانهُ حينئذٍ لا يمكن ان لا نكون خالصين » ويضيف الى ذلك القديس انطونينوس بقوله « ان الانفس المحامَى عنهنَّ من مريم يخلصنَ بالضرورة ومن دون كل ريبٍ » ☆

فبالصواب اذاً يقول القديس ايدالفونسوس « ان البتول الكلية القداسة قد سبقت وتنبأَت عن ذاتها بقولها « فها منذ الان يعطيني الطوبى سائر الاجيال » (لوقا ص ١ ع ٤٨) لان جميع المختارين ينالون بواسطتها الطوبى الابدية » اما القديس متوديوس فيخاطب هذه المباركة في النسا قائلاً نحوها « لانكِ انتِ هي ايتها الام العظيمة ابتداء سعادتنا. ووسطها. ونهايتها. فالبداية لانكِ تستمدين لنا نحن الخطاة نعمة غفران مآثمنا. والوسط لانكِ تنالين لنا نعمة الثبات على الخير. والنهاية لانكِ اخيراً تستمدين لنا نعمة البلوغ الى الفردوس والدخول الى السعادة الابدية » فبواسطتكِ ايتها السيدة قد فُتح باب السما. يقول نحوها القديس برنردوس. وبكِ فرغ الجحيم وبواسطتكِ قد اخصب الفردوس. وبالاجمال انهُ بكِ قد أُعطيت الحيوة الابدية لعددٍ غير محصى من الاشقيا الذين كانوا مستحقين الموت السرمدي » ☆

الَّا ان الامر الذي يشجعنا بابلغ من كل ما سواهُ على ان نوطد رجانا متاكدين نوال الفردوس. هو الوعد الجميل الذي وعدت بهِ هذي الام الطوباوية لكل اولئك الذين يكرمونها. لاسيما الذين يجتهدون بواسطة اقوالهم ونموذجاتهم الصالحة في ان يجعلوها معروفةً ومكرمةً من الاخرين ايضاً. وهذا الوعد هو المدون في حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ٣٠) بقولها « ان الذين يعملون بي لا يخطئون. ومَن شرحني تحصل لهم الحيوة الابدية » فمن ثَمَّ يهتف القديس بوناونتورا قائلاً « انهم لسعيدون هم بالحقيقة اولئك الذين يحصلون على مساعدة مريم ومعونتها لان الطوباويين في السما يحسبون هولا رفقاهم المنتهدين من دون ريب. اذ ان مَن يحمل على ذاته علامة تعبده لمريم فيكون

اسمهُ مدوناً في مصحف الحيوة" فاذاً ماذا يفيد التعب والقلق في الفحص عن الاحكام والاراء الدارسية. هل ان الانتخاب الى المجد يصدر قبل سبق النظر الى الاستحقاقات الخصوصية ام بعد تامل هذه الاستحقاقات. وهل ان اسماءنا هي مكتوبةٌ في سفر الحيوة ام لا. فنحن ان كنا عبيداً حقيقيين لمريم والدة الاله وفائزين بحمايتها. فمن دون اشكالٍ بل بكل تاكيدٍ ان اسماءنا هي مسجلة في مصحف الحيوة. لانهُ كما يقول القديس يوحنا الدمشقي "ان الله لا يمنح نعمة العبادة نحو والدته القديسة الاَّ لاولئك الذين يريد خلاصهم" ويبان ان هذا هو مطابقٌ لما اعلنهُ عزَّ وجلَّ واضحاً بواسطة رسوله القديس يوحنا في سفر الجليان قائلاً "من غلب . . . فاني اكتب عليه اسم الهي واسم مدينة الهي اورشليم الجديدة" (ابوكاليبسي ص ٣ ع ١٢) اي ان الذي يكون غالباً ومخلصاً يحمل على قلبه مكتوباً اسم مدينة الله. فمَن هي مدينة الله هذه الاَّ مريم حسبما يفسر القديس غريغوريوس الكبير في شرحه كلمات النبي داود هذه "انهُ قد قيلت فيكِ المسبحات يا مدينة الله" (مزمور ٨٦ ع ٣) فيمكننا حسناً ان نقول اذاً مع القديس بولس الرسول "لكن اساس الله الوطيد قد وقف ثابتًا وعليه هذا الختم. ان الرب يعلم الذين لهُ" (تيموتاوس ثانية ص ٢ ع ١٩) فمن كان عليه هذا الختم اي العبادة لمريم فيعرفه الرب انهُ لهُ وخاصتهُ. ولذلك كتب القديس برنردوس قائلاً ان التعبد لوالدة الاله هو ختمٌ وعلامةٌ كلية التاكيد لنوال الخلاص الابدي" ثم ان الطوباوي الانوس اذ يتكلم بخصوص السلام الملئكي يقول "ان كل من كرّم البتول مراتٍ كثيرة بتلاوة السلام الملئكي. يحوي في ذاته علامةً عظيمةً لانتخابه الى المجد" ويقول هو عينهُ في محلٍ اخر "انهُ يفوز بذلك اولئك ايضاً الذين يثابرون بثباتٍ على تلاوة المسبحة الوردية المقدسة يومياً" وبابلغ من هذا يورد الاب نيارامبارك قائلاً "ان عبيد والدة الاله ينعم عليهم كثيرًا ويُساعدون ليس في مدة حياتهم على الارض فقط. بل انهم في السما ايضاً سيكونون مكرمين بنوعٍ ممتاز جداً عن الاخرين. ويتردون بحللٍ شريفةٍ تعلنهم واضحاً انهم خواص ملكة السما واهل بلاطها. كما قيل عنهم "ان اهل بيتها جميعاً لابسون ثياباً مضاعفة" (امثال ص ٣١ ع ٢١) ✡

فالقديسة مريم مادلينا داباتسي قد شاهدت في وسط البحر مركباً حاوياً ضمنهُ عبيد مريم العذرا اجمعين. ورأت هذه السيدة ماسكةً في يدها دفة تدبير المركب. ومهتمةً في ان تقود هولا الركاب كافةً بكل طمانينةٍ الى مينا الخلاص. وقد حصلت القديسة المذكورة على تفسير هذي الرويا وهو. ان كل لوليك الذين يعيشون في الحيوة الحاضرة تحت حماية والدة الاله. هم ناجون من غرق الخطية في بحر هذا العالم الجزيل الاخطار. وفائزون بالنجاة من الهلاك. لانهم يقادون بمعونتها وحمايتها بنوعٍ امينٍ الى مينا الفردوس السماوي * فلنجتهد اذاً في ان نصعد الى هذا المركب المغبوط الذي هو كنف حماية ام الرحمة. وفيه نكون مطمانين على البلوغ الى الغبطة الابدية. اذ ان الكنيسة المقدسة ترتل في تسابيحها قائلةً نحو هذه السيدة هكذا „ان كل اولئك العتيدين ان يشتركوا في النعيم الابدي. هم ساكنون فيكِ ايتها القديسة والدة الاله. لانهم يحيون تحت كنف حمايتكِ" *

* نموذج *

ان كيساريوس يخبرنا (في الراس ٣ من كتابه ٧) عن توما احد الرهبان الجيسترجيسيين انهُ كان حاراً جداً في العبادة لوالدة الاله. وكان يشتهي ان تزورهُ هي مرةً ما. ولذلك كان يتوسل اليها على الدوام في ان تهبهُ هذه النعمة. فليلةً ما اذ خرج الى بستان الدير. وكان يتفرس في السماء ويتنهد بحسراتٍ قلبيةٍ متقدة بحرارة الشوق لمشاهدة سيدتهِ. واذا بهِ ينظر امرأةً منحدرةً من السما كلية الجمال متلالاةً بالضياء قد جاءت اليهِ وسالتهُ قائلةً لهُ „أتحب يا توما ان تسمع صوت ترتيلي" فاجابها „اي نعم انني لارغب ذلك" فحينئذٍ تلك البتول رتلت بنغمةٍ كلية العذوبة بعض تراتيل. ولدى سماع الراهب توما البار ذلك ظنَّ ذاتهُ انهُ في الفردوس السماوي. فلما انتهى الترتيل غابت هي عنهُ وتركت اشواقهُ متقدةً لان يعرف مَن كانت تلك الامرأة بالحقيقة. ففيما هو غائصٌ في تلك الافكار واذا ببتولةٍ اخرى ذات جمالٍ عظيم كالاولى قد جاءت امامه ونظير تلك اسمعتهُ صوت ترتيلها. فهو لعدم استطاعته ان يمسك ذاتهُ عن ان يعرف مَن كانت تلك البتول. قد سالها عن اسمها. وهي اجابتهُ قائلةً „ان

البتول التي جاءت اليك قبلي هي القديسة كاترينا. واما انا فاسمي انيسا. وكلتانا بتولان شهيدتان ليسوع المسيح. قد ارسلتنا اليك سيدتنا لكي نعزيك. فاشكر هذه الام الالهية واستعد متاهباً لاقتبال نعمة اعظم مما نلت" قالت له هذا واغربت عنه. فالراهب بقي تحت الرجا العظيم في ان يشاهد مليكته المحبوبة. ولم يخب امله. لانه بعد ذلك ببرهة قد راى اشراق ضياء عظيم ابرق واستوعب منه قلبه ابتهاجاً كلي العذوبة. واذا بوالدة الاله قد ظهرت له من باطن ذلك الضيا محاطة من اجواق من الملئكة. وهي ذات جمال فايق بما لا يحد ولا يوصف على جمال تينك البتولتين اللتين ظهرتا له قبلاً. ثم قالت له "انني قد اقتبلت منك يا عبدي وابني العزيز التعبد الذي خدمتني به. واستجبت صلواتك فانت قد اشتهيت ان تراني. وهوذا انا جئت اليك واريد ان اسمعك انا ايضاً ترتيلي" قالت هذا وبدأت ترتل. فقد كان ابتهاج قلب توما بهذا المقدار عظيماً حتى انه غاب عن حواسه. وسقط على الارض * ثم قرع ناقوس الصلوة السحرية واجتمعت الرهبان حسب عادتهم في الخورس ولم يجدوا فيها بينهم توما. فاخذوا يفتشون عليه في قلايته وفي امكنة اخر الى ان وجدوه اخيراً في البستان مطروحاً على الحضيض كمائت. فاقاموه وادخلوه داخلاً. واذ رجع الى ذاته قد حتم عليه الرئيس بامر الطاعة المقدسة بان يخبرهم بجميع ما حدث له. فحينئذٍ لاضطراره من قبل امر الطاعة قد اخبرهم بكل ما رآه وسمعه وبما انعمت عليه به هذه الام الالهية *

* صلوة *

يا سلطانة الفردوس السموي ام الحب المقدس انك اذ كنت فيها بين المخلوقات كلها انت هي المحبوبة من الله اكثر حباً. كما انك انت هي المحبة الاولى له. فارتضي بان يحبك هذا الخاطىء الحقير ايضاً الاكثر كفراناً بالجميل والاشد شقاء من جميع اهل الارض. الذي عند مشاهدته ذاته معتوقاً من الهلاك الجهنمي بواسطتك. ومن دون استحقاق منه ومنعماً عليه منك بانعامات هكذا عظيمة. فيشتعل قلبه غراماً بمحبة صلاحك وقد وضع فيك رجاه كله. فانا هو هذا الخاطىء ومن ثم احبك يا سيدتي

واتمنى ان يكون حبي اياكِ اكثر مما احبكِ بهِ القديسون الاشد غراماً بمحبتكِ. واشتهي من كل قلبي لو اكون قادراً على ان اجعل كل البشر الذين لا يعرفونكِ ان يفهموا جيداً كم انتِ مستحقة من المحبة. لكي يكرمكِ الجميع ويحبكِ الكل. بل انني ارغب ان اموت من اجل حبكِ بمحاماتي عن بتوليتكِ. وعن حال كونكِ والدة الاله حقاً وعن الحبل بكِ البري من دنس الخطية الاصلية. هذا ان كان يحتاج الامر لان اقدم حياتي لاجل المحاماة عن صفاتكِ هذه ذات الاعتبار والقيمة. فاقبلي مني يا امي العزيزة المحبوبة عواطف تعلقي القلبي بكِ. ولا تسمحي بان احد عبيدكِ الذي يحبكِ يكون عدواً لالهكِ المحبوب منكِ بهذا المقدار العظيم. فالويل لي لانني في وقتٍ ما كنت كذلك حينما اهنت سيدي. الا انني وقتئذٍ لم اكن احبكِ يا مريم وكنت اهتم قليلاً في ان اكون محبوباً منكِ. اما الان فانا لا اتمنى شيئاً بعد نعمة الله اكثر من ان احبكِ وان اكون منكِ محبوباً. ثم ولا يضعف رجائي في ذلك من قبل خطاياي الماضية. اذ انني اعلم جيداً انكِ سيدةٌ كلية الحنو والرافة. ولا تانفين من ان تحبي الاشد شقاوةً فيما بين الخطاة ايضاً الذين يحبونكِ. بل انكِ لا تدعين ان يسمو احدٌ بحبهِ على حبكِ. فانا اريد ان اتي الى الفردوس لاحبكِ هناك ايتها الملكة الجليلة. لاني حينما ابلغ الى هناك فاعرف افضل معرفةٍ كم انتِ مستحقة من المحبة وكم صنعتِ من العناية الى انكِ خلصتيني. ولهذا احبكِ هناك اشد حباً طول ازمنة الابدية من دون خوفٍ اصلاً من ان اعدم هذا الحب او انتزح عنهُ. فانا ارجو يا مريم رجاءً اكيداً ان افوز بالخلاص بواسطتكِ. ومن ثمَّ اسالكِ ان تصلي من اجلي لدى ابنكِ يسوع ولا اريد اكثر من ذلك. لانهُ يخصكِ ان تخلصيني وانتِ هي رجائي ولهذا امضي على الدوام مرتلاً. يا مريم رجائي ان خلاصي هو متعلق بكِ *



الفصل التاسع

* فيما يلاحظ هذه الكلمة وهي * .
* يا شفوقة يا راوفة *

* وفيه يُبرهن كم هي عظيمة شفقة والدة الاله ورافتها *

ان القديس برنردوس اذ يتكلم عن عظمة حنو مريم واشفاقها نحونا نحن الاشقيا البائسين. يقول „ان هذه البتول هي الارض الموعود بها من الله التي تقطر لبناً وعسلاً" ولهذا قال القديس البابا لاون الكبير „ان البتول المجيدة هي مالكة قلباً واحشاءً رحومةً شفوقةً بهذا المقدار. حتى انها ليس فقط تستحق ان تُسمَّى ام الرحمة. بل ينبغي ايضاً ان تُدعَى الرحمة بالذات" والقديس بوناونتورا اذ يلاحظ ان مريم قد أُختيرت والدةً لله لسبب شقاوة المساكين. وانها قد اُقيمت بوظيفة ان توزع المراحم على الجميع. متاملاً ايضاً في الاهتمام العظيم الذي عندها في ان تسعف البائسين كافةً. وكيف ان ذلك يجعلها غنيةً بهذا المقدار بالرافة والاشفاق. حتى انهُ يبان انها لا تشتهي شيئًا اخر سوى ان تعين المحتاجين وتسعف المعوزين وتساعد المساكين وتحسن الى البائسين. فمن ثمَّ يقول „انهُ حينما ينظر الى مريم فكانَّهُ لا يعود يشاهد في الوجود العدل الالهي. بل الرحمة الالهية فقط" *

وبالاجمال ان اشفاق والدة الاله ورافتها هي هكذا عظيمة „ حتى ان احشاءها الراوفة. كما يقول الانبا غواريكوس. لا تعرف ان تمكث برهةً ما من دون ان تفيض نحونا مجاري حنوها. وتبيح لنا اثمار اشفاقها" والقديس برنردوس يهتف قائلاً „هل يمكن ان يجري فائضاً من ينبوع الرافة شيء اخر غير الرافة" ولهذا لُقِّبت هي بالزيتونة. كما قيل عنها „انا مثل الزيتون الجميل في البقاع" (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ١٩) فكما انهُ من الزيتون لا يخرج

شيء اخر الأ الزيت (الذي هو رسم الرحمة) هكذا من يدي مريم لا يخرج شيء اخر الا النعم والمراحم" ولذلك بكل عدل (يقول المكرم لويس دابونته) يليق ان تسمى مريم "ام الزيت" اذ انها هي ام الرحمة. فاذا ما التجأنا نحن الى هذه الام طالبين منها زيت رافتها فلا نخاف او نرتاب بانها تنكره علينا. كما نكرت للخمس العذارى الحكيمات اعطاء الزيت للخمس عذاري الجاهلات قائلاتٍ لهن "لعله لا يكفي لنا ولكن" (متى ص ٢٥ ع ٩) كلاَّ. بل ان هذه السيدة هي غنيةٌ بزيت المراحم. كما ينبه القديس بوناونتورا. وكذلك تدعوها الكنيسة المقدسة "عذرا كلية الحكمة" لكي نفهم من ثمَّ (حسبما يقول اوغوت الذي من سان ڤيتّر) ان مريم هي بهذا المقدار ممتلئةٌ نعمةً واشفاقاً. حتى انها تقدر ان تسعف الجميع بسخاء رافتها من دون ان تفرغ كنوز غناها" ✿

ولكني اسال مستفهماً لماذا يقال في النص المتقدم ذكره "انا مثل الزيتونة الجميلة في البقاع" ولا تقول بالاحرى "انا مثل الزيتونة ضمن بستانٍ او كرمٍ مسيَّجٍ بالجدران ومحفوظةٌ داخل السياج" فيجيب الكردينال اوغون في تفسيره هذا النص "ان هذه الزيتونة انَّما هي في البقاع ليمكن لكل احدٍ بسهولةٍ ان يشاهدها. ومن دون مانعٍ يدنو منها ليستمد علاجاً لاحتياجاته" ويثبّت هذا التفسير الجليل القديس انطونينوس بقوله "انهُ حينما تكون زيتونةٌ ما مغروسة في الحقل خارج الحيطان والسياج. فيستطيع كل احدٍ من غير حاجزٍ ان يذهب اليها ويقطف اثمارها. ولهذا ان الجميع يقدرون ان يلتجئوا الى مريم ابراراً كانوا ام اشراراً ليستمدوا زيت رحمتها" فكم وكم من الاحكام الانتقامية المبرزة من العدل الالهي ضد الخطاة قد عرفت هذه البتول الكلية القداسة ان تنال بواسطة تضرعاتها عدم وضعها بالعمل. مخلصةً منها الاشرار الذين التجأوا اليها مستغيثين بها. ويقول توما الكامبيسي "واي ملجاً اكثر امناً نستطيع ان نجده خارجاً عن حضن مريم واحشائها المملوة رافةً. لانهُ هناك يجد الفقير اسعافهُ. والمريض علاجهُ. والحزين تعزيتهُ. والمرتاب اقناعهُ. والمشكك هدوهُ بالمشورة الصالحة. والمهمَل اعانتهُ. والمحتاج كفاءتهُ" ✿

فيا لتعاستنا لولا نكون حاصلين على ام الرحمة هذه المهتمة والمعتنية دائماً

في اسعافنا وسند عوزنا في شدائدنا وشقاوتنا * على ان الروح القدس يقول بفم ابن سيراخ (ص ٣٦ ع ٢٧) «انه حيث لا توجد الامراة ينوح التائه» فالقديس يوحنا الدمشقي يبرهن ان هذه الامراة هي مريم البتول. وحيث لا توجد هي فتنزل المصائب بجميع الضعفا لان الله اراد ان النعم كلها تتوزع بواسطة تضرعاتها لديه. فاذا نقص وجودها فلا ريب بنقص الرجا عن نوال الرحمة. كما اوحى الرب للقديسة بريجيتا بقوله" حيث لم توجد صلوات مريم بالتضرعات فلا رجاء لنوال الرحمة " ✿

ولكن هل انها نخاف من ان هذه الام الحنونة لا تنظر الى شقاوتنا ولا تتوجع لنا. كلَّا. بل انها هي تلاحظها وترثي لنا من اجلها اكثر ممَّا نحن انفسنا نلاحظها ونتوجع من جرائها. فيقول القديس انطونينوس «مَن هو ذاك الذي فيما بين القديسين كافةً يشغق ويتراف علينا ويرثي لحالتنا نظير مريم" وحسبما يورد ريكاردوس الذي من سان فيتّر بقولة «ان مريم حيثما تشاهد الشدائد. وايثما تنظر المسكنة والشقا. فلا تقدر ان تتغاضى عن اسعاف الكائنين فيها" ويثبت ذلك العلّامة ماندِرتسا مخاطباً والدة الاله هكذا «انكِ ايتها البتول المباركة توزعين بيدٍ طلقةٍ سخيةٍ مراحمكِ ايثما لاحظتِ احتياجنا اليها" فامنا هذه الصالحة لا تكف اصلاً عن ممارسة ما هو متعلق بوظيفتها في توزيع المراحم. كما تعلن هي نفسها بقولها هكذا «انني الى الدهر المزمع لا ازول. لقد خدمت امامهُ في القبة الطاهرة" (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ١٤) فيشرح هذه الكلمات الكردينال اوغون بان مريم تقول «انني الى نهاية العالم لا اهمل ابداً ان اعتني باسعاف البشر في شدائدهم. ولا اتغافل اصلاً عن التضرعات من اجل الخطاة لكي ينالوا الخلاص ناجين من الشقا الابدي " ✿

فقد كتب المورخ سفطونيوس عن الملك تيطس قيصر. انهُ بهذا المقدار كان منصباً بانعطافٍ وشوقٍ لان يمنح النعم للذين كانوا يلتمسونها منهُ. حتى انهُ كان يقول عن ذاك اليوم الذي لم يكن فيه يتقدم لديه احدٌ ما في طلب نعمةٍ من النعم «انهُ يومٌ ضائعٌ ونهارٌ فاقد الثمرة نظرًا اليَّ. لاني اصرفته من غير ان اسعف فيه احداً بنعمةٍ ما" فتيطس ربما كان يقول ذلك بروح المجد الباطل وبقصد ان يكتسب لذاته زيادة مديح

الشعوب . واعتبارهم جودة صفاته احرى ممَّا بروحٍ صادقٍ لمحبة القريب . وامَّا ملكتنا مريم فلو اتفق ان يمرَّ يومٌ ما من دون ان تُلتمَس منها نعمةٌ ما . او من غير ان تهب هي فيه رحمةً ما . فلكانت تقول ذلك لهذه العلة وحدها . وهي لكونها انَّما هي ممتلئةٌ من الحب الصادق نحو البشر . ومن الشوق الاكيد الى ان تصنع معنا الخير" بنوع انها . كما يقول برنردينوس البوسطي " توجد هي تائقةً ومتعطشة لان تهبنا النعم . افضل توقاً وتعطشاً منا نحن انفسنا لاقتبال هذه النعم . ولذلك كل مرةٍ نحن نلتجيء اليها فنجدها دائماً مملوة اليدين من المراحم ومن المواهب السخية التي تريد ان تمنحنا اها" ✩

فامنا رفقا انَّما كانت رمزاً لامنا البتول المجيدة . فرفقا حينما طلب منها غلام ابراهيم ان تسقيه قليلاً من الماء الذي كان في الجرة التي هي املأتها من العين . فاسرعت اليه ووضعت الجرة على ساعدها واسقته قائلةً له " اشرب يا سيدي" ولمَّا فرغت من سقيه قالت " استقي لجمالك ايضاً حتى تفرغ من انشرب" وهكذا افرغت الماء في السقاة واسرعت راجعةً الى البئر واستقت لجميع الجمال (سفر التكوين ص ٢٤ ع ١٨ الخ) فمن ثمَّ يلتفت القديس برنردوس الحسن التعبد لمريم البتول مخاطباً اياها هكذا " انكِ ايتها السيدة راوفةٌ واكثر سخاءً من رفقا . ولذلك انتِ لا تكتفين بان توزعي نُعَم رحمتكِ الغير المحدودة على غلمان ابراهيم فقط . المفهوم بهم عبيد الرب الامنا في خدمته تعالى . بل انكِ تهبين هذه النعم للجمال ايضًا التي هي رسمٌ للخطاة . وكما ان رفقا قد اعطت اكثر ممَّا طُلب منها . فعلى هذه الصورة انتِ تهبين اكثر من الشيء الذي يُلتمس منكِ" ثم يقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس " ان سخاء مريم يشابه سخاء ابنها الالهي الذي يعطي دائماً اكثر ممَّا يُطلَب منه . ولهذا يقول عنهُ القديس بولس الرسول " انهُ غني لكلِّ من يدعوه" (رومية ص ١٠ ع ١٢) اي هو غنيٌّ بالنعم نحو جميع الذين يلتجئون اليه بالصلوات . ولهذا يقول نحو البتول المجيدة احد العلما العبَّاد هكذا " صلي من اجلي انتِ يا سيدتي . لانكِ تطلبين لي النعم باعظم عبادةٍ ممَّا انا اعرف ان اطلب . وانتِ تنالين من الله نعماً ومواهب اعظم واوفر من تلك التي انا استطيع ان التمسها" ✩

. فالقديسان الرسولان يعقوب ويوحنا عندما شاهدا ان السامريين لم يريدوا ان
يقبلوا يسوع عندهم. قالا « يارب أتريد ان نطلب فتنحدر نارٌ من السماء
وتفنيهم. فالتفت هو وزجرهما قائلاً لستما تعرفان من اي روحٍ انتما » (لوقا
ص ٩ ع ٥٢ الخ) فكأنهُ تعالى يقول لهما « انني بهذا المقدار انا رحومٌ رؤوفٌ
شفوقٌ عذبٌ حتى اني نزلت من السما لكي اخلّص الخطاة لا لكي اعاقبهم.
وانتما تريدان ان تشاهداهم هالكين. فماذا تقولان عن نارٍ وعن انتقامٍ.
اسكتا ولا تتكلما بعدُ في امر عقابٍ وقصاصٍ لان هذا ليس هو روحي »
فمن حيث ان روح مريم العذرا بجملته هو شبيهٌ بروح ابنها فلا نقدر ان
نرتاب في انها هي بكليتها متعطشةٌ بانعطافٍ لان تصنع الرحمة. لانها (كما
اوحت للقديسة بريجيتا) قد دُعيت ام الرحمة. بل ان رحمة الله عينها
قد صيّرتها هكذا شفوقةً حنونةً عطوفةً حلوةً رؤوفةً نحو الجميع. ولذلك قد
شاهدها القديس يوحنا في جليانه ملتحفةً بالشمس. كما يقول في سفر
الابوكاليبسي (ص ١٢ ع ١) « وظهرت ايةٌ عظيمةٌ في السما امرأةٌ ملتحفةٌ
بالشمس » ففيما يلاحظ هذه الكلمات يخاطب القديس برنردوس والدة الاله
قائلاً « انكِ ايتها السيدة قد البستِ الشمس اي كلمة الله جسداً بشرياً.
الّا انهُ تعالى قد البسكِ هو رحمتهُ واقتدارهُ » ✡

فبهذا المقدار اذاً هي حنونةٌ متعطفةٌ شفوقةٌ هذه الملكة (يقول القديس
برنردوس عينهُ) حتى انها حينما ترى احد الخطاة. مهما كان. ملتجئاً اليها
ومستغيثاً برحمتها. فلا تتوقف هي فاحصةً عن استحقاقاته او عدمها. اي
ان كان يستاهل ان يستجاب مطلوبهُ ام لا. بل انها تستجيب الجميع
وتقبل طلباتهم من دون استثناء » ولاجل ذلك يلاحظ مبرهناً القديس
ايدالبارتوس بقوله « ان مريم قد دُعيت « جميلةً مثل القمر » (نشيد ص
٦ ع ٩) على انه كما ان القمر لاجل قربه من كرة الارض ينير اولئك
السكان في قطب الارض السفلي الذين لا تظهر لهم الشمس الا ازمنةً
قليلةً في دوران السنة. فهكذا مريم تسعف الخطاة الاكثر شقاءً والاشد احتياجاً
والمعدومين من الاستحقاقات بالكلية. ثم ان القمر وان كان يتخذ نورهُ من
الشمس فمع ذلك تكمل مفعولاتهُ باكثر سرعةٍ من الشمس. لان الشيء
الذي تعملهُ الشمس في مدة سنةٍ يعمله القمر في مدة شهرٍ (كما يقول

المعلم يوحنا ديميناني في تكلمه عن الفلك في الراس ٣ من الكتاب ١) ومن ثم يورد القديس انسلموس «باننا بعض الاحيان نستمد النجدة بواسطة استغاثتنا بمريم باكثر سرعةٍ مما نستمدها باستغاثتنا بيسوع» ولهذا يحرضنا اوغون الذي من سان فيتّر «على انهُ اذا اتفق لنا ان كثرة خطايانا تسبب لنا الخوف من ان ندنو من الله ملتجئين اليه. لانهُ تعالى ذو عزةٍ غير متناهيةٍ قد أُهينت منا بافعال الاثام. فلا ينبغي لنا حينئذٍ ان نتوقف عن ان نبادر بالاستغاثة نحو مريم. لاننا لا يمكن ان نجد فيها شيئًا ما يخيفنا. لانهُ اي نعم انها هي كلية القداسة وبريئةٌ من العيب سلطانة العالم. وهي نفسها والدة الاله عظيمة الجلالة. الا انها هي من لحمنا ودمنا وهي ابنة ادم نظيرنا» ✡

وبالاجمال يقول القديس برنردوس «ان كل شيء يختص بمريم. هو مملوٌّ من النعم والمراحم. لانها هي بحسب كونها ام الرافة. قد صيّرت ذاتها كلاً للكل. ولاجل حبها الشديد نحو الجميع. فقد اقتبلت ان تدير مديونةً للابرار والاشرار معاً بصنايع الرحمة معهم. ولهذا هي تفتح للكل احضان رحمتها حتى يتمتع بذلك الجميع» وكما ان الشيطان. كقول القديس بطرس الرسول «يجول حول البشر كالاسد الزائر يلتمس من يبتلعه» (بطرس اولى ص ٥ ع ٨) فهكذا بالضد مريم تجول مفتشةً من دون انقطاعٍ على انه تعطي الحيوة والخلاص لمن تقدر هي ان تصنع معهُ ذلك. حسبما يورد ريكاردوس البوسطي ✡

ثم يلزمنا ان نعرف جيداً ان اقتدار والدة الاله في المحاماة عنا. هو اعظم جداً مما نستطيع نحن ان ندركه بعقولنا. كما يقول القديس جرمانوس فمولف الكتاب المدعو بوماريوس يسال كمستفهم. كيف ان ذاك الرب الذي كان في الناموس القديم بهذا المقدار صارماً في اجراء القصاصات والعقابات عاجلاً. فالان هو تعالى عينهُ يستعمل المراحم مع الاثمة الاكثر خطاءً من اولئك القدماء. ثم يجيب هو نفسهُ عن ذلك قائلاً «ان الله يفعل الان هذه المراحم كلها حباً بمريم وتكريماً لاستحقاقاتها» والقديس فولجانسيوس يقول «انهُ لقد كان العالم من دون ريب خرب. لو لم تعضده مريم بقوة شفاعاتها» الا اذا نقدر ان نذهب مطمأنين امام الله (يتبع القول القديس

ارنولدوس كارنوتنسه) وان نترجّى نوال كل خير. اذ اننا حاصلون على الابن الالهي وسيطاً لنا لدى ابيه الازلي. وعلى الام الالهية وسيطةً لنا لدى هذا الابن انسرمدي. فكيف يمكن ان الاب لا يستمع طلبات الابن الذي يظهر لديه الجراحات التي أُلّم بها من اجل خلاص الخطاة. وكيف هو من المحتمل ان الابن لا يستجيب تضرعات الام عند ما تظهر هي لديه ثدييها اللذين اغذتاه بهما" اما القديس بطرس الذهبي النطق فيورد عبارةً جليلةً بقوله عن العذرا المجيدة هكذا „ لان هذه الآمة البتول قد اسكنت الله في احشائها الفايقة الطهر. فلذلك هي تطلب منه عزّ وجلّ بمنزلة اجرةٍ عن سكناه فيها. السلام للعالم والخلاص للخطاة الويسين والحيوة للموتى" ☆

فكم هو عظيم" عدد اولئك الذين استحقوا ان يحكم عليهم العدل الالهي بالهلاك ومع ذلك قد فازوا اخيرًا بالخلاص بواسطة مراحم مريم العذرآء. لانها انما هي كنز الله وخازنة جميع النعم ومن ثمّ ان خلاصنا متعلقٌ عليها وكائن بين يديها „ فلنبادر اذاً دائماً الى ام الرافة هذه ونترجى خلاصنا بكل تاكيدٍ بواسطة شفاعاتها. اذ انها (كما يشجعنا على الثقة بها برنردينوس البوسطي) هي خلاصنا وحياتنا ورجانا ومشيرتنا وملجانا ومعونتنا" ويقول القديس انطونينوس „ ان مريم هي ذات العرش. اي عرش النعمة الذي يحضنا الرسول الالهي على ان نتقدم اليه بثقةٍ لنستمد الرحمة الالهية. مع كل المعونات الضرورية لخلاصنا. كما يقول في رسالته الى العبرانيين (ص ٤ ع ١٦) هكذا „ فلنتقدم بدالةٍ الى عرش النعمة لناخذ نعمةً ونجد رحمةً للاغاثة في اوانها" ولهذا القديسة كاترينا السيانية تسمي والدة الاله „ موزّعة المراحم الالهية" ☆

فلنختتم القول اذًا بتلك الكلمات العذوبة المملوة حلاوةً التي يخاطب بها القديس برنردوس هذي الام الراوفة هاتفاً „ انك يا مريم انتِ حليمةٌ نحو الاشقيا. راوفةٌ نحو المستغيثين بكِ. عذبةٌ حلوةٌ مع محبيكِ. شفوقةٌ مع التائبين. حنونةٌ مع الساعين في نجاحهم. لطيفةٌ مع الكاملين. فانتِ توضحين ذاتكِ راوفةً باستنقاذكِ ايانا من العقابات. وشفوقةً بتوزيعكِ علينا النعم. وحلوةً لذيذةً بايهابكِ ذاتكِ لكل مَن يطلبكِ" ☆

* نموذج *

ان الاب كارلوس بوفيوس يخبر بانهُ كان في مدينة دومانس من مملكة فرنسا رجل. فمع كونهِ مقترنًا بسر الزواج كان مع ذلك معاشراً احدى النسا عشرةً دنسةً. فامراتهُ العارفة بذلك اذ لم يمكنها احتمال هذا الامر فلم تكن تصنع شيئًا اخر سوى ان تطلب لهما من الله القصاصات المريعة. لا سيما انها ذهبت يوماً ما الى احدى الكنائس وامتثلت امام هيكل والدة الاله. ملتمسةً منها اجراء صرامة العدل ضد تلك الامراة الاثيمة المانعة عنها رجلها. غير ان الامراة الخاطئة عينها كانت من عادتها ان تذهب يومياً الى تلك الكنيسة. وتصلي امام ايقونة والدة الاله نفسها السلام الملكي * فليلةً ما قد ظهرت في الحلم هذه الام الراوفة لامراة الرجل الموصى اليه. التي حالما راتها شرعت مثل عادتها تطلب القصاصات قائلةً „اصنعي العدل يا والدة الاله انصفي بالقسط للمظلومة" الاَّ ان العذرآء المجيدة اجابتها بقولها „انكِ تطلبين مني اجرآ العدل بصرامةٍ فذلك غلط منكِ. لانكِ ان اردتِ ذلك فاذهبي الى غيري فيصنعونهُ لكِ. فانا لا استطيع ان اتمم مرغوبكِ" ثم قالت لها „اعلمي ان تلك الامراة الخاطئة عينها تتلو امامي كل يومٍ ذاك السلام الذي مَن يكرّمني بتلاوته. فمهما كان هو. انا لا احتمل ان اراهُ مصاباً بعقابٍ ما. ولا ساقطاً في القصاصات لاجل خطاياه" فلما اصبح النهار نهضت هذه الامراة ومضت الى تلك الكنيسة فحضرت انقداس. ثم وفيما هي خارجةٌ من الكنيسة صادفت الامراة الخاطئة داخلةً اليها. واذ نظرتها شرعت تشتمها وتقول عنها انها هي ساحرةٌ قويةٌ في هذه الصنعة. حتى انها اتصلت الى ان تسحر مريم العذرا وتجعلها محاميةً عنها. فالناس الذين سمعوها تتكلم هكذا نهروها قائلين „اسكتي ماذا تقولين" اماَّ هي فاجابتهم بقولها „كيف اريد ان اسكت عن ان اقول ما هو حقيقي جداً. لان مريم العذرا قد ظهرت لي في هذه الليلة * واذ طلبت منها ان تنصفني بالعدل من هذه الامراة الفاجرة. فاجابتني بانها لا تقدر ان تصنع لي ذلك. من كون هذه الامراة الشريرة تتلو امامها كل يومٍ سلاماً ما يجعلها غير مستطيعةٍ ان تعاقبها" فالناس حينئذٍ سالوا تلك الخاطئة ما هو

السلام الذي كانت هي تتلوه امام ايقونة العذرا. فقالت لهم انهُ هو السلام الملكي. غير انها اي الامراة الخاطئة عند ما سمعت وتحققت ان البتول القديسة لاجل هذه العبادة الجزئية التي كانت تقدمها لها. قد صنعت معها هذا السخا بحفظها اياها من العقاب الذي استحقته خطاياها. فدخلت الكنيسة وانطرحت امام ايقونتها المقدسة طالبةً من الشعب الغفران عن الشكوك التي سببتها لهم. ونذرت ان تحفظ العفة الدائمة. ثم بعد ذلك خلعت عنها الاثواب العالمية. وتردت بالثوب الرهباني وعمرت لها قلايةً بالقرب من تلك الكنيسة. حيث صرفت الزمن الذي بقي لها من العمر بافعال الاماتات والتقشفات والتوبة الصارمة الى ان فارقت هذه الحيوة ☆

☆ صلوة ☆

يا أم الرحمة انه من كونكِ بهذا المقدار راوفة وذات اشتياقٍ لان تصنعي الخير معنا نحن الاذلآء الاشقيا. ولان تتممي مرغوباتنا التي نطلبها منكِ. فانا الذي هو الاشقى فيما بين البشر اجمعين التجيء اليكِ مستغيثًا برافتكِ لكي تهبيني ما التمسهُ منكِ. فلتستمد الناس من رحمتكِ من الامور الزمنية والارباح الارضية ما رغبوا. امّا انا فآتي اليكِ ايتها السيدة طالباً تلك الاشيا التي انتِ نفسكِ ترغبينها لي اكثر مني. وهي بكليتها مطابقةٌ لمشية قلبكِ الكلية قدُسته فانتِ كنتِ على الارض متواضعةً هكذا. فاستمدي لي اذًا فضيلة التواضع ومحبة الاحتقار. انتِ كنتِ بهذا المقدار صبورةً على احتمال شدائد هذه الحيوة. فالتمسي لي فضيلة الصبر لاحتمل كل شيء مضادٍ. انتِ وُجدتِ ممتلئةً حبًا متقدًا نحو الله. فاكتسبي لي موهبة الحب المقدس النقي. انتِ صودفتِ موعبةً محبةً نحو القريب فاطلبي لي فضيلة الحب نحو الجميع. لا سيما نحو اولئك الذين يبغضوني ويضادوني. انتِ كنتِ جزيلة التسليم لارادة الله. فاستمدي لي حسن الخضوع التام والتسليم العام لكل ما يريد الله ان يفتقدني بهِ. انتِ بالاجمال هي الاكثر قداسةً فيما بين جميع المخلوقات يا مريم المجيدة. فصيّريني قديساً. لانهُ لا ينقصكِ حبٌ وكل شيء لديكِ هو ممكنٌ وانتِ ترغبين ان تكتسبي لي كل شيء يوافق خلاصي. الّا ان شيئًا واحداً يمكن ان يوجد

مانعاً عني نوال مسألتي وجو. اما التهاون في الالتجاء المتصل اليك. واما ضعف الرجا في حنوك ومقدرة شفاعاتك. غير ان هذا الالتجاء الدائم اليك وهذا الرجا الوطيد فيك يلزم ان تستمديهما لي انت نفسك من ابنك. فمنك التمس اذاً هاتين النعمتين العظيمتين واريدهما حقاً واطلبهما بشفقة يا مريم امي ورجائي وحبي وحياتي وملجاي وتعزيتي آمين *

الفصل العاشر

* فيما يلاحظ هذه الكلمات وهي *
* يا مريم الحلوة اللذيذة *

* وفيه يبرهن كم هو عذب اسم مريم *
* في مدة الحيوة وفي ساعة الموت *

ان الاسم العظيم الذي خصصت به والدة الاله اي مريم لم يخترع من احد في الارض. ولا ابدعه عقل انساني. حسبما حدث ويحدث في اختراع الاسما الاخر المستعملة من البشر. بل ان هذا الاسم قد جاء ورسم بامر الهي خاص. كما يشهد القديسون ايرونيموس وابيفانيوس وانطونينوس وغيرهم كثيرون. ثم ان ريكاردوس الذي من سان لورانسوس يقول « ان اسمك يا مريم الجليل المحبوب قد خرج من كنز اللاهوت الى خارج. لان الثالوث الاقدس بجملته قد اعطاك هذا الاسم. الذي بعد اسم ابنك الالهي يسمو متراساً على الاسما كلها. وزينه بغنى الجلالة والاقتدار. مريداً ان يكرمه الجميع منحنين عند التلفظ به السماويون والارضيون حتى الجحيم نفسه » ولكن من جملة الاشيا الجليلة التي بها زين الرب اسم مريم هو العذوبة الكلية الحلاوة. التي بها يشعر عباد هذه السيدة عند تلفظهم به في مدة حياتهم وساعة موتهم كما ياتي الشرح *

فنظراً الى عذوبة هذا الاسم عند المتعبدين لمريم في مدة حياتهم يقول القديس انوريوس السائح „ ان اسم مريم هو مملوٌ من العذوبة الالهية ” بنوع ان القديس انطونيوس البدواني المجيد يتحقق في اسم مريم العذوبة نفسها. التي يلاحظها القديس برنردوس في اسم يسوع. لان هذا القديس اي برنردوس يقول عن اسم يسوع „ انه هو ابتهاج للقلب وشهد عسل للفم وعذب الصوت للاذن ” وهذا عينهُ يقولهُ القديس انطونيوس البدواني عن اسم مريم * فقد ذُكر في سيرة حيوة الطوباوي الاب يوفيناله الجيا اسقف سالوتسو. انهُ حينما يسمي مريم. كان يشعر بحلاوةٍ حسيةٍ بهذا المقدار عظيمةٍ حتى انهُ كان يمص شفتيه كمدهونتين بالشهد * ويُقرأ ايضاً عن امراةٍ في بلاد كولونيا انها قالت يوماً ما للاسقف مرسيليوس. انها كل مرةٍ كانت تلفظ اسم مريم فكانت تستطعم في فمها بحلاوةٍ أكثر من العسل. واذ بدأ الاسقف المذكور ان يتلفظ بهذا الاسم فهو نفسهُ صار يشعر بتلك الحلاوة * ثم انهُ قد يُستدل من كلمات سفر النشيد الاتي ايرادها. ان الملئكة عند صعود والدة الاله الى السما. قد سالوا ثلث مراتٍ عن اسمها بقولهم „ مَن هذي الصاعدة من القفر كانها عمود بخورٍ ” (ص ٣ ع ٦) „ ومَن هذه المشرفة كمطلع الصبح ” (ص ٦ ع ٩) „ ومَن هذي الصاعدة من البرية مدللةً مستندة على حبيبها ” (ص ٨ ع ٥) فهنا يستفهم ريكاردوس الذي من سان لورانسوس بقوله „ لماذا الملئكة يسالون مراتٍ مترادفةً عن اسم هذه السيدة والسلطانة المجيدة مع كونه معروفاً منهم ” ثم يجيب هو نفسهُ عن ذلك قائلاً „ ان اسم مريم هو مملوٌ من العذوبة والحلاوة لدى الملئكة انفسهم. حتى انهم كرروا السوال متواتراً ليسمعوا بالجواب ذكر اسمها ملفوظاً بهِ على سماعهم ” *

ولكن انا لا اتكلم هنا عن الحلاوة الحسية المختصة بهذا الاسم المجيد. لان هذه العذوبة الحسية لا تُعطَى عموماً للجميع. بل انكلم عن الحلاوة الخلاصية المسببة الطمانينة والشجاعة والقوة. التي بوجه العموم يهبها اسم مريم لاولئك الذين يتلفظون بهِ بروح الديانة وحسن العبادة. فاذ يتكلم عن ذلك الانبا نرافكونه يقول „ انهُ بعد اسم يسوع المقدس فاسم مريم هو غنيٌ بالخيرات بهذا المقدار. حتى انهُ في السما وعلى الارض لا يدوي اسمٌ اخر سواهُ. منهُ تحصل انفس العباد على نعمةٍ ودالةٍ ورجاءٍ وطمانينةٍ وافرةٍ. لان اسم مريم

يحوي ضمنهُ نوعًا من الجاذبيــة للحب . ومن الحلاوة المنعشــة الفواد . ومن موضوعاتٍ الهيبــةِ . حتى انــهُ حينما تشعر بــهِ قلوب محبيها يحرك فيهم عطرًا زكي العرف عذب النشر . واما الامر العجيب المختص بهذا الاسم العظيم فهو انه اذا ما سُمع ملفوظاً مراتٍ لا تُحصى من محبي هذه السيدة الشريفــة . فدائمًا هم يصغون لسماعه كأنَّهُ جديدٌ . اذ انهم يشعرون بالعذوبــة عينها كل مرةٍ يسمعون نغمــة التلفظ بهِ * والطوباوي انريكوس صوزونه ايضاً بتكلمه عن هذه العذوبة يقول « انهُ عند سماعه تسميــة مريم . كان يشعر بذاتــه متوطداً في الرجا بهذا المقدار . حتى انــهُ فيها بين الابتهاج القلبي وحرارة الحب مع الدموع الهاطلة من عينيه حين تلفظه بهذا الاسم المجيد المحبوب . كان يشتهي ان قلبهُ يخرج من مركزه الى فمه . لان اسم مريم الكلي الحلاوة كان نضير شهد العسل ينحل في اقصى جوارح نفسه . ولذلك يهتف نحو والدة الالــه صارخاً « يا لــهُ من اسمٍ كلي القداسـة . فترى ماذا تكونين انتِ يا مريم في ذاتكِ ان كان اسمكِ وحـده هو هكذا موضوعٌ للحب والانعطاف القلبي وملآن من النعم » ✿

ومن ثمَّ يلتفت القـديس برنردوس نحو امــه المغرم بمحبتها قائـلاً لها « يا مريم البتول الكلية القداسة . يا عظيمةً يا رأوفةً يا مستحقةً كل التسابيح وسائر التقريظات ومجموع المدائح ان اسمكِ هو عذبٌ حلوٌ محبوبٌ بنوعٍ هذا حدهُ . حتى انهُ لا يمكن ان يُلفظ بهِ من احدٍ من دون ان يشتعل في قلبــه لهيب نار الحب نحو اللــه ونحوكِ . بل باكثر من ذلك ان استحضارِ اسمكِ بعقل احد محبيكِ كافٍ لان يضرم فيهِ زيادة المحبـة لكِ والتعزية لهُ » ويقول ريكاردوس الذي من سان لورانسوس « انهُ ان كان المال يعـزي الفقرا لانــهُ يزيح عنهم شقاهم . فكم بابلغ من ذلـك يعزينا نحن البائسين اسمـكِ يا مريم . اذ انــهُ افضل جداً من خيرات الارض ينعش قلوبنا ويزيل شدائدنا ويخفف عنا ثقل مشقات هذه الحيوة » ✿

وبالاجمال ان اسمكِ يا والدة الاله موعبٌ بجملتــه من النعم والبركات الالهية . حسبما يخاطبكِ القديس متوديوس . بنوع انــهُ . حسب شهادة القديس بوناونتورا « لا يستطيع ان يُلفظ اسمكِ من احدٍ بالعبادة الواجبة من غير ان يجلب لــهُ نعمــةً ما » ويقول ايديوطا « فليؤتَ بانسانٍ ممن

تصلبت قلوبهم كالجلمود. وممن قد آيسوا من الرجا. فاذا كان هذا الانسان يسميكِ ايتها البتول الكلية الرأفة. فاسمكِ هو ذو قوةٍ تستطيع ان تلين صلابة ذاك القلب. لانكِ انتِ هي تلك التي تشجعين الخطاة على الثقة. وتنعشين في قلوبهم الرجا الوطيد بنوال الغفران واكتساب النعمة" ثم ان القديس امبروسيوس يهتف قائلاً "ان اسمكِ الكلية حلاوته يا مريم هو مسحةٌ ذات عرفٍ زكيٍّ يجلب نشر رائحة النعمة الالهية" ولذلك يتضرع هذا القديس نحو الام الالهية قائلاً "فلتنحدر اذاً الى انفسنا هذه المسحة الخلاصية" اي كانه يقول هكذا "ايتها السيدة صيّرينا ان نتذكر مراتٍ مترادفة في ان نلفظ اسمكِ بحبٍ ودالة. من حيث ان تسميتكِ على هذه الصورة هي علامةٌ توضح امّا اننا ممتلكون نعمة الله. وامّا اننا من دون ابطاء نكتسبها ثانيةً بعد فقدها. ولذلك يكون ذكر اسمكِ عربوناً لنا في اكتسابنا اياها" ✡

امّا لاندولفوس الذي من ساصونيا فيقول "ان ذكر اسمكِ يا مريم يعزي المحزونين. ويرد الى السلوك في محجة الخلاص الامينة اولئك الذين خرجوا عنها تائهين. ويشجع الخطاة لكيلا يهملوا ذواتهم ان يسقطوا في خطية قطع الرجاء من الخلاص" وقال الاب بالبارتوس "انه كما ان يسوع المسيح قد اشفى العالم كله من شروره ودناره بواسطة الخمس الجراحات التي احتملها بجسده المقدس. فهكذا مريم بواسطة اسمها المثلثة تداسته المركّب من خمسة احرفٍ (كما هو باليوناني واللاتيني) تجلب يومياً الغفران للخطاة عن مآثمهم" ✡

ومن ثمَّ قد شبّه اسم مريم المقدس في سفر النشيد بالزيت اذ يقال "ان اسمكِ دهنٌ مهراق لهذا احبتكِ العذارى" (ص ١ ع ٢) فيفسر هذا النص الطوباوي الانوس "بانهُ كما ان الدهن يشفي السقما. ويبعث رائحةً زكيةً. ويضرم اللهيب. فكذلك اسم مريم يشفي الخطاة من اسقامهم الروحية. وينعش القلوب. ويضرم فيها نار الحب الالهي" ولهذا يحرّض ريكاردوس الذي من سان لورانسوس الخطاة. مشجعاً اياهم على ان يبادروا الى الاستغاثة بهذا الاسم العظيم. لان بهِ كفاءةً لان يبرئهم من جميع شرورهم. اذ انهُ لا يوجد مرضٌ بهذا المقدار عضالٌ حتى انه لا يُشفَى من قوة اسم مريم المجيد" ✡

وبضد ذلك. كما يبرهن توما الكامبيسي «ان الشياطين يخافون مرتعدين من سلطانة السما بنوعٍ هذه صفته'. حتى انهم بمجرد ذكر اسمها العظيم يهربون من امام ذاك الذي يلفظه' بفمه كالهرب من لهيب نارٍ متاججة» ثم. ان البتول المجيدة هي عينها اوحت للقديسة بريجيتا «بانه' لا يوجد في هذا العالم خاطىء ما بارد القلب بالكلية من محبة الله. ويستغيث باسمها مع قصده على الرجوع الى الله بالتوبة من دون ان يبتعد عنه' الشيطان حالاً» كما انها اثبتت ذلك مرةً اخرى بقولها للقديسة المذكورة «ان الشياطين جميعاً يهابون اسمها ويخافونه ويحترمونه بنوع انهم حالما يستمعونه ملفوظاً فيهملون تلك النفس التي قد قيدوها بمخالبهم ويهربون عنها» ❊

وكما ان الملئكة الاشرار يبتعدون عن الخطاة الذين يستغيثون باسم مريم. فهكذا بالعكس يقترب الملئكة الابرار بابلغ نوعٍ نحو انفس اولئك الذين يستدعون لمعونتهم هذا الاسم بعبادةٍ. كقول والدة الاله عينها بالوحي للقديسة بريجيتا (حسبما هو مدون عند ديونيسيوس كارتوزيانوس) ويشهد القديس جرمانوس «بانه' نظير ما ان التنفس هو علامة وجود الحيوة. فكذلك تكرار اسم مريم مراتٍ مترادفةً هو علامةٌ تشير امّا الى ان النفس حيةٌ بالنعمة الالهية. واما انها من غير تاخيرٍ تحيَ ثانيةً باكتساب نعمة التقديس. لان هذا الاسم المقتدر له' قوةٌ على ان يستمد المعونة والحيوة لمن يستغيث بهِ بحسن العبادة» وبالاجمال ان هذا الاسم العجيب هو نظير البرج الشاهق الحصين الذي اذ يحتمي فيه الخاطىء ينجو من الموت. من حيث ان هذا البرج السماوي المنيع يحمي الخطاة بامنٍ ويخلصهم وان كانوا من المؤيسين» (هذا ما يقوله' ريكاردوس الذي من سان لورانسوس) ❊

ثم ان هذا البرج الحصين ليس فقط ينجّي الخطاة من ان يحل بهم العقاب. بل ايضاً يحمي ضمنه' الابرار من وثبات الجحيم. كما يورد ريكاردوس عينه' مبرهناً «بانه' بعد اسم يسوع لا يوجد اسمٌ اخر يحوى المعونات القوية. ويجلب للبشر الاشفية العجيبة بمقدار ما هو اسم مريم المجيد» لا سيما لانه' امرٌ معروفٌ عند الجميع كما يختبر يومياً عباد مريمٍ بان اسمها يمنح قوةً عظيمةً للانتصار على التجارب المضادة للعفة. ومن ثم يتفلسف العلم

المذكور عينهُ عند تفسيره هذه الكلمات المدونة من القديس لوقا الانجيلي (ص ١ ع ٢٧) وهي „واسم العذرا مريم" اذ يقول „ان هاتين اللفظتين اي عذرا ومريم الوردتين من الانجيلي ومتحدتين معًا من دون افتراق بينهما. توضحان لنا هذا الامر وهو ان اسم هذه البتول الكلية الطهارة لا ينبغي ان يكون منفصلاً اصلاً عن العفة" ولذلك يقول القديس بطرس الذهبي نطقه „ان اسم مريم هو دليل الطهارة والعفة" فيعني بهذا ان ذلك المسيحي الذي يكون يجرب بافكارٍ ضد العفة وارتاب هل قد قبلها او استلذ بها ام لا. فان كان يعرف ذاته انهُ حين التجربة ذكر اسم مريم مستغيثًا بمعونتها فهذا هو دليلٌ اكيدٌ على انهُ لم يتدنس بزلةٍ ضد العفة في تلك التجربة ✿

فلاجل ذلك ينبغي لنا ان نتمسك بمشورة القديس برنردوس القائل „افتكر يا هذا في مريم. واستغث بها في حين الاخطار والشدائد والارتيابات. ولا تبعدنَّ مريم لا عن فمك ولا عن قلبك" وكان هذا القديس يقول „فلنفتكر في مريم حين حصولنا في اي خطرٍ كان من شانه ان يورّطنا في خسران النعمة الالهية. ولنستغث باسمها جملةً مع استغاثتنا باسم يسوع. لان هذين الاسمين هما دائمًا متحدان معًا. وليستمرا باتصالٍ في قلوبنا وفي افواهنا من دون ان يفارقانا زمنًا مستطيلاً. لان لهذين الاسمين الكلية قداستهما قوةً عظيمةً لان يحفظانّا من السقوط بالخطية. ولان يجعلانّا ظافرين بكل التجارب" فالنعم الموعود بها من يسوع المسيح لاولئك الذين يكرمون اسم مريم هي جليلةٌ ساميةٌ. لانهُ اذ كان تعالى نفسهُ يتكلم مع والدته المجيدة قد صيّر القديسة بريجيتا ان تفهم حسنًا في الوحي. ان كل مَن استغاث باسم مريم بثقةٍ ورجاءٍ وبعزمٍ على اصلاح سيرته. فيفوز بثلث نِعم خصوصية وهي التوجع الكامل على خطاياه. والوفا عنها. ثم التقوية المبلّغة الى الكمال المسيحي. وينال اخيرًا السعادة الابدية. لانهُ يضيف الى هذا المخلص نفسهُ في الوحي بقوله „ان كلماتكِ يا امي هي عزيزةٌ لديَّ ومحبوبةٌ مني جداً حتى اني لا اقدر ان انكر عليكِ ايهاب شيءٍ مماَّ تطلبينه" اما القديس افرام السرياني فقد اتصل الى ان يقول „ان اسم مريم هو مفتاح باب السما لذاك الذي يتلفظ بهِ بحسن عبادةٍ" ولهذا بالصواب يلقب القديس بوناونتورا مريم البتول „ بانها خلاص المستغيثين باسمها

اجمعين" كانَّ مجرد الاستغاثـة بهذا الاسم المجيد يستمد لهم نوال الخلاص الابدي. كما ان العلاَّمة ايديوطا يثبّت „ان الاستغاثـة باسم مريم المقدس تقود الى اكتساب نعمةٍ فايقةٍ في السخا والفاعليـة في هذه الحيوة. والى نوال مجدٍ سامٍ في الدهر العتيد" ☆

واما توما الكامبيسي فيختتم كلامهُ في هذا المعنى قائلاً „فان كنتم يا اخوتي ترغبون اذاً ان تصادفوا التعزية في اية شدةٍ وتجربةٍ تصيبكم. فبادروا بالالتجاء الى مريم البتـول. واستغيثوا باسمها وكرّموها وسلموا ذواتكم لعنايتها. فافرحوا مع مريم. وابكـوا معها. وامشوا برفقتها. ومعها فتشوا على يسـوع. واخيرًا اهتموا في ان تعيشوا مع يسوع ومريم جملـةً. وفي ان تموتوا بين ايديهما. فاذا فعلتم ذلك فـلا ريب في انكم تتقدمون دائماً ناجحين في طريق الرب. لان مريم بكل طيبة خاطرٍ تتوسل من اجلكم لدى ابنها الالهي الذي خلواً من اشكالٍ يستجيب طلبات هذه الام المجيدة" ☆

فاذاً عذبٌ هو جـداً في هذه الحيـوة وكلي الحلاوة في قلوب عبيد مريم وفي افواههم ذكر اسمها المقـدس. لاجل النعم الغزيرة التي تكسّبهم اياها استغاثتهم بهِ حسبما لاحظنا انفاً. ولكن هذا الاسم يعود لديهم اكثر عذوبةً وحلاوةً عند ساعة موتهم. لاجل فوزهم بميتةٍ مقدسـةٍ مملوةٍ من التعزية باستغاثتهم حينئذٍ بهِ * فالاب سارتوريوس كابوتوس اليسوعي يحرّض جميع اولئك الذين يوجدون حاضرين عند المدنفين من الموت. على ان يذكّروهم باسم مريم مستدعينـهُ بافواههم مراتٍ مترادفـة. ويبرهن هذا الاب بان اسم الحيوة هذا الموعب من الرجا. بمجرد التلفظ بـهِ ساعـة الموت يكفي لان يبدد الاعدا الجهنميين. ولان يشجع النزعين ويعينهم في جميع شدائدهم الاخيرة * وكذلك القـديس كاميلـوس دالاليس قد اوصى رهبانـه بتحريض كلي في انهم حين مساعـدتهم المنازعين يذكرونهم مراتٍ كثيرة باسم يسـوع واسم مريم. حسبما هو نفسـهُ قـد استعمل ذلـك دائماً معهم واخيراً بكل حلاوةٍ وعذوبةٍ استخدمـهُ في ذاتـه ساعة انتقالـه من هذه الحيوة. اذ انـه (بموجب ما هو مدون في سيرة حياتـه) كان في تلك الساعات الاخيرة يتلفظ بهذين الاسمين المحبوبين منهُ في الغايـة بخشوعٍ هذا حدهُ. حتى ان السامعين كانوا يلتهبون حبًا نحوهما. وبعد ذلك اذ كانت عيناهُ محدقتين

بايقونتهما المقدسة والصليب في يده. قد اغرب نظرهُ مغلقاً اياهُ ورقد مائتاً كنائمٍ ببهجةٍ وتعزيةٍ لا يمكن وصفهما بكفايةٍ. هذا بعد ان كانت كلماتهُ الاخيرة التي اغلق شفتيه بها. كلمات الاستغاثة بهذين الاسمين المجيدين يسوع ومريم الكلية حلاوتهما * ثم يقول توما الكامبيسي «ان هذه الصلوة الوجيزة المتضمنة كلمتين فقط وهما «يسوع ومريم» فبمقدار ما هي سهلة الحفظ غيباً. فباكثر من ذلك هي حلوة في تاملها وعذبةٌ في تلفظها وقادرة معاً لان تحمي المستغيث بها من هجمات اعدا خلاصنا» *

امّا القديس بوناونتورا فيقول «مغبوطٌ هو ذاك الذي يحب اسمكِ الحلو حلاوةً يا مريم والدة الاله. لان اسمكِ هو هكذا مجيدٌ وعجيبٌ حتى ان كل اولئك الذين يستدعونهُ ذاكرينهُ بافواههم استغاثةً بهِ عند ساعة موتهم. فلا يعود يلم بهم خوفٌ ما من هجمات الاعدا كافةً» *

فيا لسعادة مَن يحصل على الحظ الطوباوي في ان يموت نظير ما رقد بالرب الاب فولجانسيوس الراهب الكبوشي الذي من اسكولي. لانهُ قد مات وهو يرتل هذه الكلمات بابتهاجٍ هاتفاً «يا مريم يا مريم يا مَن هي اعظم جمالاً يفهمْ. اريدُ الذهابَ معكِ وها انا برفقتكِ» او نظير ما رقد بالرب الطوباوي اريكوس الراهب الجيسترجيِنسي (الموردة اعمال حياته في تاريخ رهبنته تحت سنة ١١٠٩) الذي اخر كلمةٍ قد اغلق فمهُ عليها مائتاً كانت اسم مريم. فلنصلِّ اذاً ايها القارئ الحبيب متضرعين لدى الله في ان يهبنا هذه النعمة. وهي ان تكون كلمتنا الاخيرة ساعة موتنا اسم مريم الحلو. كما كان يشتهي راغباً القديس جرمانوس. ويلتمسهُ طالباً بقوله «يا لها من ميتةٍ حلوةٍ ورقودٍ امينٍ يرافق ويحامى عنه باسم مريم الخلاصي فان الله لا يمنح الاستغاثة بهِ ساعة الموت الّا لاولئك الذين هو تعالى يريدهم ان يخلصوا بارادةٍ خصوصيةٍ» *

فانا احبكِ كثيراً يا سيدتي وامي. ولاجل محبتي اياكِ احب اسمكِ المقدس ايضاً. قاصداً بعزمٍ اكيدٍ وراجياً بمعونتكِ ان استغيث بهِ دائماً في مدة حياتي وفي ساعة موتي * فلنختتم اذاً الايراد بتلك الصلوة الخشوعية التي هي للقديس بوناونتورا قائلاً كلٌّ منا «ايتها السيدة المباركة لاجل مجد اسمكِ احضري انتِ لتستقبلي نفسي من بعد خروجها من هذا العالم.

وانت اعتنقيها بيديك — فلا تانفي يا مريم من ان تاتي لتعزيها بحضورك الملو حلاوة. بل كوني لها سلماً ومحجةً وصراطاً مستقيماً تبلغ بواسطته الى السما. مستمدةً لها من ابنك نعمة الغفران والراحة الابدية (كما يلتمس منك القديس المذكور عينه مختتمًا قوله هكذا) „يا مريم شفيعتنا انه يخصك ان تحامي عن عبيدك. وان تتخذي على ذاتك دعوى خلاصهم امام منبر ابنك يسوع المسيح الديان الالهي" ✿

✿ نموذج ✿

ان الاب راهو في تكلمه عن السبوت . والاب ليراوس في تاليفه الملقب بالتريضاجيون المريمي يخبران. بانه في بلد غالدريا قد حدث سنة ١٤٦٥ ان ابنةً ما اسمها مريم قد كانت ارسلت من عمها الى مدينة نيماغا . لتستبضع بعض اغراض لازمة وقد امرها بان ترقد تلك الليلة في بيت عمتها القاطنة في المدينة المذكورة . فالجارية قد اطاعت ارادة عمها . ولكنها اذ مضت الى هناك وانطلقت مساءً الى بيت عمتها. فهذه قد طردتها بجفآء ولم تقبلها عندها . فمن ثمَّ اضطرت الفتاة لان تاخذ بالرجوع الى عمها مسافرةً في الطريق ليلاً. ولكنها من شدة غيظها من عمتها قد استدعت الشيطان بحماقة . وهذا العدو الجهنمي قد ظهر لها حالاً بصورة رجل واعداً اياها بان يساعدها. بحيث ان توافقه في قضية واحدة . فالابنة الويسة اجابته بانها تعمل كل شيء يريده منها . اما هو فقال لها „انا لا اطلب منك شيئًا اخر سوى انك منذ الان فصاعدًا لا عدت ترسمين ذاتك باشارة الصليب . وان تغيري اسمك" فاجابته الشقية بقولها „انه نظرًا الى رسم الصليب فانا ابطله ولا استعمله بعد . واما نظرًا الى اسمي مريم فهذا لانه عزيزٌ جداً على قلبي فلا اريد ان اغيّره" فقال لها الشيطان „ولا انا اعينك" فبعد مجادلة ومقاومة كثيرة قد اتفقا اخيرًا على هذا . وهو ان الفتاة تحفظ لذاتها اول حرف فقط من اسم مريم وهكذا تُدعَى بهذا الحرف وهو الميم . فانطلقا جملةً الى مدينة انفارسا . وهناك مكثت هذه المنكودة الحظ مدة ست سنوات عائشةً بسيرة ممقوتة مملوة من القبائح حتى انها اضحت حجر عثرة وصخرة شك للجميع مع رفيقها ابليس اللعين . فيوماً ما قالت

ميم لهذا العدو الجهنمي انها كانت تشتهي ان تنظر مكان موادها غالدريا . فالشيطان ولئن ظهر في الاول ممانعاً لطلبها هذا . فقد اضطر اخيراً للارتضا به ولذلك سافرا من مدينة انفارسا . واذ جاءوا الى مدينة نيماغا قد وجدا هناك في مكان المفترج الشاع يُباشر باحتفال مشهدٌ يتضمن جانبًا من تاريخ حيوة مريم البتول الكلية القداسة . فميم لما نظرت الاحتفال قد تحركت من قبل العبادة القليلة التي لم تكن تلاشت منها بالكلية نحو والدة الاله وبدأت تبكي . فالشيطان اخذ يحرضها على الخروج من ذاك المكان بقوله لها „ما لنا والاقامة ههنا. هل يلزمنا ان نصنع مرسحاً خصوصياً. اخرجي الى برّاً" ومن ثمّ مسكها بيدها مغتصبًا اياها على الخروج . الاّ انها لم ترد ان تطاوعه ولهذا اذ رأى ذاته مغلوباً منها وعرف انها فلتت من يده. فكيداً ورجزاً قد حملها الى الفضا وطرحها في وسط ذاك المحفل. فحينئذٍ هي اخبرت الحاضرين بقصتها . ثم انطلقت عند خوري المكان لتعترف بخطاياها . الاّ انهُ اي الخوري قد ارسلها الى اسقف كولونيا ليتبصر بامرها . وهذا الاسقف قد اعرض واقعة الحال للحبر الروماني الذي امر باحضارها اليه . وهو نفسهُ سمع اعترافها ووضع عليها القانون للتوبة ان تحمل دائماً ثلثة اطواقٍ من حديد . الاول في عنقها والثاني في يدها اليمين والثالث في يدها الشمال . فمريم هذه التائبة ارتضت بذلك . وحينما جاءت الى ماستريك قد دخلت الى دير الراهبات التائبات حيث عاشت اربع عشرة سنةً بافعال توبةٍ شاقةٍ . واخيرًا اذ نهضت يومًا ما صباحاً من فراشها قد رأت الثلثة الاطواق مكسرةً من ذاتها ومطروحةً من عنقها ومن يديها . وبعد ذلك بمدة سنتين قد توفيت بميتةٍ صالحةٍ بصيت القداسة . ودُفنت مع الاطواق الثلثة نفسها التي بها من حال كونها اسيرةً للجحيم قد تحررت وصارت اسيرة الفردوس بشفاعة والدة الاله مخلصتها ✿

✿ صلوة ✿

يا والدة الاله العظيمة امي مريم . اي نعم انني لست باهلٍ ان اذكر اسمكِ المقدس بفمي . ولكن انتِ التي تحبينني وترغبين خلاصي . فيخصكِ ان تهبيني ولئن كان لساني غير طاهرٍ ان استطيع دائمًا الاستغاثة

باسمكِ المثلث القداسة والاقتدار لاجل معونتي . اذ ان اسمكِ هو عونٌ لمن يعيش . وخلاصٌ لمن ناهز الموت فاجعلي يا مريم الكلية الحلاوة والنقاوة ان يكون اسمكِ منذ الان فصاعداً نسمةً لحياتي . ولا تتاخري ايتها السيدة عن اسعافي طالما ادعوكِ . لاني في جميع التجارب المزعجة ان تحاربني . وفي سائر الشدائد والاحزان العتيدة ان تلم بي انا لا اريد ان اتغافل عن ان استغيث باسمكِ لمعونتي . مكرراً استدعاء هذا الاسم بقولي يا مريم يا مريم . فهكذا ارجو ان اصنع في ايام حياتي . وكذلك اومل ان افعل بنوعٍ خاص في ساعة موتي . لكي اتي بعد ذلك الى الفردوس السماوي حيث اسبحكِ دائماً . وامجد اسمكِ هاتفاً . يا شفوقةً يا رأوفةً يا كريمةً يا حليمةً يا حنونةً يا مريم البتول الحلوة اللذيذة . يا مريم موضوع الحب الكلي الاشتهآء . فترى باية قوةٍ وشجاعةٍ . وباية عذوبةٍ وحلاوةٍ وباي رجاء وثقةٍ . وباي انعطافٍ وخشوعٍ تشعر نفسي بمجرد ذكر اسمكِ في فمي وفي قلبي . وبمطلق التفكر بكِ . فهذا انتِ تعلمينهُ ومن ثمَّ اشكر الهي وسيدي الذي اعطاكِ لاجل خيري هذا الاسم الذي هو هكذا حلوٌ وشهي ومحبوب ومقتدرٌ ✫

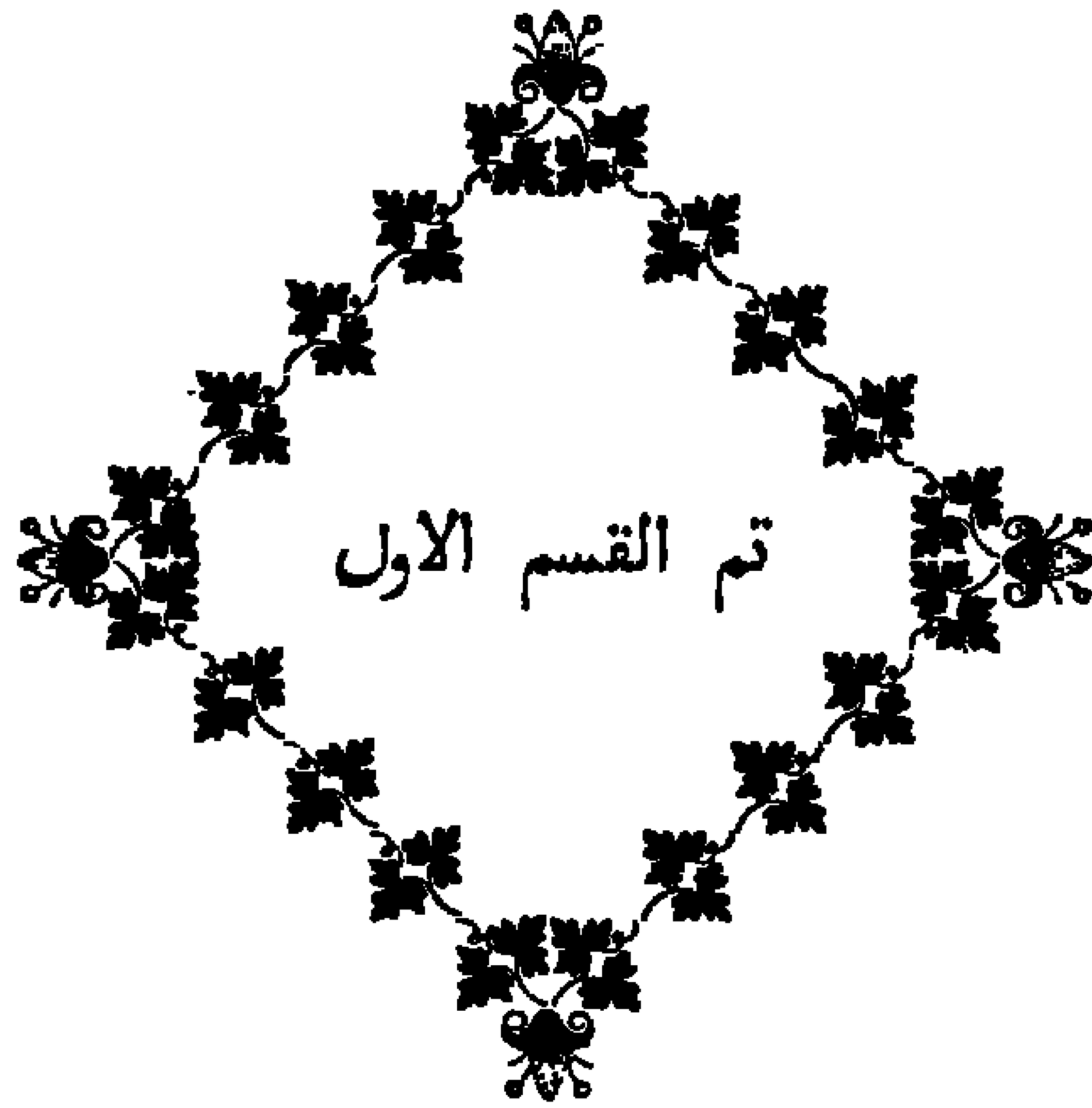
ولكنني لا اكتفي يا سيدتي بان اذكر اسمكِ ذكراً بسيطاً . بل اريد ان اسميكِ بالاكثر لاجل الحب . واشتهي ان حبي اياكِ هو نفسهُ يذكرني بكِ في كل ساعةٍ لكي استطيع انا ايضاً ان اهتف مع القديس انسلموس صارخاً „ يا اسم والدة الاله انت هو موضوع حبي " ✫

فيا امي العزيزة مريم ويا يسوع المحبوب مني فليحيَ دائماً اسمكما الكلي القداسة والعذوبة في قلبي وفي قلوب الجميع . ولتنسَ مخيلتي الاسما الاخر كلها لكي تتذكر في ان تستغيث على الدوام باسميكما فقط . فيا يسوع مخلصي ويا مريم امي اتوسل اليكما باستحقاقاتكما العظيمة . ان تمنحاني في الوقت الذي فيهِ عتيدة ان تخرج نفسي من هذا العالم بانفصالها من جسدي . النعمة في ان تكون كلماتي الاخيرة هذه وهي „ يا يسوع ويا مريم اني احبكما . يا يسوع ويا مريم اني اهبكما قلبي ونفسي آمين " ✫

✫ تنبيه ✫

✱ من مستخرج هذا الكتاب ✱

اعلم اننا قد نقلنا خاتمة هذا القسم الاول الى كتاب الرياضة
اليومية جاعلينها خاتمتهُ. وقد نقلنا اليهِ خاتمة القسم
الثاني ايضاً التابع بعض صلواتٍ أُخر. وانما فعلنا
هذا اولاً لاجل سهولة استعمالها هناك
كصلواتٍ. حسبما هي حقاً ثانياً
لان مصنفهما الطوباوي
هو واحد بعينه
✫



* فهرس القسم الاول *

* من كتاب *

* امجاد مريم البتول *

* وهو فاتحة وقسمان *

* القسم الاول *

* يحتوي على مقدمةٍ وعشرة فصولٍ *



كتاب
امجاد مريم البتول

والدة الاله الكليّة القداسة

المؤلَّف من القديس

الفونسوس ليكوري

اسقف مدينة القديسة اغاثى ده كوتي

موسّس

جمعية الفادي الكلي القداسة

وهو جزيل الافادة للقارئين والواعظين

القسم الثاني

طبعة ثانية



باورشليم

في مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين

سنة ١٨٧٩

القسم الثاني

* يحتوي على اربع مقالات وخاتمة *

المقالة الاولى

* في السبعة الاعياد السنوية المتقدمة *
* المختصة بوالدة الاله مريم المجيدة *
* وفيها ثمانية فصول *

الفصل الاول

* فيما يلاحظ عيد الحبل بوالدة الاله مريم البري من دنس *
* الخطية الاصلية. وكيف انهُ لايقُ جداً بالثلثة الاقانيم الالهية *
* ان يسبقوا ويحفظوا مريم البتول ناجية من دنس خطية ادم وحوا *
* وفيهِ ثلثة اجزاء *

الجزء الاول

* في كم هو لايقٌ هذا الحفظ باقنوم الله الاب *

ان الدثار والاضرار التي قد سببتها الخطية الملعونة لابينا ادم ولسائر الجنس البشري هي عظيمة في الغاية. لان ادم حينما خسر وقتئذٍ بتعاسةٍ

نعمة الله . فقد خسر معها جملةً كل الخيرات الاخر التي كان هو استغنى بها حين خلقته . وقد جلب معًا لذاته ولذريته باسرها بغضة الله جملةً مع الشرور كلها . غير ان الله قد اراد ان يحفظ من غوائل هذه المصيبة العظمى . تلك البتول المباركة التي قد اعدها تعالى مختارةً منهُ امًا عتيدةً لادم الثاني يسوع المسيح . الذي كان مزمعًا ان يصلح الضرر المسبب من ادم الاول الساقط . فلنتامل الان في كم هو لايقٌ غاية اللياقة بالله الواحد المثلث الاقانيم . ان يسبق ويحفظ هذه البتول المجيدة من دنس الخطية الاصلية . وكيف انهُ كان يليق بالله الاب ان يستثني هذه العذرآء من غوائل الخطية المذكورة ومن مفعولاتها . بحسبما انها هي ابنتهُ عزَّ وجلَّ . وكيف كان يليق بالله الابن ان يصنع ذلك نحوها بحسبما هي امهُ العتيدة ان تلدهُ متجسدًا منها . ثم كيف كان يليق بالله الروح القدس ان يصنع معها هذا بحسبما هي عروستهُ ✿

فلنتكلم الان عن هذه اللياقة المختصة بالله الاب الذي هو الاقنوم الاول من الثالوث الاقدس قائلين . انه لامرٌ لايقٌ جدًا بالاب الازلي ان يحفظ مريم البتول ناجيةً من دنس الخطية الاصلية . لان هذه العذرا هي ابنتهُ تعالى بل هي ابنتهُ البكر . كما كُتب عنها « انَّما انا خرجت من فم العلي بكرًا قبل جميع المخلوقات » (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٥) فمفسرو الكتاب المقدس . والاباۤء القديسون بل الكنيسة الجامعة نفسها . خاصةً في عيد الحبل بمريم البري من الدنس قد خصّصت كلمات هذا النص الالهي بوالدة الاله هذه الدائمة بكارتها * على ان مريم العذرا هي ابنةٌ بكرٌ لله . امَّا من قبيل كونها أُختيرت مُنتخبَةً جملةً مع ابنها يسوع المسيح بالمراسيم الالهية الازلية قبل المخلوقات كلها . كما يعلّم ذلك المدارسيون السكوتيستيون . واما انها هي ابنةٌ بكرٌ لله بالنعمة بحسب كونها أُعدّت مختارةً امًّا حقيقيةً لفادي الجنس البشري . بعد ان الله سبق وعرف الخطية العتيد حدوثها . كما يعلّم المدارسيون التوماويون . الا ان هولاء واولئك على حدٍ سوا يتفقون برايٍ واحدٍ في ان يسموا هذه البتول المجيدة ابنة الله البكر . وذلك لانهُ لائقٌ جدًا بان لا تكون وُجدت اصلًا اسيرةً للوسيفوروس . بل مُمتلكةً دائمًا من الله وحده خالقها . حسبما تقول هي عن نفسها « ان الرب اقتناني في بدء طرقه قبل

ان يصلح شيئًا من البدء" (امثال ص ٨ ع ٢٢) ومن ثمَّ بالصواب قد دُعيت هذه البتول من القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندري "انها وحدها هي ابنةٌ وحيدةٌ للحيوة. خلافاً لبقية الانفس اللّاي يولدنَ بالخطية بنات للموت" *

وما عدا ذلك انهُ قد لاق في الغاية ان الآب الازلي يخلق هذه الابنة في حال نعمته. لانهُ عزَّ وجلَّ قد اقامها منتخبًا اياها بصفة مصلحةٍ للعالم الهالك. ووسيطة للصلح والسلام فيما بينه تعالى وبين البشر. حسبما يلقبها بذلك الآبا القديسون. خاصةً القديس يوحنا الدمشقي (في ميمره الاول على ميلادها) اذ يقول نحوها هكذا "انكِ لقد وُلدتِ ايتها البتول المباركة لتكوني خلاصاً لسكان الارض كلها" ولذلك يعلّم القديس برنردوس قائلاً "ان سفينة نوح كانت رسماً لمريم العذراء. لانهُ كما ان البشر قد خلصوا من الغرق العمومي بواسطة تلك السفينة. فهكذا نحن خلصنا من غرق الخطية بواسطة مريم. غير ان الفرق الكائن فيما بين الرسم والحقيقة هو انهُ بواسطة السفينة النوحية قد خلص نفرٌ يسيرٌ (اي ثمانية اشخاص فقط) واما بواسطة مريم فقد خلص الجنس البشري باسره" ولذلك يسميها القديس اثاناسيوس الكبير "انها هي حوا الجديدة ام الحيوة" لان حوا الاولى قد وُجدت ام الموت. واما البتول المجيدة فهي ام الحيوة * والقديس ثاوفانوس اسقف نيقية يتفوه نحوها هاتفاً "السلام عليكِ يا مصلحة حزنِ حوا. المنقذة اياها من الغموم" والقديس باسيليوس الكبير يصرخ اليها قائلاً "السلام عليكِ يا وسيطة الصلح فيما بين الله والبشر" والقديس افرام السرياني يهتف نحوها بقوله "السلام عليكِ يا مصالحة العالم باسره مع خالقه" *

فامرٌ واضحٌ هو ان من يدخل وسيطاً للصلح. لا ينبغي ان توجد فيما بينه وبين المهان ادنى عداوةٍ. وباكثر من ذلك يلزمهُ ان يكون ناجياً من الاشتراك بجريرة الاهانة عينها. لانهُ كما يقول القديس غريغوريوس الكبير "انهُ لكي يستعطف خاطر القاضي ويُهدّى غضبه لا يجب ان يمضي اليه وسيطاً بذلك. رجلٌ يكون عدواً له. والاَّ فعوضاً عن اكتساب رضوان القاضي وانقياده الى الصفح يشتد بالاكثر رجزهُ ضد المذنب" ولهذا اذ كان يلزم ان مريم تدخل وسيطةً للصلح فيما بين الله والبشر. فبكل الوجوه واللياقة

كان يلزمها ان لا توجَد هي ايضاً مدنسةً بالخطيئة. ولا تظهر أمامه تعالى مشابهةً بالعداوة لهُ عزّ وجلّ. بل كان يقتضي ان توجد بكليتها صديقةً لهُ بريةً من الذنب. ناجيةً من دنس المعصية *

ثم بابلغ من ذلك قد لاق ان الله يسبق ويحفظ هذه البتول من تبعة الخطية الجدية. لانهُ جل صلاحه قد كان اعدّها مختاراً اياها لان تسحق راس الحية الجهنمية. التي لكونها خدعت ابوينا الاولين. فقد سبّبت بسقطتهما الموت للجنس البشري جميعهِ. كما يظهر ممّا قالهُ الحق بالذات اذ ابرز الحكومة ضد هذه الحية الخبيثة بقوله لها „ واضعنّ العداوة بينكِ وبين الامراة. وبين نسلكِ ونسلها وهي تسحق راسكِ" (تكوين ص ٣ ع ١٥) فان كانت مريم اذاً هي تلك الامراة الشجاعة التي اوجدها الله في العالم لتنتصر على لوسيفوروس. فبالحقيقة لم يكن لائقاً ان تكون هي قد غلبت قبلاً من هذا العدو الجهنمي وسقطت تحت اسره. بل بالاحرى قد لاق بالصواب ان تكون هي بريةً من دنس كل خطيةٍ. وناجيةً من اية ولايةٍ كانت للعدو الجحيمي عليها. فاي نعم ان لوسيفوروس المتعجرف قد اجتهد في ان يدنس نفس هذه البتول الكلية الطهارة. بالنوع الذي بهِ قد كان دنس بسمّهِ القتال انفس جميع البشر. ولكن فليكن دائماً مسبحاً وممجداً صلاح الله الذي سبق لاجل ذلك واملأ هذه النفس المباركة نعماً هكذا عظيمةً. حتى انها اذ استمرت ناجيةً من تبعة المعصية. وسالمةً من دنس كل خطيةٍ. فقد استطاعت على هذه الصورة ان تحارب الحية الجهنمية المتكبرة وتغلبها منتصرةً عليها. كما يقول القديس اوغوسطينوس. (او ذاك المنسوب لهُ تفسير سفر التكوين) „ انهُ اذ كان الشيطان هو راس الخطيئة الاصلية. فمريم قد سحقتهُ لاجل ان الخطية لم تجد في نفسها النقية مدخلاً. وهي وُجدت بريةً من كل دنسٍ" ثم كما يقول القديس بوناونتورا واضحاً „ انه قد كان من الواجب ان مريم البتول الطوباوية المزيحة عنا العار والاهانة تنتصر على الشيطان. من كونها لم تحصل تحت حوزته بنوعٍ من الانواع اصلاً " *

الّا انهُ بوجهٍ اخص من كل الاوجه قد لاق اولاً وبدءًا بالآب الازلي. ان يصيّر ابنتهُ هذه خاليةً بالكلية من دنس خطية ادم. من هذا القبيل خاصةً وهو من كونه انتخبها وميّزها واعدّها لان تكون امّا بالجسد لابنه

الالهي الوحيد . ولذلك يقول نحوها القديس برنرديـنوس السياني « انكِ قد انتخبتِ مرسومةً في عقل الله قبل الخلايق كلها . لكي تعطي انتِ الكون الانساني للـه عينـه » فاذاً قلما يكون لاجل هذه الغاية اذا لم تكن غاياتٌ أُخر غيرها . اي لكي يكرّم الله الاب ابنهُ الذي هو الهٌ مساوٍ لهُ . فكان من الصواب انهُ تعالى يخلق والدة ابنه هذه بريئةً من كل دنسٍ وعيبٍ . فيقول المعلم الملائكي القديس توما « ان كل الاشيا التي رسمت مختصةً بالله . يلزمها ان تكون مقدسةً نقيةً طاهرةً ناجيةً من كل دنسٍ او عيبٍ » ومن ثمَّ عندما كان هيأ داود الملك تلك المواد العظيمة من الجواهر والذهب والفضة والنحاس وكل ما كان يلزم لتشييد هيكل الله في اورشليم بنوعٍ لائقٍ بالرب قال « لان هذا البنيان العظيم ليس هو لانسانٍ بل لله رب العالمين » (سفر الايام الاول ص ٢٩ ع ١) فكم اذاً بابلغ من ذلك يلزمنا ان نعتقد بالصواب في ان خالق الكون الاعظم . حينما هيأ لابنه الالهي عينه اماً . قد لزم الامر ان يجملها عزَّ وجلَّ بجميع تلك النعم الاثمن والاسمى مما سواها لكي تكون مسكناً لائقاً بالـهِ . كما يثبّت هذا القول نفسهُ الطوباوي ديونيسيوس كارتوزيانوس . بل ان الكنيسة المقدسة عينها تحقق لنا ذلك بشهادتها في ان الله قد هيأ نفس البتول الطوباوية وجسدها . واعدهما ليكونا منزلاً لائقاً في الارض لابنهِ الوحيد . اذ تقول في صلواتها نحو الله الاب هكذا « ايها الالـه الازلي القادر على كل شيءٍ . يا مَن هيأت نفس العذرا الام المجيدة وجسدها بنوعٍ يليق لسكنى ابنك . كما ان روحك القدوس قد شاركك في هذا الاستعداد » ✫

فامرٌ معلومٌ هو ان كرامة الاولاد الاولى وشرفهم الاول هو اتلادهم من والدين شرفاً . كما هو مكتوبٌ « ان فخر الاولاد اباوهم » (امثال ص ١٧ ع ٦) ولذلك فالاحتقار الذي يلم باولئك الاولاد من قبيل انهم لم يملكوا خيراتٍ ارضية او علوماً هو محتملٌ في العالم باكثر سهولةٍ من الاحتقار الملم باولئك المولودين مولداً ذا عيبٍ واهانةٍ . لان الابن الفقير يمكنهُ ان يكتسب باتعابه وجهده الغنى . وكذلك الابن العاري من العلوم يمكنهُ درسها واكتسابها ولو بعد حينٍ . واما المولود من سلالةٍ دنية او معابةٍ . فامرٌ مستصعبٌ هو ان يتمكن من البلوغ الى مراتب الشرف . واذا اتفق لهُ ان يحصل على ذلك

فدائماً يبقى تحت الخوف من ان احداً يعيّره بدناءة. اصله. او بشائبة مولده. ام بعيب سلالته. فكيف اذاً يمكننا ان نتصور ان الله الاب. اذ هو قادرٌ ان يجعل ابنهُ ان يولد متجسداً من امٍ شريفةٍ بشرفٍ حقيقيٍ. وهو حفظهُ اياها ناجيةً من دنس الخطية بنعمةٍ خصوصيةٍ منهُ. ولم يرد ان يفعل ذلك. بل شاء انهُ يتجسد من امٍ معابةٍ بجريرة الاثم والمعصية. سامحاً بان لوسيفوروس يستطيع ان يعيرهُ بانهُ ولد من امٍ وجدت في وقتٍ ما اسيرةً تحت حوزته الجهنمية وعدوةً لله. لا لعمري ان الله الاب لم يسمح بذلك قط. لكنهُ سبق ودبّر ما يليق بكرامة ابنه الوحيد. مصيرًا ان تكون والدة هذا الابن الالهي مستثناةً وبريةً من العيب. وناجيةً من دنس المعصية الاصلية. لتوجد بكليتها اماً لائقةً لابنٍ هذه صفتهُ. فهكذا تشهد لنا الكنيسة اليونانية. في المينولوجيون في فرض اليوم الخامس والعشرين من شهر ادار قائلةً „ ان العناية الالهية قد جعلت ان البتول الكلية القداسة توجد بتدبيرٍ خصوصيٍ منذ بداية حياتها كاملةً ونقيةً طاهرةً بريةً من العيب. بنوعٍ انها تكون بكليتها لايقةً ومستحقةً ان تصير للمسيح اماً “ ✫

فرايٌ عامٌ فيما بين اللاهوتيين متفقٌ عليه من جميعهم هو انهُ لم يُمنح قط لاحدى المخلوقات نوعٌ ما من المواهب. الاّ وقد وجدت الطوباوية مريم البتول غنيةً بذاك النوع نفسه مماً نالتهُ من الله. فهكذا يقول القديس برنردوس „ انهُ لامرٌ واضحٌ هو ان الشيء الذي منح لبعض البشر لا يمكن ان ينكر اعطاوهُ لبتولةٍ هكذا عظيمةٍ “ ويقول القديس توما الفيلانوفي „ انهُ لم يُمنح اصلاً شيءٌ ما من المواهب لاحدٍ من القديسين. الاّ وقد تلألأ بنوعٍ متفاضلٍ سامٍ جداً في شخص مريم البتول منذ الدقيقة الاولى من حياتها “ ✫

ومن حيث انهُ امرٌ حقيقيٌ هو انهُ فيما بين والدة الاله وبين عبيد الاله يوجد فرقٌ لا يحدّ. كقول القديس يوحنا الدمشقي الذائع الصيت „ انهُ لتباعدٌ غير متناهٍ كائنٌ فيما بين عبيد الله وبين امه تعالى “ فامرٌ صادقٌ هو ان يحتسب بالحقيقة ان الله قد منح انعاماتٍ واختصاصاتٍ سامية جداً لوالدته بالجسد. تزيد فضلاً على تلك التي منحها لعبيده. وهذا هو تعليم القديس توما اللاهوتي القائل „ انها لعظيمة وجليلة جداً في

كل نوعٍ. ومتميزةٌ جداً هي النعم والاختصاصات الممنوحة لوالدة الاله. وفائقةٌ في الغايـة عن تلك النعم الممنوحـة لعبيده عزَّ وجلَّ" فاذا افترضنا ذلك حقيقـةً فيبرهن عنـهُ القديس انسلموس المحامي العظيم عن الحبل البري من الدنس بوالدة الاله اذ يقول هكذا "هل ان حكمة الله لم تستطع ان تهيىء لابنـه الالهي مسكناً طاهراً نقيًا بحفظها هذا المسكن بريًا من كل دنسٍ ملتحقٍ بالطبيعة الانسانية . او هل ان الله الذي استطاع ان يحفظ الملئكة في السما غير معابين ولا مدنسين بجريرة الاثم في حين سقوط عددٍ عظيمٍ من الارواح الشريرة . ألا يقدر مع ذلك ان يحفظ والدة ابنه التي هي سلطانة الملئكة من تبعة سقطة البشر العامة" ثم اني اضيف الى ذلك قائلاً هل ان اللـه قد استطاع ان يعطي النعمـة لحوا امنا الاولى بان تاتي الى العالم بريةً من العيب والدنس في حال البر الاصلي . وبعد ذلك لم يقدر تعالى ان يعطي هذه النعمة لمريم العذرا ✫

كلَّا . ان اللـه قد استطاع ان يصنع هذا حسناً وقد فعلـهُ حقاً . اذ ان الصواب والعقل النطقي يوجبانه بكل لياقـةٍ. كما يقول القديس انسلموس عينهُ هكذا "ان تلك البتول التي قد اعدَّها اللـه لان يعطيها ابنهُ الالهي نفسهُ ابناً لها . قد صيّرها مزينـةً بنقاوةٍ هذا حدها. حتى انها ليس فقط تفوق بطهارتها على البشر جميعاً وعلى الملئكة كافةً. بل ايضًا على كل ما يمكن ان نتصوره بعد الله" وباكثر ايضاحٍ من ذلك يقول القديس يوحنا الدمشقي "ان الله قد حفظ نفس مريم البتول وجسدها بحسبما كان يليق بها ان تقتبل في احشائها الاله متجسداً . على انـهُ من حيث ان اللـه قدوسٌ هو فيستريح في القديسين" ✫

ومن ثمَّ قد استطاع حسنًا ان يتفوه الاب الازلي نحو ابنته هذه المحبوبة منهُ قائلاً "كسوسنٍ بين الاشواك هكذا قرينتي بين البنات" (نشيد ص ٢ ع ٢) اي انكِ يا ابنتي لكائنةٌ انتِ فيما بين جميع بناتي الاخريات كزهرة الزنبق بين الاشواك . لان تلـك البنات كلهنَّ مدنساتٌ بجريرة المعصية وبتبعة الخطية . واما انتِ فوجدتِ دائماً بريةً من الدنس ناجيةً من العيب صديقةً حبيبةً لي كقرينةٍ طاهرةٍ ✫

—

❦ الجزء الثاني ❦

* في انهُ لاق بالاقنوم الثاني الذي هو الابن *
* ان يسبق ويحفظ مريم العذرآء *
* من دنس الخطية الاصلية. بجسبما هي امهُ *

انهُ لا يتفوَّض لارادة الاولاد اصلاً. ولا لاحدٍ منهم على الاطلاق. الحرية والاستطاعة على ان يختار كلٌ منهم لذاتـه اماً له تلك التي هو يريدها. اذ انهُ لمن المستحيل ان يوجد ابنٌ قبل والدتـه ليمكنـهُ ان يختارها لذاتـه على مشيئته. ولكن اذا فرضنا المحال وهو ان نعمةً هذه صفتها أُعطيت من الله لنفس ابنٍ قبـل مولده. اي ان يختـار لذاتـه اماً طبقاً لارادتـه وامكن لهذا ان يختـار احدى الملكات المعظمات اماً لهُ. فهـل يعدل عنها وينتخب لذاته والدة احدى الاسيرات اللاتي هنَّ في رق العبودية. او اذ كان يستطيع ان يختارها من بين النسا المتقدمات بالشرف. فهل ينتخب عوضاً عن الشريفة احدى الفلاحات الحقيرات. ام اذا كان يقدر ان يختص لذاته اماً تكون في حال نعمـة اللـه وصداقتـه. فهل ينتخب لنفسـه بدلاً منها اماً عدوةً له تعالى ومبغوضةً منهُ. فان كان اذاً ابن الله الازلي وحدهُ قد استطاع ان يختار لذاته اماً يتجسد منها متانساً. وقدر ان ينتخبها بمجرد ارادته ومشيئته المطلقة. فيلزمنا ان نعتقد يقيناً بانهُ عزَّ وجلَّ قد اختار لذاته تلك التي كانت تليق ان تصير اماً لالهٍ. فهكذا يقول القديس برنردوس „ ان صانع البشر اذ اراد ان يولد من بشرٍ. فلزم ان يختار لنفسهِ تلك الام اللائقة بهِ " ومن حيث انهُ لائقٌ في الغاية بالهٍ كلي النقاوة هو ان يختص لذاته اماً طاهرةً بريةً من دنس اية خطيةٍ او زلةٍ كانت. فعلى هذه الصورة قد صنع والدتهُ ناجيةً من دنس الاثم. كما يثبت ذلك القديس برنردينوس السياني بقوله „ اما نظراً الى تقديس الام. فامرٌ ضروريٌ هو ان يُبعد عنها مطلقاً كل نوعٍ من الخطية الاصلية. فهذا الامر تمَّ في الطوباوية مريم البتول. لان الله بالحقيقة قد خلق اماً هذه صفتها شريفةً في الطبيعة وكاملةً في النعمة بنوعٍ يليق ان تكون هي اماً لهُ " *

وهذا هو موافـقٌ لما كتبـهُ الرسول الالهي بقوله „ ان مثل هذا لاق ان

يكون لنا رئيس كهنةٍ باراً لا شرّ فيه ولا دنس. منفصلاً عن الخطاة وصائراً اعلى من السموات " (عبرانيين ص ٧ ع ٢٦) فعن هذا النص يقول احد العلما البارعين " انهُ على موجب تعليم القديس بولس قد لاق ووجب ان فادينا يكون منفصلاً ليس عن الخطايا فقط. بل عن الخطاة ايضاً " كما يفسر ذلك القديس توما اللاهوتي قائلاً " قد لاق به تعالى الذي جاء ليرفع خطية العالم ان يكون منفصلاً من الخطاة. نظراً الى الذنب الذي سقط ادم تحت تبعته " فاذاً كيف كان يمكن ان يصدق القول عن يسوع المسيح انهُ منفصلٌ عن الخطاة. لو اتخذ لهُ اماً قد وُجدت مدنسةً بجريرة الخطية الاصلية *

ثم ان القديس امبروسيوس يقول " ان المسيح قد اختار لذاته هذا الاناء ليس من الارض بل من السما. لكي ينحدر بواسطته من السما الى الارض. وقد كرّسهُ لذاته هيكلاً طاهراً مقدساً " مريداً بذلك هذا القديس ان يشير عن كلمات الرسول الالهي وهي " ان الانسان الاول من الارض ارضي والانسان الثاني من السما سماوي " (قورنتية اولى ص ١٥ ع ٤٧) وانما يسمي القديس امبروسيوس هذه الام الالهية اناءً سماوياً. لا كأنها لم تكن هي من الارض بحسب طبيعتها. كما حلم الهراطقة. بل هي سماوية بالنعمة. لانها هي فائقة على الملئكة السماويين بالقداسة والطهارة. حسبما كان يليق بالله المجد الذي اعدها لان يسكن فيها متجسداً من احشائها. كما اوحى القديس يوحنا المعمدان للقديسة بريجيتا بقوله لها " انهُ لم يكن لايقاً بملك المجد ان يسكن الاّ في الإناء الكلي النقاوة. والمُنتَخب منهُ قبل الملئكة والبشر اجمعين " وليُضَف الى ذلك ما اعلنهُ الآب الازلي نفسهُ بالوحي لهذه القديسة وهو " ان مريم قد كانت اناءً نقياً وليس بنقيٍ. فهي نقيةٌ لانها جميلةٌ بكليتها. وليست بنقيةٍ لانها وُلدت من والدين مدنسين بالخطية الاصلية. ولكن قد حُبل بها غير مدنسة بالخطية الجديدة. لكي يولد منها ابني من غير خطيةٍ " فينبغي هنا ان نلاحظ هذه الكلمات الاخيرة. اي حُبل بها من دون خطيةٍ. لتلد الابن الالهي خارجاً عن خطيةٍ. لا لانه كان ممكناً ان ابن الله يولد بالخطية. بل لئلا يضحى مهاناً من قبيل كونه وُلد من امٍ وُجدت وقتاً ما مدنسةً بالخطية الاصلية اسيرةً للعدو الجهنمي *

فالروح القدس يقول « لان كرامة المرء هي من كرامة ابيه والام المهانة عارٌ على لولادها » (ابن سيراخ ص ٣ ع ١٣) ولهذا كتب القديس اوغسطينوس قائلاً « ان يسوع المسيح قد حفظ جسد مريم البتول والدته بريئاً من الفساد بعد موتها. لانه لكان الامر راجعاً لاهانته تعالى. لو كان اعترى الفساد والنتن لحمان جسد هذه السيدة البتولي. الذي منه هو لبس الناسوت » فاذاً لقد كان امراً مهيناً ليسوع المسيح ان يولد من ام ذات جسدٍ لم يُحفظ من فساد النتانة بعد الموت. فكم كانت الاهانة له عزَّ وجلَّ عظيمة. لو انهُ وُلد من امٍ كانت نفسها تدنست بنتانة فساد الخطية الاصلية * ثم ما عدا ذلك انهُ لشيء حقيقيٌ هو ان جسد يسوع المسيح هو من جسد مريم البتول بعينه. ولذلك يقول القديس اوغسطينوس « ان لحمان جسد المخلص قد استمرت بعد قيامته من الموت ايضاً هي هي نفسها التي كان هو لبسها من جسد والدته العذرا » ومن ثمَّ يقول القديس ارنولدوس كارنوتانسه « ان جسد يسوع وجسد مريم هما جسدٌ واحدٌ. ولذلك انا اعتبر ان مجد ابن الله مع مجد والدته ليسا بمشتركين فقط. بل هما شيء واحد بعينه » فاذاً من المحقق هو بانه لو حُبل بمريم بالخطية فبلا ريب ان ابنها الالهي وان كان لا يمسه من دنس الخطية شيء ما بالكلية فمع ذلك لكان يلتحق بهِ على الدوام عارٌ ما لاتخاذه لحماناً كانت وقتاً ما مدنسةً ووجدت اناءً قبيحاً وموضوعاً خاضعاً لولاية لوسيفوروس *

فمريم الطوباوية هي ليست اماً فقط للمخلص. بل هي امٌ لائقةٌ ايضاً ومستحقةٌ له عزَّ وجلَّ. كما يسميها الابا القديسون كافةً. فيقول نحوها القديس برنردوس « انكِ انتِ وحدكِ وُجدتِ اهلاً ومستحقةً لان يسكن في احشائكِ البتولية ملك الملوك. الذي قبل ان يقطن فيكِ قد سبق واعدكِ لذاته » ويقول القديس توما الفيلانوفي « ان مريم البتول من قبل الحبل الالهي وُجدت موضوعاً قابلاً بلياقةٍ لان تصير اماً لله » بل ان الكنيسة المقدسة نفسها تشهد لنا في احدى صلواتها « بان البتول القديسة قد استحقت ان تكون اماً ليسوع المسيح » وفي هذا الشان كتب القديس توما اللاهوتي قائلاً « ان مريم ليس من ذاتها استطاعت ان تستحق تجسد الكلمة الالهي من احشائها. بل انها بقوة النعمة الالهية قد استحقت هذا الكمال الذي

جعلها اهلاً ومستحقةً لأن تكون اماً لائقة لاله „ وكذلك يقول القديس بطرس داميانوس „ انها لاجل سمو قداستها الفريدة من قبل نعمة الله قد استحقت ان تُعتبرَ اهلاً لان تقتبل الله في احشائها „ ☆

فاذ تقرر ان مريم البتول قد وُجدت امًا مستحقةً واهلاً لله. فاية درجةٍ ساميةٍ من الفضيلة والكمال لاقت بها (كما يقول القديس الفيلانوفي) ثم ان المعلم الملئكي نفسه يورد قائلاً „ ان الله حينما يختار احدًا الى دعوةٍ او رتبةٍ ما فهو تعالى يصيرهُ موضوعًا قابلاً لذلك بلياقةٍ. ومن ثم اذ انهُ عزّ وجلّ قد اختار مريم اماً لهُ. فبالحقيقة قد صيرها بواسطة نعمته موضوعاً لائقًا مستحقًا لهذا المقام. ولذلك هذي البتول القديسة لم تسقط قط بخطيةٍ فعليةٍ. حتى ولا بخطيةٍ عرضيةٍ. والاّ لما كانت وُجدت امًا اهلاً ولائقةً بيسوع المسيح. لان عيب هذه الام وعدم استحقاقها لكان يلتحق بابنها ايضًا لحصوله على امٍ خاطئةٍ „ والحال اذا كان افتراض سقوط مريم البتول بخطيةٍ واحدةٍ عرضيةٍ. التي لا تعدم النفس النعمة الالهية يجعلها اماً غير لائقةٍ وغير اهلٍ بالله. فكم باعظم من ذلك لما كانت وُجدت اهلاً لان تصير اماً لهُ جلت قداسته. لو تدنست نفسها بالخطية الاصلية المهلكة. التي لكانت صيّرتها عدوةً لله واسيرةً للشيطان. ولهذا قال القديس اغسطينوس في حكمه الشهير وهو „ انهُ حينما يصير الخطاب عن مريم العذرا. فلم يرد ان يوتى بذكر شيءٍ من الخطايا او الزلات لاجل كرامة ذاك الرب الذي قد استحقتهُ مريم ابنًا لها. وبواسطته قد فازت بالنعمة التي بها انتصرت على الخطية من كل جهاتها „ ☆

فمن ثم يلزمنا ان نعتبر امرًا حقيقياً صادقًا ان كلمة الله المتجسد قد انتخب لذاته امًا لائقةً بهِ. بنوع انهُ لا يلحقهُ من جرائها ادنى خجل كما يبرهن القديس داميانوس. وحسبما يورد القديس بروكلوس قائلاً „ ان الرب قد سكن في تلك الاحشا التي خلقها بريةً من العيب „ فمخلصنا لم يكن يغتاظ اصلاً من تسمية اليهود اياهُ. بنية ان يحتقروهُ „ ابن مريم „ كانه ابن امراةٍ فقيرةٍ بقولهم „ أليست امهُ تُسمَّى مريم „ (متى ص ١٣ ع ٥٥) فهذا لم يسبب لهُ تعالى عارًا. لانهُ جاء الى الارض ليعطي نموذج التواضع والصبر. ولكن من دون ريبٍ لقد كان بعكس ذلك سبب

لهُ عاراً. لو امكن للشيطان وجنوده ان يقولوا عنهُ „ أليس هذا هو المولود من مريم التي في وقت ما وُجدت مدنسةً بالخطيئة. ووجدت اسيرةً لنا " فلقد كان امراً غير لائقٍ بالمخلص. لو كان يولد من امراةٍ موسومة بنقصٍ جسديٍ يعيبها ويبشع صورتها. او انها تكون معتراةً من الشيطان بجسدها. ولكن كم كان اعظم اهانة لهُ. لو انهُ وُلد من امراةٍ مدنسة النفس حيناً ما ومعتراة من لوسيفوروس ✿

فغير ممكنٍ ان هذا الاله الذي هو الحكمة بالذات لا يعرف ان يهيئ لذاته في الارض ذلك البيت اللائق لسكناه الذي كان مزمعاً ان يقطن فيه. والحال انهُ قد كُتب „ ان الحكمة ابتنت لها بيتاً ونحتت سبعة اعمدتها " (امثال ص ٩ ع ١) ولقد قدس العلي مسكنهُ. الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله في اوان الغداة " (مزمور ٤٥ ع ٦) اي ان الله من الغداة المعبَّر عنها بدأ حيوة مريم. قد اعانها وقدّسها مسكناً لهُ ليعدَّها اماً لائقةً لذاته لانهُ لم يكن ممكناً ولا لائقاً بالهٍ كلي انقداسة ان لا يختار لذاته بيتاً مقدساً ليسكن فيه. كما يقول المرتل نحو الله „ لبيتك ينبغي التقديس يارب الى طول الايام " (مزمور ٩٢ ع ٥) والحال ان الباري تعالى يعلن واضحاً انه لن يدخل هو الى نفسٍ معابةٍ. ولن يقطن في جسدٍ مجرم بجريرة الاثم. اذ يقول „ لان الحكمة لن تدخل النفس الردية الاعمال ولا تسكن في جسمٍ غريمٍ للخطايا " (حكمة ص ١ ع ٤) فكيف اذاً نقدر نحن ان نفتكر في ان ابن الله قد اختار ان يسكن في نفس مريم البتول وفي جسدها. قبل ان يكون حفظها ناجيةً من كل شائبةٍ وعيبٍ صادرٍ عن دنس الخطيئة. وقبل ان يكون قدسها * فالقديس توما اللاهوتي يقول „ ان كلمة الاب الازلي قد سكن ليس في نفس مريم فقط. بل في مستودعها وفي احشا جسدها ايضاً " ولذلك ترتل الكنيسة المقدسة بقولها „ انك لم تكره ايها السيد من ان تقطن في بطن البتولة " على انهُ لقد كان امراً تنفر منهُ الطبيعة الالهية بان الله يتجسد متانساً في احشا القديسة انيسا مثلاً. او في مستودع القديسة جالترودة. او في بطن القديسة تريزيا. لان هولا وان كنَّ قديساتٍ بتولاتٍ طاهراتٍ. إلاَّ انهنَّ مع ذلك في وقتٍ ما كنَّ مدنساتٍ بالخطية الاصلية التي اتلدنَ بها. ولكن لم يكره عزَّ وجلَّ

من ان يتانس في احشا مريم البتول لان هذه العذرا المجيدة المحبوبة قد وجدت دائماً بريةً من الدنس. وخاليةً من ادنى شائبةٍ او عيبٍ صادرٍ عن الخطية. وقط لم تدخل تحت حوزة الحية الجهنمية ولا دقيقةً من الزمان. ولهذا كتب القديس اغسطينوس قائلاً „ ان ابن الله لم يصنع لذاته بيتاً اشرف من والدته مريم. التي قط لم تكن خضعت لاعدائه ولا تعرّت من زينتها „ وبالخلاف يقول القديس كيرلس الاسكندري (في العدد السادس من اعمال المجمع الافسوسي) „ مَن سمع قط ان احد علما المهندسين بعد ان يكون شيّد لذاته بيتاً. فيعطي فيه حق التملك اولاً وبدءًا لعدوه الالد " ولهذا يقول القديس متوديوس „ ان ذاك الرب الذي امرنا بوصيته بان نكرم والدينا. لم يرد اذ تجسد متانساً ان يهمل تكميل هذه الوصية. بل انه اعطى والدتهُ كل نوعٍ من الكرامة والنعمة " ولذلك يبرهن القديس اغسطينوس. بانهُ يلزم بالحقيقة ان يُعتقَد في ان يسوع المسيح قد حفظ من الفساد جسد امه مريم بعد موتها. كما سبق القول. لانه اذا لم يكن صنع هذا لما كان حفظ حقاً الشريعة المرسومة منهُ. التي كما انها تامر بتكريم الوالدين. كذلك تنهي عن اهانتهم *

فكم كان قد نقص يسوع في تكريم والدته. لو انهُ لم يكن حفظها من تبعة خطية ادم. فيقول الاب توما ارجانتينا احد رهبان القديس اغسطينوس „ انهُ يرتكب خطاء بلا ريبٍ ذاك الابن. الذي مع مقدرته على ان يحفظ والدتهُ من دنس الخطية الاصلية لا يريد ان يفعل ذلك „ فالشيء الذي يُحسَب علينا خطيةً هو لزوم الاعتقاد بانه لم يكن لائقاً بشرف ابن الله الذي اذ كان قادراً ان يجعل امه بريةً من دنس الخطية الاصلية ولم يفعل ذلك. كلاَّ. انهُ تعالى لم يهمل ان يصنع ذلك. حسبما يهتف العلامة جرسون قائلاً نحو مخلصنا هكذا „ انك اذ اردت ايها الملك السماوي ان تختار اماً لذاتك فكان يلزمك بالحقيقة ان تكرمها. والحال انه من الواضح جداً انك لم تكن اكملت بالصواب هذه الشريعة. لو سمحت بان دنس الخطية الاصلية يلتحق بتلك التي كان يلزمها ان تكون مسكناً للنقاوة بجملتها " وما عدا ذلك انه امرٌ واضحٌ هو ما يقوله القديس برنردينوس السياني „ ان الابن الالهي جاء الى العالم لينقذ بنوعٍ خاص مريم البتول

فضلاً عن سائر الجنس البشري" ومن حيث انهُ كما يعلّم القديس اغسطينوس بانه يوجد نوعان بهما يتم الافتدآء. فاحدهما هو انهاض ذاك الذي يكون سقط. وثانيهما هو تدبير طريقةٍ بها يُحفَظ هو من ان يسقط. ومن دون ريبٍ ان النوع الثاني هو الاشرف (كما يقول القديس انطونينوس) لانهُ بذلك تصير النجاة من الضرر والعيب اللذين دائماً يلتحقان بنفس مَن يسقط بخطيةٍ. فمن ثمَّ بهذا النوع الثاني الاشرف والاليق بمَن هي والدة الاله ينبغي ان يُعتقَد في ان مريم قد أُنقذت. اذ ان القديس بوناونتورا في عظته الثانية على نياح والدة الاله يقول هكذا „ انهُ يلزم ان يُعتقَد بانهُ في نوع التقديس الجديد المختص بالحبل بهذه السيدة فالروح القدس في الدقيقة الاولى قد انقذها من تبعة الخطية الاصلية (لا كانها وُجدت مدنسةً بها وهو بررها منها. بل انهُ جعلها الا تتدنس بها) وهكذا بنعمةٍ خصوصيةٍ حفظها منها" وقد كتب في هذا الشان الكردينال كوزانس عباراتٍ جليةً بقوله „ ان سائر البشر قد خلصهم من الخطية الفعلية التي قد التحقت بهم. واما مريم البتول فقد خلصها من ان تلتحق بها جريرة الخطية مطلقاً " ✲

وبالاجمال اختتاماً لهذا الجزء يقول اوغون الذي من سان فيتّر „ انه من الثمرة تُعرَف الشجرة. فان كان حمل الله قد وُجد دائماً بريًا من العيب. فيلزم ان تكون والدتهُ كذلك دائماً بريةً من العيب " ومن ثمَّ يتفوه نحوها هذا العلّامة نفسه قائلاً „ يا لكِ من امٍ مستحقةٍ لابنٍ مستحقٍ (مريداً ان يبيّن المعنى بان مريم العذرا وحدها وُجدت اهلاً ولائقةً ان تصير اماً لابنٍ الهيٍ. هذه صفة عظمته وقداسته. الذي هو وحدهُ استحق اماً هذا حد نقاوتها وطهارتها التي هي هذه البتول المجيدة) يا لكِ من مستاهلةٍ لمستاهلٍ. وجميلةٍ لجميلٍ. وساميةٍ لسامٍ " فلنقل اذاً نحو هذي السيدة العظيمة (مع القديس ايدالفونسوس) هكذا „ يا مريم رضعي خالقكِ. غذي باللبن ذاك الذي صنعكِ. وقد جمّلكِ بهذا الحد من النقاوة والكمال. حتى انكِ استحقيتِ ان يتخذ منكِ الطبيعة الانسانية „ ✲

❋ الجزء الثالث ❋

* في انه ان كان لائق بالله الاب ان يحفظ مريم البتول *
* بريئةً من دنس الخطية الاصلية. بحسبها هي ابنته *
* ولائق بالله الابن ان يصنع معها ذلك *
* بحسبها هي امه. فقد لاق ايضاً *
* بالله الروح القدس ان يفعل *
* معها هذا بحسبها هي *
* عروسته *

فيقول القديس اغسطينوس „ان مريم هي تلك التي وحدها استحقت ان تسمى والدة الله وعروسته معاً" على ان القديس انسلموس يبرهن قائلاً „ ان الروح الالهي قد جاء الى مريم وحلّ فيها جسديًا. واذ اغناها من النعم فوق المخلوقات كلها. فقد استراح فيها. وصير سلطانة السماوات والارض هذه عروسةً له وانّما قال عن الروح القدس انهُ حلّ فيها جسدياً ليعني مفعول حلوله بها. لانهُ تعالى حل فيها ليصوّر من ناسوتها البري من العيب ذاك الجسد الكلي الطهارة ليسوع المسيح. حسبما سبق رئيس الملئكة جبرائيل واخبر هذي البتول بقوله لها „ روح القدس يحلّ فيك „ (لوقا ص ١ ع ٣٥) ولذلك يقول القديس توما المعلم الملئكي „ انهُ لاجل هذه الغاية تُسمّى مريم هيكل الرب. وخزانة الروح القدس. لانها بقوة فعل الروح القدس قد صارت امًا لكلمة الله المتجسد" ❋

فاذاً لو كان ممكناً ان يعطى من الله لاحد المصورين ان الامراة التي هو يصوّر صورتها حسبما يريد. جميلةً كانت او شنيعةً. فهذه نفسها ستكون له عروسةً شرعيةً. فترى كم من الجهد والعناية لكان يبذل هذا المصور في ان يجعل تلك الصورة بهيةً جميلةً فائقةً على كل ما سواها. فمن يمكنه اذاً ان يقول. ان الروح القدس لم يصنع نظير ذلك مع مريم البتول اعني انهُ تعالى مع كونه قادراً على خلقتها بتلك النقاوة وجمال النفس الفائق

اليها· لتكون عروسةً لهُ· ولم يخلقها هكذا· كلَّا· انهُ عزَّ وجلَّ قد خلقها بريةً من الدنس لانهُ هكذا كان يليق بهِ ان يصنع وكذلك حقًّا صنع· حسبما يشهد هو نفسه الحق بالذات في مديحه هذه المخلوقة الجليلة قائلاً نحوها „ كلكِ جميلة يا قرينتي وليس فيكِ عيب" (نشيد ص ٤ ع ٧) فهذه الكلمات تُفهم بالحصر عن مريم العذراء· كقول القديسين ايدالفونسوس وتوما اللاهوتي· كما يورد كورنيليوس الحجري في تفسيره هذا النص· بل ان القديسين برنردينوس السياني· ولورانسوس يوستينياني يبرهنان على ان الكلمات المذكورة قيلت عن مريم العذرا حين الحبل بها البري من الدنس· ومن ثمَّ يخاطب هذه السيدة ايديوطا العلّامة قائلًا „ انتِ كلكِ جميلةٌ ايتها البتول الكلية المجد· اي ليس بالتجزئ انتِ جميلةٌ بل بكليتكِ· وليس فيكِ عيبٌ لا من دنس الخطية المميتة· ولا من تبعة الخطية العرضية ولا من جريرة الخطية الاصلية" ☆

والى هذا المعنى نفسه قد اشار الروح القدس حينما دعا عروستهُ هذه بستانًا مغلقًا بقوله „ ان اختي العروس هي بستانٌ مغلقٌ عينٌ مختومةٌ" (نشيد ص ٤ ع ١٢) فيقول القديس ايرونيموس „ ان مريم هي بالحصر هذا البستان المغلق· وهذه العين المختومة· لان الاعدا ما استطاعوا قط ان يدخلوا اليها ليهينوها· بل انها قد احتفظت على الدوام غير مثلومةٍ ولا معابةٍ· باستمرارها دائمًا قديسةً نفسًا وجسمًا معًا" ونظير ذلك قال القديس برنردوس مخاطبًا هذه السيدة المجيدة في تفسيره النص المقدم ذكرهُ هكذا „ انتِ هي هذا البستان المغلق· لان ايدي الخطاة لم تدخل اليكِ لتسلب منكِ شيئًا" ☆

ثم اننا نعلم ان هذا العروس الالهي قد احبَّ عروستهُ مريم اشدَّ حبًّا ممَّا احبَّ بهِ القديسين كافةً جملةً مع جميع الملئكة· كما يبرهن الاب سوارس مع القديس لورانسوس يوستينياني وغيرهما· فهو تعالى منذ البدء قد احبّها وشرّفها وكرّمها· كما يرتل داود النبي بقوله „ الذي اساسهُ في الجبال المقدسة· الرب احب ابواب صهيون افضل من جميع مساكن يعقوب انسانٌ وُلد فيها وهو العلي اسسها" (مزمور ٨٦ ع ١ ثم ع ٥) فلا ريب في ان هذه الكلمات كلها تعلن ان مريم كانت قديسةً منذ الحبل بها· وهذا نفسهُ تعنيه

اقوال الروح القدس من اجلها في امكنةٍ اخر. فيقول عزَّ وجلَّ هكذا „ بناتٌ كثيراتٌ صنعنَ قوةً. كثيراتٌ امتلكنَ غناءً. وانتِ فقتِ عليهنَّ جميعًا " (امثال ص ٣١ ع ٢٩) فان كانت مريم فاقت وارتفعت على الجميع بغنى النعمة. فاذاً قد فازت منذ خلقتها بالبر الاصلي. كما كان حصل على ذلك ادم والملئكة ثم يقول تعالى „ ان الملكات هنَّ ستون. والسريات هنَّ ثمانون. والعذارى لا عدد لهنَّ. واماَّ حمامتي كاملتي (بل انهُ يُقرا في النص العبراني كاملتي البرية من الدنس) فهي واحدةٌ. هي وحيدةٌ لامها. هي منتخبةٌ لوالدتها " (نشيد ص ٦ ع ٧) فالانفس البارّة كافةً هن بنات للنعمة الالهية. واماَّ مريم فهي فيها بينهنَّ الحمامة النقية الخالية من مرارة الخطية. وهي الكاملة البرية من دنس المعصية الجدية. وهي الوحيدة التي حُبل بها في حال النعمة ✿

ولذلك زعيم الملئكة جبرائيل قد وجد هذه البتول ممتلئةً نعمةً قبل ان تكون بعدُ صارت امًا لله. ولهذه العلة نفسها حياها بالسلام قائلاً لها „ افرحي يا ممتلئةً نعمةً " فعن هذه الكلمات كتب صفرونيوس هكذا „ ان النعمة تُعطى لسائر القديسين بالتبعيض والتجزئ. واماَّ للبتول القديسة فقد أُعطيت النعمة كلها " بنوع انهُ كما يقول القديس توما اللاهوتي „ ان النعمة قد صيرت قديسةً لا نفس مريم العذرا فقط. بل لحمان جسدها ايضاً. حتى انها استطاعت هي بعد ذلك ان تلبس الكلمة الازلي من هذي اللحمان المقدسة جسدًا „ فهذه الاقوال كلها تقودنا الى ان نستنتج ونفهم جيدًا. ان البتول مريم قد أُغنيت من عروسها الروح القدس في حين الحبل بها بالنعمة الالهية ممتلئةً منها. كما يبرهن بطرس جالانسه „ بانه في هذه الام وُجد ملءُ النعمة مجموعاً. لانها منذ الدقيقة الاولى من الحبل بها قد أُفيضت عليها النعمة كلها من قِبل حلول الروح القدس " ولذلك يقول القديس بطرس داميانوس „ ان الله قد انتخب سريعاً هذه البتول. وسبق الروح القدس واختارها عاجلاً كمختطفٍ " مريداً بهذا القول ان يشير عن السرعة التي بها الروح القدس حين الحبل بهذي العذرا. قد سبق مختصاً اياها لذاتهِ عروسةً قبل ان يستولي عليها لوسيفوروس ✿

فانا اريد اخيرًا ان اختتم الفصل الحاضر (الذي قد اسهبت فيه

باكثر مماً سواه. من حيث ان جمعيتنا الحقيرة الصغيرة قد اتخذت البتول الكلية القداسة محامية عنها بالحصر. تحت صفة الحبل بها البري من الدنس) وان انهي هذا الجزء الثالث نفسه. بايرادي بقدر ما يمكنني من الاختصار. العلل والاسباب التي صيرتني مقتنعاً كل الاقتناع. كما انها هي كافية لان تلزم كل احدٍ بالاقتناع في هذا الراي الحاوي ما هو الافضل في العبادة الحسنة لهذه السيدة المجيدة. وفي تكريمها الواجب الراجع لمجدها السامي. بالاعتقاد في انه حبل بها بريئةً ناجيةً من دنس الخطية الاصلية ☆

على انه يوجد علماء كثيرون وهم الكردينال غالاتينوس. والكردينال كوزانوس. دابونتة. سالاسار. كاتارينوس. نوفارينوس. فيفا. دالوغوس. الجيديوس. ريكاريوس. وغيرهم كثيرون الذين تمسكوا بهذا الراي ايضاً محامين عنه بقوةٍ. وهو انه لم يلتحق بالعذراء المجيدة حتى ولا الدين الناتج عن الخطية الاصلية. فهذا الراي يمكن اثباته كثيراً. لانه من المحقق قد تضمنت في ارادة ادم ابينا الاول ارادة جميع البشر. بحسب كون هذا الاب هو راس الطبيعة البشرية. كما يرتأي ذلك باحتمالٍ المعلمان غونات وهوبرت مع اخرين غيرهما. مستندين على كلمات القديس بولس الرسول القائل „ ان جميع الناس اخطأُوا فيه " (رومانيين ص ٥ ع ١٢) اي بواسطة ادم. فممكنٌ هو ايضاً ان مريم البتول لم تدخل تحت طائلة الدين الصادر عن معصية ادم. من قبيل ان الله قد ميزها كثيراً عن عموم البشر بالنعم الخصوصية. ومن ثمَّ ينبغي ان يُعتقَد بحسن التقوى ان الله لم يشا ان تكون ارادة مريم العذرا محتويةً ضمن ارادة ادم ☆

فهذا الراي هو رايٌ محتمل اثباته لا غير. وانا اتبعه من اجل انه ذو مجدٍ افضل لسيدتي. ولكنني اعتبر اكيداً ذاك الراي القائم في انه لم تلتحق قط بهذه السيدة المجيدة خطية ادم. الامر الذي تمسك به اللاهوتيون الاتي ذكرهم واعتبروه حقيقياً. بل اعتقدوا به انه قضيةٌ مناهزةٌ ان تكون محددةً من الكنيسة الجامعة بانها من الايمان (١) وهم الكردينال

---

(١) اعلم ايها القاري ان هذه الحقيقة التي تمسكت بها دائماً كنيسة الله منذ الاجيال الاولى اخيراً صار ايضاً تحديدها احتفالياً في اليوم ٨ كانون

ايفاراردوس. دوفاليوس. راينالدوس. لوسادا. فيفا. وغيرهم كثيرون. وهنا اعرض عن ذكر الاوحية التي صارت توطيداً لهذا الراي. لا سيما تلك التي حصلت عليها القديسة بريجيتا المثبتة من الكرديفال طوراكراماتا. ومن اربعة احبار رومانيين. كما يُقرا في امكنةٍ مختلفةٍ من الكتاب السادس من هذه الاوحية. الاّ انهُ لا يمكن لي اصلاً ان اترك ايراد بعض الاقوال التي توجد فيها واضحةً احكام الابا القديسين المويدة هذا الراي. لكي يظهر للقارىء كيف انهم قد اتفقوا جميعاً في اثبات هذي الموهبة الخصوصية. الراجعة لتكريم الام البتول الالهية * فالقديس امبروسيوس يقول مناجياً الله هكذا „ اقبلني لا من سارة بل من مريم. حتى ان هذه التي انت تقبلني لاجلها تكون بتولاً غير مفسودةٍ. لكن بتولاً بنعمة الله بريةً من كل دنسٍ ناتجٍ عن الخطية " والمعلمُ اوريجانوس اذ يتكلم عن مريم العذرا يقول „ ان هذه البتول ما تدنست قط من نفخة الحية السميّة " وقال القديس افرام السرياني „ ان مريم هي بريةٌ من العيب. وخاليةٌ من الدنس. وناجية من جريرة اية خطيةٍ كانت على الاطلاق " والقديس اغوسطينوس في تفسيره السلام الملئكي كتب قائلاً „ ان زعيم الملئكة جبرائيل بواسطة هذه الكلمات وهي „ السلام لكِ يا مريم يا ممتلئةً نعمةً. قد اوضح بالتمام (لاحظ ايها القارىء لفظة بالتمام) ان رجز الحكومة الاولى المبرزة ضد حوا قد تلاشى. وقد أُستردت البركة بملء النعمة " ويقول القديس ايرونيموس „ ان العذراء مريم ما وُجدت قط في الظلام. بل دائماً في النور " ثم ان القديس كبريانوس (او المنسوبة لهُ هذه العبارة) يقول „ ان العدل لم يكن يحتمل ان ذاك الاناء المُنتخب يوجد مدنساً من قبل الاهانة العامة. لان الاناء المذكور (اي مريم)

اول سنة ١٨٥٤ بحضور جمعٍ غفيرٍ من الاساقفة في رومية العظمى وهذا التحديد الصادر من للبابا بيوس التاسع هو التالي „ ان التعليم الزاعم بان مريم العذراء الكلية الطوبى منذ اول دقيقة من الحبل بها بنعمةٍ وانعامٍ خصوصيين من الاله الضابط الكل وبالنظر الى استحقاقات يسوع المسيح مخلّص الجنس البشري قد وُجدت بريةً من كل دنس الخطية الاصلية هو تعليم موحى بهِ من الله وعليهِ يلتزم كافة المؤمنون بالايمان بهِ ايماناً وطيداً ثابتاً " *

هو مختلفٌ جدًا جدًا عن جميعنا. لان هذه البتول قد اشتركت معنا بالطبيعة لا بالخطية " وقال القديس انفيلوكيوس „ ان ذاك الذي خلق البتول الاولى حوا بريةً من العيوب والدنس. فهو خلق هذه البتول الثانية بريةً من العيب وخاليةً من دنس الخطية " وكتب صفرونيوس „ انهُ يقال عن البتول مريم انها بريةٌ من الدنس. لانها لم تكن قط فسدت بنوعٍ من الانواع " والقديس ايدالفونسوس يقول „ ان مريم قد وُجدت بريةً من تبعة الخطية الاصلية " وقال القديس يوحنا الدمشقي „ ان الحية لم تجد لها مدخلاً الى هذا الفردوس الذي هو مريم " ويقول القديس بطرس داميانوس „ ان جسد العذرا المجيدة هو متسلسل من ادم. ولكنها هي لم تتدنس بجريرة ادم " وقال القديس برونونه „ ان هذه الارض. اي البتول مريم هي غير مفسودةٍ. لان فيها بركة الرب. وهي ناجيةٌ من عدوى سم كل خطيةٍ على الاطلاق " ويقول القديس بوناونتورا „ ان سيدتنا قد وُجدت ممتلئةً نعمةً متقدمةً على تقديسها. نعمةً حافظةً اياها من طاعون سم الخطية الاصلية " وكتب القديس برنردينوس السياني قائلاً „ انهُ لا يمكن ان يُصدَّق هذا وهو ان ابن الله اراد ان يولد من البتول. وياخذ من جسدها ناسوتًا مدنساً بجريرة الخطية الجدية " وقال القديس لورانسوس يوستينياني „ ان مريم منذ الدقيقة الاولى من الحبل بها وُجدت حاصلةً على البركات السابقة " والعلّامة ايديوطا في تفسيره كلمات المبشر القائل „ انكِ يا مريم قد وجدتِ نعمةً " يخاطب هذه البتول قائلاً „ انكِ قد وجدتِ نعمةً خصوصيةً اينها العذرا الكلية الحلاوة. نعمةً قد حفظتكِ ناجيةً من دنس الخطية الاصلية " وهذا نفسهُ يقولهُ معلمون كثيرون ❊

غير ان سببين خاصّين يحققان لنا صدق هذا الراي ويوطدان لنا هذي الحقيقة ذات الديانة الحسنة بنوعٍ اخص. فاحدهما هو اتفاق مذهب المؤمنين بوجه العموم على هذه الحقيقة. فيشهد الاب اجيديوس بان جمعيات الرهبنات كافةً قد اتبعنَ هذا الراي. امّا رهبنة القديس عبد الاحد. فهذه عينها (كما يقول احد العلما المتاخرين) ولئن كانت تحوي اثنين وتسعين معلماً قد كتبوا ضد هذا الراي. فمع ذلك في الوقت عينه حوت مائة وستة وثلثين معلماً قد اتبعوا راينا ضد اولئك. ولكن الامر الذي ينبغي ان يزيدنا تاكيداً

فوق ذلك جميعه هو ان يكون راينا التقوي مطابقاً الى راي جميع الكاثوليكيين الامر الذي يشهد بهِ البابا الكسندروس السابع. المصرح في رسالته الرسولية التي بدؤها „اعتنى جميع الكنائس.‟ المبرزة سنة ١٦٦١ حيث يقول فيها „ انهُ قد تضاعفت جديداً هذي العبادة الحسنة نحو والدة الاله — فعلى هذه الصورة قد اعتنق المدارسيون هذا الراي الصالح. وانتشر على نوعٍ ما عند جميع الكاثوليكيين معتقدين بهِ وبالحقيقة ان هذه القضية قد أعضدت وحومي عنها بقوةٍ من علماء المدارس الشهيرة. نظير مدرسة سربونا. ومدرسة الكالا ومدرسة سالامانكا. ومدرسة كوامبريا. ومدرسة كولونيا. ومدرسة ماغونتسا. ومدرسة نابولي ومدارس اخر غيرها كثيرة. وفي هذه المدارس كل مَن كان يحصل على شهادة بدروسهِ كان يلزم ذاته بقوة الحلف بان يحامي دائماً عن الحبل بمريم العذرا البرية من دنس الخطية الاصلية. فاتفاق راي المومنين العام هذا على القضية المذكورة يُستخدَم من العلّامة بيطافيوس في اثباتهِ اياها وقد كتب عن هذا الراي العام السيد الجليل الاسقف يوليوس طورني „ بانهُ لا يمكن الاَّ ويقنع كل احدٍ ‟ على انهُ بالحقيقة لم يكن سوى برهان اتفاق راي المؤمنين العام. هو الذي اكَّد لنا قضية تقديس مريم العذرا في احشا والدتها القديسة حنه. وصعودها الى السما بالنفس والجسد. فلماذا اذاً اتفاق راي المؤمنين على انهُ حُبل بهذه الام الالهية بريةً من دنس الخطية الاصلية. لا يصيرنا متاكدين هذه القضية نظير القضيتين المقدم ذكرهما ✿

امَّا السبب الثاني الذي يحقق لنا بنوع ابلغ واقوى من السبب الاول صدق هذه القضية. ويجعلنا متاكدين ان مريم العذرا قد حُبل بها بريةً من تبعة المعصية الاصلية. فهو تعيين الكنيسة الجامعة عيداً خصوصياً يُحتَفل بهِ تكريم الحبل بها البري من الدنس فبهذا الصدد انا الاحظ من الجهة الواحدة ان الكنيسة تكرم بهذا العيد الدقيقة الاولى التي فيها خُلقت نفس هذه العذرا المجيدة. واتحدت بجسدها المتكون في احشا والدتها. حسبما يعلن ذلك واضحاً البابا الكسندروس السابع في منشوره الرسولي السابق ذكرهُ. الذي بهِ يقول „ ان الكنيسة تقدم للعذرا المجيدة في عيد الحبل بها البري من الدنس. تلك العبادة عينها التي تكرمها بها كلمات الراي او الحقيقة التي نحن في صددها ‟ اي انهُ منذ الدقيقة الاولى التي خُلقت

فيها نفس هذه البتول قد وُجدت بريةً من دنس الخطية الاصلية. ومن الجهة الثانية افهم بتاكيد. ان الكنيسة الجامعة لا يمكنها ان تحتفل شيئًا لم يكن بكليته مقدساً. حسبما يبرهن القديس لاون الكبير الحبر الروماني. ومثله القديس اوسابيوس البابا القائل « ان الايمان الكاثوليكي قد حفظ دائماً في السدة الرسولية بريًا من العيب » وكما يعلّم اللاهوتيون اجمعون جملةً مع القديس اغوسطينوس. وكذلك القديس برنردوس والقديس توما اللاهوتي الذي يستخدم هذا البرهان نفسهُ. اي احتفال الكنيسة بعيد ميلاد والدة الاله. ليثبت انها اي العذرا المجيدة قد تقدست قبل ان تولد. وهذه هي كلماته « ان الكنيسة تحتفل عيد ميلاد الطوباوية مريم البتول. ومن حيث ان الكنيسة لا تعيد الاّ لشيءٍ مقدسٍ. فمن ثم استنتج ان الطوباوية العذرا قد تقدست في احشاء والدتها قبل ان تولد » فاذاً ان كان من المحقق ما يقوله هذا المعلم الملئكي. اي ان والدة الاله قد تقدست في احشا والدتها. لاجل ان الكنيسة تحتفل بعيدٍ خصوصي ميلاد هذه العذرا. فلماذا نحن لا نعتقد بحقيقة هذه القضية ايضاً وهي ان مريم البتول قد حُبل بها بريةً من دنس الخطية الاصلية. منذ الدقيقة الاولى من حياتها في حين خلقتها. فيما اننا عالمون ان الكنيسة تحتفل الان عيد الحبل بها البري من الدنس ☆

اما اثباتًا لهذه النعمة الخصوصية الجليلة التي فازت بها الطوباوية مريم البتول. فمعلومةٌ هي عند الجميع النعم العجيبة الغير المحصاة. التي تنازل الله لان يصنعها على نوعٍ ما يوميًا في جميع مملكة نابولي خاصةً بواسطة الصوَر المطبوعة فيها ايقونة والدة الاله البرية. من الدنس واني لقد كنت استطيع ان اورد حوادث كثيرة من ذلك قد جرت على ايدي اباء جمعيتنا عينها. ولكنني اكتفي بتخبير الحادثين الآتي ذكرهما ☆

☆ نموذج ☆

يومًا ما قد جاءت بيت جمعيتنا الحقير الكائن في مملكة نابولي احدى النساء قاصدةً اخبار احد اباء الجمعية بان زوجها قد مضى عليه سنوات عديدة ولم يتقدم الى منبر التوبة ليعترف بخطاياه. وانها لم تعد هي تعلم

ماذا تصنع معهُ لتجتذبه الى عمل التوبة. لانها اذ كانت تخاطبهُ في شان الاعتراف. فكان يهينها ويضربها. فالاب بعد سماع قصتها اشار اليها بان تعطي رجلها صورةً من صور الحبل بوالدة الاله البري من الدنس. فبعد ان اخذت تلك الصورة انطلقت الى بيتها. واذ حان المسآ اخذت المرأة تتوسل الى رجلها لكي يتقدم الى الاعتراف. امَّا هو فجعل ذاتهُ كاصمٍ حسب عادته. ولم يصغِ لها. فمن ثمَّ قد دفعت اليه تلك الصورة. فحالا تناولها منها. فعلى الفور قال لها اي متى تريدين ان تاخذيني لاعترف. لاني مستعدٌ. فامراتهُ من شدة الفرح طفقت تبكي عند مشاهدتها هذا التغيير السريع العجيب. وبالحقيقة ان الرجل قد ذهب في صباح تلك الليلة عينها الى كنيستنا لهذه الغاية. واذ سأله ذاك الاب نفسه كم من الزمان كان لهُ من غير اعتراف. فاجابهُ انهُ منذ مدة ثماني وعشرين سنة لم يكن تقدم الى منبر سر التوبة. فكرر عليه الاب السؤال قائلًا „ وكيف انك الان في هذا الصباح باكراً حضرت لتعترف " فقال لهُ „ اعلم ايها الاب اني كنت مصرًّا على عدم التوبة. غير ان زوجتي في الليلة البارحة قد اعطتني صورة الحبل بالعذرا بلا دنس وحالما اخذتها بيدي شعرت بتغييرٍ كلّي في قلبي بهذا المقدار. حتى انهُ كانت تظهر لي مدة كل ساعةٍ من هذه الليلة مستطيلة كانها سنوات عديدة. منتظراً ان يلوح الفجر لكي آتي واعترف بخطاياي " وحقًّا انهُ قد اعترف اعترافًا جيدًا باحتشام واحترام وافرين وغيّر سيرة حياتهِ الماضية. وواظب ازمنةً مديدةً على الاعتراف بتكاثرٍ عند ذاك الاب عينه ✿

ثم انهُ في مكانٍ اخر من ابرشية سالارنو. في الوقت الذي فيهِ كنا نحن في تلك الابرشية نمارس خدمة الرسالة المقدسة. قد كان هناك انسانٌ لهُ مع شخصٍ اخر عداوةٌ جسيمة في الغاية لاهانة قد ارتكبها ضده ذاك الشخص. فاحد ابا جمعيتنا قد تكلم مع ذاك الانسان في ان يصفح لعدوه. امَّا هو فاجاب وقال لهُ „ هل انك رايتني مرةً ما ايها الاب حاضراً في الكنيسة لاستماع مواعظكم " فاجابهُ. كلَّا. فقال لهُ „ اذاً لاجل هذه الغاية انا ما حضرت قط لاسمع الوعظ عندكم. لاني اعرف ذاتي باني هالكٌ. ولكنني لا اريد شيئًا اخر سوى ان اخذ الثار من عدوي " فالاب الموحى اليه قد

تعب كثيراً في اقناعه. ولكن قد ذهب اقناعه سدًى. فلما رآه بهذا المقدار مصراً على عدم التوبة. حتى ان كلامه كله كان يمضي ضائعاً. قال له اخيراً „ خذ صورة حبل العذرا بلا دنس هذه " ففي الابتدا اجاب وقال „ ترى ما لي وهذي الصورة " ولكن اخذها بعد ذلك من الاب. واذا به حالاً كانه قط لم يكن انكر الصفح قبلاً. سأل ذاك الاب قائلاً „ هل ان ابوتك تريد مني شيئاً اخر غير الترك والغفران لعدوي. فهوذا انا مستعدٌ لان اتمم ذلك " وهكذا اتفق معه على المجيء اليه لهذه الغاية في الصباح المقبل. غير انه حينما جاء اليه في اليوم الثاني انقلب من جديد عن قصده الصالح. ولم يرد ان يصنع شيئاً مما صار عليه الاتفاق. فحينئذٍ الاب المنوه عنه قد سلمه صورةً اخرى من صور الحبل بالعذرا بلا دنس. فلم يرد أن يقبلها اولاً. ولكنه حيءً وبعد الجهد قد اخذها. الَّا انه على البديه من دون امهالٍ قال „ قم بنا لاني اريد نهاية هذه القضية. اين هو ماسترو داتي عدوي " وحالاً صنع معه الصلح وغفر له وتقدم الى منبر التوبة معترفاً بخطاياه ✿

✿ صلوة ✿

يا سيدتي البرية من الدنس. انني افرح معكِ عند ملاحظتي اياكِ غنيةً بهذا المقدار من سمو النقاوة والطهارة. فاشكر خالق الكل عازماً على ان اشكره دائماً. لاجل انه حفظكِ بريةً من دنس كل خطيةٍ. ولكي احامي عن قضية الحبل بكِ بغير دنس الخطية الاصلية. الامر الذي هو نعمة خصوصية عظيمةٌ وجليلةٌ لائقةٌ بكرامتكِ. فانا مستعدٌ واقسم باني ابيع دمي ان لزم الامر. واقبل الموت من اجل تأييدها. ولقد اتمنى ان سكان العالم باسره يعرفونكِ ويعترفون بانكِ انتِ هي نجمة الصبح. التي هي دائماً متلألأة بالضيا الالهي. وانكِ انتِ هي سفينة الخلاص المختارة المنقذة من غرق الخطية العام. وانكِ انتِ هي تلك الحمامة الكاملة البرية من العيب والخالية من الدنس. كما اوضحكِ عروسكِ الالهي. وانكِ انتِ هي ذاك البستان المختوم والجنة المغلقة التي فيكِ وجد العلي تنعمه. وتلك العين المختومة التي لم يدخل اليها العدو ليعكر امواهها. وزهرة السوسن والزنبق النقي. اذ انكِ قد نبتِّ فيما بين الاشواك اعني بهم ابناء ادم

المولودين بدنس الخطية واعداءً لله. فانتِ ولدتِ نقيةً طاهرةً بيضاء خليلةً وصديقةً لخالقكِ العظيم ☆

فدعيني ان امدحكِ انا ايضاً حسبما مدحكِ الهكِ قائلاً « كلكِ جميلةٌ يا قرينتي وليس فيكِ عيبٌ » يا حمامة كلية النقاوة بيضاء بجملتكِ، جميلةً بكليتكِ. صديقةَ الله دائماً. فيا مريم البرية من الدنس الخالية من العيب الكلية الحلاوة. الموضوع الكلي الحب. فلانكِ انتِ بهذا المقدار جميلةٌ في عيني سيدكِ. فلا تأبي من ان تنظري بطرفكِ الشفوق الرحيم الى جراحات نفسي المثخنة. بل انظري اليَّ وارحميني واشفيني. فيا مغناطيس القلوب اجتذبي اليكِ قلبي انا الذليل. فانتِ التي منذ الدقيقة الاولى من حياتكِ قد وُجدتِ نقيةً وظهرتِ طاهرةً جميلةً امام الله. اشفقي عليَّ انا الذي ليس فقط ولدت بالخطية. بل اني بعد المعمودية ايضاً قد دنست من جديد نفسي بالمآثم. فذاك الاله الاب الذي انتخبكِ ابنةً لهُ. والاله الابن الذي اختاركِ اماً لهُ. والاله الروح القدس الذي اختصكِ عروسةً لهُ. ولاجل ذلك قد حفظكِ الثالوث الاقدس بريةً من كل دنسٍ. وميّزكِ بحب زائد على مخلوقاته كلها. فاية نعمةٍ يمكن ان ينكر عليكِ. يلزمكِ اذاً ان تخلصيني ايتها البتول البرية من العيب. فانا اقول لكِ ما كان يقولهُ نحوكِ القديس فيلبس نيري « اجعليني ان افتكر بكِ دائماً وانتِ لا تنسيني » ولكن تظهر لي اعاقتي عن الحضور لاشاهد جمالكِ السماوي كانها مدة الف سنة. حيث اراكِ في الفردوس. لكي احبكِ اشد حباً. واسبحكِ يا امي ويا ملكتي. ويا حبيبتي الكلية البهآء والحلاوة والنقاوة البرية من كل عيبٍ ودنس آمين ☆



الفصل الثاني

* فيما يخص عيد ميلاد العذرا المجيد حيث يُبرهن ان مريم * * وُلدت قديسةً عظيمةً وانها وُجدت امينةً * * عظيمةً فيما نالتهُ من الله *

* وفيهِ جزءان *

الجزء الاول

* في عظمة النعمة الاولى التي بها اغنى الله مريم البتول *

انهُ من عادة البشر ان يحتفلوا بعلامات الفرح والابتهاج بميلاد اطفال لهم. ولكن بالاحرى كان يلزمهم ان يحزنوا متوجعين من اجل الاطفال الذين يولدون لهم. عند تاملهم في ان هولا الاطفال ليس فقط هم عادمون الاستحقاقات وفاقدون الفهم. بل ايضاً هم مدنسون بالخطية الاصلية واولاد الرجز. ولذلك هم تحت حكومة الشقا والموت * واماً ميلاد العذرا المجيدة. فبالصواب يُحتفل بهِ بفرح وتسبيح عامين. لانها حينما ولدت وان كانت وقتئذٍ طفلةً بالجسد والعمر. فمع ذلك وُجدت كبيرةً في الاستحقاقات والفضائل. فمريم قد وُلدت بحال القداسة العظمى. ولكن لكي تفهم درجة القداسة التي بها هي وُلدت فيلزم ان نتامل اولاً في كم كانت عظيمةً النعمة الاولى التي بها اغناها الله. ثانياً في كم كانت عظيمةً الامانة التي هي حالاً جاوبت بها على هذه النعمة لله *

وإذ نتكلم الان عن الموضوع الاول تاركين الثاني للجزء الاخر فنقول. انهُ لامرٌ حقيقيٌ هو ان نفس مريم العذرا. كانت النفس الاجمل فيما خلقهُ

اللـه. بـل بالحري انهُ بعد تجسـد كلمـة الله. قد وُجدت نفس مريم العمل الاعظم. والاكثر لياقةً بالاله القادر على كل شيء. ممَّا صنعهُ في هذا العالم. ولذلـك يسميها القديس بطرس داميانـوس „ انها العمل الذي الله وحده يسمـو عليـه " فمن ثمَّ ان النعمة الالهية لم تنحدر على مريم شيئًا فشيئًـا. كما انحدرت على سائـر القديسين بل نزلت عليها „ مثل الندى على الجزة ومثل القطر القاطر على الارض " حسبما سبـق وتنبأ عنهـا داود الملك (مزمور ٧١ ع ٦). فقد كانت نفس مريم نظير الجزة التي قد استقطرت غيث نعمة الله كله. من دون ان تضيع منهُ نقطةً واحدةً. كما يقول عنها القديس باسيليـوس الكبير „ ان البتول القديسة قد اجتذبت اليها نعمة الروح القدس كلها وامتـلأت منها " ولذلـك هي تقول عن ذاتها بواسطة الحكيم ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ١٦) „ وفي جمهور القديسين مقامي " اعني (كما يفسر ذلـك القديس بوناونتورا قائلاً عن لسانها) „ اني امتلك بملء جميع ما يمتلكـه القديسون بطريق التجزي " اماَّ القديس منصور فراري. فاذ يتكلم بالخصـوص عن سمو قداسـة هذه البتول قبل ميلادها يقول „ انها قد فاقت بالقداسة على الملئكة والقديسين اجمعين " ✿

فالنعمة التي حصلت عليها العذرا المجيدة قد كانت درجتها اسمى واعظم. ليس فقط من درجة النعمة التي فاز بها كلٌّ من القديسين بمفرده. بل هي ايضاً اعظم من النعم كلها التي حصل عليها القديسون والملائكة جملةً. كما برهن عن ذلك الاب العلامة فرنسيس بيبي اليسوعيّ في تاليفهِ الجليل الملقب „ عظمة يسوع ومريم " وهناك يثبت ان هذه القضية الجليلة العائدة لتكريم ملكتنا العظيمة هي الان عامةً واكيدةً فيما بين اللاهوتيين المحدثين كما هي مبرهنة من كارتاجانا. وسوارس. وسبينالي. وراكوبينتوس وغوارا. ومن غيرهم كثيرين الذين قد فحصوها فحصاً مدققًا. (الامر الذي لم يصنعهُ القدما) ثم يخبر باكثر من ذلك بان هذه الام الالهية قد ارسلت من قبلها الاب مرتينـوس غوتيزار الى الاب سوارس لكي يشكـرهُ على اسمهـا. لاجل انهُ بحرارةٍ قويةٍ حامى عن هذه القضية الكلية الاحتمال. كما يشهد ايضًا الاب السنيري بان اهل مدرسة سالامانكا قد حاموا عنها باتفاق الراي العام ✿

فان كان اذاً هذا الراي او القضية هي هكذا عامة واكيدة. فكذلك القضية

الاخرى هي ممكنةٌ جداً. اي ان مريم العذرا منذ الدقيقة الاولى من الحبل بها البري من الدنس. قد حصلت على هذه النعمة السامية الفائقة درجتها علوًا على النعمة التي فاز بها القديسون والملئكة كلهم معاً. وعن هذا الامر يحامي بقوةٍ الاب سوارس عينه. وقد تبعه بذلك الاب سبينالي والاب راكوبيتوس والاب كولومبارة ولكن ما عدا شهادة اللاهوتيين في هذا الشان يوجد برهانان قويان مقنعات بهما تتثبت القضية المذكورة. فالبرهان الاول هو لان الله قد اختار مريم البتول امًا للكلمة الالهي. ومن ثمَّ يقول الطوباوي ديونيسيوس كارتوزيانوس „ انه من حيث ان هذه العذرا المجيدة قد اختيرت الى رتبةٍ فائقةٍ على جميع المخلوقات. لان مقام والدة الله هو على نوعٍ ما (كما يورد الاب سوارس) مختصٌ بالاتحاد الاقنومي. فبالصواب اذاً قد أعطيت هي منذ بدء حياتها مواهب ذات رتبةٍ خصوصيةٍ سامية على الجميع. بنوع ان سمو هذه النعم يفوق بما لا يُحدّ على كل المواهب والنعم الممنوحة لسائر المخلوقات. وبالحقيقة انهُ لامرٌ خالٍ من كل ارتيابٍ هو انه في الوقت عينهِ الذي فيه بموجب المراسيم الالهية الازلية قد تحدد امر تجسد كلمة الله الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس. فبالوقت نفسهِ قد تحددت وتعينت لهُ الام التي كان ينبغي ان يتانس منها. وهذه الام هي مريم الطفلة المولودة من القديسين يواكيم وحنه. فالمعلم الملئكي القديس توما يعلّم قائلاً „ ان الله يمنح لكل انسانٍ النعمة الملائمة والمطابقة للدعوة او للرتبة او للوظيفة التي هو تعالى يكون عينّها لهُ وخصصهُ بها ” بل ان القديس بولس الرسول قد علم ذلك قبل القديس توما بقوله „ ليس اننا نقدر من قبل انفسنا ان نفتكر فكراً كانه من انفسنا. بل كفايتنا من الله الذي اهلنا ان نكون خداماً للميثاق الجديد ” (قرنتية ثانية ص ٣ ع ٥) مبينًا لنا بهذا النص ان الرسل قد اقتبلوا من الله المواهب الملائمة والكافية لاتمام واجبات الخدمة الرسولية. التي كان عزَّ وجلَّ اختارهم اليها. ثم يضيف الى ذلك القديس برنردينوس السياني بقوله „ انهُ حينما انسانٌ ينتخب من الله الى دعوةٍ ما. فيقتبل منه تعالى لا التهيىء والاستعداد الضروري فقط لتلك الدعوة. بل المواهب ايضاً التي هو يحتاج اليها لان يقوم في واجباتها حسنًا وبلياقةٍ ” فاذاً ان كانت مريم البتول قد اختيرت لان تكون امًا لله.

فكان من اللائق جداً ان الله يزينها منذ الدقيقة الاولى من حياتها بنعمةٍ جزيلة وبرتبةٍ سامية على سائر النعم الممنوحة منه تعالى للقديسين وللملئكة اجمعين. اذ انه من اللازم بان تطابق النعمة للمقام السامي الذي قد رفعها اليه كما يبرهن اللاهوتيون اجمعون جملةً مع القديس توما شمس المدارس الذي يقول „ ان البتول مريم قد انتخبت لتكون اماً لله. فلا ريبَ في ان الله قد وهبها النعمة التي تجعلها موضوعاً قابلاً لهذه الدعوة. بنوع انها قبل ان تكون صارت اماً لله قد تزينت بقداسةٍ كاملةٍ. حتى انها صارت اهلاً لهذه الدعوة العظيمة والمقام الفائق سموهُ " ثم ان هذا القديس عينهُ قال „ انهُ لاجل ذلك قد سُميت مريم ممتلئةً نعمةً. لا من جهة النعمة عينها لان مريم لم تحصل على سمو النعمة الممكن الحصول عليه كما انه لم يكن ذلك السمو اي سمو النعمة الاكتسابية التي وجدت في يسوع المسيح نفسهِ. لان القوة الالهية لم تعد تقدر ان تزيد هذه النعمة سمواً ذاتياً حتى تبلغ بها الى اقتدارٍ مطلقٍ. ولكن قد كانت هذه النعمة في يسوع المسيح مطابقة وكافية بلياقةٍ للغاية التي بها كان ناسوتهُ تعالى مرتباً من الحكمة الالهية. اعني اتحاد الكون الانساني بالاقنوم الالهي " لان القديس المذكور نفسه يعلم قائلاً „ ان القدرة الالهية هي هكذا عظيمةٌ حتى انها مهما تهب فدائماً توجد مقتدرةً على ان تعطي مواهب اخرى جديدة. ثم وان تكن القوة الطبيعية في الخليقة نظراً الى الاقتبال محدودةً. بنوع انهُ يمكن املاؤُها بالتمام. فمع ذلك ان هذه القوة الطبيعية للاقتبال الخاضعة للارادة الالهية هي غير محدودةٍ. فالباري تعالى هو دائماً قادرٌ على ان يملأها جاعلاً اياها اكثر اهلية للقبول. ثم فلنرجع الى موضوعنا. قال المعلم الملائكي ان البتول الطوباوية وان لم تكن ممتلئةً نعمةً نظراً الى النعمة ذاتها. فمع ذلك يقال عنها ممتلئةً نعمةً نظراً الى ذاتها. لانها حصلت على نعمةٍ عظيمةٍ غير محدودةٍ ملائمةٍ وكافية لرتبتها ومقامها ودعوتها الغير المقاسة. بنوع ان هذه النعمة العظيمة قد صيرتها اهلاً لان تكون اماً لله " ومن ثمَّ يضيف الى ذلك بناديكتوس فيرناندس قائلاً „ ان القياس الذي بموجبهِ يمكننا ان نفهم مقدارِ عظمة النعمة التي نالتها مريم البتول من الله. انَّما هو المقام السامي الذي أُختيرت اليهِ اعني حال كونها ام الله " ✩

فاذاً بالصواب قال النبي والملك داود ان اساسات مدينة الله هذه اعني مريم كان يلزم ان تبنى على رؤوس الجبال „ اساسهُ في الجبال المقدسة " (مزمور ٨٦ ع ١) اي ان اساس حيوة مريم وابتداء وجودها في العالم. كان يلزم ان يوجد اسمى واعلى قداسةً من حيوة سائر القديسين الذين ماتوا في البرّ. ثم ان النبي يتبع كلامهُ بقولهِ „ الرب احب ابواب صهيون افضل من جميع مساكن يعقوب " ويبرهن هو نفسهُ السبب معلنًا „ لان انسانًا ولد فيها وهو العلي الذي احكمها „ اي لان الله قد كان مزمعًا ان يصير انساناً في المستودع البتولي. ولهذا كان من الواجب انهُ تعالى يهب هذي البتول منذ الدقيقة الاولى التي فيها هو خلقها نعمةً مطابقةً للدعوة والمقام والرتبة التي هو اختارها اليها. وهي ان تكون والدةً لالهٍ هكذا كلي الكمال ❁

ثم ان النبي اشعيا يشير الى هذا نفسهِ بقوله „ لانهُ سيكون في اخر الايام ان جبل الرب يحصل ثابتاً في رؤوس الجبال ويستعلي فوق التلال ويجتمع اليه كل الامم ويسير اليه شعوب كثيرة " (ص ٢ ع ٢) مبادرين الى مريم البتول التي هي بيت الرب. ليستمدوا بواسطتها المراحم الالهية. فالقديس غريغوريوس الكبير يفسر النص المذكور قائلاً „ ان هذا الجبل بالحقيقة هو في قمة الجبال. لان علو مقام مريم يتلألأ سمواً فوق جميع القديسين " ويقول القديس يوحنا الدمشقي „ ان مريم هي الجبل الذي سرّ الله ان يختارهُ مقرًا لسكناهُ " فلهذا قد دُعيت هذه السيدة شجرة السرو. ولكن سرو جبل صهيون. وسُميت بالارز. ولكن ارز لبنان. ولُقبت بالزيتونة. ولكن زيتونة جميلة. وكُنيت بالمنتخبة ولكن منتخبة كالشمس. لانهُ (يقول القديس بطرس داميانوس) „ كما ان الشمس تفوق بانوارها على الكواكب والنجوم بهذا المقدار. حتى ان هذه الاجرام لا تعود تشاهد حينما تظهر الشمس. فكذلك البتول العظيمة والام الالهية تفوق بقداستها على استحقاقات اهل البلاط السماوي اجمعين " بنوع انهُ. حسبما يقول بكل فصاحةٍ القديس برنردوس „ ان مريم قد كانت هكذا ساميةً في القداسة حتى انهُ لم يلق ان تكون امًا لهُ الاَّ هذه البتول المجيدة. ولم يكن لائقاً ان يصير لها ابنًا الاَّ الاله الكلي كمالهُ " ❁

واماّ البرهان الثاني الذي يثبت ان البتول القديسة منذ الدقيقة الاولى من حياتها. وُجدت اكثر قداسةً من جميع القديسين معاً. فهو مسنود

على المقام العظيم الذي انتخبت اليه بان تكون وسيطةً للبشر عند الله. المقام الذي تعين لها منذ البدء. ومن ثمَّ احتاج الامر الى انها تكون منذ البدء حاصلةً على مقدارٍ عظيمٍ من النعمة تفوق بهِ على البشر كافةً اذا وُجدوا معاً. فامر واضح هو كيف ان الآبا القديسين واللاهوتيين اجمعين يعطون مريم العذرا هذا اللقب. وهو وسيطة للبشر عند الله. لاجل انها بواسطة شفاعتها المقتدرة واستحقاقها العظيم المستند الى الرجا في رافة الله. قد استمدت الخلاص للجميع. معتنية بان تنال للعالم الهالك الخير العظيم الصادر عن سرّ الافتداء. وانما يقال عن استحقاقها انهُ مستند الى الرجا في رافة الله. لان يسوع المسيح وحدهُ هو وسيطنا بطريق العدل وبقوة استحقاقاتهِ الذاتية الموازية ما كان يحق للوفا عن خطايا البشر. حسبما تعلم بذلك المدارس. اذ انهُ تعالى قد قدم استحقاقاتهِ لله ابيهِ الازلي الذي قبلها من اجل خلاصنا. وبالخلاف ان مريم هي وسيطتنا بطريق النعمة وبمجرد شفاعتها فينا. وباستحقاقاتها الاستنادية. اذ انها قدمتها لله الرؤوف. كما يقول اللاهوتيون مع القديس برنردوس من اجل خلاص البشر كافةً. وان الله قد قبلها منّةً ونعمةً منهُ مع استحقاقات يسوع المسيح. ولذلك يقول ارنولدوس كارنوتينسي „ ان مريم قد حصلت في امر خلاصنا على مفعولٍ مشترك مع المسيح ابنها " ويقول ريكاردوس الذي من سان فيتّوري „ ان مريم قد اشتهت خلاص الجميع واعتنت في نوالهِ لهم واكسبتهم اياهُ بل ان الخلاص حصل للجميع بواسطتها " وبالتالي ان كل خيرٍ وموهبةٍ مختصة بالحيوة الابدية قد نالها من الله كل من القديسين فانما ذلك قد توزع عليهم بشفاعة مريم ☆

فهذا هو الشيء الذي تريد منا الكنيسة المقدسة ان نفهمهُ حينما هي تكرم البتول الطوباوية بتخصيصها بها الكلمات المدونة في حكمة ابن سيراخ (ص ٢٤ ع ٢٥) وهي „ فيَّ نعمة كل مسلكٍ وحقٍ. ثم فيَّ كل رجا حيوةٍ وفضيلةٍ " فلفظة مسلكٍ تعني ان بواسطة مريم تتوزع النعم كافةً على عابري طريق هذه الحيوة. ولفظة حقٍ توضح ان بواسطة هذه السيدة يُعطى النور لمعرفة الحق. ولفظة حيوةٍ تعلن اننا نرجو ان ننال بواسطة هذي الام الالهية حيوة النعمة ما دمنا قاطنين في الارض. والمجد السماوي بعد ذلك في الحيوة الابدية. ولفظة فضيلةٍ تبرهن اننا بواسطة شفيعتنا هذه نكتسب

الفضائل. لا سيما الثلث الفضائل الالهية التي هي اساس فضائل القديسين * فتقول هذه السيدة في الاصحاح المذكور عينه (ع ٢٤) „ انا هي ام المحبة الجميلة والتقوى والمعرفة والرجا القدس " لان مريم بواسطة شفاعتها تستمد لنا نحن عبيدها مواهب الحب الالهي. والخوف المقدس. والنور السماوي. والرجا الامين. والطمانينة المقدسة. ومن ذلك يستنتج القديس برنردوس ان تعليم الكنيسة الجامعة هو. ان مريم هي وسيطة عامة لخلاصنا. اذ يقول „ عظّم يا هذا واجدة النعمة ووسيطة الخلاص. ومصلحة الاجيال. لان الكنيسة هكذا ترتل لها. وقد علمتني ان ارتل انا ايضاً من اجلها هذه الاشيا عينها " فلاجل ذلك يعلن القديس صفرونيوس البطريرك الاورشليمي قائلاً. „ ان زعيم الملئكة جبرائل قد تفوّه نحو البتول الطوباوية هاتفاً „ افرحي يا ممتلئةً نعمةً " لانهُ قد اعطي للاخرين مقداراً محدوداً من النعم واما مريم فقد أعطيت النعمة كلها بملئها كاملةً وهذا قد تم لكي تستطيع هي فيما بعد بهذا النوع ان تكون وسيطةً ذات اهلية فيما بين الله والبشر " حسبما يورد هذه الالفاظ عينها القديس باسيليوس الكبير „ والا اذا لم تكن البتول الكلية القداسة حصلت على ملء النعمة الالهية. فكيف كان يمكنها ان توجد هي سلم الفردوس. وشفيعة العالم. والوسيطة الحقيقية فيما بين الله والبشر " كما يقول هذه الكلمات نفسها القديس لورانسوس يوستينياني في عظته على عيد البشارة *

فهوذا البرهان الثاني قد انتصح انتضاحاً جزيلاً. على انه ان كانت مريم الطوباوية قد أُقيمت منذ بدء حياتها بحسب كونها اماً لمخلص العالم بوظيفة وسيطةٍ للبشر اجمعين. وبالتالي وسيطة للقديسين ايضاً فلزم اذاً انها منذ البدء تحصل على نعمةٍ تفوق سمواً على جميع النعم التي فاز بها القديسون كلهم معاً. وان توجد محبوبةً من الله وعزيزةً لديه بنوع يسمو على البشر جملةً. والا فكيف كان يمكنها ان تتشفع فيهم جميعاً لديه تعالى. لانهُ لكي يفوز وسيط لدى الملك بنعمة وموهبة لرعايا الملك فيقتضي ان يكون ذاك الوسيط عزيزاً اكثر من جميع رعاياه. ومن ذلك يستنتج القديس انسلموس قائلاً „ ان مريم قد استحقت بكل لياقةٍ ان تصير مصلحةً للعالم الهالك. لانها كانت الاكثر قداسةً والاعظم طهارةً من المخلوقات كلها " *

ولقائل ان يقول ان مريم البتول اذاً هي وسيطة عند الله للبشر. فمسلمٌ، ولكن كيف يمكن ان يقال عنها انها هي وسيطة الملئكة ايضاً. فلاهوتيون كثيرون يبرهنون في ان يسوع المسيح قد استحق مكتسبًا للملئكة ايضاً نعمة الثبات في البرّ. ومن ثمَّ كما ان يسوع المسيح على هذه الصورة وُجد وسيطاً للملائكة ايضاً. بواسطة الاستحقاق الذاتي الموازي الوفا. فهكذا مريم هي وسيطتهم بواسطة الاستحقاق المستند على الرجا في رافة الله. لانها بقوة تضرعاتها وصلواتها قد عجّلت مجيء المسيح الى العالم. وقد استحقت قلما يكون استحقاق الرجا في المراحم الالهية ان تكون اماً للمسيح واستحقت املآء الكراسي الفارغة من الملائكة الهالكين. فاذاً قد ربحت للملئكة القديسين قلما يكون هذا المجد العرضي. ولذلك كتب ريكاردوس الذي من سان ڤيتّوري قائلاً „ ان كلتا الخليقتين اي الملائكة والبشر قد خلصوا بواسطة هذي السيدة. وبها قد ترمم خراب الملائكة والطبع البشري قد اصطلح “ والقديس انسلموس كان قبل هذا المعلم قال „ ان الاشيا كلها قد دعيت الى الحال الاولى التي كانت حاصلةً عليها قبلاً. وأُصلحت بواسطة هذه البتول القديسة “ فلهذا ان مريم الطفلة السماوية. قد اقتبلت من الله منذ الدقيقة الاولى من حياتها نعمةً اعظم من جميع النعم التي فاز بها جميع القديسين جملةً. وذلك كونها أُختيرت وتعينت اماً لمخلص العالم. أُقيمت بوظيفة وسيطة العالم عند الله. فكم كان اذاً مشهداً جليلاً شهيًا مجيدًا لاهل السما والارض حال بهاء نفس هذه الطفلة القديسة وان كانت بعدُ مسجونةً في مستودع والدتها القديسة حنه. فهي كانت المخلوقة المحبوبة لدى عيني الله اكثر حبًا من سائر المخلوقات. لانها قد وُجدت ممتلئةً نعمةً. ومنذ ذاك الوقت كان يمكنها ان تفتخر قائلةً عن ذاتها „ انني منذ حداثتي ارضيت الله “ وقد كانت معاً في الوقت عينهِ الخليقة المحبة لله اكثر حباً من الخلائق باسرها. التي لحد ذاك الوقت كانت ظهرت في الوجود. بنوع انهُ لو اتفق لهذه الطفلة القديسة ان تولد من احشاء امها في الدقيقة الاولى التي بها تكونت في مستودعها بريةً من الدنس. لكانت قد جاءت الى العالم حاصلةً على اعظم غنى بالاستحقاقات واسمى قداسةً من جميع الابرار والقديسين جملةً. فلنتامل اذاً كم كانت استحقاقات هذه الطفلة المجيدة وقداستها

اعظمُ من ذلك حينما ولدت من امها . بعد ان اكتسبت استحقاقات جديدة في مدة تسعة الاشهر التي فيها استمرت محبوسةً في مستودع والدتها ✿

❀ الجزء الثاني ❀

✿ في كم كانت عظيمةً الامانة التي بها مريم البتول جاوبت حالاً ✿
* الى النعمة الالهية *

انه ليس براي بسيط بل هو رايٌ عامٌ عند كل اللاهوتيين . كما يقول احد العلما الماهرين (وهو الاب كولومبيارة) « ان مريم وهي في مستودع امها القديسة حنة قد قبلت نعمة التقديس وقد نالت ايضًا في الدقيقة الاولى من حياتها التعقل الكامل وبلغت الى المعرفة والتمييز بنورٍ الهيٍ مطابق عظمة النعمة التي استغنت بها . ولذلك يمكننا ان نعتقد حسنًا بانهُ منذ الدقيقة الاولى التي فيها اتحدت نفس هذي الطفلة المملوة قداسةً مع جسدها الكلية طهارتهُ . قد استنارت حالاً بجميع انوار الحكمة الالهية . لتفهم جيداً الحقائق الابدية . وجمال الفضيلة . وفوق كل شيء تعرف صلاح الله الغير المتناهي . والاستحقاق الموجود بهِ تعالى لان يكون محبوبًا لاجل ذاته من الجميع . وبنوعٍ اخص لان يُحبَّ من هذه السيدة محبةً عظيمةً . نظرًا الى المواهب السنية والنعم الفريدة التي تنازل عزَّ وجلَّ لان يزينها بها مميزًا اياها عن الخلائق كلها . حافظًا الحبل بها بريًا من دنس الخطية الاصلية . مانحًا اياها نعمةً هكذا عظيمةً غير محدودة . ومنتخبًا اياها امًا لكلمتهِ الازلي . ورافعًا مقامها سلطانةً على العالم كله ✿

فمن ثمَّ منذ تلك الدقيقة الاولى من حياتها قد عرفت جميل المحسن اليها . وابتدأت حالاً بان تصنع ما كان ممكنًا لها صنيعهُ . متاجرةً من ذات الحين بوزنات النعمة السامية التي وهبت لها . ممارسةً كل شيء لكي ترضي الصلاح الالهي وتسره . وقد احبتهُ تعالى منذ بدء حياتها وداومت باتصالٍ على حبهِ فوق كل شيء بكل قواها . في مدة تلك التسعة الاشهر التي فيها استمرت في احشآء امها . ولم تهمل دقيقةً واحدةً ان تمرَّ من دون ان تضاعف حبها لهُ تعالى وتتحد بهِ بعواطف المحبة المتقدة كالنار * فقد كانت هذه القديسة من دون ريب بريةً من جريرة الخطية الاصلية

وناجيةً ايضاً من كل انعطافٍ وتعلقٍ نحو الاشيا الارضية. ومن كل حركةٍ غير مرتبة. ومن كل تشويشٍ عقلي. ومن جميع انفعالات الحواس. ممَّا يمكن ان يصدها عن ان تتقدم على الدوام في حب الله. وقد كانت قواها وحواسها ايضًا متفقةً مع روحها الطاهرة بالاتجاه والانعطاف نحو العلي. ومن ثم اذ كانت نفسها معتوقة وناجية من كل مانعٍ. فمن غير توقفٍ كانت دائماً تطير الى الله. وتحبهُ من دون انقطاع. وتنمو على الدوام في محبته. ولهذا قد دعت هي نفسها „ شجرة الدلب المرتفعة مغروسةً على شط الماء " (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ١٩) لانها قد كانت غرسة يمين العلي الشريفة التي نمت على الدوام مستقيةً من مجاري النعمة الالهية. ولذلك قالت هي عن ذاتها „ انا مثل الجفنة ابرزت نعمةً. وانواري اثمار البهاء والغنى (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٢٣) وانما شبهت ذاتها بالجفنة ليس فقط لانها كانت متضعة لدى اعين الناس. بل ايضاً لانه كما ان الكرمة تنمو وتمتد على الدوام. ولذلك يقال بالمثل „ ان الكرمة لا ينتهي نموها " اذ ان سائر الاغراس كاشجار الليمون والتوت والتفاح وامثالها تنمو مرتفعةً وممتدةً الى حدٍ اعتياديٍ لا تتجاوزهُ. واما الجفنة فتمتد دائماً ناميةً وتعلو اغصانها بمقدار علو الشجرة التي تستند عليها. فهكذا مريم البتول الكلية قداستها قد امتدت على الدوام ناميةً في الكمال. ولذلك يهتف نحوها القديس غريغوريوس العجائبي مسلمًا عليها بقوله „ افرحي ايتها الكرمة الحية النامية على الدوام " وقد كانت هذه السيدة متحدةً بالله دائمًا ومستندةً عليه بحسب كونه تعالى مسندها الوحيد. ومن ثمَّ يتكلم عنها الروح القدس قائلًا „ مَن هي هذي الصاعدة من البرية مدللةً مستندةً على حبيبها " (نشيد ص ٨ ع ٥) فالقديس امبروسيوس يقول في تفسيره هذا النص „ مَن هي هذه التي لمرافقتها الكلمة الالهي الازلي تنمو ممتدةً وصاعدةً نظير الكرمة المستندة على شجرةٍ عالية جدا والملتفة عليها " ✿

فكثيرون من العلما اللاهوتيين البارعين يقولون ان تلك النفس المكتسبة ملكة الفضيلة. طالما هي تجاوب بامانةٍ ساعيةً مع النعم الحالية التي يمنحها الله اياها. يمكنها دائمًا ان تصدر فعلًا مساوياً بذات العمل للملكة المكتسبة. بنوع انها في كل مرة تربح لذاتها استحقاقًا جديدًا مضاعفًا وموازيًا لمجموع الاستحقاقات

كلها التي تكون هي قبلاً اكتسبتها . فهذا النمو العظيم قد أُعطي (كما يعلم اللاهوتيون المومى اليهم) للملائكة في حال مسيرهم للملكوت . فان كانت قد مُنحت للملائكة هذه النعمة فمن تراهُ يستطيع انكارها على الام الالهية في مدة حياتها على الارض . بنوع اخص في الزمن الذي فيه استمرت ضمن احشاء امها . حيث انها بكل تاكيدٍ قد كانت حينئذٍ امينةً على حفظ النعمة الالهية ومجاوبةً عليها بابلغ نوع من الملائكة انفسهم . فهذه الطفلة القديسة اذاً قد امكنها ان تكتسب في الزمن المشار اليه جميعه . وفي كل دقيقةٍ منه اضعاف تلك النعمة السامية التي نالتها من الله منذ الدقيقة الاولى من حياتها . لان سعيها مع هذه النعمة كان بكل قواها وسائر انواع الكمال . وبكل فعل كانت تفعله كانت تضاعف الاستحقاقات بالتتابع بكل دقيقة بنوع انها ان كانت في الدقيقة الاولى قد فازت من النعمة الالهية بمقدارٍ مثلاً يوازي الف درجة من هذه النعمة . ففي الدقيقة الثانية قد اكتسبت الفي درجة . وفي الدقيقة الثالثة اربعة الاف . وفي الرابعة ثمانية الاف . وفي الخامسة ستة عشر الفاً . وفي السادسة اثنين وثلثين الفاً . وهلمَّ جرًّا الى يومٍ كاملٍ والى شهرٍ بتمامهِ واخيرًا الى تسعة اشهرٍ . مضاعفةً فيها هذه النعم والاستحقاقات بالنوع المذكور . فاذاً حينما ولدت من احشاء امها كم وُجدت غنيةً بخزائن النعم والاستحقاقات الفائقة الادراك ✿

فلنفرح اذاً متهللين مع حبيبتنا هذه الطفلة المجيدة . التي ولدت ساميةً في القداسة . عزيزة في عيني الله . ممتلئةً من النعم . ولنبتهج ليس من اجلها هي فقط بل من اجل ذواتنا نحن ايضاً . لانها قد جاءت الى العالم ممتلئةً نعمةً ليس من اجل مجدها الذاتي فقط بل من اجل خيرنا نحن ايضاً . فالقديس توما اللاهوتي يتامل في كتيبه الرابع . في ان مريم العذرا المثلثة القداسة قد كانت بثلاثة انواعٍ ممتلئةً نعمةً . فبالنوع الاول كانت ممتلئةً نعمةً في نفسها الجميلة . التي منذ بدء خلقتها كانت بجملتها مختصةً بالله . وبالنوع الثاني كانت ممتلئةً نعمةً بجسدها . حتى انها استحقت ان تلبس من لحمانها الفائقة الطهارة جسداً لكلمة الله الازلي . وبالنوع الثالث كانت ممتلئةً نعمةً لاجل الخير العام . لكي يستطيع البشريون اجمعون ان يستفيدوا الخير لذواتهم بواسطتها ومنها . ثم يضيف الى كلامهِ هذا القديس

المذكور قائلاً „ ان البعض من القديسين قد نالوا من الله مقداراً وافراً من النعم كافياً ليس لخلاصهم فقط. بل لخلاص غيرهم ايضاً من البشر ولكن لا لخلاص البشر اجمعين. انما قد اعطيت نعمة هذه صفتها لسيدنا يسوع المسيح فادينا ولمريم العذرآ شفيعتنا. ومن ثمَّ ان ما كتبهُ القديس يوحنا الانجيلي عن يسوع المسيح بقوله „ ومن امتلائهِ نحن كلنا اخذنا" (ص ١ ع ١٦) فهذا نفسهُ يقولهُ القديسون بالنسبة الى مريم العذرا. فالقديس توما الفيلانوفي كتب قائلاً „ ان البتول المجيدة هي ممتلئةً نعمةً. ومن ملء هذه النعمة استوعب الكون" بنوع انهُ يقول القديس انسلموس „ لا يوجد احدٌ مطلقاً لا يشترك بنعمة مريم. لانهُ ومن يوجد في العالم ولا تترأف عليه مريم ولا توزع هي عليه مفاعيل رحمتها" إلَّا اننا نلتزم بان نفهم جيدًا اننا انَّما نقتبل نحن النعمة من يسوع بحسبما هو تعالى مصدرها وفاعلها بقوتهِ الالهية الذاتية. واَّما من مريم فنقتبل النعمة بحسبما هي وسيطةٌ لنا لديه عزَّ وجلَّ. وهكذا نحن ننال النعمة من يسوع المسيح بحسب كونه فادينا ومخلصنا. واماً من مريم فبحسب كونها شفيعةً بنا امامهُ تعالى. ونفوز بهذه النعمة من يسوع بحسبما هو الينبوع. ومن مريم بحسبما هي القناة. ولذلك كتب القديس برنردوس „ ان الله قد اقام مريم قناةً تجري الينا بواسطتها مياه مراحمهِ التي يريد جل صلاحه ان يوزعها على البشر. ولذلك قد صيّرها ممتلئةً نعمةً لكي يشترك من امتلائها كل واحدٍ بالجزء الذي اعطي له ان يفوز بهِ" وهنا القديس المذكور يحرض الجميع على ان يتاملوا. كيف ان الله يريد منا ان نكرم هذه البتول العظيمة بمحبةٍ ساميةٍ. من حيث انهُ سبحانه قد اذخر فيها خزاين خيراتهِ باجمعها. حتى ان كل ما نحن ننالهُ من الرجا ومن النعمة ومن الخلاص. فنشكر عن جميعه ملكتنا الكلية الحب نحونا. اذ ان كل شيء انما ياتينا ويتصل الينا من يدها بواسطة شفاعتها بنا" فالويل اذاً لتلك النفس التي تسد عن ذاتها مجرى النعم هذا. باهمالها مطلقاً الالتجاء الى مريم المجيدة * فسفر يهوديت (ص ٧ ع ٦) يوضح لنا „ ان اليفانا حينما كان يطوف البلد بالقرب من مدينة بيت فالو قد شاهد عين الماء الجاري الى المدينة من ناحية الجنوب. فامر غلمانهُ بان يقطعوا المجرى" فهذا الامر نفسهُ يصنعهُ الشيطان حينما يريد ان يستولي على نفسٍ ما.

اعني انهُ يصيرها باجتهادهِ ان تهمل عبادتها لمريم الكلية القداسة. لانهُ اذا ما قطع عن تلك النفس هذا المجرى. فتفقد بسهولةٍ النور السماوي. ثم خوف الله المقدس. واخيراً الخلاص الابدي. فليُقرا النموذج الاتي ايرادهُ ليُعرف عظم اشفاق قلب هذه الام الالهية. والخراب الروحي الذي يلم بمن يقطع عن ذاته هذه القناة الروحية باهماله العبادة لوالدة الاله ملكة السما والارض ✲

نموذج

قد اخبر تريتاميوس وكانيسيوس وغيرهما كثيرون بانهُ في مدينة ماغدابورك من بلاد ساسونيا. قد كان رجلٌ يسمى اودونه فهذا منذ حداثته قد كان قصير المعرفة بهذا المقدار. حتى انهُ اضحى موضوعاً للسخرية لدى جميع الشبان رفقائهِ في الدرس ولهذا اذ كان يوماً ما حزيناً جداً لقصر مفهوميته قد مضى امام احدى ايقونات العذرا المجيدة. متوسلاً اليها بحرارةٍ في ان تغيثه. فالبتول المجيدة قد ظهرت لهُ في الحلم قائلةً لهُ „ يا اودونه انا اريد ان اعزيك واستمد لك من الله ليس فقط الاهلية للعلم. لتلتجو بها من الاستهزا والعار. بل ايضاً فهماً وحذاقةً تصيرك محبوباً من الجميع. وعدا ذلك اعدك بانهُ بعد وفاة اسقف المدينة ستكون انت خليفةً لهُ " فجميع ما قالتهُ لهُ هذه السيدة الكلية القداسة قد تمَّ في اوقاته. لان اودونه قد نجح في العلوم. وصار فيها بعد اسقفاً لتلك المدينة. ولكنه قد اضحى فيما بعد عديم المعروف نحو الله. ونحو شفيعته مريم. مهملاً كل نوعٍ من العبادة. وصار حجر عثرةٍ وصخرة شكٍ للجميع. فليلةً ما وهو على فراشه مع الامراة التي كان يدنس ذاتهُ بها. قد سمع صوتاً يقول لهُ „ اترك يا اودونه الاستهزآء بالله. يكفي ما قد صنعتهُ لحد الان" ففي المرة الاولى التي سمع بها هذا الصوت قد فكر بانهُ ربما كان صادراً من انسانٍ يقصد اصلاحهُ. ولكن لما سمع الصوت والكلمات عينها مكررةً عليه في الليلة الثانية. والثالثة. فدخل عليه نوعٌ من الخوف من ان يكون هذا الصوت هو من السما. ولكن مع هذا جميعه قد استمر سالكاً في سيرته الردية. غير انهُ بعد مرور ثلثة اشهرٍ بها قد اعطاهُ الله مهلةً كافيةً للرجوع اليه. فقد بلغ اوان الانتقام العادل * فليلةً ما وهو في كنيسة القديس ماوريسيوس فرجلٌ ما من

طغمة اكليروس الكاتدرا حسن العبادة اسمهُ فاداريكوس. اذ كان يصلي لله تعالى في ان يصنع علاجًا لداء الشكوك المسببة من رداوة عيشة ذاك الاسقف الشرير. ففيما كان هو يصلي على هذه الصورة واذا بباب الكنيسة قد انفتح بقوة الريح الشديدة. ثم دخل من الباب شابان حاملان بايديهما شموعاً مضيئة. فجاءا ووقفا بجانبي الهيكل الكبير. ودخل بعد ذلك شابان اخران اللذان فرشا امام الهيكل وسادةً ووضعا فوقها كرسيين من ذهب. وجاء شابٌ اخر متشحًا بثوبٍ كجندي والسيف بيده. حيث وقف في وسط الكنيسة وصرخ بصوتٍ عظيمٍ هاتفاً „ يا معشر قديسي السما الذين توجد لكم اعضاءٌ مكرمة في هذه الكنيسة تعالوا الى ههنا. لتحضروا اجراء الحكومة التي سيبرزها القاضي السماوي“ فعند ما قال هذا قد ظهر كثيرون من القديسين. وكذلك الاثنا عشر رسولاً بمنزلة قضاة في هذه المحكمة الرهيبة. وبعد هذا جاء الديان الالهي يسوع المسيح وجلس فوق احد ذينك الكرسيين. واخيراً ظهرت مريم البتول محاطةً من العذارى المجيدات. حيث اجلسها ابنها فوق الكرسي الاخر. وحينئذٍ امر القاضي الالهي بان يوتى بالاسقف المجرم الى المحكمة. فاحضر حالاً الى الوسط اودونه المنكود الحظ. فالقديس ماوريسيوس قد طلب من الديان على اسم شعب الابرشية ان يجري حقوق العدل ضد ذاك الاسقف. الذي سبب للرعية تلك الشكوك بافعاله الاثيمة. والجميع رفعوا اصواتهم قائلين „ ايها السيد انهُ لمستحق الموت“ فوقتئذٍ قال القاضي الابدي „ فليمت اودونه“ ولكن قبل ان توضع الحكومة بالعمل نهضت القديسة والدة الاله (يا لعظم اشفاق قلبها الحنون) وذهبت من الكنيسة كيلا تشاهد موت اودونه بذاك النوع المخيف المحزن. ثم بعد ذلك تقدم الخادم السماوي الذي كان جاء قبلاً والسيف بيده فضرب عنق اودونه واذا براسه مقطوعاً عن جثته. وحالاً زالت الرويا وصار ظلامٌ في الكنيسة. امّا فاداريكوس المرتجف خوفاً من هذا المنظر. فقد ذهب ليقد الشمعة من القنديل المضي في الكنيسة السفلى. ولما جاء ثانيةً الى وسط الكنيسة فشاهد حقيقة جسد اودونه مطروحاً وراسهُ مقطوعاً. ودمهُ جاريًا فوق بلاط المعبد الالهي. فلما اصبح الصبح تقاطر الشعب الى الكنيسة ليشاهد هذا الامر الغريب فالكاهن فاداريكوس اخبر الجميع بالرويا التي شاهدها وبكيفية

الحكومة التي جرت على اودونه. الذي في ذاك النهار عينهِ ظهر لاحد كهنتهِ الذي لم يكن عارفاً بشيءٍ مما حدث. فاخبرهُ بانهُ حكم عليهِ بالهلاك الابدي. فمن ثمَّ أُخذت جثتهُ وطُرحت في حفرة خارج المدينة. وبقي دمهُ ذكراً مخلداً في بلاط الكنيسة لانتقام العدل الالهي من الاشرار المصرّين على ذنوبهم. وكان يُغطَّى البلاط ببساطٍ ولا يُكشَف إلَّا حينما احد اساقفة تلك الابرشية يقام عليها جديداً وياخذ تملك وظيفته. لكي يشاهد دم اودونه ويُحرض على السلوك بسيرةٍ صالحةٍ. ولا يكون خائناً ناكر الجميل ضد الله وضد والدته الكلية القداسة ✿

صلوةٌ

ايتها الطفلة السماوية المثلثة القداسة. فانتِ التي قد أُنتخبتِ امًّا لمنقذ العالم وفاديهِ واخترتِ وسيطةً من اجل الخطاة الاشقيا المساكين. ارحميني انا المنطرح على قدميكِ لكوني واحداً من العديمي المعروف والناكري الجميل. ولكني ابادر اليكِ مستغيثاً بكِ. فاي نعم ان كفراني بالنعم ونسياني الاحسانات المفعولة نحوي من الله ومنكِ. وتصرفاتي السيئة تجعلني مرذولاً من الله ومهمولاً منكِ. إلَّا اني اسمع ما يقال عنكِ الامر الذي معتقد انا بهِ (اذ اني اعلم كم هي عظيمة مراحمكِ) وهو انكِ لا يمكن ان ترفضي مَن يلتجي اليكِ بحسن الرجا ويفوض لديكِ امرهُ بثقةٍ. فاذاً من حيث انهُ لا يفوقكِ احدٌ سمواً وقدرةً وقداسةً إلَّا الله وحدهُ. فايتها السامية شرفاً على سائر المخلوقات. فان اكبر الموجودين في البلاط السماوي يدعون حقيرين بالنسبة اليكِ. انتِ هي اقدس القديسين والبحر المملو نعماً. فاسعفي خاطياً ذليلاً قد اضاع النعمة. فانا اعرف جيداً انكِ محبوبةٌ من الله وعزيزةٌ حتى انهُ لا يمكن ان ينكر عليكِ شيئًا من كل ما تسالينهُ. واعلم ايضاً انكِ تتصرفين تصرفاً عائداً لافادة الخطاة البائسين واسعافهم. فصيّري اذاً ان تظهر مفاعيل النعمة التي حصلتِ عليها من الله باستمدادكِ نوراً لرشدي. وحباً الهيًا تتقد حرارتهُ وتنقلني من حال الخطية. الى حال القداسة التي أُوجد بها باراً امام الله. وبهذا النوع نقتلع من قلبي امياني وانعطافاتي نحو الاشيا الارضية حتى لا يعود باقيًا فيَّ شيءٌ

من ذلك. فالتهبْ بكليتي بالحب الالهي. فاصنعي معي ايتها السيدة هذا العمل الذي انتِ بلا ريبٍ قادرةٌ عليه. وافعلي ذلك معي حباً بذاك الاله الذي قد صيرك جزيلة المراحم. فهكذا ارجو من جودكِ. وكذلك فليكن لي برحمتكِ امين ✿

الفصل الثالث

✿ في ما يلاحظ عيد دخول القديسة والدة الاله الى هيكل الرب ✿ ✿ في اورشليم حيث قدمت هذه الفتاة الجليلة ✿ ✿ ذاتها لله بسرعةٍ وتاهبٍ خالٍ من كل ابطاء. ✿ ✿ وبتقدمةٍ كاملةٍ كليةٍ من دون ان ✿ ✿ تبقي لذاتها شيئًا خاصًا بها ✿

✿ وفيه جزءان ✿

الجزء الاول

✿ في سرعة تقدمة مريم البتول ذاتها لله ✿

انهُ ما وُجدت ولن توجد ابدًا تقدمةٌ ما صُنعت لله تعالى من خليقةٍ ما بسيطةٍ. وقُبلت منهُ عزَّ وجلَّ ووُجدت لديه عظيمةً. نظير التقدمة التي صنعتها الفتاة مريم العذرا في تمام السنة الثالثة من عمرها. بدخولها الى هيكل الرب في اورشليم. لتقرب لديهِ لا عجولاً او محرقاتٍ. او بخوراً. او ذهباً او فضةً. بل ذاتها بجملتها ضحيةً كاملةً. مكرسةً لهُ نفسها وجسدها وكل ما لها قربانًا ابديًا لتكريمهِ تقدس اسمهُ. وقد عرفت هي حسنًا منذ ذاك الوقت ارادة الله وسمعت صوته الباطن الذي بهِ دعاها لتخصص ذاتها بكليتها لحبه الالهي. بتلك الكلمات المقولة منهُ تعالى نحوها „انهضي يا قرينتي. تعالي يا حمامتي. هلمي يا جميلتي" (نشيد ص ٢ ع ١٠)

ولذلك قد اراد منها سيدها من ذاك الحين ان تنسى وطنها واهلها وكل ما لها. وتتفرغ مهتمةً في اتمام واجبات حبهِ ومرضاته وحده. كما خاطبها بفم نبيه داود قائلاً " اسمعي يا بنت وانظري وانصتي باذنيكِ وانسي شعبكِ وبيت ابيكِ " (مزمور ٤٤ ع ١١) امَّا هي فبسرعةٍ كليةٍ اطاعت صوت الله. فلنتامل اذًا في هذا الجزء كم كانت مقبولة لديه عزَّ وجلَّ هذه التقدمة التي بها قدمت البتول ذاتها لهُ من دون ابطاء مطلقًا تاركين للجزء الثاني التكلم عن كيفية هذه التقدمة الذاتية بجملتها من دون ان تبقي شيئًا مختصًا بها ✿

فمريم منذ الدقيقة الاولى قد تقدست في احشا والدتها منذ الحبل بها وحصلت منذ ذاك الوقت على المعرفة الكاملة. لكي تبتدي من ذلك الحين ان تكتسب الاستحقاقات. حسبما يعلم هذا اللاهوتيون مع الاب سوارس القائل " انه من حيث ان النوع الاكمل المستعمل من الله بتقديسه نفساً ما هو لاجل الاستحقاق الذاتي. على موجب تعليم القديس توما اللاهوتي. فاذاً يلزمنا ان نعتقد بان مريم قد تقدست بهذا النوع " لانهُ ان كانت هذه الموهبة قد أُعطيت للملئكة ولادم في اول خلقتهِ. حسبما يبرهن المعلم الملئكي فبابلغ من ذلك يجب علينا ان نعتقد بانها أُعطيت لهذه الام الالهية. التي يلزم من دون ريبٍ ان يُعتبر ان الله قد وهبها نعمًا اعظم ممَّا وهبهُ لجميع مخلوقاتهِ. وتنازل واختارها امًا لهُ بالجسد. كما يعلم القديس توما نفسهُ بقولهِ عنها " انهُ من حيث ان المسيح اخذ منها الناسوت فلذلك قد وهبها اعظم نعمةً. حتى اضحت ممتلئةً نعمًا " ويقول من ثمَّ الاب سوارس " من حيث ان مريم هي امٌ فهي لها الحق على جميع المواهب المختصة بابنها " وكما ان يسوع المسيح لاجل اتحاده الاقنومي بالكلمة الازلي قد كان لهُ ملءُ النعم كلها ذاتياً. فهكذا لاجل تسمية مريم والدةً لله قد لاق عندهُ تعالى. وبكونه متانساً منها ان يملحها نعمةً فائقةً على جميع النعم التي وهبها الملئكتهِ ولقديسيهِ ✿

فاذًا مريم منذ بداية حياتها المقدسة في مستودع والدتها قد عرفت الله معرفةً حقيقيةً حتى انهُ لم يمكن للسانٍ ما ان يشرح بكفايةٍ اتحاد عقلها فيه تعالى منذ الدقيقة الاولى التي فيها عرفتهُ عز وجلَّ. (حسبما

قال الملاك للقديسة بريجيتا) فمن ذاك الوقت مريم قدمت ذاتها بجملتها لسيدها حينما حازت منهُ المعرفة الاولى التي بها انار عقلها لمعرفته. وكرست نفسها وجسدها بكليتهما لحبهِ ولخدمتهِ. (حسبما اتبع كلامهُ السابق ملاك الرب في خطابه مع القديسة بريجيتا بهذه الكلمات قائلاً) „ان ملكتنا منذ ذاك الوقت قد عزمت على ان تضحي ذاتها لله مع حبها لهُ في مدة حياتها كلها. حتى انهُ لا يستطيع احدٌ ان يدرك عظم الخضوع الذي قدمته البتول لاقتبال كل الاشيا الراجعة لمرضاته تعالى" ☆

وحينما فهمت هذه الفتاة البرية من العيب ان والديها القديس يواكيم والقديسة حنه قد كانا وعدا بنذرٍ خصوصي لله بان يقدماها لهُ تعالى. كما يبرهن عن ذلك علما كثيرون بقولهم „ انهما قد وعدا الله بانهما اذا نالا من كرمهِ ولداً ما فيقدمانه لخدمتهِ في هيكلهِ باورشليم" وقد كانت عادةً جاريةً عند اليهود ان يضعوا بناتهم داخل القلالي الكائنة ضمن اروقة الهيكل الاورشليمي لكي يتربينَ تربيةً صالحةً. حسبما يحقق ذلك الكردينال بارونيوس. والمورخ نيكيفوروس. والعلاّمة جادرانوس. والاب سوارس. مع يوسيفوس المورخ العبراني. ومع القديسين يوحنا الدمشقي. وجاورجيوس النيكوميدي. وانسلموس. وامبروسيوس. بل كما يظهر واضحاً من سفر المكابيين الثاني (ص ٣ ع ١٩) اذ يقال „ ان العذارى المتحجبات كنَّ يجرينَ الى حونيا واخرياتٍ الى الحيطان واخرياتٍ كنَّ ينظرنَ من الطاقات وجميعهن كنَّ يتضرعنَ رافعات اليدين الى السما" وذلك حينما جاء الى اورشليم ايليودوروس اول وزرا سالوكيوس فيلوباطور ملك سوريا بامرٍ منهُ لكي ياخذ من هيكل الرب خزنة المال المحفوظة فيه. فحينئذٍ عرفت العذرا المجيدة من والديها حقيقة نذرهما المقدم ذكره. وقد كان لها من العمر ثلث سنواتٍ. كما يشهد القديسان جرمانوس وابيفانيوس (القائل في عظته على مديحها انها قُربت لله في الهيكل في السنة الثالثة من حياتها) ففي هذا السن الذي به يوجد تعلقٌ كلي للاطفال بوالديهم واقربائهم ويحتاجون فيه الى السياسة الوالدية. ارادت هذه البتول ان تكرس ذاتها لله باحتفالٍ مشتهر بدخولها في هيكل الرب. الامر الذي هي نفسها توسلت بهِ الى والديها ليتمما نذرهما بسرعة. وهنا كما يقول القديس غريغوريوس نيصص „ ان

امها القديسة حنه لم تتاخر اصلاً عن ان تقودها الى هيكل الرب وتقدمها لله" ✿

فالقديس يواكيم والقديسة حنه قد اعتمدا على ان يضحيا لله بسخاء اعزّ ما كان لهما. لا بل اخص اجزا قلبيهما واكرم ما وُجد لهما في الارض. اي طفلتهما المحبوبة منهما. ولذلك سافرا بها من مدينة الناصرة الى مدينة اورشليم يحملها تارة ابوها على ذراعيه وتارة امها حيث لم تستطع على المشي سيما مسافة ثمانين ميلاً كما هي المسافة الكائنة فيما بين هاتين المدينتين. حسبما يحقق ذلك الذين يعرفون هذه الطريق. وقد رافقهما في هذا السفر البعض من اقربائهما. إلاّ ان اجواقاً كثيرة من الملئكة كانوا صحبتهما (كقول القديس جاورجيوس النيكوميدي) يكرمون بكل احترام هذه الملكة المنطلقة الى بيت الرب. كما جاء البيان عن ذلك في العدد الاول من الاصحاح السابع من سفر النشيد بهذه الكلمات وهي "ماذا ترى في السولاميـة إلاّ صفوف العساكر. ما احسن خطواتكِ في احذيتكِ يا بنت الرئيس" فهولا الاجواق الملئكية كانوا يقولون نحوها (مرتلين كما كان من الواجب) ما احسن خطواتكِ التي انتِ تسيرين بهنّ لكي تقدمي ذاتكِ لله. ايتها الابنة العظيمة المحبوبة في الغاية لدى رئيسنا السماوي. بل انهُ كقول برنردينوس البوسطي "الباري تعالى نفسهُ في ذاك اليوم قد سرّ مع اهل بلاطه السماوي عند مشاهدته عروستهُ هذه مقدمةً لهُ في هيكله الارضي. لانهُ عزّ وجلّ لم يكن قط شاهد احدًا فيما بين الاشخاص الذين كانوا يقدمون لهُ ذواتهم. لا اكثر قداسة منها. ولا محبوباً لديه نظيرها" ولذلك كان القديس جرمانوس يقول نحوها هاتفاً "اذهبي يا ملكة العالم يا والدة الاله الى بيت الرب. لتنتظري اتيان الروح القدس الذي يصيركِ اماً للكلمة الازلي" ✿

فعند ما بلغ هولاء كلهم الى مدينة اورشليم ووقفوا بهذه الطفلة امام الهيكل اخذت تقبل ايدي والديها طالبة منهما البركة. وحالاً دخلت هيكل الرب صاعدةً على الخمس عشرة درجةً التي كانت للهيكل (كما يقول ارياس مونتانوس نقلاً عن يوسيفوس المورخ اليهودي) من دون التفات الى والديها واقاربها. ولما بلغت امام كاهن العلي زخريا (حسبما يشهد القديس جرمانوس) فحينئذٍ رفضت كل ما هو في العالم وكرست ذاتها لله خالقها ✿

فالغراب حينما أُرسل من سفينة نوح انطلق ثم استقرّ فوق جيف الموتى يغتذي من اللحوم المنتنة. وبخلاف ذلك حينما أُرسلت الحمامة من السفينة طارت وعادت اليها من دون ان تستقر في مكانٍ ما (سفر التكوين ص ٨ ع ٩) فهكذا كثيرون قد أُرسلوا من الله الى هذا العالم واستقروا بهِ يغذون انفسهم بخيراته الزائلة. الّا ان الحمامة السماوية اي مريم البتول لم تكن على هذه الصورة. بل انها عرفت جيداً ان رجانا الوحيد. وخيرنا المحض الفريد. وحبنا النقي الشديد. يلزم ان يكون في الله وحدهُ. وقد فهمت حسناً ان العالم هو مملوٌّ اخطاراً وان ذاك الذي يهمل الدنيا بسرعةٍ. يكون معتوقاً من اشراكها. ومن ثمّ رغبت هذه البتول ان تهرب منها منذ نعومة اظفارها. منفردةً في نواحي هيكل الرب المقدس. حيث كان يمكنها بافضل نوع ان تسمع صوت الله. وان تحبهُ وتكرمهُ وتعبدهُ. وبذلك قد صيرت ذاتها منذ بدآءة اعمالها مقبولةً لديه تعالى ومحبوبةً منهُ. حسبما تقول الكنيسة عن لسانها هكذا (في فرض اليوم الخامس من شهر آب) „ افرحوا معي يا جميع المحبين للرب. لاني منذ حداثتي قد ارضيت العلي الذي سرّ بي ” ولهذا قد مُثِّلت البتول المجيدة بالقمر. لانهُ كما ان القمر يتمم مجرى دورانه باكثر سرعة من باقي الكواكب والاجرام السماوية. فكذلك مريم البتول بلغت الى قمة الكمال اسرع من جميع القديسين بتقدمتها ذاتها لله بسرعةٍ كلية منذ بدآءة حياتها ✿

✿ الجزء الثاني ✿

✿ في ان مريم العذرا قدمت ذاتها لله تقدمة كاملة ✿
✿ من دون ان تبقي لنفسها شيئًا ✿
✿ ما خاصًا بها ✿

فهذه الطفلة المجيدة حين كانت تعلم يقينًا حال استنارة عقلها بالنور السماوي ان الله لا يقبل قلبًا منقسماً. بل يريد ان يكون القلب بجملتهِ مكرسا لحبه. حسب الوصية المرسومة منهُ تعالى على كلٍ من البشر بقوله „ ان تحب الرب الهك من كل نفسك ومن كل قوتك ” فحينما شرعت

هذه البتول في المعيشة ابتدأت في محبته تعالى من كل قلبها وقوتها ووهبته ذاتها بجملتها. الَّا ان نفسها الكلية القداسة كانت تنتظر باشواق مضطرمة الزمن الذي فيه تكرس لهُ ذاتها بالتمام. ولهذا فلنتامل بكم من الحب والخشوع والانعطاف القلبي مارست مريم افعال عبادتها الاولى لله. فحينما رأت ذاتها داخل حصن هيكل الرب المقدس جثت على الارض مقبلةً اياها. ثم سجدت لعظمته تعالى وقدمت لهُ الشكر على ما انعم بهِ عليها من قبوله اياها منذ طفوليتها ساكنة في بيته ومقدمة لهُ ذاتها بجملتها من دون ان تبقي لنفسها شيئًا ما خاصًا بها. بتقدمتها لهُ كل قواها وجميع حواسها. وعقلها بتمامهِ. وقلبها بكليته. ونفسها باجمعها. وجسدها كله. لانها حينئذٍ. كما يقول العلما. لكي ترضي الله بافضل نوع قد نذرت نذر البتولية الدائمة. مكرسةً لهُ جسدها الكلي الطهارة. وكقول الانبا روبارتوس „ ان مريم العذرا كانت هي اول من صنع لله هذا النذر. كما يبرهن برنرديوس البوسطي. لانها كانت معتمدةً على ان تخدم الرب في هيكله مدة حياتها كلها. اذا كان ذلك موافقاً لمشيئته تعالى. من دون ان تخرج من ذلك المعبد الالهي. وكانت تهتف دائماً هذه العروسة نحو الله بهذه الكلمات الالهية „ ان حبيبي لي وانا لهُ " (نشيد ص ٢ ع ١٦) وكما يفسر ذلك الكردينال اوغون. ان هذه البتول المجيدة كانت تقول نحو الرب „ انني قد جئت الى ههنا لكي ارضيك انت وحدك ايها السيد. ولكي اقدم لك الكرامة الواجبة بقدر استطاعتي. فانا اريد ان احيى هنا بكليتي لك. واموت من اجلك. فاقبل (ان كان هذا مرضياً لك) تقدمتي هذه الدائمة. وقرباني انا عبدتك الذليلة. واعنّي على ان اتمم ذلك بامانة " ☆

وهنا يجب علينا ان نتامل بسيرة حيوة مريم بمدة اقامتها في بيت الرب. ومن يمكنهُ ان يصف فضائلها التي تزداد يوماً فيوماً. ويتلالأ جمال حبها ونقاوة احتشامها. وعمق تواضعها. وصرامة صمتها. وشدة اماتتها. وعظم دعتها. وعذوبة وداعتها. فيقول القديس يوحنا الدمشقي „ ان هذي الزيتونة الجميلة حينما انغرست في ارض بيت الرب. وأُسقيت من الروح القدس. اضحت مسكناً للفضائل كلها " ويقول (في اصحاح عظته على ميلادها) „ ان وجه هذه البتول القديسة كان مملوآً من الاحتشام. ونفسها موسسةً في التواضع

وكلماتها موعبةً عذوبةً وصادرةً عن حبٍ باطن” ثم يبرهن هذا القديس عن ابتعاد قلب مريم عن جميع الاشيا الارضيـة وعشقها كل الفضائل. فاذاً من حيث انها مارست واجبات الكمال على هذه الصورة قد استحقت بزمنٍ وجيزٍ ان تصير هيكلاً لائقاً بالله ✿

وكذلك القديس انسلموس يتكلم عن كيفيـة عيشـة هذه الفتاة الجليلة في هيكل الرب قائلاً „ان مريم كانت هناك هادية. قليلة التكلم. حافظة هندام اثوابها بالاحتشام. بعيدةً دائماً عن الضحك. عادمة القلق والاضطراب من كلما يحدث مواظبـةً على الصلوات بانعطاف كلي. مثابرةً على قرآءة النصـوص الالهيـة. ممارسة الاصـوام مجتهدة في اتقان كل الفضائـل” ثم ان القديس ايرونيموس يورد عن سيرتهـا في الهيـكل اشيا اخر ذات تدقيقٍ بقوله „ان العذرا المجيـدة كانت مرتبـة حياتهـا في هيكل الرب على هذه الصورة. وهي انها منذ الصباح الى الساعة الثالثة كانت تداوم على الصلوة. ومن الساعة الثالثة الى التاسعة كانت تباشر اعمالاً خدميةً بيديهـا. ومن الساعة التاسعة الى ما بعد كانت تعود الى ممارسة الصلوات التي لم تكن تنتـزح عنهـا الاّ حينما كان ملاك الرب ياتيهـا بالطعـام حسب العادة. وكانت تجتهد في ان تكون هي الاولى في المجي الى الصلوة الليلية والسحرية وفي الصيامات. وان تكون هي الاوفر تدقيقاً في تكميل شريعة الله. والاشد تعمقاً في التواضـع. والاكثر كمالاً في الفضائـل كلها. ولم يكن احدٌ قط يراها مغتاظةً من احد ومغمومةً. وكلماتها كانت موعبةً حلاوةً وعذوبـةً. ولم يكن ينقص ذكر اسم الله عن لسانها” ✿

ثم ان هذي القديسة والدة الاله المجيدة هي نفسها قد اوحت للطوباوية اليصابات الراهبة التي من قانون القديس بناديكتوس. في دير سكوناجيا. بانهُ حينما تركها ابواها في هيكل الرب قد عزمت على ان تتخذ لها اباً الله وحدهُ. وكانت تفتكر في كيف يمكنها ان تجد ما ترضيه تعالى وتسرهُ بافضل نوع. وقد اعتمدت على ان تكرس لهُ بتوليتها الدائمة. وان تهب لله ارادتها بجملتهـا وانها كانت تكرر التأمل في تلـك الوصية التي هي من الوصايا الالهيـة الامرة بان يحب الرب الالـه من كل القلب. وانها في نصف الليل كانت تمضي امام هيكل الله مصلية بتوسلاتٍ حارة لديه

تعالى . ليمنحها النعمة لتحفظ وصاياه بالتمام. ويعطيها ان تشاهد ام المخلص المُنتَظر قد ولدت في العالم . وكانت تتضرع لمراحمه في ان يحفظ لها عينيها الى حينما تشاهد بهما ام السيح. ولسانها لكي تمدحها بهِ. ويديها ورجليها لكي تخدمها بها وركبتيها لكي تسجد بهما لابن الله الطفل الكائن في احشائها حين حبلها بهِ * غير ان البارّة اليصابات عند ما سمعت هذه الكلمات من العذرا المجيدة قالت لها „ اما كنتِ ايتها السيدة ممتلئةً نعمةً وفضائل " فاجابتها الطوباوية بقولها „ اعلمي اني كنت اعد ذاتي حقيرة وغير مستحقة للنعمة الالهية ولذلك كنت التمس منه' ان يهبني النعمة والفضيلة " واخيراً لكي نقتنع باحتياجنا المطلق لان نتوسل لله في ان يمنحنا النعم الضرورية لنا . قد اردفت قولها لها „ اتظنين انتِ بانني قد نلت انا من الله النعم والفضائل من دون تعبٍ. فاعلمي اني لم افز من الرب بنعمةٍ ما كمرغوبي من غير اتعابٍ عظيمة . وصلواتٍ متصلة. واشواقٍ متقدة. ودموعٍ غزيرة . واماتاتٍ شاقة " *

غير انه' بابلغ من ذلك يجب ان يصير التامل بما أُوحي بهِ للقديسة بريجيتا عن الفضائل والرياضات والاعمال التقوية السامية التي مارستها مريم الطوباوية في مدة حداثتها. كما يظهر من الكلمات الآتي ايرادها التي قيلت للقديسة المذكورة وهي „ ان مريم البتول منذ طفوليتها وجدت ممتلئة" من الروح القدس. ومثلما كانت تنمو في العمر كانت النعمة تنمو فيها ومنذ ذاك السن الطفولي قد وطدت هي عزمها على ان تحب الله من كل قلبها. بنوع انه' ما كان يصدر شيء ما يمكن ان يغيظه' تعالى . لا في اعمالها ولا في كلماتها. ولذلك قد احتقرت خيرات الارض كلها وكانت تعطي الفقرا الصدقة بمقدار استطاعتها. وكانت قنوعة في ماكولها حتى انها لم تكن تقتات سوى من تلك الاشيا الضرورية لقيام الحيوة . وحينما فهمت من تلاوتها الكتاب المقدس ان الاله القادر على كل شيء نفسه' مزمعاً ان يظهر في العالم متجسداً مولوداً من بتولٍ ليخلص العالم . فقد التهب قلبها مشتعلاً بنار الحب الالهي. بنوع انها لم تعد تشتهي شيئاً اخر. او تفتكر في موضوعٍ ما سوى في الله وحده'. وكانت لذتها وتعزيتها قائمة بهِ وكانت تهرب من المخاطبات والاحاديث حتى ومع والديها. لكيلا تفصلها عن التفكر الدائم بالله. وكانت عواطفها ومرغوباتها واشواقها متجهة نحو هذا

الموضوع. وهو ان توجد على الارض حينما يظهر في العالم المسيح المنتظر. ليمكنها ان تتعبد لتلك البتول العتيدة ان تلده من احشائها. وتخدمها كجارية لها. ☆

فيا له من حب هكذا متقد في قلب الله نحو هذه الطفلة المثلثة قداستها حتى انها عطفت قلب الكلمة الازلي لان يسبق الزمن المحدود منه لتجسده وان ياتي الى العالم قبل الزمان اخذاً منها جسداً. لانها في الوقت الذي فيه لم تكن هي من عمق تواضعها تحتسب ذاتها اهلاً حتى ولا ان تصير جارية لوالدة الاله. ففيه عينه قد اختارها الله لان تكون هي ذاتها الام الالهية التي منها يظهر المسيح. وبواسطة فضائلها. ومداومة صلواتها قد اجتذبت ابن الله من السما الى مستودعها البتولي. ولذلك قد دعيت هذه العروسة الطاهرة من عريسها الالهي يمامةً بقوله „ صوت اليمامة قد سمع في ارضنا" (نشيد ص ٢ ع ١٢) وانما لقبت هي منه عزّ وجلّ باليمامة ليس فقط من كونها نظير اليمامة احبت دائماً الانفراد والتوحد عائشةً في هذا العالم كانها في القفر البعيد عن الناس. بل ايضاً كما ان اليمامة تجول على الدوام طائرةً في الحقول والكروم مناغيةً بصوتٍ خشوعي هكذا مريم كانت من دون انقطاع تتنهد متوجعةً في هيكل الرب حال شقاوة العالم الهالك بالخطية. وتلتمس من الله سرعة مجي الفادي المنتظر قدومه مخلصاً للعالم. فكم من التضرعات كانت تكررها بعواطف الحب لديه تعالى هذه البتول. وكم من مرةٍ كانت تراجع بتلهف وحرارة العبادة تنهدات الانبيآ القديسين ولا سيما ابتهالات النبي اشعيا هاتفةً نحو الرب الاله „ ارسل يارب الحمل المسلط على الارض من صخرة البرية الى جبل بنت صهيون" (ص ١٦ ع ١) „ سحي نداءً ايتها السموات من فوق والغيوم فلتمطر الصديق" (ص ٤٥ ع ٨) „ ليت السموات تنشق وتنزل يارب" (ص ٦٤ ع ١) ☆

وبالاجمال ان هذه الفتاة الالهية قد وجدت امام الله موضوع مسرته ورضاه الكلي. عند مشاهدته اياها مترقيةً يوماً فيوماً على درج الكمال الاكثر سمواً. متجهةً نحو قمته العالية في الغاية نظير عامود دخان مؤلف من اطيب روائح الفضائل الزكية العرف. حسبما اشار عنها الروح القدس نفسه

بهذه الكلمات وهي „ مَن هذه الصاعدة من القفر كانها غصن بخور من طيوبٍ ومرٍ وكندر ومن جميع ذرائرِ العطار” (نشيد ص ٣ ع ٦) فيقول صفرونيوس „ ان هذه الفتاة القديسة قد كانت بالحقيقة نظير البستان المختص بالله. المملو من التنعمات. لانهُ كان يوجد فيه جميع انواع الزهور وعرف الفضائل كلها” ويثبت ذلك القديس يوحنا فم الذهب قائلاً „ ان الله لاجل هذه العلة انتخب مريم اماً لهُ بالجسد في الارض. اي لاجل انهُ تعالى لم يجد على الارض بتولةً اكثر قداسةً وكمالاً منها. ولم يصادف محلاً اعظم لياقةً واكثر اهليةً ليسكن فيه من مستودعها البتولي الكلي الطهارة والقداسة” ويؤيد ذلك القديس برنردوس بقوله „ انه لم يوجد على الارض مكانٌ لسكنى الاله الكلمة اوفر لياقةً واكثر اهلية من مستودع العذرا مريم الدائمة بتوليتها „ ويقول القديس انطونينوس انه لكي تنتخب مريم وتصير اماً لله اقتضى انها تمتلك كمالاً عظيماً جداً بنوع انه يفوق كمال سائر المخلوقات” ✡

فاذاً بالنوع الذي بهِ مريم المثلثة قداستها في سن ثلث سنين من عمرها قدمت ذاتها لله في هيكله من دون ابطاءٍ ومن غير ان تبقي لذاتها شيئاً خاصاً بها. فبهذا النوع يلزمنا ان نقدم ذواتنا امام هذه السيدة عاجلاً متوسلين اليها بان تقدمنا هي نفسها لله الذي .لا يأْنف من ان يقبلنا عند ما يرانا مقدمين اليهِ بواسطتها وعن يدها. بما انها كانت الهيكل الحي للروح القدس. وموضوع تنعم ربها. والام المنتخبة للكلمة الازلي. وهكذا نحن نرجو واثقين بهذه السيدة العظيمة والكلية الاحسان في انها تكافي بحبٍ وافرٍ التكريم والتعبد اللذين يتقدمان لها من عبيدها. كما يبان من انموذج الاتي ايرادهُ ✡

✡ نموذج ✡

انه يقرأُ في حيوة الراهبة عبدة الاحد باراديسوس المحررة من الاب اغناطيوس نيانته احد ابا رهبنة القديس عبد الاحد. بان هذه البتول البارّة اي عبدة الاحد ولدت من والدين فقيرين. في قريةٍ تُسمَّى باراديسوس بالقرب من مدينة فيورنسا. ومنذ نعومة اظفارها شرعت تخدم والدة الاله

فقد كانت تمارس الصوم في كل ايام السبة امَّا نهار السبت فكانت تكريماً لهذه السيدة توزع على الفقرا ذاك القوت الموفر من اكلها . كما انها يوم السبت نفسه كانت تجول في البساتين والحقول القريبة من محلها ايضًا وتجمع ما امكنها من الزهور وتاتي بها مقدمةً اياها امام ايقونة والدة الاله المنصوبة في مخدعها حاملةً طفلها الالهي على ذراعيها. فلننظر الان بكم من ادلة الحب والمعروف قد كافأتها الام الالهية عن عبادتها لها المشار اليها. فيوماً ما اذ كانت عبدة الاحد واقفةً عند نافذة البيت (وكان لها حينئذٍ من العمر عشر سنوات) شاهدت امراةً ساميةً في الجمال مجتازةً في الطريق ومعها طفلٌ وكان كلاهما باسطين ايديهما يطلبان حسنة . فالفتاة عبدة الاحد اسرعت لتاتي بالخبز وتعطيهما . ولكن حالاً من دون ان تفتح باب البيت قد شاهدتهما داخلاً بالقرب منها ورأت في يدي الطفل وفي رجليهِ وفي صدره جراحاتٍ . فمن ثمَّ سالت هي تلك الامراة قائلةً „ مَن هو الذي جرح الطفل هذه الجراحات " فاجابتها امهُ „ ان الحب قد جرحهُ " فالفتاة اذ لاحظت في ذلك الطفل الجميل ادلة الاحتشام قد سالتهُ ان كانت تلك الجراحات تسبب لهُ وجعًا او لا . امَّا هو فلم يرد عليها جوابًا سوى انهُ تبسم ضاحكًا باحتشام . ومن حيث انهُ كان وقوف الثلثة اي الامراة وطفلها وعبدة الاحد نفسها بالقرب من الايقونة السابق ذكرها قالت الامراة للفتاة „ اخبريني يا ابنتي ما الذي يحركك على انك تتوجين هذه الايقونة بالزهور" فاجابتها قائلةً „ ان حبي لمريم العذرا ولابنها يسوع يحركني على ذلك " فسالتها ايضًا „ وكم هو مقدار حبك هذا " قالت „ اني احبهما بكل استطاعتي " فكررت عليها السوال بقولها „ وكم هي استطاعتك " فاجابتها „ انما هي مقدار ما تساعدني مريم وابنها " فحينئذٍ قالت لها الامراة „ داومي يا ابنتي على حبك لهما باتصالٍ وهما يكافئانك عنه في الفردوس السماوي " ثم بعد ذلك قد شعرت الفتاة برائحة عطرية كانت تنبعث من جراحات الطفل . ومن ثمَّ قد سالت امه عن المراهم التي كانت مدهونةً بها تلك الجراحات . وهل انه يمكن ابتياع ذاك المرهم لتشتري منه . فاجابتها امهُ „ اي نعم انه يُشترى بواسطة الايمان والاعمال " فحينئذٍ عبدة الاحد قدمت للطفل الخبز الذي كانت جاءت به اليهما . امَّا الامراة

فقالت لها „ ان القوت الذي يستعملهُ ابني هذا انما هو الحب. فقولي لهُ انكِ تحبين يسوع وبهذا يبتهج هو" فالطفل عند سماعه لفظة الحب بدأً يتهلل وتمسك بعبدة الاحد قائلاً لها „ اخبريني كم تحبين يسوع" فاجابتهُ بانها تحبهُ كثيراً جداً حتى انها نهاراً وليلاً تفتكر بهِ. وانها لم تكن تهتم في شيء اخر سوى في ان ترضيه بقدر استطاعتها. فوقتئذٍ قال لها „ جيداً تصنعين. فحبيه لان المحبة لهُ تعلمكِ ماذا ينبغي ان تفعليه لكي تسريه" ثم من حيث ان رائحة العطر الذكية كانت تنمو متزائدةً من تلك الجراحات صرخت عبدة الاحد هاتفةً „ اواه ان هذه الرائحة هي كافية لان تجعلني ان اموت من شدة الحب. فان كانت رائحة طفلٍ ما هكذا هي كلية العذوبة فما عساها ان تكون روائح الفردوس" إلاَّ ان الحال قد تغيرت امام الفتاة. لانها شاهدت تلك الامراة متشحةً باثوابٍ ملوكية ونورٌ ابهى من الشمس كان ينبعث من ابنها. ثم اخذ هو الزهور التي كانت موجودةً على ايقونتهِ وايقونة والدتهِ وكلل بها هامة عبدة الاحد التي حينئذٍ عرفت ان تلك الامراة هي مريم البتول الكلية القداسة وذاك الطفل هو يسوع المخلص ولهذا سجدت لهما. ووقتئذٍ غابت عنها الرؤية. ومن ثم قد هجرت هذه الفتاة العالم ودخلت في رهبنة القديس عبد الاحد وعاشت بسيرةٍ فاضلةٍ وماتت ميتةً مقدسةً سنة ١٥٥٣ ✿

✿ صلوة ✿

ايتها الفتاة مريم المختارة المحبوبة من الله ليتني استطيع بالنوع الذي بهِ انتِ قدمتِ ذاتكِ لله في هيكله الاورشليمي ضحيةً لمجدهِ تعالى ومحبته ان اقدم انا لكِ في هذا اليوم سني حياتي الاولى لكي اخصص ذاتي واكرسها لخدمتكِ ايتها السيدة الكلية الحلاوة. ولكنّي لست قادرًا على ذلك اذ انني اصرفت انا الشقي سنين كثيرة من حياتي في خدمة العالم وفي مراعاة اهوائي ومرغوباتي الذاتية وعلى نوعٍ ما قد نسيتكِ ونسيت الهي بالكلية. فالويل للزمان الذي ما احببتكِ فيه. الاَّ انهُ لخير هو ان ابتدىء ولو متاخراً مما اني لا ابتدىء ابداً. ومن ثمَّ هوذا اني اليوم اقدم لكِ ذاتي ايتها الام الالهية مخصصاً اياها بجملتها لخدمتكِ في مدة الحيوة الباقية لي على

الارض قصيرةً كانت او مستطيلة . ونظيرك ارفض الاشيا الارضية كافةً. واترك المخلوقات كلها. واكرس ذاتي لعبادة الخالق بمفرده واحبهُ وحدهُ. فاذاً انا اقدم لكِ ايتها الملكة عقلي لكي يفتكر دائماً في الحب الذي انتِ تستحقينهُ. ولساني ليمدحكِ. وقلبي ليحبكِ. فاقبلي ايتها البتول الكلية القداسة التقدمة التي يقربها لكِ هذا الخاطىء البائس بحق تلك التعزية التي شعرتِ بها حينما قدمتِ ذاتكِ لله في هيكلهِ الارضي. وان كنتُ قد بدأت متاخراً في خدمتكِ. فعادلٌ هو اني اضاعف نحوكِ الحب والتعبد لكي اعوّض عن الزمان الماضي الضائع. فعينيني انتِ ايتها الام الشفوقة بواسطة شفاعتكِ المقتدرة. واستمدي لي من ابنكِ يسوع نعمة الثبات والقوة في ان اكون اميناً في خدمتكِ الى الموت. حتى اذا ما احسنت تعبدي نحوكِ في هذه الحيوة. يمكنني ان آتي الى الفردوس السماوي لامدحكِ الى الابد امين ✿

الفصل الرابع

✿ في ما يلاحظ عيد بشارة البتول المجيدة بالحبل ✿
✿ الالهي حيث يُبرهَن عن عمق تواضع ✿
✿ هذه السيدة وعلو المقام الذي ✿
✿ رفعها الله اليه ✿

✿ وفيه جزءآن ✿

✿ الجزء الاول ✿

✿ في ان مريم البتول لم يمكنها ان تتواضع اكثر اتضاعاً مماً ✿
✿ اتضعت حين تجسد الكلمة الازلي منها ✿

ان كلمات الرب القائل „ كل مَن يرفع نفسهُ يتضع وكل مَن يضع نفسهُ يرتفع " (متى ص ٢٣ ع ١٢) انما هي كلمات الحق بالذات العديمة الخلل

والزلل. فاذ كان الله قد حدد منذ الازل ان يتانس ليفدي البشر الهالكين بالخطية وبهذا يعلن للعالم عظم جودته وصلاحه الغير المتناهي. واذ كان من اللازم ان يختار لهذه الغاية اماً له تعالى في الارض. فاخذ يبحث عمن هي اكثر قداسةً واعمق اتضاعاً بين افراد النسآء. فمريم العذرا وحدها وُجدت فيها بينهنَّ كلهنَّ متصفةً بذلك ومستحقةً هذه المرتبة. لانها بمقدار ما كانت كاملةً في الفضائل. فباكثر من ذلك كانت ساذجةً حقيرةً مملوةً من التواضع. ولهذا قال عنها الروح القدس „ان الملكات هنَّ ستون والسريات ثمانون والعذارى لا عدد لهنَّ. امَّا حمامتي وكاملتي فواحدةٌ هي" (نشيد ص ٦ ع ٧) فاذاً قال الرب ان هذي قد اخترتها اماً لي. فلنلاحظ اذاً الان في هذا الجزء كيف ان مريم البتول لم تقدر ان تضع ذاتها في سر التجسد اكثر مما فعلت. تاركين للجزء الثاني التكلم في كيف ان الله لم يقدر ان يرفع هذه العذرا اكثر مما رفعها ✿

قاذ تكلم الرب في سفر النشيد (ص ١ ع ١٢) مشيراً الى عظم تواضع هذه البتول القديسة قال هكذا „انه اذ كان الملك في مضجعه النردين الذي لي افاح نسيم طيبه" فالقديس انطونينوس في تفسيره هذا النص الالهي يقول „ان نصبة شجر النردين التي هي صغيرة ومنخفضة كانت رمزاً عن عمق تواضع مريم التي فاحت رائحة طيبها. وارتفع نسيم عرفها الذكي حتى السما. واجتذب من حضن الاب الازلي الى مستودعها البتولي الكلمة ابن الله" وهكذا ان عرف تواضع هذه العذرا المجيدة اجتذب الرب لان يختارها اماً لهُ عند ما شاء ان يتانس ليفدي العالم. غير انهُ عزَّ وجلَّ لكي يمجد هذي الام الالهية ويزيد استحقاقاتها. لم يرد ان يصير هو لها ابناً من دون ان ياخذ قبلاً رضاها بذلك. كما يقول الانبا غوليالموس في تسبحته الثالثة „ان الرب لم يشأ ان ياخذ من هذه العذرا جسداً ان لم تعطه اياه برضاها" فمن ثم حينما كانت البتول المملوة تواضعاً جالسةً في بيتها الحقير تصلي باشد حرارة وتتنهد من صميم قلبها. ملتمسةً من الله بشوق ان يرسل سريعاً الى العالم المُخلص المنتظر حسبما اوحي للقديسة اليصابات الراهبة التي من قانون القديس بناديكتوس. حينئذٍ انحدر زعيم الملئكة جبرائيل من علو السمآء الى بيت هذي العذرا النقية ليخبرها بهذا

الامر العظيم من قبل الله. واذ مثّل امامها قد قال لها „ افرحي يا ممتلئةً نعمةً الرب معكِ مباركة انتِ في النساء" (لوقا ص ١ ع ٢٨) من قبل الرب „ السلام لكِ ايتها العذرا الممتلئة نعمةً. لانكِ قد وُجدتِ دائماً غنيةً بالنعم فوق جميع القديسين والقديسات. افرحي الرب معكِ. لانكِ متعمقةٌ بالتواضع. فانتِ مباركةٌ فيما بين النسا لان النساء كلهنَّ قد سقطنَ تحت لعنة الاثم واما انتِ فلانكِ انتُخبتِ اماً للمبارك فقد كنتِ منذ البدء وعتيدة ان تكوني على الدوام مباركةً وبريةً من كل عيبٍ ودنسٍ" ✿

فما الذي اجابت بهِ هذي البتول النقية عند ما سمعت كلام المديح والتقريظ بالنوع المتقدم ذكرهُ. انها لم تجب بشيء عن هذا. بل انها اضطربت من ذلك الكلام وفكرت ما هذا السلام. ولكنْ لماذا هي اضطربت. هل خوفاً من الخداع ام حياءً من دخول رئيس الملئكة اليها بصورة رجلٍ. كما فسر ذلك بعض العلما. كلّا. بل ان نص كلمات الانجيل عن هذا التبشير هو واضح اذ يقول „ فلما سمعت اضطربت من كلامه" كما ينبه اوسابيوس الاميساني بان الانجيل لم يقل انها اضطربت من منظره بل من كلامه. فاذاً انّما كان قلقها واضطرابها جميعهُ صادراً من قبل عمق تواضعها عند ما سمعت الفاظ ذلك المديح البعيد بجملته عن روح اتضاعها وعن احتسابها ذاتها كلا شيء. ومن ثمّ بمقدار ما كانت تسمع من جبرائيل الفاظ الرفعة والتقريظ فباكثر من ذلك كانت تحتقر ذاتها متاملةً في كونها عدماً لا تستحق ادنى مديح * فهنا يتامل القديس برنرديوس قائلاً „ انهُ لو كان الملاك يقول لها انها اعظم الخاطئات الموجودات في العالم لما كان حصل عندها من هذا القول تعجب بالكلية. ولكنها عند ما سمعت منه الفاظ ذلك المديح السامي فقد امتلأت قلقاً واضطراباً" * فاذاً انّما اضطربت هذه البتول لانها اذ كانت ملآنة من التواضع العميق فلم ترتضِ باستماع اي مديح كان. وكانت ترغب وتشتاق في ان خالقها وحدهُ علة واصل جميع الخيرات والنعم يكون ممدوحاً ومعظماً ومباركاً ومسبحاً. كما اوضحت ذلك هي نفسها بالوحي للقديسة بريجيتا بتكلمها معها عن زمن تجسد ابن الله منها قائلةً „ اني لم ارد ان أُمدح انا بل الله وحدهُ اصل المواهب وخالق كل شيء" ✿

ولكنّي اقول ان الطوباوية مريم البتول كانت تعلم من نصوص الكتاب المقدس واقوال الانبيا اقله ان زمان مجيء المسيح الى العالم قد كان دنا. وان اسابيع دانيال قد كانت ناهزت النهاية. وان قضيب ملك يهوذا قد كان انتقل الى يد هيرودس الرجل الغريب عن قبيلة هذا السبط. وان بتولةً ما كان ينبغي لها ان تحبل بالمسيح وتصير امهُ. ولكن عند ما سمعت من زعيم الملئكة الفاظ المديح المخصصة لها والتي لم تكن لائقة الاَّ لمن هي عقيدة ان تكون والدة الاله. فهل جاء ربما بفكرها بانها هي تلك التي اختارها الله لهذه الدعوة. لا لعمري. ان عمق تواضعها لم يدعها ان تتصور تصوراً هذه صفته. بل ان كلمات ذاك المديح لم تؤثر فيها سوى الخوف العظيم. حتى انها حسبما يقول القديس بطرس الذهبي النطق „كما ان المسيح مخلصنا قد اراد ان يظهر لهُ في بستان الزيتون ملاكٌ ليشجعهُ ويقويه فهكذا لزم الامر ان جبرائيل اذ لاحظ شدة الخوف الذي اعترى قلب هذه الفتاة من قبل سلامه وكلامه لها اخذ ان يشجعها ويقويها بقوله لها „لا تخافي يا مريم فقد ظفرتِ بنعمةٍ امام الله" وكان يقول لها „لا تجزعي ولا ياخذكِ انذهالٌ من قبل ما نعتّكِ انا بهِ نعتًا عظيماً. لانكِ اذا كنتِ تنظرين ذاتكِ هكذا حقيرةً وتحسبين شخصكِ ادني ما يوجد في البشر فالله الذي يرفع المتواضعين قد أهّلكِ وجعلكِ مستحقةً ان تجدي النعمة التي اضاعها البشريون كافةً. ولذلك قد حفظكِ تعالى سالمةً بريةً من الدنس العام الذي التحق ببني ادم اجمعين. ومن ثمَّ منذ الدقيقة الاولى من الحبل بكِ قد زينكِ بنعمةٍ عظمى فائقة على كل النعم التي حازها من الله سائر القديسين ولهذا الان قد رقّاكِ الى مقام والدةٍ لهُ„ وها انتِ تحبلين وتلدين ابنًا وتدعين اسمهُ يسوع" فهنا القديس برنردوس يقول „ماذا تنتظرين يا مريم هوذا الملاك يريد ان يسمع منكِ الجواب. ولكن نحن بابلغ من الملاك ننتظر جوابكِ. لانهُ حُكم علينا كافةً بالموت. فها ان ثمن خلاصنا قد فوّض اليكِ وهو كلمة الله المزمع ان يتجسد منكِ متانساً. فان كنتِ تقبلينهُ ابنًا لكِ فنحن حالاً نصير معتوقين من حكومة الموت. فسيدنا نفسهُ بمقدار ما انه احب جمالكِ حبًا شديدًا فبمقدار ذلك ينتظر رضاكِ الذي عليه جعل علة خلاص العالم" ويضيف الى ذلك القديس اوغوسطينوس

قائلًا „ فاذاً اسرعي ايتها السيدة باعطاء الجواب من دون تاخيرٍ ولا تجعلي ان خلاص العالم يعاق امرهُ لان فداء الدنيا ونجاة الكون هما الآن متوقفان على رضاكِ „ ✿

* فهوذا ان البتول المجيدة قد اعطت الجواب لرئيس الملئكة بقولها له „ ها انا امةٌ للرب فليكن لي كقولك " فيا لهُ من جواب يسمو بهاءً ووضاعةً وفطنةً على كل ما يستطيع البشر كافةً والملئكة اجمعون بحكمتهم كلها ان يخترعوه اذا ما اجتمعوا معاً واستمروا سنين لا عدد لها يدرسون ليرتبوه بهذه الكلمات. يا لهُ من جوابٍ ذي اقتدارٍ قد اوعب السما تهليلاً. وجلب لسكان الارض بحرًا زاخراً من النعم والمواهب. يا لهُ من جوابٍ حالما خرج من فم البتول الكلية القداسة قد اجتذب من حضن الاب الازلي ابنهُ الوحيد الحبيبَ الى احشائها الفائقة الطهر ليتأنس من دمائها النقية. على انهُ في الدقيقة عينها التي فيها هذي العذرا المجيدة قالت „ ها انا امةٌ للرب فليكن لي كقولك " ففيها نفسها „ الكلمة صار جسداً وحلّ فينا " وابن الله صار ابن مريم ايضاً * فهنا القديس توما الفيلانوفي يهتف صارخاً „ يا لعظم اقتدار لفظة فليكن يا لها من لفظةٍ فعالةٍ. يا لها من لفظة تستحق منا فوق كل لفظةٍ تكريماً عظيماً. لانه بواسطة لفظة فليكن المتكررة من الله قد خلق تعالى السموات والارض وما فيهما. واما بهذه اللفظة المقولة من العذرا مريم „ فليكن لي كقولك " قد صار الله انساناً مثلنا " ✿

ولكن من دون ان نبتعد عن الموضوع الذي نحن في صدده فلنتامل في عمق التواضع الذي لا قرار لهُ المعلَن في هذا الجواب المعطَى من مريم العذرا لزعيم الملئكة. فهي وقتئذٍ قد عرفت جيداً بواسطة النور الالهي عظم المرتبة والدعوة التي اختارها اليها تعالى اي ان تكون والدةً لهُ. لا سيما لان الفاظ المبشر رئيس الملئكة المقولة منهُ كانت صريحة وموكدة بانها هي هي تلك الام السعيدة المنتخبة من الرب. فمع ذلك جميعه لم تتقدم الى ما قدام معتبرةً ذاتها شيئًا ولم ترتمِ ملتذةً بارتفاعها الى هذا المقام الاسمى. بل اذ شرعت من جهةٍ اولى ان تتامل في دناءتها وعدمها ومن جهةٍ اخرى في سمو عظمة جلالة الله خالقها الذي تنازل لان يختارها اماً لهُ. فقد اعتبرت ذاتها حسناً انها لم تكن اهلًا لذلك ولا مستحقةً

لهذه الكرامة. غير انها لم ترد اصلاً ان تقاوم ارادته الالهية. فلهذا لما التزمت ان تعطي الجواب فماذا صنعت وفي اي شيء افتكرت. قد انخفضت كانها متلاشية بجملتها في عمق الاتضاع. وفي الوقت نفسه قد اشتعلت بنيران الشوق لان تتحد بالله اعظم الحالات. فاهملت ذاتها بكليتها بخضوع تام لمشيئته تعالى واجابت قائلة „ ها انا امة للرب" هوذا العبدة الاسيرة لخالقها الملتزمة ان تصنع ما يامرها به سيدها. وكانها تقول بذلك انه ان كان الله يريد ان ينتخبني اماً له انا التي لا املك شيئاً خاصاً بي وجميع ما عندي انما هو خاصته تقدس اسمه وموهوب لي منه. فمن ثم من يمكنه ان يفتكر بانه عز وجل قد اختارني لهذا المقام من اجل استحقاقي انا التي لست إلاّ امة للرب. فاي استحقاق تستطيع ان تملكه من هي عبدة وامة وجارية اسيرة لان تصير اماً لسيدها ومولاها. فانا امة للرب. وبالتالي فليكن المديح كله لصلاح الرب ولسخاء جوده. ولا تمدح الامة الاسيرة. لان هذا جميعه هو مفعول صلاح الله لانه رمق بنظره الرحيم خليقة دنية متامنة نظيري ليجعلها كبيرة عظيمة بهذا المقدار *

فهنا يهتف الانبا غواريكوس صارخاً „ يا له من تواضع عميق قد صير مريم البتول المتصفة به صغيرة حقيرة دنية عند ذاتها. وعظيمة جليلة مكرمة في عيني الله. وجعلها في نفسها ذليلة كلا شيء. واما عند ذلك الرب الغير المحدود الذي لم يعرفه العالم مستاهلة كل اكرام وذات استحقاق كلي" إلاّ ان كلمات هتاف القديس برنردوس في هذا الموضوع هي اجلّ واكرم. فقد قال في عظته الرابعة على انتقال الطوباوية مريم البتول الى السما هكذا „ كيف امكنك ايتها السيدة ان تجمعي في قلبك اتضاعاً بهذا المقدار عميقاً باحتقارك ذاتك وباعتدادك اياها كالعدم مع طهارة ونقاوة وبرارة فائقة الوصف. ومع كمال ونعم ومواهب سامية على كل ما سواها ممتلكة اياها بغنى عظيم. فمن اين ومن اي قبيل قد اصلت فيك ايتها البتول الطوباوية تواضعاً هذه صفة قراره العميق في الوقت الذي فيه انت حاصلة على مرتبة كلية السمو وعارفة مقدار الرفعة العظيمة والوظيفة الفائق جلالها التي رقاك الله اليها" فلوسيفوروس حينما شاهد ذاته مزيناً بجمال فائق قد اشتهى قاصداً ان يرفع كرسيه فوق الكواكب ويصير شبيهاً بالله. كما



يقول عن لسان اشعيا النبي (ص ١٤ ع ١٣) هكذا „ انت قلت في قلبك اصعد الى السما وفوق كواكب الله ارفع كرسيَّ — واكون شبيهاً بالعلي „ فلو كان هذا الروح المتكبر وجد ذاتـه حاصلاً على تلـك الصفـات والخصائص والمرتبـة والوظيفـة والرفعـة التي حصلت عليها البتول المجيدة. لكم كان قال وادّعى واشتهى. فلم يكن روح هذه القديسة إلاّ بالضد. اي بمقدار ما رأت نفسها مرتفعةً فائزة بهذا جميعـه فباكثر من ذلـك كانت تضع نفسها محتقرة اياها. ومن ثمّ يختتم القديس برنردوس خطابه قائلاً „ انكِ انتِ ايتها السيدة لاجل تواضعـكِ هذا الجميل قد استحققتِ حسناً وصواباً ان ينظر اللـه اليـكِ نظراً ذا حبٍ فريدٍ في نوعـهِ. وصرتِ اهلاً لان تكتسبي قلب ملككِ الى محبة جمالكِ. وفزتِ بان تعطفي بواسطة نشر اتضاعكِ الذكي الرائحـة ابن الاب الازلي الكائن سعيداً في حضن ابيـه في راحتـه الابديـة وان تجتذبيه من الشرفات العلوية الى مستودعكِ البتولي الكلي الطهر والنقاوة „ وهنا يقول العلّامة برنردينـوس البوسطي „ ان مريم العذرا بقولها لرئيس الملئكة „ ها انا امةٌ للرب „ قد اكتسبت استحقاقاً لم يكن ممكناً للمخلوقات كلها معاً ان تكتسبه بجميع اعمالها الصالحة مهما كانت عظيمة ❊

فهذا هو امرٌ حقيقيٌ (يقول القديس برنردوس في ميمره الاول) على انه وان كانت هذه العذرا قد اهلت ذاتها بواسطة بتوليتها ونقاوتها لان تكون عزيزةً مقبولةً لدى اللـه. مع ذلك قد صيرت نفسها بواسطة التواضع اهلاً بمقدار ما هو ممكنٌ لخليقة ما ان تجعل ذاتها مستحقةً لان تُنتخَب اماً لخالقها „ ويثبت هذا الامر القديس ايرونيمـوس بقوله „ ان الله قد اختار مريم اماً له لاجل عمق تواضعها اكثر ممّا لاجل سائر فضائلها السامية „ بل ان هذه البتول المجيدة هي نفسها قد اوضحت ذلك في الوحي للقديسة بريجيتا قائلةً „ من اين امكنّي ان استحق نعمةً هذه صفتهـا. وهي ان اصير اماً لسيدي وربي إلاّ من هذا القبيل. وهو من معرفتي ذاتي انني كلا شيء عديمـة كل استحقاق وهكذا غصت في عمق التواضـع „ كما قد كانت هي عينها اعلنت ذلـك في تسبحتها المملـوة تواضعاً اذ هتفت قائلةً „ تعظم نفسي الربَ وتبتهج روحي بالله مخلصي لانهُ نظر الى تواضع امتهِ — لانه صنع

بي عظائم» (لوقا ص ١ ع ٤٧) وهنا القديس لورانسوس يوستنيانوس ينبه «بان العذرا المجيدة لم تقل في تسبحتها ان الله نظر الى بتوليتها والى برارة نفسها بل الى تواضعها» ثم ان القديس فرنسيس سالس يبرهن بقوله «ان مريم الكلية قداستها لم تقصد بكلماتها المقدم ذكرها ان تمدح فضيلة تواضعها. بل ارادت ان توضح حقاً ان الله قد نظر الى كونها عدماً ولا شيء ومجرد صلاحه وجودته ورحمته شاء ان يرفعها الى مقام هذا سموه وان يصنع معها العظائم» ✡

* وبالاجمال يقول القديس اوغوسطينوس «ان تواضع مريم العذرا قد وجد نظير السلم التي قد تنازل الرب لان يتحدر عليها من السما الى الارض متأنساً في احشائها» ويؤيد ذلك القديس انطونينوس بقوله «ان اتضاع مريم البتول قد كان هو الاستعداد الاخص والاكمل والاقرب لصيرورتها والدة لله» ويشير بهذا الى ما كان النبي اشعيا سبق وتفوه به قائلاً «يخرج قضيب من اصل يسى وتصعد زهرة من اصله» فعن هذا النص يتفلسف الطوباوي البارتوس الكبير بقوله «ان الزهرة الالهية اي ابن الله الوحيد قد كان يلزمه حسب نبوة اشعيا ان ينبت صاعداً لا من راس القضيب الخارج من نسل يسى ولا من احد فروعه. بل من اصله ليعلن بالحصر عمق اتضاع والدته» وكذلك يفسر هذا النص الانبا جلانسه قائلاً «ان الزهرة المذكورة كان يلزمها ان تخرج من عمق القضيب واصله وليس من راسه» ولذلك قال الله لابنته هذه المحبوبة منه «ردي عينيك من مقابلتي فانهما قد طيرتاني» (نشيد ص ٦ ع ٤) فهنا يقول القديس اوغوسطينوس «ترى من اين طيرته مقلتاها إلاَّ من حضن الله ابيه الى مستودعها البتولي» وفي هذا الشان يتكلم المفسر العلاّمة فارناندس قائلاً ان مقلتي مريم العذرا المملوتين تواضعاً اللتين بهما قد نظرت ملاحظةً العظمة الالهية في الوقت عينه الذي فيه لم تفتر اصلاً من النظر الى ذاتها ذليلةً كانها عدم قد فعلتا في قلب الله حركة انعطاف كانها اغتصابية بهذا المقدار حتى انهما اجتذبتاه من كرسي جلاله الى احشائها الطاهرة» ويقول الانبا فرنكوني «انه بهذا المعنى نفسه ينبغي ان يُفهم المديح الذي به كرم الروح القدس عروسته هذه واصفاً جمالها بانها حاصلة على مقلتين نقيتين وديعتين متواضعتين

كالحمامة بقولهِ „ها انتِ جميلةٌ يا قرينتي · ها انتِ حسنةٌ· عيناكِ كحمامتين (نشيد ص ٤ ع ١)· لان مريم البتول اذ كانت تنظر الى الله بعين ساذجة نقية متضعة كحمامةٍ طاهرة قد جذبتهُ الى ان يحبها بهذا المقدار كمغرم في جمال نفسها حتى انهُ برباطات الحب ارتضى ان يقيد ذاتهُ محبوساً في مستودعها الاطهر ✿

فلنختتم اذاً هذا الجزء قائلين· ان مريم من ثمَّ لم تقدر ان تواضع ذاتها في سر التجسد باكثر مما فعلت · ولننظر الآن في الجزء الآتي كيف ان الله بجعله اياها اماً لهُ· لم يقدر ان يرفعها باكثر مما فعل ✿

✿ الجزء الثاني ✿

✿ في ان الله لم يقدر ان يرفع مريم العذرا الى مقام اسمى ✿
✿ من المقام الذي رفعها اليهِ في سر التجسد الالهي ✿

انهُ لكي يمكن ان يُفهَم جيداً عظم المقام الذي ارتقت اليه مريم العذرا في سر التجسد يلزم ان يُفهم ما هو مقدار عظمة الله ذاته وسمو جلالتهِ· فاذاً يكفي في هذا الموضوع القول ان الله قد صيّر هذه البتول اماً لهُ· وبذلك يُعرَف انهُ تعالى لم يقدر ان يعلي شانها ويرفع مقامها اكثر ممَّا صنع معها " فحسنًا كتب القديس ارنولدوس كارنوتانسه قائلاً „ان الله بجعله ذاتهُ ابناً للبتول المجيدة قد اقامها بمرتبةٍ رئاسيةٍ ساميةٍ على جميع الملئكة والقديسين" فاذاً من بعد الله هي بنوع فائق التقدير والتمثيل سامية ومرتفعة فوق الارواح الطوباوية كافةً حسبما يقول القديس افرام السرياني· ويثبت ذلك القديس اندراوس الاقريطي بقولهِ „انها ما عدا الله هي اعلى من الجميع مطلقًا" ومثله القديس انسلموس القائل نحوها „انكِ ايتها السيدة لا تجدين احدًا معادلاً لكِ اصلاً· لان سائر الكائنات هي امَّا انها اعلى منكِ· واما انها دونكِ· فالله وحدهُ هو اعلى منكِ· وسائر الكائنات التي ليست هي الله فجميعها هي دونكِ" ويقول القديس برنردينوس „ان علو مقام هذه العذرا المجيدة هو بهذا المقدار سامٍ في العظمة والارتفاع· حتى ان الله وحدهُ هو الذي يعرفهُ ويمكنهُ ادراكهُ" ✿

ثم ان القديس توما الفيلانوفي يقول هكذا „ ان هذا الامر يرفع. من الوسط علة تعجب البعض القائلين „ لماذا ان القديسين الانجيليين قد اطنبوا في مديح القديس يوحنا المعمدان والمجدلية ولم يسهبوا في مديح وشرح الصفات المختصة بشرف مريم البتول. فماذا تطلب في اقوال الانجيليين عن عظمة هذي العذرا المجيدة وعن صفاتها الكلية السمو اكثر ممّا دونوهُ عنها. فيكفيك ما شهدوا بهِ عنها اعني بانها ام الله. فمن حيث انهم في هذا القول وحده عنها قد جعلوا مجموع وخلاصة المدائح والتعظيمات فيها فلم يعد بعد ذلك لازمًا ان يشرحوا صفاتها الاخر فردًا فردًا " ثم يضيف الى ذلك القديس انسلموس قائلاً „ كيف لا. والحال ان القول عن مريم العذرا هذا فقط وهو انها والدة الاله يعلو متسامياً ويفوق متزائداً على كل ارتفاعٍ وعلوٍ وعظمةٍ يمكن التفوه بها او الافتكار فيها بالعقل من بعد الله" وهكذا بطرس جالانسه يتبع هذه الكلمات بقوله „ انك يا هذا بتسميتك مريم العذرا سلطانة السماوات. او سيدة الملئكة. او باية صفةٍ اخرى ذات شرفٍ وكرامةٍ مهما كانت عظيمةً ممّا تريد انت ان تكرم بها سيدتنا المجيدة فلا تستطيع ان تبلغ الى ان تمدحها بما يساوي تسميتك اياها بهذه الصفة فقط وهي والدة الاله " ✲

فالبرهان في ذلك هو واضح لانهُ كما يعلم القديس توما اللاهوتي قائلاً „ ان الشيء بمقدار ما انهُ يدنو من مركزهِ واصله فبمقدار ذلك يكتسب منهُ كمالاً. ولهذا اذ كانت مريم البتول هي الخليقة الاكثر دنواً واقتراباً من الله فقد اخذت عنهُ تعالى ونالت منهُ نعمةً وكمالاً وعظمةً اكثر ممّا اخذت عنهُ المخلوقات الاخر كلها " ثم ان الاب سوارس يستنتج عن ذلك الحجة الراهنة التي لاجلها مقام والدة الله هو المرتبة الفائقة سموًا على كل مرتبةٍ اخرى مطلقًا في المخلوقات باجمعها اعني لان ذلك المقام مختص على نوعٍ ما بمرتبة الاتحاد الاقنومي واليها مضاف بالضرورة. ومن ثمّ يضيف الى ذلك القديس ديونيسيوس كارثوزيانوس بقوله „ انهُ من بعد الاتحاد الاقنومي فلا يوجد اقرب اتحاد من اتحاد مريم مع ابنها " ويعلّم القديس توما بقوله „ ان هذا هو الاتحاد الاسمى والاعظم الذي يمكن لخليقة محضة ان تتحد بهِ مع الله " والطوباوي البارتوس الكبير يوضح قائلاً „ ان مرتبة والدة الله سما وتعالى هي المرتبة الفضلى التي لا يتوسط بينها وبين المرتبة

الالهية مرتبة اخرى. وبالتالي ان مريم البتول لا تقدر ان تتحد بالله اكثر اتحاداً مما بلغت اليه إلاّ ان ترتقي الى مرتبة الالوهية عينها" ✿

ويثبت ذلك القديس برنردينوس بقوله "ان البتول القديسة لكي تصير والدةً لله قد احتاجت لان ترتقي الى نوع من المساواة بالاقانيم الالهية بايهاب الله اياها نعماً على نوعٍ ما غير متناهية" ومن حيث ان الاولاد يحتسبون اذا تكلمنا ادبياً شيئاً واحداً مع والديهم لان الخيرات والكرامات هي مشاعة ومشتركة فيما بينهم. فلاجل هذا اذاً يقول القديس بطرس داميانوس "ان الله يوجد في خلائقه على اربعة انواع. فوجوده بمريم البتول هو على سبيل الاتحاد الخاص جاعلاً ذاته كالشيء الواحد مع مريم (في الناسوت)" فمن ثمَّ يهتف هذا القديس بتلك الكلمات الجليلة قائلاً "فلتصمت هنا كل الخليقة وترتعد. وبالكاد يمكنها ان تتجاسر على ان تنظر الى مرتبة هكذا عظيمة فائقة الادراك. وهي ان الله يسكن في البتول ومعها يحوي جوهر طبيعةٍ واحدةٍ" ولهذا يقول القديس توما اللاهوتي "انهُ من حيث ان مريم قد صارت والدةً لله فلسبب اتحادها الشديد بخيرٍ غير متناهٍ. فقد اقتبلت مرتبةً على نوعٍ ما هي غير متناهية" بل ان الاب سوارس يسمي هذه المرتبة غير متناهيةٍ في نوعها. لان مرتبة كون العذرا مريم والدةً لله هي المرتبة العظمى الفائقة على كل ما يمكن ان ترتقي اليه خليقة ما محضة. اذ ان القديس توما اللاهوتي نفسهُ يعلم ذلك قائلاً "انهُ كما ان ناسوت يسوع المسيح وان كان ممكناً لهُ ان يقتبل من الله نعمة ملكية اعظم اذ ان النعمة الملكية (وهذا هو السبب) هي موهبة مخلوقة. فيلزم ان نقرّ بان جوهرها هو محدود. لانهُ يوجد مقدار محدود من القابلية لكلٍ من المخلوقات. وهذا المقدار المحدود لا يثلم حقوق القدرة الالهية عن ان تستطيع ان تبدع خليقة اكثر قابلية. فمع ذلك نظراً الى الاتحاد بالاقنوم الالهي فلم يقدر ان يقتبل شرفاً اعظم. لان القدرة الالهية وان كانت تستطيع ان تخلق شيئاً ما اعظم واجود من النعمة الملكية التي وُجدت في المسيح فمع ذلك لن تقدر ان تصنع شيئاً متجهاً الى ما هو اعظم من الاتحاد الاقنومي الكائن فيما بين الاب والابن الوحيد. وبالعكس هو ان البتول الطوباوية لم تكن موضوعاً قابلاً لان ترتقي الى مرتبةٍ اعظم مما ان تكون اماً لله. لانهُ

من حيث انها والدة الاله فهي حاصلة على مقام هو غير متناهٍ على نوعٍ ما. وفائزة به من الخير المحض الغير المتناهي الذي هو الله. ولذلك لم تكن هي قابلةً لان تحصل على شيء اعظم من هذا" ثم ان القديس توما الفيلانوفي قد قال نظير ذلك هكذا „ انه بالحقيقة ان من هي امٌ للغير المتناهي فهي حاصلة على مقامٍ هو غير متناهٍ على نوعٍ ما" وقال القديس برنردينوس „ ان الحال التي اليها رفع الله مريم البتول بجعله اياها اماً له قد كان هو المقام الاعظم والحال العظمى. فاذاً لم يكن قادراً ان يرفعها اكثر من ذلك" ويثبت هذا البارتوس الكبير الطوباوي بقوله „ ان الرب بانتخابه المغبوطة مريم البتول الى رتبة والدة له قد اعطاها موهبةً عظمى لا يمكن ايهاب اعظم منها لخليقةٍ محضة ولا هو ممكن ان يُعطَى اعظم منها" ✲

وعن ثمَّ كتب القديس بوناونتورا تلك القضية الشائعة الذكر وهي „ ان الله لقادرٌ ان يخلق عالماً اكبر من عالمنا هذا. وسماءً اكثر اتساعاً من السما التي فوقنا. ولكنه لا يقدر ان يرفع خليقةً بسيطةً الى رتبةٍ اعظم من انهُ يجعلها ان تصير والدةً له" إلاَّ ان البتول مريم الكلية القداسة هي نفسها قد اوضحت ذلك افضل ايضاحًا من هذه الاقوال بما تفوهت به هاتفةً „ ان القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس" (لوقا ص ١ ع ٤٩) وان سُئل لماذا هذي الام الالهية لم تورد مفصلاً ما هي تلك العظائم التي صنعها الله معها. فيجيب عن ذلك القديس توما الفيلانوفي قائلاً „ ان البتول لم تفسر ما هي تلك العظائم لانها كانت بهذا المقدار سامية بنوع انه لم يمكن تفسيرها وشرحها" ✲

فاذاً بالصواب قال القديس برنردوس „ ان الله لاجل هذه العذرا التي كانت عتيدةً ان تصير اماً له تعالى بالجسد قد خلق العالم باسره" والقديس بوناونتورا يقول „ ان العالم يحفظ تحت ارادة البتول الكلي طهرها" مشيراً بذلك الى كلمات سفر الامثال وهي „ انا التي كنت عنده ناظمةً" لان الكنيسة المقدسة تخصص هذه الكلمات بالعذرا المجيدة. ثم يضيف الى ذلك القديس برنردينوس بقوله „ ان الله لاجل حبه مريم البتول لم يلاشِ من الوجود الانسان بعد خطية ادم" ولهذا بكل صوابٍ ترتل الكنيسة عن هذه الام العذرا (في فرض عيد نياحها) „ انها اختارت النصيب الافضل"

على ان هذه البتول المجيدة ليس فقط اختارت الامور العظيمة والفضلى. بل انها قد انتخبت من الامور العظيمة احسنها واعظمها اذ ان الرب قد رفعها الى اسمى درجة في النعم والمواهب بوجه العموم والخصوص الممنوحة منهُ تعالى لسائر المخلوقات. وهذا كلهُ هو نتائج جعله إياها اماً لهُ بالجسد (كما يبرهن الطوباوي البارتوس الكبير في تفسيره بشارة لوقا ع ١٣) * لانه قد وُجدت هذه البتول طفلةً بالجسد ولكن في هذه الحال كانت مالكةً برارة الاطفال انما لم ينقصها الادراك اذ انها منذ البرهة الاولى من حياتها فازت بموهبة المعرفة التامة * قد وُجدت هي عذرا وبقيت كذلك دائماً ولكن من دون ان يلتحق بها عار العقرة * قد صارت اماً ولكن معاً قد حفظت كنز البتولية * قد كانت جميلةً بل كلية الجمال في الخلقة. كما يحقق ذلك ريكاردوس الذي من سان فيتّر والقديس جاورجيوس النيكوميدي. والقديس ديونيسيوس الاريوباجيتي قاضي علما اثينا الذي (بموجب راي كثيرين) حصل على الحظ السعيد بان يتمتع بمشاهدة هذه العذرا الفائقة في الحسن مرةً واحدةً فقال „ انهُ لولا ان الايمان يرشدهُ الى ان مريم البتول هي خليقة لكان قد سجد لها وعبدها كالهٍ" بل ان الرب نفسهُ قد اوحى للقديسة بريجيتا بان جمال والدته الطبيعي قد فاق جمال البشر اجمعين والملئكة باسرهم اذ انهُ تعالى صير هذه البارّة بريجيتا ان تسمعهُ مخاطباً والدته هكذا „ ان جمالكِ قد فاق على جمال الملئكة كافةً والمخلوقات كلها" ولكن جمال هذه العذرا العظيم لم يكن يضر نفس من كان يشاهدهُ. لان بهاءها الفائق كان يلاشي في ناظريها مبدداً كل انعطافٍ دنسٍ. بل كان يحرك فيهم افكاراً بكليتها طاهرة كما يشهد القديس امبروسيوس قائلاً „ ان النعمة التي كانت حاصلةً عليها مريم هي بهذا المقدار عظيمة حتى انها ليس فقط حفظت فيها البتولية بل كانت تبرز مفعولها في الآخرين ايضاً الذين كانوا يشاهدونها واهبةً اياهم التامل في موضوع كمال هذه الفضيلة السامية" ويثبت ذلك القديس توما اللاهوتي بقوله „ ان نعمة التقديس ليس فقط قد ابادت في العذرا المجيدة كل حركةٍ مضادة الطهارة او غير جائزة. بل قد جعلت مفعولها في الاخرين ايضاً. ومن ثمَّ وان كانت هي فائقة الجمال في الجسد. فمع ذلك لم يكن يتحرك بمشاهديها ادنى

شهوة ولهذا هي سُميت مرًّا لانه يطرد رائحة الفساد" كما تدعوها الكنيسة المقدسة بتخصيصها اياها بهذه الكلمات وهي „ مثل المر المختار فاح عرف رائحتي" (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٢٠) * وقد كانت هي مهتمة في الاعمال الخدمية. ولكن من دون ان تصدها هذه او تبعدها عن الاتحاد الدائم بالله. وكانت قوة فهمها وتصوراتها منشغلة بالله. انما لم تكن تتهاون في اتمام واجبات الامور الزمنية * وقد ماتت حقاً بالجسد. ولكن من دون ان تشعر بمرارة الموت ومن غير ان يلتحق بجسدها الفساد *

فلنختم اذاً القول بان هذه الام الالهية هي بنوعٍ غير متناهٍ منخفضة عن الجوهر الالهي ولكنها بنوعٍ غير محدودٍ هي سامية فوقًا على المخلوقات كلها. ومن حيث انه غير ممكن مطلقاً ان يوجد ابنٌ اشرف وافضل من يسوع المسيح فغير ممكن ايضاً ان توجد امٌّ اشرف وافضل واعظم من مريم العذرا. وهذا ينبغي ان يفيد عُبّاد هذه الملكة الجليلة ليس فقط لكي يفرحوا قلبيًا لاجل عظمتها وسمو جلال مرتبتها. بل ايضًا لكي ينمو فيهم حسن الرجا والاتكال على شفاعتها وحمايتها المقتدرة „ لانها بحسب كونها والدة الله (يقول الاب سوارس) فلها على نوعٍ ما حق على مواهبهِ تعالى لكي تهبها لاولئك الذين هي تتوسل لديه عزّ وجلّ من اجلهم" ويقول القديس جرمانوس من جهةٍ اخرى. ان الله لا يمكنهُ ان لا يقبل تضرعات هذه الام. اذ انه لا يقدر هو ان لا يعرفها امًا حقيقيةً لهُ بريةً من العيب والدنس. فهكذا يخاطبها هذا القديس قائلاً „ فانتِ التي قد حصلتِ على السلطات الوالدي عند الله فتستمدين نعمة الصالحة لاولئك الذين اخطأوا خطاءً باهظًا لانهُ تعالى لا يمكنهُ ان لا يستجيب طلباتكِ. اذ انهُ يعاملكِ في كل الاشيا كامٍ حقيقيةٍ لهُ برية من الدنس فمن ثمَّ لا ينقصكِ يا والدة الاله وامنا الشفوقة لا الاقتدار على ان تعيننا ولا الارادة في ان تسعفينا" (كما يقول القديس برنردوس) وهكذا اقول نحوكِ ما قاله الانبا جالانسه عبدكِ „ ان الله قد خلقكِ ليس لاجل ذاته هو فقط. بل انهُ اعطاكِ للملئكة ايضاً مصلحةً. وللبشر كذلك محاميةً ومنقذةً. وللشياطين انفسهم غالبةً ومنتصرةً لاننا بواسطتكِ نحن نكتسب ثانيةً النعمة الالهية المفقودة منا. وبواسطتكِ عدونا ايضًا يُغلَب مقهورًا" *

فان كنا نرغب ان نرضي هذه الام الالهية علينا ان نكرمها متواترًا بتلاوة السلام الملئكي العزيز لديها. لانها ظهرت هي مرةً للقديسة ماتيلده وقالت لها انهُ لا يمكن لاحدٍ ان يكرمها بافضل نوعٍ مقبول عندها من ان يحييها بالسلام الذي حياها بهِ زعيم الملئكة جبرائيل. واذا ما داومنا على ذلك بحسن عبادةٍ فنكتسب لانفسنا نعمًا وافرةً خصوصيةً بشفاعة ام الرحمة هذه كما يبان من النموذج الاتي ايرادهُ ✿

✿ نموذجٌ ✿

انه لشهير ذاك الحادث المورَد من الاب بولس السنيري (ف ٣٤ ق ٣ من كتابه الملقب „ بالمسيحي المرشد") وهو انهُ قد ذهب الى مدينة رومية احد الشبان الاشقيا الموسوق من احمال الخطايا الكثيرة المضادة العفة ومن الرذائل الاخر ليعترف بها عند الاب نيقولاوس صوكي. فهذا المرشد قد اقتبل الشاب بحبٍ ورافةٍ متوجعًا لشقائهِ. وقد شجعهُ محققًا لهُ ان العبادة نحو والدة الاله فيها قوة وكفاية لان تنقذهُ من الملكات الدنسة المتأصلة فيه. ومن ثمَّ وضع عليه قانونًا انهُ منذ ذاك النهار الى حين اعترافه المستقبل يتلو مرةً واحدةً كل يوم صباحًا عند نهوضه من فراشهِ ثم مساءً حين ذهابه الى الرقاد „ السلام لكِ يا مريم" تكريمًا لهذه الام البتول الالهية. وان يقدم لها يديه وعينيه وسائر حواس جسده متوسلاً اليها في ان تحفظها طاهرةً من الدنس كانها اشياءٌ مختصة بها. وان يقبّل الارض ثلث مرات. فالشاب الخاطىء قد مارس بالعمل هذا القانون بافادةٍ قليلةٍ في مبادىء اصلاح سيرته. إلاَّ ان معلم اعترافه المذكور قد كرر عليه وضع القانون نفسه المقدم شرحه محرضًا اياهُ على انهُ لا يهمله اصلاً ومشجعًا اياهُ على توطيد ثقته ورجاه في مفعول حماية هذه السيدة المقتدرة. ففي غضون ذلك قد سافر الشاب مع بعض رفقاً الى جهات مختلفة جائلاً في العالم جملة سنين. واذ رجع بعد ذلك الى رومية فذهب من جديد عند الاب نيقولاوس الذي بفرحٍ لا يوصف قد اختبر فيه تغييرًا كليًّا لانه رجع عن سيرته الاولى الردية واصطلح من ملكاته الاثيمة. فسالهُ هذا الاب قائلاً „ كيف حصلت يا ابني من الله على هذه النعمة العظيمة بتغيير هكذا صالح" فاجابهُ الشاب بقوله

« اعلم يا ابني ان والدة الاله لاجل تلك العبادة الوجيزة التي انت كنت علمتني ان امارسها نحوها قد استمدت لي من الله هذه النعمة » غير ان العجب لم ينتهِ عند هذا على ان الاب نيقولاوس عينهُ قد اورد خبر هذا الحادث في احدى عظاته مشتهراً في منبر الكرز (من دون ادنى اشارة عن شخص المعترف). فاذ سمع ذلك احد الحاضرين وكان بوظيفة قائد عسكرٍ وكانت لهُ عشرةٌ دنسةٌ مع احدى النسا المفسودات. اعتمد هو نفسهُ على ان يمارس نوع تلك العبادة لكي يخلص من قيود مأثمهِ الفظيعة التي قد جعلته حقًا اسيرًا للشيطان (كما ان جميع الخطاة الذين يوملون ان العذراء المجيدة تتمكن من مساعدتهم ونجدتهم يلزم ان تكون نيتهم وغايتهم بذلك متجهةً الى اصلاح ذواتهم مع القصد في تغيير عوائدهم السيئة) فلما واظب ذاك القائد على ممارسة هذه العبادة قد نجا هو ايضًا من تلك الملكة والعشرة القبيحة وغيّر سيرته ☆

غير ان هذا القائد القليل الفطنة بعد ذلك بستة اشهرٍ اعتمد على ان يذهب عند تلك الامراة مفتقداً اياها لينظر ان كانت هي ايضًا تابت عن خطاياها واصلحت سيرتها او لا. إلّا انهُ حينما بلغ الى باب بيتها واثر ان يدخل اليه (الامر الذي بالحقيقة كان خطراً عليه جدًا للسقوط جديدًا مع تلك الامراة) واذا بيدٍ غير منظورة قد منعتهُ عن الدخول الى الدار مرجعةً اياه الى الوراء. وشاهد ذاتهُ على الفور بعيدًا من باب تلك الدار مسافة طول الطريق كلها. ووجد نفسهُ امام باب بيته الخصوصي. وحينئذٍ قد عرف بنورٍ واضحٍ ان والدة الاله هي التي انقذتهُ من خطر السقوط ثانيةً بالاثم. فمن هنا يُفهم جليًا كم هي سريعة هذه الام الالهية سيدتنا ليس فقط في ان تخرجنا من حال الخطية اذا نحن التجأنا اليها مع النية والقصد باصلاح ذواتنا. بل انها تنجينا من الخطر ايضاً الذي يلم بنا لكيلا نسقط من جديد في الاثم ☆

☆ صلوة ☆

ايتها البتول القديسة البرية من العيب والدنس. يا مَن انتِ هي الخليقة الاعمق اتضاعاً والاعظم من جميع المخلوقات امام الله. فانتِ التي

قد كنتِ صغيرةً في عينيكِ ولكنكِ ظهرتِ لدى عيني سيدكِ بهذا المقدار عظيمةً حتى انه اتصل الى ان يختاركِ عزَّ وجلَّ امًّا لهُ وهكذا صيّركِ سلطانة السماوات والارض. فاذاً انا اشكر هذا الاله الذي رفعكِ بهذا المقدار وافرح معكِ عند تأملي اياكِ متحدةً بالله اتحاداً هكذا عظيماً بنوعٍ انهُ لم يُعطَ قط لخليقةٍ بسيطةٍ ان تحصل على اتحادٍ كذا. فبالحقيقة انه يعتريني الخجل انا المتكبر الشقي الملو خطايا ان اظهر امامكِ انتِ التي مع كونكِ فائزةً من الله بعطايا واختصاصاتٍ فائقة الادراك في عظمتها فمع ذلك حفظتِ واجبات التواضع العميق. ولكن وان كنت انا في حال هذا الشقا فاريد ان اخلص منهُ انا ايضًا. ومن ثمَّ اهتف نحوكِ قائلاً „السلام لكِ يا مريم يا ممتلئةً نعمةً" فانتِ الموعبة نعمةً استمدي لي ان انال جزءًا منها „الرب هو معكِ" اي ذاك الرب الذي منذ الدقيقة الاولى من حياتكِ قد حلّ فيكِ بنعمته واستمر دائمًا معكِ فهو الان متحدٌ بكِ اشد اتحاداً بعد ان تأنس منكِ صائراً ابنًا لكِ „مباركةٌ انتِ في النسا" ايتها الابنة الملوة بركاتٍ فيها بين النسا كافةً. نرجوكِ ان تستمدي لنا ايضًا البركة الالهية „ومباركةٌ هي ثمرة بطنكِ" ايتها الشجرة المغبوطة التي اثمرت للعالم ثمرةً بهذا المقدار شريفةً مقدسةً „فيا قديسة مريمٍ والدة الاله" انا اعترف بايمانٍ صادقٍ انكِ امٌّ حقيقيةٌ لله. واني لمستعدٌ لان ابيح دمي مع الف حيوةٍ لو كانت لي من اجل صدق هذه القضية الدينية „صلي لاجلنا نحن الخطاة" لانه ان كنتِ انتِ امًّا لله فانتِ ايضًا ام خلاصنا. وامنا نحن الخطاة. وقد صيّرك امًّا لهُ لكي تكون لصلواتكِ قوة على ان تخلص ايًّا كان من الخطاة. فاذاً صلي من اجلنا يا مريم „الان وفي ساعة موتنا" بل دائمًا تضرعي من اجلنا. اي صلي من اجل خلاصنا الان. اذ اننا في هذه الحيوة محاطون من تجارب واخطارٍ فائقة الاحصاء تسوقنا الى ان نخسر الله. ولكن بابلغ نوعٍ صلي من اجلنا في ساعة موتنا حين خروجنا من هذه الدنيا وحضورنا في ديوان العدل الالهي حتى اذا ما خلصتِنا باستحقاقات يسوع المسيح ابنكِ وبواسطة شفاعتكِ فنقدر ان نأتي يوماً ما الى السما حيث لا يعود علينا خطرٌ ما في شان خلاصنا وهناك نسبح ابنكِ ونمدحكِ الى الابد امين ❊

الفصل الخامس

☆ في ما يلاحظ تذكار زيارة والدة الاله نسيبتها ☆
☆ القديسة اليصابات حيث يُبرهَن عن ☆
☆ هذه البتول انها هي خازنة ☆
☆ جميع النعم الالهية وانه ☆
☆ مَن يلتجيء اليها يلزمهُ ☆
☆ ان يطمأن بنواله ☆
☆ النعم التي يرغبها ☆

وفيه جزءان

❁ الجزء الاول ❁

☆ في ان مَن يروم الفوز بنعمةٍ ما فيلزمهُ ان يلتجيء ☆
☆ الى مريم العذرا ☆

انهُ يُعتبَر سعيداً ذاك البيت الذي يزورهُ شخصٌ من العائلة الملوكية او الملك نفسهُ لاجل الشرف الذي يحصل عليه سكان ذاك البيت ولاجل النجاح الزمني الذي يؤملون نواله فيها بعد. ولكن يلزم ان تُسمَّى باكثر من ذلك سعيدةً تلك النفس التي تزورها ملكة السماوات والارض مريم البتول الكلية القداسة التي لا يسعها إلَّا وتوعب خيراتٍ ونعماً تلك الانفس المغبوطة التي تتنازل لان تفتقدها بمواهبها * فبيت عوبيد ادوم الجاتي قد امتلأ من بركات الرب لاجل ان تابوت العهد زار ذلك البيت وبقي موضوعاً فيه مدة ثلثة اشهر (سفر الايام الاول ص ١٣ ع ١٤) ولكن باعظم وافضل من ذلك تمتلىء من البركات والنعم تلك الانفس اللواتي يحصلنَ على الزيارة المحبوبة اعني بها زيارة التابوت الحيّ للرب الصباؤت الذي

هو ام الله كما كتب الجلكراف * فقد اختبر حقيقة هذا الامر سكان بيت القديس يوحنا المعمدان البيت الذي حالما دخلت اليه البتول المجيدة قد امتلأ سكانهُ اي العائلة كلها من البركات والنعم السماوية. ولذلك يُسمَّى عموماً الان العيد (المختص بتذكار زيارة والدة الاله نسيبتها القديسة اليصابات) « عيد العذرا ام النعم » فمن ثمَّ نحن نلاحظ اليوم في الفصل الحاضر كيف ان هذه الام الالهية هي خازنة النعم باسرها قاسمينهُ الى جزئين. فنتكلم في هذا الجزء الاول على ان مَن يرغب الفوز بنعمةٍ ما فيلزمه ان يلتجيء الى مريم ام النعم تاركين الى الجزء الاخر التكلم على ان مَن يلتجيء الى مريم يلزمهُ ان يطمأن في انه ينال النعم التي يرومها *

فالبتول الكلية القداسة بعد ان سمعت من زعيم الملئكة جبرئيل ان نسيبتها اليصابات كانت هي ايضاً حبلى بابنٍ في شيخوختها. وهذا القول كان في الشهر السادس من حبل تلك المدعوة عاقراً. قد عرفت بنورٍ خاص من قبل الروح القدس ان كلمة الاب الازلي المتجسد في احشائها صار ابناً لها وانه قد شآء ان يبتدىء في اعلان غنآء مراحمه للعالم بتلك النعم الاولى التي كان هو يشاء ان يوزعها على عائلة الكاهن زخريا. فلهذا من دون تاخيرٍ « قامت مريم في تلك الايام وذهبت مسرعةً الى الجبل الى مدينة يهوذا ودخلت الى بيت زخريا وسلمت على اليصابات » (لوقا ص ١ ع ٣٩) مع انها في هذا السفر احتاجت الى ان تنتزح عن هدوها في انفرادها المحبوب منها الذي فيه كانت تمارس تأملاتها في الحقائق الابدية. ولكن حيث ان المحبة المقدسة تحتمل كل شيء ولا تعرف ان تتكاسل في عملها كما يتكلم في هذا الشان القديس امبروسيوس قائلاً « ان نعمة الروح القدس لا تعرف ان تستعمل الاعاقة في تكميل مقصودها » فلذلك العذرا المجيدة الحدثة السن واللطيفة المزاج لم تتوقف عن ان تعاني سفراً مضنكاً بذهابها السريع من الناصرة الى مدينة يهوذا متحركةً من قبل المحبة التي لا تقوى عليها صعوبةٌ ومنجذبةً من قبل نعمة الروح القدس. وحالما بلغت الى بيت زخريا سلمت هي اولاً على اليصابات حسبما يلاحظ ذلك القديس امبروسيوس عينه. ولكن زيارتها هذه لم تكن نظير زيارات اهل العالم التي غالباً تقوم باحتفالاتٍ خارجية وبغاياتٍ كاذبة. بل ان

زيارة الطوباوية مريم البتول قد جلبت لاهل ذلك البيت كنزاً من النعم. لانهُ حال دخولها اليه قد امتلأَت القديسة اليصابات من الروح القدس. والطفل يوحنا الذي كان في مستودعها قد انحل من وثاق الخطية الاصلية وتقدس بنعمة الله. ولذلك قد اعطى هو العلامة الحسية بحركةٍ غير اعتيادية مبتهجاً في جوف امهِ مريداً بهذا ان يعلن حقيقة النعمة التي فاز بها من الله بواسطة مريم البتول. حسبما اوضحت ذلك القديسة اليصابات نفسها بقولها لهذه السيدة „ هوذا لما سمعت صوت سلامكِ في اذنيَّ ارتكض الجنين بابتهاجٍ في بطني" فمن ثمَّ كما يلاحظ العلاَّمة برنردينوس البوسطي انهُ بقوة سلام مريم قد اقتبل يوحنا في مستودع امهِ بابتهاجٍ نعمة الروح الالهي الذي قدسهُ وبررهُ " ✿

فان كانت اذاً اثمار سر الفداء الاولى هذه قد توزعت في العالم بيد مريم الطوباوية وهي وُجدت القناة التي بواسطتها قد جرت نعمة التقديس ليوحنا. ونعمة الروح القدس للبارَّة اليصابات. ونعمة روح النبوة للكاهن زخريا. وبركاتٌ اخر كثيرة قد استوعب منها ذلك البيت. وهذه هي النعم الاولى التي نعلم انها أُعطيت في الارض من الكلمة الازلي بعد تأَنسهِ. فاذاً عادلٌ جداً هو ان لا نرتاب في ان الله منذ ذلك الحين قد اقام مريم البتول وعينها بصفة قناةٍ او مجرى عام للنعم كما يسميها القديس برنردوس. وبواسطة هذه القناة قد جرت وتجري الينا بعد ذلك كلّ النعم التي يريد الرب ان يوزعها علينا حسبما برهنا عن هذه القضية في الفصل الخامس من القسم الاول من مولفنا الحاضر ✿

فاذاً بالصواب قد دُعيت هذه الام القديسة „ خزنة النعم الالهية وخازنتها وموزعتها " كما يسميها الانبا جلانسه المكرم بقوله „ انها هي خزنة الله وخازنة انعامهِ " والقديس بطرس دميانوس يدعوها „ خزنة النعم الالهية " والطوباوي البارتوس الكبير يسميها „ خازنة يسوع المسيح " والقديس برنردينوس يلقبها „ بموزعة النعم والمواهب " واحد العلما اليونانيين المُورد من بيطافيوس ينعتها „ بانها خزنة الخيرات كلها " والقديس غريغوريوس العجائبي يقول „ انهُ كُتب عن البتول مريم انها ممتلئةٌ نعمةً من حيث ان كنز النعم قد ذُخر فيها كداخل خزنةٍ " وقال ريكاردوس الذي من سان لورانسوس „ ان

الله قد استودع جميع المواهب والنعم في مريم كضمن الاهراء المختصة برحمته ومن هذا الكنز يغني هو عبيده" ثم ان القديس بوناونتورا يتكلم عن المثل المورد من سيدنا يسوع المسيح بقوله „ يشبه ملكوت السماوات كنزاً مخفياً في حقل وجده انسان فخبأه ومن فرحة مضى فباع كل شيء له واشترى ذلك الحقل" (متى ص ١٣ ع ٤٤) يقول „ ان هذا الحقل انما هو مريم سلطانتنا المخبأ فيها كنز الله الذي هو يسوع المسيح ومع هذا الكنز الالهي يوجد ينبوع النعم كلها" وقبلاً قد كان اثبت هذه الحقيقة القديس برنردوس بقوله „ ان جميع النعم التي يريد الرب ان يوزعها علينا قد وضعها تعالى في يد مريم لكي نعرف ان كل ما نحن نقتبله من الخيرات فانما نفوز به بواسطتها ونعطاه عن يدها" بل ان هذه الام الالهية عينها تؤكد لنا ذلك قائلة „ فيَّ انا نعمة كل مسلك وحق" (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٢٥) اي ان جميع نعم الخيرات الحقيقية التي يمكنكم انتم يا معشر البشر ان ترغبوها وتشتهوها في مدة حياتكم. فهذه كلها تجدونها فيَّ. ولذلك يقول نحو هذه السيدة القديس بطرس دميانوس „ اي نعم اننا نعلم حسناً يا امنا ورجانا ان خزائن المراحم الالهية وكنوزها كلها توجد تحت يدك" وقبل القديس دميانوس كان القديس ايدالفونسوس اوضح ذلك باكثر ايضاح اذ قال مخاطباً هذه السيدة هكذا „ ان جميع النعم التي رسم الله ان يمنحها للبشر فقد حدد بان تتوزع كلها عليهم عن يدك ايتها السيدة. ولذلك قد سلم اليك هو عز وجل خزائن النعم جميعها" ومن ثم يستنتج القديس جرمانوس قائلاً نحوها „ فاذاً لا توجد يا مريم نعمة ما من النعم تعطى لاحد الا بواسطتك وعن يدك" ☆

اما الطوباوي البارتوس الكبير فاذ يتكلم مفسراً الفاظ زعيم الملئكة جبرائيل بقوله للدائمة بتوليتها „ لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة امام الله" (لوقا ص ١ ع ٣٠) يضيف الى ذلك هذه العبارة الجليلة قائلاً „ فانت يا مريم لم تختطفي النعمة كما اختطفها لوسيفوروس. ولا اضعتها كما اضاعها ادم. ولا اشتريتها كما كان يرغب ان يشتريها بالاموال سيمون الساحر لكنك قد وجدتها وظفرت بها لاجل انك فتشت عليها ورغبتها. فقد وجدت النعمة الغير المخلوقة التي هي الله نفسه الذي صار ابناً لك ومع هذه

النعمة الغير المخلوقة قد ظفرت بجميع الخيرات المخلوقة" ثم ان القديس بطرس خريسولوغوس يثبت ذلك بقوله „ ان هذه الام العظيمة قد ظفرت بالنعمة ووجدتها لكي تعيد على البشريين بعد ذلك الخلاص الابدي. فمريم قد وجدت نعمةً طافحةً ذات ملء يمكنها ان تخلص بها كل احدٍ" بنوع انه كما يقول القديس ريكاردوس الذي من سان لورانسوس „ كما ان الله قد خلق الشمس لكي تنير الارض فهكذا قد خلق مريم لكي يوزع بواسطتها على العالم مراحمه كلها" ويضيف الى ذلك القديس برنردينوس قائلاً „ انهُ من حينما صارت مريم البتول والدةً للمخلص الالهي قد اكتسبت على نوعٍ ما التولّي على كل النعم" ❁

فلنختتم اذاً هذا الجزء بما قالهُ ريكاردوس المار ذكرهُ وهو انه ان كنا نريد ان ننال نعمةً ما فلنلتجئ الى مريم التي لا تقدر ان لا تستمد لعبيدها كل ما تطلبهُ لهم. لانها قد ظفرت هي بالنعمة الالهية ودائماً تظفر بها اذ يقول „ اننا ان كنا نرغب ان نجد نعمةً ما فلنفتش على تلك التي وجدت النعمة لانها قد وجدتها دائماً ولا يمكن ان لا تحصل عليها" وهذا هو موافق لما قالهُ القديس برنردوس هكذا „ فلنطلب النعمة بواسطة مريم لانها تجد ما تطلبه. ولا يمكن ان لا تحصل عليه" فان كنا اذاً نرغب نوال نعمةٍ ما يلزمنا ان نمضي الى خازنة النعم وموزعتها. لان هذه هي ارادة العلي معطي كل خير. كما يحقق لنا ذلك القديس برنردوس عينه قائلاً „ لان هذي هي ارادة ذاك الذي شاء ان نحصل نحن على كل شيء بواسطة مريم. اي ان النعم كلها انما تتوزع بواسطة مريم العذرا وعن يدها" فمن المعلوم ان قوله كلها لا يستثني نعمةً ما منها وانما لكي ينال احدٌ النعمة التي يرغبها فضروري ان يكون موجوداً فيه الرجا والثقة في نوالها بالتجائه الى مريم. فلنأتِ الى التكلم عن ذلك في الجزء الاخر ❁

❁ الجزء الثاني ❁

❁ في كم يلزمنا ان نثق مطمأنين في نوال النعم التي نطلبها ❁
❁ بالتجائنا الى مريم العذرا ❁

فلماذا قد وضع يسوع المسيح في يد والدته هذه المجيدة غناء مراحمه

كلها التي هو يريد ان يستعملها نحونا الاَّ لكي تغني بها عبيدها الذين يحبونها ويكرمونها ويلتجئون اليها بحسن الرجا. فوالدة الاله نفسها تعلن قائلةً „ عندي هو الغنآ والمجد واقتناء العظمة والعدل والذين يبتكرون اليَّ يجدونني " (امثال ص ٨ ع ١٧). لان الكنيسة المقدسة تخصص هذه الالفاظ بالعذرا الكلية القداسة وتكررها نحوها في صلوات اعيادها السنوية. فيقول الانبا ادم „ انهُ ليس لاجل غايةٍ اخرى تُحفظ خزائن غنآ الحيوة الابدية تحت يد مريم البتول إلَّا لكي تكون مفيدةً لنا. لان مخلصنا قد وضع في حضنها كنز المساكين البائسين حتى اذا ما أُسعفوا من هذا الكنز فيزول عنهم الفقر ويصيرون اغنيا " ويضيف الى ذلك القديس برنردوس بقوله „ انهُ لاجل هذه الغاية قد أُعطيت مريم للعالم نظير قناة للرحمة لكي تنحدر بواسطتها من السماوات النعم على البشر باتصال " ✿

ثم ان هذا القديس نفسه اي برنردوس يستتلي خطابه قائلاً „ لماذا ان رئيس الملئكة جبرائيل بعد ان عرف ان مريم كانت موعبةً من النعم كما قد سلّم عليها قائلاً „ افرحي يا ممتلئةً نعمةً الرب معكِ " فمع ذلك قال لها „ ان روح القدس يحلّ فيكِ وقوة العلي تظللكِ " لكي يملئها من النعمة باوفر املآ. فان كانت هي ممتلئةً نعمة قبلاً فما الذي كان يمكن ان يفعله حلول الروح القدس. فالقديس المذكور نفسهُ يجيب عن ذلك قائلاً „ ان مريم قد كانت قبلاً ممتلئةً نعمةً. إلَّا ان الروح القدس قد حلّ فيها وافاض عليها زيادة النعم فوق ملئها لاجل خيرنا نحن البشر لكي نفوز نحن الاشقيا المساكين من زيادة امتلاء هذه البتول من النعم بما نحتاج اليهِ. ولذلك قد لُقبت مريم وشُبّهت بالقمر الذي يقال عنه „ انهُ ممتلىء لذاته ولغيره " ✿

فامنا هذه الرحومة تقول عن ذاتها „ ان مَن يجدني يجد الحيوة ويستقي الخلاص من عند الرب " (امثال ص ٨ ع ٣٥) اي مغبوطٌ هو مَن يصادفني بالتجائه اليَّ. لانهُ بواسطتي يجد الحيوة ويفوز بها بسهولةٍ. لانه كما يُستسهل ايجاد المآء واخذه من ينبوعه بقدر ما يُشتهى فهكذا هو سهلٌ وجود النعم ومصادفتها والظفر بها ونوال الخلاص الابدي بواسطة الالتجا الى مريم. فاحد الابرار كان يقول „ انهُ لاجل نوال النعمة يكفي طلبها من والدة الاله " كما

ان القديس برنردوس يقول „ انه لاجل ذلك قبل ان تولد مريم العذرا في الدنيا كان ينقص العالم سخا النعم العظيمة التي الان هو ملآن منها اي من حيث انهُ كان ناقصاً وجود هذه القناة المشتهاة التي هي والدة الاله" فاذاً اذ نحن الان حاصلون على هذا المجرى الذي هو ام الرحمة الالهية فاية نعمة نحن نلتمسها منها بالتجائنا اليها ونخاف من ان لا ننالها. فالقديس يوحنا الدمشقي يصورها كانها تتكلم عن ذاتها قائلةً „ انا هي مدينة الملجاء لكل اولئك الذين يبادرون نحوي محتمين بي. فتعالوا اذاً يا اولادي اليَّ لتنالوا النعم باوفر سخاء مما انتم تفتكرون وتأملون" ✿

فاي نعم انهُ يحدث لكثيرين ذلك الشيء الذي عرفتهُ الراهبة مريم فيلاني بواسطة رؤية سماوية حيث شاهدت هي مرةً ما والدة الاله بصورة ينبوع ماء عظيم متدفقٍ بغزارةٍ وان كثيرين كانوا يدنون من هذا الينبوع ويستقون لذواتهم مياه نعمٍ وافرةٍ جداً. الّا انهُ ماذا كان يحدث بعد ذلك. فقد نظرت هذه الراهبة البارّة ان اولئك الذين كانوا ياتون الى الينبوع باوعيةٍ سالمةٍ صحيحةٍ وبها يستقون منهُ الماء فكانت مياه النعم تُحفَظ في اوعيتهم سالمةً. واما اولئك الذين كانوا يقبلون الى العين باوعيةٍ مشققةٍ اعني الخطأة المثقّلون برباطات الاثم فاي نعم انهم هم ايضاً كانوا يملأون اوعيتهم من نعم هذا الينبوع ولكن من دون ابطاء كانوا يفقدونها. فالشيء الحقيقي هو ان البشر يقتبلون يومياً بواسطة مريم البتول نعماً فائقة الاحصا ويفوز بذلك الناس العديمو المعروف والناكرو الجميل ايضاً والخطاة الاكثر شقاوةً. فيقول القديس اوغسطينوس مخاطباً والدة الاله هكذا „ اننا نحن الاشقيا قد ورثنا الرحمة بواسطتكِ. نحن ناكرو الجميل حزنا بكِ النعمة. ونحن الخطاة فزنا بكِ بالغفران. ونحن الاذلآ قد حصلنا بكِ على الاشيا العالية. ونحن الارضيون قد نلنا بكِ الملكوت. ونحن المائتون قد فزنا بكِ بالحيوة. ونحن الغربا بكِ حصلنا على الوطن" فلننعش اذاً فينا يا معشر المتعبدين لمريم الرجا والثقة والطمانينة نحوها ولنزد بذلك يوماً فيوماً. ولنفتكر باتصالٍ بنوعٍ خاصٍ في هاتين الصفتين الجليلتين الحاصلة عليهما هذه الام الالهية وهما الرغبة الحارّة لان تصنع معنا الخير والمقدرة التي لها عند ابنها على ان تستمد منهُ كل شيء تطلبهُ. فلكي نعرف الرغبة التي لها في ان تسعف الجميع وتفيدهم

يكفي ان يصير التامل في سر العيد المختص بتذكرة زيارتها نسيبتها القديسة اليصابات. على ان المسافة الكائنة فيما بين مدينة الناصرة حيث كانت ساكنةً هذه البتول الكلية القداسة وبين المدينة التي كانت تسكنها القديسة اليصابات وهي مدينة حبرون (*) على راي الكردينال بارونيوس وغيره من الكتبة (والقديس لوقا الانجيلي يسميها مدينة يهوذا) هي مسافة ذات تسعة وستين ميلاً كما يؤكد ذلك الاب يوسف الراهب الكرملي وبيدا وبروكاردوس. ومع ذلك هذه الفتاة الحدثة السن واللطيفة الجسم لم تتاخر عن ان تباشر حالاً هذا السفر المتعب جداً. فما الذي حركها لصنعه „ انه بلا شكٍ لم يكن شيٌ اخر إلاَّ الحب المتقد فيها على الدوام بقلبٍ كلي الانعطاف لان تمارس منذ ذاك الوقت وظيفتها التي هي توزيع النعم" حسبما يتكلم عن ذلك القديس امبروسيوس في تفسيره الاصحاح الاول من بشارة القديس لوقا قائلاً „ ان مريم البتول لم تذهب من الناصرة الى مدينة يهوذا لكي تتحقق صدق ما قاله لها زعيم الملائكة جبرائيل عن حبل اليصابات. بل انها لرغبتها في ان تصنع الخير مع تلك العائلة. قد اسرعت مبتهجةً بذهابها لان تفعل الصلاح مع الاخرين متحركةً بجملتها الى ذلك من قبل المحبة المتقدة في قلبها نحو القريب" ولذلك ينبغي ان تُلاحَظ عبارة الانجيل المدونة عن سَفَر هذه الام الرؤفة وهي „ ان مريم قامت وذهبت مسرعة الى الجبل" ولكن اذ يخبر الانجيل بعد ذلك عن رجوعها فلا يورد شيئًا من الاسراع. بل بنوع البساطة يقول „ ان مريم مكثت عند اليصابات نحو ثلثة اشهرٍ وعادت الى منزلها" (لوقا ص ١ ع ٥٦) ثم ان القديس بوناونتورا يتكلم هكذا قائلاً „ فاية غايةٍ اخرى كانت تغتصب والدة الاله لان تسرع ذاهبةً لتزور بيت اهل المعمدان إلاَّ رغبتها في ان تصنع الخير مع تلك العائلة المكرمة" ☆

(*) على راي اخرين كثيرين مستندين على التقليد الثابت المحفوظ الى ايامنا هذه فالمدينة التي كانت تسكنها القديسة اليصابات هي عين كارم حيث يكرَّم المحل الذي فيه زارت مريم نسيبتها اليصابات والمحل الذي فيه ولدت ابنها يوحنا المعمدان. اما حبرون فلا اثر فيها لهذين المحلين على الاطلاق *

فمن المعلوم ان مريم العذرا بعد ارتقائها الى السما لم يفتر فيها هذا الحب نحو البشر. بل انه قد تضاعف هناك فيها نامياً. لانها قد عرفت افضل معرفةٍ كم هي احتياجاتنا القصوى. ولهذا قد زادت شفقتها نحونا لتفهمها جيداً حال شقائنا. فقد كتب برنرديتوس البوسطي „ ان مريم تريد بشوقٍ ان تفعل معنا الخير اكثر من رغبتنا نحن ان ننالهُ منها " بنوع انهُ كما يقول القديس بوناونتورا „ والدة الاله تحتسب ذاتها مهانةً من اولئك الذين لا يلتجئون اليها طالبين النعم " لان هذي هي رغبة العذرا المجيدة (كما يقول ايديوطا) اي ان تغني الجميع بالنعم. ولكنها باكثر سخآء تغني المتعبدين لها " ☆

ولذلك يقول ايديوطا عينهُ „ ان مَن يجد مريم فيجد كل خيرٍ " ويضيف الى هذا قولهُ „ ان كل احدٍ يمكنهُ ان يجدها ولو كان الخاطىء الاكثر اثماً من اهل العالم باسره. لانها اذ كانت كلية الحنو والاشفاق فلا تطرد احداً من اولئك الذين يبادرون نحوها مستغيثين بها „ وتوما الكامبيسي يتصورها متكلمةً هكذا „ انني ادعو بذاتي الجميع لان يلتجئوا اليَّ وانتظرهم كافةً وارغب حضورهم اليَّ جميعاً. ولا ازدري باحدٍ من الخطاة مهما كان عديم الاستحقاق متى استغاث بي وطلبني لمعونته " ويقول ريكاردوس „ ان كل مَن يمضي نحو مريم ملتمساً نوال النعم فيجدها على الدوام مستعدةً وراغبةً لان تسعفهُ بها وتستمد لهُ كل النعم المفيدة لخلاصه الابدي بواسطة شفاعتها المقتدرة " ☆

وقولي شفاعتها المقتدرة يعني الصفة الثانية التي يلزمها ان توطد رجانا بزيادةٍ وثقتنا بطمانينةٍ في انها تنال من الله كل شيء تطلبهُ منهُ لخير المتعبدين لها. فيقول القديس بوناونتورا „ تامل يا هذا بالحصر في زيارة الطوباوية مريم القديسة اليصابات وكم حصلت كلمات هذه السيدة على القوة العظيمة. لانها بمجرد كلماتها وصوتها قد اوعبت من نعمة الروح القدس في الوقت عينه اليصابات والجنين في بطنها كما يوضح الانجيلي بقوله " وكان لما سمعت اليصابات سلام مريم تحرك الجنين بابتهاج في بطنها وامتلأت اليصابات من الروح القدس " (لوقا ص ١ ع ٤١). فانظر كم هي عظيمة قوة صوت مريم ومفعول كلماتها المقدسة. حيث انها حالما تلفظت بها قد منحت نعمة الروح القدس " ثم يقول ثاوفيلوس الاسكندري „ ان يسوع المسيح يسر

جداً حينما تتضرع اليه مريم والدته مِنْ اجلنا. لان جميع النعم التي يمنحناها تعالى حينئذٍ لاجل توسلات مريم لا يعتدها موهوبةً لنا بمقدار ما يعتبرها انها معطاة مِنهُ لامه هذه عينها " فلاحظ هنا كلماته المذكورة بقوله عن يسوع المسيح „ انه يعتبر تلك النعم ممنوحةً منهُ لامه عينها " على انه كما يقول القديس جرمانوس „ يسوع المسيح لا يقدر ان لا يستجيب مريم في كل شيء تطلبهُ منهُ مريداً بذلك على نوعٍ ما ان يطيعها خاضعاً لها بحسب كونها والدته. لان تضرعات هذه الام الالهية لها نوع من الولاية لدى ابنها. ومن ثمَّ تنال منهُ الغفران للخطاة الاكثر اثماً الذين يلتجئون اليها ✿

وهذا الامر يتحقق بابلغ بيان كما ينبه القديس يوحنا فم الذهب من الحادث الذي تمَّ في عرس قانا الجليل وهو انه حينما قالت هذه الام الرؤفة ليسوع عن اصحاب وليمة العرس ان ليس عندهم بعدُ خمرٌ فاجابها قائلاً „ ما لي ولكِ ايتها الامراة لم تاتِ ساعتي بعدُ " (يوحنا ص ٢ ع ٤). ولكن وان لم يكن حينئذٍ جاء الزمن الذي فيه كان ينبغي للمسيح ان يبتدىء بصنع العجائب كما يبرهن الذهبي فمهُ يوحنا وتاوفيلاكطوس فمع ذلك (يقول العسجدي الفم) اطاعةً منه لارادة امه قد صنع الاعجوبة التي هي طلبتها منهُ اذ احال الماء الى خمر " ✿

„ فلنتقدم اذاً بدالةٍ الى عرش النعمة كما يحرضنا الرسول (عبرانيين ص ٤ ع ١٦) لندرك الرحمة ونجد النعمة للاغاثة في اوانها " فعرش النعمة هو الطوباوية مريم البتول يقول الطوباوي البارتوس الكبير. فان كنا اذاً نرغب نوال نعمة ما فلنذهب نحو عرش النعمة الذي هو مريم. ولكن فلنتقدم الى هذا العرش بدالةٍ اي برجاء وطيد في ان مطلوبنا يستجاب بتاكيدٍ لاننا حاصلون على شفاعة هذه الام الالهية التي تنال من ابنها كل ما تطلبهُ منهُ. ولهذا اكرر كلمات القديس برنردوس „ اننا ان اردنا ان نجد نعمةً فلنجدها بواسطة مريم " مشيراً بذلك الى ما قالتهُ البتول الكلية القداسة هي نفسها للقديسة ماتيلده „ انه اذ كان الروح القدس قد املأَ هذه السيدة من عذوبتهِ فصيرها عزيزةً على قلبه تعالى ومحبوبةً منهُ بهذا المقدار حتى ان كل من التمس منهُ عزَّ وجلَّ بواسطتها النعم التي يرغبها فينالها من دون ريب " ✿

ثم ان كنا نصدق القضية المشتهرة المأخوذة عن القديس انسلموس حيث

يقول „ انه يتفق بعض الاحيان ان ننال الخلاص باستغاثتنا باسم مريم باكثر سرعة مما ننالـه اذا استغثنا باسم يسوع „ فكذلـك (كما يقول القديس نفسهُ) يتفـق بعض الاحيان ان نفوز بالنعم بالتجائنا الى والدة الاله باكثر سرعـةٍ من نوالنا اياها اذا التجأنا الى مخلصنا يسـوع المسيح نفسهِ. لا كانـهُ تعالى ليس هو ينبوع النعم كلها ومولاها المطلق. بل من كوننا حينما نبادر بالاستغاثة نحو هذه الام الالهية التي هي حينئذٍ تتوسل لدى ابنها يسوع من اجلنا فباكثر سرعةٍ تستمد لنا منهُ النعم التي نلتمسها. اذ ان تضرعاتها لديه هي تضرعات امٍ ولها قوة اكثر من توسلاتنا الغير المتوسطة امامهُ. فاذاً ينبغي لنا ان لا نبارح قدمي خازنة النعم هذه قائلين لها مع القديس يوحنا الدمشقي „ افتحي لنا باب التحنن يا والدة الاله المباركة لاننا باتكالنا عليكِ لا نخيب وبكِ نخلص من كل المحن لانكِ انتِ خلاص جنس المسيحيين „ واذا ما التجأنا الى هذه السيدة فالافضل هو ان نتوسل اليها بان تستمد لنا من الله تلك النعم التي تعلم هي انها اكثر ملائمة وافادةً ولزوماً لخلاصنا نظير ما كان يصنع الراهب الدومينيـكاني راجينلدوس حسبما هو مدون في الراس الخامس من الكتـاب الاول من تاريخ هذه الرهبنـة. فيوماً ما كان عبد مريم هذا مريضاً وكان يطلب منها الصحة الجسدية. فظهرت لهُ سيدتهُ هذه المجيدة مرافقـة من القديستين ششيليـا وكاترينا وقالت لهُ بعذوبـةٍ كليـة „ يا ابني ماذا تريد ان اصنـع من اجلـك „ فالراهب المذكور عند سماعه منها هذه الكلمات قد بهت ولم يعلم ماذا يجيـب. فحينئذٍ احدى القديستين المقدمِ ذكرهما اشارت اليه بقولها لهُ هكذا „ أتعرف ماذا تصنع يا راجينلدوس. فانت لا تطلب منهـا شيئًا معيناً بل سلم ذاتك بجملتك بين يديها تسليماً تاماً. لان هذه السيدة تعلم هي ان تصنع معك تلك النعمة بافضل نوع مماً انت تعرف ان تطلبها منها „ فهكذا فعل المريض ومريم وقتئذٍ استمدت لهُ نعمة الشفا من مرضه ✿

ولكن ان اردنا نحن زيارة ملكـة السماوات السعيدة فيفيدنا جداً ان نزورها نحن ايضاً مراتٍ كثيرة بذهابنا امام بعض ايقوناتهـا المقدسـة. فليقرا النموذج الاتي لكي يفهم بكم من المواهب الخصوصية تكافىء سلطانـة العالمين الذين يزورون ايقوناتها بحسن عبادة ✿

☆ نموذج ☆

انه قد جآء في تاريخ رهبنة القديس فرنسيس عن راهبين من هذه الرهبنة ذاتها انهما قد ذهبا معاً يوماً ما لزيارة كنيسةٍ مختصةٍ بوالدة الاله. إلاَّ انهُ في مسافة سفرهما قد ادركهما الليل وهما في وسط حرشٍ واسع. ومن ثمَّ استحوذ عليهما الخوف والتحيّر ولم يعلما ماذا يصنعان. ولكن اذ مشيا مسافةً قليلةً الى ما قدام فخال لهما في الظلام انهما كانا يشاهدان بالقرب منهما بيتًا. ولذلك مشيا نحوهُ وعند ما بلغا اليه اخذا يلمسان في العتمة جهات حيطانهِ ليجدا الباب. فلما وجداهُ قرعاهُ وسمعا صوتًا من داخل يسال من هذا. فاجابا بانهما راهبان مسكينان قد ضلّا عن الطريق وادركهما الظلام ولذلك يلتمسان ان يحتميا مدة ساعات الليل داخل حائط البيت لئلا يفرسهما الذئاب قالا هذا. واذا بباب الدار قد انفتح لهما وخرج اليهما رجلان متردّيان باثوابٍ مطرزة ثمينة كانهما من خدام عائلةٍ ملوكية. فقبلاهما بكل انسٍ وكرامةٍ وادخلاهما الى البيت بكل حبٍ. فحينئذٍ الراهبان سالا ذينك الرجلين عمَّن هو ساكنٌ في تلك الدار. فاجاباهما انها قاطنةٌ هناك سيدتهما وهي امراة كلية الرحمة والفضيلة. فالتمس الراهبان منهما ان يزوراها مقدمين لها واجبات الاحترام والمعروف. والرجلان قالا لهما „ اننا لهذه الغاية نحن نرافقكما لمواجهتها لانها هي تريد ان تتكلم معكما" فلما صعدا فوق الدرج ودخلا الى القاعة شاهداها مشرقةً بكثرة المصابيح ومزينةً كدارٍ ملوكيةٍ وقد شعرا برائحة طيبٍ زكيٍّ كانهما موجودان في فردوسٍ فائق الوصف. ثم دخلا اخيرًا حيث كانت تلك السيدة التي عند ما نظراها قد استوعبا تهيبًا من طلعتها المحترمة ومن جمالها الفريد. وهي استقبلتهما ببشاشةٍ ولطافةٍ وسالتهما عن سفرهما من اين والى اين كان. فاجاباها انهما كانا منطلقين لزيارة كنيسةٍ ما مختصة بالطوباوية مريم البتول. فقالت لهما „ حسنًا. فانا حينما تسافران اعطيكما رسالةً تفيدكما كثيرًا" وعند ما كانت هي تخاطبهما فكانا يشعران بالتهاب نار الحب الشديد في قلبيهما نحو الله متمتعين بتعزيةٍ وعذوبةٍ ومسرةٍ باطنةٍ لم يكونا قط في مدة حياتهما ذاقا نظيرها. ثم مضيا بعد ذلك الى الرقاد (ان يكن ممكنًا لهما النوم فيما بين تلك الافراح الباطنة التي اختبراها)

وحينما صار النهار فازا ثانيةً بمواجهة تلك السيدة ليشكرا فضلها وياخذا منها الرسالة التي قالت لهما عنها كما تمَّ الامر حيث انهما تسلما الرسالة وخرجا من تلك الدار وسارا في طريقهما. ولكن لم يبعدا مسافة طويلةً عن الدار إلّا وقد انتبها على ان الرسالة كانت من دون عنوان. ولذلك رجعا نحو الدار ليخبرا بهذا السهو. إلّا انهما لم يجدا لا الدار ولا اثرًا لها وقد فتشا جيداً جائلين في كل تلك الناحية. ولما لم يجدا الدار فحينئذٍ فتحا تلك الرسالة ليفهما الى مَن كانت مدونةً وماذا كانت تحوي من الخطاب. فرأيا انها كانت تخبيراً لهما بان تلك السيدة التي شاهداها في الدار هي والدة الاله التي مكافاةً لحسن عبادتهما نحوها قد اوتهما وعالتهما بتلك الدار تلك الليلة وكانت تحرضهما على مداومة العبادة لها والمحبة نحوها موعدةً اياهما باعظم المكافأة والمساعدة لهما في حياتهما وعند موتهما. وهكذا شاهدا امضآ تلك الرسالة باسمها. فهنا كل احدٍ يمكنه' بسهولةٍ ان يتامل كم كان عظم ابتهاج هذين الراهبين وشكرهما لهذه السيدة ام الرحمة. وكم تزايد في قلبيهما الحب نحوها والنشاط في خدمتها والحرارة في عبادتها ✿

✿ صلوة ✿

ايتها البتول المباركة البرية من العيب انكِ اذ انتِ هي موزعة النعم الالهية كلها فانتِ اذاً هي رجاء الجميع ورجاءي انا ايضًا. فاشكر سيدي شكرًا دائمًا على كونه افهمني جيداً ما هي الواسطة التي بها انا افوز بالنعم واحوز الخلاص. فهذه الواسطة انما هي انتِ ايتها الام والدة الاله العظيمة اذ اني عرفت حسنًا ان خلاصي هو متوقفٌ على استحقاقات سيدي يسوع المسيح وعلى شفاعتكِ ايضًا. فيا ملكتي انتِ التي باهتمامٍ كلي قد اسرعتِ ذاهبةً لتزوري بيت نسيبتكِ القديسة اليصابات وتقدسي تلك العائلة كلها اني اتوسل اليكِ بان تزوري سريعًا بيت نفسي الذليلة. فهلمي عاجلاً لانكِ تعلمين حال فقر نفسي وامراضها الروحية وانعطافاتها الغير المرتبة وعوائدها السيئة وخطاياها الماضية وكل شرورها التي تقودها الى الهلاك. فانتِ يا خازنة الله تقدرين ان تصيّري نفسي غنيةً ويمكنكِ ان تشفيها من جميع امراضها. فزوريني يا سيدتي في حياتي ولكن بنوعٍ اخص زوريني في ساعة موتي.

لاني حينئذٍ بابلغ نوعٍ اكون محتاجاً لمعونتكِ. فانا لا ادّعي ولا استحق ان افوز بحضوركِ عندي حضوراً جسديًا حسّيًا كما تنازلتِ لان تفعلي ذلك مع كثيرين من عبيدكِ المستحقين والذين ليسوا نظيري ناكري الجميل وعديمي الاستحقاق. بل اكتفي بان اشاهدكِ فيما بعد في السما حيث تملكين لكي احبكِ هناك اشد حبًا واقدم لكِ الشكر على النعم والخيرات العظيمة التي استمديتِها لي. وانما ارجو في الوقت الحاضر ان تزوريني برحمتكِ ويكفيني انكِ تصلين من اجلي ✿

فتضرعي اذاً من اجلي يا مريم حبيبتي واوصي بي ابنكِ الالهي. ولانكِ افضل مني تعرفين شقاوتي واحتياجاتي فليس لي ما اقوله لكِ اكثر. فارحميني لاني مسكين جاهل لا اعلم ماذا التمس من النعم المفيدة لي والمحتاج انا اليها. التمسي لي من ابنكِ يا امي وسلطانتي الكلية الحلاوة تلك النعم التي تعرفين انها اكثر افادةً لي واوفر ضرورة لخلاص نفسي. فانا اسلم ذاتي بجملتها في يديكِ واتوسل للعزة الالهية باستحقاقات مخلصي ان تهبني النعم التي انتِ تطلبينها في شاني. فاطلبي من اجلي ايتها البتول الكلية الطوبى ذاك الشيء الذي تعرفين انهُ اجود لي. لان صلواتكِ لا يمكن ان تُرد خائبةً لانها صلوات امٍ نحو ابنها الذي يحبها حبًا شديداً ويسرّ بان يصنع كل ما تطلبهُ منهُ. وذلك لكي يكرمكِ اعظم كرامة ويظهر لكِ في الوقت عينه سمو درجات الحب الذي يحبكِ بهِ. فقد اتفقنا على ذلك ياسيدتي وانا احيى واثقاً بكِ وانتِ يخصكِ ان تفتكري في امر خلاصي امين ✿



الفصل السادس

٭ في ما يلاحظ عيد تطهير البتول مريم اي تقدمة ابنها ٭ ٭ يسوع المسيح الى الهيكل بعد اربعين يومًا من ٭ ٭ ميلاده . وفيه يُبرهَن عن عظم القربان الذي ٭ ٭ صنعتهُ هذه السيدة في مثل هذا اليوم ٭ ٭ لله بتقدمتها لهُ حيوة ابنها ٭

ان ولادة الاطفال الابكار كانت تتضمن وصيتين حسب الشريعة القديمة. فالوصية الاولى هي ان الوالدة كان يلزمها ان تستمر مدة اربعين يومًا كانها دنسة منفردةً في بيتها. وبعد نهاية هذه الاربعين يومًا كان يلزمها ان تمضي الى هيكل الرب لتطهر ذاتها. واما الوصية الثانية فكانت تلزم الوالدين باخذ ابنهما البكر الى الهيكل وبتقدمتهما اياه لله كقربانٍ. فمريم البتول الكلية القداسة قد ارادت في مثل هذا اليوم ان تطيع متممةً الوصيتين المذكورتين معًا وان لم تكن ملتزمةً باتمام الوصية الاولى الملاحظة تطهير الامهات من دنسهنَّ. لانها قد كانت دائمًا بتولاً نقيةً طاهرةً بريةً من الدنس. ولكن مع ذلك لاجل حبها فضيلتي التواضع والطاعة حبًا زائدًا قد ارادت ان تصنع نظير سائر الامهات وتذهب الى هيكل الرب لتطهر كما انها قد اطاعت بالتمام الوصية الثانية بتقدمتها ابنها في الهيكل لله ابيهِ. كما يخبرنا القديس لوقا الانجيلي بقوله „ انهُ لما تمت ايام التطهير بحسب ناموس موسى صعد بيسوع ابواهُ الى اورشليم ليقدماه للرب على حسب ما كُتب في ناموس الرب من ان كل ذكرٍ فاتح رحمٍ يدعى مقدساً للرب" (لوقا ص ٢ ع ٢٢) . غير ان مريم الطوباوية قدمت لله ابنها بنوعٍ مختلفٍ عن بقية الامهات اللواتي حين كنَّ يقدمنَ اولادهنَّ للرب كنَّ يعتبرنَ ذلك كاحتفال طقسي بسيط مامور من الشريعة . ومن ثمَّ بواسطة افتدائهم كنَّ يجعلنَ اولادهنَّ احرارًا بدون خوفٍ من انهنَّ يلتزمنَ بتقدمتهم فيما

بعد للموت. أمّا مريم فقدمت ابنها حقًا للموت متأكدةً ان ذبيحة حيوة يسوع التي صنعتها في الهيكل حينئذٍ كانت عتيدة ان تكمل فعلاً يومًا ما فوق مذبح الصليب. فلهذا عند ما قدمت حيوة ابنها لاجل الحب الشديد المرتبطة بهِ معه بنوعٍ فائق الوصف قد ضحّت حياتها هي ايضًا وذاتها بجملتها صحبة هذا الابن الالهي قرباناً لله. فاذا ما تركنا جانباً سائر التأملات والملاحظات كلها التي يمكننا ان نلاحظها في الاسرار المختصة بهذا العيد لناخذ بالتامل في هذه القضية فقط وهي كم كانت عظمةً الضحية التي قدمت بها مريم البتول ذاتها لله بتقدمتها لديه تعالى في مثل هذا اليوم حيوة ابنها. والقضية المذكورة هي الموضوع الوحيد لهذا الفصل ✿

فالاب الازلي قد حدد ان يخلص الانسان الهالك بالخطية وينقذهُ من الموت الابدي. ولكن من حيث انه جلّت حكمتهُ كان يريد في الوقت عينه ان عدله الالهي لا يبقى خاليًا من الوفا المحق لهُ ضرورةً فلذلك اذ لم يوفر في هذا الامر المهم حيوة ابنه الوحيد المتجسد لاجل خلاص البشر اراد تعالى ان هذا الابن الالهي يفي بكل صرامةٍ العقاب الذي استحقه البشر كما يقول الاناء المصطفى „ ان الله لم يشفق على ابنه الوحيد بل اسلمه عن جميعنا " (رومانيين ص ٨ ع ٣٢). فقد ارسلهُ اذاً الى العالم لاجل هذه الغاية ليصير انسانًا وعين لهُ امًّا البتول مريم الطوباوية. ولكن لانهُ عزَّ وجلّ لم يرد ان ابنهُ الالهي يصير ابناً لهذه العذرا قبل ان تعطي هي رضاها الصريح بذلك. فهكذا لم يشا تعالى ان هذا الابن يقدم ذاته وحياته ضحيةً من غير مطابقة ارادة والدته ورضاها. لكي يتقدم على هذا النوع قلب مريم العذرا ضحيةً لله جملةً مع تقدمة حيوة ابنها يسوع. فالقديس توما اللاهوتي يعلّم „ ان للامهات من قبل صفتهنّ الوالدية حقًا وولايةً على اولادهنّ " فاذاً من حيث ان يسوع قد كان في ذاته بارًّا ولم يكن مستحقًا ادنى عقابٍ لاجل ذنبٍ شخصي فكان يبان من اللائق ان لا يُقدَّم ذبيحةً علي عود الصليب من اجل خطايا العالم من دون رضا امه الذي بهِ تقدمهُ طوعًا واختيارًا للموت ✿

ولكن وان كانت مريم البتول من حين صيرورتها امًّا ليسوع المسيح قد اعطت رضاها بموته. فمع ذلك اراد الرب ان هذه الام الالهية تقدم لديه

تعالى في مثل هذا اليوم في الهيكل الاورشليمي ذاتها ضحيةً احتفالية. وذلك بتقدمتها الاحتفالية له حيوة ابنها الحبيب غفرانًا عن خطايا العالم ووفاءً لعدله الالهي. ولهذا يقول القديس ابيفانيوس „ ان هذه البتول القديسة هي كالكاهن" فالان ينبغي لنا ان نتأمل في كم قد كلفت مريم هذه الضحية من قبل الالم الذي شعرت بهِ باطنًا وكم هو مقدار الشجاعة وسمو فضيلة الصبر التي بها مارست هي هذه الضحية بامضائها حكومة الموت على ابنها الحبيب ☆

فهوذا مريم تبادر نحو مدينة اورشليم باسراعٍ لتكميل تقدمة ابنها قربانًا حاملةً على ذراعيها الحمل المهيأ للذبيحة حيث دخلت هيكل الرب ودنت من المذبح مملوةً من الاحتشام والتواضع وحسن العبادة مقدمةً للعلي بكرها المحبوب في الغاية. وفي الوقت عينه قد جاء الى هناك القديس سمعان الشيخ الذي كان حصل من اللـه على الوعد بان الموت لا يدركه قبل ان يعاين مسيح الرب المُنتظَر. فهذا البار اذ اقتبل من يدي البتولة طفلها الالهي اخذ بالهام الروح القدس يخبرها عن صعوبة نتائج ذاك القربان المقدم لله منها. لانهُ كان يلزمها ان تضحّي نفسها المباركة جملةً مع ابنها * فهنا القديس توما الفيلانوفي اذ يتأمل في كيفية حال الشيخ البار سمعان عند التزامه بان يعلن للعذرا المجيدة تلك الحكومة المرّة ضدها يقول هكذا „ ان هذا الشيخ عند ذلك قلق وسكت. ولكن مريم كانها كانت تقول نحوهُ لماذا انت يا سمعان مضطربٌ في الوقت الذي انت فيه حاصلٌ على تعزيةٍ عظيمةٍ بمشاهدتك تمام ما وُعدتَ بهِ " فمن ثمَّ اجابها قائلاً „ ايتها السيدة الشريفة اني كنت اتمنى الّا اخبركِ بقضيةٍ مغمةٍ مملوةٍ من المرارة. ولكن من حيث ان الله يريد مني ان اعلنها لديكِ لاجل ازدياد اجركِ واستحقاقاتكِ فاسمعي ما اقولهُ لكِ وهو ان هذا الطفل الذي الان يجلب لكِ مقدارًا لا حد لهُ من الابتهاج والمسرّة وذلك بكل صوابٍ. اراه انهُ هو نفسهُ يومًا ما عتيد ان يجلب لكِ الحزن الاشد مرارةً الذي ما تجرّعهُ قط انسانٌ في العالم. وهذا سيكون حينما انتِ تشاهدين ابنكِ هذا نفسهُ مضطهدًا من كل نوعٍ من الشعوب. مطروحًا على الارض كاحقر العبيد وكاخر الناس. ومحتقرًا غاية الاحتقار. واخيرًا سيشجب امام عينيكِ

الى موت العار. ثم اعلمي ايضاً انهُ بعد موتهِ عتيد ان يموت من اجله عددٌ عظيمٌ من الشهداء فيها بين العذابات القاسية. ولكن اذا كان استشهادهم المرّ مزمعاً ان يتمّ باجسادهم فاستشهادكِ انتِ ايتها الام الالهية عتيد ان يصير بنفسكِ وقلبكِ " ❊

اي نعم ان استشهاد هذه البتول المجيدة كان عتيداً ان يتمّ في قلبها بواسطة التوجع والحزن المرّ على ابنها الحبيب الوحيد. وهذا هو السيف الذي كان عتيداً ان يجوز في نفسها كما سبق سمعان الشيخ متنبئاً "وانتِ سيجوز سيفٌ في نفسكِ" (لوقا ص ٢ ع ٣٥). فيقول القديس ايرونيموس ان البتول الكلية القداسة قد كانت استنارت من الكتاب الالهي وعرفت مقدار الالام التي كان يلزم ان يحتملها ابنها المخلص في مدة حياتهِ وبابلغ من ذلك حين موتهِ * على انها كانت تفهم جيداً من اقوال الانبيا انهُ كان ينبغي ان يُسلم بخيانةٍ من احد المختصين بهِ كقول داود النبي "ان انسان سلامتي الذي وثقت بهِ الذي اكل خبزي رفع عليَّ عقبهُ" (مزمور ٤٠ ع ١٠). وانه سيُهمل متروكاً من تلاميذه بموجب نبوة زخريا (ص ١٣ ع ٧) "قال رب الجنود اضرب الراعي فتتبدد الخراف" وكانت تعرف جيداً الاهانات التي كان يلزمهُ ان يتكبدها واللطم والبصاق والسخرية المزمعة ان تلمّ بهِ من الشعوب كقول اشعيا النبي "وانا لست اخالفه ولم ارجع الى ورائي. جسدي اعطيته للضاربين وخدّي للناتفين. لم استر وجهي عن المعيرين والبازقين" (ص ٥٠ ع ٥). وقد كانت تعلم انهُ كان عتيداً ان يصير عاراً فيها بين الامم وهزءًا للناظرين ورذالةً في الشعب حسبها تنبأ عنهُ داود قائلاً (مزمور ٢١ ع ٧) "انا دودةٌ ولست انساناً. وعارٌ للبشر ورذالةٌ في الشعب" وكما قال عنهُ ارميا (مراثي ص ٣ ع ٣٠) "يعطي الخد لمن يلطمهُ. يشبع من العار" وكانت عارفةً ان لحمانهُ المقدسة كانت عتيدةً عند نهاية حياته ان تتناثر كقول اشعيا النبي "هو مجروح لاجل اثامنا ومسحوق لاجل معاصينا" (ص ٥٣ ع ٥). بنوع ان جسده كان يلزم ان يضحى فاقد الصورة وكجسم انسانٍ ابرص كلهُ جراحاتٌ حتى ان عظامهُ نفسها تصير منظورةً كقول النبيين اشعيا وداود "ليس لهُ منظرٌ ولا جمال ونحن حسبناهُ كابرص. واحصوا جميع عظامي" وكانت

تعرف انهُ كان يلزم ان يديه ورجليه تتنجّس مسمرةً كقول المرتل « ثقبوا يديّ ورجليّ » (مزمور ٢١ ع ١٨)· وانهُ مزمعٌ ان يحصى فيها بين الاشرار كقول اشعيا النبي « وانهُ حسب مع الاثمة » (ص ٥٣ ع ١٢)· واخيرًا كانت عارفةً بانهُ كان عتيدًا ان يموت مطعونًا بحربةٍ على الصليب كقول زخريا النبي « وينظرون اليَّ انا الذي طعنوهُ » (ص ١٢ ع ١٠) ✿

فاي نعم ان هذه الاشيا بوجه العموم كانت معروفةً عند البتول الكلية القداسة· ولكن عند ما قال لها سمعان الشيخ « وانتِ سيجوز سيفٌ في نفسكِ » حينئذٍ (حسبما اوحى الرب للقديسة تقلا) قد انكشفت لديها ظروف الام ابنها مفصلاً والاوجاع الباطنة والخارجة التي كانت مزمعةً ان تحيق بهِ حين الامه· وهي اي العذرا المجيدة قد ارتضت بذلك جميعه بثبات وعزمٍ وشجاعةٍ تذهل عقول الملئكة· قبلت حكومة الموت على ابنها الوحيد· ذاك الموت الشنيع الموجع قائلةً « ايها الاب الازلي انك اذ كنت هكذا تريد فلتكن مشيئتك لا مشيئتي· وانا اوحد ارادتي مع ارادتك المقدسة واضحي لديك ابني هذا· وارتضي بان يعدم الحيوة لاجل مجدك ولاجل خلاص العالم· ومعهُ انا اقترب لك ضحية قلبي ايضًا· فليجز فيه سيف الحزن والوجع كيفما تشا يا الهي· ويكفيني ان تتمجد وتنسر ليس كمشيئتي بل كمشيئتك » فيا لها من محبةٍ لا قياس لها· ويا لها من شجاعةٍ لا مثيل لها· ويا لهُ من انتصارٍ يذهل العقول· ويا لها من غلبةٍ تستحق مؤبدًا مديح السماويين والارضيين ✿

فمن هذا القبيل والدة الاله حين الام ابنها قد وُجدت ساكتةً ولم تتكلم شيئًا ضد الافترآء الظالم الذي افتري عليه· بل لم تهتم في انقاذه عند بيلاطوس الذي قد عرف برارته مريدًا اطلاقه· ولكنها ظهرت في ذلك المحفل فقط عند جبل الجلجلة لكي تشترك بتقدمة ذبيحتهِ العظيمة هناك اذ انها قد رافقتهُ منذ ابتدآء صلبه· ولم تفارقهُ الى ان تمَّ الذبيحة ومات على الصليب كقول البشير « وكانت واقفةً عند صليب يسوع امهُ » وهذا كلهُ فعلتهُ لتكمل الضحية التي كانت سبقت وقدمتها لله من يوم تقدمتها يسوع في الهيكل ✿

فلكي يستطيع احدٌ ان يدرك عظم الجهاد الذي تكبدتهُ هذي الام

الالهية ضد ذاتها في امر قربان ابنها وتقدمتها اياهُ ضحيةً. وكم كانت مرارة الالم الذي قد تجرعتهُ في شربها هذه الكاس. ينبغي ضرورةً ان يدرك قبلاً مقدار شدة الحب الذي بهِ كانت تحب هذا الابن الوحيد. فنحن بوجه العموم نعلم ان المحبة الوالدية الكائنة في الامهات عموماً نحو اولادهن تصيّرهنَّ عند موتهم او فقدانهم ان ينسينَ بالكلية نقائصهم باسرها وخصالهم الردية وبشاعة اخلاق البعض منهم. بل الاهانات والافتراء منهم. وبالاجمال يشعرنَ بالوجع والحزن على فقدهم كأنهم مزينون بالكمالات باجمعها. هذا مع ان حب هؤلاء الامهات لاولادهنَّ المشار اليهم هو حبٌ مقسومٌ فيما بينهم وبين سائر اولادهنَّ. او فيما بينهم وبين موضوعاتٍ اخرى من الاشيا المخلوقة. امَّا البتول القديسة فليس لها الاَّ ابنٌ طبيعيٌّ واحدٌ فقط. وهو كلي الجمال وسامٍ في البهاء على اولاد ادم كافةً. وهو موضوع الحب الكلي لانهُ حاوٍ كل الصفات الموجبة حبهُ. وهو مطيعٌ وديعٌ عذبٌ بارٌّ قدوسٌ مالكٌ على كل الفضائل الفائقة سمواً. ويكفي القول عنهُ انهُ الهٌ متأنسٌ. ثم ان الحب الذي لهذه الام الالهية نحوهُ تعالى لم يكن مقسوماً فيما بينه وبين موضوعاتٍ اخرى. بل انها وضعت حبها بجملته في هذا الابن الوحيد ولم تخف من ان تفرط بحبهِ الزائد المتفاوت الحدود اذا تركت لذاتها العنان بتعلق قلبها الشديد بهِ لانهُ في الوقت عينه الذي فيه هو ابنها ففيه نفسه هو الهها المستحق ان يُحبَّ فوق كل شيء حباً غير متناهٍ. فابنٌ هذه صفاته قد وُجد هو عينهُ الضحية التي هذه الام التزمت بان تقدمها اختياراً للموت ✫

فلينظر كل احدٍ متأملاً في كم احتملت مريم العذرا في ذاتها وباية شجاعةٍ قد اتصفت بتقدمتها ابنها هذا الحبيب محرقةً حيةً ليموت على الصليب موت العار. فهذه هي الام الاعظم سعادةً فيما بين الامهات كلهنَّ من حيث انها اختيرت والدةً لله. ولكنها في الوقت ذاته هي الام المستحقة اكثر من سائر الامهات التوجع من اجلها لانها اختبرت في ذاتها مرارة الالم بنوعٍ لم يحدث قط ولا هو ممكنٌ ان يحدث لامٍ سواها. لانها من حيثما حصلت على هذا الابن فانما فازت هي بهِ محكوماً عليه بان يموت فيما بين الالام الاشد قساوةً. فترى اية امٍ تحب ان يكون ابناً لها ذاك

الذي قد أُعدَّ لان يموت موت الخزي والعار امام عينيها . فمريم وحدها قد اقتبلت أن تتخذ لها هذا الابن تحت شرطٍ هكذا شديد المرارة وفائق الاحتمال طبعاً . وليس فقط انها قبلت هذا الشرط بل ايضاً هي نفسها في مثل هذا اليوم قدمت ابنها بيديها ذبيحةً للموت وقرباناً للعدل الالهي . فيقول القديس بوناونتورا « ان الطوباوية مريم البتول لقد كانت باوفر رضا وسرور اقتبلت على ذاتها الالم والموت المرسوم على ابنها احتمالهما . ولكنها اطاعةً منها لله قد صنعت التقدمة العظيمة مضحيةً حيوة ابنها الالهية المحبوبة منها بهذا المقدار . منتصرةً بالمٍ لا يُوصَف على مفاعيل انعطافات حبها الوالدي الشديد » ومن ثمَّ في هذه التقدمة قد صنعت امراً اعظم جداً باغتصابها ذاتها وبصبرها على التوجع بشجاعةٍ من انها لو كانت تقدم ذاتها هي نفسها لاحتمال جميع ما كان مرسوماً على ابنها ان يحتمله . فبفعلها هذا سمت متعاليةً على جميع ما احتملهُ فيما بعد الشهدا كلهم . لان الشهدا انما قدموا لله حياتهم الذاتية . امَّا مريم فقدمت لهُ تعالى حيوة ابنها الذي كانت تحبهُ وتعتبره افضل من حياتها بما لا يُحدّ ولا يُوصَف ✿

ثم ان تقدمة البتول المجيدة لم تنتهِ عند هذا الحد بل ههنا هي بدايتها . لان هذه الام الالهية منذ تلك الساعة الى نهاية حيوة ابنها قد كانت على الدوام تشاهد بازاء عيني عقلها كل الالم والموت المزمع هذا الابن الالهي ان يتكبدهما . وبالتالي بمقدار ما كانت يوماً فيوماً تختبر جديداً في حبيبها يسوع موضوعاتٍ للحب ولتعلق القلب بهِ فباكثر من ذلك كان يزداد في فؤادها الم الحزن بتذكرها ما كان عتيداً ان يحدث لهُ عند نهاية حياته ✿

اواه ايتها الام المحزونة انكِ لو تكونين وُجدتِ اقل حباً لابنكِ او لو كان هذا الابن وُجد مستحقاً اقل حباً او لو انهُ كان احبكِ اقل حباً فلكان توجعكِ والمكِ وُجدا اقل مرارةً وعذاباً بتقدمتكِ حيوة هذا الابن ضحيةً للموت على الصليب . ولكن لا وُجدت ولا هو ممكن ان توجد امٌ احبت ابنها بمقدار حبكِ يسوع ابنكِ . لانهُ لا وُجد قط ولا هو ممكن ان يوجد ابنٌ محب لامه ومستحق ان يُحبَّ نظير ابنكِ يسوع . اتُرى لو امكننا ان نشاهد جمال وجه هذا الطفل الالهي وجلالة

هيبته . لقد كنا ارتضينا بان نقدمهُ ضحيةً من اجل خلاصنا. اما انتِ يا مريم التي هي امهُ المتعلقة بحبه بهذا المقدار كما يستحق فكيف استطعتِ ان تقدمي ذبيحةً من اجل خلاص البشر هذا الابن البارّ ضحيةً للموت فيما بين اوجاعٍ فائقة الادراك. وبميتةٍ لم يحدث مثلها قط لاحدٍ من المجرمين ✿

اواه كم كانت مرارة الحزن تجرح قلب هذه الام الرؤفة منذ ذلك اليوم فصاعداً اي مدة حيوة يسوع المسيح على الارض بتذكرها على الدوام وبتصورها امام عينيها الالام والاهانات التي كان البشر عتيدين ان يعاملوا بها هذا الابن الالهي. فالحب الوالدي كان دائماً يصوّر لديها يسوع غائصاً في بحر الحزن في بستان الزيتون يقطر جسده عرقاً دموياً. مجلوداً في دار بيلاطس وممزقاً جسمهُ من شدة الضرب. مكللاً باكاليل الشوك متردياً بثوب الارجوان للاستهزا. واخيراً معلقاً على خشبة العار فيما بين لصين على جبل الجلجلة „ فهوذا ايتها الام (كان يقول نحوها الحب) الابن الحبيب البارّ الذي انتِ تقدمينهُ ضحيةً ليحتمل الاماً هذه صفتها وشدة مرارتها. فترى ماذا يفيدكِ ان تهربي بهِ الى مصر لتخلصيه من يدي هيرودس وتحفظيه لميتةٍ ذات حزنٍ عظيم والامٍ مرّة ✿

فمريم اذاً ليس في هيكل اورشليم فقط قدمت ابنها ضحيةً لله ابيه. بل انها قدمتهُ دائماً باتصال في كل دقيقة من حياتها كلها. لان هذه السيدة قد اوحت للقديسة بريجيتا „ بان سيف الحزن والوجع الذي اخبرها عنهُ سمعان الشيخ لم يفارق قلبها قط حتى ارتقآئها الى السما ” ومن ثمَّ يقول نحوها القديس انسلموس „ انهُ لا يمكنني يا سيدتي ان اصدق انّكِ مع وجودكِ في الاحزان وفي مرارة قلبٍ هكذا شديدةٍ استطعتِ ان تعيشي على الارض دقيقةً واحدةً لولا ان الله نفسهُ الذي يهب الحيوة يحفظكِ بقوته الالهية ” إلاَّ ان القديس برنردوس يشهد لنا عن مرارة الحزن الذي تجرّعتهُ هذه البتول حين تقدمتها ابنها لله في الهيكل بقوله „ انها كانت تموت كل دقيقة في مدة حياتها اعني انه في كل دقيقةٍ كان يعتريها وجع موت ابنها يسوع الحبيب الوجع الذي هو اشد قساوةً من اية ميتةٍ كانت ” ✿

فبالصواب هذه الام الالهية لاجل ما اكتسبتهُ من الاستحقاق العظيم

بواسطة هذا القربان الكريم الذي قدمتهُ لله من اجل خلاص العالم قد دُعيت من القديس اوغوسطينوس „ مصلحة الجنس البشري " ومن القديس ابيفانيوس „ فادية المأسورين " ومن القديس ايدلفونسوس „ مقومة العالم الهالك " ومن القديس جرمانوس „ اصلاح شقائنا " ومن القديس امبروسيوس „ ام المومنين اجمعين " ومن القديس اندراوس الاقريطشي „ ام الحيوة " على انهُ كما يقول ارنولدوس كارنوطانسه „ في موت يسوع قد قرنت مريم امهُ ارادتها بارادة ابنها هذا الالهي بنوع ان كليهما قدما ذبيحةً واحدةً. ولهذا كما الابن كذلك الام قد باشرا معًا عمل الفداء واستمدا الخلاص للبشر. فيسوع اكتسب لنا الخلاص بواسطة وفاتهِ عن خطايانا ومريم بواسطة استمدادها لنا تخصيص هذا الوفا " ومن ثمَّ كتب الطوباوي ديونيسيوس كارتوزيانوس „ انهُ يمكن ان تُسمَّى هذه الام الالهية „ مخلصة العالم " لانها بواسطة الالام التي هي تكبدتها بتوجعها من اجل ابنها (الذي هي باختيارها قدمتهُ ذبيحةً للعدل الالهي) قد استحقت للبشر ان يشتركوا بعد ذلك باثمار الفدا " ✿

فمن حيث ان البتول المجيدة اذاً لاجل استحقاقات الامها وتوجعها وما تكبدتهُ بتقدمة ابنها قربانًا لله اكتسبت صفة كونها امًّا لجميع البشر فامرٌ عادلٌ هو الاعتقاد بانه بواسطتها هي وحدها يُعطَى لهم حليب النعم الالهية التي هي اثمار استحقاقات يسوع المسيح. ثم الوسائط المبلغة الى الحيوة الابدية. وهذا يوافق لما يقولهُ القديس برنردوس „ ان الله قد وضع في يد مريم كل ثمن فدائنا " فبهذه الكلمات يعلمنا القديس المذكور انهُ بواسطة تضرعات البتول الطوباوية تتخصص الانفس باستحقاقات المخلص في الوقت الذي فيه تتوزع عن يدي هذه الام الالهية النعم التي انما هي ثمن استحقاقات يسوع المسيح ✿

لانهُ ان كان الله بهذا المقدار ارتضى بتقدمة ابينا ابراهيم ابنه اسحق ضحيةً حتى انهُ عزَّ وجلَّ الزم ذاتهُ بان يكثر نسل ابراهيم كنجوم السما كما هو مكتوبٌ „ بذاتي اقسمت يقول الرب لانك صنعت هذا الامر ولم تشفق على ابنك الوحيد من اجلي لاباركنَّك واكثرنَّ نسلك كنجوم السما وكمثل الرمل الذي على شاطىء البحر وسيرث زرعك ابواب اعدائه وتتبارك بزرعك جميع شعوب الارض لانك اطعت لقولي الخ " (سفر التكوين

ص ٢٢ ع ١٦)۰ فيلزمنا ان نعتقد يقينًا بان القربان الاعظم والاكمل والاشرف مما سواه هو ذاك الذي قدمته' لله هذه الام العظيمة بتضحيتها ابنها يسوع. قد وُجد لديه سبحانه' اكثر قبولاً وسُرَّ بهِ اوفر سرورًا من قربان ابراهيم. ولذلك قد اكثر بواسطتها جلَّت عدالته' عدد المنتخبين اي نسل اولادها السعيد الذي هي تحامي عنهُ ✫

فالقديس سمعان الشيخ قد نال الوعد من الله بالاَّ يذوق الموت ان لم يعاين مسيح الرب كما يقول عنهُ' القديس لوقا الانجيلي (ص ٢ ع ٢٦) „ انهُ' لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الرب" الاَّ ان هذا البار لم يفز بهذه النعمة من دون واسطة مريم البتول لانهُ' لم يجد مسيح الرب يسوع الاَّ فيها بين ساعدي امه هذه العذرا. ولهذا مَن يريد ان يجد يسوع فلا يحصل عليه الاَّ بواسطة مريم. فلنذهبنَّ اذاً نحو هذه الام الالهية ان كنا نريد ان نجد يسوع. ولنبادرنَّ اليها برجاء وطيدٍ واملٍ * فقد اوضحت العذرا المجيدة لعبدتها برودنسيانا زانيوني ان كل سنةٍ في اليوم الثاني من شهر اشباط المختص بعيد تطهيرها يمنح الله نعمةً ذات رحمةٍ عظيمةٍ لاحد الخطاة. فمَن يعلم ان هذا الخاطىء السعيد يكون واحدًا منا نحن في هذا اليوم. فان كانت خطايانا عظيمةً فاعظم منها هو اقتدار مريم لان ابنها الالهي لا يعرف ان ينكر شيئًا مما تطلبه' منهُ' هذه الام العزيزة لديه كما يقول القديس برنردوس. وان غضب يسوع علينا فمريم حالاً تهدي غضبهُ وتعطفهُ الى الرضوان نحونا * فيخبرنا المؤرخ بلوطاركوس بان انتيباطروس كتب الى الملك الكسندروس الكبير رسالةً مستطيلةً ضد اوليمبيا امه. فلما قرأ الرسالة الكسندروس قال „ ان انتيباطروس لا يعلم ان دمعةً صغيرةً تقطر من عيني امي تكفي لان تمحي عدداً فائق الاحصا من الرسالات المملوة من الشكايات" فهكذا يمكننا ان نتصور في عقولنا ان يسوع يرد الجواب للشيطان عدونا عن جميع الشكايات التي يقدمها ضدنا حينما تتوسل مريم الى هذا الابن الالهي من اجلنا. ويقول الا يعلم لوسيفوروس ان تضرعًا واحداً مقدماً لي من امي من اجل خاطىء ما يكفي لان يجعلني ان انسى جميع الاهانات التي هو اغاظني بها. وهذا يتضح من النموذج الاتي تحريره ✫

✿ نموذج ✿

ان هذا النموذج لم يوجد مدونًا في كتابٍ ما عند احد الكتبة الكنائسيين بل ان احد رفقائي الكهنة قد اخبرني بهِ شفاهًا. لان الامر الاتي ايرادهُ قد حدث مع هذا الكاهن نفسه. وهو ان خادم الله الموما اليه اذ كان يومًا ما جالسًا في كرسي الاعتراف كعادته في احدى الكنائس (وهنا نصمت عن ذكر اسم البلد لاجل الاحترام الواجب للسر وان كان المعترف اعطى الاذن لمعلم اعترافه المشار اليه بان يشهر الحادث) فجاء امامهُ شابٌ قد كان يظهر عنهُ بعض اشاراتٍ دالةٍ على مقاومةٍ في افكاره ونزاع في ارادته بين ان يتقدم الى منبر الاعتراف وبين ان يرفض قبول هذا القصد. فلما لاحظهُ الكاهن وهو في كرسي الاعتراف عدة مراتٍ يتقدم ويتاخر على تلك الحال قد دعاهُ اليه اخيرًا وسالهُ ان كان يريد ان يعترف. فاجابهُ الشاب اي نعم انهُ كان يرغب الاعتراف. ولكن من حيث ان ذاك الاعتراف كان يلزمهُ خطابٌ مستطيل فاخذهُ الكاهن الى قلايةٍ منفردة وهناك ابتدأ الشاب المعترف بان يخبرهُ عن ذاته بانه هو رجل شريف غريب البلاد ولكنهُ لم يكن يفهم كيف ان الله كان يمكنهُ ان يغفر له الخطايا التي ارتكبها في مدة حياته. لانهُ ما عدا الخطايا الفائقة الاحصا التي فعلها بانواعٍ كثيرة ضد الطهارة وضد العدل وغير فواحش باهظة كالقتل وما شاكله قد اعترف بانهُ اذ يئس وقطع الرجاء من الخلاص مطلقًا ابتدأ ان يرتكب مآثم رديةً جدًا تعمدًا ليس لاشفاء الامه السيئة بل قصدًا منه باهانة الله وبالافترا عليه تعالى وبغضةً محضةً في عزته الالهية. وقال ايضًا انهُ كان حاملًا على ذاته صليبًا عليه المصلوب قد طرحهُ على الارض باحتقار. واعترف كذلك بانهُ قبل مرور ايام وجيزة من ذاك اليوم الذي فيه تقدم الى الاعتراف قد كان تناول القربان المقدس ليس بنفاقٍ فقط بل خصوصًا لهذه الغاية ايضًا وهي ليخرج من فمهِ بعد انتناول جسد الرب الاقدس ويضعهُ تحت رجليه ويدوسه. وانهُ بالحقيقة بعد ان تناولهُ اخرجهُ من فيهِ ليتمم قصدهُ الذي ترتعش المفاصل من مجرد ذكره. ولكنهُ لم يتمم ذلك حياءً من الناس الذين كانوا ينظرون اليه. ولهذا

حفظ القربان الاقدس ضمن ورقةٍ. وحينئـذٍ اي حين اعترافه سلمها بيد الكاهن الموما اليه. ثم اورد بعد ذلك انهُ حينما كان ماراً في ذاك الصباح امام تلك الكنيسة قد شعر باطناً بارادةٍ فعّالةٍ تجتذبه الى الدخول هناك. وانهُ اذ لم يمكنهُ مقاومة هذا العزم الباطن الشديد قد دخل الكنيسة وابتداً وقتئذٍ ضميرهُ ان يوبخهُ بقساوةٍ. وتواردت عليه الافكار في ان يتقدم الى كرسي الاعتراف ليقر بخطاياه. ولكن هذه الافكار كانت تُقاوم من ارادته فيها بين القبول والرفض من دون ان يعتمد على شيءٍ. وانهُ لاجل ذلك بعد ان كان دنا من منبر الاعتراف قد كان قلقهُ شديداً ورجاوهُ ضعيفاً بالكلية في نوال الغفران حتى انهُ اراد ان يخرج من الكنيسة ولكنهُ كان يشعر باطناً بشي يغتصبهُ على المكث هناك. ثم اردف كلامهُ قائلاً للكاهن „ اني قد استمررت على هذه الحال الى ان دعوتني انت ايها الاب وهكذا انا الان ارى ذاتي جاثياً امامك معترفاً بخطاياي ولكنني لا اعرف كيف تمَّ بي ذلك „ فبعد هذا جميعه قد سالهُ معلم الاعتراف ان كان في تلك الايام مارس عبادةً ما وماذا كانت تلك الاشيا التي مارسها مشيراً بذلك الى عبادةٍ نحو مريم البتول لمعرفته ان نعماً هذه صفتها فعالةً لا تخرج اعتيادياً إلاّ من يد هذه السيدة المقتدرة امام الله بشفاعتها لاستمداد نعمٍ كذا. فاجابه المعترف قائلاً „ كلاَّ لانهُ ترى اية عبادةٍ ايها الاب يمارس انسانٌ مثلي قد كان قطع رجاءهُ من الخلاص بالكلية. فانا قد يئست على الاطلاق وكنت اعتبر ذاتي هالكاً لا محالة „ فقال لهُ الكاهن „ افتكر جيداً لتعرف الحقيقة „ فاجابهُ كالاول لعلمه بانه لم يكن يمارس عبادةً ما. ولكنه وقتئذٍ قد وضع يده على صدره ليكشفه واذا بثوب السيدة الحزينة معلقاً على بعض اثوابه. فحينئذٍ قال لهُ الكاهن „ هوذا يا ابني ان البتول هي التي فعلت معك هذه النعمة واعلم يا ولدي ان هذه الكنيسة هي خاصة سيدتنا والدة الاله „ فالشاب عند ما سمع ذلك قد تخشع وبدأ يبكي وقد اكمل ايراد خطاياه بندامةٍ وتوجع مع بكاءٍ بشهيقٍ حتى انه من شدة الاسف والندامة الباطنة المُرافقة بانسكاب العبرات قد سقط على الارض مغشياً عليه غائباً عن الحواس. فمعلم الاعتراف احضر اليه بعض ارواح مستقطرة التي باستنشاقه اياها قد رجع الى ذاته وهكذا امكنهُ ان يتمم اعترافهُ. والكاهن بعد ان فرض عليه

القوانين قد حلّه من خطاياه بتعزيةٍ عظيمةٍ واصرفه ليسافر راجعاً الى وطنه بعد ان اعطاه المعترف اذناً صريحاً بان يخبر بهذا الحادث من شآء ويشهره في المواعظ وغيرها لتُعرَف عند الجميع المراحم العظيمة التي استعملتها معه هذه السيدة ام الرحمة ✿

✿ صلوة ✿

يا والدة الاله القديسة مريم امي. انكِ بهذا المقدار اذاً انتِ اهتممتِ في امر خلاصي الابدي حتى انكِ اتصلتِ الى ان تضحّي ذبيحةً حية الموضوع الذي لا يوجد اعزّ منهُ على قلبكِ وتقدميه للموت وهو ابنكِ الحبيب يسوع. فاذاً من حيث انكِ تريدين ارادةً هكذا فعالة ان تشاهديني مخلصاً. فبالصواب انا اضع فيكِ بعد الله رجائي كلهُ. اي نعم انني اثق بكِ ايتها البتول المباركة بأملٍ وطيدٍ متوسلاً اليكِ باستحقاقات هذا القربان العظيم الذي انتِ قدمتهِ في مثل هذا اليوم وهو حيوة ابنكِ بان تطلبي منه ان يرحمني ويشفق على نفسي التي من اجلها لم ينفر هذا الحمل البري من العيب من ان يموت على الصليب ✿

فانا اشتهي يا سلطانتي اقتداءً بموذجكِ ان اقرّب لله في هذا اليوم قلبي المسكين. ولكنني اخاف من انه تعالى يرذلهُ عند مشاهدته اياه هكذا دنساً ومتمرغاً في حماة الاباطيل. غير انهُ اذا انتِ قدمتهِ لهُ تعالى فلا يرفضهُ لان التقدمات التي تتقرب اليه عزّ وجلّ على يدك الكلية طهارتها فهو يقبلها كلها مرتضياً بها. فمن ثمّ انقدم اليكِ في هذا النهار يا مريم انا الشقي واهبكِ ذاتي بجملتها فانتِ قدميني كشيء مختص بكِ لدى الاب الازلي جملةً مع ابنكِ يسوع وتوسلي اليه باستحقاقات ابنه الالهي وبحق محبتهِ لكِ ان يقبلني خاصتهُ فلا تهمليني يا امي الكلية الحلاوة بحق المحبة التي بها تحبين ابنكِ الذي ضحيتهِ قرباناً من اجلي لكن عينيني دائماً. ولا تسمحي باني يوماً ما افقد بخطاياي هذا الابن الالهي الذي انتِ باوجاعٍ هكذا مرةٍ قدمتهِ ضحيةً على خشبة الصليب من اجل خلاصي بل قولي لهُ اني عبدكِ واني قد القيت عليكِ كل رجائي وبالاجمال قولي لهُ

انك تريدين خلاصي لانه تعالى بكل تاكيدٍ يقبل ذلك امين ✿

الفصل السابع

✿ في ما يلاحظ عيد انتقال سيدتنا والدة الاله وفيه يُبرهَن كم ✿
✿ كان موتها كريمًا اولاً لاجل الاشيا الكريمة التي ✿
✿ رافقتهُ ثانيًا لاجل النوع الذي بهِ حدث ✿

✿ وفيه جزءان ✿

الجزء الاول

✿ في كم هو كريمٌ موت هذه السيدة لاجل ✿
✿ الاشيا الجليلة التي رافقتهُ ✿

ان الكنيسة المقدسة في هذه الايام تقدم لنا موضوعين لنكرمهما ونتأملهما ونحتفل بتذكارهما عبادةً لوالدة الاله. فالاول هو تذكار انتقال هذه السيدة من الحيوة الحاضرة الى الحيوة الابدية. والثاني هو تذكار ارتقائها الى السما بالنفس والجسد. ونحن نتكلم في هذا الفصل عن الموضوع الاول وفي الفصل التابع عن الموضوع الثاني مبرهنين في الجزء الاول عن مقدار كرم موت هذه السيدة لاجل الاشيا الجليلة التي رافقتهُ ✿

فامر واضح هو ان الموت انما هو عقاب الخطية ولهذا يبان ان والدة الاله لم تكن خاضعةً لشريعة هذا العقاب ولا كان يلزمها ان تتكبد شيئًا من تعاسة اولاد ادم من حيث انها وُجدت دائماً بريةً من كل شائبة دنسٍ او خطيةٍ مطلقاً وعلى الدوام كانت قديسةً بكليتها. ولكن حيث ان الله اراد ان تكون هذه الام الالهية شبيهةً بابنها يسوع في كل الاحوال فاذ كان هذا الابن قد مات حقاً فكان يجب انها ايضًا تموت بالحقيقة مريدًا

بذلك تعالى ان يعطي الابرار نموذجاً مختصاً بالميتة الكريمة لديه المعدّة لهم. ولهذا رسم بان تموت هذه الطوباوية ولكن ميتةً حلوةً بكليتها سعيدةً بجميع ظروفها مرافقةً من حوادث جليلة جداً ✿

فاعتيادياً الاشيا التي تصيّر الموت مرّاً هي ثلثةٌ اي تعلق القلب في الاشيا الارضية وتوبيخ الضمير من اجل الخطايا المفعولة وعدم معرفة حقيقة الحكومة العتيدة ان تبرز على النفس بعد انفصالها من الجسد ان كان بالخلاص او بالهلاك. فميتة القديسة والدة الاله قد كانت منفصلةً بالكلية عن هذه الموضوعات بجملتها ومرافقةً من ثلثة اشيا جليلة فجعلها كريمةً جداً عذبةً في الغاية. فهي قد ماتت غير متعلقة القلب بشيء من الاشيا الارضية مطلقاً كما عاشت جميع ايام حياتها ورقدت بسلامة ضميرٍ مملوٍ هدواً وتنيحت بمعرفةٍ اكيدةٍ بانها كانت منتقلةً الى المجد الابدي ✿

فاولاً انه لا ريبَ ولا اشكالَ في ان تعلق القلب بخيرات الارض يصيّر الموت مرّاً كما يقول الروح القدس „ما اشد مرارة ذكرك ايها الموت على الرجل المستريح في امواله" (ابن سيراخ ص ٤١ ع ١). ولكن من حيث ان القديسين يموتون غير متعلقي القلب بشيء من الموجودات الارضية فالموت لديهم ليس هو مرّاً لكنّه عذبٌ محبوبٌ وكريمٌ. وحسبما يفسر القديس برنردوس لفظة موتٍ كريمٍ اي انه يستحق ان يُشترى باثمن ما يوجد من الاشيا الكريمة * فقد كُتب في سفر الابوكاليبسي „طوبى للموتى الذين يموتون بالرب" (ص ١٤ ع ١٣). فمَن هم هولا الذين يموتون مع انهم يُسمَّون موتى اي ماتوا قبلاً فبالحصر هنَّ الانفس السعيدات اللواتي ينتقلنَ من هذه الحيوة الى الابدية بعد ان كنَّ مُتنَ قبلاً عن جميع الاشيا الارضية. اذ انهنّ قد وجدنَ في الله وحده كل خيرٍ نظير ما قد وجد القديس فرنسيس اسيزي الذي كان يقول „ان الهي هو كل شيء لي" ولكن. ترى اية نفسٍ امكن ان توجد بعيدةً عن حب الاشيا الارضية بابلغ نوع. ومتحدةً بالله اشد اتحاداً من نفس مريم العذرا الكلي جمالها فقد كانت منفصلةً بكليتها عن التعلق بالاقربا. بعد انها منذ السنة الثالثة من عمرها السن الذي به يوجد الاطفال اشد تعلقاً باقربائهم. واوفر احتياجاً للمساعدة منهم. قد تركت هي والديها وانسباها. ودخلت الى هيكل الرب بكل هدوٍ وسرورٍ

بعيدةً عن كل احد بالانفراد مهتمةً بالتردد المتصل لدى الله وحدهُ. منفصلة القلب عن محبة الملابس مكتفيةً بان تعيش فقيرةً على الدوام. بعيدةً عن حب الكرامات مختارةً عيشة التواضع والحقارة وان كان لها الحق ان تُسمَّى سلطانة لاجل تسلسلها من نسل ملوك يهوذا. وقد اوحت هذه الام الالهية عينها للراهبة التي من قانون القديس بنادكتوس الطوباوية اليصابات بانها حينما دخلت هيكل الرب قد عزمت على ان لا تعرف لها اباً اخر ولا تحب خيراً اخر سوى الله وحدهُ ✿

ثم ان القديس يوحنا الرسول قد شاهد صورة البتول المجيدة في تلك الامراة التي رآها ملتحفةً بالشمس دائسةً علي القمر حسبما كتب لنا بقوله « وظهرت ايةٌ عظيمةٌ في السما امراةٌ ملتحفةٌ بالشمس والقمر تحت قدميها وعلى راسها اكليلٌ من اثني عشر كوكباً » (ابوكالبسي ص ١٢ ع ١). فالمفسرون يعنون بالقمر خيرات هذه الارض التي هي عابرةٌ زائلةٌ ناقصةٌ نظير القمر. فهذه الخيرات الارضية كافةً لم تحوها مريم قط في قلبها بل دائماً احتقرتها تحت رجليها عائشةً على الارض نظير اليمامة المحبة التوحد والانفراد من دون ان يوجد فيها تعلقٌ ما نحو شيء من الموجودات الزمنية كما قيل عنها « صوت اليمامة قد سُمع في ارضنا » (نشيد ص ٢ ع ١٢) « مَن هي هذي الصاعدة من القفر» (نشيد ص ٣ ع ٦) حسبما يفسر روبرتوس بقوله نحو العذرا « كذلك انتِ صعدتِ من القفر حيث انكِ حاصلة على النفس المحبة الانفراد » فاذاً من حيث ان هذه البتول المجيدة قد عاشت على الارض منفصلة القلب بالكلية عن محبة الاشيا الارضية. ومتحدةً بجملتها مع الله وحدهُ لم يكن الموت لديها مراً بل عذباً جداً ومحبوباً ومرغوباً منها. لانهُ كان عتيداً ان ينقلها من الارض الى السما حيث يمكنها بافضل نوعٍ وباشد ارتباطٍ ان تتحد مع الله الى الابد ✿

ثانياً ان ما يجعل موت الابرار كريماً هو سلامة الضمير وهدوه. فالاثام المصنوعة في مدة الحيوة انما هي ذلك الدود الذي يقرض قلوب الخطاة المساكين ويحزن افئدتهم حين موتهم لسبب دنوهم من الساعة التي فيها يلزمهم ان يحضروا امام عرش الديان العادل. وحينئذٍ يوجدون محاطين من مجموع خطاياهم التي تصرخ حولهم مخيفةً اياهم كقول القديس برنردوس « اننا نحن اعمالك

فلا نفارقك » فوالدة الاله بالحقيقة لم تكن حين موتها متعودة من قبل ضميرها بشيء يوبخها لانها وجدت دائماً قديسة بارة خالية من العيب معتوقة من ظل الاثم ومن كل شائبة خطيةٍ اصلية كانت او فعلية. وعنها قيل « كلك جميلةٌ يا قرينتي وليس فيك عيب » (نشيد ص ٤ ع ٧). لانها مذ حصلت على المعرفة والتمييز. اي منذ الدقيقة الاولى من الحبل بها البري من الدنس في احشا والدتها القديسة حنة الى حين انتقالها قد احبت الله بمحبةٍ تضرم قلبها متزايدة يوماً فيوماً بلا انقطاع. وكانت تتقدم في الفضائل والكمال مدة حياتها كلها. ولم تكن اشواقها ومرغوباتها وعواطفها شيئًا اخر سوى الاتجاه نحو الله والاتحاد بهِ. والارتياح اليه والى مجده. من دون ان تفوه بكلمةٍ. او تتحرك حركةً او تنظر نظرةً او تستنشق نفساً او بالاختصار تفعل فعلاً لا يكون راجعاً لله ولمجده. ومن غير ان تنفصل خطوةً ما عن محبته عزَّ وجلَّ. فيا له من انتقالٍ سعيدٍ طوباوي. لان فضائل هذه القديسة التي مارستها في مدة حياتها قد احاطت حينئذٍ فراشها الطاهر. اي فضيلة ايمانها الثابت الراسخ ورجائها بالله الوطيد الامين. وصبرها الجميل الفريد فيها بين اوجاع الحزن والالام القاسية. واتضاعها العميق فيها بين اختصاصاتٍ ومواهب كلية السمو. واحتشامها العظيم ثم وداعتها وانسها ودعتها ورافتها وحنوها واشفاقها على الانفس وغيرتها على المجد الالهي. وفوق كل شيء حبها الكامل نحو الله وتسليمها ذاتها التام للمشيئة الربانية. وبالاجمال كل ما فعلتهُ من القداسة والصلاح والبرّ فهذا جميعه كان محيطاً بها وكانهُ يقول نحوها بلسان حاله « اننا نحن اعمالكِ فلا نفارقكِ » اي اننا نحن الفضائل التي انتِ يا سيدتنا مارستِنا. نحن بنات قلبكِ الجميل. فانتِ الان تتركين هذه الارض الحقيرة امَّا نحن فلا نريد ان نتركك بل اننا نذهب معكِ الى السما لكي نكون كخدام المجد والشرف في الفردوس حولكِ انتِ التي تجلسين هناك سلطانةً بواسطتنا فوق جميع الملائكة والبشر اجمعين ✿

ثالثاً ان الشيء الذي يجعل الموت حلوًا محبوباً هو تاكيد امر خلاص النفس الابدي. فالموت يُسمَّى عبورًا واجتيازاً وانتقالاً وذلك لاننا بواسطتهِ نعبر مجتازين ونمرّ منتقلين من حيوةٍ وجيزةٍ الى حيوةٍ ابديةٍ. فاذاً كما انهُ عظيمٌ هو خوف اولئك الذين يدنون من الموت وهم بريب في امر خلاصهم ويدخلون

ابواب المنون ليس بدون خوف صوابي من ان ينتقلوا الى موت ابدي. هكذا بضد ذلك عظيم هو فرح القديسين الذين ينهون حياتهم حاصلين على رجاء ليس بضعيف في انهم انما ينتقلون من هذه الارض لكي يمتلكوا الله الى الابد * فاحدى الراهبات التي كانت منضوية تحت قانون القديسة تريزيا حينما اخبرها الطبيب في حال مرضها الاخير ان ارتحالها من هذه الدنيا قد دنا. فعند سماعها منه هذا الخبر قد استوعبت فرحاً وتهللاً فائق وصفهما وهتفت نحو الطبيب قائلةً « كيف ايها السيد اتيتني بهذه البشارة العظيمة ولا تطلب مني هديّةً لائقةً من اجلها » والقديس لورنسوس يوستينياني اذ اقترب من ساعة الموت وسمع خدامهُ يبكون حول فراشه قال لهم « ان كنتم تريدون ان تبكوا فامضوا الى مكانٍ اخر. واماً ان كنتم تريدون ان تلبثوا عندي ههنا فيلزمكم ان تسرّوا فرحين معي كما اني ابتهج عند نظري افتتاح ابواب الفردوس لكي اذهب واتحد بالهي » وهكذا القديسان بطرس دلكنترا ولويس غنزاغا وكثيرون غيرهما قد اظهروا علامات البهجة والتهلل عند سماعهم من الاطبا خبر دنوهم من الموت. هذا مع ان هولا كلهم لم يكونوا فائزين بعلمٍ سماوي اكيدٍ على انهم كانوا في حال النعمة الالهية حقاً. ولم يكونوا متاكدين حقيقة قداستهم بالنوع الذي بهِ كانت المجيدة مريم البتول متاكدةً ذلك. فاذاً ترى اي ابتهاجٍ وحبورٍ ومسرةٍ وتهللٍ شعرت بهِ هذه السيدة حين دنوها من الموت في انوقت الذي هي فيه كانت كلية التاكيد بانها في حال نعمة الله. لا سيما بعد ان كان اكد لها زعيم الملئكة جبرائيل انها ممتلئةٌ نعمةً وانها ممتلكة الله بقوله لها « السلام لكِ يا مريم يا ممتلئةً نعمةً افرحي الرب معكِ — وقد وجدتِ نعمةً وظفرتِ بها امام الله » (لوقا ص ١ ع ٢٨). بل انها هي عينها كانت تعلم كم هو اشتعال قلبها بنار الحب الالهي بنوع انها (كما يقول برنردينوس البسطي) قد حازت من الله موهبة حبٍ خاص لم يعطَ لاحدٍ من سائر القديسين. بهِ قد كانت تحبهُ تعالى في كل دقيقةٍ من حياتها باضطرامٍ شديدٍ هذا حدهُ حتى انهُ على راي القديس برنردوس قد كان من باب الضرورة ان توجد اعجوبة متصلة ليمكنها ان تعيش على الارض ولا تموت من شدة التهاب قلبها بهذا الحب الفائق الادراك *

فمن هذه السيدة العظيمة قد كُتب « مَن هي هذه الصاعدة من القفر كانها غصن بخورٍ من طيوبٍ ومرٍ وكندر ومن جميع ذرائر العطار» (نشيد ص ٣ ع ٦)· ففضيلة اماتتها الكلية التي قد شُبّهت بالمرّ· وصلواتها الحارّة التي قد مُثّلت بالبخور· وحبها الكامل لله وسائر فضائلها المقدسة قد كانت بمنزلة نارٍ تحرق فوادها وتبعث عنها عموداً من دخان البخور صاعداً نحو السما ينتثر من كل ناحيةٍ طيبه الذكي على الدوام· كما كتب عنها روبرتوس بقوله نحوها « انكِ ايتها الطوباوية مريم انتِ نظير عمود الدخان المذكور ترسلين نحو الاله العلي رائحةً كلية الذكا» وكذلك قال أُسطاكيوس بعباراتٍ ابلغ هاتفاً « ان العذرا المجيدة هي غصن بخورٍ محترقة داخلاً كمحرقةٍ ملتهبة بنار الحب الالهي الذي يبعث منها الى الخارج طيب رائحةٍ ذكية العرف بما لا يُوصف» فحسبما عاشت هذه السيدة المغرمة بحب الهها كذلك ماتت· وكما ان الحب الالهي هو الذي حفظها في الحيوة فهو عينهُ الذي اماتها· لان موت هذه الام الالهية كما يقول القديسون والعلما كافةً لم يكن مسبباً من قبل مرضٍ طبيعي بل انما صدر من قبل حبها الشديد لله· وفيها بين هولا قال القديس ايدلفنسوس « ان الطوباوية مريم البتول· امَّا انهُ لم يكن لازماً ان تموت بل ان تستمر على الدوام حيةً· وامَّا انه كان يلزمها ان تموت من مجرد شدة حبها لله» ☆

☙ الجزء الثاني ☙

☆ في النوع الذي بهِ تمَّت وفاة البتول المجيدة ☆

انهُ بعد صعود مخلصنا يسوع المسيح الى السما قد بقيت والدتهُ العذرا الكلية قداستها على الارض لكي تهتم هي ايضًا في انتشار الايمان المسيحي المقدس· فمن ثمَّ تلاميذ المخلص كانوا يلتجئون اليها مراتٍ كثيرةً ومنها كانوا يرتشدون في حلِّ مشاكل ليست بقليلةٍ· كما انها كانت تشجعهم في حين هيجان الاضطهادات وتحرضهم على الغيرة والتعب من اجل مجد الله وخلاص الانفس المفتداة· فقد كانت ماكثةً على الارض بكل اختيارٍ ورضى لعلمها ان هذه كانت ارادة الله لاجل خير كنيسته المقدسة· ولكن

لم يمكنها إلا وتشعر بالم ابتعادها عن ابنها الحبيب موضوع تعزيتها القصوى الكائن في السما. لانهُ حسب قول مخلصنا نفسه «ان حيث يكون كنزكم فهناك يكون قلبكم» (لوقا ص ١٢ ع ٣٤). الانسان حيثما يعتبر كنزهُ موجودًا وسعادتهُ كائنةً فهناك تتجه عواطف حبهِ واشواق قلبهِ. فان كانت اذًا مريم لم تحب خيرًا آخر غير يسوع وهذا الموضوع الشهي كان وقتئذٍ صعد الى السما فنحو السما كانت عواطف قلبها كلها متجهة. فقد كتب عنها طاولاروس قائلاً «ان مسكن مريم كان السما عينها لانها بواسطة عواطفها نحو السما كانت تجعل على الدوام سكناها هناك. ومدرسة مريم كانت الابدية لانها دائمًا قد وجدت غير متعلقةٍ بخيرات الارض. ومعلم مريم قد كان الحق الالهي لانها قد تصرفت على الدوام حسب النور الالهي نفسه. ومرآة مريم كانت الالوهية لانها لم تكن تنظر بها الى شيء اخر إلّا الى الله لكي توافق ذاتها في كل شيء مع ارادته المقدسة. وزينة مريم كانت العبادة لانها على ممر الاوقات كانت مستعدةً لاتباع الرضوان الالهي. ومفاوضاتها كانت مع الله لان سلامها كان في اتحادها معهُ تعالى. واخيراً ان كنز قلبها لم يكن الّا الله» ثم ان هذي البتول المجيدة كانت تمضي بتواترٍ في مدة حياتها على الارض بعد صعود ابنها لزيارة اماكن بلاد فلسطين (كما هو مدون عنها من كثيرين من الكتبة الكنائسيين) حيث كان مخلصنا مارس وعظه بالانجيل. وكانت تصنع هذه الزيارة تارةً في مذود بيت لحم حيث ولدتهُ بالجسد. وتارةً في دكان التجارة في مدينة الناصرة حيث كان استمر ابنها مدة سنواتٍ وعاش فقيراً حقيراً. حيناً في بستان الجسمانية في اورشليم حيث عرق دمًا في بداية الامه. ووقتًا في دار بيلاطس حيث جُلد وكُلل بالشوك. ومراتٍ كثيرةً كانت تمضي الى جبل الجلجلة حيث مات على خشبة الصليب. واخيرًا الى القبر المقدس الذي كانت وضعت فيهِ جسدهُ بعد موته. وبهذا جميعه كانت تخفف عنها نوعاً عذاب ابتعادها عنهُ تعالى بالجسم في مدة مكثها على الارض كمنفيةٍ * الّا ان ذلك لم يكن كافيًا لان يجعل قلبها متعزيًا لانهُ لمن المستحيل ان شيئًا على الارض كان يغنيها عن اشواقها نحو السما حيث كان كنزها. ومن ثَّم كانت على الدوام تتنهد وكانها تهتف مع النبي والملك داود لكن بعواطف حبٍ اكثر التهابًا

من عواطفهِ قائلةً « مَن يعطيني جناحين كالحمامة فاطير واستريح » (مزمور ٥٤ ع ٧) اي مَن يعطيني ريش اجنحة الحمام لكي اطير نحو الهي وهناك اجد راحتي « ثم كما يشتاق الايل الى ينابيع المياه كذلك تتوق نفسي اليك يا الله » (مزمور ٤١ ع ١). اي كما ان الايل المجروح يتوق الى ينبوع الماء هكذا نفسي المجروحة بسهام حبك يا الهي تشتاق اليك وتشتهيك * فتنهدات هذه الهامة القديسة لم يكن ممكنًا لها الآ وتنفذ الى قلب ابنها والهها الذي كان يحبها حبًا هكذا عظيمًا « لان صوت اليمامة قد سُمع في ارضنا » (نشيد ص ٢ ع ١٢). ولذلك لم يشا عزَّ وجلَّ ان يؤخر زمانًا طويلاً تعزية هذه الام الالهية المحبوبة. بل قبل مرغوبها ودعاها الى ملكهِ السماوي *

فالكتبة الكنائسيون كدراتوس ونيكيفوروس وسمعان ميتفرستة اخبروا ان الرب ارسل قبل وفاة هذه السيدة بأيام قليلة رئيس الملئكة جبرائيل عينهُ الذي كان بشرها بانها هي تلك الامراة المباركة في النسا التي اختارها الاله امًا لهُ. واذ امتثل امامها قال لها « يا سيدتي وملكتي ان الله قد اقتبل مرغوباتكِ واشواقكِ. وقد ارسلني لاقول لكِ ان تتاهبي لتتركي الارض لانهُ تعالى يريد ان تكوني معهُ في السما. فهلمي اذًا لتاخذي التملك على مملكتكِ في الوقت الذي فيه انا وسائر القديسين سكان الملكوت ننتظر حضوركِ متشوقين لمشاهدتكِ » فترى ماذا صنعت هذه البتول المملوة تواضعًا عند سماعها بشارةً هكذا سعيدةً سوى ان تغوص بابلغ نوعٍ في اعماق تواضعها. وان تكرر للملاك الجواب عينهُ الذي كانت اعطتهُ اياهُ حينما بشرها قبلاً بالحبل الالهي قائلةً لهُ من جديد « ها انا آمةٌ للرب فليكن لي كقولك. على ان الرب بمجرد صلاحه وجوده قد اختارني امًا لهُ. والان يدعوني الى السما انا التي لست مستحقةً لا ذاك المقام العظيم ولا هذا الشرف الوسيم. ولكن من حيث انهُ عزَّ وجلَّ يريد ان يظهر فيَّ ونحوي سخاءهُ الغير المتناهي. فها انا آمة لهُ. فلتكن مكمّلةً بي دائمًا مفاعيل ارادة الهي وسيدي » *

فبعد ان اقتبلت البتول المجيدة هذا التنبيه قد اخبرت بهِ القديس يوحنا الانجيلي الذي يمكننا بسهولةٍ ان نتصور بعقولنا كم كان هذا مرًّا لديه

اذ انهُ كان في مدةٍ ليست بوجيزةٍ من السنين قد تمتع بصفة ابنٍ خاص لهذي الام الكلية القداسة فائزًا بمخاطباتها وبعيشتهِ معها. ثم انها قد زارت من جديدٍ الاماكن المقدسة لا سيما جبل الجلجلة حيث كان ابنها اسلم روحهُ على خشبة الصليب. وانفردت في بيتها الحقير متاهبةً للموت وفي تلك الايام كان الملئكة يترددون اليها مسلمين عليها ومعزينها بسرورٍ لا يوصف عند معرفتهم انهُ بعد قليلٍ من الزمان قد كانوا عتيدين ان يشاهدوا ملكتهم هذه مكللةً في السما * فكثيرون من الكتبة الكنائسيين (نظير القديس اندراوس الاقريطشي في خطبته على انتقالها. والقديس يوحنا الدمشقي في ميمرة على رقودها. وافتيميوس) اخبروا بان الرسل القديسين كافةً وجانباً من تلاميذ الرب باعجوبةٍ الهيةٍ قد اجتمعوا من اقطار الارض قبل انتقال هذه السيدة في اورشليم ووُجدوا داخل بيتها. وانها عند ما شاهدت اولادها هولا الاعزا مجتمعين حولها قد خاطبتهم هكذا قائلةً „ ان ابني قد تركني ههنا عندكم لاجل مساعدتكم يا اعزائي وحباً بكم. امَّا الان فالايمان المقدس قد انتشر في العالم. واثمار الزرع الالهي قد نمت متكاثرةً. ولهذا اذ راى سيدي ان اقامتي على الارض لم تعد ضروريةً فشفق عليَّ لمرارة ابتعادي عنهُ. واستجاب لكثرة عواطفي واشواقي الى الخروج من هذه الحيوة لكي امضي الى السما واتمتع بالنظر اليه. فواظبوا اذاً انتم على التعب من اجل مجده تعالى. فانا ان فارقتكم بالجسد فلا افارقكم بالروح لان حبي اياكم العظيم هو في قلبي ودائماً سيكون معي. وهوذا انا منطلقةٌ الى الفردوس السماوي لكي اصلي من اجلكم " فمَن يمكنهُ ان يصف مقدار الحزن وهطل الدموع والندب الذي حصل عند هولا الرسل القديسين وتلاميذ الرب حينما فهموا انه بعد زمنٍ وجيزٍ كان يلزمهم ان يفارقوا امهم هذه الشفوقة. فمن ثمَّ قالوا لها والدموع تجري „ فاذاً تريدين ايتها البتول ان تتركينا. فاي نعم ان هذي الارض ليست هي مكاناً لائقاً بكِ. ولا نحن مستحقون ان نتمتع برفقة والدة الاله التي هي انتِ. ولكن افتكري في انكِ انتِ امنا. وقد كنتِ لحد الان معلمتنا ومرشدتنا في حلّ المشاكل والاحاجي ومعينتنا ومشجعتنا فيها بين الاضطهادات. فكيف الان تهملينا وحدنا من دون مساعدتكِ لنا المنيعة ونحن محاطون

من اعداء اقويا وكثيرين ومحاربون من جهات مختلفة . فقد كنا قبلاً فقدنا من على الارض معلمنا وابانا يسوع الذي صعد الى السما وبقيت تعزيتنا لوحيدة قائمةً مدة هذا الزمان في شخصك يا امنا العزيزة . فكيف انت ايضاً تريدين الان ان تتركينا يتامى من دون اب ومن غير ام . فيا سيدتنا نتوسل اليك اما بان تمكثي فيما بيننا . واما بان تاخذينا معك " (هذا ما كتبه القديس يوحنا الدمشقي في ميمرة على انتقالها) . فهنا البتول المجيدة قالت لهم بعذوبة " كلاً يا اولادي الاحبا ان هذه ليست هي ارادة الله . فارتضوا اذاً بما رسمهُ عز وجل عليَّ وعليكم . لانهُ يخصكم ان تستمروا ايضاً على الارض لتجاهدوا من اجل مجد المخلص ولكي تتمّموا اكتساب تيجان نصرتكم الابدية . فانا لا افارقكم مهملةً اياكم بل انني اساعدكم واسعفكم واعينكم بافضل نوع بواسطة تضرعاتي من اجلكم لدى الله في السما . فامكثوا هادين راضين . وانا اوصيكم بالكنيسة المقدسة واستودعكم الانفس المفتداة . ولتكن لكم وصيتي هذه الاخيرة الوداعية . فاحفظوها ان كنتم تحبونني . اي اتعبوا من اجل خلاص الانفس ومن اجل مجد ابني . لاننا يوماً ما عتيدون ان نجتمع كلنا من جديد في السما . وحينئذٍ لا يعود يحدث فيما بيننا فراقٌ ما اصلاً " ✲

ثم بعد ذلك قد توسلت اليهم بان يدفنوا جسدها بعد موتها . وهكذا باركتهم ورسمت على القديس يوحنا الانجيلي كما يورد القديس يوحنا الدمشقي ان يعطي بعد موتها ثوبيها اللذين كانت تلبسهما الى ابنتين بتولتين كانتا خدمتاها مدةً من الزمان . (كما هو مدوَّن من المؤرخ نيكيفوروس وغيره) وبعد هذا الخطاب قد اتكأت بكل احتشام على سريرها الحقير منتظرةً باشواق حضور الموت ومعًا ملاقاة ختنها الالهي العتيد بعد هنيَّةٍ ان ياتي لياخذها صحبته الى الملك الطوباوي * وهوذا انها قد امتلأت باطناً تعزيةً فائقة الوصف وعواطف غير مالوفة من الفرح والتهلل . وحينئذٍ اذ رآها الرسل ناهزت مفارقتهم جثوا جميعاً على الارض حول فراشها نادبين فقدها ساكبين الدموع . ومنهم مَن كان يقبّل قدميها الطاهرتين . ومنهم من كان يلتمس بركتها الخصوصية . ومنهم من كان يتوسل اليها في امر احتياجه معذَّبين كلهم بسهام الحزن الذي اصمى افئدتهم لفراقهم هذه الام الالهية

من دون امل ان يشاهدوها فيها بعد على الارض مدة حياتهم. واما هي فكانت ممتلئةً اشفاقاً عليهم. معزيةً اياهم بعذوبة الفاظها موعدةً بمساعدتهم مباركةً هذا ومشجعةً ذاك. وموصيةً الاخرين. ومحرضةً الجميع على الاجتهاد في اكتساب الانفس الى الايمان * واخيرًا استدعت القديس بطرس لكونه هامة الرسل وراس الكنيسة ونائب ابنها على الارض. واوصته بنوعٍ خاص في انتشار الايمان موعدةً اياه بحمايتها الخصوصية في السما. وكذلك خاطبت القديس يوحنا الانجيلي الذي باشد مرارةٍ من الجميع كان مجروحًا على فقدها. متذكرةً هذه السيدة مقدار الحب الذي بهِ خدمها هذا التلميذ الحبيب في كل السنين التي عاشت بها على الارض بعد موت ابنها. قائلةً لهُ بمحبةٍ والديةٍ « انني اشكرك يا يوحنا خاصتي على كل ما صنعتهُ معي. فكن مطمئنًّا يا ابني باني لا افارقك فانا ماضية لان اصلّي من اجلك. فامكث بسلامٍ هادئًا في هذه الحيوة الى حينما يشاهد بعضنا بعضًا ثانيةً في السما حيث انتظرك. فلا يبرح من فكرك ان تستغيث بي في جميع احتياجاتك. وانا اعينك ولا انساك اصلاً يا ولدي الحبيب الذي الان انا اباركك. فعش بسلامٍ وها انا استودعك الله » *

قالت هذا وقد كان اقترب مجيء الدقيقة التي بها اوشكت ان تفارق الحيوة الزمنية. لان الحب الالهي بواسطة اشعة حرارتهِ المغبوطة قد لاشي على نوع ما القوى الحيوانية من هذه الام المثلثة القداسة ونظير العنقآ السماوية كانت تُفنَى بنار المحبة. وقد اقبلت طغمات الملئكة من السما الى ذلك المسكن السعيد كانهم صفوف عساكر مستعدين لمرافقة ملكتهم بالانتصار * امّا هي فكانت تعزيتها تزداد عذوبةً عند مشاهدتها اياهم محيطين بها. ولكن لم تكن تعزيةً كاملةً. اذ انها لم تكن تشاهد بعدُ ابنها فيما بينهم. ولذلك كانت تقول نحوهم كلمات النشيد « يا بنات اورشليم استحلفكنَّ اذا وجدتنَّ حبيبي فاخبرنهُ باني من المحبة ضعيفة » (ص ٥ ع ٨) فانتم يا ملئكة السما القديسين سكان اورشليم العليآء انّما تاتون اليَّ اجواقًا اجواقًا لكي تعزوني. وحقاً انكم بحضوركم تجلبون لي المسرة والابتهاج. ولذلك اشكر معروفكم. ولكن جمهوركم لا يجلب لي ابتهاجًا كاملاً وتعزيةً تامة لاني لا اشاهد ابني الذي هو تعزيتي الوحيدة. فارجعوا الى السما ان كنتم تحبونني

وقولوا لحبيبي انني من شدة المحبة ضعيفة وصرت عادمة القوة . فاذاً قولوا له ان ياتي سريعاً لاني هوذا اموت من شدة اشواقي اليه *

غير ان رب المجد في هذا الغضون قد جاء لياخذ والدته المباركة الى ملكوته الطوباوي * فقد أُوحي الى القديسة اليصابات الراهبة ان يسوع المسيح قد ظهر لامه الكلية القداسة قبل انتقالها حاملاً بيده الصليب المقدس لكي يوضح المجد الخصوصي الذي قد ناله بواسطة سرّ الفداء . اذ انهُ بموته قد اكتسب تلك الخليقة العظيمة التي كان يلزمها ان تكرمه في الدهور الابدية اكثر اكراماً من الملئكة كافةً والبشر اجمعين * ثم ان القديس يوحنا الدمشقي يورد ان مخلصنا نفسهُ قد ناول القربان الاقدس لوالدته زوادةً اخيرةً قائلاً لها بعواطف الحب « خذي يا امي فكلي من يدي جسدي هذا الذي انت اعطيتنيه » وان مريم البتول عندما اقتبلت هذه المرّة الاخيرة جسد المسيح ابنها بعواطف حب شديد قالت لهُ عند نفسها الاخير « يا ابني في يديك انا استودع روحي واسلّم بيدك هذه النفس التي خلقتها بجودك العميم منذ الدقيقة الاولى من حياتها غنيةً بنعم هكذا سامية . بل باختصاص فريد في الغاية قد سبقت وحفظتها من دنس الخطية الاصلية . واستودعك جسدي الذي انت تنازلت الى ان تتانس منهُ اخذاً لحماً ودماً . ثم اني اوصيك ايضاً في اولادي هولا (مشيرةً الى الرسل والتلاميذ الذين كانوا حاضرين عندها) . ولانهم الان مملوون من الحزن لسبب انفصالي عنهم فانت عزهم لانك تحبهم اكثر مما انا احبهم فباركهم واعطهم عونك ليصنعوا العظائم من اجل مجدك » *

فاذاً عند ما اشرفت نفس الطوباوية مريم البتول على الانفصال من جسدها قد سُمع في المسكن الذي كانت قائمة فيه اصوات الات الطرب الفائقة الوصف كما يقول القديس إيرونيموس * ثم حسبما أُوحي للقديسة بريجيتا قد اشرقت في البيت انوارٌ سماويةٌ عظيمةٌ * فالرسل عند ما سمعوا تلك النغمات وشاهدوا الانوار الفائقة الوصف قد عرفوا انها دنت دقيقة انفصال نفس سيدتنا المجيدة من جسدها . ومن ثمَّ ضاعفوا تضرعاتهم بسكب الدموع . ورفعوا جميعاً ايديهم واصواتهم قائلين « يا امنا المنطلقة الى السما تاركةً ايانا على الارض باركينا البركة الاخيرة ولا تنسينا نحن المساكين » واماً

هي فجالت بنظرها كأنها تودعهم وقالت لهم « اني استودعكم الله واباركم فلا ترتابوا لاني لا انساكم ابداً » وحينئذٍ ادركها الموت ليس بوشاح الحداد والحزن كما يدرك البشر بل بحلّة البهاء والفرح * غير انهُ ما عسانا ان نقول موتاً واي موتٍ. بل انما قد جاء اليها الحب الالهي وهو لا سواه قطع خيط حياتها الزمنية * فهي المنارة التي قبل ان تنطفيء قد ابرقت بلمع ضيائها الاخير برقاً عظيماً ثم انطفأت. وهي الفرفور الجميل التي اذ دعاها ابنها اليهِ قد دنت من مصباح نوره واحترقت بلهيب حبهِ الغير المتناهي. وفيما بين عواطف تنهداتها قد انفصلت عن الجسد نفسها المغبوطة وانحلّت تلك الحمامة الكلية النقاوة من رباطات الجسم. وطارت الى الاخدار السماوية. حيث ملكت وتملك سلطانةً على جميع المخلوقات الى ابد الابدين *

فهوذا مريم البتول هي في السماوات العليآء تنظر الينا نحن اولادها القاطنين في وادي البكا مشفقةً علينا وموعدةً ايانا بالمعونات ان كنا نريد ذلك. فلنتوسل اليها دائماً بان تستمد لنا باستحقاقات موتها السعيد ميتةً صالحةً وان تنال لنا منهُ تعالى ان كان ذلك يسرهُ ان يكون موتنا في يوم سبت اليوم المكرس لعبادتها. او في يومٍ من الايام التسعة المتقدمة على اعيادها السنوية. او في احد الثمانية ايام التابعة لها كما استمدت هي هذه النعمة لكثيرين من المتعبدين لها لا سيما للقديس اسطانسلاوس كُستكا من الرهبنة اليسوعية الذي نالت لهُ ان يموت يوم عيد انتقالها. كما هو مُدوَّن من الاب بارتولي في سيرة القديس المذكور *

* نموذج *

ان القديس اسطانسلاوس المار ذكرهُ الذي كان بجملتهِ ملتهباً بنار الحب نحو والدة الاله وهو في عنفوان صبوته في اليوم الاول من شهر اب قد استمع عظةً من الاب بطرس كانيسيوس فيها قد اعطى الواعظ لجمهور المبتدئين في رهبنتهِ اليسوعية الكائنين في رومية هذه المشورة العظيمة بايراداتٍ خشوعية جداً. وهي ان كل واحدٍ يلزمه ان يعتبر ذلك اليوم الموجود فيه كاليوم الاخير من حياتهِ الذي في نهايته يلتزم بان يحضر امام عرش الديان العادل * فبعد

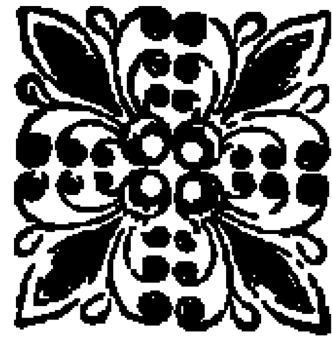
انتهاء العظة المذكورة قال القديس اسطانسلاوس الى رفقائه „ ان هذه المشورة المقدمة من الواعظ كانت بالنظر اليَّ خاصةً كانها صوتٌ الهي متجهٌ نحوي لانه يلزمني ان اموت في هذا الشهر عينه " وانما قال هذا امَّا لان الله كان اوحى اليه بواسطةٍ اكيدةٍ ارادته القدوسة. وامَّا لانه قد شعر بالهامٍ باطنٍ انذره بحركةٍ غير اعتيادية بما كان عتيداً ان يحدث له * ثم بعد هذا باربعة ايامٍ اذ كان ذاهباً الشاب الطوباوي المذكور صحبة الاب عمانوئيل سا لزيارة كنيسة القديسة مريم الكبرى وجرى الخطاب بينهما عن قرب الايام الاحتفالية المختصة بعيد انتقال سيدتنا والدة الاله. قال له هذا الشاب البار „ اني اظن ايها الاب انَّ في يوم عيد انتقال هذه الام الالهية الى السما قد ظهر في الفردوس سماءٌ جديدة اذ تلألأ مجد مريم والدة الاله مكللةً سلطانة السماوات جالسة بالقرب من الرب فوق طغمات الملئكة كلها. وان كان كل سنةٍ في اليوم المذكور يتجدد حقاً في السما احتفال هذا العيد كما اني اظن بلا ريب بل بتاكيد. فانا ارجو ان اشاهد هناك العيد الاول الاتي" ثم من حيث انهُ (بموجب العادة السالكة في الرهبنة اليسوعية) قد خص الطوباوي اسطانسلاوس بالقرعة القديس لورنسيوس الشهيد محامياً لهُ في شهر اب المرقوم حرر هذا الشاب البار (كما هو امر شائع) رسالةً لامه العذرا الكلية القداسة بها كان يتوسل اليها بان تستمد له هذه النعمة. وهي ان يوجد هو في السما في عيدها الاحتفالي المقبل. وهكذا في عيد الشهيد المجيد لورنسيوس قد تناول القربان الاقدس وتضرع بحرارةٍ لهذا القديس في ان يقدم رسالته المنوه عنها لدى والدة الاله ويتوسط بشفاعتهِ امامها من اجله في ان تتنازل هذه الام الالهية لاجابة مسالتهِ * فهوذا في عشية ذلك اليوم عينه قد شعر هذا الشاب البار بالحمّى في جسمه. ومع ان الحمّى كانت خفيفةً جداً فهو ايقن ان النعمة التي التمسها في شان ذهابه الى العيد الابدي قد استجيبت. لانهُ حينما صعد على سريره قال بفرحٍ قلبيٍّ مبتسماً بعذوبةٍ „ اني من على فراشي هذا لن اقوم بعدُ " واضاف الى ذلك قوله للاب كلاوديوس اكوافيفا „ انني اظن بالصواب يا ابني ان القديس لورنسيوس قد نال لي من والدة الاله النعمة التي التمستها بان اوجد في السما يوم عيد انتقالها المقدس " غير انهُ لم يكن

احدٌ من جميع الذين سمعوا كلماته السابق ايرادها يعتبرها كشيءٍ حقيقي *
فلما بلغ يوم بارمون العيد اي الرابع عشر من آب ولم تزل الحمّى خفيفة قال القديس لاحد الاخوة انهُ في الليلة المقبلة سيموت. امّا ذاك فاجابهُ قائلاً „ مهلاً يا اخي انها لعجيبة عظيمة هي انك تموت من قبل مرضٍ هكذا خفيفٍ ولا تُشفَى منهُ " ولكن عند ما مال نصف النهار قد استحوذ بغتةً على القديس عارض مرض قتّال وابتدأ يعرق عرقاً بارداً وفقد قواه بالكلية. فرئيس الدير قد اسرع اليه وشاهدهُ في تلك الحال. امّا البار فتوسل الى الرئيس ان يسمح للحاضرين بان ينزلوهُ من على فراشه ويمدوهُ فوق الحضيض ليموت على الارض كاحد التائبين. الامر الذي قد سمح بهِ الرئيس اجابةً لتوسله. فوضعوهُ فوق وسادةٍ على الارض وهناك اعترف ثم تناول القربان الاقدس زوادةً اخيرةً بكل احترامٍ وخشوعٍ. وكان جميع الحاضرين يذرفون الدموع السخينة لانهم عاينوهُ كيف انهُ عند الدخول الى قلايته بالسر المسجود لهُ قد استحال وجههُ كالى وجه ملاكٍ متلألأ بالبهجة السماوية وكانَّهُ قد التهب بكليتهِ باشعة نار الحب الالهي كاحد السيرافيم. ثم اخذ سر المسحة الاخيرة ايضاً. ولم يكن يصنع شيئًا اخر سوى انهُ تارةً كان يرفع عينيه الى السما وتارةً كان يحدق نظره في ايقونة والدة الاله التي كانت بيده ويقبّلها بعواطف الحب ويضمها الى صدره. ومن حيث انهُ كان ماسكاً بيده مسبحة الوردية ملفوفةً على اصابعه قال لهُ احد الابا الحاضرين „ ماذا تفيدك يا اسطانسلاوس هذه المسبحة الملتفة على يدك اذا كنت الان لا تقدر ان تصلي بها " فاجابهُ القديس „ انها تفيدني تعزيةً من حيث انها شيءٌ مختصٌ بامي " فاردف اليه كلامه ذاك الاب بقوله „ ترى كم تكون تعزيتك اعظم من ذلك عند مشاهدتك بعد هنيّة هذه الام الالهية في السما وعند تقبيلك يديها " فحينئذٍ القديس ازداد اتقاداً بنيران الحب ورفع يديه نحو السما مشيراً الى عظم اشواقهِ نحو تلك الدقيقة السعيدة. ثم بعد هذا ببرهةٍ قد ظهرت لهُ الطوباوية مريم البتول كما اعلن ذلك هو نفسه للحاضرين عندهُ تلك الليلة. وهكذا عند الصباح نهار عيد انتقال السيدة قد اسلم نفسهُ السعيدة بهيئة جميلةٍ خشوعيةٍ وعيناه ناظرتان الى السما من دون ان يصنع ادنى

حركةٍ حتى ان الحاضرين لم يكونوا يظنوهُ مائتاً الى انهم اختبروا الامر بوضعهم ازآءه ايقونة والدة الاله. ولمّا لم يعد يقبّلها كالسابق فعرفوا انهُ قد مات منتقلاً الى السما ليقبّل قدمي ملكته المحبوبة منهُ بهذا المقدار ✿

✿ صلوة ✿

يا سيدتنا وامنا الكلية الحلاوة. انتِ قد تركتِ الارض وبلغتِ الى ملكك السماوي حيث تجلسين سلطانةً فوق طغمات الملئكة باسرهم. كما ترتل نحوكِ الكنيسة هاتفةً „لقد ارتفعتِ فوق الطغمات الملئكية في الملك السماوي" فنحن نعلم اننا لسنا اهلاً لان نراكِ معنا نحن الخطاة في وادي الظلمة هذه. ولكننا نعرف ايضاً انكِ وفيما انت حاصلة على هذا المجد والجلالة والعظمة ما نسيتنا نحن الاشقيا البائسين. وان سمو ارتفاعكِ لم ينقص فيكِ الرافة نحونا نحن اولاد آدم الاذلآء. بل قد ضاعف فيكِ الاشفاق والحنو علينا. فانعطفي اذاً يا سيدتنا من علو عرشكِ العظيم بنظركِ الرحيم نحونا. وترأفي علينا وتذكري انكِ حين انتقالكِ من على الارض الى السما قد وعدتنا انكِ لا تنسينا. فلاحظينا اذاً وعيننا. وتاملي في كم من الاخطار والتجارب نحن محاطون على الدوام وسنكون هكذا طالما لا تدنو منا دقيقة رحيلنا من هذه الحيوة. فاستمدي لنا باستحقاقات ميتتكِ المغبوطة نعمة الثبات في الصلح مع الله دائماً ليمكننا بذلك ان نخرج اخيراً من الدنيا ونحن في حال نعمته تعالى. وهكذا نحن ايضاً نبلغ يوماً ما الى ان نقبل في السما قدميكِ المقدستين متحدين مع اولئك الارواح الطوباويين لنسبحكِ ونرتل مدائحكِ حسبما تستحقين الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين ✿



الفصل الثاني

* في عيد انتقال سيدتنا والدة الاله وفيه يُبرهَن * * كم كان مجيدًا هذا الانتقال. وكم وُجد * * عظيمًا العرش السماوي الذي هي * * ارتقت اليه *

* وفيه جزءان *

الجزء الاول

* في كم كان مجيداً الانتصار الذي به انتقلت البتول *
* الكلية القداسة من على الارض الى السما *

انهُ لقد كان من الصواب ان الكنيسة المقدسة في هذا اليوم المختص بتذكار انتقال العذرا المجيدة تدعونا الى الندب والبكا احرى ممَّا تستدعينا الى الفرح والتهلل. لان امنا هذي العزيزة قد تركتنا على الارض عادمين مشاهدتها وفاقدين حضورها بالجسد فيما بيننا لاسعافنا ومعونتنا. كما يقول القديس برنردوس „ انهُ يلزمنا ان نبكي احرى من ان نبتهج لفقدنا مشاهدتها " إلَّا ان الكنيسة بالحقيقة تطلب منا في هذا اليوم ان نسرّ فرحين بقولها نحونا „ فلنتهلل كلنا بالرب الهنا باحتفالنا هذا العيد اكراماً للطوباوية مريم البتول " وهذا بكل صواب. لاننا ان كنا نحب امنا هذه فيلزمنا ان نفرح معها لاجل المجد الذي حصلت هي عليه اكثر من حصولنا على التعزية الذاتية. على انهُ اي ابنٍ لا يتهلل مسرورًا عند ما يعلم ان والدته تفارقهُ لتمضي فتاخذ الولاية على مملكةٍ ما وان كان يلزمهُ ان يتكبد مرارة انفصالها عنه. فمريم البتول في هذا اليوم تنطلق لتاخذ التملك. وتتوّج سلطانةً على السماوات. فهل يمكننا إلَّا نفرح مبتهجين ونعيد مسرورين

ان كنا حقاً نحبها. فلنتهلل اذاً كلنا بالرب. ولكي نتعزى بافضل نوعٍ لاجل المجد الذي هي حصلت عليه فلنتامل في هذا الجزء كم كان مجيداً انتصار انتقالها الى السما تاركين للجزء الاخر التامل في عظمة العرش الذي جلست هي عليه في السما ☆

ان الطغمات الملئكية بعد ان شاهدوا ان مخلصنا قد اكمل عمل الفدا وخلص الجنس البشري بموته كانوا يتشوقون لان يفوزوا بمشاهدة ناسوته المتحد مع لاهوته في السماوات. ومن ثمَّ كانوا يهتفون نحوه بالكلمات الداودية „ قم يارب الى راحتك انت وتابوت تدسك " (مزمور ١٣١ ع ٨) اي انك انت يارب اذ افتديت البشر فقم وهلمَّ الى ملكوتك معنا واصحب معك التابوت الحي المختص بتقديسك اي والدتك التابوت المختار منك الذي انت قدسته بسكناك فيه. فهكذا القديس برنرديوس يصور الملئكة مخاطبين الله بقولهم نحوه „ فلتصعد امك ايضاً الى السما مريم الكلية القداسة التي انت قدستها حين حبلها بك " فاراد الرب اخيراً ان يسرّ سكان السما هولاء ويتمم مرغوبات اشواقهم باستدعائه امهُ الدائمة بتوليتها الى السما. ولكن ان كان هو عزَّ وجلَّ قد شاء ان يحتفَل بادخال تابوت العهد الى مدينة داود احتفالاتٍ عظيمةً كما هو مكتوبٌ في الاصحاح السادس من سفر الملوك الثاني „ ان داود وجميع بني اسرائيل كانوا يُصعدون تابوت عهد الرب بالتهليل وبصوت البوق " فقد رسم تعالى بان يُحتفَل باعظم من ذلك صعود تابوته الحي اي والدته المجيدة الى السما * فالنبي ايليا قد أُصعد الى السماوات بواسطة مركبةٍ ناريةٍ التي (حسبما يبرهن المفسرون) لم تكن شيئاً اخر سوى جوقٍ من الملئكة قد رفعوهُ عن الارض مختطفين اياه الى العلو „ ولكن لاجل رفعكِ انتِ من على الارض الى السما (يقول نحو هذه السيدة الانبا روبرتوس) لم يكن كافياً جوقٌ من الملئكة بل ان ملك الملئكة نفسهُ قد جاء اليكِ ليرفعكِ الى السما مرافقاً من اهل بلاطه السماوي باسرهم " ☆

والقديس برنرديوس السياني هو نفسهُ يرتئي ذلك بقوله „ ان يسوع المسيح لكي يكرم انتصار مريم والدته فهو تعالى عينهُ جاء من السما الى ملاقاتها واخذها صحبته الى الاخدار الملكوتية " ولهذا يقول القديس انسلموس

„ ان المخلص قد اراد ان يصعد هو اولاً الى السما قبل ان ترتقي اليها امهُ ليس فقط لكي يهيىء هناك عرشًا لائقاً بهذه الملكة. بل ايضاً حتى يصير دخولها فيها بعد الى السما ذا مجدٍ اعظم بحضورهِ الى ملاقاتها هو عينهُ وبرفقته الارواح الطوباويون اجمعون „ ومن ثمَّ القديس بطرس دميانوس اذ كان يتامل في عظمة انتقال هذه الام الالهية الى الفردوس السماوي قد قال „ اننا نلاحظ ان صعود مريم العذرا الى السما هو ذو مجدٍ اعظم من صعود يسوع المسيح لاجل هذا السبب. وهو لانهُ في صعود مخلصنا قد جاءت الملئكة فقط لملاقاته ولمرافقته. واما الطوباوية والدة الاله فقد ارتفعت الى السما بمجدٍ هكذا سامٍ حيث ان الله المجد نفسهُ قد استقبلها ورافقها هو والملئكة كافةً والقديسون اجمعون باحتفالٍ الهي„ ولهذا الانبا غواريكوس يصور الكلمة الازلي متكلماً هكذا „ انني قد نزلت من السما الى الارض لكي اصنع ما بهِ مجد ابي الازلي. ولكن بعد ذلك لكي اكرم امي مريم وامجدها قد انحدرت مرةً ثانيةً من السما. حتى يمكنني هكذا ان استقبلها بذاتي وارافقها بحضوري الشخصي الى الفردوس في السماوات „ ☆

فلنمضِ اذاً متاملين بعقولنا كيف جاء المخلص لملاقاة والدته وحالا راها قال نحوها „ انهضي يا قرينتي وتعالي يا جميلتي وهلمي يا حمامتي. فها الشتا قد عبر والمطر ذهب وصار الى ذاته „ (نشيد ص ٢ ع ١٠) فقومي يا امي يا عزيزتي يا جميلتي الحمامة النقية. اتركي وادي الدموع هذا الذي هو الارض حيث تكبدتِ اتعابًا واحزانًا عظيمةً من اجلي وحباً بي „ يا عروستي تعالي من لبنان هلمي من لبنان تجيئين فتتكللين „ (نشيد ص ٤ ع ٨). فهلمي بنفسكِ وجسدكِ معًا لتتمتعي بمكافأة حياتكِ المقدسة. ومن حيث انكِ قد تالمتِ كثيرًا على الارض فانا قد اعددت لكِ مجدًا اعظم من ذلك بما لا يحد في السما. فتعالي لتجلسي على العرش بالقرب مني. هلمي لتاخذي الاكليل الذي اتوجكِ بهِ سلطانةً على العالمين „ ☆

فهوذا مريم الكلي قدسها تترك الارض مفارقةً اياها. ولكنها عند تذكرها مقدار النعم التي حازتها من الرب على هذه الارض فتنظر اليها بعلامات الحب والاشفاق والرحمة تاركةً فيها جميع اولادها المساكين فيما بين الاحزان والشدائد والاخطار. وهوذا يسوع ابنها قد اخذ بيدها وقد ارتفعت هذه

الام الطوباوية فوق السحاب وقد تعالت مرتفعة فوق الكواكب والنجوم وها قد بلغت ابواب الفردوس * فمن عادة الملوك انهم حينما ينطلقون ليستولوا على الملك لا يدخلون المدينة من بابها. بل اما انهم يأمرون بهدم ابوابها واماً انهم يجتازون اليها من فوق الابواب. ومن ثمّ كما ان الملئكة حينما دخل يسوع المسيح الى السما هتفوا قائلين * ارفعوا ايها الروسا ابوابكم وارتفعي ايتها الابواب الدهرية. ليدخل ملك المجد" (مزمور ٢٣ ع ٩) فهكذا عندما بلغت مريم البتول الفردوس لتصير سلطانةً على السماوات والارض هتفوا الملئكة المرافقون اياها نحو الملئكة الاخرين * ارفعوا ايها الروسا ابوابكم وارتفعي ايتها الابواب الدهرية لتدخل ملكة المجد" ✩

فهوذا مريم المجيدة قد دخلت الوطن الطوباوي. ولكن اذ شاهدتها الطغمات الملئكية المنتظرتها هناك هكذا متصفةً بالجمال والمجد سالوا الملئكة الاخرين القادمين صحبتها. (كما يتامل المعلم اوريجانوس) قائلين * مَن هذي الصاعدة من البرية مدللةً مستندةً على حبيبها" (نشيد ص ٨ ع ٥). فمن هي هذه الخليقة الفائقة البها والكمال المقبلة من قفر الارض المكان الملو من الاشواك والقطرب وهي طاهرة وغنية بالفضائل مستندة على سيدها العزيز وحبيبها الوحيد الذي قد تنازل هو عينهُ لان يستقبلها ويرافقها بشرفٍ واكرام هذا حدهما * فاجابهم هولا الارواح الطوباويون المحيطون بها بقولهم * اتسالون من هذي والحال انها هي ام ملكنا وهي سلطانتنا المباركة في النسا المتلئة نعمةً. قديسة القديسين حبيبة الله البرية من العيب والدنس. الحمامة الفائقة جمالاً على المخلوقات كلها" فمن ثمّ جميع الارواح السماويين معاً طفقوا يسبحونها ويباركونها ويمدحونها بافضل ممّا مدح العبرانيون يهوديت الجليلة بقولهم * انتِ هي شرف اورشليم وعزّ اسرائيل وفخر شعبنا" (يهوديت ص ١٥ ع ١٠) فانتِ هي اذاً يا ملكتنا وسيدتنا مجد الفردوس وبهجة وطننا. انتِ هي شرفنا جميعًا. فسعيدٌ هو قدومكِ الينا ولتكوني مباركةً سرمداً. فها هو ملككِ الذي تملكين فيه. وها نحن باجمعنا عبيد لكِ وخاضعون لسلطانكِ ومستعدون لطاعة اوامركِ" ✩

ثم بعد ذلك اقبل نحو هذه الملكة السماوية القديسون اجمعون الموجودون هناك يومئذٍ يسلمون عليها كسلطانتهم وكذلك القديسات البتولات كافةً

تقدمن اليها „ واذ ابصرتها الفتيات فهنأنها" (نشيد ص ٦ ع ٨) قائلات لها „ اننا نحن ايضاً يا سيدتنا ملكات هذه الملكة واما انتِ فملكتنا بأجمعنا لانك انتِ كنتِ الاولى التي اعطيتنا النموذج العظيم في ان نكرس بتوليتنا لله. الامر الذي من اجله نحن نشكرك ونباركك" وبعد هذا جاء المعترفون والابرار ليحيّوها بالسلام كمعلمتهم لانهم منها اتخذوا امثال الكمال ونموذجات الفضائل الجميلة بسيرة حياتها المملوة قداسةً * وهكذا اقبل مصاف الشهدا ليسلموا عليها كملكتهم لانها بثباتها العظيم على احتمال الام ابنها الالهي قد علمتهم الشجاعة. وبصلواتها واستحقاقاتها قد استمدت لهم نعمة الاستشهاد من اجل الايمان * وقد جاء ايضاً القديس يعقوب الكبير الذي هو وحده من مصاف الاثني عشر رسولاً كان حينئذٍ في السما وقدم لها الشكر نيابةً عن باقي اخوته الرسل على ما ساعدتهم به وشجعتهم عليه وارشدتهم اليه طالما كانت معهم على الارض * ثم تقدم اليها الانبيا القديسون قائلين لها „ ايتها السيدة العظيمة انتِ هي موضوع نبواتنا التي سبقنا واخبرنا بها عن اتيان المسيح منكِ" ثم تقدم اليها روسا الابا قائلين لها „ انتِ اذاً كنتِ رجانا الذي منذ ازمنةٍ هكذا مستطيلةٍ ننتظرهُ واشواقنا كانت متقدةً نحوكِ" الاَّ انهُ فيما بين هولا قد دنا منها بشوق عظيم ابونا ادم مع امنا حوا قائلين لها „ نعماً يا ابنتنا العزيزة فانتِ قد اصلحتِ الضرر الذي نحن سببناه للجنس البشري. واستمديتِ للعالم تلك البركة التي نحن فقدناها بمعصيتنا وقد خلصنا نحن بواسطتكِ فلتكوني دائماً مباركةً" *

وهكذا جاء القديس سمعان الشيخ ليقبّل تدميها مذكراً اياها بذلك اليوم الذي فيه اقتبل في هيكل الرب من يديها الطفل يسوع * واقبل القديس زخريا مع القديسة اليصابات وكررا لها جديداً تقدمة الشكر على تلك الزيارة التي كانت صنعتها لهما في بيتهما باتضاعٍ وحبٍ ساميين وعلى ما نالاهُ من النعم العظيمة بتلك الزيارة المقدسة * وبابلغ من ذلك تقدم يشكرها القديس يوحنا المعمدان على كونه تقدس في احشا امه بمجرد صوت سلامها * ولكن من يمكنهُ ان يصف مقدار فرح القديس يواكيم والقديسة حنة والديها عند ما اقبلا نحوها يباركانها بذاك الحب والانعطاف الوالدي

قائلين « يا لسعادتنا ويا لشرف حظنا يا ابنتنا الحبيبة على الغبطة التي فزنا بها بان نحصل على ابنةٍ هذه صفتها. فانتِ الان سيدتنا وملكتنا لانكِ ام الهنا. فهكذا نعتبركِ وكذلك نسجد لكِ » غير ان الحب والانعطاف والتهلل والمسرّة التي بها جاء اليها القديس يوسف خطيبها مَن يستطيع ان يصفها عند مشاهدته عروسته هذه المجيدة قد بلغت الفردوس بتلك العظمة والجلال سلطانةً على العالمين. وباية كلماتٍ خشوعيةٍ كان يقول لها « يا خطيبتي وسيدتي باي نوعٍ يمكنني ان اشكر الهي واسبحه وامدحه على ما انعم بهِ عليَّ من نعمة هذا سمو مقدارها بان اكون خطيباً لكِ انتِ التي هي والدتهُ الحقيقية. فبواسطتكِ انا استحقيت ان اخدم يسوع كلمة الله على الارض في زمن طفوليته وحداثته. وان احملهُ مراتٍ كثيرةً على ذراعيَّ. وان انال منهُ نعماً خصوصيةً عظيمة. فلتكن مباركةً تلك الاوقات التي انا اصرفتها في حياتي خادماً لهُ تعالى ولكِ انتِ ايتها العروسة السامية في القداسة. فها هوذا يسوع حبيبنا. لنفرح لانه ليس هو الان متكئاً في مذود البهائم كما شاهدناه في بيت لحم حين ميلاده منكِ. وليس هو فقيراً ومحتقراً الان كما عاش معنا ضمن الدكان في الناصرة. ولا معلقاً على الصليب حسبما مات موت العار على الجلجلة في اورشليم من اجل خلاص البشر. بل هو جالسٌ من عن يمين الله الاب ملكاً على السماوات والارض. وها نحن يا سيدتي وملكتي مستمران معهُ من دون خطر ان نفترق منهُ بعدُ نقبّل قدميه ونسبحهُ ونباركهُ الى ابد الابدين » ✿

ثم انهُ جاءت الملائكة كافةً ليسلموا على سلطانتهم. وهي شكرتهم على مساعدتهم اياها لمَّا كانت على الارض. وبنوعٍ خاص شكرت زعيمهم القديس جبرائيل على البشارة التي كان اتاها بها بسر الحبل الالهي. البشارة التي جلبت لها السعادات كلها بصيرورتها والدةً لله. إلاَّ ان البتول المجيدة المتواضعة قد جثت ساجدةً للعزة الالهية. غائصةً في عمق اتضاعها وفي معرفة ذاتها انها كالعدم. وقدمت لهُ عزَّ وجلَّ الشكر الواجب على جميع النعم السامية التي افاضها عليها لا سيما على انتخابه اياها اماً للكلمة الازلي. وذلك بمجرد صلاحه ورافته * ثم من يمكنه ان يدرك باية عواطف حبٍ الهي قد بارك الثالوث الاقدس هذه الخليقة المحبوبة منهُ تعالى حبًا لا حدَّ لهُ.

وباية كرامةٍ اقتبل الاب الازلي ابنتهُ هذه العزيزة والابن الالهي امهُ هذه الجليلة والروح القدس عروستهُ هذه الفائقة البهاء والنقاوة. وهكذا قد توّجها الاب مفوضاً لها القدرة. والابن واهباً اياها الحكمة. والروح القدس مفيضاً عليها الحب. ومن ثمَّ الثلثة الاقانيم الالهية اقاموا لها عرشاً عن يمين ابنها يسوع وكللوها سلطانةً مطلقةً على السماوات والارض. وامروا الملئكة والمخلوقات كلها بان يعرفوها سلطانتهم الحقيقية. وتحت هذه الصفة يخدموها ويطيعوها ✿

❀ الجزء الثاني ❀

✿ في كم هي عظيمةٌ المرتبة التي ارتقت اليها هذه ✿
✿ البتول المجيدة في السما ✿

فيقول القديس برنردوس « ان كان لمن المستحيل ان قلباً بشرياً يدرك تلك الاشيا المعدة من الله في السما لاولئك الذين احبّوه على الارض كما يعلّم الرسول المتاله لبّه فمَن يمكنهُ ان يدرك اذاً عظمة المجد الذي اعده تعالى لوالدته الحقيقية التي قد احبتهُ على الارض حباً اشد جداً ممّا احبهُ البشر كلهم. بل منذ الدقيقة الاولى من حياتها قد احبتهُ اكثر ممّا احبهُ البشريون والملئكة اجمعون. فاذاً لاجل ان مريم اذ كانت على الارض قد احبت الله اشدَّ حبًا ممّا احبهُ الملئكة كافةً بالصواب ترتل الكنيسة عنها (في فرض عيدها الحاضر) « بان الله قد رفعها في السما فوق طغماتهم اجمعين » اي نعم قد رفعها تعالى فوق الملئكة « (يقول الانبا غوليلموس) بنوع انها لم تعد ترى احداً يعلوها سوى ابنها يسوع الذي هو ابن الله الوحيد » ✿

ثم ان العلّامة جرسون يقول « انهُ اذ كانت صفوف الملئكة وطغماتهم تُقسَم بوجه العموم الى ثلاث مراتب حسبما يعلّم القديس توما اللاهوتي مع القديس ديونيسيوس. فمريم قد أُقيمت برتبةٍ خصوصيةٍ في السما اشرف واعظم وامجد من الثلاث المراتب واضحت هي في الرتبة الثانية بعد الله » ويضيف الى ذلك القديس انطونينوس بقوله « ان السيدة تتميز من عبيدها بغير قياس وكذلك من دون قياس ولا تمثيل والدة الاله هي اعظم قدراً

وسموا من الملائكة كافةً „ ولكي يُفهم هذا نكتفي معرفة ما يقوله النبي والملك داود (مزمور ٤٤ ع ١٠) „ قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهبٍ موشى „ كما يفسر القديس اثناسيوس „ بان هذه الكلمات النبوية قيلت بالحصر عن جلوس مريم البتول ملكةً من عن يمين ابنها في البلاط السماوي „ ✩

اما القديس ايدلفنسوس فيقول „ ان افعال البر التي مارستها العذرا المجيدة في مدة حياتها على الارض هي من دون ريبٍ اعمالٌ تفوق استحقاقاً امام الله على استحقاقات اعمال القديسين الصالحة كافةً. فوقًا لا حدَّ لعلوه ولا قياس لادراكه. ولذلك لا يمكن وصف المكافاة والمجد الذي هي استحقته في السما ولا يستطاع ادراكه „ على انه اذ كان من المحقق كما كتب الانا المصطفى „ ان الله يجازي كل احدٍ بحسب اعماله „ (رومانيين ص ٢ ع ٦) „ فصادقٌ هو وكلي التاكيد (يقول القديس توما اللاهوتي) ان البتول الكلي قدسها التي يفوق استحقاقها على استحقاق البشر اجمعين والملائكة باسرهم قد لزم ارتفاعها فوق جميع المراتب السماوية „ وبالاجمال يضيف الى ذلك القديس برنردوس قائلاً „ فلتُعتَبر النعمة التي حصلت عليها والدة الاله على الارض بنوعٍ فريد. وبموجب قياس هذه النعمة فليُعتَبر سمو المجد والمكافاة التي هي حصلت عليها في السما „ ✩

„ فمجد مريم البتول (يقول احد العلما الاب كولمبيار) هو مجدٌ تامٌ مجدٌ كاملٌ. وهو مختلفٌ عن المجد الحاصل عليه القديسون الاخرون في الملكوت „ (فهذه الملاحظة هي حسنة) وبالحقيقة اي نعم ان كلاً من القديسين يتمتع في السما بسلامٍ تام. وبراحةٍ ونعيمٍ كامل. ولكن مع ذلك امرٌ حقيقي هو انه ليس منهم من يتمتع بذاك المجد العظيم الذي لكان يمكنه ان يفوز هو به في السعادة الابدية لو خدم الله على الارض باعظم امانةٍ واحبه اشدَّ حباً مما خدمه واحبه في مدة حياته. فمن ثمَّ وان كان الطوباويون في السما لا يشتهون ان يملكوا مجداً اعظم مما قد حصل كلٌّ منهم عليه. بل انهم جميعاً راضون بما قد فازوا به. مع ذلك يوجد الموضوع لاشتهاء شيء اعظم • ثمَّ من المحقق ايضاً ان الخطايا المفعولة على الارض من بعض هؤلاء القديسين قبل تبريرهم منها لا يمكن ان توجب عليهم عقاباً عنها

في النعيم الابدي ولا يُعاقب الزمان الضائع منهم علي الارض اي الذي لم يكتسبوا فيه استحقاقًا ما. ولكن مع هذا فامرٌ صادقٌ هو لا يستطع انكارهُ ان الخير الاوفر او اعمال البرّ المارسة على الارض من البعض منهم جيدًا تسبب لهولا فرحًا اعظم وتعزيةً اكمل مما سواها. ومثل ذلك يحدث للذين حفظوا برّ المعمودية غير مدنس ولم يضيعوا من الزمن شيئًا بدون اعمالٍ ذات استحقاق. امَّا مريم البتول فلا ترغب ولا يمكنها ان تشتهي نوال شيءٍ اعظم ممّا نالته اذ ان الظروف المشار اليها لم تلتحق بها اصلاً. على ان القديس اوغسطينوس يقول „ ترى مَن من القديسين الكائنين في السما اذا سُئل ان كان هو صنع خطيةً ما على الارض فيقدر ان يجيب لا. ما عدا مريم البتول فقط التي هي وحدها تستطيع ان تجيب كلاَّ" لانهُ كما حدد المجمع المسكوني التريدنتيني المقدس (في القانون ١٣ من الجلسة ٦) „ ان مريم العذرا لم ترتكب اصلاً خطيَّةً ما على الاطلاق حتى ولا اصغر النقائص" على ان هذه السيدة المجيدة ليس فقط لم تفقد قط النعمة الالهية بل ايضًا لم تتركها بدون ثمرة ولم تمارس مطلقًا عملاً ما لم يكن ذا استحقاق. وما تكلمت قط كلمةً. وما قبلت فكرًا قط وما تنفست نفسًا اصلاً من دون ان توجه ذلك جميعهُ لمجد الله الاعظم. وبالاجمال انها لم تفتر بالكلية. ولم تبطوء هنيهةً من الزمان خلوًا من الانعطاف نحو الله والالتجا اليه. وبالتالي لم تخسر شيئًا ما من قبل الكسل والتهاون بل دائمًا سعت مع نعمة الله بكل قواها واستطاعتها. واحبتهُ عزَّ وجلَّ بكل ما امكنها ان تحبهُ. وبذلك تقدر ان تقول نحوهُ الان في السما „ يا سيدي ان كنت انا ما احببتك بمقدار ما انت تستحق. فقلما يكون احببتك بمقدار ما استطعت" ✫

ثم ان النعم الالهية قد أُعطيت للقديسين بانواعٍ مختلفة كما يقول رسول الامم القديس بولس „ ان المواهب والنعم هي ممتازة" ومن ثمَّ اذ كان كلٌّ منهم قد سعى مع النعمة التي أُعطيت لهُ فقد ظهر هو معتبرًا في فضيلةٍ ما بنوعٍ ممتاز عمَّا سواها. فمنهم مَن تلالأ في اكتساب الانفس واقتيادها الى الخلاص. ومنهم مَن اشرق في سيرة النسك وافعال الاماتات الشاقة جدًّا. ومنهم مَن امتاز في احتمال العذابات. ومنهم مَن تسامى

في رؤية الامور الالهية وفي التاملات الروحية. ولذلك تقول الكنيسة المقدسة في احتفالها عيد كلٍّ من هولا القديسين „انه لا شبيهَ لهُ" وانهُ حسب الاستحقاقات يمتاز القديسون بعضهم عن بعضٍ بالمجد في السما „لان نجماً يُفضل على نجمٍ في البهاء" (قرنثية اولى ص ١٥ ع ٤١) فالرسل ممتازون عن الشهدا. والابرار والمعترفون عن البتولات. والذين حفظوا برّ المعمودية عن الذين قد اخطاوا وصنعوا توبةً. فاما البتول مريم المثلثة القداسة من حيث انها وُجدت ممتلئةً من النعم كلها فقد ظهرت في كل الفضائل اسمى من كلٍّ من القديسين في فضيلته التي تلالاء هو بها واكمل من فضائلهم كافةً * فهي وُجدت رسولةً اعظم من الرسل * وسلطانةً للشهدا لكونها تالمت اكثر منهم جميعاً * ومقداماً وقائدةً للاباتل والعذارى * ونموذجاً وقدوةً للمتحدين بسر الزواج. ومارست في ذاتها جميع انواع الاماتات. وبالاجمال قد جمعت في قلبها الفضائل كلها باعلى درجاتها متسامية بكلٍّ منها على اسمى كمال بلغ اليه كلٌّ من القديسين. ولذلك قيل عنها „قامت الملكة من عن يمينك مشتملةً بثوبٍ مذهبٍ موشى" (مزمور ٤٤ ع ١٠) لان كل النعم وجميع الفضائل وسائر الاستحقاقات التي تزين بها الابرار والقديسون فقد وُجدت مجموعةً في شخص هذي الملكة كما يخاطبها الانبا جالنسه قائلاً „ان اختصاصات القديسين اجمعين قد اجتمعت فيك بجملتها" *

ومن ثمَّ يقول القديس باسيليوس الكبير „انهُ كما ان نور الشمس يفوق ضياءً على انوار الكواكب والنجوم كافةً فهكذا مجد هذه الام الالهية يعلو متسامياً على مجد الطوباويين كلهم" ويضيف الى ذلك القديس بطرس دميانوس بقوله „كما ان انوار القمر والكواكب والنجوم تغيب مضمحلةً كانَّ هذه الاجرام تفقد وجودها حينما تظهر الشمس مشرقةً فهكذا مجد مريم العذرا يفوق على مجد جميع الملئكة وسائر البشر حتى كانَّ هولا لا يعود لهم وجودٌ في السما" ولاجل ذلك كتب القديس برنردينوس السياني باتفاق الراي مع القديس برنردوس قائلاً „ان الطوباويين يشتركون في جزءٍ من المجد الالهي واما البتول مريم فقد استغنت بالمجد بنوعٍ خاص بهذا المقدار حتى يبان انهُ لمن المستحيل ان خليقةً ما يمكنها ان تتحد مع الله اشدَّ اتحاداً مما اتحدت معهُ تعالى هذه العذرا المجيدة" ويضاف الى

هذا ما حررهُ الطوباوي البرتوس الكبير بقوله „ ان ملكتنا السعيدة تشاهد الله وتتمتع بالتامل فيه باكثر قربٍ وبنوعٍ فائق القياس على ما يتمتع بهِ الارواح السماويون باجمعهم " بل ان القديس برنردينوس السياني يقول „ انهُ كما ان سائر الكواكب او الاجرام السماوية الاخرى تستمد الضيا من الشمس فهكذا جميع الطوباويين يكتسبون اعظم مجداً وافضل نعماً بواسطة مشاهدتهم مريم البتول في مجدها " ويقول في عظتهِ على انتقالها „ ان هذي العذرا المغبوطة حينما ارتقت الى السما قد ضاعفت نعيم سكانه اجمعين " وقد كتب القديس بطرس دميانوس „ انهُ لا يوجد عند الطوباويين في السما مجدٌ اعظم بعد الله من انهم يتمتعون بالنظر الى هذه الملكة الكلية الجمال " ويقول القديس بوناونتورا „ ان مجدنا الاعظم وتنعمنا الافضل بعد الله هو في مريم البتول " ✿

فلنفرح اذاً مبتهجين مع مريم لاجل سمو العرش وعلو المرتبة التي رفعها الله اليها في السما ولنسرّ فرحين مع ذواتنا لان امنا هذه اذ تركتنا على الارض بارتقائها الى الملكوت منفصلةً عنا بالجسد فلم تتركنا من حبها ولم تنفصل عنا بانعطافاتها نحونا. بل بالحري لكونها الان في السماوات اكثر قرباً الى الله واشدَّ اتحاداً بهِ تعالى فتعلم بافضل نوعٍ حال شقائنا ومن هناك تشفق علينا اوفر اشفاقاً وتقدر باسهل طريقة ان تسعفنا وتعيننا. ومن ثمَّ يخاطبها القديس بطرس دميانوس قائلاً „ هل انكِ ايتها العذرا المغبوطة نسيتنا نحن البائسين المضنوكين لاجل انكِ ارتفعتِ في السماوات الى مقامٍ هكذا عظيم. كلاَّ. والعياذ بالله من التفكر بذلك. لان قلباً هذه صفة رافتهِ وحنوه نظير قلبكِ لا يقدر ان لا يشفق على شقائنا والاَّ يحنو علينا " ويقول القديس بوناونتورا „ انهُ ان كان بهذا المقدار وُجدت عظيمةً رافة هذه السيدة نحونا حينما كانت عائشةً على الارض فحنوها الان هو اعظم من ذلك في السماوات حيث تملك " ✿

فلنخصّص ذواتنا اذاً لخدمة هذه الملكة ولعبادتها وتكريمها وحبها بمقدار ما يمكننا „ ليست هي نظير السلطين والملوك الاخرين (يقول ريكردوس الذي من سان لورنسوس) الذين يثقّلون على رعاياهم بالضرائب والرسوم الباهظة. بل ان ملكتنا هذي تغني عبيدها وخدامها بالنعم والاستحقاقات

والجوائز" ولنصل اليها متضرعين مع الانبا غواريكوس بقولنا لها "انكِ يا ام الرحمة انتِ سلطانة العالم جالسةً على عرش هكذا سامٍ بالقرب من الله. فاشبعي حسناً من مجد ابنكِ يسوع وارسلي الينا نحن عبيدكِ الفتات الذي يزيد عنكِ. فانتِ انما تتنعمين على مائدة الرب. ونحن المساكين نوجد تحت هذه المائدة ههنا على الارض نظير كلابٍ صغيرة حقيرة نطلب منكِ الرافة والشفقة. فارحمينا وترافي علينا يا ام الرحمة" ✿

✿ نموذج ✿

ان الاب سلوانس رتزي يخبرنا (في كتابه الثالث على عجائب العذرا) عن اكليريكي كان جزيل العبادة والمحبة نحو سلطانتنا البتول المجيدة. فهذا اذ سمع وصف جمال هذه الملكة السماوية الفريد الفائق البهاء اشتد غرامهُ مشتهياً ان يرى مرةً واحدةً سيدتهُ هذه الجميلة. ومن ثمَّ قد التمس منها بتضرعاتٍ حارّة خشوعية ان تهبهُ هذه النعمة. فالعذرا الرؤوفة ارسلت اليه احد الملئكة يقول لهُ عن لسانها انها تريد هي ان تتنازل لقبول التماسه اعني ان تظهر لهُ ولكن بهذا الشرط وهو انهُ بعد ان يراها مرةً واحدةً يفقد نظرهُ ويصير اعمى. فالرجل العابد الموماً اليه قد اقتبل هذا الشرط. وهوذا الطوباوية مريم البتول قد ظهرت لهُ يوماً ما. ففي الابتداء لكيلا يبقى هو اعمى بالكلية قد اكتفى بان يغلق عينهُ الواحدة وينظر الى هذه السيدة بالعين الاخرى. ولكنهُ لشدة ما انبهر من جمالها وما تنعم بمشاهدتها قد فتح عينهُ الثانية ليتاملها جيداً بنظره كله. الَّا ان والدة الاله قد غابت عنهُ حالاً قبل ان يراها بهذه العين الثانية التي استمرت مفتوحةً والاخرى قد فقد بصرها. فالمسكين اشتملهُ الحزن وطفق يبكي ليس لاجل فقد احدى عينيه بل لاجل انه لم يتامل هذه السيدة حسناً منذ الابتداء بعينيه كلتيهما. ولهذا شرع يتوسل اليها ثانيةً في ان تتنازل لان تظهر لهُ مرةً اخرى غير مبالٍ بفقد بصر عينه الاخرى الباقية لهُ وهكذا يعود اعمى بالكلية. وكان يقول لها "اني احسب ذاتي سعيداً واكون مسروراً راضياً يا سيدتي بان اصير اعمى من عينيَّ كلتيهما لاجل هذه الغاية وهي

لكي اعود مغرماً اشدَّ غراماً بحبكِ وبحرارة تعبدي لكِ" فالبتول المملوءة اشفاقاً قد انعطفت لدموعهِ واستجابت طلبتهُ وظهرت لهُ مرةً اخرى. ولكنها اذ لا تشآء ان تسبب لاحدٍ غماً او ضرراً ففي ظهورها هذا الثاني لهُ ليس فقط لم ترتضِ بان يعدم هو بصر عينه الصحيحة. بل انها ايضاً قد ردت اليه بصر عينه المفقود. وهكذا املأتهُ تعزيةً كاملةً وسروراً تاماً ✿

✿ صلوة ✿

اننا ونحن في وادي البكا هذا نجثو لدى عرشكِ ايتها السيدة العظيمة الكلية المجد ساجدين لكِ ولو عن بعدٍ ونفرح معكِ قلبياً لاجل المجد الفائق الادراك الذي اغناكِ بهِ الرب. فانتِ المالكة الان على السماوات والارض لا تنسينا نحن عبيدكِ الفقرا البائسين. ولا تانفي من ان ترمقينا نحن الاذلاء بنظركِ الرحيم من علو البلاط السماوي الذي انتِ فيه متملكة. فانتِ بمقدار كونكِ قريبةً من ينبوع النعم فبمقدار ذلك تستطيعين بسهولةٍ ان تسعفينا وتغني فقرنا. لانكِ انتِ الان في الاسما تعرفين افضل معرفةً حال شقائنا. ومن ثمَّ يلزم ان تشفقي علينا وتنجدينا. فاجعلينا ان نكون عبيداً امينين نحوكِ في الارض ليمكننا بعد ذلك ان ناتي الى السما لنباركِك ونسبحكِ الى الابد. وها نحن نكرس ذواتنا لعبادتكِ وخدمتكِ في هذا اليوم الذي فيه انتِ صرتِ سلطانة العالمين. فاقبلينا عبيداً لكِ في حال فرحكِ العظيم المختص بهذا العيد. اذ انتِ اذاً هي امنا فيا ايتها الام الكلية الحلاوة والمستحقة منا حباً عظيماً. ان هياكلكِ الان محاطة من شعوبٍ كثيرة. ومنهم مَن يلتمس منكِ ان تشفيه من مرضٍ ما. ومنهم مَن يتوسل اليكِ بان تسعفيه في احتياجه الخصوصي. ومنهم مَن يطلب منكِ جود اثمار اراضيه. وغيرهُ يسالكِ انتصاراً في احدى الدعاوي الزمنية. امَّا نحن فنلتمس منكِ نعماً اكثر قبولاً لدى قلبكِ الحنون وهي ان تستمدي لنا من الله ان نكون مثلكِ متواضعين ومجردين عن خيرات هذه الارض ومسلمين ارادتنا بالتمام لمشيئة الله. والتمسي لنا منهُ تعالى حبهُ المقدس. وميتةً صالحةً ونوال الفردوس السماوي وانقلينا ايتها السيدة من حال الخطية الى القداسة. فاصنعي هذه الاعجوبة التي

تسديك كرامةً وشرفاً افضل مماً ان تهدي النظر الى الف اعمى وان تردي الحيوة الى الف ميت. فانتِ حقاً عند الله مقتدرة جداً ويكفي القول انكِ والدته والاعز لديه مما سواكِ والمتلئة من نعمته. فاذاً ماذا يمكنهُ ان ينكر عليكِ. اما نحن يا ملكتنا الكلية الجمال فلا نطلب ان نشاهدكِ على الارض بل نريد ان ناتي الى السما لنراكِ هناك. الامر الذي يخصكِ ان تناليه لنا فهكذا نرجو بتاكيدٍ امين ☆

المقالة الثانية

☆ في شرح احزان مريم البتول بوجه العموم ☆
☆ وبوجه الخصوص وفيها ثمانية فصول ☆

الفصل الاول

☆ في ما يلاحظ احزان هذه العذرا المجيدة بوجه العموم ☆
☆ تحت صفة كونها سلطانة الشهدا . لان ☆
☆ استشهادها كان اطول واشدّ من ☆
☆ استشهاداتهم كافةً ☆

وفيه جزءان

الجزء الاول

☆ في ان استشهاد مريم البتول وجد طويلاً اكثر من استشهاد جميع الشهدا ☆

ترى مَن يمكنهُ ان يكون ذا قلبٍ قاسٍ كالجلمود حتى انهُ لا يتوجع متخشعاً عند استماعه ايراد الحادث المغم المستحق الندب والبكا الذي قد

جرى وقتـاً ما في هذا العالم. وهو انهُ كانت على الارض امراةٌ شريفـةٌ قديسـةٌ لم يكن لها الاَّ ابنٌ وحيدٌ. وهذا كان محبوبًا جداً بنوع لا يمكن للعقل تصورهُ وبارًا جميلاً حاوياً كل الفضائل ومغرماً بالحب الشديد نحو امه بنـوع انه قط لم يكن اغاظها بادنى شيء. بل كان دائماً يحترمها بوقارٍ ويطيعها بتكريمٍ ويكمل مشيئتها بكل محبة. ولذلـك قد علقت فيه امه هذه جميع عواطف قلبها على الارض * لكن ماذا جرى بعد ذلك. فقد حدث ان هذا الابن لاجل روح الحسد قد اشتكى عليه كذباً وبهتاناً اعداؤه. واما القاضي وان يكن قد عرف برارته واشهرها معترفاً بها فمع ذلك لكيلا يغيظ اولئـك الاعدآ قد حكم على هذا الابن البري من الذنب حسب رغبة اعدائه بموت العار والخزي. ومن ثمَّ هذه الام المسكينة احتملت الحزن الشديد المسبب لها من قبل مشاهدتها ابنها الحبيب والمحبوب منها هكذا مسلوبًا منها ظلماً في عنفوان شبوبيتـه بميتةٍ بربريـةٍ حيث قد اعدموهُ الحيـوة مشتهـرًا امام عينيها فيها. بين العذابات الاشد اوجاعًا واماتوهُ موت الخزي والعار * فماذا تقولون يا ذوي النفوس التقية الحنونة. امَّا ان هذا الحادث هو مستحق التوجع والشفقـة. وامَّا ان هذه الوالدة الحزينة هي مستاهلة ان يُرثى لها ويُشفَق عليها * فانتم تفهمـون جيدًا عمَّن اشير بكلامي هذا اي ان الابن الذي حكم عليه بالموت وقُتل بالنوع المقدم ايرادهُ هو مخلصنا يسوع المسيح الموضـوع المستاهل كل محبـةٍ. والام التي تكبدت الاحزان والالام بما اشرنا اليـه هي والدة الالـه مريم الطوباويـة التي حبًا بنا وبخلاصنا قد ارتضت بان تشاهـد ابنها هذا الحبيب ذبيحـةً مقدمةً للعدل الالهي بايدي البشر القساة القلـوب * فاذاً الاوجاع والاحزان التي ذاقتهـا من اجلنا هذي الام الالهية بمرارةٍ تفضل على مرارة الف ميتةٍ تستحق منا التوجع ومعرفة الجميـل. وان كان لا يوجد لنا شيء اخر نكافىء بهِ حبها ايانا هذا الشديد فقلما يكـون ناخذ في هذا اليـوم بالتامل برهـةً من الزمان في شدة الحزن والتوجع والالم الذي تكبدتهُ هذي العذرا وصارت من قبل ذلك سلطانة الشهدا كافـةً اولاً بما ان هذا الاستشهاد دام زماناً طويلاً ثانيًا لانهُ كان اشد واعظم مما سواه ✿

فكما ان يسـوع المسيح سُمّي „ سلطان الاوجاع. وملـك الشهدا" لاجل

انهُ في مدة حياته قد احتمل الآمًا اشدَّ ممَّا احتملهُ الشهدا اجمعون كذلك بكل عدل تُدعى مريم البتول « سلطانة الشهدا » لانها استحقت هذا اللقب باحتمالها استشهاداً اعظم من كل ما سواهُ بعد ذاك المحتَمل من ابنها مخلصنا * فاذاً بالصواب يسميها العلاّمة ريكردوس الذي من سان لورنسوس « شهيدة الشهدا » ويمكن ان يقال عنها ما قالهُ اشعيا النبي « يكللك الله بالضيق تكليلاً » (ص ٢٢ ع ١٨) اي ان الاكليل الذي تتوجت بهِ هذي السيدة سلطانةً على الشهدآء كان اكليل الضيق والاوجاع عينها التي فاقت على عذابات الشهدا كلهم اذا جُمعت معاً * فهو امر لا ريب فيه ولا اشكال ان مريم العذرا هي شهيدة حقاً كما يثبت ذلك العلما كرتسيانس وبلبرتوس وكاترينوس واخرون غيرهم * على انه لحكمٌ اكيد هو انهُ يكفي للاستشهاد ان يحتمل الشهيد عذاباً والمًا كافياً لان يميته وان لم يتم ذلك الموت فعلاً. فهكذا القديس يوحنا الانجيلي قد كُرّم من الكنيسة الجامعة بصفة شهيدٍ وان لم يكن مات هذا الرسول ضمن حلّة الزيت الغلي حيثما وُضع فيها بامر الملك دومسيانوس. بل خرج من تلك الحلة اشدَّ قوةً من ذي قبل (كما هو مدَّون في اليوم السادس من شهر ايار في كتاب الفرض الروماني). ويقول القديس توما اللاهوتي « انهُ يكفي لاكتساب مجد الاستشهاد ان الانسان يطيع مقدماً ذاته حتى الموت » فمريم وُجدت شهيدة ليس بواسطة الحديد الجارح بل بشدة اوجاع القلب كما يقول عنها القديس برنردوس. اي ان كان جسدها الطاهر لم يُجرَح من الجلادين فقد طُعن قلبها المبارك بسهام اوجاع الام ابنها وهذه الاوجاع كانت كافية لان تسبب لها لا موتاً واحداً فقط بل الف ميتةٍ ايضاً. ومن ثمَّ ان مريم قد صارت ليس شهيدةً حقيقيةً فقط بل ايضاً ان استشهادها الاليم قد فاق على استشهاد جميع الشهدا لاجل استطالة زمنهِ. لانه يمكن القول ان حياتها باسرها قد كانت استشهاداً متصلاً وموتاً مستطيلاً من دون انقطاعٍ ✰

فكما ان الام سيدنا يسوع المسيح قد ابتدأت معهُ منذ ميلادهُ حسبما يقول القديس برنردوس « ان المسيح قد وُلد ومعهُ وُلدت الام الصليب » فهكذا مريم التي كانت شبيهة بابنها في كل شيءٍ قد احتملت الاستشهاد

مدة حياتها كلها * فاسم مريم من جملة التاويلات الاخر يراد به „ بحر المرارة " كما يبرهن الطوباوي البرتوس الكبير. ولذلك يخصص بهذه البتول ما قالهُ ارميا النبي في العدد الثالث عشر من الاصحاح الثاني من مراثيه وهو „ يا بتول ابنة صهيون ان انكسارك عظيمٌ كالبحر " لانهُ كما ان مياه البحر كلها هي مرّة مالحة كذلك حيوة مريم البتول قد وُجدت دائماً مملوةً من المرارة لاجل ان الام مخلصنا كانت على الدوام مصوّرة بازاء عقلها. فلا ريب ان هذه السيدة من حيث انها استنارت من الروح القدس اكثر استنارة من الانبيا كلهم كانت تعلم افضل علماً منهم حقيقة ما دوّنوهُ عن المسيح في اقوالهم النبوية هكذا قال الملاك للقديسة بريجيتا. ثم قال الملاك ذاته للقديسة عينها „ اذ كانت البتول المجيدة تعرف كم هو مقدار الالام التي كان مزمعاً الكلمة المتجسد ان يتكبدها من اجل خلاص الجنس البشري فمن قبل ان تصير هي امهُ كانت تتصور الامهُ وتتوجع من اجل الميتة البربرية المعدة لهُ من اجل خطايا لم يفعلها اذ لا خطية فيه. وعلى هذه الصورة منذ ذاك الوقت ابتدأ زمن استشهادها " *

فهذه الاوجاع والالام قد ازدادت مرارةً وقوةً بما لا يُحدّ عند ما صارت هذه البتول اماً للكلمة المتجسد. لانها حينئذٍ عند تاملها في جميع ما كان عتيداً هذا الابن المحبوب منها ان يتالم بهِ قد احتملت بهذا التصور المتصل عذاب استشهادٍ متصلٍ مدى حياتها كلها. ولذلك يقول نحوها الانبا روبرتوس „ انكِ اذ كنتِ سبقتِ وعرفتِ الام ابنكِ العتيدة احتملتِ استشهاداً مستطيلاً " وهذا بالحصر ما تعنيه الرؤية التي شاهدتها القديسة بريجيتا في مدينة رومية في كنيسة القديسة مريم الكبرى حيث ظهرت لها البتول الطوباوية وبرفقتها القديس سمعان الشيخ وملاك كان حاملاً بيده سيفاً طويلاً جداً مصبوغاً بالدم. مشيراً بهِ الى الحزن والالام الشديدة المرارة والمستطيلة معاً التي افعمت قلب هذه الام الالهية طول ايام حياتها. ولذلك الانبا روبرتوس المار ذكره يضع بفم مريم هذه الكلمات „ ايتها الانفس المفتداة. يا بناتي العزيزات لا تتوجعنَ من اجلي لما تكبدتهُ في تلك الساعة فقط التي فيها شاهدت ابني مائتاً فيما بين العذابات امام عينيَّ لان سيف الحزن والوجع الذي سبق سمعان واخبرني عنهُ قد اجتاز نفسي

مدة حياتي كلها. ومن ثمَّ حينما كنت ارضّع ابني الحبيب وادفئه بين ذراعيَّ وكنت دائماً اشاهد الميتة المرّة التي كانت تنتظره فتاملن كم هي شدة التوجع وكم هو مستطيلٌ زمان هذه الالام التي احتملتها » ✡

ولهذا بكل صوابٍ يمكن للعذرا المجيدة ان تقول عن ذاتها ما قاله النبي والملك داود « ان حياتي قد فنيت بالاوجاع وعمري بالتنهد » (مزمور ٣٠ ع ١١) « لانني انا للضرب مستعدٌ ووجعي مقابلي في كل حين » (مزمور ٣٧ ع ١٨) « فقد اصرفت حياتي كلها بالاوجاع والدموع من حيث ان حزني وتوجعي الصادرين عن تذكري الام ابني الحبيب وموته لم يبرحا قط من امام عينيَّ لاني كنت اشاهد دائماً الالام المتنوعة والميتة المرة التي كان يوماً ما عتيداً ان يتكبدها » فهذه الام الالهية قد اوحت الى القديسة بريجيتا « بانها قد استمرت تشعر حتى بعد قيامة ابنها من بين الاموات وصعوده الى السماوات بمرارة الامه وموته في قلبها باقي الزمن الذي عاشت فيه على الارض ان اكلت او شربت او فعلت شيئاً آخر الى حين نياحها » ولهذا كتب طوليريوس « بان مريم البتول قد اصرفت زمن حياتها باسره في توجعٍ متصلٍ لانه لم يكن يهجس في قلبها شيء سوى الغم والحزن » ✡

ولهذا ان مرور الزمان المعتاد ان يسكّن توجع المحزونين لم يفد البتول القديسة لتخفيف اوجاعها. بل بالعكس ان المدة المستطيلة كانت لديها علةً لازدياد التوجع والحزن لانه كما انها كانت تزداد تعلقاً بسمو جمال ابنها يسوع ومحبته اذ كان ينمو بالعمر والقامة هكذا كان ينمو توجعها وحزنها حينما كان يدنو زمان موته. وحسبما اخبر ملاك الرب في الرؤية للقديسة بريجيتا « انه كما ان الوردة تظهر نابتة فيما بين الاشواك كذلك والدة الاله كانت تتقدم بالسنين فيما بين الاوجاع. ونظير ما ان الوردة في نموها تنمو معها الاشواك المحيطة بها فهكذا وردة الرب المختارة هذه مريم بمقدار ما كانت تنمو في العمر فباكثر من ذلك كانت تنمو معها اشواك الامها واحزانها لتزيدها وجعاً وغماً » فاذ تاملنا لحد الان في استطالة زمن احزان هذي السيدة فلنات الى الجزء الثاني لنتامل عظم هذه الاحزان ✡

❁ الجزء الثاني ❁

✿ في ان استشهاد مريم البتول هو اشدّ وجعًا من عذابات ✿
✿ الشهداء كلهم ✿

فمريم العذراء دُعيت سلطانة الشهداء. ليس فقط من كون زمن استشهادها كان اطول من زمن عذابات الشهداء بل ايضًا من كون اوجاعها والامها قد وُجدت اشدّ واعظم من اوجاع الشهداء والامهم كافةً. لكن مَن يمكنهُ ان يعقل مقدار هذه الاوجاع ويعرف حقيقتها وشدتها وعظمتها. فالنبي ارميا عند اعتباره عظم توجع ام الاوجاع هذه على موت ابنها يشير الى انهُ لا يقدر ان يجد مَن يمثلها بهِ لانهُ يقول „ بمَن اشبّهكِ او بمَن امثّلكِ يا ابنت اورشليم. فان انكساركِ هو عظيمٌ كالبحر فمَن يعالجكِ (مراثي ص ٢ ع ١٣) ولذلك اذ فسر هذا النص الكردينال اوغون قال „ انهُ كما ان مياه البحر تفوق في شدّة مرارتها على سائر الاشياء المرّة كذلك اوجاعكِ ايتها العذراء المباركة قد فاقت في شدتها على سائر الاوجاع". ولهذا يقول انسلموس „ انهُ لولا يكون الله باعجوبةٍ خصوصية حفظ حيوة مريم البتول. لكان وجع قلبها كافيًا لان يميتها في كل دقيقةٍ من زمن حياتها ". واما القديس برنردوس السياني فقد اتصل الى ان يقول „ ان اوجاع مريم قد كانت بهذا المقدار عظيمةً حتى انهُ لو امكن تفريقها وتوزيعها على الخلائق كلها لكانت سريعًا ابادتها ولاشتها " ✿

فلنتأمل ههنا الاسباب التي من اجلها وُجد استشهاد هذه الام الالهية اعظم من استشهاد كل الذين سفكوا دماهم من اجل الايمان بالمسيح. فليُعتبَر اولاً ان الشهداء انما احتملوا العذابات في اجسادهم بواسطة النار او الحديد. اما مريم فاحتملت الاستشهاد باطنًا في نفسها. حسبما سبق القديس سمعان الشيخ وقال لها „ وانتِ سيجوز سيف الحزن في نفسكِ " (لوقا ص ٢ ع ٣٥) وكانهُ قال لها هذا الشيخ القديس „ ايتها البتول المثلثة القداسة ان جميع الشهدآء انما عتيدون ان يتكبدوا في اجسادهم اوجاع الحديد. واما انتِ فاستشهادكِ انما هو باطنٌ. لان سيف الحزن مزمع ان يجوز في

نفسكِ وتحيق الاوجاع بقلبكِ مع آلام ابنكِ يسوع". فاذًا بمقدار ما ان النفس هي اشرف من الجسد فبمقدار ذلك كان استشهاد مريم بنفسها اعظم من استشهاد الشهدآء باجسادهم. كما اوحى مخلصنا عينهُ للقديسة كاتريفا السيانية بقولهِ لها "انه فيما بين الاستشهاد بالاجساد. وبين الاستشهاد بالانفس يوجد فرق لا قياسَ لعظمته". ومن ثمَّ يقول الانبا القديس ارنولدوس كارنوتانسه "ان مَن اتفق لهُ ان يوجد حاضرًا في جبل الجلجلة ليشاهد ذبيحة الحمل البري من العيب. حينما هو مات على خشبة الصليب. لقد كان لاحظ هناك مذبحيَن عظيمَين. احدهما في قلب يسوع. وثانيهما في قلب مريم. حيث انهُ في زمنٍ واحدٍ نفسهِ الذي فيه كان الابن يضحّي جسدهُ قربانًا بالموت. ففيه عينهِ مريم كانت تضحّي نفسها قربانًا بالتوجع القلبي" *

ثانيًا يقول القديس انطونينوس "ان باقي الشهدآء قد تعذبوا بواسطة ذبيحة حياتهم الذاتية. واما البتول الطوباوية فتعذبت بواسطة ذبيحة حيوة ابنها الذي كانت تحبهُ اشدَّ حبًا من حياتها الذاتية. ولهذا ليس فقط قد تكبدت هي بنفسها كل الاوجاع التي تكبدها ابنها في جسده. بل ايضًا قد سبَّب لقلبها نظرها بعينيها تعاذيب ابنها اوجاعًا اعظم ممَّا لو كانت هي نفسها احتملت تلك التعاذيب في جسدها عينه* فمن القول ان مريم العذراء قد تكبدت في قلبها جميع العذابات التي شاهدت هي ابنها الحبيب يسوع معذبًا بها. لا يمكن ان يوجد ريبٌ او اشكالٌ. فكل احدٍ يفهم ان عذاب الابنآء هو نفس عذاب امهاتهم. اذا كنَّ حاضراتٍ وناظراتٍ مباشرة ذلك العذاب * فالقديس اوغوسطينوس اذ كان يتأمل في الاوجاع التي احتملتها القديسة (صالومي) ام السبعة الشهداء المكابيين بمشاهدتها العذابات التي كانت اولادها هولاء يتكبدونها قال "انها اذ كانت تنظر اوجاع اولادها قد تالمت هي بالاوجاع كلها. لانها كانت تحبهم كلهم وبالتالي كانت هي تتعذب في عينيها بجميع العذابات التي هم كانوا يتعذبون بها في اجسادهم". فهكذا حدث لوالدة الاله. اي ان جميع تلك العذابات من الجلد. واكليل الشوك. والمسامير. والصليب التي تعذبت بها لحمان يسوع الطاهرة. فهذه كلها دخلت حينئذٍ في قلب مريم لتكمل بواسطتها استشهادها.

كما كتب القديس اماداوس قائلاً „ان هذه العذابات التي دخلت على جسد يسوع هي نفسها دخلت على قلب مريم". بنوع انهُ (حسبما قال القديس لورانسوس يوستينيانى) قد اضحى قلب هذه الام بمنزلة مرآةٍ للاوجاع التي احتملها ابنها. وبهذه المرآة كانت تنظر اللطمات. والبصاق. والجراحات. وسائر العذابات التي تالم بها يسوع". ثم ان القديس بوناونتورا يتامل „في ان جميع تلك الجراحات التي كانت متفرّقةً في جسد يسوع كله. فهذه باسرها وُجدت مجموعةً معًا في قلب مريم" ✿

فاذًا قد تكبدت هذي البتول لاجل اوجاع ابنها والامه محتملةً في قلبها الشديد الحب انواع تلك الالام. اي الجلد. التكليل بالشوك. الاهانات. التعييرات. المسامير. الصليب. كانها هي نفسها جُلدت. كُللت. أُهينت. عُيّرت. سُمّرت. صُلبت. ولهذا اذ يتصور القديس بوناونتورا عينهُ حال وجود هذه الام الالهية في جبل الجلجلة حاضرةً موت ابنها. فيخاطبها كمستفهمٍ قائلاً „ايتها السيدة اخبريني اين كنتِ حينئذٍ واقفةً. أهل انكِ وُجدتِ قريبةً فقط من صليب يسوع. كلَّا. بل انكِ على الصليب كنتِ مسمّرةً مع ابنكِ" امَّا ريكاردوس فالى كلمات النبي اشعيا المدونة في العدد الثالث من الاصحاح ٦٣ من نبوته. المقولة منهُ عن لسان مخلصنا وهي „دست المعصرة وحدي ومن الامم ليس معي رجل" يضيف هو هذه الكلمات قايلاً „انك بالصواب تقول ايها السيد انهُ في عمل افتداء الجنس البشري انت وحدك دستَ المعصرة متالمًا. ولم يكن معك رجلٌ يتوجع من اجلك بكفايةٍ. ولكن توجد معك امراةٌ وهي امك التي مقدار ما انت احتملت في جسدك. فهي مقدار ذلك تكبدت في قلبها" ✿

الَّا ان هذه الاقوال كلها هي شيءٌ زهيدٌ جدًا بالنسبة الى حقيقة ما تالمت بهِ العذراء المجيدة. من حيث انها (كما قلت انفًا) قد تكبدت هي بالنظر الى عذابات يسوع الامًا واوجاعًا اشدَّ مرارةً من الام يسوع واوجاعه عينها. لو كانت هي احتملتها في جسدها بدلًا منهُ * فالعلّامة ايرازموس كتب في تكلمه بوجه العموم عن الوالدين بقولهِ عنهم „انهم يشعرون في ذواتهم بالاوجاع التي تتعذب بها اولادهم. اشدَّ الامًا ممَّا يشعرون باوجاعهم الذاتية" الَّا ان هذا ليس بحقيقي دائمًا ولا في كل الوالدين. امَّا في مريم

البتول فقد تحقق ذلك بكل تاكيدٍ. لاجل ان هذه الام المجيدة كانت تحب ابنها الالهي حبًا اعظم بما لا يُحدّ. ولا يمكن وصفهُ من حبها ذاتها. بل من حبها الف حيوةٍ لو كانت لها. ولذلك بكل صدقٍ يشهد لنا القديس اماداوس „ بان هذه الوالدة المحزونة اذ كانت تشاهد المنظر المُرثَى لهُ. الذي بهِ ابنها يسوع الحبيب كان يحتمل العذابات. فهي قد تعذبت اكثر جدًا ممًّا لو كانت هي نفسها تحتمل في جسمها آلام هذا الابن كلها". فالبرهان هو واضحٌ من حيث انهُ. كما يقول القديس برنردوس „ ان النفس توجد مستقرةً ومتحدةً في الموضوع المحبوب منها اتحادًا اشدَّ جدًا من كيانها في الجسد الذي هي تحييهِ " بل ان مخلصنا عينهُ قبل هذا القديس قال „ انهُ حيثما يكون كنزكم فهناك يكون قلبكم " (لوقا ص ١٢ ع ٣٤) فاذًا من حيث ان هذه البتول كانت بقوة الحب تحيى بيسوع بنوعٍ افضل ممًّا كانت تحيى في ذاتها. فمن دون ريبٍ انها تكبدت من الالام. لاجل موت حبيبها هذا. اوجاعًا اشدَّ وعذابًا اعظم ممًّا لو كانت هي نفسها تمات فيما بين امرّ عذابات العالم. ميتةً ذات قساوةٍ اشدَّ من كل ما يمكن اختراعهُ من التعذيبات *

ثالثًا ان السبب الذي قد صيّر عذاب استشهاد والدة الالـه اعظم من عذابات الشهدآء كلهم بما لا حدَّ لهُ ولا قرار. هو انها قد تالمت هي كثيرًا. ومن دون ادنى تعزيةٍ. فاي نعم ان الشهداء كانوا يشعرون بالعذابات التي كان المضطهدون القساة يذيقونهم اياها. ولكن حبهم ليسوع كان يصيّر عذبةً حلوةً مرائر تلك الامتحانات. بل كان يجعلها محبوبةً منهم * فالقديس فيلجانسوس في استشهاده تكبد عذاباتٍ وافرةً كلية القساوة. من الزيار. والجلد. وسلخ الجلد. والتمشيط بالاظفار الحديدية. والحريق بالمشاهيب. ولكن يقول عنهُ القديس اوغوسطينوس „ ان اخر كان يتعذب هكذا. واخر كان يتكلم بفصاحةٍ " لان هذا الشهيد وهو فيما بين عذاباتٍ هذه صفتها كان يخاطب المغتصب بشجاعةٍ وفصاحةٍ. وباحتقارٍ عظيمٍ لتلك التعاذيب. حتى انهُ استبان ان فيلجانسوس واحدًا كان يُعذَّب. وفيلجانسوس اخر كان يتكلم. ومن هنا يظهر واضحًا كم كان الله بعواطف حبه العذبة. يشجع هذا الشهيد ويقويهِ على احتمال ذات النكال المرّ * وهكذا القديس بونيفاسيوس

الشهيد كان يقاسي شدائد الامتحانات. بتمزيق لحمان جسده بالمخاليب الحديدية وبادخال القصب الرفيع تحت اظفاره. وبصب الرصاص المذاب في فمه. امّا الشهيد ففيها بين هذه العذابات لم يكن يشبع من تكرار رد الشكر لله هاتفًا „واشكرك شكرًا دائمًا ايها الرب يسوع المسيح". وكذلك القديسان مرقص ومركليانس اذ كانا يتكبدان عذابات الاستشهاد. مسمَّرين بارجلهما على قائمةٍ من خشبٍ. والمغتصب كان يقول لهما „ايها الشقيان تاملا حالكما هذه التعيسة. وخلّصا ذاتيكما من هذا العذاب بالطاعة" فهما اجاباهُ قايلَين „عن اية عذابات انت تتكلم. فهذه هي اشياء مضحكةٌ. لاننا نحن ما شعرنا قط بلذةٍ. ولا تنعمنا اصلاً على مائدةٍ. بمقدار ما نلذ ونتنعم الان في هذي الوليمة. التي فيها نحتمل الاوجاع بالتذاذٍ عظيمٍ حبًا بيسوع المسيح". ومثلهما القديس المجيد في الشهداء رئيس الشمامسة لافرنتيوس حينما كان يُشوَى على مصبع الحديد فوق جمرات النار „قد 'وجد حينئذٍ (يقول القديس البابا لاون في خطبته على عيد هذا القديس) اعظم قوةً لهيب الحب الباطن في قلبه لله ليعزي نفسه'. واشدّ حرارةً من لهيب النار الماديّة الخارجة التي كانت تحرق جسده'" وقد فاز بالقوة والشجاعة في تلك الحال بنوع انهُ' اتصل الى ان يستهزىء بالمغتصب قائلًا لهُ' „هوذا لحماني قد اُشويت حسنًا وانتهى شيها من الجانب الواحد. فان كنت تريد ان تاكل منها فاقلبها على الجانب الاخر وكُل" ولكن كيف امكن لهذا الشهيد في احتماله تلك الميتة المستطيلة بعذابٍ هذه صفة شدته. ان يتهلل مبتهجًا. فيجيب القديس اوغوسطينوس قائلاً „ان هذا المعظم في الشهداء قد سكر بخمرة الحب الالهي. حتى انهُ لم يعد يشعر لا بالعذابات ولا بالموت" ✲

فاذًا ان الشهداء بمقدار اشتداد حبهم ليسوع. فبمقدار ذلك كانت تحلو لديهم العذابات من اجلهِ. حتى كانهم لم يعودوا يشعرون بها. وكان الموت يصير لديهم عذبًا حلوًا. وكان مجرد تصورهم مرائر آلام الهٍ متجسدٍ على الصليب يخفف عنهم مرائر تعاذيبهم معزيًا اياهم. ولكن أهل حب سيدتنا مريم البتول ليسوع. قد كان على هذه الصورة يعزيها ويخفف عنها مرائر الاوجاع. لا لعمري. بل ان ابنها الحبيب يسوع الذي كان هو يتالم. فهو نفسهُ' كان علة احزانها وآلامها. وان الحب الشديد الذي كان قلبها بهِ مغرمًا

نحوهُ تعالى. فهو عينهُ كان الجلاد الوحيد الكلي القساوة لعذابها. لان كل استشهاد هذه الام الالهية كان قائماً في مشاهدتها عذابات ابنها المحبوب منها بهذا المقدار. والبري من كل خيال ذنب. بل البرارة بالذات. الذي كان يتالم الاماً فائقة الوصف. وبالتالي انها بمقدار ازدياد حبها اياهُ حباً هكذا عظيماً. فبمقدار ذلك كانت شدة اوجاعها واحزانها تتعاظم من دون ادنى تعزيةٍ „ فانكسارك هو عظيم" كالبحر يا بتول ابنة صهيون فمَن يعالجك" اواه يا سلطانة السموات والارض. ان المحبة قد صيّرت الشهداء الاخرين ان ينسوا عذاباتهم. لخففتها عنهم من قبل الحب الذي كان يشفي جراحاتهم. واما انتِ فمَن يعالجكِ ويحلّي لديكِ بحر المرائر والحزن العظيم. ومَن يشفي جراحاتكِ المثخنة الكلية الاوجاع. المجروح بها قلبكِ. لان ذاك الابن الحبيب عينهُ الذي كان يمكنهُ ان يفرج غمكِ ويعزيكِ. فهو كان بآلامهِ العلّة الوحيدة لاوجاعكِ. والحب الذي انتِ ملتهبةٌ بهِ نحوهُ فهو نفسهُ الذي كان يصوّر مجموع استشهادكِ. ولهذا يقول العلّامة دياز „ انهُ قد جرت العادة في ان المصورين عندما يصوّرون ايقونات الشهداء. ففي كلٍ منها يرسمون مع الشهيد صورة تلك الآلة التي بها كمل استشهاده. مثلاً السيف مع القديس بولس. الصليب مع القديس اندراوس. المصبع الحديدي مع القديس لاورنتيوس وهلمَّ جرًا. فامَّا العذراء مريم فيصوّرون آلة استشهادها المسيح عينهُ ميتًا متكئًا على ركبتيها. لان حبها الشديد اياه كان لها آلة الاستشهاد" اما القديس برنردوس فبالفاظٍ وجيزة يثبّت جميع ما قلتهُ لحد الان. اذ انهُ كتب هكذا قائلاً „ انهُ في الاستشهادات الاخر عظم الحب الشديد يخفف مرائر العذابات. امّا البتول الطوباوية فبمقدار ما كان حبها لهُ تعالى اشدَّ التهاباً. فباكثر من ذلك كانت اوجاعها اعظم قساوةً ومرارةً. وهو الذي صيّر استشهادها اوفر تالمًا وامرَّ توجعًا" ✲

فامرٌ حقيقي هو انهُ بقياس المحبة التي توجد في قلب انسانٍ نحو موضوعٍ ما. يُقاس حزنهُ وغمهُ على فقد ذاك الموضوع. وهكذا يوجد قياس شدة توجعهِ على خسرانه اياه. مقدار شدة غرامهِ في حبهِ الزائد نحوهُ. ومن ثمَّ ان فقد الانسان اخاه الطبيعي بالموت يحزن قلبهُ اشدَّ حزنًا. مما يحدث لهُ من الغم على فقده احد الحيوانات. كالفرس وغيرها. وكذلك

يتوجع الاب على موت ابنه اعظم توجعًا ممّا على موت احد اصدقآئه. ولهذا يقول كورنيليوس الحجري „انهُ لكي يُفهَم كم كان مقدار توجع مريم البتول على موت ابنها يسوع. يلزم ان يُفهَم مقدار الحب التي هي كانت تحبهُ بهِ تعالى". ولكن مَن يمكنهُ ان يعرف قياس هذا الحب الذي هي كانت مغرمة بهِ نحو ابنها (يقول انطوباوي اماداوس) حيث ان حبها اياه بالنوع الواحد وبالنوع الاخر قد اجتمعا معًا في قلبها كشيءٍ واحدٍ. اي الحب الفائق الطبيعة الذي بهِ كانت هي تحبهُ عزَّ وجلَّ بحسبها هو الهها. ثم الحب الطبيعي الذي بهِ كان قلبها متعلقًا بمحبتهِ بحسب كونه ابنها" فاذًا هذان النوعان من الحب قد اجتمعا واحدًا في قلبها. ولكن بهذا المقدار وُجد هذا الحب عظيمًا فائق الحد والقياس. حتى ان غوليالموس الباريسي يقول „ان الطوباوية مريم العذراء قد احبت ابنها والهها يسوع بمقدار ما امكن للنوع الانساني ان يكون قابلًا لان يحب. اي ان خليقةً محضةً لم تقدر ان تكون موضوعًا قابلًا لان تحب اكثر من ذلك". ولهذا كتب ريكاردوس الذي من سان لورانسوس „انه كما ان حب مريم ليسوع ما وُجد قط ولن يوجد ابدًا اعظم منهُ. فلا وُجد قط ولن يوجد اصلًا وجعٌ اعظم من وجعها من قبل آلامهِ وموتهِ. ومن حيث ان حبها اياهُ تعالى كان عديم الحد ولا قرارَ لهُ. فعديم الحد ولا قرارَ لهُ كان وجعها بفقدها اياه بالموت" وقال الطوباوي البارتوس الكبير „انهُ حيثما يكون الحب اشدَّ. فهناك يوجد التوجع اعظم" *

ولهذا فلنتصور ان مريم اذ كانت واقفةً تحت صليب يسوع على جبل الجلجلة. فبكل عدلٍ وصوابٍ كان يمكنها ان تخصص ذاتها بكلمات ارميا النبي وهي „يا عابري الطريق انظروا وتاملوا هل رايتم وجعًا مثل وجعي" (مراثي ص ١ ع ١٢) اي يا معشر المجتازين على الارض ايام حياتكم ولا تفتكرون بي ولا تتوجعون من اجلي. قفوا قليلًا متاملين فيَّ انا التي الان اشاهد امام عينيَّ مدنفًا على الموت. في بحرٍ من الالام هذا الابن الحبيب. وانظروا هل يوجد فيما بين جميع الحزانى والمتالمين احدٌ اوجاعهُ تشابه اوجاعي * فهنا يرد الجواب القديس بوناونتورا قائلًا „كلَّا. ايتها الام المملوَّة احزانًا انهُ لا يمكن ان يوجد في الارض وجعٌ مرٌّ قاسٍ مثل وجعكِ. لانهُ لا يمكن

وجود ابنٍ عزيزٍ حبيبٍ على الاطلاق نظير ابنكِ". ويضيف الى ذلك القديس لورانسوس يوستينياني بقولهِ „انهُ حقًا لم يكن وُجد قط في العالم ابنٌ موضوعٌ للحب الشديد نظير يسوع. ولا امٌ مغرمةٌ بالحب الكلي نحو ابنها مثل مريم. فان كان اذًا ما صودف على الارض حبٌ هكذا عظيمٌ يشابه حب هذه الام الالهية لابنها. فكيف يستطاع ان يُصادَف وجعٌ شديدُ القساوة يماثل وجعها ويشابههُ" ☆

ومن ثمَّ القديس ايدالفونسوس لم يرتَب في ان يقول „انهُ لقليلٌ هو ان يُورَد عن مريم البتول ان آلامها قد فاقت على عذابات الشهداء كلهم. حتى ولو أُفترضت اوجاعهم متحدةً معًا بجملتها". ويضيف الى ذلك القديس انسلموس بقوله „ان التعاذيب الاشدّ مرارةً ووجعًا التي بها عُذّب الشهداء القديسون باعظم قساوةٍ. قد وُجدت خفيفةً وكلا شيءٍ بالنسبة الى استشهاد البتول المجيدة". وكتب القديس باسيليوس الكبير قائلًا „انهُ كما ان الشمس تفوق بانوارها على سائر الكواكب والنجوم. فهكذا مريم العذراء قد فاقت بآلامها على مرارة اوجاع الشهداء الاخرين اجمعين" وهنا احد العلماء العباد (وهو الاب بينوسانته) يبرهن بعبارةٍ جليلةٍ عمَّا اشرنا اليه قائلًا „ان اوجاع مريم البتول قد كانت بهذا المقدار شديدةً وعظيمةً. حتى ان هذه الام الحنونة وحدها وُجدت حين الام ابنها بهذه الاوجاع كافيةً ومقتدرةً على ان تتوجع بالمٍ كافٍ على موت الهٍ متانسٍ" ☆

ولكن ههنا يلتفت القديس بوناونتورا نحو هذه السيدة المجيدة قائلًا كمستفهمٍ هكذا „اخبريني يا سيدتي لماذا انتِ اردتِ ان تذهبي الى جبل الجلجلة. لتتقدمي انتِ ايضًا ذاتكِ ذبيحةً. أهل انهُ ربما لم يكن كافيًا لافتدائنا ان الهًا يموت من اجلنا على الصليب بالجسد. ولذلك رغبتِ ان تُصلَبي معهُ انتِ ايضًا والدتهُ" الجواب. انهُ لامرٌ كلي الوضوح هو ان موت يسوع المسيح وُجد كافيًا ليس لخلاص هذا العالم كلهِ فقط. بل لخلاص عوالم غير متناهٍ عددها ايضًا. الَّا ان هذه الام الصالحة قد ارادت لاجل الحب الشديد الذي تحبنا بهِ. ان تفيد امر خلاصنا هي ايضًا بواسطة استحقاقات الاوجاع التي تكبدتها هي وقدمتها لهُ على جبل الجلجلة. ولذلك يقول الطوباوي البارتوس الكبير „انهُ كما اننا ممنونون وملتزمون

بالمعروف نحو يسوع المسيح. لاجل الامه التي تكبدها حبًا بنا. فهكذا نحن ممنونون وملتزمون بمعرفة الجميل نحو مريم العذرا. لاجل الاستشهاد الذي هي ارادت بموت ابنها ان تحتمله من تلقاء مشيتها لاجل خلاصنا" ☆

وانمّا قلت من تلقاء ذاتها „لان امنا هذي الكلية الاشفاق نحونا (كما اوحى ملاك الرب للقديسة بريجيتا) قد ارتضت بان تحتمل بالاحرى العذابات كلها. من ان تشاهد الانفس غير مفتداة باقيةً مهملةً في حال الخسران القديم" فهذا الموضوع يمكن ان يقال عنهُ انهُ كان هو التعزية الوحيدة التي هي شعرت بها في حين غرقها في بحر تلك الالام العظيمة الشديدة المرارة المسببة لها من آلام ابنها. اي ملاحظتها انهُ بواسطة آلامه المقدسة قد افتدى العالم الهالك. وفاز البشريون بالصلح مع الله بعد ان كانوا اعداءً لهُ تعالى" (حسبما يقول سمعان الكاسياني) ☆

فحسبُ هكذا عظيمٌ من والدة الاله نحونا يستحق منا معرفة الجميل نحوها. وقلما يكون ينبغي لنا ان نكافي جميلها بتاملنا في اوجاعها والامها. وبتوجعنا من اجلها. لان هذه السيدة قد تشكت للقديسة بريجيتا من ان قليلين جدًا هم اولئك الذين يفتكرون باوجاعها. والاكثر منهم يعيشون متناسين هذا الموضوع. ولذلك اوصت هي هذه القديسة بان تتذكر احزانها * فلكي يُفهَم كم هو امرٌ مقبولٌ لدى هذه الام الالهية التفكر مراتٍ كثيرةً في الامها واوجاعها. يكفي ان يُعرَف هذا الحادث فقط. وهو انها اي والدة الاله قد ظهرت سنة ١٢٣٩ للسبعة الاشخاص المتعبدين لها. الذين هم موسسوا الجمعية الملقّبة „برهبنة عبيد مريم" وكان ظهورها لهم بثوبٍ اسود. واوضحت لهم انهُ ان كانوا يريدون ان يكتسبوا رضاها ومسرتها. فيلزمهم ان يتاملوا متواترًا في احزانها واوجاعها. واعلنت لهم ارادتها في انهم تذكرةً لآلامها يتردون من ذلك الوقت فصاعدًا بالثوب الاسود الذي شاهدوها متشحةً بهِ (كما هو مدون في الراس ١٤ من الكتاب ١ من تاريخ الرهبنة المذكورة) ثم ان مخلصنا يسوع المسيح نفسهُ قد اوحى للقديسة فارونيكا البيناسكية قائلًا لها هكذا „اعلمي يا ابنتي انهُ مقبولٌ لديَّ جدًا ذرف الدموع من عبيدي حين تاملهم بآلامي. ولكنني لاجل حبي والدتي حبًا لا حدَّ لهُ. فاكثر قبولًا لديَّ هو التامل في احزانها واوجاعها التي هي احتملتها حين

موتي. من التذكر بآلامي انا عينها " (كما يوجد مدونًا في مجموع البولانديستي تحت اليوم الثالث عشر من كانون الثاني) ✡

ومن ثمّ عظيمة هي النعم والمواهب الموعود بها من فادينا يسوع. لاولئك الذين يتاملون متواترًا في اوجاع والدته. محسنين العبادة نحو هذا الموضوع * فقد كتب العلّامة بالبارتوس بانهُ أُوحي الى القديسة اليصابات الراهبة. بان القديس يوحنا الانجيلي بعد ان كانت الطوباوية مريم البتول صعدت الى السما. قد كانت اشواقهُ متقدةً لان يشاهدها مرةً ما. فهذه النعمة قد أُعطيت لهُ. وهكذا قد ظهرت لهُ هذي الام المحبوبة منهُ حبًا عظيمًا. وقد ظهر صحبتها يسوع المسيح ايضًا. وقد فهم هذا القديس ان المجيدة مريم البتول كانت تطلب من ابنها نعمًا ما خصوصيةً للمتعبدين لآلامها واوجاعها. وانهُ تعالى قد وعدها بان يهبهم اربع نعمًا خاصةً متقدمةً. فالاولى هي ان من يستغيث بهذه الام الالهية باستحقاقات اوجاعها. فقبل موته يكتسب نعمةً ان يصنع التوبة الحقيقية على جميع خطاياه. والثانية هي انهُ عزّ وجلّ يحفظ هولاء العابدين في حين شدائدهم وتجاريبهم التي تلمّ بهم. لا سيما في ساعة الموت. والثالثة هي انهُ يرسم في قلوبهم مطبوعةً تذكرة آلامه وتُعدّ لهم المكافاة الغنية في السماء. والرابعة هي انهُ تعالى يضع هولاء العباد في يد مريم عينها لكي تتصرف هي بهم حسبما تشاء وتريد. وان تستمدّ لهم كل النعم التي ترغبها لهم. واثباتًا لذلك فلنلاحظ في النموذج الاتي ذكرهُ كم تفيد للخلاص الابدي العبادة نحو البتول المتالمة ✡

✡ نموذج ✡

انهُ يوجد مدونًا في الراس ٩٧ من الكتاب ٦ من سيرة حيوة القديسة بريجيتا. انهُ كان رجلٌ وكان بمقدار ما وجد اصلهُ شريفًا ومولدهُ ذا نسبٍ منيفٍ. فبمقدار ذلك كان هو شريرًا ردي السيرة. حتى انهُ اتصل الى ان يسلّم ذاتهُ باشتراطٍ واضحٍ اسيرًا للشيطان. وقد خدمهُ في هذه العبودية مدة ستين سنة باتصالٍ. عائشًا بسيرةٍ يمكن لكل احدٍ بسهولةٍ ان يتصور كم كانت ردائتها. بعيدًا على الدوام عن اقتبال الاسرار المقدسة * فهذا الامير قد دنا اخيرًا من الموت. ولكن لكي يستعمل معهُ الله رحمتهُ الغير المتناهية

قد امر تعالى القديسة بريجيتا بان تقول لمعلم اعترافها ان يمضي فيزور هذا الامير في بيته. وان يحرضهُ ناصحًا على الاعتراف بخطاياه. فالكاهن المشار اليهِ ذهب عند الامير وتمم واجبات رسالته. الّا ان الامير اجابهُ بانهُ لم يكن هو محتاجًا الى اعترافٍ. لانهُ كان يعترف متواترًا. فذهب اليه معلم الاعتراف مرةً ثانيةً. ولكن من دون فائدةٍ. لان ذاك التعيس اسير الجحيم استمرّ مصرًّا على عدم ارادتهِ ان يعترف. فمخلصنا اوحى للقديسة بريجيتا جديدًا آمرًا بان يمضي الكاهن اليه مرةً اخرى * فذهب عندهُ خادم الله المرة الثالثة واخبرهُ بما اوحى بهِ تعالى للبارّة بريجيتا. وبانهُ لاجل هذه الغاية هو حضر اليه ثلث مراتٍ. لان الرب هكذا كان امرهُ مريداً ان يستعمل معهُ رحمتهُ الالهية * فلما سمع المريض هذا القول قد تخشع وبداء يبكي. ولكنهُ صرخ هاتفًا „كيف يمكن ان تُغفَر لي خطاياي بعد اني خدمت الشيطان مدة ستين سنةً اسيرًا لهُ. وحمّلت نفسي اوساقًا عظيمة من الخطايا والاثام القبيحة ” فاجابهُ الاب المرشد مشجعًا اياه بقوله „ لا ترتَب يا ابني. فان كنتَ انت تندم على هذه الخطايا كلها تائبًا. فانا من قِبل الله اعدك بغفرانها ”. فحينئذٍ ابتداء المريض ان يثق بالله وقال للكاهن „ يا ابتي اذ كنت اعتد ذاتي هالكًا بالكلية ومن ثمَّ قطعت رجائي من الخلاص. ولكنّي الان انا اشعر بالندامة على خطاياي. وهذا يشجعني على ان ارجو غفرانها من الله. فمن حيث انهُ عزَّ وجلَّ لم يهملني بعدُ. فانا اريد ان اعترف بمآثمي ”. وبالحقيقة انهُ في ذلك اليوم اعترف اربع مراتٍ بخشوعٍ وتوجعٍ حقيقيٍ على خطاياه. وبعد هذا تناول القربان الاقدس. وفي اليوم السادس مات بعلامات الندامة الصادقة وحسن التسليم للارادة الالهية ميتةً صالحةً * فبعد موته قد اوحى مخلصنا للقديسة بريجيتا مخبرًا اياها بان ذاك الخاطي فاز بالخلاص الابدي. ولكنهُ بعدُ لم يزل في المطهر. وان خلاصهُ قد تم بواسطة شفاعة والدته المجيدة مريم البتول. لاجل ان ذاك الامير ولئن كان عائشًا بسيرةٍ هذا عظم شرها. فمع ذلك قد حفظ عبادتهُ نحو اوجاع هذي السيدة. وكان يتذكرها بتوجعٍ ويتاملها بغمٍ وحزنٍ *

✩ صلوةٌ ✩

يا سلطانة الشهداء امي المحزونة بل سلطانة الاوجاع. فانتِ قد بكيتِ بهذا المقدار على ابنكِ الذي مات لاجل خلاصي. ولكن ماذا تفيدني دموعكِ ان كنت انا امضي هالكًا. فباستحقاقات احزانكِ واوجاعكِ اذا استمدي لي توجعًا حقيقيًا على خطاياي. واصلاحًا كاملًا لسيرتي. مع انعطافٍ دائمٍ وتوجعٍ متصلٍ. بتذكري الام ابنكِ يسوع المسيح واحزانكِ. ومن حيث ان ابنكِ الذي هو البرارة بالذات. وانتِ البرية من كل زلةٍ قد احتملتما الامًا هكذا عظيمةً من اجلي. فامنحاني انا المذنب المستحق جهنم ان اتالم انا ايضًا محتملًا شيئًا ما من اجلكما وحبًّا بكما „فيا ايتها السيدة (اني اقول نحوكِ ما قالهُ القديس بوناونتورا) ان كنت انا اغظتكِ فاجرحي بالعدل قلبي. وان كنت انا خدمتكِ فاطلب الان المكافاة بان تعطنيهُ. لانهُ شيءٌ مرذولٌ مكروهٌ هو ان يُشاهد يسوع مجروحًا وانتِ مجروحةً معهُ. وانا ابقى سالمًا من الجراحات." واخيرًا اتوسل اليكِ يا امي بحق الحزن والالام التي تكبدتيها عند مشاهدتكِ ابنكِ فيما بين عذاباتٍ هكذا قاسية. محنيًا راسهُ ومائتًا على الصليب. ان تستمدي لي ميتةً صالحةً. فلا تهملي حينئذٍ يا شفيعة الخطاة نفسي المحزونة والمتضايقة في وقت ذاك الرحيل من الدنيا. خاليةً من معونتكِ في حين انطلاقها نحو الابدية. ومن حيث انهُ يمكن ان يحدث لي وقتئذٍ ان افقد الصوت والتكلم. ولا اعود استطيع ان استغيث بفمي باسم ابنكِ الحبيب وباسمكِ. مع انهُ هو تعالى وانتِ ايضًا كلاكما رجاءي الوحيد. فلهذا منذ الساعة الحاضرة انا استغيث باسمهِ عزَّ وجلَّ وباسمكِ. بان تعيناني في تلك الساعة الضيقة. وهكذا اقول „يا يسوع ويا مريم انني استودعكما نفسي مسلمًا" ✩

✩ تنبيهٌ ✩

اننا اذ كنا في الفصل الاول المنتهي تكلمنا عن اوجاع مريم البتول واحزانها بوجه العموم. فالان لزم ان نتكلم عن كلٍ من احزانها السبعة بوجه الخصوص. في السبعة الفصول الاتية ✩

الفصل الثاني

* في موضوع حزن مريم العذراء الاول الصادر عن نبوة * * القديس سمعان الشيخ . التي سبق هو واخبرها بها *

ان كلًّا من البشر يولد لكي يبكي في وادي الدموع هذا . وكلًّا منهم يعيش ملتزمًا بان يحتمل الشدائد والاحزان التي تداهمهُ على نوعٍ ما كل يومٍ . ولكن ترى كم لكانت حيوة الانسان اشدَّ مرارةً واوفر حزنًا . لو امكنهُ ان يعرف حقيقة تلك الشرور والشدائد المقبلة العتيدة ان تلمَّ بهِ * فيقول سينكا الفيلسوف (في رسالته ٩٨) „انهُ لتعيسٌ في الغاية هو ذاك الانسان الذي يقدر ان يعلم بتاكيدٍ الشرور المزمعة ان تحيق بهِ في ايام حياته الاتية." وحقًا ان الرب يصنع معنا رحمةً عظيمةً في انهُ لا يظهر لنا ما هي الصلبان العتيدون نحن ان نحملها . حتى اذا كان يلزمنا ان نتالم بها . فلا يدركنا التوجع الّا مرةً واحدةً حين حلول الشدة فقط * غير ان الله لم يستعمل هذه الملاحظة الرؤوفة مع مريم البتول التي (لانهُ عزَّ وجلَّ كان يريد ان يجعلها سلطانة الاوجاع . وان تكون شبيهةً بابنها في كل الاشياء) قد حصلت على معرفة الالام التي كانت عتيدةً هي ان تتالم بها . وهكذا وُجدت على الدوام مشاهدةً اياها امام عينيها . ومتالمةً من دون انقطاعٍ بملاحظتها العذابات كلها . التي كان مزمعًا ابنها الحبيب يسوع ان يحتملها ويموت بها على خشبة الصليب * على ان القديس سمعان الشيخ حينما اقتبل من هذي الام الالهية على ساعديهِ طفلها يسوع . سبق واخبرها بالاضطهادات والمضادات العتيدة ان تلمَّ بهِ بقوله لها „ها هوذا هذا موضوعٌ لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تخالفٍ ." وانهُ من هذا القبيل عتيدٌ ان ينطعن قلبها بسيف الاحزان قائلًا „وانتِ سيجوز سيفٌ في نفسكِ لتظهر افكارٌ من قلوب كثيرين" (لوقا ص ٢ ع ٣٤) *

فالبتول والدة الاله عينها اوحت للقديسة ماتيلده قائلةً لها „ انها حالما سمعت من البار سمعان هذا التنبيه. قد انقلبت فيها المسرات كلها الى الحزن والتوجع ” لانهُ. كما أوحي للقديسة تريزيا ايضًا „ ولئن كانت هذه الام الالهية عارفةً حسنًا من ذي قبل بالقربان الذي كان يلزمها ان تقدم بهِ ابنها ذبيحة لله ابيه. من اجل خلاص العالم. فمع ذلك قد عرفت من كلمات البار سمعان باكثر ايضاحٍ. وبوجه الخصوص كيفية الالام الشديدة. والميتة الكلية القساوة التي كانت تنتظر ابنها الحبيب. وفهمت جيدًا كيف ان المقاومات والاضطهادات من كل ناحيةٍ كانت عتيدةً ان تقوم ضدهُ. كما قد تمَّ „ لانهُ تعالى قد أهين نظرًا الى تعاليمهِ كانهُ مجدف“. لاجل قوله عن نفسه انهُ ابن الله. كما صرخ قيافا المنافق قائلًا „ انهُ قد جدف ما حاجتنا الى شهودٍ ” وهكذا حكموا بانه مستوجب الموت (متى ص ٢٦ ع ٦٥) وقد أفتري على كرامته واعتبارهِ. لانهُ قد كان هو شريف المولد من اصلٍ ملوكي. فاحتقر كفلاحٍ وقيل عنهُ „ اليس هذا هو ابن النجار ” (متى ص ١٣ ع ٥٥) وقد عومل كجاهل العلوم مع انه هو الحكمة بالذات. وقيل عنهُ „ كيف يحسن هذا الكتب ولم يتعلم ” (يوحنا ص ٧ ع ١٥) وأهين كنبي كذاب. لانهم غطوا وجههُ ولطموهُ قائلين „ تنبا لنا مَن هو الذي لطمك ” (لوقا ص ٢٢ ع ٦٤) وقد عومل كمجنون اذ قالوا عنهُ „ ان بهِ شيطانًا وقد جنَّ فما استماعكم لهُ ” (يوحنا ص ١٠ ع ٢٠) وقد أحتسب كسكري وحنجراني وخليل الاشرار كما كُتب „ جاء ابن البشر ياكل ويشرب فقلتم هذا انسانٌ اكولٌ شروب الخمر محب العشارين والخطاة ” (لوقا ص ٧ ع ٣٤) وقد قُرِّف كساحري اراطيقيٍ وكساحر بقولهم „ انهُ باركون الشياطين يخرج الشياطين ” (متى ص ٩ ع ٣٤) وكمعترى من الشيطان بقولهم لهُ أَلسنا نقول حسنًا انك سامريٌّ وبك شيطان ” (يوحنا ص ٨ ع ٤٨) وبالاجمال قد عُومل كرجلٍ شريرٍ مفضوح الصيت حتى انهُ لم يكن لازمًا للحكم عليه بالموت ان يقام عليه فحصٌ. كما قال اليهود لبيلاطس „ انهُ لولا يكون هذا فاعل ردي لما كنا اسلمناه اليك ” (يوحنا ص ١٨ ع ٣٠) وقد قُهرت نفسهُ من قبيل انهُ توسل الى ابيه الازلي بقوله „ يا ابتاه ان كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكاس الّا اشربها ” (متى ص ٢٦ ع ٣٩) ولم يقبل الاب توسلهُ هذا. لانهُ اراد ان

عدلهُ الالهي يستوفي ما يخصهُ. بل اهملهُ لمفاعيل الحزن والاكتئاب. ولتاثيرات الخوف والقلق. حتى انهُ من شدة آلامه الباطنة وحزنه القلبي العظيم وجزعه قال „ان نفسي هي حزينة حتى الموت" (متى ص ٢٦ ع ٣٨) وبلغ بهِ حدهُ هذا التالم الباطن حتى اتصل الى ان عرق دماً * واخيرًا قد اضطهد وعُذّب في جسدهِ كلهِ عضوًا فعضوًا من جميع اعضاء جسمهِ المقدسة. لا سيما في راسه ووجههِ ويديهِ ورجليهِ. حتى انهُ مات من شدة هذه العذابات موت الخزي والعار على خشبة الصليب *

فداؤد الملك وهو فيما بين تنعمات المجد الملوكي كلها. والعظمات والكرامات التي بلغ اليها. قد استوعب حزنًا وقلقًا. ولم يعد يجد راحةً ولا سلامًا ولا تعزيةً. عندما اخبرهُ النبي ناتان بان ابنهُ كان عتيدًا ان يموت بقولهِ لهُ „فالابن الذي ولد لك موتًا يموت" (ملوك ثاني ص ١٢ ع ١٤) ومن ثمَّ اخذ يبكي ويصوم وينام على الارض لربما ان الله يعفي لهُ عن هذا الابن * امّا مريم البتول فبكل هدوءٍ وسلامٍ اقتبلت خبرية الميتة التي ابنها الحبيب كان مزمعًا ان يتكبدها. وبذاك الروح السلامي الهادي عاشت محتملةً مرائر هذه الحكومة. ولكن اية آلامٍ باطنةٍ شديدةٍ قد تعذبت بها جوارح قلبها على الدوام من هذا القبيل. عندما كانت تنظر بعينيها ذاك الابن المحبوب في الغاية. وتسمع باذنيها كلمات الحيوة التي كانت تخرج من فيهِ. وتلاحظ صفاتهُ الجليلة وفضائلهُ السامية وتصرفاته المملوة قداسةً * فاب الاباء ابراهيم قد تكبد مرارة الحزن في مدة تلك الثلثة الايام. التي بها بعد ان أمر من الله بان يذبح ابنهُ اسحاق قربانًا لهُ تعالى كان سائرًا بهِ الى الجبل المكان المعين لهذه الذبيحة. ولكن اواه ان مريم قد تكبدت مرائر الحزن على ابنها لا مدة ثلثة ايامٍ نظير ابراهيم. بل مدة ثلثة وثلثين سنةً. الّا انى ماذا اقول نظير ابراهيم والحال ان اوجاعها وآلامها قد كانت اعظم من حزنه بمقدار ما ان ابنها الالهي هو موضوع الحب اكثر من ابن ابراهيم. فهذي الام الالهية عينها قد اوحت الى القديسة بريجيتا قائلةً „ انني حينما كنت عائشةً على الارض. ما كنت استمر مدة ساعةٍ واحدٍ بها لم يكن هذا الحزن والاوجاع الشديدة تطعن قلبي. لاني حينما كنت انظر ابني. او احلهُ من اللفائف وارجع فاقمطهُ. او اشاهد يديه ورجليه. فحينئذٍ كانت

تمتلئ نفسي اوجاعاً كانها جديدة. وتكرّر في جوارحي رشق سهام الالام. لاني كنت اتصور في عقلي باي نوعٍ هو كان يلزمهُ ان يُصلَب" امّا الانبا روبارتوس. فانهُ كان يتامل في والدة الاله حاملةً علي ذراعيها ابنها الحبيب مرضعةً اياه. فكان يقول عن لسانها كلمات نشيد الانشاد وهي „اذ الملك في مضجعه الناردين الذي لي افاح نسيم طيبه. رباط مُرّ حبيبي هو لي يستوطن فيما بين ثدييّ" (ص ١ ع ١١ و ١٢) ثم يجعلها ان تخاطب ابنها هكذا „ اواه يا ولدي انني اضمك الى صدري فيما بين ذراعيّ. لانك محبوبٌ مني في الغاية القصوى. ولكن بمقدارٍ ما انت لديّ عزيزٌ علي هذه الصورة فباكثر من ذلك انت تضحى لديّ كرباط مُرٍّ. اي كحزمة المرائر والاوجاع كلها. عند تفكري في الآمك العتيدة". ويقول القديس برنردينوس „ان مريم البتول كانت عند مشاهدتها طفلها الالهي تتأمل في ان قوة القديسين وبرجهم الحصين كان يلزمهُ ان يحصل منازعاً مدنفًا علي الموت. وان جمال الفردوس السماوي ونعيمه كان عتيداً ان يُنظَر لا جمالَ لهُ ولا صورة. بل نشاهَد صورتهُ مهانةً. وان سيد العالم ورب الكائنات كان مزمعاً ان يُربَط مقيداً كمجرمٍ. وان خالق البرايا باسرها كان عتيداً ان يُلطَم ويُجلَد. وان قاضي القضاة وديان العالمين كان مزمعاً ان يُحاكَم ويُقضَى عليه بالموت. وان مجد السماوات وزينتها كان عتيداً ان يُحتَقر ويُهان. وان سلطان السلاطين وملك الملوك كان مزمعاً ان يُكلَّل باكليلٍ من شوكٍ. وان يُعامَل بالاستهزاء كانهُ ملكٌ للسخرية" ✿

ثم ان الاب انجالغرافه يبرهن في انهُ قد أُوحي الى القديسة بريجيتا عينها. بان العذراء المجيدة المملوة حزنًا اذ كانت تعلم جيدًا كم كان عتيدًا ابنها يسوع ان يحتمل في آلامهِ. فكل مرةٍ كانت هي تلبسهُ قميصهُ. كانت تتذكر بانهُ يومًا ما كان مزمعًا ان يُنزَع عنهُ هذا القميص ليُسمَّر هو على الصليب عاريًا. وعند مشاهدتها يديه ورجليه المقدسة كانت تتصور في عقلها المسامير المعدة لثقب تلك اليدين والرجلين. ومن ثمَّ قالت هذه الام الالهية للقديسة المذكورة „انني في الاوقات المشار اليها كنت اذرف الدموع من عينيّ بغزارةٍ. وكان قلبي يستوعب من الاوجاع والاحزان الشديدة" ✿

فالانجيل المقدس يقول عن مخلصنا „ان يسوع كان ينشؤ في الحكمة والقامة

والنعمة عند الله والناس" (لوقا ص ٢ ع ٥٢) اي ان هذا الفتى الالهي كان ينشؤ في الحكمة والنعمة عند الناس نظرًا الى رأيهم بهِ وظنهم فيهِ. واما عند الله (حيث انهُ كما يفسر ذلك القديس توما اللاهوتي بقولهِ) ان اعمالهُ كلها لكانت وُجدت ذات استحقاقٍ ينمو متزايداً. وذات ثمنٍ تتضاعف قيمتهُ. لولا يكون منذ الابتداء حصل مستوعبًا من ملء النعمة الكاملة. لعلة اتحادهِ الاقنومي الذي بهِ تقتمّ ناسوتهُ باقنوم لاهوتهِ. فاذًا ان كان يسوع وُجد في اعين الناس ينشؤ اعتبارهُ وتنمو كرامتهُ. ويتزايد حبهُ منهم حسب مشاهدتهم اياه. فكم باعظم من ذلك كان ينمو اعتبارهُ وحبهُ عند والدته المجيدة * ولكن اواه. انهُ بمقدار ما كان يتكاثر حبها نحوهُ واعتبارها اياهُ. قد كان ينمو اضعافًا حزنها وتوجعها. من حيث انها كانت مزمعة ان تفقدهُ بميتةٍ موعبةٍ من اشدّ العذابات. وبمقدار ما كان يقرب زمن تلك الالام والموت. فباكثر من ذلك كان سيف الحزن السابق الموعز عنهُ من سمعان الشيخ. يجوز طاعنًا قلب هذه الام المغرمة بحب ابنها. ويجدّد فيها الاوجاع باوفر مرارةٍ. حسبما اوحى ملاك الرب للقديسة بريجيتا قائلاً "انهُ بحسبما كان يدنو زمان آلام يسوع المسيح مقتربًا. فبحسبه كان يزداد وجع امه العذراء مرارةً واحزانها شدةً" *

فان كان اذًا يسوع الذي هو ملكنا وامهُ الكلية القداسة. لم يرفضا ان يتألما حبًا بنا مدة حياتهما كلها على الارض. ويتكبدا توجعًا وتعذيبًا هذه صفة مرارتهما. فليس بالصواب نحن نشكو متمرمرين ان كنا نتكبد شدةً ما وقتية * فيومًا ما ظهر في الرؤيا فادينا يسوع المسيح للراهبة مادلينا التي من قانون القديس عبد الاحد. في الوقت الذي فيه هذه البارّة كانت منذ زمنٍ مديدٍ متكبدةً آلام الشدة. وقد شجعها عزّ وجلّ على ان تستمر هي معهُ على الصليب محتملةً ذلك التوجع الذي كان يعذبها. فهذه الراهبة عند ذلك تشكت لديهِ تعالى قائلةً "يا سيدي انت احتملت الالام على الصليب مدة ثلث ساعاتٍ فقط. واما انا فمنذ عدةٍ من السنين اذوق الوجع متألمةً بهذا الصليب" فحينئذٍ اجابها فادينا قائلاً "مهلاً يا جاهلة ماذا تقولين. فانا منذ الدقيقة الاولى من الحبل بي قد تكبدت في قلبي باتصالٍ الالام التي الّمتُ بها في جسدي حين موتي على خشبة الصليب"

فاذًا عند ما نحن ايضًا نحتمل شدةً ويتفق لنا ان نشكو من جراها . فلنتصور بعقولنا ان يسوع المسيح ووالدته الكلية القداسة يقولان لنا الكلمات المقدم ذكرها ✿

✿ نموذج ✿

ان الاب روفيليونه اليسوعي كتب (في الراس ٤ من القسم ٣ من كتابه الملقب بباقة الورد) مخبرًا عن احد الشبان بانهُ كان من عادته ان يزور بعبادةٍ يوميًا احدى ايقونات والدة الاله . التي كانت مصورةً تحت صفة احزانها . مطعونةً في قلبها بسبعة سهامٍ * فليلةً ما هذا الشاب سقط بتعاسةٍ بفعل خطيةٍ مميتة . ففي الصباح المقبل اذ مضى هو ليزور الايقونة المشار اليها . فقد شاهد السهام في قلب العذراء المجيدة لا سبعةً فقط بل ثمانيةً . فحينما هو انذهل من ذلك وكان يتأمل ليعرف السبب . واذا بصوتٍ يقول لهُ . ان خطيتهُ التي ارتكبها هو في تلك الليلة هي التي سببت السهم الثامن لقلب والدة الاله . فمن ثمَّ قد تخشع الشاب وندم متأسفًا على ذنبهِ . وحالاً ذهب الى منبر الذمة فاعترف بخطاياه . وهكذا بصلوات شفيعته الرحيمة اكتسب جديدًا النعمة المفقودة منهُ بالاثم ✿

✿ صلوة ✿

اواه يا امي المباركة انهُ لا سهمٌ واحدٌ فقط اذًا بل سهامٌ كثيرةٌ بعدد كثرة خطاياي قد أضيفت الى قلبكِ على سبعة سهام احزانكِ الاصلية . فليس لكِ ايتها السيدة البارّة البرية من كل ذنبٍ . بل لي انا الاثيم تحق الالام والعذابات الواجبة لكثرة ذنوبي ومآثمي . ولكن من حيث انكِ قد اردتِ اختياريًا ان تحتملي هذا المقدار من التألم لاجلي . فاستمدي لي باستحقاقاتكِ توجعًا شديدًا على خطاياي . وصبرًا جميلاً بهِ احتمل شدائد هذه الحيوة ومصائبها . التي هي دائمًا اخف جدًا ممَّا كنت استحق انا الذي مراتٍ عديدةً قد استحققت الهلاك في جهنم الى ابد الابدين ✿

الفصل الثالث

✿ في الموضوع الثاني لحزن مريم البتول وهو هربها ✿ ✿ بطفلها الالهي يسوع الى مدينة مصر ✿

فكما ان الغزالة المرشوقة من الصياد بسهمٍ نافذٍ في جسمها. فالى اينما هربت في الجبال والبراري يوجد بصحبتها السهم المرمية بهِ. فهكذا الام الالهية مريم العذراء بعد النبوة التي تنبأ بها عليها سمعان الشيخ. ومن قبلها رُشقت بالسهم المحزن الذي هو سيف الالام في قلبها. حسبما لاحظنا في الفصل السابق. فقد اصحبت معها على الدوام هذا السيف الجارح. بتفكرها اينما مضت بآلام ابنها الحبيب العتيدة * فالعلاَّمة هايلغرينوس في تفسيره كلمات سفر النشيد وهي „ ان رأسكِ كجبل الكرمل وشعر رأسكِ كبرفير الملك مربوط في ضفائرهِ " (ص ٧ ع ٥) يقول „ ان شعر راس مريم البتول هذا المربوط. انما هو افكارها وتصوراتها المتصلة بآلام ابنها يسوع التي كانت على الدوام تحضر بازاء عينيها الدم (المعبَّر عنه بالبرفير الاحمر اللون) الذي يوماً ما كان عتيداً ان يجري من جرحاتهِ تعالى " فمن ثمَّ ان هذا الابن الالهي عينهُ قد كان لوالدتهِ نظير السهم في قلبها الذي بمقدار ما كان ينمو فيهِ الحب نحوهُ. فباكثر من ذلك كان يتجرح بالوجع والحزن على كونها مزمعةً ان تفقدهُ بميتةٍ شديدة العذابات * فلنأتِ الان الى التأمل بسيف الحزن الثاني الذي جرح قلب هذه السيدة من قبل الاضطهاد الذي حركهُ ضد ابنها هيرودس الملك. ومن جرائهِ التزمت هي بالهرب بهِ الى مصر ✿

فهيرودس عندما سمع ان المسيح المُنتظَر اتيانهُ الى العالم قد كان وُلد. فاستحوذ عليه الخوف بحماقةٍ من ان هذا المسيح كان عتيداً ان يأخذ منهُ المملكة. فلهذا اذ يوبخ القديس فولجانسيوس حماقة هيرودس يقول نحوهُ هكذا „ ان الملك الذي قد وُلد في بيت لحم لم يأتِ ليترأس ويملك

بواسطة الاسلحة والمعركات. بل انه بنوع مذهل عجيب اتى ليخضع الكل لهُ بواسطة موته عنهم". فاذًا هيرودس كان ينتظر رجوع ملوك الفرس المجوس القديسين اليهِ. ليفهم منهم اين وُلد المسيح. وهكذا يمكنهُ بزعمه ان يبيد حياتهُ ولكن اذ خاب املهُ منهم. اي لما رأى سخرية المجوس بهِ غضب جدًّا وامر بقتل كل صبيان بيت لحم وكل تخومها من ابن سنتين فما دون. فلاجل ذلك تراءى ملاك الرب للقديس يوسف في الحلم قائلاً „قم فخذ الصبي وامهُ واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك. فان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكهُ" (متى ص ٢ ع ١٣) فحسب رأي العلاَّمة جرسون يُورد ان القديس يوسف حالما سمع من الملاك هذه الكلمات. اخبر بها مريم العذراء من دون توقفٍ. وهي قامت معهُ في تلك الليلة عينها آخذةً طفلها الحبيب على ذراعيها. وهربوا كافةً في الليلة نفسها. كما يبان من كلمات الانجيل التابعة وهي „فقام يوسف واخذ الصبي وامهُ ليلاً وذهب الى مصر" (متى ص ٢ ع ١٤) فالطوباوي البارتوس الكبير يلاحظ كانَّ مريم حينئذٍ هتفت صارخةً „اواه يا ربي أَهل انهُ يلتزم اذًا بان يهرب من البشر ذاك الذي اتى لخلاص البشر". ووقتئذٍ عرفت هذه السيدة ان نبوة سمعان الشيخ قد ابتدأت ان تتحقق بالعملية نظرًا الى ابنها اي قوله „ها هوذا هذا موضوعٌ لعلامة تخالفٍ". لانها رأَت انهُ حالما وُلد ابنها قد تحرك التخالف والاضطهاد ضدهُ وكان يُطلَب ليُمات * فيقول القديس يوحنا فم الذهب „ترى كم كان اليمًا الحزن والتوجع اللذان الَّما بقلب هذي الام الالهية. عندما سمعت التنبيه بالتزامها بالذهاب هي وابنها الى هذا المنفى القاسي. وذلك حينما قيل لها. اهربي من عند اقربائكِ ومعارفكِ الى بلاد الغرباء ومن هيكل اورشليم الى معابد الاصنام والشياطين. فاية شدةٍ ومصيبةٍ اعظم من هذي. وهي ان طفلاً مولودًا منذ زمنٍ وجيز متعلقًا بعنق والدتهِ. يلتزم بالهرب مع امهِ نفسها الفقيرة المعوزة من كل شيءٍ" *

ثم ان كل احدٍ يمكنهُ بسهولةٍ ان يتصور بعقله كم تكبدت مريم العذراء من المشقات في سفرٍ هكذا عسرٍ. فمسافة الطريق من اليهودية الى مصر هي شاسعةٌ بالكفاية. لان الخبيرين بها عمومًا مع الرجل الشهير بيرادا يرتأُون بان هذه المسافة هي اربعمائة ميلٍ. ولذلك يبان ان هذه العيلة المقدسة

استمرت نحو ثلثين يوماً معانيةً هذا السفر * ثم ان الطريق كانت . حسبما يكتب عنها القديس بوناونتورا . وعرةً متعبةً مملوةً من الصعوبات . غير مُستعملة الّا من القليلين . مجهولة المسلك ذات احراشٍ في بعض اجزائها . مهملةً من الناس . وقد كان زمن هذا السفر في فصل الشتا وبالتالي اشدَّ صعوبةً . ولا بدّ من ان تكون صادفتهم الامطار والبرد . وربما الثلج مع الاهوية . وتعكيس الطريق والوحل . ولم يكن وقتئذٍ عمر البتول المجيدة اكثر من خمس عشرة سنةً . فتاة لطيفة الجسم غير معتادة على اسفارٍ ومشقاتٍ واتعابٍ واضاعاتٍ هذه صفتها . ولم تكن معها امرأةٌ تخدمها او تساعدها . كما يقول القديس بطرس الذهبي النطق „ بان هذه السيدة مع القديس يوسف قد صنعا هذا السفر خلوًا من خادمٍ او جاريةٍ بل هما كانا السيد والسيدة . والخادم والخادمة ". فيا لهُ من منظرٍ محزنٍ ان تُشاهَد هذه الفتاة البتول الغضة الجسم . مع طفلها الالهي المولود منذ زمنٍ وجيزٍ . محمولاً على ذراعيها هاربةً بهِ في هذا القفر * فالقديس بوناونتورا يسأل كمستفهمٍ بقولهِ „ ماذا كانوا يأكلون في هذه المسافة . واين كانوا يبيتون ليلاً . ومَن هو الذي كان ياويهم ". فمن المعلوم انهما كانا يقتاتان . امّا من الخبز اليابس الذي ربما اخذه زوادةً القديس يوسف . وامّا من الخبز الذي كانا في الطريق يحصلانهِ من التسول . واين كانا يبيتان مع الطفل الحبيب في سفرٍ هذه حالةُ (لاسيما في مسافة المائتين ميلٍ في القفر القريب من مصر الخالي من البيوت ومن المنازل . كما يخبر الانام المختبرون الحقيقة) الّا تحت الجو على الرمل . او في ستر بعض الاشجار البرية . مُخضَعين لانفعالات هوائية . وتحت خطر مجيء اللصوص عليهم . ام هجوم بعض الوحوش المفترسة المتكاثرة في اراضي مصر * اواه ان من كان يشاهد هولاء الثلثة الاشخاص الذين هم اعظم ما يوجد في العالم . فترى ماذا كان يعتدهم في تلك الحال سوى ثلثة اشخاص شحاذين تائهين مرذولين *

ثم انهُ على راي بروكاردوس وجانسانيوس . ان والدة الاله مع طفلها وخطيبها قد سكنت بعد وصولها الى بلاد مصر . في ارضٍ تُدعَى ماطوريا . ولئن كان القديس انسلموس يبرهن على انها قطنت في مدينة الشمس ايليوبولي . التي كانت تُسمّى قبلاً مانفي . والان تُدعَى القاهرة * وهنا يلزم

ان يصير التأمل في حال الفقر الكلي الذي بهِ عاشت هذه العيلة المقدسة. مدة السبع السنوات التي استمرت فيها هناك قاطنةً. كما يرتأي القديسان انطونينوس وتوما اللاهوتي وغيرهما * فقد كانوا في تلك البلدة مجهولين من كل احدٍ. لا مدخولَ لهم ولا عندهم مالٌ. خالين من الاقرباء والانسباء هناك. وبالجهد كانوا يقدرون ان يقيتوا ذواتهم بما كانوا يكتسبونهُ باتعاب ايديهم الضنكة بحالٍ فقريةٍ في الغاية * فقد كتب القديس باسيليوس الكبير قائلاً „ انهُ لامرٌ واضحٌ هو ان هذه العيلة المقدسة قد كانوا هناك يحصّلون قوتهم الضروري باعراقهم وكدهم واتعابهم المتصلة „. وقد اضاف الى ذلك العلّامة لاندولفوس الساسوني قولهُ (الامر المعزّي للفقراء) „ ان البتول مريم كانت عائشةً هناك بفقرٍ كلي هذا حدهُ. حتى انهُ بعض الاحيان لم تكن توجد عندها كسرةٌ من الخبز لتعطيها لابنها يسوع حينما كان يطلبها منها مضطراً من شدة جوعهِ „ *

فلما مات هيرودس واذا بملاك الرب ترآى للقديس يوسف في الحلم بمصر قائلاً „ قم فخذ الصبي وامهُ واذهب الى ارض اسرائيل. فقد مات طالبوا نفس الصبي „ (متى ص ٢ ع ١٩) فالقديس بوناونتورا في تكلمهِ عن رجوع هذه العيلة من مصر الى اليهودية. كان يتأمل صعوباتٍ اكثر من سفرهم الاول. وان احزاناً واتعاباً واضاماتٍ اشدّ قد المّت بالبتول المجيدة. وهي تكبدتها بمرارةٍ. على ان الطفل يسوع كان لهُ حينئذٍ من العمر نحو سبع سنواتٍ. وفي هذا السن (يقول القديس المذكور) لاجل كبر جسمهِ لم يعد ساهلاً حملهُ على الذراع. ولانهُ بعدُ حدث جداً في العمر فلم يكن يمكنهُ المشي في سفرٍ كذا مستطيل *

فالتأمل اذاً في ان يسوع ومريم قد وُجدا هكذا غريبين جائلين في الارض كهاربين متسولين. يعلمنا بانهُ يلزمنا نحن ايضاً ان نعيش في العالم كغرباء وعابري الطريق. من دون ان تكون قلوبنا متعلقةً بمحبة خيرات هذي الارض. وبما يتقدمهُ لنا العالم. لانهُ سريعاً يلزمنا ان نترك ههنا كل شيءٍ وننطلق الى الابدية. كما يقول الرسول الالهي „ ان ليس لنا ههنا مدينةٌ ثابتةٌ. لكننا نلتمس العتيدة „ (عبرانيين ص ١٣ ع ١٤) ويضيف الى ذلك القديس اوغوسطينوس قائلاً „ اننا مسافرون غرباء اليوم نُشاهَد ههنا وغداً ننتقل

الى الابدية". ثم ان التأمل المار ذكره يعلّمنا ايضاً ان نعتنق الصلبان. لانهُ لا يمكن ان يعيش احدٌ في هذا العالم من دون صليب. فلاجل هذه الغاية قد أُختطفت بالروح الطوباوية فارونيكا التي من جيناسكو وهي احدى راهبات قانون القديس اوغوسطينوس. لمرافقة هذه العيلة المقدسة في سفرهم الى مصر. فبعد نهاية هذا السفر قالت الام الالهية مريم لهذه البارّة "أرايتِ يا ابنتي بكم من المشقات والاضامات والاتعاب بلغنا الى هذا البلد. فاعلمي الان انهُ ليس احدٌ يفوز بنوال نعمةٍ ما من غير ان يتألم" فمَن يريد اذاً ان يشعر بشدائد هذه الحيوة وبمرائرها اقل اشعاراً. فعليهِ بان يأخذ صحبتهُ يسوع ومريم "قم فخذ الصبي وامهُ" لان مَن يحوي في قلبه هذا الابن الالهي مع امه فتعود اديه الالام كلها خفيفةً بل حلوةً عزيزةً. فلنحببهما اذاً ولنعزِّ الطوباوية مريم بحملنا داخل قلوبنا ابنها هذا الحبيب الذي لم يزل حتى يومنا هذا مضطهداً من البشر بواسطة خطاياهم المتصلة ☆

☆ نموذج ☆

ان البتول الكلية القداسة قد ظهرت يوماً للطوباوية كولاتا الراهبة. التي من قانون القديس فرنسيس مقدمةً امامها صينية كان يوجد عليها الطفل يسوع مهشم الجسم ارباً ارباً. ثم قالت لها "هكذا تعامل الخطاة ابني على الدوام مجددين لهُ الموت ولي الاوجاع. فصلي من اجلهم لكي يرجعوا اليه تعالى بالتوبة". ثم فلتُضَف الى ذلك الرؤيا الاخرى التي حصلت عليها الراهبة يونّا المكرمة. التي هي ايضاً من قانون القديس فرنسيس. فهذه البارّة اذ كانت يوماً اخذةً بالتأمل في حال الاضطهاد المحرّك من هيرودس ضد الطفل يسوع. قد سمعت ضجةً واضطراباً مزعجاً نظير هجوم جنودٍ كثيرين راكضين في اثر انسانٍ ما باسلحتهم. وبعد ذلك شاهدت طفلاً كلي الجمال هارباً من ايديهم عادم التنفس من شدة ركضهِ وخوفهِ. فاقبل نحوها قائلاً لها "يا يونّا خاصتي ساعديني وخبئيني عندكِ. انا يسوع الناصري الهارب من ايدي الخطاة الذين يريدون ان يقتلوني ويضطهدوني نظير هيرودس. فانتِ خلصيني ☆

✿ صلوة ✿

فاذاً بعد ان مات ابنكِ الحبيب يا مريم المجيدة بايدي البشر الذين اضطهدوهُ من حين مولدهِ الى ساعة موتهِ. فالى الان لم يكفّوا عن اضطهادهم اياه بواسطة خطاياهم باتصالٍ. كافرين بالجميل ومجددين لكِ الاحزان اياتها الام المتألمة. اواه ان احد هؤلاء هو انا الشقي. فيا امي الكلية الحلاوة استمدي لي دموعاً غزيرةً لكي ابكي على عدم معروفي ونكراني الجميل لحدٍ كهذا. ثم باستحقاقات الآلام التي تكبدتيها في سفركِ الى مصر ساعديني بمعونتكِ في حال سفري المُمارس مني الان نحو الابدية. حتى يمكنني اخيراً ان آتي الى السماء. كي احب يسوع مخلصي المُضطهَد حباً دائماً في بلدة الطوباويين امين ✿

الفصل الرابع

✿ في الموضوع الثالث لحزن مريم البتول وهو فقدانها ✿ ✿ ابنها الالهي في مدينة اورشليم . حينما كان له ✿ ✿ من العمر اثنتا عشرة سنة ✿

فقد كتب القديس يعقوب الرسول ان كمالنا يتوقف على فضيلة الصبر بقولهِ "يا اخوتي احتسبوا كل فرحٍ اذا سقطتم في محنٍ متلونةٍ. عالمين ان مختبر ايمانكم يفعل صبراً. والصبر فليكن لهُ عملٌ كاملٌ. لتكونوا كاملين وتامين غير ناقصين في شيءٍ" (يعقوب جامعه ص ١ ع ١) فمن حيث ان الله قد اعطانا مريم البتول نموذجاً للكمال. فلزم انهُ يملأُها من التالم ليمكننا ان نتأمل صبرها العظيم ونقتدي بهِ * ففيما بين اعظم الاحزان والاوجاع التي تكبدتها هذه السيدة في مدة حياتها هو التألم الذي الان ناخذ بالتكلم عنهُ. اي حينما اضاعت هي ابنها في هيكل اورشليم * فامرٌ معلومٌ هو ان الانسان الذي يولد من بطن امه اعمى. فيشعر قليلاً بالغم على كونهِ فاقداً

مشاهدة نور النهار. واما ذاك الذي بعد اختباره مشاهدة النور قد فقد بصره. فهذا يتكبد بالحقيقة حزنًا عظيمًا على خسرانه اياه فعلى هذه الصورة ان الانفس التعيسة اللاي هنَّ كفيفات البصر روحيًا من قبل وحل خيرات هذه الارض. وقليلًا عرفنَ الله. فقليلًا ايضًا يحزنهنَّ عدم وجودهنَّ اياه. ولكين بضد ذلك ان مَن يكون استنار ذهنهُ بالضياء السموي. وباستحضاره امام عينيه الخير الاعظم. فاواه كم يحصل عندهُ من الحزن والتألم عندما يرى ذاتهُ عادمًا هذه المشاهدة الكلية اللذة. فلنتأمل الان كم كان لدى مريم البتول قاسيًا هذا السهم. اي سيف الحزن الثالث الذي جرح فوادها حينما فقدت يسوع في مدينة اورشليم مدة ثلثة ايام. بعد انها كانت اعتادت ان تشاهدهُ دائمًا وتتمتع بلذة النظر اليه الذي هو الشهي في الغاية ☆

فالقديس لوقا الانجيلي يخبرنا في العدد الحادي والاربعين وما يتلوهُ من الاصحاح الثاني من بشارته عن هذا الحادث قائلًا „وكانت مريم ويوسف يمضيان في كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح. فلما تمّت ليسوع اثنتا عشرة سنة صعدا الى اورشليم كعادة العيد. فلما كملت الايام ليعودا تخلف عنهم يسوع الصبي في اورشليم. ولم يعلم يوسف وامهُ. وكانا يظنان انهُ مع السائرين في الطريق. فجآءا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمعارف. ولما لم يجداهُ رجعا الى اورشليم يطلبانه. فكان بعد ثلثة ايام وجداه في الهيكل جالسًا في وسط العلماء يسمع منهم ويسألهم. وكان كل من يسمعهُ يبهت من فهمه واجوبته. فلما ابصراهُ بهتا. فقالت لهُ امهُ يا ابني ما هذا الذي صنعتَ بنا هكذا. ها ابوك وانا كنا نطلبك متوجعَين" فلنتأمل اذًا في كم كان شديدًا الحزن والتوجع اللذان اختبرت مفعولهما في ذاتها هذه الام المكتئبة في مدة تلك الثلثة الايام التي فيها كانت تجول في كل موضع مفتشةً على ابنها الحبيب. هاتفةً مع عروسة النشيد „أرايتم مَن احبتهُ نفسي" (نشيد ص ٣ ع ٣) لانها كانت تفحص عنهُ عند كل احد من دون ان تعلم عنهُ خبرًا البتة * اواه بكم من الحزن والندب والغم كانت حاصلة هذه السيدة المتعوبة من الجري هنا وههنا. ومن الفحص والتفتيش على حبيبها ولم تجدهُ. وبكم من التوجع الاعظم والامرّ والاشدّ ممَّا احاق بروبيل بكر يعقوب. عند ما رجع الى الجب ولم يرَ فيه اخاه يوسف.

ومن ثمَّ خزَّق ثيابهُ ومضى الى اخوتهِ قائلاً لهم „ الصبي ليس هو في الجب. وانا الى اين اذهب" (سفر التكوين ص ٣٧ ع ٣٠) فكانت هي تندب ذاتها قائلةً „ ان ابني يسوع هو فاقد ولا اعلم اين هو. ولا عدت اعرف ماذا اصنع لاجدهُ. ولكن الى اين اذهب انا من دون ان يكون معي كنزي". ولهذا كانت هي تبكي في مدة تلك الثلثة الايام مكررةً كلمات النبي والملك داؤد بقولها „ صارت لي دموعي خبزًا النهار والليل اذ قيل لي كل يوم اين هو الهك " (مزمور ٤١ ع ٤) ولهذا كتب بالصواب ڤلبارتوس بقولهِ „ ان هذه الام المحزونة لم تذق لذة الوسن في تلك الثلث الليالي. ولم تعرف ما هو النوم. بل كانت دائمًا تنوح باكيةً وتصلي لله متضرعةً في ان يجعلها ان تجد ابنها الحبيب المفقود منها ". ومرات مترادفةً كانت تكرر نحو هذا الابن هتاف عروسة النشيد قائلةً „ اخبرني يا مَن احبتهُ نفسي اين ترعى اين تضجع في وقت الظهيرة . لكيلا اطوف جائلةً وراء قطعان اصحابك " (نشيد ص ١ ع ٦) فخبرني يا ابني اين انت حتى لا عدت اجول تائهةً في كل مكانٍ اطلبك من دون فائدةٍ " ✿

ثم انهُ وُجد مَن قال ان هذا الحزن الذي تكبدتهُ مريم العذراء ليس فقط يلزم ان يُحصَى في عدد احزانها الشديدة التي هي ذاقت مرارتها في مدة حياتها. بل ايضًا ينبغي ان يُعتبَر انهُ هو الحزن الاعظم والامرّ من سائر احزانها الاخر. وهذا القول ليس هو خاليًا من البراهين وهي اولاً ان هذه الام الالهية في احزانها الاخر كانت حاصلةً على يسوع رفيقًا لها. فاي نعم انها تألمت عند سماعها من سمعان الشيخ في الهيكل نبوتهُ عن سيف الحزن المزمع ان يجوز في نفسها. وكذلك تألمت في هربها الى مصر. ولكن دائمًا كان يسوع معها . واما في هذا الحزن فكانت تتألم بعيدةً عن هذا الابن الحبيب. غير عارفةٍ اين كان موجودًا. هاتفةً بدموعٍ ان نور عينيَّ لم يبقَ معي " (مزمور ٣٧ ع ١١) „ اواه ان حبيبي يسوع نور مقلتي يعيش بعيدًا مني ولا اعلم اين هو " فالمعلم اوريجانوس يقول „ انهُ لاجل شدة الحب الذي بهِ كان قلب هذه الام القديسة مغرمًا بمحبة ابنها. قد تكبدت آلامًا عظيمةً في مدة فقدانها اياهُ . امرّ واشدّ واعظم من الآلام التي تكبدها احد الشهداء مهما كان في حين انفصال نفسهِ من جسدهِ ". فترى كم كانت تظهر

لدى هذي البتول مستطيلةً مدة تلك الثلثة الايام. كانها ثلثة اجيال. مملوةً من المرائر من دون ان يقدر احدٌ ان يعزيها. لانها كانت تهتف مع النبي ارميا قائلةً „ لذلك انا باكيةٌ وعيني تنبع المياه لان المعزّي ابتعد مني" (مراثي ص ١ ع ١٦) وكذلك كانت تكرر كلمات طوبيا البار بقولها „ من اين يكون لي الفرح وانا قاعدة في الظلام وما ابصر ضوء السماء (طوبيا ص ٥ ع ١٢) ☆

ثانياً ان البتول مريم كانت في حصولها بالاحزان الاخر عارفةً اسبابها وغاياتها. اي عمل افتداء الجنس البشري ومراسيم المشيئة الالهية. واما في هذا الحادث فلم تكن تعلم سبب فقدانها ابنها وابتعاده عنها * فيقول المعلم لاسبارجيوس „ ان هذه الام المحزونة كانت حينئذٍ تتوجع بمشاهدتها ان يسوع كان منفصلاً عنها بعيدًا. لاجل ان فضيلة اتضاعها العميق كان يجعلها ان تظن ذاتها غير مستحقةٍ ان توجد بعدُ قريبةً من ابنها لكي تخدمهُ في هذه الارض. وتهتم في حفظ كنزٍ بهذا المقدار فايق على كل ثمنٍ". وربما كانت تفتكر في قلبها قائلةً باطنًا. مَن يعلم ان ذلك حلّ بي من قبيل اني لم اكن لحد الان خدمتهُ تعالى حسنًا وبالنوع المتوجب عليّ. او ربما انهُ اهملني تاركًا اياي لاجل تكاسلٍ ما صدر مني في خدمتهِ * فالمعلم اوريجانوس كتب عنهما اي عن مريم ويوسف „ انهما طلباه لخوفهما من انهُ يكون هو اهملهما". فامرٌ حقيقي هو انهُ لا يوجد للنفس المحبة لله تألمٌ اعظم من الخوف الذي يشتملها من ان تكون اغاظت الله. وهذا السبب الذي من اجلهِ مريم لم تشكُ في حزنٍ ما من احزانها سوى في هذا الحزن الذي بهِ عاتبت ابنها الحبيب بعذوبةٍ بعد ان وجدتهُ قائلةً „ يا ابني ما هذا الذي صنعت بنا هكذا. ها ابوك وانا كنا نطلبك متوجعَين „ (لوقا ص ٢ ع ٤٨) فبهذه الكلمات لم تقصد هي ان توبخ يسوع. كما جدف بعض الاراطقة. بل ارادت هذا الشيء فقط وهو ان تبين لهُ التألم الذي هي تكبدتهُ في ذاتها من قِبل ابتعادهِ عنها. لشدة الحب الذي كانت هي تحبهُ بهِ. ولذلك يقول ديونيسيوس كارتوزيانوس „ ان كلماتها هذه لم تكن ذات تونيبٍ وتوبيخٍ بل ذات معاتبةٍ ناجمةٍ عن عظم الحب" ☆

وبالاجمال ان سيف هذا الحزن قد كان جارحاً مؤلمًا لقلب البتول المجيدة

بمقدارٍ كذا عظيمٍ. حتى ان الطوباوية باذافانوتا اذ كانت يوماً متشوقة لان ترافق هذه الام المحزونة مشتركةً بحزنها هذا الثالث. وملتمسةً بتضرعاتٍ ان تنال منها هذه النعمة. فعندما فازت هي بان تظهر لها والدة الاله جملةً مع طفلها الالهي الفايق في الجمال. وكانت هي اي باذافانوتا متمتعةً بالنظر الى هذا الطفل الكلي جمالهُ فعلى الفور غاب عنها وفقدت النظر اليهِ. فمن ثمَّ شعرت بحزنٍ هكذا فعالٍ حتى انها التجأت الى الام الالهية متوسلةً بزفراتٍ وافرةٍ بالّا تدعها ان تموت من شدة التألم. فالبتول القديسة ظهرت لها ثانيةً بعد ثلثة ايامٍ وقالت لها "اعلمي يا ابنتي ان حزنكِ وتوجع قلبكِ هذا لم يكن سوى شيءٍ طفيفٍ جداً بالنسبة الى ما تألمت انا بهِ حينما ضاع مني ابني" *

فتوجع مريم العذراء هذا يلزم ان يُستخدَم بالوجه الاول نموذج شجاعةٍ وتقويةٍ لجميع الانفس الحاصلة في حال اليبس الروحي. عادماتٍ تلك التعزية واللذة اللتين كنَّ وقتاً ما تمتعنَ بها بعذوبة حضور الرب معهنَّ. فاي نعم ان هولاء الانام يبكون على فقدهم تعزيةً هذه صفتها. ولكن بكاهم يكون بسلام قلبٍ وبهدو ضميرٍ. كما كانت تبكي مريم البتول لبعد ابنها عنها. وعلى هذه الصورة ينبغي لهم ان يتشجعوا ولا يخافوا من انهم بذلك يكونون فقدوا النعمة الالهية * على ان الرب قد اوحى للقديسة تريزيا قائلاً "انهُ لا يمكن لاحدٍ ان يمضي هالكاً من دون ان يعرف علّة هلاكهِ. ولا يدخل على احدٍ الغش او الخداع ما لم يرد هو ان يُغشَّ او يُخدَع". فاذا اتفق ان الرب يغيب من امام عينيَّ احدى الانفس التي تحبهُ تعالى. فليس لاجل ذلك يكون هو عزَّ وجلَّ ابتعد عن قلبها. اذ انهُ جلّت حكمتهُ يختفي بعض الاحيان عن هذه النفس. لكي تفتش هي عليهِ باوفر نشاطٍ وباشدّ حرارةٍ في الحب. لان مَن يريد ان يجد يسوع فيلزمهُ ان يطلبهُ باجتهادٍ. ولكن لا فيما بين تنعمات العالم ومسراتهِ بل فيما بين الصلبان والاماتات. نظير ما طلبتهُ مريم البتول مفتشةً عليهِ. كما قالت لهُ "ها ابوك وانا كنا نطلبك متوجعين" فعلى هذه الصورة يلزمنا ان نطلب يسوع كما كتب المعلم اوريجانوس *

وما عدا ذلك انهُ يلزمنا ان لا نسعى في طلب خيرٍ آخر في هذا العالم

خارجًا عن يسوع. على ان ايوب البار لم يكن تعيسًا حينما فقد في هذي الارض كل ما كان لهُ من المال والموجودات والاولاد والكرامات وصحة الجسم. حتى انهُ اتصل الى ان ينحدر عن كرسيهِ الى مزبلةٍ جالسًا تحت الجو. ولكن من حيث انهُ كان لم يزل حاصلًا على الله معهُ. فكان هو في تلك الحال عينها سعيدًا. ولهذا اذ يتكلم عنهُ القديس اوغوسطينوس فيقول „ ان ايوب قد خسر ما قد كان الله اعطاهُ اياهُ. ولكنهُ في الوقت نفسهِ كان حاصلًا على الله عينهِ معهُ". غير انهنَّ تعيسات" بالحقيقة وشقيات" تلك الانفس اللواتي قد خسرنَ الله بالذات. فان كانت العذراء المجيدة قد بكت مدة ثلثة ايامٍ على ابتعاد يسوع عنها. فبكم من الازمنة المستطيلة يلزم الخطاة ان يبكوا على خسرانهم النعمة الالهية. وعنهم قال الله „ لا انتم شعبي ولا انا لكم" (هوشع ص ١ ع ٩) لان الاثيم يفصل ذاتهُ بالخطية عن الله. كقوله تعالى „ ان اثامكم فرقت بينكم وبين الهكم وخطاياكم اخفت وجههُ عنكم لكيلا يسمع" (اشعيا ص ٥٩ ع ٢) ومن هذا القبيل يصدر انهم اي الخطاة اذا كانوا ممتلكين خيرات الارض كلها. في الوقت الذي هم فيه فاقدون الله. ففيهِ عينهِ تضحى لديهم الاشياء باسرها على الارض ايضًا دخانًا وعذاباتٍ. كما اعترف بذلك سليمان الحكيم بقولهِ „ انني عرفت في جميع الصنائع المصنوعة تحت الشمس. فاذا هي كلها باطلةٌ وعناية الروح". (جامعة ص ١ ع ١٤) „ الا ان المصيبة العظمى لذوي الانفس العمياء. يقول القديس اوغوسطينوس. هي انهم اذا فقدوا بقرةً فانهم يسعون في طلبها غير متغافلين عن التفتيش عليها. وان ضلّت لهم غنمةٌ فلا يتركون من جهدهم جهدًا في الفحص عنها ليجدوها. واذا ضاع لهم بهيمة فلا تحصل لهم راحة ان لم يصادفوها. ولكنهم حينما يخسرون الخير الاعظم الذي الله فيستمرون آكلين شاربين مرتاحين منشرحين". وهكذا لا يفتحون اعينهم الّا في جهنم ✿

✿ نموذج ✿

انهُ يوجد مدونًا في الرسائل السنوية المختصة بالرهبانية اليسوعية. عن شابٍ من بلاد الهند هذا الحادث. وهو انهُ اذ عزم هذا الشاب على ارتكاب خطية مميتة. وبالعزم المذكور اخذ بالخروج من مكان سكناهُ. فسمع صوتًا يقول لهُ

„ قف ثابتًا حيث انت". واذ التفت الى ورائهِ قد شاهد ايقونة والدة الاله المحزونة التي كانت هناك بتمثال مجسم. واذا بها اخرجت من قلبها احد السبعة حراب. وقالت لهُ هكذا „ خذ بيدك عاجلاً مني هذه الحربة. واطعن بها قلبي احرى من انك تجرح قلب ابني بارتكابك هذي الخطية". فحالما سمع الشاب هذه الكلمات انطرح على الارض باكيًا بشهيقٍ نادمًا بتوجعٍ شديدٍ طالبًا من الله ومن البتول القديسة غفران ذنبهِ. وقد نال ذلك ✿

✿ صلوة ✿

ايتها العذراء المباركة لماذا تحزنين بهذا المقدار على ضيعان ابنك. وتطلبينهُ بتوجعٍ هكذا شديدٍ. أفهل لانكِ لم تكوني تعلمين اين كان موجودًا. كلاَّ. بل كنتِ تشعرين بانهُ لم يزل كائنًا في قلبكِ. أما تعرفين انهُ كان يرعى فيها بين السوسن والزنبق. والحال انتِ قلتِ „ ان حبيبي لي وانا لهُ. الذي يرعى في السوسن" (نشيد ص ٢ ع ١٦) فافكاركِ وعواطفكِ هذه كلها هي متواضعةٌ طاهرةٌ نقيةٌ مقدسةٌ. وهي زهور السوسن والزنبق تستدعي عروسكِ الالهي ليسكن فيكِ. اواه يا مريم المجيدة انتِ تطلبين بكل غبةٍ ان تجدي يسوع انتِ التي لا تحبين احدًا غيرهُ فاتركيني ان اطلبهُ انا وغيري من الخطاة الكثير عددهم الذين لا يحبونهُ تعالى. وبواسطة اغاظتهم اياهُ قد فقدوهُ. فيا امي المحبوبة جدًا ان كان ابنكِ لحد الان لاجل ذنبي الخصوصي لم يوجد بعدُ في نفسي. فانتِ اجعليني ان اجدهُ. فانا اعلم جيدًا انهُ عزَّ وجلَّ يوجد عند من يطلبهُ. لانه مكتوب „ ان الرب هو طيبٌ للمتوكلين عليهِ للنفس التي تطلبهُ" (مراثي ارميا ص ٣ ع ٢٥) ولكن انتِ اجعليني ان اطلبهُ بالنوع الذي بهِ يلزمني ان اطلبهُ. لانكِ انتِ هي الباب الذي بواسطتهِ الجميع يجدون يسوع. فاذًا بكِ ارجو ان اجدهُ انا ايضًا من دون ان افقدهُ مرةً اخرى امين ✿



الفصل الخامس

٭ في الموضوع الرابع المختص بحزن والدة الاله. وهو مقابلتها ٭ ٭ ابنها ماضيًا ليموت مصلوبًا على جبل الجلجلة ٭

ان القديس برنردينوس يقول „ انهُ لكي يمكن ان يستحضر موضوع الحزن العظيم الذي شعرت بهِ مريم البتول حين فقدانها ابنها الحبيب بالموت. فيلزم ان يصير التأمل في شدة الحب الذي كان قلب هذه الام العذراء مغرمًا بهِ نحو ابنها". فالامهات كلهنَّ يشعرنَ بالعذابات التي يتالم بها بنوهن كانها عذاباتهن نفسها. ولذلك حينما تضرعت الامرأة الكنعانية الى مخلصنا بان ينقذ ابنتها المعذبة من الشيطان قالت لهُ „ ارحمني يارب يا ابن داؤد فان ابنتي يعذبها الشيطان" (متى ص ١٥ ع ٢٢) ولم تقل لهُ ارحم ابنتي. ولكن ترى اية ام احبت ابنًا لها بمقدار ما احبت مريم ابنها يسوع. فهو تعالى كان ولدها الوحيد. وهي ربتهُ باتعابٍ وانصابٍ ومشقاتٍ فائقة الوصف. وهو ابنٌ موضوعٌ للحب الكلي وشديد الحب نحوها. وفي الوقت الذي فيهِ هو ابنها فغيهِ عينهِ هو الهها. الذي اذ كان انما جاء الى الارض ليشعل لهيب نار الحب المقدس. كما اعلن ذلك هو عينهُ بقولهِ „ اتيت لالقي نارًا على الارض ولا اريد الَّا اضطرامها" (لوقا ص ١٢ ع ٤٩) فترى كم كان لهيب هذه النار التي اضرمها بشدةٍ عظيمةٍ في قلب والدتهِ النقي الفارغ من كل انعطاف نحو الاشياء الارضية ٭ فالبتول المجيدة عينها قالت في الوحي للقديسة بريجيتا „ ان قلبي وقلب ابني بالحب كانا واحدًا". فالحريق الذي اضطرم في لب هذي العذراء المباركة كان مؤلفًا من موضوعات حبها نحوهُ تعالى بحسب كونها لهُ عبدةً وامًا. وبحسب كونهِ لها ابنًا والهًا. وبكلٍ من هذه الموضوعات كان قلبها يلتهب حبًا بهِ. الَّا ان هذا الحريق قد استحال فيها حين آلام ابنها الى بحرٍ زاخرٍ متموجٍ بالاحزان والاوجاع الغير المدركة . ومن ثمَّ كتب القديس برنردينوس قائلًا „ ان اوجاع العالم

باسرهِ واحزانهُ كلها. اذا اجتمعت معاً. فلا يمكنها ان تصور في ذاتها حقيقة الحزن والوجع اللذين تكبدتهما العذراء المجيدة ". وهذا هو امرٌ صادقٌ. لانهُ كما قال القديس لورانسوس يوستينياني „ بمقدار عظمة الانعطاف والحب اللذين بهما تعلق قلب هذه الام الالهية بمحبة هذا الابن فباكثر من ذلك تألمت هي متوجعةً عند مشاهدتها اياهُ متألماً. خاصةً حينما صادفتهُ حاملاً صليبهُ مجذوباً الى جبل الجلجلة ليمات بموجب الحكم المبروز ضدهُ ". وهذا هو سيف الحزن الرابع المختص بالفصل الحاضر الذي نجعلهُ موضوعاً لتأملنا ٭

فقد اوحت هذه البتول المجيدة للقديسة بريجيتا بانهُ حينما كان اقترب زمن آلام الرب. لم تكن عيناها على نوعٍ ما تنشفان من الدموع المتصلة. بتذكرها في انهُ قريباً كان يلزمها ان تفقد ابنها الحبيب من هذه الارض. وانهُ من قبل الخوف الذي كان يشتملها عند تفكرها بالمشهد المزمع حدوثهُ بموت يسوع. كان العَرَق البارد يقطر من اعضاء جسمها كافةً ٭ فهوذا اخيراً قد بلغ الزمن المرسوم لهذا العمل العظيم. وجاء يسوع عند والدتهِ لكي يودّعها ويمضي الى الموت ٭ فالقديس بوناونتورا اذ كان يتأمل فيما صنعتهُ حينئذٍ العذراء في تلك الليلة. قد خاطبها هكذا قائلاً „ انكِ لقد اجزتِ تلك الليلة من دون رقادٍ بالكلية. وفي الوقت الذي فيهِ الاخرون كانوا نائمين فانتِ استمررتِ ساهرةً ". فلما صار الصباح كان تلاميذ الرب الواحد بعد الاخر يأتون عند هذه الام الالهية المحزونة. وكلٌ منهم كان يخبر عما يكون شاهدهُ او سمع بهِ. ولكن من المعلوم ان جميع هذه الاخبار كانت محزنةً. ووقتئذٍ قد كملت عن هذه السيدة حقيقة كلمات ارميا النبي بقولهِ „ باكيةً بكت في الليل ودموعها على خديها ليس مَن يعزيها من جميع احبائها " (مراثي ص ١ ع ٢) فاذاً البعض كانوا ياتونها باخبار الاهانات التي عومل بها يسوع في دار قيافا. وغيرهم بخبرية الاحتقار الذي احتقرهُ بهِ هيرودس مع جندهِ. ثم جاء اخيراً القديس يوحنا الرسول (وانني اترك جانباً باقي اللاحظات لكي اصل من دون اسهابٍ الى الموضوع المقصود) واعلمها بان بيلاطس الفاقد كل عدالةٍ قد حكم على يسوع ظلماً بان يموت مصلوباً. وانما قلت عن بيلاطس فاقد كل عدالةٍ او بالحري كلي الظلم. لان القديس لاون الكبير يقول عنهُ „ انه ابرز الحكم بالموت ضد ذاك الذي هو نفسهُ

اي بيلاطس اعترف مشتهرًا ببراءتهِ. واعلن انهُ لم يجد فيه علةً تستوجب الموت". فاذًا قال لهذه السيدة القديس يوحنا الحبيب „ ايتها الام المملوءة احزانًا ان الحكم بالموت قد أُعطي ضد ابنكِ. وهوذا الجند قد حمّلوهُ صليبهُ على عاتقهِ وخرجوا بهِ من دار الولاية ذاهبين نحو جبل الجلجلة ليصلبوهُ هناك (كما ان هذا الانجيلي دوّن ذلك هو نفسهُ فيما بعد بقولهِ „ فحينئذٍ بيلاطس اسلمهُ اليهم ليصلبوهُ. فاخذوا يسوع وخرجوا بهِ وهو حامل صليبهُ وجاءُوا بهِ الى موضعٍ يُسمَّى الجمجمة وبالعبرانية يُسمَّى الجلجلة" (يوحنا ص١٩ ع ١٦) فان كنتِ اذًا تريدين ان تنظريهُ وتودعيهُ المرة الاخيرة. تعالي لكي نذهب الى احدى الطرقات المزمع ان يجتاز هو منها عابرًا" ✿

فخرجت مريم البتول صحبة القديس يوحنا من البيت الذي كانت مقيمةً فيهِ. واذ شاهدت في الطريق نقط الدم الواضحة قد استدلت منها على ان الجند كانوا اجتازوا بيسوع من هناك الى ما قدام. فهكذا اوحت هذه السيدة للقديسة بريجيتا قائلةً „ انني قد عرفت ان ابني قد كان مرّ من تلك الطريق وجاز. عند نظري اثرهُ من قبل انصباغ الطريق بدمهِ" فالقديس بوناونتورا يقول „ ان الام الالهية الموعبة حزنًا. عند علمها ان يسوع كان اجتاز من تلك الطريق. فهي اسرعت من طريقٍ اخرى قليلة المسافة وسبقت ووقفت عند راس المسلك لملاقاة ابنها الحبيب المتألم المزمع ان يمرّ من هناك". فيا لها من والدةٍ متموجةٍ في لجة الاحزان. ويا لهُ من ابنٍ غارقٍ في بحر الآلام „ يقول القديس برنردوس. ففي مدة وقوفها هناك ترى كم سمعت من اليهود الذين كانوا يعرفونها. من التكلم بالاهانة والافتراء ضد ابنها الحبيب. وربما ضدها ايضًا. ولكن اواه كم كان سهم الحزن جارحًا قلب هذه الام عند مشاهدتها خدام الشريعة مارّين من هناك قبل يسوع بالمسامير والمطارق والحبال وسائر الاشياء المقتضية لاتمام حكومة الموت. وكيف صارت حالها حينما سمعت المنادي امام ابنها الحبيب يعلن مشهرًا كالعادة مضمون الحكم المبرز بالموت ضد يسوع. ولكن بعد ان اجتازوا بآلات الصلب ومرّ المنادي وخدام الشريعة هوذا امام عينيّ هذه الام المحزونة مجتازًا ذاك الشاب المكتسي جسمهُ من الراس الى القدمين من الجراحات القاطرة الدم من كل ناحيةٍ من جسدهِ. وعلى هامتهِ حزمةٌ من الشوك. وصليبٌ ذو

خشبتين محمول على منكبيهِ. فنظرت اليهِ. اواه يا لهُ من منظرٍ محزنٍ يفتت الاكباد. وكانها لم تعرفهُ. كما قال عنهُ اشعيا النبي «ورأيناهُ ولم يكن لهُ منظرٌ ولا جمالٌ مهانًا واخر الرجال. رجل الاوجاع مجربًا بالامراض وكان وجههُ مكتومًا ومرذولاً — ونحن احتسبناهُ كابرص ومضروبًا من الله» (ص ٥٣ ع ٢) لان الجراحات الموجودة في جسمهِ. والدماء المسفوكة منها قد صيرتهُ كابرص مضروبٍ بالقروح. الاَّ ان الحب اخيرًا قد حقق لهذه الام ان ذاك الانسان هو يسوع ابنها بعينهِ * فواسفاه واحسرتاه كم كان شديدًا سهم الحزن الذي طعن قلبها فيها بين الحب والخوف معًا (كما يقول القديس بطرس دالكانتارا في تأملاته) لان الحب من الجهة الواحدة كان يجتذبها لان تتفرس في وجه حبيبها يسوع لتراهُ جيدًا. والخوف من الجهة الثانية كان يصدها عن مشاهدة منظرٍ كافٍ لان يميتها من شدة الحزن. ولكن اخيرًا قد نزع يسوع عن عينيهِ الدم الجامد الذي كان يمنع نظرهُ (كما أُوحي للقديسة بريجيتا) وشاهد والدتهُ جيدًا وهي شاهدتهُ. اواه يا لها من مشاهدةٍ قد جرحت بسهامها هاتين النفسين الجميلتين * فمرغريتا ابنة توما موروس عندما رأت اباها مارًّا في الطريق مجذوبًا الى القتل. فلم تقدر ان تقول لهُ سوى هاتين الكلمتين «يا ابي يا ابي». ثم سقطت في الارض غائبةً عن حواسها كمائتةٍ. امَّا مريم فحينما شاهدت ابنها في تلك الحال ذاهبًا الى جبل الجلجلة ليُصلَب فلم تغب عن حواسها. لانهُ لم يكن لائقًا بهذه الام الالهية ان تفقد الانتباه والمعرفة. حسبما قال الاب سوارس. ولا ماتت من شدة الحزن. لان الله كان يحفظها لاحتمال الآمٍ امرّ. ولكن ولئن لم تمت فمع ذلك قد المَّ بها حزنٌ كافٍ لان يميتها الف ميتةٍ *

فيقول القديس انسلموس ان مريم حينئذٍ اقتربت من يسوع مريدةً ان تعانقهُ. الاَّ ان خدام الشريعة صدوها عن ذلك باهانةٍ وعنفٍ. واغتصبوا يسوع على المشي مجتازين بهِ. وحينئذٍ هذه الام اتبعتهُ لاحقةً * اواه ايتها البتول القديسة الى اين تذهبين. أهل الى جبل الجلجلة. ولكن أيمكنكِ ان تثقي بذاتكِ في انكِ تقدرين ان تشاهدي معلقًا على الصليب ذاك الذي هو حياتكِ. كما قيل في تثنية الاشتراع «وتكون حياتك كالعلقة قدامك» (ص ٢٨ ع ٦٦) فالقديس لورانسوس يوستينياني في تأملاتهِ

يخاطب هذه السيدة كأنّ ابنها يسوع يقول لها حينئذٍ هكذا « يا امي لماذا تقتربين مني والى اين تريدين ان تذهبي. فان كنتِ تأتين برفقتي الى حيث انا ماضٍ فتتعذبين بشدة عذاباتي عينها. وانا اتألم بالآمكِ نفسها ». ولكن ولئن كانت هي عارفةً ان ذهابها معهُ ومشاهدتها اياه يموت على الصليب كانت مزمعةً ان تسبب لها آلاماً فائقة الوصف. فمع ذلك لم ترد ان تفارق موضوع حبها الوحيد. بل ان ابنها كان يسير امامها وهي كانت تتبعهُ لتُصلَب معهُ. كما يقول عنها غوليالـوس « ان مريم حملت صليبها واتبعت يسوع لتُصلَب هي ايضًا معهُ ». فقد كتب القديس يوحنا قائلاً « اننا نوجد متحننين على الحيوانات ايضاً. وهذا هو شيء حقيقي. لاننا اذا رأينا مثلاً اسدةً تجري وراء شبلها المأخوذ من الصيادين للقتـل. فلئن كانت هي وحشًا مفترسًا مبغوضًا منا. فمع ذلك مشاهدتنا اياها متألمـة في تلك الحال تحركنا الى التوجع من اجلها. أفما نحن اذًا متوجعين عند تأملنا والدة الاله النعجة الطاهرة تابعةً ابنها الحمل البري من العيب مجذوبًا للذبح ». فلنشاركها باحزانها اذًا متألمين معها. ولنجتهد في ان نتبع ابنها واياها لاحقينهما نحن ايضًا حاملين بصبرٍ ذاك الصليب الذي يفتقد الرب كلاً منا بهِ * فالقديس يوحنا فم الذهب يسأل كمستفهمٍ « لماذا سيدنا يسوع المسيح في جميع الآلام الاخر اراد ان يكون وحدهُ من دون ان يسعفهُ احدٌ بشيء. واما في حملهِ الصليب شاء ان سمعان القانوي يعينهُ في حمله ». وهو نفسهُ يجيب عن سوالهِ قائلاً « انما ذلك هـو من كـون صليب المسيح وحـدهُ لا يفيدك يا هذا من دون ان تحمل انت ايضًا صليبك ». فاذًا لا يكفينا للخلاص صليب يسوع ان كنا نحن لا نحمل الى ساعة موتنا الصلبان التي يريد الله ان نحملها بحسن تسليم الارادة *

* نموذج *

ان مخلصنا ظهر مرة للبارّة ديوميرا الراهبـة التي من فيورنسا وقـال لهـا « افتكري بي وحبيني. وانا افتكر بكِ واحبكِ ». وفي الوقت ذاتهِ قدم تعالى لهذه الراهبة باقةً من الزهور جملةً مع صليبٍ. مشيرًا بذلك الى ان تعزيات القديسين في هذا العالم. ينبغي ان تُرافق على الـدوام بالصليب.

الذي من شانهِ ان يتّحد الانفس بالله * ثم ان الطوباوي ايرونيموس اميليانوس الذي كان قبلاً جنديًّا مملوًّا من الرذائل. فهذا اذ وقعَ في ايدي الاعداء وقيّد منهم اسيرًا في احد الابراج. فتحرك من قِبل هذه التجربة مستنيرًا باطنًا بالضياء السماوي الى ان يتوب عن شرورهِ ويصلح سيرتهُ. ومن ثمَّ اخذ بالتضرعات الى والدة الاله الكلية القداسة في ان تعينهُ. وحينئذٍ بشفاعات هذه السيدة قد ابتداء بان يسير في طريق القداسة. حتى انهُ استحق فيما بعد ان يكشف لهُ الله بالرؤيا المكان السعيد المهيى لهُ مجيدًا في السماء. وصار بعد ذلك مؤسسًا للرهبنة الصوماسكية. واخيرًا رقد بالرب بميتةٍ مقدسةٍ. ومنذ مدةٍ ليست مستطيلة قد اُحصي قانونيًا من الكنيسة المقدسة في عدد الطوباويين *

* صلوة *

يا امي المحزونة انني اتوسل اليكِ بحق التألم الشديد الذي تكبدتيهِ عند مشاهدتكِ ابنكِ يسوع الحبيب مساقًا الى الموت. بان تستمدي لي من الله نعمةً. وهي ان احتمل انا ايضًا بتسليم الارادة وبصبرٍ تام كل الصلبان التي يرسلها لي الباري تعالي. فالطوبى لي ان كنت انا كذلك احمل صليبي وارافقكِ حتى الموت. فانتِ البارّة وابنكِ المنزّه عن كل زلةٍ قد ارتضيتما بان تحملا صليبًا بهذا المقدار ثقيلاً. فهل اني انا الاثيم الذي مراتٍ عديدةً استحققت الجحيم ارفض ان احمل صليبي. فمنكِ ارجو ايتها البتول البرية من العيب ان تعينيني لكي احتمل بصبرٍ الصلبان التي يرسلها لي الله امين *

الفصل السادس

* في الموضوع الخامس لحزن مريم البتول . وهو موت * ابنها الحبيب يسوع المسيح امام عينيها *

فها هوذا نحن الآن نلاحظ باندهالٍ نوعًا جديدًا من الاستشهاد. وهو ان امًّا تلتزم بان تشاهد بازاء عينيها يموت بحكمٍ ظالم فيما بين العذابات

البربرية الشديدة القساوة ابنها البار المحبوب منهـا فـوق كل شيء. فمن هذا الاستشهاد لا يلزم ان نقول شيئًا آخر سوى الكلمات التي دونهـا عنـهُ القديس يوحنا الانجيلي نفسهُ قائلاً „وكانت واقفةً عند صليب يسوع امهُ" (ص ١٩ ع ٢٥) فانظر يا هذا. البتول المجيدة واقفةً بالقـرب من صليب ابنها الحبيب. ملاحظةً اياه في حال النزاع مدنفاً على الموت. وبعد ذلك افتكر ان كان يوجد وجعٌ مثل وجعها. ولهـذا فلنتصور ذواتنا حاضرين في جبل الجلجلة. ولنأخذ الان بالتأمل في سيف الحزن الخامس الـذي طعن قلب هذي الام المحزونة. وهو مشاهدتها موت ابنها يسوع على الصليب ☆

فحينما بلغ فادينا يسوع (في الحال التي لاحظناهُ بها في الفصل السابق) الى جبل الجلجلة. فالجلادون نزعوا عنهُ ثيابهُ. وسمروهُ عاريًا على الصليب بيديهِ ورجليهِ المقدسة بمسامير لا راسَ لها. اي مقطوع حدها الرفيع. كما يقول القديس برنردوس. وذلك لكي تعذبهُ اشدَّ عذابًا بانغراسها الاغتصابي في يديهِ ورجليهِ. وبعد ان رفعوا الصليب ونصبوهُ قائمًا في الارض. قد تركوا يسوع معلقًا عليه في تلك الحال ليموت هكـذا * فالصالبون قد اهملوه على هذه الصورة واما والدتهُ البتول فلم تفارقهُ. بل انها اقتربت اكثر اقترابًا من صليبه لتحضر موتهُ. كما اخبرت هي نفسها للقديسة بريجيتا في الوحي قائلةً „انني ما فارقت ابني يسوع. بل كنت واقفةً بالقرب من صليبهِ". الاَّ ان القديس بوناونتورا يخاطب هـذه السيدة بقولـهِ „ماذا كان يفيـدكِ يا سيدتي ذهابكِ الى جبل الجلجلة لتموتي امام ابنكِ. فقد كان يلزم ان يمنعكِ عن المضي الى هناك الخجل. لان العار والخزي المثمين بهذا الابن فهما ملتحقتان بكِ انتِ ايضًا اذ انكِ امهُ. او قلما يكون تصوركِ اثمًا هكذا شنيعًا نفاقيًا. وهو ان الهًا متجسدًا يُصلَب بايدي خليقتهِ نفسها. كان يلزم ان يمنعكِ عن مشاهدتهِ". غير ان القديس المذكور عينهُ يرد الجواب عن ذلك قائلاً „ان قلبكِ لم يكن يعتبر هذا الامر خزيًا ومكروهـاً. بل مؤلمًا اواه ان قلبكِ حينئذٍ لم يدعكِ ان تفتكـري في وجعـكِ وتألمكِ بل في اوجاع ابنكِ وآلامهِ وموتهِ. ولهذا اردتِ ان تحضري انتِ نفسكِ تحت صليبهِ. قلما يكون لكي تتوجعي من اجلهِ". „فانتِ هي الام الحقيقية والمحبة الصادقة (يقول نحوكِ الانبا غوليالموس) اذ انهُ ولا الخوف من انكِ

تموتين امكنهُ ان يفصلكِ عن ابنكِ الحبيب". فيا لهُ من مشهدٍ موعبٍ من الاحزان والاوجاع الباطنة. فيهِ كان يُنظَر هذا الابن الالهي منازعاً على الصليب. وفي الوقت عينه كانت تشاهد هذه الام البتول تحت صليبه منازعةً هي ايضاً. لتكبدها في ذاتها الالام عينها التي كان ابنها يتعذب بها. فقد اخبرت في الوحي للقديسة بريجيتا هذه الام الالهية عينها عن الحال التي شاهدت هي بها ابنها في تلك الساعة على الصليب قائلةً هكذا „ فقد كان ابني الحبيب على الصليب متعوباً في الغاية مترادف التنفس بانزعاجٍ * منازعاً مقارباً للموت. وكانت تُشاهَد مقلتاهُ غايرتَين في جورتيهما. وعيناهُ مطبوقتين نصفاً. وشفتاهُ مرتخيتين. وفمهُ مفتوحاً. ووجنتاهُ بلونٍ اصفر. ولحمانهما ملتصقةً باسنانه. وحنكاهُ يابسين. وانفهُ كفي حال الموت. ووجههُ مقطَّباً كائباً. وراسهُ كان يُلاحظ منحنياً نحو صدره وشعرهُ اسودَ مصبوغاً بالدم. وبطنهُ لاصقاً بظهره. وذراعاهُ وساقاهُ موتورةً باشدادٍ. وسائر اعضاء جسدهِ مملوةً جراحاتٍ قاطرةً الدماء " *

فعذابات يسوع هذه كلها قد كانت هي عذابات مريم ايضاً والدته. كقول القديس ايرونيموس „ ان جميع الجراحات التي كانت في جسم يسوع فهذه وُجدت في قلب مريم ". ومن ثمَّ يقول القديس يوحنا فم الذهب „ ان مَن امكنهُ ان يكون حاضراً حينئذٍ عند جبل الجلجلة فقد كان يستطيع ان يشاهد هناك مذبحَين مقدماً على كلٍ منهما القربان العظيم. فاحدهما في قلب يسوع وثانيهما في قلب مريم والدته ". الَّا انهُ يظهر لي اكثر ملائمةً ما يعتبرهُ القديس بوناونتورا مذبحاً واحداً مقدماً فوقهُ القربانات معاً. وهو مذبح الصليب المقدس الذي عليه جملةً مع الذبيحة التي بها قدم فوقهُ الابن ذاتهُ ضحيةً كحملٍ لا عيبَ فيهِ. قد ضحَّت ذاتها هذه الام الالهية ايضاً. ولذلك يخاطبها القديس المذكور عينهُ مسائلاً بقولهِ لها „ يا سيدتي مريم اين انتِ كائنةٌ. أهل تحت الصليب. اواه انهُ باكثر صوابٍ وعدالةٍ ينبغي ان اقول انكِ كائنةٌ فوق الصليب عينه. لكي تقدمي ذاتكِ ذبيحةً. مصلوبةً جملةً مع ابنكِ يسوع ". وهكذا يثبّت ذلك القديس اوغوسطينوس بقولهِ „ ان الصليب والمسامير كانت للابن ولامهِ معاً. لانهُ اذ صُلب المسيح فصلبت امهُ ايضاً معهُ ". وهذا لا ريبَ فيهِ. لان القديس برنردوس يبرهن

قائلاً „ان الشيءَ الذي كانت تفعلهُ المسامير في جسد يسوع فهذا نفسهُ كان يفعلهُ الحب في قلب مريم . بنوع انهُ في الوقت عينهِ الذي فيهِ كان الابن يضحّي جسدهُ محرقةً على الصليب. ففيهِ كانت امهُ تضحّي نفسها محرقةً معهُ" (كما كتب القديس برنرديـنوس) *

فالامهات اعتيادياً يهربنَ من الامكنة التي فيها يكون اولادهنَّ منازعين. لكيلا يشاهدنَ باعينهنَّ موتهم. ولكن اذا وُجدت امٌّ ما مضطرةً لان تلبث عند ابنها ساعة موتهِ. فتهتم هي بان تصنع لهُ كل ما يمكنها ان تسعفهُ بهِ مخففةً عنهُ آلام النزاع. مجتهدةً في ان تصلح لهُ سريرهُ وفراشهُ ليكون مرتاحاً في اتكائهِ. مداومةً على ان تسقيهُ الاشياء المرطبة المبردة. وبهذا النوع يمكنها ان تجد هي تعزيةً ما في هذي الخدمة تسكن عنها احزانها المرّة * اواه ايتها الام المملوة اوجاعاً مريم الاشدّ تألماً وحزناً من الامهات كلهنَّ. فاي نعم انهُ رُسم عليكِ ان تحضري عند ابنكِ ساعة موتهِ تحت صليبهِ. ولكن لم تُعطَ لكِ الاستطاعة على ان تسعفيهُ بشيءٍ من الاشياء مطلقاً * لانهُ قد سمعت هذه الام المحزونة ابنها يسوع قائلاً „ انا عطشان". ولكن لم يُسمَح لها بان تقدم لهُ قليلاً من الماء ليطفي بهِ حرارة عطشهِ الشديد . بل كما يلاحظ القديس فيلجانسوس فرّاري انها اجابتهُ قائلةً „ ليس يوجد عندي يا ولدي من الماء سوى دموعي". ثم انها كانت تشاهد حبيبها يسوع فوق فراش الصليب معلقاً بيديهِ ورجليهِ بثلثة مسامير متعوباً جداً . ومن ثمَّ كانت تشتهي ان تعانقهُ بين يديها لكنهُ ان يجد قليلاً من الراحة. ام ان يُعطَى لها ان تاخذهُ في حضنها ليموت على ركبتيها. ولكن لم تكن تحصل على ذلك (كما كتب القديس برنردوس) وكانت تلاحظ جيداً كيف ان يسوع الغائص في بحر الآلام والاحزان كان يطلب تعزيةً ما ولم يجد. حسبما قد كان هو تعالى سبق وقال بفم نبيهِ اشعيا „ دست المعصرة وحدي — كما نظرت حولي ولم يكن معينٌ وطلبت فلم يكن ناصرٌ" (ص ٦٣ ع ٣ و ٥) ولكن ترى مَن كان يريد ان يعزيهُ من البشر الذين اضحوا كلهم اعداءً لهُ. لانهُ وهو على الصليب كان بعضهم يجدف عليهِ بنوعٍ. وبعضهم بنوعٍ اخر. كما كتب القديس متى الانجيلي بقولهِ „ وكان المجتازون بهِ يجدفون عليهِ. ويحركون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيهُ في ثلثة ايامٍ خلص نفسك

ان كنت ابن الله وانزل عن الصليب . وهكذا رؤساء الكهنة مع الكتبة والشيوخ كانوا يتهزأون به ويقولون. خلص اخرين ولم يقدر ان يخلص نفسهُ. ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الان عن الصليب " (متى ص ٢٧ ع ٣٩ الخ) بل ان والدة الاله اخبرت القديسة بريجيتا باكثر من ذلك قائلةً لها في الوحي « انني سمعت البعض يقولون عن ابني انهُ كان لصًّا. وغيرهم انهُ كان خدّاعاً. واخرون قالوا انهُ لم يكن احدٌ مستحقًّا للموت نظيرهُ. وهذه الاقوال كلها قد اضحت لديَّ سيوفًا جديدةً تقطع قلبي " ✿

الَّا ان الشيءَ الذي احزن قلب هذي الام الالهية اشدَّ حزنًا . واوعبها من مرارة التألم والتوجع بابلغ نوع من كل ما سواه. هو سماعها ابنها الحبيب متشكيًا من ان اباه الازلي عينهُ قد كان اهملهُ. بنوع ان يسوع صرخ بصوتٍ عظيمٍ قائلاً « ايلي ايلي لما صافختاني. الذي تأويلهُ الهي الهي لماذا تركتني " (متى ص ٢٧ ع ٤٦) فهذه الكلمات قد جرحت فؤاد مريم البتول جرحًا هكذا عظيمًا. حتى انهُ. حسبما اوحت هي للقديسة بريجيتا لم يكن يبرح من فكرها ذكر تلك الكلمات مدة باقي ايام حياتها * فاذًا قد كانت هذه الام السابحة في بحر الاحزان تشاهد ابنها من كل الجهات معذبًا متألمًا متروكًا . وكانت تجتهد في ان تسعفهُ بشيءٍ ما ولكن لم يكن ممكنًا لها . والابلغ من ذلك هو انها كانت تلاحظ حسنًا ان وجودها امام عينيَّ ابنها في تلك الحال. كان يسبّب لهُ آلامًا خصوصيةً مزادةً على الآمهِ. فمن ثمَّ كتب القديس برنردوس قائلاً « ان التألم الذي كان يوعب قلب مريم مرارةً. فهذا عينهُ كان يفجع قلب يسوع ويطعنهُ بالحزن". ويقول في محلٍ آخر « ان المسيح وهو على الصليب قد تألم من قبل حزنهِ وتوجعهِ على والدتهِ اشدَّ تألمًا من عذاباته كلها ". فهكذا يتكلم هذا القديس عن لسان البتول قائلاً « انا كنت واقفةً بالقرب من صليب ابني ناظرةً اليه. وهو كان ناظرًا اليَّ. ولكنهُ كان يتألم من اجلي اكثر من تألمهِ من قبل اوجاعهِ ". وقال ايضًا عن هذه السيدة « ان مريم كانت واقفةً قريبةً من صليب ابنها يسوع عادمة الصوت من شدة الحزن. وكانت عائشةً في الحيوة منازعةً كمدنفةٍ على الموت. ولكنها اذ لم تقدر ان تموت فبقيت حيةً منازعةً ". وقد كتب العلّامة باسينوس بان فادينا نفسهُ ظهر مرةً للطوباوية باتيسطا فاراني التي من

مدينة كامارينو وقال لها „ انهُ بهذا المقدار كان هو يشعر بانفعالات الحزن والتألم من قبل مشاهدته على الصليب والدتهُ واقفةً بالقرب منهُ في تلك الحال المرثي لها. حتى ان تلك المشاهدة جعلتهُ ان يموت فاقد التعزية". فهذه الكلمات اثَّرت كثيرًا في قلب الطوباوية المذكورة المستنيرة من الله لمعرفة حقيقة آلام يسوع من هذا القبيل. حتى انها هتفت متوسلةً اليه تعالى بقولها „ يا سيدي لا عدت تقول لي شيئًا آخر عن حزنك هذا. لاني لا استطيع بعدُ احتمالاً " ✫

امَّا سمعان داكاسيا فيقول „ ان الانام الذين كانوا يشاهدون حينئذٍ مريم في تلك الحال صامتةً . فكانوا يندهلون من سكوتها وعدم تشكيها بكلمةٍ ما في اوقات آلامها هذي الفائقة الاحتمال. ولكن اذا كانت هي وقتئذٍ ساكتةً بفمها فلم تكن صامتةً في قلبها. لانها في تلك الاوقات ما صنعت هي شيئًا آخر سوى تقدمتها بتكرارٍ لدي العدل الالهي حيوة ابنها من اجل خلاصنا". ولهذا نحن نعلم انها قد اكتسبت هي باستحقاقات اوجاعها واحزانها المشار اليها صفة „ مشاركة في عمل خلاصنا ". اي في ان نولد جديداً في حيوة النعمة . وبالتالي نحن هم اولاد اوجاعها * ويقول لاسبارجيوس „ ان المسيح اذ قد اراد ان يقيم والدتهُ امًّا لنا فجعلها ان تكون مشاركةً في عمل افتدائنا . لانهُ كان يلزمها ان تلدنا بنين لها تحت صليب يسوع ". فاذًا يمكنني ان اقول انهُ ان كانت هذه الام الالهية وهي غائصة في بحر مرائر تلك الاحزان صادفت تعزيةً ما . فهذه التعزية الوحيدة انما كانت قائمةً في تذكرها بانها بواسطة احزانها وآلامها المشار اليها كانت تفيدنا في امر خلاصنا الابدي . كما اوحى مخلصنا عينهُ للقديسة بريجيتا بقوله „ ان مريم والدتي انما صارت امًّا لاهل السماء والارض لاجل توجعها وحبها ". وبالحقيقة ان الكلمات الاخيرة التي قالها مخلصنا لوالدته وهو على الصليب مودعاً اياها قبل ان يموت . قد كانت تسليمهُ ايانا اولادًا لها في شخص تلميذه القديس يوحنا. وهذا كان منهُ بمنزلة وصيته الاخيرة التي بها ترك لأمه تذكرةً وميراثًا ان نكون نحن اولادها وهي أُمنا بقوله لها „ يا امرأة هذا ابنك " (يوحنا ص ١٩ ع ٢٦) وهكذا منذ تلك الساعة ابتدأت مريم العذراء ان تمارس نحونا وظيفة امٍ صالحةٍ * على ان القديس بطرس داميانوس يشهد بان اللص الجيد انما

ندم على خطاياهُ. واعترف بلاهوت فادينا قائلاً لهُ „اذكرني يارب اذا اتيتَ في ملكوتك”. وهكذا فاز بالخلاص الابدي وذلك من قِبل تضرعات هذي الام الالهية من اجله. لانهُ على موجب راي بعض الكتبة الكنائسيين ان هذا اللص حين سافرت والدة الاله مع طفلها وخطيبها الى مصر. قد كان في الطريق صنع معها معروفًا. بل ان هذه السيدة الرؤوفة قد مارست دائمًا وظيفة ام نحو الجميع من ذلك الحين فصاعدًا بدون انقطاع. كما تمارس هذا الامر الان وفي المستقبل ايضاً ☆

☆ نموذج ☆

ان شاباً من سكان مدينة باروجيا قد كان اتفق مع الشيطان بموجب صك امضاهُ بخط يده بقلم مغموس بدمه على ان يسلمهُ نفسهُ. ان كان الشيطان يجعلهُ مقتدرًا على ان يفعل خطيةً مميتةً كان هو يرغب ارتكابها ولم يكن قادرًا. فلما اكمل هذا الشاب التعيس تلك الخطية فالشيطان اراد منهُ ان يضع بالعمل ما وعدهُ به في ذاك الصك ولذلك اقتاد الشاب الى حافة بئر عميقة. وطلب منهُ ان يطرح ذاتهُ فيها ليموت مختنقًا وهو ياخذ نفسهُ. متهددًا اياهُ بانهُ ان لم يفعل ذلك من تلقاء ذاته فهو كان مزمعاً ان يجذبهُ الى جهنم بالنفس والجسد * فهذا الشاب المنكود الحظ اذ ظنَّ بذاته انه لا مناصَ لهُ من يد ابليس. صعد على فم البئر ليطرح بنفسه فيها. ولكن خوفهُ من الموت اوقفهُ ومن ثمَّ قال للشيطان انهُ لا شجاعةَ لهُ على ذلك. بل ان هو اي الشيطان يدفعهُ ليسقط في البئر ان كان يريدهُ ان يموت. فقد كان الشاب لابساً ثوب السيدة المحزونة ولهذا قال لهُ الشيطان „ارفع عنك هذا الثوب وانا حينئذٍ ادفعك لتنطرح في البئر”. فلما لاحظ الشاب جيداً انهُ بواسطة ذاك الثوب المكرس الخاص باحزان والدة الاله كان حاصلاً على الحماية من هذي الام الرؤوفة لحد ذاك الوقت. لم يرد ان ينزعهُ من عنقه. ولهذا بعد مجادلة ومخاصمة كثيرة صدرت فيما بينه وبين الشيطان التزم هذا العدو الجهنمي بان يترك الشاب ويمضي خازيًا. وهكذا ذاك الخاطي اسرع الى الكنيسة ليقدم الشكر للسيدة المحزونة على النعمة التي فاز بها بشفاعتها. وقد تاب عن خطاياه ونذر ان يقدم

لهيكلها ايقونةً حاويةً امر نجاته. كما تمم ذلك. والايقونة هي موجودة في كنيسة السيدة المدعوة الجديدة في مدينة باروجيا عينها تذكرةً لاحسان والدة الاله ✿

✿ صلوة ✿

اواه ايتها الام المتألمة اشدَّ الآمًا واحزانًا واوجاعًا من الامهات كلهنَّ. فاذًا قد مات ابنكِ الحبيب الذي بهذا المقدار كنتِ تحبينهُ ويحبكِ. فابكي بالصواب عليه لانهُ يستحق ذلك. ولكن ترى من يمكنهُ ان يعزيكِ عن فقده. فشيءٌ واحدٌ يستطيع على تعزيتكِ وهو تفكركِ في ان يسوع بموته قد قهر الجحيم وانتصر عليه غالبًا. وفتح للبشر ابواب الفردوس السموي الذي كان مغلقًا دونهم. وهكذا قد اكتسب نفوسًا غير محصى عددها. وقد ملك وهو على الصليب مستوليًا على قلوبٍ لا حدَّ لكثرتها من اولئك الذين غُلبوا من مفاعيل حبه اياهم فيخدمونهُ تعالى بامانةٍ. فلا تأنفي يا مريم سيدتي من انكِ تقبليني بالقرب منكِ لابكي معكِ. لان الصواب يقتضي مني ان ابكي اكثر منكِ. لاجل اني اغظت الهي مراتٍ عديدةً. فيا أُم الرحمة انا ارجو غفران خطاياي اولاً باستحقاقات موت مخلصي يسوع المسيح. وبعد ذلك باستحقاقات احزانكِ التي قد تكبدتيها حين الآمهِ. ومعًا ارجو نوال الخلاص الابدي امين ✿

الفصل السابع

✿ فيما يلاحظ الموضوع السادس لحزن العذراء والدة الاله ✿ وهو طعن جنب يسوع المسيح بالحربة ✿ وتنزيلهُ من على الصليب ✿

„يا عابري الطريق انظروا وتأملوا هل رأيتم وجعاً مثل وجعي" (مراثي ارميا ص ١ ع ١٢) فيا ايها الانام المتعبدون للبتول القديسة المحزونة اسمعوا

ماذا تقول هي نحوكم اليوم „ يا ابنائي الاعزاء. انا لا اريد منكم ان تهتموا في تعزيتي. كلاَّ. لان قلبي لم يعد بعدُ موضوعاً قابلاً لان يحصل (ما دمتُ في الارض) على تعزيةٍ ما بعد موت ابني الحبيب يسوع. فان كنتم اذًا تريدون ان ترضوني فانا لا اريد منكم الَّا هذا الشيء. وهو انكم تلتفتون نحوي وتتأملون فيَّ لتنظروا هل يوجد في العالم وجعٌ مثل وجعي. عند مشاهدتي مخطوفًا مني بعذاباتٍ كلية القساوة ذاك الذي كان هو موضوع حبي كلهُ ”.

ولكن ايتها السيدة ان كنتِ لا تريدين ان تتعزي. ولا زلتِ متعطشةً لاقتبال احزانٍ اخر. فانا اقول لكِ انهُ ولا بموت ابنكِ قد انتهت احزانكِ. لان سيفًا آخر مزمعٌ ان يلج في نفسكِ بعد موتهِ. وهو مشاهدتكِ واحدًا من الجند يطعن جنب حبيبكِ بحربةٍ طعنةً بربريةً. ثم بعد ذلك تقتبلين بين يديكِ في حضنكِ جسد ابنكِ عقيب تنزيلهِ من على الصليب * وها نحن نأخذ الان بالتأمل في الموضوع السادس لاحزان هذه الام الالهية. الامر الموجب التأمل حسنًا والدموع الحارّة. فالى هنا بيان ان اوجاع هذه السيدة قد جاءت رويداً رويداً واحدًا فواحدًا. واماًّ في هذا الموضوع السادس فكأنَّ الاحزان كلها والاوجاع باسرها قد داهمتها معًا *

فامرٌ خالٍ من الارتياب هو انهُ يكفي القول لامٍ ما ان ابنها قد مات لان يلتهب قلبها بنار حبهِ. ويُطعن بسهم فقدهِ. ولهذا قد اعتاد البعض لكي يخففوا نوعاً احزان الامهات الفاقدات اولادهنَّ بالموت. ان يأتوا امامهنَّ بذكر تلك الاشياء التي كان بنوهنَّ سببوا لهنَّ بها (اذ كانوا احياء) الغيظ او الاهانة. ولكن اذا اردت انا ان اتبع نحوكِ ايتها السيدة هذه الطريقة عينها لتخفيف حزنكِ. فاي حادثٍ يمكنني ان اجدهُ لاذكّركِ في ان ابنكِ قد اغاظكِ بهِ. كلَّا. لان هذا الابن الالهي قد احبكِ دائماً واطاعكِ مطلقًا وكرّمكِ على الدوام. ولذلك مَن يستطيع ان يصف احزانكِ وآلامكِ على فقدهِ سواكِ انتِ التي اختبرتِ مفعولها في ذاتكِ * فيقول احد الكتبة العباد „ انهُ بعد ما مات فادينا على خشبة الصليب فالعواطف الاولى التي مارستها مريم البتول قد كانت ان ترافق بالروح نفس ابنها الكلية القداسة مقدمةً اياها لدي الاب الازلي. وكانها كانت تقول لهُ „ الهي انني اقدم لك نفس ابنك وابني البرية من العيب التي قد اطاعتك حتى

الموت . فانت اقبلها بين يديك . وها هوذا عدلك الالهي قد استوفى ما يحق لهُ . وارادتك المقدسة قد اكتملت . وقد انتهت الذبيحة العظيمة المقرَّبة لاجل مجدك الابدي". ثم التفتت نحو جسد ابنها المائت هاتفةً " ايتها الجراحات ذات الحب المضطرم انني اسجد لكنَّ واهنيكنَّ لانهُ بواسطتكنَّ قد أُعطي الخلاص للعالم . فانكنَّ مزمعات ان تبقينَ مفتوحاتٍ في جسم ابني الحبيب لكي تكوننَّ ملجاءً منيعًا لجميع اولئك الذين يبادرون نحوكنَّ محتمين فيكنَّ . لانهُ كم وكم من البشر هم عتيدون ان يقتبلوا بواسطتكنَّ غفران خطاياهم . وبكنَّ تلتهب قلوبهم بمحبة الخير الاعظم" ✲

امَّا اليهود فان ارادوا الَّا يُكدِّر فرح ذاك السبت العظيم الواقع في عيد الفصح . رغبوا في تنزيل جسد يسوع من على الصليب . ولكن لانهم لم يكونوا يستطيعوا ان ينزلوا اجساد المصلوبين قبل ان تكون انفصلت عنها الانفس بالموت . فلهذا جاء الجند ومعهم عُصي محددة . فكسروا بها ساقيَّ اللص الاول وساقيَّ اللص الاخر ليموتا سرعةً * وامَّا مريم البتول فكانت واقفةً هناك تبكي على موت حبيبها يسوع . وحالما شاهدت الجنود جآئين بالاسلحة وكسروا ساقات اللصين متجهين ضد جسد ابنها ايضًا . ففي الابتداء استوعبت منهم خوفًا . ولكن بعد ذلك . يقول القديس بوناونتورا . قد تنوهت نحوهم هكذا قائلةً " واحسرتاه ان ابني قد مات فاعدلوا عن ان تفترئوا عليه فضلًا عن ذلك . وتغاضوا عن انكم تسببون لي انا امةُ المسكينة الآمًا امرَّ" الَّا انهُ وفيما كانت هي تخاطبهم بهذا الكلام الصوابي . واذا بها شاهدت واحدًا من الجند قد دنا من جسد يسوع . وبقوةٍ شديدةٍ طعنهُ في جنبه بالحربة التي كانت بيده . وللوقت خرج من ذاك الجنب الاقدس المفتوح على هذه الصورة بطعن الحربة دمٌ وماءٌ (يوحنا ص ١٩ ع ٣٤) ففي هذه الطعنة ومن قبلها قد ارتج جسد يسوع مع صليبه . وانقسم قلبهُ المقدس . كما أُوحي للقديسة بريجيتا . وانما خرج من جنبه المطعون دمٌ وماءٌ . لانهُ لم يكن باقيًا في جسده تعالى شيءٌ من دمه كله سوى تلك النقط القايلة التي استمرت مخزونةً في قلبه . فهو اراد ان تُهرَق هذه ايضًا من اجلنا ويخرج في اثرها الماء ليشير الينا بانهُ لم يعد عندهُ دمٌ يقدمهُ عنا * فيقول لاسبارجيوس العابد " ان الاهانة والافتراء الصادرَين عن هذي الطعنة بالحربة قد التحقا بيسوع

وامّا الوجع والتألم المختصان بها فالتحقا بقلب مريم". ثم ان الآباء القديسين يرتأون بان هذه الطعنة هي حقيقة ذلك السيف الذي قال عنهُ البار سمعان الشيخ لوالدة الاله متنبئًا بانهُ كان عتيدًا ان يجوز في نفسها. السيف الذي لم يكن من الحديد بل من مرارة الحزن الذي طُعنت بهِ نفسها المباركة الموجودة على الدوام ساكنةً بالحب داخل قلب ابنها المطعون بهذه الحربة. وفيما بين الآخرين الذين فسروا ذلك على هذه الصورة هو القديس برنردوس القائل (في مراثيهِ على العذراء) ان الحربة التي طُعن بها جنب يسوع قد جازت في نفس مريم التي لم تستطع ان تفارق هذا القلب المطعون. كما كان سبق لها الايعاز بذلك السيف الذي كان عتيداً ان يجوز في نفسها". بل ان العذراء المجيدة عينها قد اوحت للقديسة بريجيتا قائلةً „ وانهُ حينما كانت الحربة تُجذَب خارجًا من قلب ابني كان يظهر راسها مغموسًا بالدم. وفيئذٍ كان يبان ان قلبي انطعن مفتوحاً عند نظري قلب ابني الحبيب مطعونًا بها " ✿

حتى ان الملاك اخبر القديسة بريجيتا في الوحي „ بان اوجاع مريم البتول من قِبَل هذه الطعنة كانت بهذا المقدار شديدةً مؤلمةً. بنوع انها باعجوبةٍ الهيةٍ لم تمُت هي وقتئذٍ من مرارة التوجع". ثم انهُ كان يوجد لهذي السيدة في حين اوجاعها الاخر من يخففها عنها نوعاً وهو يسوع حيًا متشفقًا عليها. اما في الوجع المذكور فلم يكن معها هذا المعزي الذي قد مات ✿

ومن حيث ان هذه الام الالهية كانت تخاف بالصواب من ان اعداء ابنها يمارسون ضد جسده الطاهر اهاناتٍ اخر ذات افتراء نفاقي. فقد توسلت الى يوسف الرامي في ان يلتمس من بيلاطس ان ينزل هذا الجسد من على الصليب. حتى يمكنها قلما يكون بعد موت حبيبها ان تحفظ جسمهُ ناجيًا من الاهانة والافتراء الممكن ان يلتحقا بهِ جديدًا. فمن ثمَّ انطلق يوسف عند بيلاطس. واعرض لديه حال الاحزان والاوجاع الملمّة بقلب هذه الام المتألمة على ابنها. وكيف كانت هي تشتهي ان تنال تنزيل جسده عن الصليب. وحسب راي القديس انسلموس ان بيلاطس حينئذٍ قد اخذتهُ الشفقة على امٍ هذه صفتها. ورثى لها مؤاذنًا ليوسف بان ينزل جسد ابنها عن الصليب. ويدفنهُ حيثما يشاء. وهذا الاذن قد وُضع بالعمل وهكذا

نزلوا جسم المخلص من الخشبة * اواه اينها البتول الكلية القداسة . هوذا العالم
دَّ اليك ابنك الذي كنت بحب هكذا عظيم اعطيتيه اياه" . ولكن
لحسرتاه (تقول مريم للعالم) بأية حال انت تردهُ اليَّ « ان حبيبي
بيض اشقر مُنتخب من بين ربوات " (نشيد ص ٥ ع ١٠) فانا سلمتك
بني كلي البياض احمر اللون . وانت ترجعهُ اليَّ الان لا بلونه بل مسوداً مصبوغاً
الدماء عندمياً من قبل الجراحات المكتسية بها اعضاء جسده . انا دفعتهُ اليك
ريداً في جماله وحسنه وانت تردهُ لي فاقد الصورة وعديم الجمال . فهو كان
جتذب القلوب الى الغرام بحبه بمجرد النظر الى بهاء طلعته . والان تكره
لعيون ان ترمقهُ لسوء حاله ". فيقول القديس بوناونتورا « اواه كم من السهام
لاليمة قد رشقت قلب هذه الام المحزونة . وكم من السيوف اجتازت في
فسها . حينما أُحضر لديها جسد يسوع منزلاً من على الصليب . فيكفي
لتأمل في الحزن الذي يلم اعتيادياً بكل من الامهات عندما تشاهد جسد
بنها ميتاً * فقد أوحي الى القديسة بريجيتا بانهُ في حين تنزيل جسد
يسوع من الصليب قد أُستعملت ثلثة سلالم . وان التلاميذ قد صعدوا عليها
اقتلعوا اولاً المسامير من يديّ الجسم الطاهر ومن رجليه . وسلموها بيد والدته
(كما كتب سمعان ميتافراسته) وبعد ذلك البعض منهم كان ماسكاً الجسد من
وق وبعضهم من اسفل . وهكذا انزلوهُ من الخشبة ". اما برنرديئوس البوسطي
يلاحظ متأملاً كيف ان هذه الام الموعبة من مرائر الحزن اقبلت نحو التلاميذ
تعانق جسد حبيبها المحمول منهم . رافعةً يديها منتصبةً على رؤوس اصابع
رجليها لمساعدتهم . وكيف انها بعد اخذها اياهُ في حضنها وسدتهُ على ركبتيها
جالسةً تحت صليبه . محدقةً بنظرها في جسمه . متأملةً في فمه المفتوح .
عينيه المعتمتين . ولحمانه المزقة الملوة جراحات وعظامه المجردة . ثم كيف
نها رفعت اكليل الشوك المغروس في راسه متأملةً في الثقوب الموجودة
في هامته المقدسة من تلك الاشواك . ناظرةً الى يديه ورجليه المثقوبة
المسامير وقائلةً « واحسرتاه يا ابني ونور عينيَّ الى اية حال اوصلتك محبتك
لعظيمة للبشر . فترى اي شر صنعت انت معهم حتى انهم عاملوك بهذه
لقساوة . فانت كنت معي ابًا لي واخًا وعروسًا . وانت حبيبي ونعمي
مجدي وكل شيءٍ كنت املكهُ . فانظر اليَّ يا ابني بما انا فيه من الاحزان

والاوجاع وارمقني بنظرك معزياً اياي. ولكن اواه انت ما عدت تشاهدني. فاعطني كلمةً يا كلمة الله وعزني بلفظةٍ واحدةٍ. واويلاه انت ما عدت تفه بكلمةٍ لانك قد مُتَّ". ثم بعد ذلك يلاحظها برنرديوس المذكور ملتفتةً نحو آلات الآمه قائلةً نحوها „ ايتها الاشواك القاسية. والمسامير والحربة الجارحة المؤلمة. كيف امكنكِ ان تعذبي بهذا المقدار خالقكِ. ولكن انتم يا معشر الخطاة انتم هم الذين عاملتم ابني هذه المعاملة السيئة المرثى لها" ✿

اي نعم ان مريم العذراء هكذا كانت تتشكى بالصواب منا حينئذٍ الَّا انهُ لو امكنها ان تكون الان موضوعاً قابلاً لان تحزنَ وتتألم. فترى اي شيءٍ لكانت تتكبد منا عند مشاهدتها ايانا نحن البشر. بعد ان صُلب ابنها عنا ومات من اجلنا نجدد ثانيةً صلبهُ وموتهُ بفعلنا الخطايا والاثام التي هو تألم من جرائها ومات ليفي عنها. فاذاً يليق بنا ويلزمنا الَّا نحزن بعدُ قلب هذه الام الموجوعة. واذا كنا فيما مضى نحن ايضاً سببنا لها التألم بمآثمنا. فلنصنعنَّ الآن ما تقولهُ هي لنا عن لسان النبي اشعيا هاتفةً نحونا „ ارجعوا ايها الفجار الى القلب" (ص ٤٦ ع ٨) اي ارجعوا ايها الخطاة الى قلب ابني يسوع المجروح. وعودوا اليه تائبين وهو يقتبلكم محتضناً. فاهربوا منهُ بحسب كونهِ قاضٍ وارجعوا اليهِ بحسب كونهِ فادي. اهربوا من المحكمة القضائية الى منبر الصليب" (كما يقول عن لسانها الانبا غواريكوس) ثم ان هذه السيدة قد اوحت للقديسة بريجيتا بانها حين اقتبالها جسد يسوع من على الصليب في حضنها. قد اغلقت بيدها عينيه. ولكنها لم تقدر ان تجمع ذراعيه وتضمهما الى صدره. مريداً مخلصنا ان يشير الينا بانهُ يرغب ان يبقي ذراعيه مفتوحتين ليعتنق بهما جميع الخطاة التائبين الراجعين اليه تعالى من كل قلوبهم „ فيا ايها العالم (تقول هذه السيدة المتألمة مع حزقيال النبي ص ١٦ ع ٨) قد مررت بك ورأيتك واذا حينك حين الصبابة". فهوذا ابني قد مات ليخلصك يا ايها العالم. فليس هو حينك بعد الان حين الخوف والجزع. بل حين الحب والتحبب. حين الانعطاف بالحب الحقيقي نحو من اظهر لك حقايق حبه اياك باحتمالهِ حبًّا بك هذا المقدار من الآلام الشديدة „ فيا ايها الخطاة. يقول القديس برنردوس. ان قلب المسيح قد جرح جرحاً حسياً ظاهراً حتى عندما تعاينوا هذا الجرح المنظور تفطنوا بجرح

المحبة الغير المنظور التي هو احبكم بها". وهنا تختم والدة الاله خطابها الذي يقولهُ عن لسانها العلاَّمة ايديوطا بهذه الكلمات وهي „ان كان ابني قد ارتضى بان يُفتَح جنبهُ بطعن الحربة لكي يعطيك قلبهُ ايها الانسان. فعادلٌ وصوابي هو انك تعطيه انت قلبك واهباً اياه لهُ". ويقول اوبارتينوس الذي من كازاله „ان كنتم يا اولاد مريم البتول تريدون ارادةً ثابتةً ان تجدوا مكاناً في قلب يسوع. فامضوا جملةً مع هذي السيدة وهي تستمد لكم هذه النعمة" ✿

✿ نموذج ✿

قد اخبر التلميذ (في كتابه الملقب برحمة مريم البتول) عن احد الخطاة الاشقياء الذي فيما بين مآثمهِ الاخر الشنيعة كان قتل اباه واخاه الطبيعيين. فهذا يوماً ما دخل في زمن الصيام الكبير الى احدى الكنائس واستمع هناك من الكاروز عظةً مختصةً بسمو المراحم الالهية. ومن ثمَّ تقدم من تلقا ذاته الى منبر الاعتراف مقرًّا بخطاياه. فلما استمع منهُ معلم الاعتراف تلك الكبائر المملوة شناعةً ونفاقاً. ارسلهُ الى امام احد الهياكل المختصة بوالدة الاله المتألمة. ليتوسل اليها هناك في ان تستمد لهُ من الله تألماً قلبياً وتوجعاً حقيقياً على تلك الخطايا وتنال لهُ نعمة غفرانها. فهذا الخاطىء اطاع الامر وذهب امام الهيكل المشار اليه وابتداء ان يتضرع بحرارةٍ لهذه الام الرؤوفة. الَّا انهُ في الحال سقط هو على الارض مائتاً. ففي الصباح التالي حينما كان الكاهن يطلب من الشعب الحاضر ان يتوسلوا لله من اجل نياح نفس ذاك الانسان المتوفي بموت الفجاة. واذا بحمامةٍ كلية البياض دخلت الى الكنيسة طائرةً وطرحت عند قدميَّ الكاهن الموميَ اليه الورقة التي كانت ماسكتها برجليها. فاخذ الكاهن الورقة ففتحها ورأى مكتوبةً فيها هذه الكلمات وهي „ان نفس هذا الراقد حالما خرجت من جسدها قد دخلت من دون مانعٍ الى الملكوت السموي. واما انت فواظب على كرزك فيما يختص بعظم المراحم الالهية". فيا لاقتدار العذراء المتألمة على اكتساب الندامة للخطاة ✿

✿ صلوة ✿

ايتها البتول المتألمة يا ذات النفس العظيمة في الفضائل والشجيعة في

الاوجاع ايضاً. انهُ اذ كانت هذه وتلك اي الفضائل والاوجاع انما تتولد فيكِ عن لهيب نار ذاك الحب الذي بهِ تحبين الله. لان قلبكِ لا يعرف ان يحب شيئًا غيرهُ تعالى. فارحميني يا امي انا الذي ما احببت الله بل اني اغظتهُ مراتٍ هكذا عديدةً. الَّا ان احزانكِ تعطيني رجآء عظيماً في نوال غفران خطاياي. غير ان هذا لا يكفيني. فانا اريد ان احب سيدي. فمن هو الذي يمكنهُ ان يستمد لي منهُ عزَّ وجلَّ هذه النعمة نظيركِ انتِ التي هي ام المحبة الجميلة. اهاً لي يا مريم فانتِ من عادتكِ ان تعزي الجميع بمنحِ المواهب فعزيني انا ايضاً امين ☆

الفصل الثامن

☆ في الموضوع السابع والاخير المختص بحزن البتول مريم ☆
☆ وهو دفن جسد يسوع ابنها الحبيب في القبر ☆

انهُ لا ريبَ ولا شكَ في انهُ حينما تكون امٌ ما حاضرةً عند ابنها الطبيعي حين نزاعهِ الاخير وموتهِ. فتشعر هي في ذاتها بتلك الاوجاع عينها التي يتكبدها ابنها. الَّا انهُ بعد ان يكون الابن المعذَّب قد مات وأُخذ ليُدفن. وتوجد امهُ المحزونة ملتزمةً بمفارقتهِ. فيا لهُ من المٍ شديدٍ يحيق بها حينئذٍ عند تفكرها بانها ما عادت تقدر ان تشاهد ولدها مرةً اخرى. فهذا هو السيف الاخير من سهام الحزن السبعة التي جازت في نفس والدة الاله الكلية القداسة. الذي الان نأخذ بالتأمل فيه. وهو ما تألمت بهِ هذه البتول حينما التزمت. بعد ان حضرت صلب ابنها. واحتضنتهُ مائتًا. بان تتركهُ اخيراً في القبر. وهكذا ينقطع املها من ان تشاهدهُ مرةً اخرى على الارض ☆

الَّا اننا لكي نتأمل جيداً في هذا الموضوع الاخير. فلنرجع بالعقل الى جبل الجلجلة لنشاهد هناك هذه الام المملوة اوجاعاً لم تزل محتضنةً على ركبتيها جسد ابنها يسوع المائت. وكانها تقول نحوهُ كلمات ايوب البار هاتفة يا ابني « قد صرت لي قاسياً » (ايوب ص ٣٠ ع ٢١) اي نعم ان الامر

هو كذلك. لان اعضاء جسدك الجميلة كلها. وحسنك. ولطافتك. ونعمتك. وفضائلك. وتصرفاتك الجليلة ذات الحب. وسائر علامات المحبة الخصوصية التي اظهرتها نحوي. والنعم والمواهب الفريدة. والاختصاصات الفائقة الشرف التي ملحتنيها. فهذه كلها قد استحالت بالنسبة اليّ سهامًا جارحةً تطعن قلبي مسببةً لي احزانًا واوجاعًا لا يمكن وصفها. بنوع انها بمقدار ما الهبت فيّ قبلًا نيران الحب نحوك فباكثر من ذلك الان تصيرني ان اشعر بمرارة الحزن على كوني فقدتك. اواه يا ابني الحبيب انني بخسراني اياك قد خسرت كل شيء „ فانت هو الاله الحقيقي المولود مني (يقول القديس برنردوس عن لسانها في مراثيه لاحزانها) وانت لي ابٌ. وفي الوقت عينه انت لي ابنٌ وعروسٌ معًا. وانت لي نفسٌ وحيوةٌ. فانا الان يتيمةٌ من الاب وارملةٌ من العروس وفاقدة الابن. واذ اني خسرتك انت يا ابني فقد خسرت بك كل شيءٍ" ☆

فهكذا كانت مريم تندب اوجاعها وترثي حبيبها يسوع معانقةً جسده الطاهر. الَّا ان التلاميذ القديسين لخوفهم الصوابي من ان هذه الام المطعونة بسهام الحزن المفرط تموت مع ابنها الالهي من شدة الحزن. قد اجتهدوا في ان يأخذوا جسدهُ من حضنها بكل اسراعٍ. ويأتوا بهِ ليدفنوهُ. وهكذا باغتصابٍ احترامي احتالوا باخذه من بين ذراعيها. واذ حنطوهُ بالمرّ ولفوهُ بالسباني التي اراد تعالى ان تنطبع بها صورتهُ. ليتركها في العالم تذكرةً لدفنه. كما تُشاهد الى الان محفوظةً في مدينة طورين. فهكذا حمل التلاميذ هذا الجسد الكلي القداسة وساروا بهِ نحو القبر. حيث كانت طغمات الملئكة مرافقةً هذا التابوت جملةً مع النسوة البارّات ومع والدة الاله الغائصة في بحر الاحزان. ولمَّا دنوا من المغارة المعدّ فيها القبر انزلوهُ هناك. ولكن لقد كان امرًا محبوبًا في الغاية لدى هذه السيدة ان تُدفَن حيّةً هي ايضًا مع جسد ابنها. لو كان ذلك ممكنًا لها. حسبما اوحت هي نفسها للقديسة بريجيتا. الَّا ان العزة الالهية لم تكن تشاء ذلك. ثم على راي الكردينال بارونيوس ان هذه الام المتألمة قد دخلت معهم مغارة القبر. وبعد ان وضعوا هناك جسد المخلص وتركوا معهُ المسامير واكليل الشوك. فحينئذٍ هولاء التلاميذ التفتوا نحو والدة الاله قائلين لها „ ايتها السيدة. انهُ يلزمنا ان نغلق القبر. فنرجوكِ بان يكون عندكِ

احتمالٌ وترتضي بان تشاهدي جسد ابنكِ هذه المرة الاخيرة وتتنحي". فمن ثمَّ يلزم ان تكون هذه الام الحزينة تفوهت نحو ابنها قائلةً "فاذًا يا ولدي الحبيب انا ما عدت اشاهدك مرةً اخرى. فاقبل كلمة الوداع مني انا امك. واقتبل مني قلبي الذي اتركهُ مدفونًا معك". فقد كتب القديس فولجانسوس قائلًا "ان مريم البتول كانت تشتهي بكل عزمها وارادتها ان تترك نفسها مدفونةً مع جسد المسيح ابنها". بل ان هذه السيدة عينها قد اوحت للقديسة بريجيتا قائلةً لها "انهُ يمكن ان يقال حقًا وصدقًا ان قلبَين وُجدا مدفونَين في قبر ابني وهما قلبهُ وقلبي معًا" ✡

فاخيرًا التلاميذ دحرجوا حجرًا كبيرًا بهِ اغلقوا القبر على جسد يسوع الكنز الذي لا يوجد كنزٌ يعادل قيمتهُ. لا في السماء ولا في الارض * فقبل ان نفارق هذا القبر المقدس يليق بنا ان نكتب على حجره هذه الكلمات وهي "ان مريم تترك في هذا القبر قلبها مدفونًا مع يسوع. لان يسوع هو كنزها الوحيد". وذلك سندًا على قوله تعالى "انهُ حيثما يكون كنزكم فهناك يكون ايضًا قلبكم" (لوقا ص ١٢ ع ٣٤) اما نحن فترى اين ندع قلوبنا مدفونةً. ربما في المخلوقات في الوحل. ولكن لماذا لم تكن مدفونةً في يسوع هو الذي ولئن كان صعد الى السماء فمع ذلك اراد ان يبقى في القربان الاقدس. لا ميتًا بل حيًا لهذه الغاية وهي لتكون فيه قلوبنا وهو يملك عليها * فلنعودنَّ نحو والدة الاله. اذ يقول القديس بوناونتورا "انها اي مريم البتول لم تشاء ان تفارق حجر القبر قبل ان تباركهُ قائلةً "ايتها الصخرة السعيدة التي الان تغلقين مدفونًا داخلكِ ذاك الذي أُغلق عليهِ في مستودعي مدة تسعة اشهرٍ. فانا اباركك واحسد سعادتكِ. واتركك ان تحرسي لي ابني هذا الذي هو خيري بجملته وحبي الاعظم". ثم التفتت نحو الاب الازلي وقالت "انني استودعك ايها الاب القدوس ابنك هذا الذي هو ابني انا ايضًا". وهكذا ودعت القبر وما ضمنهُ وانطلقت راجعةً الى بيتها * فيقول القديس برنردوس "ان جميع الذين كانوا في الطريق يشاهدون مريم العذراء راجعةً في تلك الحال المرثي لها. فلم يكونوا يقدروا ان يمسكوا ذواتهم عن البكاء بمرارة. وان النسوة البارات والتلاميذ القديسين قد كان بكاؤهم وحزنهم على مريم اشدَّ من بكائهم وحزنهم على يسوع سيدهم" ✡

ثم ان القديس بوناونتورا يرتأي بان اخوات مريم العذراء. اي قريباتها قد غطينها بازارٍ اسود ورجعنَ بها من المقبرة. وانهُ في مرورهنَّ كافةً من عند جبل الجلجلة. حيث كان الصليب بعد مغروساً في الارض مبتلاً بدم يسوع. فوالدتهُ هذه المتألمة قد كانت هي اول من سجد لهذا العود الخلاصي قائلةً نحوه „انني اقبّلك ايها الصليب المقدس واسجد لك لانك الان لم تعد خشبة اللعنة بل عود الحب ومذبح الرحمة المكرس بدم الحمل الالهي الذي قُدّم عليك ذبيحةً لاجل خلاص العالم" ✫

وقد فارقت الصليب وعادت الى منزلها الذي لما بلغت اليه اخذت تجول بنظرها فيه ههنا وهناك من دون ان ترى حبيبها يسوع. بل عوضاً عنهُ كانت تتصور امام عينيها اعمال حياته كلها المملوة محاسن وقداسةً. ومعًا اعمال آلامه جميعها التي احتملها ومات بها. فهناك طفقت تتذكر المعانقات التي كانت تعانقهُ بها طفلاً في بيت لحم. والمفاوضات التي خاطبها بها وتكلمت معهُ مدة سنين هكذا عديدة في دكان النجارة وفي مدينة الناصرة وفي امكنةٍ اخر. وتتفكر بعواطف الحب المتبادلة منها اليه ومنهُ نحوها وبنظراته ذات المحبة. وبكلمات الحيوة التي كانت تخرج من فيه الالهي. ثم بعد ذلك كانت تحضر بازائها تلك الاشياء كلها التي شاهدتها في النهار عينه مما يختص بآلامه وموته وتنزيله عن الصليب ودفنه. متأملة في آلات عذاباته كالمسامير واكليل الشوك والحربة وغيرها. وفي جراحات جسده المثخنة. وفي عظامه المجردة وفمه المفتوح وعينيه المعتمتين * اواه كم كانت تلك الليلة موعبةً من الغموم والاحزان الشديدة الملمّة بهذه الام الضنوكة من التعب والتألم. وقد كانت حيناً بعد حين تلتفت نحو القديس يوحنا الرسول قائلةً بحزنٍ „ اواهًا لي يا يوحنا اين هو معلمك". وبعدهُ كانت تسأل المجدلية متنهدةً بقولها „اخبريني يا ابنتي مريم اين هو المحبوب منكِ. واحسرتاه مَن هو الذي خطفهُ منا". وهكذا كانت تبكي هي وكل الحاضرين بكاءً مرًّا * وانتِ يا نفسي أَمَا تبكين. تبًا لكِ. فالتفتِ اذًا نحو مريم المتألمة وقولي لها مع القديس بوناونتورا „انكِ من دون ريبٍ يا سيدتي انتِ بريئةٌ من الذنب. وانا هو بالحقيقة الاثيم في ذلك". ثم تضرعي اليها في انها قلما يكون تجعلكِ ان تبكي معها. فهي تبكي من شدة الحب وانتِ

ابكي توجعاً على خطاياكِ. واذا ما بكيتِ على هذه الصورة فتستطيعين ان تفوزي بالحظ الآتي عنهُ القول في النموذج التابع ✿

✿ نموذج ✿

اخبر الاب الجالغرافه (في خطبته على وداع عيد الميلاد) عن احد الرهبان. بانهُ كان معذبًا من سجس ضميره بقلقٍ عظيمٍ كاد مراتٍ كثيرةً ان يفضي بهِ الى اليأس من الخلاص. ولكن من حيث انهُ كان كلي العبادة نحو والدة الاله المتألمة. فلم يكن يغفل عن الالتجاء اليها دائماً في اوقات المنازعات الروحية التي بها كانت نفسهُ تناهز الموت بقطع الرجاء. وعندما كان يأخذ بالتأمل في احزان هذه الام الالهية فكان يتقوى وينجو من تجربة الوسوسة. فاخيراً مرض هو مرض الموت. وحينئذٍ الشيطان بابلغ نوع جعل يحاربهُ بالوسواس مجتذباً اياه الى قطع الرجاء من رحمة الله ومن خلاصهِ الابدي. فاذ رأتهُ والدة الاله في حالٍ يرثى لها شفقت عليه وظهرت لهُ وخاطبتهُ مشجعةً اياه بقولها „ يا ابني لماذا انت تخاف وتحزن بهذا المقدار. انت الذي مراتٍ كثيرة قد تأملت في احزاني واوجاعي وبذلك عزيتني جدًا. فقم مسرعًا لان ابني الالهي ارسلني لاعزيك. وانهض فرحًا وهلمَّ معي الى الفردوس السماوي ". فحالًا سمع الراهب العابد هذه الكلمات استوعب فرحًا وسرورًا وتعزيةً وثقةً ورجاءً عظيمًا. وفي الحال بكل هدوءٍ وسلامٍ رقد بالرب مائتًا ✿

✿ صلوة ✿

انني لا اريد ان اتركك تبكين وحدكِ يا امي المتألمة. بل اقصد ان ارافقكِ بدموعي. فانا اطلب منكِ اليوم هذه النعمة وهي ان تستمدي لي ان احفظ على الدوام ذكر آلام سيدي يسوع المسيح في عقلي وقلبي. وان اكون حسن العبادة نحو هذه الالام المقدسة. لكي اصرف الايام الباقية من حياتي بالبكاء على اوجاعه تعالى بالجسد واوجاعكِ. فانا ارجو ان تكون هذه الالام عتيدةً ان تمنحني في ساعة موتي طمانينةً وقوةً. لكيلا اقطع رجائي عند تأملي كثرة الاهانات التي اغظت بها سيدي. وتهبني غفران خطاياي

ونعمة الثبات في البرّ والحيوة الابدية التي ارجو ان ابلغ اليها. وهناك افرح معكِ واسبح مراحم الهي الغير المتناهية ✿

فالقديس برنردوس يقول مخاطباً اياكِ يا امي البتول المجيدة هكذا "ايتها السيدة يا من تختطفين قلوب البشر بعذوبة حلاوتكِ. أَما انكِ اختطفتِ قلبي انا ايضاً. فمتى تردينهُ لي يا خاطفة القلوب ولهذا انتِ اهتمي بهِ ودبريهِ مع قلبكِ. وضعيهِ في جنب ابنكِ. وحينئذٍ انا املك الشيء الذي ابتغيهِ. لانكِ انتِ هي رجاؤنا" ✿

✿ تنبيه ✿

ان الذي تكون فيه عبادةٌ مرغوبةٌ منهُ في ان يتلو المسبحة المختصة باحزان والدة الاله. فيراها مدونة في كتاب الرياضة اليومية. وهي تأليف القديس المصنف هذا الكتاب نفسه ✿



المقالة الثالثة

☆ في اخص فضائل سيدتنا مريم البتول والدة الاله ☆
☆ الكلية القداسة. وفيها مقدمة وعشرة فصول ☆

المقدمة

☆ في موضوع هذه المقالة ☆

ان القديس اوغوسطينوس يقول „ انهُ لاجل اكتساب حماية القديسين ومساعدتهم بأكثر توكيدٍ وباوفر سخاء يجب ان يصير الاقتداء بهم. لانهم اذ يشاهدوننا ممارسين بالعمل الفضائل التي هم مارسوها في ازمنة حياتهم على الارض. فحينئذٍ يتحركون بأكثر انعطافٍ الى ان يتوسلوا لله من اجلنا „. فسلطانة القديسين وشفيعتنا الاولى والمتقدمة على الجميع سيدتنا والدة الاله. تريد من تلك النفس التي قد انتشلتها من يد لوسيفوروس واتحدتها بالله. ان تقتفي اثر نموذجاتها. والّا فلا يمكنها ان تغنيها بالنعم والمواهب حسب مرغوبها. اذا رأتها مضادةً لها في سيرتها واعمالها. ومن ثمَّ هذه البتول المجيدة تعطي الطوبى لاولئك الذين يجتهدون في ان يقتدوا بفضائلها قائلةً „ يا اولادي اسمعوني. طوبى للذين يحفظون طرقي „ (امثال ص ٨ ع ٣٢) فمَن يحب شخصاً امّا انهُ يوجد شبيهاً بهِ. وامّا انهُ يجتهد في ان يتشبه بهِ. كحسب المَثل الشهير الذي يقال بهِ „ ان الحب امّا انهُ يوجد في المماثلة. وامّا انهُ يجذب اليها „. ولهذا يحرضنا القديس ايرونيموس قائلاً „ انهُ ان كنا نحب مريم العذراء فيلزمنا ان نهتم في ان نماثلها بالفضائل. لان هذا هو التكريم

الاعظم والعبادة الفضلى التي نستطيع ان نقدمها لها". ويقول ريكاردوس „ ان اولئك الذين هم اولاد مريم الحقيقيون المقتدرون ان يسموا ذواتهم كذلك. فانما هم الذين يجتهدون في ان يعيشوا حسب عيشتها على الارض". فاجتهد اذاً يا مَن انت ابنٌ لمريم (يقول القديس برنردوس) في ان تقتدي بها. ان كنت ترغب اسعافها اياك. لانها حينما ترى ذاتها مكرمةً منك كامٍ. فتعاملك وتعينك كولدها" ☆

فنظرًا الى فضائل هذه السيدة الخصوصية ولئن كنا نقراء عنها كلماتٍ وجيزةً مدونةً في الانجيل المقدس. فمع ذلك اذ يقال عنها فيه انها ممتلئةٌ نعمةً. فهذا يعلن لنا واضحاً انها كانت حاصلةً على كل الفضائل بدرجاتٍ كلية السمو. بنوعٍ انهُ. كما يقول عنها القديس توما اللاهوتي (في كتيبه الثامن) „ ان كلاً من القديسين الاخرين قد تلالأ بفضيلةٍ ما خصوصيةٍ وبها سما على البقية. واما البتول الطوباوية فقد تلالأت في الفضائل كلها بدرجاتٍ سامية. وقد أُعطيت لنا نموذجاً في جميع الفضائل". وكذلك يقول القديس امبروسيوس „ ان والدة الاله قد وُجدت هكذا كاملةً. بنوعٍ ان سيرة حياتها كانت تحوي الاداب والفضائل باسرها. فلتكن مرسومةً في عقولكم بتولية مريم. واعمال حياتها التي تلالأت فيها الفضائل. فمنها خذوا نموذج السيرة. وماذا يلزمكم ان تهذبوهُ فيكم وما الذي تهربون منهُ. واي شيءٍ تتبعونهُ". ثم من حيث ان فضيلة التواضع. حسب تعليم الاباء القديسين كافةً هي الحجر الاول في اساس الفضائل كلها. فلهذا نأخذ اولاً وبداءً بالتأمل في كم وُجدت عميقةً جداً فضيلة تواضع العذراء المجيدة ☆

الفصل الاول

☆ في الاتضاع العميق الذي اتصفت بهِ والدة الاله ☆

ان القديس برنردوس يقول „ ان التواضع هو اساس ابتناء الفضائل". وهذا بكل صوابٍ. لانهُ من دون التواضع لا يمكن ان توجد فضيلةٌ حقيقية

في نفس انسانٍ اصلاً. فالاتضاع اذ يُمتلك فمعه تُمتلك الفضائل باسرها. واذ يهرب من المرءِ فتهرب معهُ الفضائل كلها . ومن ثمَّ كتب القديس فرنسيس سالس للطوباوية يوفانا شينتال الراهبة قائلاً „ ان الله بهذا المقدار يحب فضيلة التواضع. حتى انهُ تعالى ايثما يراها موجودةً يبادر نحوها باسراع". فهذه الفضيلة الجليلة الجميلة الضرورية قد كانت فيما مضى مجهولةً في العالم. ولكن قد جاء ابن الله عينهُ الى الارض لكي يوطدها ويعلم بها بواسطة نموذجهِ. واراد منا ان نجتهد في اقتفاء اثرهِ بنوعٍ خاص في هذي الفضيلة بقولهِ لنا „ تعلموا مني فاني وديعٌ ومتواضع القلب". (متى ص ١١ ع ٢٩) ومن حيث ان مريم العذراء قد كانت التلميذة الاولى ليسوع . ووجدت الاكمل والاعظم فيما بين تلاميذه في الفضائل كلها. فهكذا كانت فضيلة تواضعها الاساسية عميقةً في الغاية. ومن اجل هذه الفضيلة التي تلالأت بها بنوعٍ فريدٍ قد استحقت ان ترفع فوق المخلوقات باسرها. وقد أُوحي الى القديسة ماتيلده „ بان الفضيلة الاولى التي وضعتها بالعمل هذه البتول المجيدة منذ طفوليتها قد كانت فضيلة الاتضاع" ✡

فاول فعل من افعال تواضع القلب انما هو ان الانسان يعتبر ذاتهُ دنيًّا حقيراً. ولذلك قد احتسبت ذاتها مريم البتول بهذا المقدار كلا شيء . كما أُوحي للقديسة ماتيلده عينها حتى انها ولئن كانت تشاهد نفسها غنيةً بالنعم والمواهب والصفات. فمع ذلك قط لم تفضّل ذاتها على احدٍ مطلقاً". فالانبا روبارتوس في تفسيره كلمات العدد ٩ من الاصحاح ٤ من سفر النشيد وهي هذه „ اينها العروسة اختي جرحتِ قلبي. جرحتِ قلبي باحدي عينيكِ وبشعرة واحدة من عنقكِ". يقول „ ان شعر عنق هذه العروسة الذي جرح قلب الله انما هو تواضع مريم العذراء عروسته الالهية". فاتضاع هذه السيدة لم يكن يلزمها بان تحتسب ذاتها خاطئةً . لان التواضع هو حقٌ كما تقول القديسة تريزيا. والحال ان والدة الاله كانت تعرف نفسها جيداً انها لم تغظ الله بزلةٍ قط. فاذاً لم يكن يمكنها ان تكذب بقولها عن ذاتها انها خاطيةٌ. بل ولا كان قائماً تواضعها في الّا تعترف بانها اقتبلت من الله نعماً اعظم من جميع النعم التي أُعطيت لسائر الخلايق. لان القلب المتواضع يعرف حسناً المواهب التي نالها من الرب بطريقةٍ اختصاصية. لكي يواضع نفسهُ بابلغ

نوع. وانما كانت اذاً فضيلة اتضاعها قائمةً في انها بمقدار ما كانت هذه الام الالهية حاصلةً على نورٍ اعظم في ان تعلم حقايق عظمة الهها الغير المتناهية. وسمو غنى صلاحهِ الغير المدرك. فباكثر من ذلك كانت تعرف حقيقة دناءتها وصغرها عند ذاتها. ولذلك كانت تتواضع اكثر من الجميع قائلةً مع عروسة النشيد „لا تنظروا اليَّ فاني سوداء لان الشمس غيرت لوني" (نشيد ص ١ ع ٦) امَّا القديس برنردوس فيعلن هذه الكلمات هكذا „اني اضحيت سوداء لاقتراب الشمس مني". وهذا بالصواب. لان القديس برنردينوس يقول „ان البتول القديسة كانت حاصلةً باتصالٍ على معرفة حالية عن عظمة العزة الالهية. وعن دناءة ذاتها كانها عدم وكلا شيء بالكلية". وكانت بذلك تشبه جاريةً مسكينةً متسولةً قد وُهب لها ثوب ارجوان كثير الثمن. الذي اذا ما تردت بهِ امام مَن انعم بهِ عليها فلا تتكبر مفتخرةً. بل تزداد تواضعاً بازاء المحسن اليها كل مرةٍ تشاهدهُ. لانها حينئذٍ تتذكر جيداً فقرها ومسكنتها. فهكذا مريم العذراء بمقدار ما كانت ترى ذاتها غنيةً بالمواهب الممنوحة لها من الله فباكثر من ذلك كانت تتضع في ذاتها. متذكرةً ان تلك النعم والاختصاصات كلها انما هي مواهب الله وعطاياه. ومن ثمَّ قالت هي نفسها في الوحي للقديسة اليصابات الراهبة التي من قانون القديس بناديكتوس „انني كنت احتسب ذاتي بنوع اكيد اني كلية الاحتقار والدناءة. واني لم اكن مستحقةً نعمة الله". ولهذا قال القديس برنردينوس „انهُ ما وُجدت خليقةٌ قط في العالم قد ارتفعت الى مقامٍ كلي السمو كما ارتفعت مريم. من حيث انهُ لم توجد خليقةٌ ما اصلاً شبيهةً لها في التواضع العميق" ✿

ثم ما عدا ذلك انهُ لفعل اتضاعٍ حقيقي هو ان الانسان لا يكشف للغير المواهب السماوية التي نالها. فالبتول المجيدة ارادت ان تخفي عن القديس يوسف خطيبها. حال كونها أُختيرت من العزة الالهية لان تكون والدةً للاله. او انها قلما يكون لم ترد ان تكشف لهُ ذلك مع انها كانت محتاجةً لان تخبرهُ بهِ. لكي تخلصهُ على ما قل من قلق افكارهِ بالارتيابات الحاصلة عنده وقتئذٍ في امر حبلها. وبالتالي كان يمكنهُ ان يشك في طهارتها. او لترفع عنهُ سبب التوسوس كما كان بالحقيقة هذا القديس حاصلاً في حربٍ مع افكاره. اذ انهُ من جهةٍ اولى لم يكن يرتاب اصلاً في طهارة خطيبته المجيدة

ونقاوة بتوليتها. ومن جهةٍ اخرى قد كان يجهل سر حبلها وعلته. فلهذا „هم بتخليتها سرًّا" (متى ص ١ ع ١٩) اي اعتمد على ان يهرب عنها سرًّا. ولقد كان تمم اعتمادهُ هذا بالعمل. لولا يكون ظهر لهُ ملاك الرب بعد ذلك واخبرهُ بان حبلها كان من الروح القدس ✿

وكذلك ان المتواضع يرفض قبول المدائح التي يُقرَّظ هو بها من الغير. ويخصص المديح والمجد لله وحدهُ. فهوذا مريم قد اضطربت عند سماعها زعيم الملئكة جبرائيل قائلاً لها „افرحي يا ممتلئةً نعمةً الرب معكِ مباركةً انتِ في النساء" (لوقا ص ١ ع ٢٨) وحينما قالت لها القديسة اليصابات „مباركةٌ انتِ في النساء — فمن اين لي مثل هذا ان تأتي ام ربي اليَّ — طوبى لتلك التي امنت ليكون لها ما كُلمت بهِ من قبل الرب". اما هذه البتول فاذ كانت تنسب ذلك جميعهُ لله. قد اجابتها بتلك التسبحة المملوة اتضاعاً قائلةً „تعظم نفسي للرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لانهُ نظر الى تواضع امتهِ" (لوقا ص ١ ع ٤٧ و ٤٨) وكانها بهذا كانت تقول „اما انتِ يا اليصابات فتمدحينني. واما انا فامدح الرب الذي لهُ وحدهُ يجب المديح. وانتِ تتعجبين من مجئي اليكِ. واما انا فانذهل من الجودة الالهية التي بها وحدها تبتهج روحي. انتِ تعطيني الطوبى لاجل اني آمنت بما قيل لي من قبل الرب. واما انا فاسبح الهي الذي اراد ان يرفع عدمي ويكرم دناءتي ناظرًا الى تواضع امتهِ". ولهذا اوحت العذراء نفسها للقديسة بريجيتا بقولها لها „فلماذا اذًا انا انضعت بهذا المقدار واستحقيت نعمًا هكذا عظيمةً. الاَّ من قبيل كوني قد تفكرت وعرفت انهُ لم يكن لي شيء من قبل ذاتي. ولم اكن عند نفسي شيئًا. فلهذا ما اردت قط مديحي انا. بل مديح ذاك المعطي والمانح وحدهُ". ومن ثمَّ يقول القديس اوغوسطينوس اذ يتكلم عن اتضاع مريم البتول هكذا „يا لهُ من تواضعٍ طوباوي بالحقيقة. لان هذا التواضع ولد للبشر الاله متجسدًا. وفتح لهم الفردوس. وخلص انفسهم من جهنم" ✿

وايضًا انها لمن حقايق الاتضاع هي خدمة المرء غيرهُ. فهذه السيدة لم تأنف من ان تمضي عند القديسة اليصابات وتخدمها مدة ثلثة اشهرٍ. ولذلك قال القديس برنردوس „ان اليصابات انذهلت من مجيء الطوباوية مريم

اليها . ولكن الانذهال الاعظم هو من كون هذي السيدة لم تاتِ لتُخدَم بل لتخدم " ☆

ثم ان المتواضعين يوجدون منفردين عن الكثرة . ويختارون لذواتهم احقر الامكنة . ولهذا اذ يتأمل القديس برنردوس .في كيف ان هذه الام الالهية حينما ارادت ان تتكلم مع ابنها يسوع . لّما كان هو يعلّم في احد الامكنة . فلم تتقدم اليهِ امام الناس داخلةً من تلقاء ذاتها الى المكان الجالس هو فيهِ وقتئذٍ. بل لبثت واقفةً خارجًا وارسلت تخبرهُ برغبتها ان تراهُ المخاطبة (متى ص ١٢ ع ٤٦) فيقول هو اي القديس برنردوس " ان مريم كانت واقفةً خارجًا من دون ان تقطع مجرى الوعظ لاجل احترامها الوالدي. ومن غير ان تدخل الى البيت الذي فيهِ كان ابنها يكرز". وهكذا حينما كانت موجودةً في الغرفة الصهيونية بعد قيامة ابنها من بين الاموات قد اختارت المكان الاخير. كما كتب القديس لوقا الانجيلي بقوله " وحين دخلوها صعدوا الى الغرفة التي كانوا بها مقيمين بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتولماوس ومتى ويعقوب بن حلفا وسمعان الغيور ويهوذا اخو يعقوب . هولاء كلهم كانوا مثابتين معًا على الصلوة والابتهال مع النساء. ومريم ام يسوع " (ابركسيس ص ١ ع ١٣) فاحد العلماء يكتب بالصواب بان القديس لوقا لم يكن يجهل استحقاق والدة الاله . حتى انهُ ما ذكر اسمها الَّا في آخر اسماء الجميع . بل لانها كانت هي حقًا جالسةً في آخر الكل . وهو اي القديس لوقا كتب اسماءهم بموجب الرتبة التي بها كانوا جالسين في الغرفة فلذلك دوّن اسمها بعد كلهم . لانها كانت اخذةً المكان الاخير. والَّا لكان من دون ريبٍ ذكر اسمها قبل الجميع لاجل استحقاقها . ولهذا قال القديس برنردوس " ان الاستحقاق صيّر الاخيرة اولى . لاجل انها صيرت ذاتها اخيرةً. مع انهُ كان يخصها ان تكون هي الاولى " ☆

ثم ان المتواضعين يحبون الاحتقار. ولهذا لم يُقرَأْ في الانجيل عن مريم البتول انها ظهرت في اورشليم نهار الاحد المتقدم على آلام ابنها . الذي هو في ذلك اليوم دخل هذه المدينة تلك الدخلة الاحتفالية . واقتبل من الشعوب الكرامات كملكٍ . بل بضد ذلك في حين موت ابنها ميتة العار. لم تانف من ان تظهر حينئذٍ علانيةً على جبل الجلجلة . محتملةً خزي

المعيرة . في انها كانت هي اماً لذاك المحكوم عليه بالموت كمجرمٍ مع اللصوص . ومن ثمّ قالت هذه السيدة عينها للقديسة بريجيتا في الوحي „ ترى اي شيء اكثر اهانةً واحتقاراً من اني أُسمَّى حمقاء فاقدة العقل . وان اكون محتاجةً معوزةً من كل شيء . وان اعتقد بذاتي اني فاقدة الاستحقاقات اكثر من الجميع . فتواضعي كانت هذه صفتهُ يا ابنتي . وهذا كان نعيمي وفرحي وكل ارادتي التي بها لم اكن افتكر بشيء اخر سوى في ان ارضي ابني ". ثم ان الراهبة باولا المكرمة التي من فوليينو قد أُختطفت مرةً بالروح غائصةً بالتأمل في تواضع مريم العذراء . حيث حصلت على معرفة ذلك بنورٍ سماوي . فلما اخبرت بعد هذا معلم اعترافها عنهُ منذهلةً من عظم اتضاع هذي البتول فكانت تقول لهُ هكذا „ كم هو عظيمٌ تواضع مريم العذراء يا ابتي فيا لهُ من اتضاعٍ فريدٍ . لانهُ لا يوجد في العالم كلهِ ادنى درجة من التواضع بالنسبة الى اتضاع هذه السيدة المجيدة ". ومرةً ما قد اظهر الرب للقديسة بريجيتا في الرويا امراتين شريفتين . فاحداهما كانت مزينةً بملابس فاخرةٍ مرتفعةَ العنقِ ذات جبروتٍ باطلٍ . وعنها قال الرب للقديسة „ ان هذه هي الكبرياء . واما الاخرى التي انتِ تشاهدينها برأسٍ منخفضٍ . لطيفة الخطاب . عذبة الكلام مع الجميع . محترمة اياهم . وهي مع الله وحدهُ بعقلها . وتعتبر ذاتها كلا شيء . فهذه هي الاتضاع وتُسمَّى مريم ". وبذلك اراد الرب ان يوضح لنا ان والدتهُ الطوباوية بهذا المقدار كانت متضعةً . حتى انها صارت هي الاتضاع نفسهُ ❁

فلا ريبَ ولا اشكالَ في انهُ نظراً الى طبيعتنا الانسانية المفسودة بالخطية . ربما لا توجد فضيلةٌ يعسر علينا وضعها بالعمل باتقانٍ اكثر من فضيلة الاتضاع . كما يقول القديس غريغوريوس نيصص . ولكن لا مناصَ لنا منها . لاننا لا نستطيع ان نكون اولاداً حقيقيين لمريم البتول ان لم نكن متواضعين . ولذلك يقول القديس برنردوس „ فان كنت يا هذا لا تقدر ان تماثل بتولية العذراء المتواضعة . فماثلنَّ قلما يكون تواضع هذي البتول ". لاسيما لان هذه الام الالهية ترفض المتكبرين ولا تحب الاَّ المتواضعين كقولها „ مَن كان صغيراً فليتجنح اليَّ ". وقال ريكاردوس „ ان مريم تحمينا تحت بيرق التواضع ". وهذا عينهُ اوضحتهُ البتول المجيدة نفسها للقديسة بريجيتا قائلةً لها „ فاذاً

انت ِ ايضًا يا ابنتي هلمي واستظلي تحت ذيل برفيري الذي هو برفير تواضعي". ثم قالت لها ايضًا „ان التأمل في اتضاعي هو وشاحٌ جليلٌ جميلٌ. ولكن من حيث ان مجرد تفكر الانسان في الوشاح لا يدفيه ِ من دون ان يلتف هو بالوشاح عينه ليستدفي . فهكذا لا يفيد مجرد التفكر في تواضعي من دون ممارسة هذه الفضيلة بالعمل. فاذًا البسي يا ابنتي هذا الوشاح". فبالحقيقة ان الانفس المتواضعة هي عزيزةٌ جدًا على قلب هذه السيدة . وعن ذلك كتب القديس برنردوس قائلاً „ ان البتول القديسة تعرف جيداً الذين يحبونها . وهي تحبهم . مستعدةً لاسعاف الذين يستغيثون بها . خاصةً اولئك الذين تلاحظهم مقتدين بموذجات فضيلتَي عفتها وتواضعها العظيمتين". ولهذا يحرض القديس المذكور محبي مريم كافةً على ان يكونوا متضعين بقوله ِ „ تمسكوا بهذه الفضيلة ان كنتم تحبون مريم". فالانبا مارينوس او مرتينوس اليسوعي قد كان حبًّا بالبتول المتواضعة يكنس الدير الذي كان هو قاطنًا فيه ِ. ويغسل امكنة الحماة من اوساخها . فلاجل ذلك ظهرت لهُ يومًا هذه الام الالهية (كما يورد الاب نيارامبارك في كتاب حياته) وكانها قدمت لهُ الشكر على هذا العمل قائلةً لهُ „ انها لعزيزةٌ لديَّ جدًا تصرفات تواضعك هذه المصنوعة منك حباً بي" ✿

فاذًا انا لا يمكنني يا ملكتي ان اكون ابناً حقيقيًا لك ِ. ان لم اكن متواضعًا. ولكن أَمَا تنظرين ان خطاياي بعد ان صيرتني ذاكر الجميل نحو سيدي . قد جعلتني متكبرًا ايضًا . اواه يا امي فانت ِ داوي سقمي . واستمدي لي باستحقاقات تواضعك ِ النعمة في ان اصير متضعاً . وهكذا اعود ابنًا لك ِ امين ✿

الفصل الثاني

✿ في فضيلة محبة العذراء مريم والدة الاله نحو الله ✿

ان القديس انسلموس كتب قائلاً „ انهُ حيثما توجد طهارةٌ عظمى فهناك تُصادَف محبةٌ اسمى". وهكذا بمقدار ما يوجد القلب طاهرًا نقيًا فارغًا من

حب الذات. فبكثر من ذلك يوجد مملوًّا من المحبة لله. فمريم البتول الكلية الطهارة والقداسة. لاجل انها كانت متضعةً بكليتها. وفارغة القلب من حب الذات. قد وُجدت من هذا القبيل موعبةً من المحبة الالهية. حتى انها فاقت بالحب لهُ تعالى على جميع البشر والملئكة ايضاً. كما قال القديس برنردينوس „ان حبها لابنها قد سما على حب سائر المخلوقات لهُ عزَّ وجلَّ". ولذلك بالصواب قد سمَّاها القديس فرنسيس سالس „ سلطانة الحب ". فالرب قد امر الانسان بان يحبهُ من كل قلبه بقوله „ حب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" (متى ص ٢٢ ع ٣٧) الَّا ان هذه الوصية ستوضع بالعمل من البشر بالتمام والكمال لا في هذي الارض بل في السماء. حسبما يقول القديس توما اللاهوتي. غير ان الطوباوي البارتوس الكبير يلاحظ ذلك قائلاً „ انهُ لكان على نوعٍ ما امرًا غير لايقٍ بالله انهُ سبحانهُ يضع وصيةً لا يوجد ولا واحد من البشر ههنا يمكنهُ ان يتممها بالكمال. لولا ان هذه الام الالهية تكون هي اكملت حفظ الوصية المذكورة تماماً وبكل اجزائها ". وهذا القول يوطدهُ ريكاردوس الذي من سان فيتوره هكذا „ ان ام عمانوئيل مخلصنا قد كانت كاملةً بالتمام في كل الفضائل. لانهُ ترى مَن هو ذاك الذي حفظ الوصية الاولى تماماً. وهي ان تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك الا تلك التي قد ارتسم في قلبها الحب الالهي. واتقد بهذا المقدار. حتى انهُ لم يوجد فيها شيء بالكلية مما يثلم هذه الوصية ". ويقول القديس برنردوس „ ان الحب الالهي قد جرح نفس مريم البتول نافذاً في كل قواها بهذا المقدار. حتى انهُ لم يعد ولا جزءٌ من اجزاء كيانها الَّا والجرح بالحب. ومن ثمَّ قد اكملت هي هذه الوصية الالهية تماماً. ولذلك امكن لعروسة النشيد هذه ان تقول „ حبيبي لي وانا لهُ " (نشيد ص ٢ ع ١٦) ولهذا كتب ريكاردوس قائلاً „ ان السيرافيم انفسهم كانوا يقدرون ان يلحدروا من السماء الى الارض لكي يتعلموا من قلب مريم العذراء الطريقة التي بها يحبون الله " ✿

فالقديس يوحنا الرسول كتب قائلاً „ ان الله محبةٌ هو" (اولى ص ٤ ع ٨) فهذا الاله قد جاء الى العالم لكي يقد في الجميع لهيب نار حبهِ الالهي.

ولكن ولا قلبٌ من قلوب البشر كلها قد اشتعلت فيهِ مشاهيب هذه النار المقدسة نظير قلب والدته تعالى. لانهُ من حيث ان هذا القلب البتولي كان نقيًا بجملته. فارغًا بكليته من الانعطافات نحو الاشياء الارضية. فقد اضحى مُعدًّا مهيئًا لان يلتهب كله بنار الحب المغبوطة. كما قال القديس ايرونيموس „ان البتول المجيدة قد اتقدت كلها بنار الحب الالهي. لانهُ لم يكن يوجد في قلبها انعطافٌ ما نحو الاشياء الزمنية. بل وجد دائمًا لهيها ملتهبًا بعواطف هذا الحب السماوي". ولهذا صار قلبها مشتعلاً بجملته كاللهيب. وعنها قيل „ان المحبة معتزمةٌ كالموت. لهيبها لهيب نارٍ لظى الرب. فالماء الكثير لم يستطع ان يطفي المحبة والانهار لا تغمرها" (نشيد ص ٨ ع ٦) وكما يفسر ذلك القديس انسلموس بقوله „ان النار نارًا كانت تتقد في قلبها باطنًا. وكانت هي من خارج تضيء كالسرج بضياء الفضائل كلها". فاذًا حينما كانت والدة الاله على الارض حاملةً على ذراعيها طفلها الالهي. كان يمكن حسنًا وبالصواب ان تُسمَّى „نارًا حاملةً نارًا". ولئن كان الفيلسوف ايبوقراط بمعنى اخر قال هذه الكلمات عن امرأةٍ نظرها مجتازةً من امامهِ حاملةً في يدها مجمرة النار متقدةً. على ان القديس ايدالفونسوس يقول „ان الروح القدس قد الهب بحرارة الحب الالهي مريم البتول بكليتها. نظير ما ان النار تحمي ضمنها الحديد. وهكذا كان يظهر فيها لهيب نار هذا الروح البارقليط. حتى انها لم تعد تشعر في ذاتها بشيء اخر الَّا بشهائب نار الحب الالهي متقدةً في نفسها وقلبها". وقال القديس توما الفيلانوفي ان العلّيقة التي رأها موسى ملتهبةً بالنار كلها من دون ان تحترق. كانت رسمًا لقلب البتول والدة الاله". ولذلك هذه السيدة بالصواب شوهدت من الرسول الحبيب يوحنا في جليانه ملتحفةً بالشمس (ابوكاليبسي ص ١٢ ع ١) „لانها بهذا المقدار كانت متحدةً بالله بشدة الحب (كما يقول القديس برنردوس مفسرًا كلمات الابوكاليبسي الموحى اليها) حتى انهُ يبان ان خليقةً بسيطةً لا يمكنها ان تتحد بهِ تعالى اتحادًا اشدَّ من هذا الاتحاد. فاذًا بالصواب مُثِّلت هذه البتول المجيدة بالامرأة الملتحفة بالشمس. اذ انها تغمرت في اقصى عمق الحكمة الالهية باكثر ممّا يمكن تصديقهُ. بنوع انها استبانت غائصةً في ذاك النور الغير المقترب منهُ. بمقدار ما توجد الخليقة موضوعًا قابلًا لذلك. خلوًا

من الاتحاد الاقنومي بالله ". ثم ان القديس برناونتورا يشهد لنا بقوله „ ان هذه الام الالهية لم تُجرَّب قط من الاركون الجهنمي. لانه كما ان الذبّان والزنابير تهرب من لهيب نارٍ متأجّجةٍ عظيمة. فهكذا الشياطين كانوا مطرودين عن قلب هذي الطوباوية المتأجج بلهيب نار الحب الالهي. ولذلك لم تجسر الارواح النجسة حتى ولا على الاقتراب من قلبها ليجربوها ". وكذلك يقول ريكاردوس „ ان البتول المجيدة وجدت مخيفةً لاركون الظلام. بنوع انهُ لم يمكنهُ ان يدنو منها بتجربةٍ ما. لاهتيابه من لهيب نار الحب نحو الله المتقدة في قلبها ". بل ان والدة الاله نفسها اوحت للقديسة بريجيتا „ بانها اذ كانت في العالم. لم يكن لها لا فكرٌ. ولا شوقٌ. ولا لذةٌ. سوى الله ". ولهذا كتب عنها الاب سوارس „ ان نفسها المباركة اذ كانت دائمًا في مدة حياتها على الارض مرتفعةً الى العلا في الثاوريا نحو الله. غائصةً بالتامل فيه تعالى. فمن ثم افعال الحب ونوافله وعواطفه كانت مفعولةً منها بعددٍ فائق الاحصاء ". ثم انهُ قد اسرني ما كتبهُ برنردينوس البوسطي قائلاً „ ان مريم البتول باختصاصٍ فريدٍ موهوبٍ لها من الله. كانت تحبهُ عزَّ وجلَّ بفعل حبٍ واحدٍ حاليٍّ فعّالٍ متصلٍ. احرى مما بافعالٍ مترادفةٍ متكررةٍ كما يفعل القديسون الاخرون ". وقال القديس بطرس داميانوس „ ان العذراء المجيدة هي شبه النسر كانت عيناها محدقةً على الدوام في الشمس الالهية بنوع انهُ لا اعمالها الخصوصية المتعلقة باحتياجات الحيوة الزمنية. كانت تمنعها عن افعال الحب لله. ولا الحب الالهي كان يصدها عن ممارسة تلك الاعمال ". ولهذا يقول القديس جرمانوس „ ان مذبح الغفران الذي فيه كانت متقدةً النار الدائمة من دون ان تخمد او تنطفي لا نهارًا ولا ليلاً قد كان رسمًا لمريم العذراء " ✿

بل ان النوم الطبيعي نفسهُ لم يكن يمنع هذه السيدة المجيدة عن افعال الحب نحو الله. بمحبتها اياهُ تعالى حين رقادها عينه. لانهُ ان كانت هذه الموهبة الاختصاصية قد أعطيت لآدم وحوا في حين خلقتهما. اي في حال البر الاصلي. كما يشهد القديس اوغوسطينوس بقوله „ ان ابوينا الاولَين كانا سعيدَين على حدٍ سواء كما في حال يقظتهما كذلك في حين نومهما ". فمن المعلوم الاكيد خلوًا من ارتياب لم تكن تنكر الخاصّة المذكورة على

هذه الام الالهية. حسبما يحامي عن اختصاصها بها الاب سوارس والانبا روبارتوس جملةً مع القديس برنرديناوس. ومع القديس امبروسيوس القائل „ ان نفس البتول مريم كانت تستمر ساهرةً متيقظةً حينما كان جسدها ياخذ الراحة بالنوم ". وبهذا قد تصادق محققًا ما سبق وقالهُ عنها الحكيم „ ورأت ان تجارتها جيدة فلا ينطفي طول الليل سراجها " (امثال ص ٣١ ع ١٨) اي نعم ان الامر هو كذلك „ لانهُ حينما كان جسد هذه القديسة المغبوط ياخذ بالنوم الخفيف قليلاً من الراحة الضرورية لحياتها. فكانت نفسها السعيدة (يقول القديس برنرديناوس) حينئذٍ متحدةً بالله. ولهذا قد كانت في حين رقادها بابلغ نوع من الكمال متاملةً فيهِ تعالى باسلوبٍ افضل من ان يمارس هذا التامل مَن يكون في حال اليقظة ". وهكذا كان يمكن بالصواب لهذه السيدة ان تقول مع عروسة النشيد „ انا نائمةٌ وقلبي ساهرٌ " (نشيد ص ٥ ع ٢) „ فهكذا انا كنت سعيدةً في حال نومي بمقدار ما كنت سعيدةً حين يقظتي " (كما يقول عنها الاب سوارس) وبالاجمال كتب القديس برنرديناوس قائلاً „ ان مريم العذراء في مدة حياتها على الارض كانت باتصالٍ من دون انقطاعٍ تحب الله دائماً ". بل اضاف الى ذلك بقوله „ انها لم تفعل قط الا تلك الاشياء التي تكون هي سبقت وعرفت ان بها كانت ترضي الله وتسرهُ. وانها احبتهُ تعالى بمقدار ما اعتبرت ذاتها ملتزمةً بحبهِ ". بنوع انهُ (كما كتب الانبا البارتوس الكبير) يمكن جيداً ان يقال عنها انها قد امتلأت من الحب الشديد لله بهذا المقدار. حتى انهُ لم يعد ممكنًا على نوعٍ ما ان توجد خليقةٌ بسيطةٌ في الارض موضوعاً قابلاً لان تستوعب حبًا اكثر من ذلك ". ولهذا قال القديس توما الفيلانوفي „ ان البتول المغبوطة بواسطة فضيلة محبتها لله المتقدة في الغاية. قد صيّرت ذاتها بهذا المقدار جميلةً في عينيه تعالى. ومحبوبةً منهُ كثيرًا. حتى انهُ عزَّ وجلَّ انجذب من حبها لان ينحدر من السماء الى مستودعها متأنساً. ولذلك يهتف القديس برنرديناوس قائلاً „ هوذا ان فتاةً بتولاً قد جرحت قلب الله حبًا بفضيلتها. وعطفتهُ الى حبها الشديد " ✿

فاذًا من حيث ان العذراء المجيدة تحب الهها حبًا هذا حدهُ. فامرٌ اكيدٌ هو انها لا تطلب راغبةً من المتعبدين لها شيئًا آخر بمقدار ما تريد

منهم ان يحبوهُ تعالى بكل ما يمكنهم. فهكذا قالت هذه السيدة للطوباوية انجلا التي من مدينة فولينو في يومٍ ما حينما تناولت القربان الاقدس. مخاطبةً اياها بهذه الكلمات وهي „كوني مباركةً من ابني يا انجلا. واجتهدي في ان تحبيه بكل استطاعتكِ". وقالت للقديسة بريجيتا „ان كنتِ يا ابنتي تريدين ان تتحدي بي برباط الوحدة. فاحببي ابني". وبالاجمال انها لا تشتهي شيئًا آخر سوى ان يكون ابنها الذي هو الله بالذات محبوبًا من الجميع * وهنا العلامة نوفارينوس يسأل كمستفهمٍ „لماذا البتول القديسة تتوسل مع عروسة النشيد للملئكة بان يخبروا سيدها عن الحب المضطرم سعيرهُ. الذي بهِ كانت تحبهُ قائلةً „يا بنات اورشليم استحلفكنَّ اذا وجدتنَّ حبيبي فاخبرنهُ باني انا من المحبة ضعيفةٌ عليلةٌ" (نشيد ص ٥ ع ٨) اهل ان الله ما كان يعلم كم هي كانت تحبهُ". وهو نفسهُ يرد الجواب عن ذلك قائلاً „ان هذه الام الالهية قد ارادت بذلك ان تعلن لنا. لا لله. شدة حبها. حتى كما انها كانت ضعيفةً مجروحةً بسهام الحب الالهي. تقدر ان تجرحنا نحن ايضًا بهذا الحب. ولاجل انها مشتعلةٌ بجملتها بنار حب الله. فهكذا الذين يحبونها ويقتربون اليها تشركهم بحرارتها وتجعلهم متشبهين بها". ومن هذا القبيل كانت القديسة كاترينا السيانية تسمي هذه البتول „جالبة نار الحب الالهي". فان كنا نحن ايضًا نريد ان نلتهب بهذه النار المغبوطة. فلنجتهد دائمًا في ان نقترب من امنا مريم المجيدة بالصلوات والتوسلات وبعواطف الحب نحوها ✲

فيا مريم سلطانة الحب. انتِ هي الموضوع الاعظم حبًا. وانتِ هي المحبوبة اشدَّ حبًا من الجميع. وانتِ هي المتقدة بنار الحب اكثر من كل احدٍ (حسبما يهتف نحوكِ القديس فرنسيس سالس) فيا امي انتِ كنتِ على الارض مشتعلةً بكليتكِ دائمًا بلهيب نار الحب نحو الله. فتنازلي مرتضيةً بان تهبيني قلما يكون شرارةً واحدةً من هذه النار. فانتِ قد تضرعتِ لدى ابنكِ يسوع من اجل العروس والعروسة اللذين في وليمة عرسهما في قانا الجليل نقص عنهما الخمر قائلةً لهُ تعالى „ان ليس عندهم خمرٌ". افهل لا تتضرعين لديه من اجلنا نحن الفارغين من خمر الحب نحو الله. مع اننا ملتزمون التزامًا هذا حد صرامته بان نحبهُ عزَّ وجلَّ.

فقولي اذًا لهُ „ان هولاء ليس عندهم حبٌ". وهكذا انتِ استمدي لنا منهُ هذا الحب. ونحن لا نطلب منكِ نعمةً اخرى غير هذه. فيا ايتها الام الالهية بحق المحبة التي بها احببتِ يسوع وتحبينهُ استجيبي لنا وصلي لاجلنا الان وفي ساعة موتنا امين ☆

الفصل الثالث

☆ في شان محبة البتول والدة الاله الحارّة نحو القريب ايضًا ☆

ان المحبة لله والمحبة للقريب قد رُسمت علينا من قبل الله بوصيةٍ واحدةٍ هي نفسها „لان هذه الوصية لنا منهُ. ان مَن يحب الله. يحب اخاه ايضاً" (يوحنا اولى ص ٤ ع ٢١) „والسبب في ذلك. يقول القديس توما اللاهوتي. هو لان الذي يحب الله فيحب ايضًا كل الاشياء المحبوبة منهُ تعالى". فالقديسة كاترينا التي من مدينة جانوا كانت يومًا تخاطب الله قائلةً „ايها الرب انت تريد مني ان احب قريبي. وانا لا اقدر ان احب اخر غيرك". فالباري جلّت رافتهُ قد اجابها عن ذلك بقوله لها „ان مَن يحبني يحب كل الاشياء المحبوبة مني". فاذًا من حيث انهُ ما وُجد قط ولن يوجد اصلاً مَن احب الله او يحبهُ اكثر من والدته المجيدة. فهكذا لم يوجد مطلقًا ولن يكون ابداً مَن احب القريب او يحبهُ اكثر من حبها اياه * فالاب كورنيليوس الحجري اذ يفسر كلمات سفر النشيد (ص ٣ ع ٩) وهي „ان سليمان الملك عمل لهُ عماريةً من خشب لبنان. فعمل عمدها من فضةٍ. ومتكاها من ذهبٍ. وجلالها من ارجوان. وباطنها مرصعًا. وذلك بواسطة محبة بنات اورشليم". فيقول „ان هذه العمارية اي العرش هي رسم مستودع مريم البتول الذي عندما سكن فيه كلمة الله متجسداً. قد اوعب والدتهُ هذه حبًا وشفقةً. لكي تساعد مسعفةً كل مَن يلتجيء اليها". ولذلك قد كانت هذه الام الالهية في مدة حياتها على الارض ممتلئةً من المحبة والرافة بهذا المقدار. حتى انها كانت تسعف المحتاجين

من دون ان يلتمسوا منها ذلك . كما فعلت في عرس قانا الجليل . بطلبها من ابنها ان يصنع تلك الاعجوبة . موردةً لديه احتياجهم بقولها „ ان ليس عندهم خمرٌ " (يوحنا ص ٢ ع ٣) فكم كانت سريعةً نشيطةً حارةً في الاعمال الملاحظة اسعاف القريب . حسبما يظهر عن اهتمامها في مساعدة القديسة اليصابات . حينما فهمت من زعيم الملئكة انها كانت حبلى بابنٍ على شيخوختها „ لانها قامت مسرعةً وذهبت الى الجبل الى مدينة يهوذا ودخلت الى بيت زخريا " (لوقا ص ١ ع ٣٩) ثم انها لم تستطع ان تظهر نحو البشر اشدَّ حباً من انها تقدم لله الاب من اجل خلاصهم ابنها الوحيد ضحيةً على جبل الجلجلة . كما يقول القديس بوناونتورا „ ان مريم هكذا احبت العالم . حتى انها بذلت عنهُ ابنها الوحيد ". والقديس انسلموس يخاطبها قائلاً „ ايتها المباركة في النساء ان طهارتكِ فاقت طهارة الملئكة . واشفاقكِ سما على اشفاق كل القديسين " . ويقول القديس بوناونتورا عينهُ „ ان رافة مريم ومحبتها ايانا لم تنقص فيها اصلاً بعد ارتقائها الى السماء حيث هي الان جالسة . بل ان ذلك قد ازداد فيها هناك نامياً واشتد حرارةً . لانها الان بابلغ نوع تشاهد احوال شدائد البشر ". ومن ثمَّ كتب هذا القديس قائلاً „ ان مراحم مريم نحو المساكين المضنوكين قد كانت عظيمةً حينما هي وجدت عائشةً على الارض . ولكن هذه المراحم هي الان فيها اعظم في وجودها مالكةً في السماء ". ولذلك قال ملاك الرب للقديسة بريجيتا „ ان ما من احدٍ يتوسل الى والدة الاله . ولا ينال من قبل حبها النعمة التي يطلبها ". بل ان مخلصنا نفسهُ اوحى لهذه القديسة بقوله لها „ يا لتعاسة اولئك الذين لا تتوسل من اجلهم امي البتول " ✿

فهذه العذراء المجيدة تقول بلسان الحكيم . مغبوطٌ هو الانسان الذي يستمعني والذي يسهر كل يومٍ عند ابواب مداخلي " (امثال ص ٨ ع ٣٤) وقد كتب القديس غريغوريوس النزينزي قائلاً „ انهُ لا يوجد شيءٌ يصيرنا ان نكتسب بافضل نوعٍ انعطافات مريم البتول بالحب نحونا بمقدار هذا الشيء . وهو ممارستنا واجبات المحبة نحو القريب " . وبالتالي انهُ كما ان الله يحرضنا بقوله لنا „ كونوا رحومين فان اباكم رحومٌ هو " (لوقا ص ٦ ع ٣٦) فكذلك مريم يبان انها تقول نحونا جميعاً نحن اولادها „ يا ابنائي كونوا رحومين فان

امكم رحومةٌ هي ". فامرٌ اكيدٌ هو انهُ بمقدار الرحمة والاسعاف اللذين بهما نحن نرحم قريبنا ونسعفهُ . فتكون رحمة الله ورافة والدته ممارسةً نحونا . كقوله تعالى „ اعطوا تُعطَوا بمكيالٍ صالحٍ مملوءٍ يلقون في حضنكم " (لوقا ص ٦ ع ٣٨) وكان القديس متوديوس من عادته ان يقول „ اعطِ الفقراء وخذ الملكوت ". لان الرسول الالهي كتب قائلاً „ امَّا العبادة الحسنة فهي نافعةٌ في كل شيءٍ . ذ لها موعد الحيوة الحاضرة والمنتظرة " (تيموثاوس اولى ص ٤ ع ٨) والقديس يوحنا فم الذهب اذ يتكلم عن قول الحكيم وهو „ ان من يرحم مسكيناً يقرض الرب وسيكافيهِ على قدر عطيته " (امثال ص ١٩ ع ١٧) فيقول „ ان مَن يسعف المحتاجين يصيّر الله مديونًا لهُ " ✿

فيا ام الرحمة انتِ مملوةٌ اشفاقًا وترآفًا ومحبةً نحو الجميع . فلا تنسي شقاوتي ومسكنتي . لانكِ تشاهديني وتعرفين حالي . فاوصي بي ذاك الاله الذي لا يمكن ان ينكر عليكِ شيئًا . واستمدي لي منةَ النعمة في ان اقتفي نموذجكِ في فضيلة المحبة نحو الله ونحو القريب امين ✿

الفصل الرابع

✿ في فضيلة ايمان والدة الاله العذراء المجيدة ✿

انهُ كما ان البتول مريم هي ام المحبة والرجاء . فهكذا هي ام الايمان ايضاً . كقولها „ انا هي ام المحبة الجميلة والتقوى والمعرفة والرجاء المقدس " (ابن سيراخ ص ٢٤ ع ٢٤) „ وهذا بالصواب . يقول القديس ايريناوس . لان ذلك الضرر الذي سببتهُ حوا بعدم ايمانها . فقد اصلحته مريم بحسن ايمانها ". اذ ان حوا (يقول المعلم ترتوليانوس) لاجل انها صدقت قول الحية ضد ما كان الله قالهُ . فقد اجتلبت الموت . وامَّا ملكتنا المجيدة فاذ صدقت كلام زعيم الملائكة . بانها مع حفظ خواتيم بتوليتها كانت مزمعةً ان تصير اماً لله المتجسد من احشائها . فقد اجتلبت للعالم الخلاص ". وهكذا يقول القديس اوغوسطينوس „ ان مريم البتول باعطائها رضاها بتجسد كلمة الله الازلي في

مستودعها. فبواسطة ايمانها قد فتحت للبشر ابواب الملكوت „. وريكاردوس اذ يتكلم عن قول الرسول الالهي „ فان الرجل الغير المؤمن يتقدس بالامرأة المومنة „ (قرنتيه اولى ص ٧ ع ١٤) يقول عن البتول مريم „ هذه هي الامرأة المومنة التي بها تقدس الرجل الغير المؤمن ادم وكل ذريته „. ولاجل امانة هذي العذراء الكلية القداسة قد أُعطيت الطوبى من القديسة اليصابات القائلة لها „ فطوبى لتلك التي آمنت ليكون لها ما كُلمت بهِ من قِبل الرب „ (لوقا ص ١ ع ٤٥) ويضيف الى ذلك القديس اوغوسطينوس بقوله „ ان مريم قد حصلت على اعظم طوبى باقتبالها الايمان بما بشرها بهِ زعيم الملئكة بسر التجسد. من الطوبى التي هي حصلت عليهِ باقتبالها المسيح متجسدًا في احشائها „ ✿

اما الاب سوارس فيقول „ ان البتول القديسة حصلت على ايمانٍ اعظم من ايمان البشر كلهم ومن ايمان الملئكة باسرهم. فهي كانت تشاهد ابنها طفلاً في معلف البهائم في مغارة بيت لحم. وكانت مؤمنةً بهِ انهُ خالق البرايا كافةً. كانت تراهُ هاربًا الى مصر من يد هيرودس. ولم ترتَب في ان تؤمن بهِ انهُ ملك الملوك ورب الارباب. قد شاهدتهُ مولوداً من مستودعها. وامنت بهِ انهُ ازلي. قد رأتهُ مسكينًا محتاجاً الى القوت والكسوة. واعتقدت بهِ انهُ سلطان العالمين. قد درجتهُ باللفائف ووضعتهُ فوق التبن في المذود. وامنت بهِ انهُ قادرٌ على كل شيء. قد لاحظتهُ صامتًا كالاطفال. واعتقدت بهِ انهُ الحكمة الالهية الغير المتناهية. كانت تسمعهُ باكيًا كالرضعان. وامنت بهِ انه فرح الفردوس ونعيم الملكوت. واخيراً راتهُ حين موته على الخشبة مهانًا محتقراً. واستمرّت ثابتةً على اعتقادها بهِ انهُ هو الالـه. في الوقت الذي فيهِ كان الاخرون يرتابون ضعفاً في الامانة „. وقد كتب القديس انطونينوس بتكلمهِ عن قول البشير „ وكانت واقفةً عند صليب يسوع امهُ „. قائلاً „ ان مريم كانت واقفةً تحت الصليب مرتفعة العقل بالايمان الذي كانت حافظتهُ بالوهية ابنها المصلوب. ولاجل ذلك قد جرت العادة في ان تُحفَظ شمعةٌ واحدةٌ متقدةً بعد طفي بقية الشموع حين صلوة فرض الآلام „. وبهذا المعنى فسر القديس لاون الكبير كلمات سفر الامثال وهي „ فما ينطفي طول الليل سراجها „ (ص ٣١ ع ١٨) اما القديس توما اللاهوتي فعلى تفسير

كلمات اشعيا النبي وهي „دست المعصرة وحدي ولم يكن معي من الامم رجل„" (ص ٦٣ ع ٣) قد كتب قائلاً „انهُ انما سمى الرجل استثناءً عن البتول المجيدة التي قط لم ينقص ايمانها" ✲

ولهذا قال الطوباوي البارتوس الكبير „ان مريم البتول حينئذٍ قد اظهرت بالعمل امانةً عظيمةً بدرجةٍ كلية السمو. اذ لم ترتاب في ذاك الذي وقتئذٍ تلاميذهُ انفسهم كانوا يرتابون فيهِ". ولذلك قد استحقت مريم لاجل عظم ايمانها ان تصير نوراً للمؤمنين كلهم. كما يسميها القديس متوديوس. وان تُدعَى سلطانة الايمان الحقيقي. حسبما يلقبها بذلك القديس كيرللس الاسكندري. بل ان الكنيسة المقدسة تخصص باستحقاقات ايمان هذه البتول العظيم انغلاب الارطقات كلها. اذ تقول نحوها في الانتيفونا الاولى من السهرانة الثالثة هكذا „افرحي ايتها البتول مريم. انتِ التي قد لاشيتِ مستأصلةً من كل العالم الارطقات باسرها". على ان القديس توما الفيلانوفي اذ يفسر ما قالهُ الروح القدس في سفر النشيد وهو „ايتها العروسة اختي جرحتِ قلبي باحدى عينيكِ" (ص ٤ ع ٩) فيقول „ان عيني هذه العروسة هما ايمان مريم العظيم الذي سرّ بهِ جداً ربها وعروسها" ✲

وهنا القديس ايدالفونسوس يحرض الجميع بقوله. „اتبعوا نموذج امانة مريم البتول العظيمة". ولكن كيف وبايّة طريقةٍ نتبع نحن ايمان هذه السيدة العظيم. فالايمان هو في الوقت عينهِ موهبةٌ وفضيلةٌ معاً. فهو موهبةٌ من الله نظراً الى النور السماوي الذي يفيضهُ تعالى في النفس. وهو فضيلةٌ نظراً الى افعال الايمان التي تمارسها النفس بذاتها. ومن ثمّ ان الايمان ليس فقط يدربنا للاعتقاد بالحقائق التي يعلمناها هو ويرشدنا اليها. بل ايضاً يقودنا الى الاعمال المختصة بهِ. ولذلك يقول القديس غريغوريوس الكبير „ان من يضيف الى الايمان الحقيقي الاعمال الواجبة للايمان. فذاك هو المومن". وكتب القديس اوغوسطينوس قائلاً „انك يا هذا تقول انا اومن. فاعمل بما تقول وهذا هو الايمان". على ان الايمان الحي بالحقيقة هو الحيوة بموجب واجبات الايمان. اي ان يعيش المرء بحسبها يؤمن. كما يقول الرسول الالهي „ان الصديق من الامانة يحيى" (عبرانيين ص ١٠ ع ٣٨) فهكذا عاشت الطوباوية مريم البتول. خلافاً لاولئك الذين لا يحيون بموجب

ما يؤمنون بهِ. وبالتالي ان ايمانهم على هذه الصورة هو ميتٌ كقول القديس يعقوب الرسول „ ان الامانة ان لم يكن لها عملٌ فهي مائتةٌ في ذاتها " (ص ٢ ع ١٧) فالفيلسوف ديوجانه كان يجول في الارض قائلاً „ اني ادور مفتشاً لاصادف انساناً ". وهكذا يدان ان الله فيها بين عددٍ فائق الاحصاء من المومنين يجول في الارض قائلاً „ اني ادور مفتشاً لاصادف مسيحياً ". من حيث انهم قليلون جداً هم اولئك الذين يعملون اعمال الايمان. والاكثرون يوجد عندهم من الامانة الاسم فقط. ولكن يلزم ان يقال لهؤلاء الكثيرين ما تفوّه بهِ الملك الكسندروس الكبير نحو ذاك الجندي الكسلان الذي هو ايضاً كان اسمهُ الكسندروس قائلاً لهُ „ انهُ ينبغي لك امّا ان تغيّر اسمك. وامّا ان تغيّر تصرفك ". الّا انهُ لافضل ما كتبهُ في هذا الشان الاب العلّامة افيلا بقوله „ انهُ لقد كان يجب ان يوضع هولاء الكثيرون مسجونين في بيمارستان المجانين. لظنهم في ان سعادةً ابديةً مُعدَّةً لمن يعيش متنعماً في هذه الحيوة. وان تعاسةً سرمديةً مهياًةً لمن يعيش بالمرائر والاضامات في الدهر الحاضر. ثم لسلوكهم بسيرةٍ توضح كانهم لم يؤمنوا بحقايق الانجيل ". ولهذا يحرضنا القديس اوغوسطينوس على ان ننظر الى الاشياء الارضية باعين مسيحية. اي باعين تنظر بموجب الايمان المسيحي. لانهُ تقول القديسة تريزيا „ ان من قبل نقص الايمان تتولد الخطايا كلها ". ولهذا يلزمنا ان نتوسل لدى البتول والدة الاله المثلثة القداسة في ان تستمد لنا باستحقاقات ايمانها العظيم. امانةً حيةً نعيش فيها قائلين نحوها „ يا سيدتنا زيدينا ايماناً " ✿

الفصل الخامس

✿ في فضيلة الرجاء الثابت الذي كان لوالدة الاله الطوباوية ✿

ان من فضيلة الايمان تتولد فضيلة الرجاء. لان الله لهذه الغاية ينيرنا بالايمان لنعرف خيرية صلاحهِ وصدق مواعيده. وهكذا نرتقي بواسطة الرجاء بعواطف الشوق الى امتلاكنا اياه تعالى. فاذاً من حيث ان مريم البتول

قد كانت حاصلةً على ايمان عظيم. ففازت ايضاً بفضيلة رجاء ثابت وطيد كان يجعلها ان تقول مع النبي والملك داؤد « خيرٌ لي الالتصاق بالله وان اجعل على الرب اتكالي » (مزمور ٧٢ ع ٢٨) فمريم هي تلك الابنة عروسة الروح القدس التي قيل عنها « مَن هي هذه الصاعدة من البرية متدللة مستندةً على حبيبها » (نشيد ص ٨ ع ٥) لانها كانت بجملتها منزهةً عن تعلق القلب في الاشياء العالمية. بعيدةً على الدوام عن الانعطاف نحو الموجودات الارضية. معتبرةً العالم باسره كبريةٍ مقفرةٍ. ولهذا اذ لم تكن تثق بشيءٍ من المخلوقات. ولم تكن تعتمد على شيءٍ من استحقاقاتها الذاتية. فكانت بكليتها مستندةً على حبيبها. اي متكلةً بحسن الرجاء على النعمة الالهية التي فيها فقط كانت تثق. وعليها وحدها كانت تتكل في حبها الدائم لله ربها * فهكذا يتكلم عنها المعلم ايلغريئوس. في تفسيره الفاظ سفر النشيد المقدم ايرادها. كما يوضح كورنيليوس الحجري قائلاً « ان الصاعدة من البرية تعني الصاعدة من العالم الذي هجر متروكاً منها. واعتبرتهُ نظير القفر. حتى انها قد كانت لاشت منها كل انعطافٍ نحوهُ. واستندت على حبيبها فقط. وذلك لانها لم تستند على استحقاقاتها الذاتية. بل اعتصمت بنعمة ابنها الحبيب معطي النعم » * فالبتول القديسة اظهرت جيداً واعلنت واضحاً كم كان رجاؤها بالله واتكالها عليه تعالى عظيماً. وذلك اولاً حينما لاحظت بالكفاية ان خطيبها الطاهر القديس يوسف. لعدم معرفته حقايق الحبل العجيب المصنوع بقوة الروح القدس وفعله في احشائها البتولية حصل قلقاً مرتاباً ومن ثمَّ هم بتخليتها سرًا (متى ص ١ ع ١٩) ولهذا كان يبان انها وقتئذٍ وجدت مضطرةً لان تخبرهُ بسر حبلها. كما اوردنا في الفصل الاول من هذه المقالة. الاَّ ان هذه البتول لم ترد من تلقاء ذاتها ان تكشف حقايق النعمة التي اقتبلتها واعتبرت انهُ لافضل لها ان تترك الامر للعناية الالهية. متكلةً عليها كل الاتكال. مترجيةً بثقةٍ في ان الله عينهُ لم يكن يغفل عن ان يظهر برارتها. ويحامي عنها بعدم انثلام صيتها. فهكذا يفسر الاصحاح الاول من بشارة متى الاب كورنيليوس الحجري *

ثانياً اوضحت اتكالها بحسن الرجاء على الله حينما رأت ذاتها بالقرب من ساعات ولادتها مطرودةً من بيت لحم. حتى من المنازل الشاعة.

والتزمت بان تلتجيء الى مغارةٍ خارج المدينة لتلد هناك رب المجد. كقول البشير لوقا „ فولدت ابنها البكر ولفتهُ بلفائف ووضعتهُ في مذودٍ. لانهُ لم يكن لهما موضعٌ لينزلا " (ص ٢ ع ٧) فهي لم تتفوه وتتئذ بكلمةٍ ذات تشكّي. بل فوّضت امرها لله بكمال الاتكال. واثقةً بانها في ظروفٍ هذه صفتها كانت تفوز بالاسعاف والمعونة منهُ تعالى ❊

ثالثًا ومثل ذلك اعلنت حسن رجائها بالله حينما اخبرها القديس يوسف بالوحي الذي بواسطتهِ أُمر من قبل الله بان يأخذها مع طفلها الالهي. ويهربوا معًا الى مصر من رجز هيرودس. فهي حالاً في تلك الليلةِ عينها اخذت بالمسير مبتدئةً بسفرٍ شاسع المسافة الى بلادٍ مجهولةٍ منها. خلواً من احتياجات السفر ومن دون مال. وخلوًا من خادمةٍ او رفقاء سوى طفلها وخطيبها. بل قاموا ليلاً واخذوا بالمسير الى مصر (متى ص ٢ ع ١٤) ❊

رابعًا انها اظهرت بابلغ نوع رجاءها بالله عند ما التمست من ابنها صنيع الاعجوبة في عرس قانا الجليل. لانها بعد ان قالت لهُ „ ان ليس عندهم خمرٌ ". وهو اجابها „ ما لي ولكِ ايتها الامرأة لم تاتِ ساعتي بعدُ ". فمع ذلك اي غب ان سمعت منهُ تعالى هذا الجواب الذي كان يظهر منهُ انهُ انكر مطلوبها. فلم يضعف فيها الرجاء. بل قالت للخدام „ افعلوا كل ما يأمركم بهِ " (يوحنا ص ٢ ع ٣) كما تمَّ بالحقيقة رجاؤها بان يسوع امر الخدام بان يملأُوا الاجاجين الست ماءً واحال الماء الى خمرٍ ❊

فلنتعلم اذًا من مريم العذراء ان نتكل على الله بحسن الرجاء كما ينبغي. لا سيما في الاشياء اللاحظة ذاك العمل العظيم المختص بخلاصنا الابدي. الذي ولئن كان محتاجًا الى اعمالنا نحن ايضًا. فمع ذلك يلزمنا ان نرجو من الله وحدهُ النعمة في ان نحصل عليهِ. موئسين بالكلية من قوانا الذاتية. وليقل كلٌ منا مع الرسول الالهي „ انا اقوى على كل شيءٍ بذاك الذي يقويني " (فيلبيوسيوس ص ٤ ع ١٣) " ❊

فيا ايتها البتول امي الكلية القداسة. انكِ انتِ هي ام الرجاء المقدس. كما تقولين عن لسان ابن سيراخ „ انا هي ام المحبة الجميلة والتقوى والرجاء المقدس " (ص ٢٤ ع ٢٤) بل ان الكنيسة المقدسة تسميكِ الرجاء بالذات بقولها نحوكِ „ السلام عليكِ يا رجانا ". فاذًا اي رجاء انا اطلب مفتشًا.

والحال انكِ انتِ بعد يسوع هي رجاءي باسره . فهكذا كان يدعوكِ القديس برنردوس : وكذلك انا ادعوكِ قائلاً « فيكِ اوطد كل رجاءي » . واقول لكِ دائماً مع القديس بوناونتورا « يا خلاص المستغيثين بكِ خلصيني » ✿

الفصل السادس

✿ في فضيلة عفة البتول والدة الاله الكلية الطهارة ✿

انهُ اذ كان بعد سقطة الاب الاول ادم قد تمرد في الانسان الم الشهوة على العقل . فقد اضحت ممارسة افعال فضيلة العفة ذات صعوبات ابلغ مما سواها من الفضائل . كما يقول القديس اوغوسطينوس « انهُ توجد داخل كلٍ منا معركةٌ قويةٌ جداً حيث تتحارب العفة مع الآلام محاربةً متصلةً بقليل من الانتصار » . فليكن مباركاً الرب الذي اعطانا في شخص العذراء مريم نموذجاً حياً لفضيلة العفة * فيقول الطوباوي البارتوس الكبير « انهُ بالصواب تسمى والدة الاله عذراء العذارى . لانها اذ كانت اول من قدم لله طوعاً حفظ البتولية الدائمة . خلواً من نموذجٍ سبق مثلهُ . ومن دون مشورةٍ تقدمت لها . فهي بذلك اعطتهُ تعالى كل البتولات اللواتي اقتدين بنموذجها . كما سبق داود النبي قائلاً « ان العذارى يبلغنَ الى الملك في اثرها — يدخلنَ الى هيكل الملك » (مزمور ٤٤ ع ١٥) وانما قلت ان العذراء كرست بتوليتها الدائمة خلواً من نموذج ومن دون مشورةٍ . لان القديس برنردوس يخاطبها هكذا « ترى مَن هو الذي علمكِ ايتها العذراء بانكِ ترضين الله بحفظكِ البتولية . وبان تعيشي على الارض بسيرةٍ ملكية » . فيجيب عن ذلك القديس صفرونيوس قائلاً « انهُ لاجل هذي الغاية قد اختار الله اماً لهُ بالجسد هذه البتول الكلية الطهارة . لكي تكون للجميع نموذجاً للعفة » . ولذلك يدعوها القديس امبروسيوس « مقدام فضيلة العفة وقائدتها » ✿

بل ان الروح القدس نفسهُ خاطبها لاجل نقاوتها وعفتها هكذا « ما اشدّ بهاء وجنتيكِ كاليمامة » (نشيد ص ١ ع ١٠) وكما يفسر العلامة ابونيوس

„ بمامةً كلية الطهارة ". ولذلك لُقبت ايضاً بالسوسن والزنبق كقوله تعالى „ مثل السوسن بين الاشواك هكذا قرينتي بين البنات " (نشيد ص ٢ ع ٢) وهنا ينبه القديس ديونيسيوس كارتوزيانوس بقوله „ ان البتول المجيدة قد سُمّيت سوسناً او زنبقاً او وردةً بين الاشواك. لان البتولات الاخر كلهنَّ كنَّ اشواكاً وقرطباً وعثرات اما لغيرهنَّ. واما لذواتهنَّ. فاما هذه الطوباوية فلم تكن كذلك. لانها كانت بمجرد النظر اليها تجلب في القلوب افكار الطهارة والعفاف والميل نحو محبة النقاوة والعفة ". ويثبت ذلك القديس توما اللاهوتي بقوله „ ان جمال خلقة البتول المجيدة كان يحرك ناظريها الى العفة ".

ثم كتب القديس ايرونيموس. بانه هو متمسكٌ برأيه في ان القديس يوسف الخطيب قد حفظ البتولية ليكون رفيقاً لهذه العذراء المجيدة. غير مفارقٍ اياها. لانهُ اي القديس ايرونيموس بكتابته ضد الفيديوس الاراطيقي الناكر بتولية هذي الام الالهية يقول لهُ هكذا „ فانت تزعم ان مريم والدة الاله لم تستمر فيها بعد حافظة عذريتها. وانا بضد ذلك اقول. بل ارتأي باكثر من هذا بان القديس يوسف ايضاً عروسها قد حفظ البتولية لاجل هذه العروسة الدائمة بكارتها ". وقد قال احد العلماء „ ان الطوباوية مريم العذراء كانت بهذا المقدار منشغفة القلب بمحبة فضيلة العفة. حتى انها لكي تحفظ عذريتها دائمةً لقد كانت ترفض ان تقبل الدعوة الكلية العظمة والسمو وهي الوالدية لله. لو كان يقترن بهذه الدعوة فقدها بتوليتها ". وهذا يُستنتج واضحاً مما اجابت هي بهِ زعيم الملئكة جبرائيل قائلةً لهُ „ كيف يمكن ان يكون هذا وانا لم اعرف رجلاً " (لوقا ص ١ ع ٣٤) وايضاً مما ختمت بهِ خطابها معهُ بقولها „ فليكن لي كحسب قولك ". مشيرةً بهذا ومفسرةً بهِ نيتها في انها انما قد اعطت رضاها بتجسد كلمة الاب من احشائها. بالنوع الذي قالهُ لها رئيس الملئكة. وهو انها كانت مزمعةً ان تصير اماً بهذه الطريقة فقط. وهي بحلول الروح القدس عليها وبتظللها بقوة العلي. اي بفعلٍ فائق الطبيعة بقوة الروح القدس ❊

ويقول القديس امبروسيوس „ اما الذي يحفظ عذريتهُ فملاكٌ هو واما الذي يخسرها فشيطانٌ ". اي ان اولئك الذين يعيشون بالعفاف فيصيرون كالملئكة. كقوله تعالى „ لانهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون. لكن يكونون

كملئكة الله " (متى ص ٢٢ ع ٣٠) واما الزناة والفاسقون فيضحون مبغوضين من الله نظير الشياطين * وكان القديس راميجوس من عادته ان يقول „ ان اكثر البالغين سن الرجولية يهلكون لاجل رذيلة الدنس ". لان الانتصارات ضد هذه الرذيلة هي شيء نادر. كما اوردنا في ذلك كلمات القديس اوغوسطينوس عند بداية هذا الفصل * ولكن ما السبب في ان الانتصارات هي نادرة . فانما السبب هو من عدم ممارسة الوسائط الضرورية لاكتساب الغلبة. فهذه الوسائط هي ثلث حسبما يبرهن معلمو السيرة الروحية. جملةً مع بيلرمينوس وهي „ الصوم. والابتعاد عن الاسباب. والصلوة. فبالصوم الذي هو الواسطة الاولى تفهم اماتات الحواس. خاصةً النظر والحنجرة ". فمريم البتول ولئن كانت ممتلئةً نعمةً الهيةً. فمع ذلك كانت تميت حاسة نظرها محدقةً بعينيها الى الارض دائماً. كما يقول القديسان ابيفانيوس ويوحنا الدمشقي. ويوردان عنها انها منذ طفوليتها كانت متصفةً باحتشام فريد مذهل ناظريها. ولذلك يوضح القديس لوقا كيفية مضيها لزيارة القديسة اليصابات بقوله „ وذهبت مسرعةً ". لكيلا تشاهد من كثيرين في مسيرها. واما بخصوص قناعتها في المآكل. فيخبر فيليبارتوس بانهُ قد أُوحي الى السائح فيليكوس بان مريم العذراء اذ كانت طفلةً رضيعةً. فلم تكن ترضع الحليب من امها سوى مرةٍ واحدةٍ في النهار. ويشهد القديس غريغوريوس الطورنازي. بانها في ايام حياتها كلها كانت تمارس الصوم. كما يقول القديس بوناونتورا „ انها لما كانت قط فازت بنعمٍ هكذا عظيمةٍ. لولا تكون كلية القناعة. وذلك لان النعمة لن تتفق اصلاً مع الحنجرة ". وبالاجمال ان هذه البتول القديسة كانت تمارس الاماتة في الاشياء كافةً. ولذلك بالصواب قيل عنها „ قمت انا لافتح لحبيبي يداي قطرتا مرًّا. واصابعي مملوةٌ مرًّا فائقًا " (نشيد ص ٥ ع ٥) اما الواسطة الثانية فهي الهرب من الاسباب. لانهُ مكتوبٌ „ ان مَن يحذر الفخاخ فيكون مطمأنًا " (امثال ص ١١ ع ١٥) ولذلك كان القديس فيلبس نيري من عادته ان يقول „ ان الغالبين في معركة آلام الشهوة انما هم الجنود الانذال الذين يولون هرباً ". اي الذين يهربون من سبب الخطية. فمريم العذراء كانت بمقدار امكانها تهرب من مواجهة الرجال. ولذلك في ذهابها الى الجبال الى بيت زخريا ذهبت مسرعةً كما تقدم الايراد. ويقول احد العلماء

„ان والدة الاله قد رجعت من بيت زخريا قبل ان يبلغ زمن ولادة القديسة اليصابات ". وهذا يُفهَم من الفاظ الانجيل عينها وهي „ فاقامت مريم عند اليصابات نحو ثلثة اشهرٍ وعادت الى منزلها. ولما تمّ زمان اليصابات لتلد فولدت ابنًا الخ". فلماذا لم تستمر هي ماكثةً عند اليصابات لحين ميلاد السابق يوحنا. فانما فعلت ذلك هرباً من مخالطتها الجيران والمعارف والزوار الذين لحظت جيداً انهم كانوا مزمعين ان يترددوا الى بيت زخريا في حادث فرح إلادة اليصابات ابنًا في حال شيخوختها ✿

واماً الواسطة الثالثة فهي الصلوة. فيقول الحكيم „ ولمّا عرفت اني لا استطيع ان اكون عفيفاً ان لم يعطني الله ان اكون. وهذا هو حكمةٌ ان اعلم ممن كانت لي هذه العطية. فذهبت الى الرب وتضرعت اليه" (سفر الحكمة ص ٨ ع ٢١) فالبتول الكلية النقاوة عينها قد اوحت للقديسة اليصابات الراهبة التي من قانون القديس بناديكتوس (كما يورد القديس بوناونتورا في الراس ٣ من كتاب حيوة المسيح) بانها لم تمتلك فضيلةً من فضائلها من دون صلواتٍ متواترة واتعابٍ متكاثرة * وقال عنها القديس يوحنا الدمشقي „ ان مريم كانت طاهرة في ذاتها ومغرمةً في حب الطهارة". وبالتالي لا تحتمل هي الناس الدنسين. الاّ ان الذي يكون معرقلاً برذيلة الدنس ويلتجيء الى هذه العذراء الفائقة الطهر مستغيثاً بها. فمن دون ريبٍ يفوز بالنجاة من دناساته. بل ينجو من تجارب اللحم بمجرد استدعائه برجاء وحسن اتكالٍ اسم هذه الام الالهية مريم. كما يثبت ذلك يوحنا افيلا المكرم بقوله „ ان كثيرين جداً قد اختبروا في ذواتهم النجاة من التجارب المضادة العفة. وانتصروا عليها بمجرد انعطافهم نحو البتول البرية من الدنس" ✿

فيا ايتها الحمامة الكلية النقاوة مريم العذراء. اواه كم هم كثيرو العدد اولئك الذين هلكوا في جهنم من قبل رذيلة الدنس. فانقذينا منها ايتها السيدة. واجعلينا ان نلتجيء اليك دائماً في حين التجارب التي تثب علينا ضد العفة. وان نستغيث بك قائلين „ يا مريم عيننا. يا مريم خلصينا امين" ✿

الفصل السابع

❊ في فضيلة الفقر التي كانت البتول المجيدة متصفةً بها ❊

ان مخلصنا الكلي الحب اذ اراد ان يعلمنا احتقار خيرات الارض. قد ارتضى بان يولد في حال الفقر ويصير مسكيناً في هذا العالم. كما يقول الاناء المصطفى (قرنتية الثانية ص ٨ ع ٩) „انكم تعرفون بنعمة ربنا يسوع المسيح انهُ من اجلكم افتقر وهو الغني. لتستغنوا انتم بفقرهِ". فمن ثمَّ فادينا عينهُ يحرّض كل مَن يريد ان يكون تابعاً اياه اذ يقول „ان كنت تريد ان تكون كاملاً امضِ فبع كل ما لك واعطِهِ للمساكين — وتعال فاتبعني" (متى ص ١٩ ع ٢١) فهوذا مريم البتول تلميذة مخلصنا الاكثر كمالاً هي التي اتبعت حسناً نموذج ابنها الالهي. لان الاب كانيسيوس يبرهن على ان هذه البتول قد كانت ورثت عن والديها واقاربها موجوداتٍ ذات مداخيل كافيةٍ لان تعيش بكل راحةٍ. فهي ابقت لذاتها منها الشيء القليل. ووزعت الاكثر في اسعاف الفقراء وفي تقدماتٍ لهيكل الرب حتى ان كثيرين يرتأون بانها صنعت نذر الفقر عينهُ. بل انهُ لمعلومٌ هو انها اوحت للقديسة بريجيتا قائلةً لها „انني منذ البداية قد نذرت على ذاتي في قلبي ان لا امتلك شيئاً من خيرات الارض". ثم ان الهدايا التي قدمتها لها المجوس في بيت لحم لم تكن ذات ثمنٍ قليلٍ من ذهبٍ ولبانٍ ومرٍّ. ولكن هي اعطت كل شيءٍ للفقراء. حسبما يشهد القديس برنردوس قائلاً „ان الذهب الذي قدمتهُ لها المجوس لم يكن ذا كميةٍ وجيزةٍ. بل كان وافراً بنوعٍ لائقٍ بعظمةٍ ملوكيةٍ في تقدمةٍ كذا. الاَّ ان مريم قد فرقتهُ بواسطة خطيبها البار يوسف على المساكين من دون ان تستبقي لذاتها منهُ شيئاً". وهذا يتضح من البرهان الآتي ايرادهُ. وهو ان هذه الام الالهية حينما قدمت ابنها في هيكل الرب الاورشليمي عند نهاية الاربعين يوماً من ولادها اياهُ. فلم تقرب عنهُ خروفاً ابن سنةٍ كالمرسوم على الجميع. ما عدا الفقراء.

وهذه هي الفاظ الشريعة „ان الامرأة اذا اكملت ايام تطهيرها. ابناً ولدت ام ابنةً. فلتات بحمل حوليّ للوقود. وبفرخ حمام او يمام للخطية الى باب قبة الشهادة. وتدفعها الى الكاهن — وان لم تقدر على تقدمة حمل. فلتأخذ زوج يمام. او فرخي حمام الواحد للوقود والاخر للخطية " (احبار ص ١٢ ع ٦) أمّا البتول المجيدة فقدمت فرخي حمام او يمام الامر المختص بالفقراء. اذ يقول البشير „ فلما كملت ايام تطهيرها كناموس موسى صعدوا بهِ الى اورشليم ليقيموهُ للرب كما هو مكتوبٌ في ناموس الرب. ان كل ذكر فاتح مستودع يُدعَى قدوساً للرب. ولكي يقربوا ذبيحةً كما قيل في ناموس الرب زوج يمام او فرخَي حمام" (لوقا ص ٢ ع ٢٢) بل ان هذه السيدة نفسها قد اوحت للقديسة بريجيتا بقولها ان جميع ما كنت املكهُ قد اعطيتهُ للمحتاجين. ولم يكن عندي سوى لوازم القوت الضروري والكسوة التي لا بد منها " ✿

ثم ان هذه الابنة الشريفة حباً بالفقر والمسكنة قد ارتضت بان تُخطَب عروسةً لرجل فقير نجار الذي هو القديس يوسف. واكتفت بان تعيش معهُ فيها بعد من تعبها وكدها بعمل يديها. مجتنيةً سدّ احتياجاتها من مكسب غزل القطن او الصوف. ام من اجرة الخياطة. كما يشهد القديس بوناونتورا. بل ان ملاك الرب في خطابهِ مع القديسة بريجيتا عن هذه السيدة قال لها „ان البتول مريم كانت تحتقر الاموال والغنى الارضي كاحتقارها الطين ". وبالاجمال ان العذراء المجيدة قد عاشت مدة حياتها فقيرةً جداً. وماتت كذلك. لانهُ حين نياحها لم يُعرَف عنها انها تركت شيئًا من الموجودات سوى ثوبين حقيرين من ملبوسها قد وصّت بهما ايهاباً لابنتين كانتا خدمتاها في حياتها. كما يورد الميتافراستِه. ونيكيفوروس ✿

فالقديس فيلبس نيري كان من عادتهِ ان يقول „ ان مَن يحب الموجودات الارضية لا يصير قديساً". وتضيف الى ذلك القديسة تريزيا بقولها „انهُ ينتج بالصواب ان مَن يجري وراء اشياء ضايعةٍ معدةٍ ذاتياً للفقدان. فهو ايضاً يضيع معها مفقوداً". وبالعكس تقول هذه القديسة نفسها „ان فضيلة الفقر والمسكنة هي خيرٌ يحوي ضمنهُ الخيرات الاخر كلها " وانمّا قلت فضيلة الفقر. لان هذه الفضيلة التي لا تتوقف على هذا الامر فقط. وهو ان

مقتنيها يكون في حال الفقر بل على ان يحبه' ايضاً . كما يقول القديس برنردوس هكذا „انه' ليس الفقر بل محبة الفقر هي فضيلة„. ولذلك قال الرب „طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات„ (متى ص ٥ ع ٣) وانما طوباويين هم هولاء من حيث ان الذين لا يريدون شيئًا غير الله ففيه تعالى يجدون كل الخيرات. وفي حال فقرهم يصادفون على الارض ملكوتهم السماوي. كما قد صادفه' القديس فرنسيس اسيزي الذي كان يقول „ان الله هو الهي وهو كل شيء لي„. فلنحبنَّ اذاً ذاك الخير الوحيد الموجودة فيه الخيرات باسرها . حسبما يحرضنا القديس اوغوسطينوس بقوله „احبب يا هذا خيرًا واحدًا يحوي في ذاته كل خير„. ولنتضرعنَّ اليه مع القديس اغناطيوس القائل نحوه تعالى „ هبني بنعمتك حبك وحدهُ. وبذلك اكون انا غنياً بكفاية „. وحينما يقدح بنا الفقر محزنًا ايانا بشدة مرائره . فلنعزّينَّ ذواتنا بتفكرنا وقتئذٍ في ان يسوع ومريم عاشا على الارض في حال الفقر نظيرنا حسبما يقول القديس بوناونتورا „ان المسكين يقدر ان يتعزّى بتذكره فقر يسوع ومسكنة مريم„ ☆

فيا امي الكلية القداسة انكِ بالصواب كنتِ تقولين „ تعظم نفسي للرب وتبتهج روحي بالله مخلصي„. لانكِ في هذا العالم لم تتفاخري بالمجد. ولم تحتسبي خيرًا شيئًا اخر خارجاً عن الله . فاجتذبيني وراءكِ ايتها السيدة مقتلعةً من قلبي محبة العالم. واجعليني ان احب ذاك الخير الواحد الذي هو وحدهُ يستحق ان يُحب امين ☆

الفصل الثامن

☆ في فضيلة الطاعة التي تلالات في مريم العذراء ☆ الكلية القداسة ☆

ان البتول المجيدة لاجل حبها فضيلة الطاعة لم ترد ان تسمي ذاتها. حينما بشرها زعيم الملئكة جبرائيل بالحبل الالهي سوى عبدة بقولها „ ها انا

امةٌ للرب ". وهذا بكل صدق. كما يقول القديس توما الفيلانوفي „ ان هذه الامة الامينة لم تقاوم ارادة سيدها الرب لا بالاعمال ولا بالافكار اصلاً. بل اذ جرّدت ذاتها في كل شيء على الدوام من ارادتها الذاتية . فعاشت طائعةً في الاشياء كلها للمشية الالهية ". وهي نفسها قد اوضحت ان الله قد ارتضى بطاعتها هذه المتضعة بقولها „ لانهُ نظر الى تواضع امتهِ " (لوقا ص ١ ع ٤٨) لان هذه هي الصفة الحقيقية في العبيد والجواري . اي الطاعة الكاملة لارادة اسيادهم ومواليهنَّ فيقول القديس اوغوسطينوس „ ان هذه الام الالهية قد اصلحت بطاعتها . واشفت بخضوعها ما عكستهُ الام الاولى حوا بعدم طاعتها . وما سقمت بهِ طبيعتنا بعصيانها ". فطاعة مريم البتول قد كانت اكثر كمالاً جداً من طاعة جميع القديسين . على ان البشر كلهم لاجل انهم من قِبل مفاعيل الخطية الاصلية يميلون الى الشر. فكافةً يشعرون بالصعوبات في عمل الخير. الّا ان العذراء الطوباوية لم تكن كذلك . فقد كتب القديس برنردينوس قائلاً „ انهُ في البتول المغبوطة لم يكن يوجد شيء يعيق دوران بكرة كونها المتحركة على الدوام بموجب ارادة الروح القدس ". اي من حيث انها وُجدت بريئةً من تبعة الخطية الاصلية ومن انفعالاتها . فلم يكن يوجد فيها مانعٌ يصد تمام طاعتها لله . بل كانت نظير بكرةٍ مستعدةً للدوران بحسب حركات الهامات الروح الالهي كلها . ومن ثَمَّ لم تصنع شيئًا في هذه الارض (كما يقول القديس برنردينوس عينهُ) سوى انها كانت تلاحظ تلك الاشياء المرضية لله وتمارسها بالعمل ". فعن هذه السيدة قيل „ نفسي قد ذابت اذ تكلم حبيبي " (نشيد ص ٥ ع ٦) ويضيف الى ذلك ريكاردوس بقوله „ ان نفس العذراء وُجدت نظير المعدن المذاب مستعدةً لان تقتبل مطبوعةً فيها الصور كلها التي كان الله يريد ان يرسمها فيها " ☆

وبالحقيقة ان هذه البتول الشريفة قد اظهرت بالعملية كم كانت هي حسنة الاستعداد للطاعة اولاً بخضوعها لاوامر الملك افغسطوس قيصر بسفرها السريع من الناصرة الى بيت لحم مسافة تسعين ميلاً. في زمن فصل الشتاء وهي حبلى لتكتتب مع خطيبها . مع انها لحال فقرها اضطُرت لان تلد هناك ابنها في مغارة البهائم. ثانياً حالما سمعت من القديس يوسف ما امرهُ بهِ الملاك في الحلم من قِبل الله بالسفر الى مصر. فمن دون اعاقةٍ

اخذت بالمسير ليلاً في طريقٍ شاسعة البعد ومملوة من المشقات والاخطار * وهنا العلّامة سيلفايره يسأل كمستفهمٍ. „ لماذا ان الوحي بالهرب الى مصر قد صار الى القديس يوسف. وليس الى والدة الاله التي كانت مزمعةً ان تتكبد بهِ اعظم مشقةً. وكان يخصها معرفة ذلك اكثر من خطيبها". وهو نفسهُ اي سيلفايره يرد الجواب عن ذلك قائلاً „ لكي يُعطَى بهذا سببٌ للعذراء المجيدة في ان تمارس افعال الطاعة التي كانت هي كلية الاستعداد لها " ✿

ثالثاً وبنوع فائق على كل ما سواه اظهرت هذه الام الالهية طاعةً كلية السمو. حينما تكميلاً لارادة الله قدمت ابنها بحسن خضوعٍ تام ضحيةً للموت على خشبة الصليب. من اجل خلاص العالم بثبات عزمٍ وبشجاعةٍ فريدةٍ. حتى انها كانت مستعدةً لتتميم المشية الالهية. وطاعةً للمراسيم الازلية لان تصلب بذات يديها ابنها هذا الحبيب. لو انهُ لم يوجد الصالبون. كما يقول القديس ايدالفونسوس. ولذلك العلّامة بيدا المكرم في الراس ٤٠ من تفسيره بشارة لوقا عند تكلمه على الجواب الذي اعطاه مخلصنا لتلك الامرأة التي رفعت صوتها من الجمع وقالت لهُ „ طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما ". اذ اجابها مخلصنا „ انما الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها " (لوقا ص ١١ ع ٢٧) قد كتب هكذا „ ان مريم البتول قد وُجدت سعيدةً مغبوطةً طوباويةً لاجل طاعتها للمشية الالهية اكثر مما لاجل حال كونها أُختيرت والدةً للاله. وحملتهُ تعالى في بطنها. وارضعتهُ ثدييها " ✿

ولهذا هم مقبولون جداً عند هذي السيدة اولئك الذين يحبون فضيلة الطاعة * فيوماً ظهرت هي عينها للاب اكورسوس احد رهبان قانون القديس فرنسيس حينما كان داخل قلايته. ولكن لانهُ وقتئذٍ هو دُعي بامر الطاعة ليذهب فيستمع اعتراف انسانٍ مريضٍ. وبالتالي ترك والدة الاله الظاهرة لهُ. وانطلق متمماً امر الطاعة. فحينما رجع الى قلايته شاهد هناك هذه السيدة لم تزل منتظرةً اياه. وقد مدحت كثيرًا حسن طاعته. والنوع الذي هو تصرف بهِ. وبضد ذلك اذ كان يوماً احد الرهبان متأخرًا في نهاية عملٍ ذي عبادةٍ. ولم يذهب حالاً الى المائدة حينما قُرع ناقوس الغذاء. قد وبختهُ العذراء على تصرفه هذا (كما يوجد مدوناً عند الاب ماركاني في الكتاب

اليومي المختص بوالدة الاله) ثم اذ كانت العذراء المجيدة تخاطب القديسة بريجيتا في شان الطاعة لمعلم الاعتراف قالت لها „ ان الطاعة تقود الجميع الى الدخول في المجد الابدي". والقديس فيلبس نيري كان يقول اعتياديًا „ ان الله لا يحاسب احدًا على الاشياء التي يكون صنعها بامر الطاعة. اذ انهُ تعالى نفسهُ قال „ مَن سمع منكم فقد سمع مني ومن اهانكم فقد اهانني" (لوقا ص ١٠ ع ١٦) بل ان هذه السيدة عينها اوحت للقديسة بريجيتا قائلةً لها „ ان الله قد منحني مكافأةً لاستحقاقات طاعتي لهُ. ان جميع الخطاة الذين يلتجئون اليَّ نادمين على مآثمهم يفوزون بالغفران" ☆

فيا ملكتنا وامنا الجليلة صلّي لاجلنا لدى يسوع ابنكِ. واستمدي لنا منهُ باستحقاقات طاعتكِ ان نكون امينين في طاعتنا لمشيئته الالهية ولاوامر مرشدينا الروحيين ☆

الفصل التاسع

☆ في فضيلة الصبر التي بموجبها تصرفت البتول المجيدة ☆ ☆ في شدائدها ☆

انهُ بالعدل والصواب قد سُميَت هذه الارض وادي الدموع. من حيث انها مكان الاستحقاقات. لاننا قد وُضعنا ههنا جميعًا لكي نتألم مكتسبين لانفسنا بواسطة فضيلة الصبر الحيوة الابدية المغبوطة. كما قال الله عينهُ „ انكم بصبركم تقتنون انفسكم" (لوقا ص ٢١ ع ١٩) فالحق سبحانهُ وتعالى قد اعطانا مريم البتول نموذجًا للفضائل كلها. ولكن بنوع خاص لفضيلة الصبر. ففيها بين الاشياء الاخر التي يلاحظها القديس فرنسيس سالس هو ارتأوهُ في انهُ لاجل هذه الغاية نفسها قد اعطى مخلصنا والدتهُ العذراء في عرس قانا الجليل الجواب بقوله لها „ ما لي ولكِ ايتها الامرأة. لم تات ساعتي بعدُ". مظهرًا كانهُ اعتبر قليلاً تضرعاتها. لكي يعطينا هذه الام الالهية نموذجًا

للصبر". ولكن علي م نجول مفتشين عمّا نقولهُ عن فضيلة صبرها. في الوقت الذي فيهِ نرى ان حياتها كلها على الارض كانت رياضةً متصلةً. وممارسةً دائمةً لافعال هذه الفضيلة. لانها قد عاشت على الدوام فيها بين الآلام. حسبما اوضح ملاك الرب للقديسة بريجيتا قائلاً "كما ان الوردة تنبت وتنمو فيما بين الاشواك. هكذا قد عاشت هذه البتول المكرمة على الارض فيما بين الشدائد". على ان توجعها من آلام ابنها يسوع فقط قد وُجد كافياً لان يجعلها شهيدة لفضيلة الصبر. ومن ثمّ يقول عنها القديس بوناونتورا "انها قد صُلبت منذ حبلها بالمصلوب". فكم احتملت هذه السيدة بعد ذلك في هربها الى مصر. وفي مدة اقامتها هناك. وكذلك في كل الزمان الذي عاشت فيهِ مع ابنها داخل دكان النجارة في مدينة الناصرة. فعن هذا وذاك قد اشرنا بكفايةٍ في المقالة السابقة بتكلمنا عن احزان والدة الاله بوجه العموم والخصوص. ويكفي ما تلالات بهِ فضيلة صبرها في حين وجودها على جبل الجلجلة تحت صليب ابنها. ومشاهدتها آلامهُ وموتهُ. وكم ظهرت بذلك شجاعتها وثباتها في الصبر "حيث انها كما يقول الطوباوي البارتوس الكبير لاجل صبرها هذا العجيب قد استحقت ان تصير امنا اجمعين" ✲

فان كنا اذاً نرغب ان نوجد حقاً اولاداً لها. فيلزمنا ان نجتهد في ان نقتفي اثرها في فضيلة الصبر. فيقول القديس كبريانوس "ترى اي شيءٍ يمكنهُ ان يصيّرنا اغنياء بالاستحقاقات في مدة حياتنا على الارض. وينوالنا المجد العظيم في الابدية. الاّ احتمالنا الآلام بصبرٍ". فقد قال الله على لسان نبيهِ هوشع (ص ٢ ع ٦) "فلاجل هذا هنذا اسيّج طريقك بالشوك". وقد اضاف الى ذلك القديس غريغوريوس الكبير بقوله "ان طرق المنتخبين مسيجة بالشوك". على انهُ كما ان الشوك يُستعمل سياجاً للكروم لحفظها من الخطفة. فهكذا الباري تعالى يسيّج بشوك المصائب والاحزان والالام عبيدهُ الابرار. ليحفظهم بذلك من ان تتعلق قلوبهم بمحبة الاشياء الارضية. ولهذا يختتم قولهُ القديس كبريانوس "بان الصبر هو ذاك الذي ينقذنا من الخطية ومن الجحيم". بل ان الصبر هو الذي يصيّر المتمسكين بهِ قديسين كاملين. كما يشير الى ذلك القديس يعقوب الرسول بقوله "والصبر فليكن لهُ عملٌ كاملٌ لتكونوا كاملين وتامين غير ناقصين في شيءٍ" (يعقوب جامعه ص ١ ع ٤)

وهكذا نحتمل بالصبر تلك الصلبان التي يفتقدنا الله بها. اي الامراض والفقر وباقي الشدائد . وكذلك الصلبان التي تاتينا من قبل البشر. كالاضطهادات والاهانات وامثالها * فالرسول الحبيب يوحنا في جليانه قد اخبرنا بانهُ قد شاهد القديسين كافةً حاملين بايديهم سعف النخل التي هي علامة الاستشهاد قائلاً „ ومن بعد هذا رأيت جمعاً كبيراً لا يقدر احدٌ ان يحصي عددهم من كل امةٍ وكل سبطٍ وكل شعبٍ وكل لسانٍ وقوفاً قدام الكرسي وامام الخروف. وعليهم لباسٌ ابيض وبايديهم سعف النخل" (ابوكاليبسي ص ٧ ع ٩) مريداً بهذا ان يفهمنا ان جميع الذين يموتون بعد بلوغهم سن الرجوليـة يلزمهم ان يكونوا شهداء. امّا بسفك دماهم. وامّا بفضيلة الصبر* فهنا القديس غريغوريوس الكبير يهتف صارخاً „ فلنفرح اذاً متهللين ولنسرّ مبتهجين . لانهُ يمكننا ان نصير شهداء من دون سفك دمائنا واحتمال عذابات الالات الحديدية . بل بواسطة صبرنا الثابت". فاذا نحن احتملنا آلام هذه الحيوة بصبرٍ ورضى . وبفرحٍ ايضاً . كما يقول القديس برنردوس. فترى كم تكـون عظيمة الاثمار التي نجتنيها في الفردوس السماوي عن كلٍ من الآلام التي نكون احتملناها لاجل الله . ومن ثمّ يشجعنا الرسول الالهي بقوله „ لان ضيقنا الحالي الخفيف ينشئ لنا ثقل مجدٍ ابدياً لا حد لسموّهِ اذ لا نترقب التي تُرَى بل التي لا تُرَى . لان التي تُرَى وقتية والتي لا تُرَى ابديةٌ" (قرنتية الثانية ص ٤ ع ١٧) ثم انها لجليلةٌ هي كلمات القديسة تريزيا المقولة منها في هذا الموضوع اي „ان الذي يعتنق الصليب برضاه لا يشعر بثقله". وقالت في محل اخر „ انهُ حينما يقصد الانسان معتمداً على ان يتألم فكانّهُ بهذا القصد تألم وانتهت الآمهُ". الاّ اننا حينما نحسّ بذواتنا متضايقين من ثقل الصليب. فعلينا بالالتجاء الى مريم البتول المدعوة من الكنيسة المقدسة „ معزية الحزانى". وكما يسميها القديس يوحنا الدمشقي „ دواءً قاطعاً شافياً لاوجاع القلوب كلها" *

فيا سيدتي الكلية الحلاوة انكِ انتِ البارّة البرية من كل عيبٍ وزلةٍ. قد احتملتِ الآلام الشديدة بصبرٍ تام . فهل ارفض انا المذنب المستحق جهنم ان اتألم . فانا اليوم التمس منكِ يا امي هذه النعمة . وهي . لا ان انجو معتوقاً من الصلبان . بل ان احتملها بصبرٍ . فاتوسل اليكِ بحق حبكِ

وزأفتك ان تستمدي لي من اللّه هذه النعمة من دون ريب. فهكذا ارجو وكذلك فليكن لي امين ☆

الفصل العاشر

☆ في فضيلة الصلوة الممارسة بنوع سامٍ من والدة لاله العذراء ☆

انهُ ما وُجدت قط على الارض نفسٌ نظير مريم البتول اتبعت بدرجاتٍ ساميةٍ كاملةٍ تعليم مخلصنا العظيم في انهُ يلزم ان تصير الصلوة كل حينٍ من دون اهمالٍ (لوقا ص ١٨ ع ١) على انهُ يقول القديس بوناونتورا „ اننا لا نستطيع ان نتخذ النموذج من احدٍ. ونفهم التزامنا واحتياجنا الى الثبات على الصلوة . افضل مما نتخذ ذلك من العذراء المجيدة ". لان الطوباوي البارتوس الكبير يشهد لنا „ بان هذه الام الالهية قد وُجدت في فضيلة الصلوة اكمل من كل ما سواها بعد يسوع المسيح. من الذين عاشوا في الارض. ومن العتيد وجودهم حتى يوم القيامة ". وذلك اولاً لان صلاتها كانت متواترةً باتصالٍ وبثباتٍ * على ان هذه السيدة منذ الدقيقة الاولى التي فيها خُلقت نفسها البرية من الدنس. ومعًا قد فازت وتلتذ بمعرفةٍ كاملة لتمييز الخير من الشر (حسبما برهنّا في بدء الجزء الثاني للفصل الثاني من المقالة الاولى من هذا القسم الثاني وجه ٣٦) فهي منذ الدقيقة المذكورة ابتدائت بان تمارس فضيلة الصلوة. ثانياً انها لكي تتفرغ بافضل نوعٍ وتعتني باكمل طريقةٍ في اتقان هذه الفضيلة . قد ارادت ان تكون من حين تمام السنة الثالثة من عمرها منفردة كحبيسةٍ في هيكل الرب الاورشليمي . حيث كانت فيها بين الازمنة الاخر المعينة للصلوات. اختارت لذاتها ساعة نصف الليل ايضاً . التي فيها كانت تنهض من رقادها . وتمضي امام هيكل الرب مثابرةً على الصلوة . حسبما اوحت بذلك هي نفسها للبارة اليصابات الراهبة (كما هو مورد من القديس بوناونتورا في الراس ٣ من كتابه على حيوة المسيح). ثالثًا انها لاجل هذي الغاية كانت فيها بعد تزور بتكاثرٍ

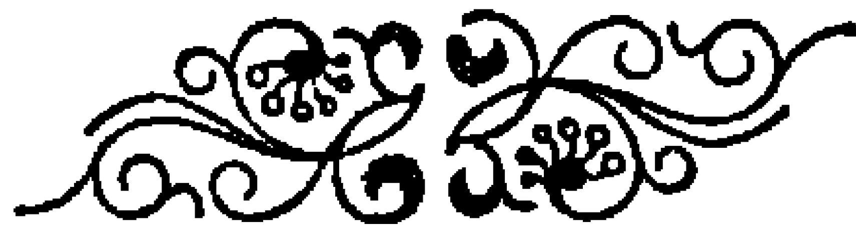
الاماكن المقدسة المختصة بميلاد ابنها. وبآلامهِ ودفنهِ لكي تمارس هناك بفضل نوع تاملاتها في اسرار حياته تعالى وموته. كما يبرهن العلاّمة اوديلونه. رابعًا ان صلواتها كلها كانت مصنوعةً منها برصد عقلٍ تام. ناجيةً من كل انعطافٍ غير مرتبٍ * فقد كتب القديس ديونيسيوس كارتوزيانوس „ ان البتول المجيدة في حين صلواتها لم يكن يحدث لها شتات الافكار. ولا عواطف غير ملائمةٍ. ولا اشياء باطنة او خارجة تعيق فيها تاملاتها بانوارٍ سماوية في الاشياء الالهية " *

ولاجل حبها الشديد نحو ممارسة الصلوات قد احبت دائمًا الانفراد عن الناس. والابتعاد عن ضوضاء العالم. كما اوحت للقديسة بريجيتا „ بانها حينما كانت مقيمةً في هيكل اورشليم قد اجتهدت بالاَّ تواجه احدًا. حتى ولا والديها الاَّ نادرًا * فالقديس ايرونيموس اذ يتفلسف عن كلمات النبي اشعيا القائل (ص ٧ ع ١٤) „ ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمهُ عمانوئيل ". يقول „ ان لفظة عذراء في اللغة العبرانية تفسر بالحصر عذراء منفردةً عن الناس ". فاذًا حتى من النبي المذكور عينه سبق الايعاز عن محبة مريم للانفراد * ويقول ريكاردوس „ ان زعيم الملئكة قال لهذي البتول „ افرحي الرب معكِ ". لاجل محبتها الوحدة والابتعاد عن الناس. ولذلك كتب القديس فينجانسوس فراري „ ان البتول القديسة لم تكن تخرج من بيتها الاَّ حينما كانت تمضي الى هيكل الرب. وحينئذٍ كانت تنطلق مملوَّةً من الاحتشام. وعيناها دائمًا ناظرتين الى الارض ". ومن ثمَّ حينما مضت الى زيارة القديسة اليصابات. قد ذهبت مسرعةً. الامر الذي كقول القديس امبروسيوس ينبغي ان تتعلم منهُ البتولات الاَّ يظهرنَ مشاعًا. بل يحببنَ الخلوة. وكتب القديس برنردوس „ ان الحب الذي كان متقدًا في قلب العذراء المجيدة لممارسة الصلوات والابتعاد عن ضوضاء العالم. قد صيرها ان تجتهد على الدوام في الامتناع من مخاطبة الرجال ". ولهذا قد سماها الروح القدس يمامةً بقوله „ ما اشدَّ بهاء وجنتيكِ كاليمامة " (نشيد ص ١ ع ٩) فيفسر ذلك فارجانوس „ بان اليمامة لاجل انفرادها تشير الى قوة الاتحاد العقلي ". ولذلك العذراء قد عاشت ايام حياتها على الارض معتزلةً بمقدار ما امكنها عن الناس في الاختلاء. كانها في قفرٍ غير مسلوكٍ. ولهذا قيل

عنها „ مَن هي هذه الصاعدة من القفر كانها غصن بخور" (نشيد ص ٣ ع ٦) وعن هذه الكلمات كتب روبارتس مخاطباً العذراء المجيدة بقوله „ كذلك انتِ قد صعدتِ من القفر. اذ كنتِ حاصلةً على نفسٍ محبة الانفراد" ❊

امَّا فيلونه فيقول „ ان الله لا يخاطب الانفس الاَّ في الاختلاء والوحدة. بل الله عينهُ قد اوضح ذلك بواسطة نبيهِ هوشع بقولهِ „ لاجل هذا فهئذا اتملقها واوديها الى البرية. واتكلم الى قلبها " (ص ٢ ع ١٤) ولذلك كان يهتف القديس ايرونيموس قائلاً „ يا ايها الانفراد السعيد كم انت مغبوطٌ. لان فيك يتفاوض الله والنفس معًا متخاطبين كخليَن". وهذا بالصواب. لان القديس برنردوس قال „ انهُ في الانفراد. وفي الصمت الذي المرء يتمتع بهِ بالتوحد. تلتزم النفس بان تخرج بافكارها عن هذا العالم. وتنعكف على التامل في خيرات السماء ❊

فيا ايتها البتول الكلية القداسة انتِ استمدي لنا محبة الصلوة والانعطافات نحوها ونحو الانفراد والاختلاء. حتى اذا ما انفصلت قلوبنا من محبة المخلوقات. يمكننا ان ننعطف نحو الله وحدهُ. ونتشوق الى الفردوس السماوي. حيث نرجو ان نشاهدكِ يوماً ما. لكي نمدحكِ على الدوام. ونحب ابنكِ يسوع ونحبكِ الى ابد الابدين * فقد تفوه الحكيم ابن سيراخ عن لسان البتول الكلية القداسة بقوله „ ميلوا اليَّ يا معشر المشتاقين وتمتعوا بغلاتي" (ص ٢٤ ع ٢٦) فغلات مريم البتول انما هي فضائلها * قال سادوليوس „ ان العذراء المجيدة لم يسبقها قط احدٌ شبيهٌ بها. ولم ياتِ بعدها انسانٌ مماثلٌ لها ". ومن ثمَّ يخاطبها هو نفسهُ هكذا قائلاً انكِ انتِ وحدكِ ايتها الامرأة قد ارضيتِ المسيح بنوعٍ لا نظيرَ لهُ على الاطلاق" ❊



المقالة الرابعة

* في بعض عبادات تقوية مختلفة الموضوعات. تفيد ممارستها * * في تكريم سيدتنا مريم العذراء والدة الاله. مع الصلوات * * الملائمة للموضوعات المشار اليها. وفيها عشرة فصول *

الفصل الاول

* فيما يلاحظ هذه العبادات بوجه العموم *

ان سلطانة السماء مريم البتول هي هكذا سخية ومنعمة وحافظة المعروف. حتى انها تكافي باشياء عظيمة اصغر العبادات واوجزها المقدمة تكريماً لها من عبيدها. كما يقول القديس اندراوس الاقريطشي (في خطبته الثانية على نياحها) „ان هذه السيدة الكلية العظمة تجازي اقل الاشياء المقدمة لها مجازاة عظيمة". ولكن مع هذا يلزم الامر الى شيئين ضروريين لممارسة عباداتها حسناً. فاولهما هو اننا نكرم هذه الام الالهية بتقدمة عباداتنا لها بنفس مطهرة من الخطايا. والّا فهي تقول لنحونا ما قالته مرة لذاك الجندي الردي السيرة (كما اخبر القديس بطرس سلستينوس) الذي كان يكرم هذه السيدة يومياً ببعض عبادات. فهذا الجندي يوماً ما اذ كان متألماً من شدة جوعه لعدم حصوله على شيء يقتات به. قد ظهرت له والدة الاله عينها وقدمت امامه بعض مآكل فاخرة جداً. ولكنها موضوعة ضمن وعاء بهذا المقدار كريه المنظر من شدة اوساخه. حتى ان الجندي مع حال كونه جائعاً جداً لم يمكنه ان يتناول من تلك الاطعمة شيئاً. ثم قالت له „انا هي مريم والدة الاله اتيت لاسعفك في حال جوعك". فاجابها الجندي قائلاً „لكنني لا اقدر

ان آكل من الاطعمة في هذا الاناء الكريه الوسخ". فحينئذٍ قالت لهُ هذه السيدة „ فكيف اذًا انت تريد مني ان اقتبل عباداتك لي المصنوعة منك في حال وجود نفسك ملتطخةً بحمأة الرذائل". فالجندي عند سماعه هذه الكلمات رجع الى الله تائبًا. وانفرد في القفر سائحًا مدة ثلثين سنةً. وساعة موته ظهرت لهُ ثانيةً والدة الاله واقادت نفسهُ الى الحيوة الابدية ✿

فقد قلنا في الجزء ١ من الفصل ٨ من القسم ١ (وجه ١٧٩) من هذا الكتاب. انهُ لمن المحال ادبيًا ان يهلك احدٌ من المتعبدين لمريم العذراء. ولكن هذا يُفهَم تحت شرطٍ وهو ان المتعبد لها امَّا انهُ يعيش من دون افتعال الخطايا مطلقًا. وامَّا ان يكون حاصلاً على استعدادٍ ورغبةٍ قلما يكون في ان يخرج من حال الاثم راجعًا الى الله بالتوبة. لان هذه السيدة حينئذٍ تساعدهُ على اصلاح نفسه. وبالعكس اذا وُجد احدٌ مصرًّا على افتعال المآثم تحت رجاء ان والدة الاله تهتم في خلاصه . فهذا بذنبه يصيّر ذاته غير مستحقٍ لحمايتها ولمحاماتها عنهُ. بل يضحى موضوعًا غير قابلٍ لذلك ✿

واما الشيء الثاني الضروري فهو المثابرة بثباتٍ على العبادة لهذه السيدة. لان القديس برنردس يقول „ ان الثبات على البر وحدهُ هو الذي يستحق الاكليل". فتوما الكامبيسي حينما كان في سن الشبوبية. قد كان من عادته ان يلتجيء يوميًا الى البتول المجيدة تاليًا في عبادتها بعض صلواتٍ. فيومًا ما قد ترك تلاوة تلك الصلوات وبعدهُ اهملها بعض جُمَع . واخيرًا ما عاد مارسها بالكلية * فليلةً ما شاهد في الحلم والدة الله كانت تأتي عند واحدٍ فواحدٍ من رفقائه العبّاد وتعانقهُ . ولكن لما دنت منهُ قالت لهُ „ ماذا تنتظر ههنا انت الذي قد تركت عباداتك الاولى . فاغرب من هنا لانك لست مستحقًا ان اعانقك". ففي سماعه هذه الكلمات قد استيقظ من النوم مملؤًا رعدةً وارتجافًا . وحالاً رجع الى ممارسة عباداته السابقة . ولذلك يقول ريكاردوس „ ان مَن يواظب على عبادة مريم العذرا بثباتٍ. فهذا يكون مغبوطًا في الرجاء. لانهُ يفوز بكل الاشياء المرغوبة". ولكن من حيث انهُ لا يمكن لاحدٍ ان يثق مطمأنًا بانهُ حقًا هو من الثابتين على عمل البر. فهكذا لا يمكن لاحدٍ مطلقًا ان يتأكد حقيقة امر خلاصه الاَّ حين موته. فاذًا لشيٌ يستحق الذكر والاعتبار العظيم هو ما تركهُ لاخوته الرهبان

اليسوعيين يوحنا باركمانس. الذي حينما سالهُ هولاء الرهبان ساعة موتهِ. ان يترك لهم تذكرةً في شان العبادة لوالدة الله بالنوع الاجود ممَّا سواهُ. لاجل اكتساب حمايتها فاجابهم „ ان ذلك هو كل شيءٍ مهما كان وجيزًا بحيث ان يكون بثباتٍ". فلاجل هذه الغاية انا رايت ملائمًا ان احرر في المقالة الحاضرة بنوعٍ بسيط. ما يلاحظ بعض عباداتٍ مختلفة الموضوعات نقدر ان نمارسها في تكريم امنا الالهية. لكي نكتسب رضوانها وانعامها. وهذه الاشياء انا اعتبرها الاكثر افادةً من جميع ما كتبتهُ في هذا المولف. ولكنني لا اتضرع للقاري الحبيب بان يمارسها كلها. بمقدار ما اتوسل اليه في انهُ يمارس نوع العبادة الذي هو يختاره منها برضاه. بمواظبةٍ ثابتةٍ مع خوفٍ من ان يخسر حماية هذه الملكة المقتدرة. اذا هو ترك استعمالهُ بعد ان يكون ابتدأ بهِ. فكم وكم من الهالكين الان في الجحيم لكانوا فازوا بالخلاص الابدي. لو انهم يكونون ثابروا مواظبين على العبادة التي مرةً ما كانوا تمسكوا بها في تكريم والدة الاله. وبعد ذلك تركوها مهملين ممارستها ✿

الفصل الثاني

✿ في تكريم مريم العذراء بتلاوة السلام الملائكي ✿

فالبتول الكلية القداسة تقتبل بالرضى وبمسرةٍ وافرةٍ تكرمتها بتلاوة السلام الملائكي. لانهُ يبان كانهُ يتجدد في قلبها الفرح والابتهاج اللذان كانت هي شعرت بهما حينما بشرها زعيم الملائكة جبرائيل بانها قد أُختيرت امًا للهِ. ونحن بهذه النية يلزمنا ان نسلم عليها بهذا السلام الملائكي مراتٍ كثيرةً. كما يقول توما الكامبيسي „ حيّيها يا هذا بالكلمات الملائكية اي بالسلام لكِ يا مريم الخ لانها تستمع هي نغمة هذا السلام بكل سرورٍ ورضى". بل ان هذه الام الالهية نفسها قالت في الوحي للقديسة ماتيلدا „ انهُ لا يمكن لاحدٍ ان يكرمني بمدائح افضل من ان يسلم عليَّ بالسلام الملائكي". فمن

يحيّي مريم بالسلام تحييه هي بمثله * فالقديس برنردس يوماً ما سمع بنوع واضح حسّي صوت والدة الله من احدى ايقوناتها التي كانت تمثالاً مجسماً تسلم عليه قائلةً "السلام لك يا برنردس". ويقول القديس بونافنتورا "ان سلام مريم البتول انما هو ايهابها نعمةً ما تكافئ هي بها دائماً مَن يسلم عليها". ويضيف الى ذلك ريكاردوس بقوله "اذا تقدم اليها احدٌ قائلاً لها السلام عليكِ يا مريم. فلا يمكن ان تنكر عليه هي النعمة التي يلتمسها. بل ان والدة الاله عينها قد وعدت القديسة جالترودا بان تسعفها حين موتها بمعونات توازي عدد المرات التي هي في حياتها سلمت عليها بالسلام الملئكي. وكتب الطوباوي الانوس بقوله "انهُ حينما يقال السلام عليكِ يا مريم. فكما ان اهل السماء يفرحون بهذي التحية. فهكذا يرتعد الشيطان ويهرب". حسبما يشهد توما الكامبيسي بانه اذ ظهر لهُ مرةً الشيطان. فحالما هو هتف السلام لكِ يا مريم. قد هرب ابليس من امامه مدبراً *

امّا ممارسة هذه العبادة نحو العذراء المجيدة. فلتكن على الاسلوب الاتي شرحهُ وهو اولاً ان العابد يتلو كل يومٍ صباحاً حين نهوضه من فراشه. ومساءً قبل رقاده ثلث مراتٍ "السلام لكِ يا مريم". مطاطئاً بوجههِ الى الارض. او قلما يكون جاثياً على ركبتيه. مضيفاً الى ذلك هذه الصلوة الوجيزة وهي "بحق بتوليتك المقدسة. والحبل بكِ البري من الدنس. طهري ايتها العذراء نفسي. وقدسي جسدي امين". ثم يلتمس منها البركة بحسبما هي امنا جميعاً. كما كان يفعل القديس سطانيسلاوس. وبعد هذا فليضع ذاتهُ تحت ذيل حمايتها متوسلاً اليها بان تحفظهُ من الخطية في ذاك النهار ام في تلك الليلة. ولاجل هذه الغاية يفيد جداً ان يحتوي العابد احدى ايقونات هذه السيدة الجميلة معلقةً بالقرب من فراشه *

ثانياً ان يواظب حسب العادة تلاوة السلام الملئكي صباحاً ونصف النهار وعند غروب الشمس وهي الصلوة المدعوة عموماً "ملاك الرب". فاول مَن منح غفراناً على تلاوة هذه الصلوة هو الحبر الاعظم يوحنا الثاني والعشرون. لاجل الحادث الشهير الذي يخبر عنهُ الاب كراسات (في البحث ٦ من المجلد ٢) وهو ان انساناً كان محكوماً عليه بالموت محروقاً لاجل ذنوبه. فهذا في بارامون عيد البشارة اذ كان وضع ضمن لهيب النار. فبمجرد استغاثتهِ

باسم مريم العذراء لبث غير محترق ولا مست النار ملبوسه. ثم فيها بعد البابا بناديكتوس الثالث عشر قد اعطى غفران مائة يوم لكل من يتلوها. وفي راس الشهر غفرانًا كاملًا لمن يتلوها اذ يكون معترفًا ومتناولًا. والاب كراسات عينهُ يورد بان الحبر الاعظم اكليمنضوس العاشر قد منح غفرانات اخر لمن يضيف الى تلاوة كل من „السلام لكِ يا مريم". هذه الكلمات وهي „نشكر الله ومريم". ففي الازمنة السالفة كان المؤمنون عند سماعهم ضرب الناقوس لملاك الرب يجثون على ركبهم تالين هذه الصلوة. غير ان البعض في ازمنتنا هذه يستحون من ذلك. الّا ان القديس كارلوس بوروماوس لم يكن يستحي من ان ينزل من مركبته. او من على ظهر فرسه جاثيًا في الارض ليتلوها. حتى انهُ بعض الاحيان لم يكن يأنف من ان يركع فوق الطين * ثم يقال في الاخبار ان احد الرهبان الكسالا لم يكن يجثُ عند قرع الجرس لتلاوة هذه الصلوة. فيومًا ما شاهد قبة الناقوس عند كل مرة من ضرب الجرس تنحني الى اسفل. وسمع صوتًا يقول لهُ „ هوذا انت لم تشاء ان تصنع ما تصنعهُ المخلوقات الغير الحساسة". ويجب ان يُعلَم ما يفسرهُ في هذا الشان البابا بناديكتوس الرابع عشر. وهو انهُ في الايام الفصحية تُتلَى عوض ملاك الرب الصلوة المبدو بها „يا سلطانة السماء". وانهُ من حين صلوة الغروب نهار السبت مساءً الى نهاية نهار الاحد يقال ملاك الرب من دون ركوع. بل باقدام منتصبة ✿

ثالثًا ان تُتلَى „السلام لكِ يا مريم". من العابد كل مرة يسمع قرع ناقوس الساعة. فالفونسوس رودريكوس كان معودًا ذاته على هذه العبادة بتلاوة السلام الملكي مرةً في كل ساعة. فمن ثمَّ كان في حين رقاده ليلًا يُنبَّه من ملاك الرب ليستيقظ ويتلوها من دون تفويت ✿

رابعًا في حين خروج العابد من بيته وفي وقت دخوله اليه يتلو هذا السلام الملكي. لكي تحفظهُ والدة الاله خارجًا وداخلًا من الخطية. مع تقبيل قدميها في احدى ايقوناتها. كما يفعل الاباء الرهبان السكوتيون ✿

خامسًا انه كل مرة يشاهد ايقونتها في مكان فليحيّيها بهذا السلام. وما احسن ما يفعل مَن يقدر ان يضع بالقرب من بيته احدى ايقونات هذه السيدة جميلة التصوير ليكرمها المجتازون. كما توجد في مدينة نابولي. وخاصةً

في مدينة روميه في حيطان الطرقات ايقونات جليلة في الغاية لهذه الام الالهية محركة الى عبادتها ☆

سادساً ان الكنيسة المقدسة قد رسمت على الاكليروس بأن يتلو هذا السلام الملئكي في بداءة كل من ساعات الفرض وفي نهايتها. فاذاً يفعل حسناً العابد اذا تلى هذه الصلوة في بداءة كل من اعماله وعند نهايته. سواء كانت اعمالاً روحية كالصلوات الخصوصية ام الاعتراف بالخطايا . او تناول القربان الاقدس. ام قراءة كتاب روحي . او استماع الوعظ وامثال ذلك. ام اعمالاً جسدية . كالدرس. او اعطاء المشورة . ام عمل اليد . او الجلوس على مائدة الغذاء. وما اشبه هذه الاشياء. فسعيدة هي تلك الاعمال التي توجد مقيدة فيها بين سلامين ملئكيين. اي عند البداءة بها وحين نهايتها. وكذلك في الذهاب الى الرقاد. وحين النهوض منه. وعند هجوم تجربة او خطر ما. وحين هيجان روح الغضب والغيظ وامثاله ☆

فضع بالعمل ايها القاري الحبيب هذه العبادة . وستشاهد الثمرة الكلية الافادة التي تجتنيها منها. وينبغي ان تعلم بانه ممنوح من السدة الرسولية غفران عشرين يوماً على كل مرة يتلى السلام الملئكي . وغير ذلك ينبه الاب اورياما بان والدة الاله قد وعدت القديسة ماتيلده . بان تستمد لها ميتة صالحة ان كانت تواظب على تلاوة هذا السلام ثلث مرات في كل يوم تكريماً لصلاحها وحكمتها. واقتدارها . وهذه الام الالهية عينها قالت يوماً للطوباوية يوفانا ده فرنسا . بان السلام الملئكي هو كلي القبول لديها . لاسيما اذا قيل عشر مرات تكريماً لفضائلها العشر. كما يورد ذلك العلامة ماراجي . حيث يبرهن عن غفرانات كثيرة ممنوحة لمن يتلو هذه العشر مرات السلام لك يا مريم ☆



الفصل الثاني

☆ في العبادة الملقبة بالتسعاوية . التي تُمارس في مدة تسعة ☆ ☆ ايام ٍ متقدمة ٍ على كل ٍ من اعياد والدة الاله ☆

فالانام المتعبدون للعذراء المجيدة يكرمون بحسن تدينٍ الايام المتقدمة على اعيادها المقدسة . التي فيها هذه الام الالهية تهب اعتياديًا لهولاء انعامًا خصوصية غير محصاة * فالقديسة جالتروده قد شاهدت يومًا تحت برفير مريم البتول عددًا عظيمًا من الانفس . قد كانت هذه السيدة ترمقهن بحبٍ ورأفةٍ وانعطافٍ . وقد فهمت هي اي جالتروده ان تلك الانفس هي انفس اولئك الذين يمارسون عباداتهم باستعداداتٍ تقويةٍ لتكريم عيد نياحها المقدس . في الايام المتقدمة على هذا العيد * اما الرياضات الروحية التي تمكن ممارستها في الايام التسعاوية المشار اليها فهي الاتي ايرادها . اي ☆

اولاً صنيع الصلوة العقلية كل يومٍ صباحاً ومساءً . مع زيارة القربان المقدس في احدى الكنائس . ثم تلاوة تسع مراتٍ „ ابانا الذي . والسلام لكِ . والمجد للاب " ☆

ثانياً ان تُعمَل في مدة التسعة الايام ثلث مراتٍ الزيارة لهذه السيدة الجليلة امام احدى ايقوناتها المقدسة . مع تقدمة الشكر لله على النعم العظيمة التي وهبها تعالى اياها . وفي كل مرةٍ من هذه الثلث الزيارات تُطلَب من العذراء المجيدة نعمةٌ ما خصوصية . وفي احدى الزيارات المذكورة تُتلَى الصلوة المعينة في آخر الفصل المختص بذاك العيد المقبل . المدونة منا في الفصول السبعة اللاحقة اعيادها السنوية السبعة في المقالة الاولى من هذا القسم الثاني ☆

ثالثاً ان نُمارَس في بحر هذه التسعة الايام مراتٍ كثيرةً افعال الحب

نحو يسوع المسيح. ونحو والدته العذراء (مثلاً مئة مرةٍ او قلما يكون خمسين) لانهُ لا يمكننا ان نصنع شيئًا اكثر قبولاً لديها من عواطف حبنا نحو ابنها. حسبما حققت ذلك هي نفسها للقديسة بريجيتا بقولها لها „ ان كنتِ ترغبينَ ان تتحدي بي برباط الاتحاد الوثيق. فاحببي ابني يسوع" ✿

رابعاً ان تصير في كل يومٍ من هذي الايام التسعة. القراءة مقدار ربع ساعة من الزمان في بعض الكتب المختصة بتكريم والدة الاله ✿

خامساً ان تُعمَل بعض اماتاتٍ خارجة. كلبس المسح. او ممارسة الجلد. وامثال ذلك مع الصوم. او الامتناع عن بعض اشياء من المآكل المرغوبة. او من الاثمار المحبوبة. قلما يكون بترك جزءٍ من ذاك الشيء المقدم على المائدة للغذاء. وكذلك مضغ بعض الحشائش المرة * واما باراموت العيد فيصير فيه الصوم على الخبز والماء فقط. غير انهُ يجب ان تُمارَس هذه الاشياء كلها باذن الاب المرشد الروحي * الَّا ان الاماتات الباطنة التي تُصنع في مدة هذه التسعة الايام هي اكثر افادةً. كالامتناع عن مشاهدة تلك الاشياء. او استماع تلك الاخبار التي لا احتياجَ اليها. بل بمجرَّد رغبة الفحص عن كل شيءٍ. وكالابتعاد عن ضوضاء العالم في الانفراد بقدر الامكان. وحفظ الصمت واتقان واجبات الطاعة. وعدم رد الجواب بقلة صبرٍ. واحتمال المقاومات. وما يضاهي ذلك ممَّا تمكن ممارستهُ من دون خطرٍ مبين للمجد الباطل. وباعظم اجرٍ للنفس. ومن غير اذن المرشد الروحي * واما الرياضة الفضلى. فهي القصد الثابت من اول يومٍ من الايام المذكورة على استئصال ملكةٍ رديةٍ. او عادةٍ مذمومةٍ. ام نقصٍ يسقط فيه العابد مراتٍ كثيرةً. ثم يفيد جداً ان يُطلَب الغفران من هذي السيدة في كلٍ من الثلث الزيارات السابق ذكرها. عن النقائص التي تكون حدثت. مع تجديد القصد على عدم الرجوع اليها. وطلب العون من هذه العذراء المجيدة على الحفظ من السقوط جديداً * فالعبادة الاكثر قبولاً لدى والدة الاله هي اقتفاء اثر فضائلها. ولهذا فما عدا ما تقدم ايرادهُ. يفيد كثيرًا ان يصير الاجتهاد في ان تكتسب في كل تسعاويةٍ من هذه الايام فضيلةٌ ما من فضائلها. اي ان العابد يهتم في ان يكتسب لذاته مثلاً فضيلة نقاوة النية. في الايام المختصة بعيد الحبل بها البري من دنس الخطية الاصلية * وفضيلة التجديد بالروح من فتور

العبادة. في ايام عيد ميلادها * وفضيلة احتقار الاشياء الزمنية. واستئصال محبة ذاك الموضوع الذي هو يميل اليه باشد انصباب. في ايام عيد تقدمتها للهيكل * وفضيلة التواضع. واحتمال الاهانات بصبر. في ايام عيد بشارتها بالحبل الالهي * وفضيلة محبة القريب بعمل الصدقات وامثالها. في ايام تذكار زيارتها عند نسيبتها القديسة اليصابات. او قلما يكون يصلي من اجل ارتداد الخطاة الى التوبة * وفضيلة الطاعة للروساء. في ايام عيد تطهيرها. اي تقدمتها ابنها الى الهيكل * واخيرًا فضيلة احتقار خيرات الارض والاستعداد يوميًا الى الموت. كأن كل يوم هو الاخير من حياته. في ايام عيد نياحها. فعلى هذي الصورة تثمر الايام التسعاوية الاثمار العظيمة ✿

سادسًا ما عدا تناول القربان المقدس في يوم العيد. فحسنٌ هو ان العابد يستمد الاذن من مرشده الاب الروحي بان يتناول السر الاقدس مرات اخر في بحر التسعة الايام * فكان الاب بولس السنيري من عادته ان يقول „انهُ لا يمكننا ان نكرم مريم العذراء بافضل نوعٍ. الاَّ حينما نكون متحدين مع يسوع". بل ان هذه السيدة عينها قد اوحت الى نفسٍ من الانفس القديسة بانهُ لا توجد لديها تقدمةٌ اكثر قبولاً. من ان عبيدها يواظبون تناول جسد ابنها الالهي. لانهُ تعالى بهذه الرياضة يجمع بيديه من الانفس اثمار آلامهِ المقدسة. ومن ثمَّ يبان كانَّ هذه الام الالهية لا تشتهي شيئًا اكثر من هذا العمل الجليل. ولذلك تهتف نحو الجميع عن لسان الحكيم قائلةً „تعالوا كلوا خبزي واشربوا الخمر الذي مزجتهُ لكم" ✿

سابعًا واخيرًا يلزم ان العابد يقدم ذاتهُ في يوم العيد. بعد تناوله القربان المقدس لخدمة هذه الملكة. مع التماسه منها نعمة تلك الفضيلة التي يكون هو في الايام المتقدمة عزم على اكتسابها. ام انهُ يطلب منها نعمةً اخرى خصوصيةً * وامرٌ مفيدٌ هو ان يصير في كل سنةٍ الاجتهاد. في احد الاعياد الذي يكون للعابد تعلق قلبٍ بهِ اشدّ ممَّا سواه. في ان يجدد في هذا العيد عبوديتهُ لهذه الام الالهية باكثر حرارةٍ. وباشد انعطافٍ. وبافضل نوعٍ. متاهبًا ليكرّس ذاتهُ من جديد لخدمتها. متخذًا اياها شفيعتهُ ومحاميتهُ الخصوصية. وامَّا لهُ باحترامٍ تقويٍ خاص. وحينئذٍ يلزمنا ان نطلب من العذراء المجيدة الغفران عمَّا صدر منا من التهاون في عبادتها في تلك السنة الماضية. وان

نعدها بالامانة في خدمتها بكل نشاطٍ في السنة المقبلة. واخيرًا ان نلتمس منها بتضرعاتٍ حارةٍ ان تقبلنا عبيدًا لها. وان تستمد لنا نعمة الميتة الصالحة ✿

✿ تنبيه ✿

انهُ توجد في كتاب الرياضة اليومية صلاتان. احداهما لتكريس الانسان ذاتهُ لعبادة هذه السيدة. وثانيتهما لتكريسهِ لها عيلتهُ. فعليك ايها العابد باستعمالهما ✿



✿ في العبادة المختصة بالمسبحة الوردية ✿
✿ وبفرض البتول المجيد . او قانونها ✿

فامرٌ معروفٌ من الجميع هو ان العبادة المختصة بالوردية المقدسة . قد أُوحي بها من والدة الاله عينها للقديس عبد الاحد . حينما كان هو ممتلئًا من الغموم. لاجل ان الاراتقة الالبيجازيين كانوا وقتئذٍ يسببون للكنيسة اضرارًا عظيمةً . ولذلك اخذ هذا القديس يتشكى لسيدتهِ الام الالهية من تلك الحال السيئة. فهي اجابتهُ قائلةً لهُ في الوحي „ ان هذه الارض ستلبث عقيمةً من الاثمار الى حينما تنحدر عليها الامطار". فالقديس حينئذٍ فهم ان الامطار الموحى اليها قد كانت عبادة المسبحة الوردية. التي كان يلزمهُ ان يشهرها في كل مكانٍ. الامر الذي حالاً باشرهُ بالعمل. منذرًا في كل صقعٍ بهذي العبادة. التي اعتنقها المؤمنون الكاثوليكيون عمومًا. بنوع انهُ في الوقت الحاضر لا توجد عبادةٌ ممارسةٌ من المسيحيين كافةً. من كل جنسٍ وسنٍ ودعوةٍ. بمقدار هذه العبادة المقدسة. اي المسبحة الوردية * فالاراطقة المحدثون. نظير كلفينوس وبوجاروس وغيرهما. قد اجتهدوا بكل قوتهم في ان يصيّروا استعمال هذي العبادة مكروهًا عند المؤمنين. غير انهُ معلومٌ لدى الجميع الخير الروحي العظيم الذي جلبتهُ للعالم هذه العبادة الشريفة * فكم من الناس

بواسطتها قد خلصوا من رذائلهم ومآثمهم * وكم هم الذين بممارستهم اياها حصلوا على سيرةٍ فاضلةٍ وحيوةٍ مقدسة. وفازوا اخيرًا بميتةٍ صالحةٍ. وهم الان في الفردوس السماوي * فلتُقرَا في هذا الموضوع الكتب الكثيرة المخبرة عن هذه الاثمار العظيمة. والفوائد العمومية والخصوصية. ويكفي القول ان هذه العبادة قد تثبتت من الكنيسة المقدسة. وان الاحبار الرومانيين قد اغنوها من الغفرانات * فقد منحوا لكل من يتلو ثلث هذي المسبحة الوردية غفران سبعين الف سنةٍ. ولكل من يتلوها كلها ثمانين الف سنةٍ. واكثر من ذلك لكل من يتلوها امام هيكل الوردية * والبابا بناديكتوس الثالث عشر اعطى اخيرًا لكل من يتلو من المسبحة الوردية قلما يكون ثلثها. مستعملاً احدى المسابح المباركة من الاباء رهبان القديس عبد الاحد. كل الغفرانات الممنوحة لمسبحة القديسة بريجيتا. اي غفران مائة يومٍ على كلٍ من "السلام لكِ يا مريم". ومثلهُ على كلٍ من "ابانا الذي". وان من يمارس هذه العبادة يكتسب غفرانًا كاملاً في كلٍ من اعياد والدة الاله. ومن الاعياد الكنائسية المتميزة. وكذلك في اعياد القديسين الذين من قانون البار عبد الاحد. بزيارة كنائسهم بعد الاعتراف والتناول * ولكن ينبغي ان يُفهَم. انهُ يكتسب هذه الغفرانات اولئك الذين يكونون اشتركوا في عبادة الوردية. وتدونت اسماؤهم في السجلات المختصة بها. كما ان كلًّا من هولاء المشتركين يربح غفرانًا كاملاً يوم تدوين اسمه في الشركة. اذ يكون معترفًا ومتناولاً. ثم مئة سنةٍ ان كان يحمل معهُ المسبحة * واما الذي يصنع الصلوة العقلية كل يومٍ مقدار نصف ساعة فيربح غفران سبع سنواتٍ في كل مرةٍ يمارس هذه الصلوة. وغفرانًا كاملاً في كل شهرٍ ✿

الّا انهُ لاكتساب الغفرانات الممنوحة لعبادة الوردية. يلزم ان يصير التامل في اسرارها حين تلاوة المسبحة. وهذه الاسرار هي معروفةٌ ومدونةٌ في كتبٍ كثيرةٍ. ولكن حينما لم يكن العابد يعرفها غيبًا فيكفيه ان يتامل بعض اسرار آلام مخلصنا المقدسة. مثلاً جلده. ام موته. او غيرهما * ثم يجب ان تُتلى المسبحة الوردية بحسن عبادةٍ. وفي هذا الشان قالت العذراء الكلية القداسة عينها للطوباوية افلاليا "انها تقبل افضل قبولاً تلاوة خمسة بيوتٍ بانتباهٍ وعبادةٍ. من تلاوتها كلها اي الخمسة عشر بيتًا باسراعٍ وباقلّ عبادةٍ. فامرٌ

جيدٌ جداً هو ان تُتلَى هذه المسبحة ممَّن يكون جاثياً على ركبتيهِ. وامام احدى ايقونات والدة الاله. وانهُ عند بداءة كل بيتٍ منها يمارس باطناً فعل حبٍ نحو يسوع ووالدته بعواطف قلبية. طالباً منهما نعمةً ما. ثم يفيد كثيراً ان تُتلَى هذه المسبحة من كثيرين معاً افضل من تلاوتها من شخصٍ بمفردهِ ✿

واما بخصوص الفرض او القانون. المختص بالبتول المجيدة. الذي يقال انهُ مولفٌ من القديس بطرس داميانوس. فالبابا اوربانوس الثاني قد منح غفرانات كثيرة لمن يتلوهُ. ووالدة الاله مرات عديدةً قد اوضحت بكفايةٍ كم هي مقبولةٌ لديها هذه العبادة. كما انها تقبل بالرضى تلاوة الطلبة المختصة بها. المنوح لكل مَن يتلوها غفران مائتين يومٍ في كل مرةٍ تقال منهُ. ومثل ذلك الصلوة المبدؤة „السلام عليكِ يا مريم المجمة„. حيث ان هذه البتول رسمت على القديسة بريجيتا ان تتلوها يومياً. وباكثر من هذي وتلك التسبحة التي هي نفسها الفتها اي „تعظم نفسي للرب. وتبتهج روحي بالله مخلصي الخ„. لان والدة الاله بهذه التسبحة قد مجدت الله ومدحت عظائمهُ. ونحن بتلاوتنا اياها نمدحها بالفاظها عينها التي استعملتها في تعظيم الرب ✿

الفصل الخامس

✿ في عبادة والدة الله الكلية الطوبى بواسطة الاصوام ✿

انَّ كثيرين من المتعبدين لهذه الام الالهية قد اعتادوا ان يكرموها بصيامهم على الخبز والماء. في ايام السبوت. وفي بارامونات اعيادها * فامرٌ واضحٌ هو ان الكنيسة المقدسة قد كرست نهار السبت لتكريم هذي السيدة الشريفة „لانهُ (كما يقول القديس برنردوس) في يوم السبت بالخصوص قد تلالأت فضيلة ايمانها الثابت في ابنها بعد موته ودفنه„. ومن ثمَّ عبيد هذه الملكة الجليلة لا يدعون ان يمرَّ نهار السبت من دون ان يكرموها بهِ ببعض

عباداتٍ خصوصية. لاسيما اولئك الذين يصومون فيه على الخبز والماء. كما كان يصنع القديس كارلوس بوروماوس. والكردينال طولادوس وغيرهما كثيرون. بل ان اسقف بامبارغا نيطاردوس. والاب يوسف اريغا اليسوعي لم يكونا يذوقان في يوم السبت شيئًا من المآكل مطلقًا * وامّا اخبار النعم العظيمة التي وزعتها هذه السيدة على اولئك الذين يكرمونها بهذا الصيام. فيمكن الاطلاع عليها مفصلاً في الراس ١٧ من المجلد ١ من تاليف الاب اورياما. ويكفي لايضاح مراحمها ما صنعتهُ مع احد روساء اللصوص. الذي اذ قُطعت هامتهُ وكان هو في حال الخطيئة. فاستمر راسهُ حيًّا الى ان اعترف بخطاياه ونال الحل عنها. وبعد ان اخبر بان هذه النعمة أُعطيت لهُ من والدة الله. لاجل انهُ كان يكرمها بصيام يوم السبت. فحالاً انفصلت نفسهُ عن تلك الهامة المتكلمة من دون جثتها * فاذًا ليس هو شيئًا مستعظمًا على من يدّعي بانهُ متعبدٌ خاص لهذه الملكة. لاسيما ذاك الذي يكون بخطاياه استحق جهنم. ان يقدم لها صيام يوم السبت. غير انني اقول ان مَن يمارس هذه العبادة. فامرٌ عسرٌ جداً انهُ يمضي هالكًا. لان كقولك اذا ادركهُ الموت في حال الخطية المميتة. فوالدة الاله تخلصهُ من الهلاك بواسطة اعجوبةٍ. كما صنعت مع القائد المنوه عنهُ انفًا. كلاَّ. لان هذه هي افعال عجائب الرحمة الالهية الغير المتناهية التي تحدث نادرًا جدًّا. وبالتالي ان مَن ينتظر امر خلاصه بواسطة هذه العجائب فهو احمق فاقد العقل. بل اقول ان الذي يكرم هذه السيدة بصيام السبوت. فبسهولةٍ يجعلها ان تستمد لهُ من الله موهبة الثبات في النعمة. وميتةً صالحةً * فجميع الاخوة الموجودين في جمعيتنا الحقيرة يصومون السبوت على الخبز والماء (حينما يقدرون على ذلك) تكريمًا لمريم العذراء. وانما قلت حينما يقدرون على ذلك. لاوضّح انهُ يتفق احيانًا ان يلتزم البعض منهم بعدم حفظ هذا الصيام لاجل عارض مرضٍ. او بامر الطبيب. ولكن الذين على هذه الصورة لا يستطيعون على الصيام. فلا يتغافلون عن صنيع الاماتات الممكنة لديهم. مثلاً الاكل من شكلٍ واحدٍ فقط من الاطعمة. او الامتناع عن الفواكه ام عن شيء اخر محبوب منهم *

ففي ايام السبوت يلزم ان تُصنَع بعض عباداتٍ خصوصيةٍ تكريمًا لهذه السيدة. كتناول القربان الاقدس او على القليل استماع القداس. وكزيارة

بعض ايقوناتها المقدسة بتقوى وحسن تعبدٍ. او بلبس المسح. وبما يضاهي ذلك. فالمتعبد لهذه الام الالهية يجتهد قلما يكون في ان يكرم اعيادها السنوية السبعة بصيامه في بارامونانها على الخبز والماء. ام باستعماله نوعاً اخر من الصيام حسبما هو ممكنٌ لديه ✿

الفصل السادس

✿ في العبادة التي تُكرَّم بها والدة الله بواسطة زيارات ✿ ✿ ايقوناتها المقدسة ✿

ان الاب بولس السنيري يقول „ ان الشيطان لم يعرف ان يعزي ذاتهُ نوعاً عن الخسارة التي الّمت بهِ في ملاشاة العبادات الوثنية القديمة. الّا بواسطة استخدامه الاراطقة في اضطهاد الايقونات المقدسة. ولكن كنيسة المسيح الجامعة قد حامت عن تكريم هذه الايقونات حتى بسفك دماء شهداء كثيري العدد. وكذلك البتول الام الالهية قد اظهرت بواسطة عجائب عظيمةٍ وعديدةٍ. كم هو مقبولٌ لديها تكريم ايقوناتها الطاهرة * فقد قُطعت يد القديس يوحنا الدمشقي لاجل انهُ استخدمها بتحريك قلمه الجليل في المحاماة عن ايقونات هذه السيدة. غير ان سلطانة العالمين هذه ردت اليه يدهُ صحيحةً بأعجوبةٍ شهيرة * واخبر الاب سبينالي. بانهُ في القسطنطينية قد كان في كل سبتٍ ستر احدى ايقونات والدة الاله. نهار الجمعة بعد صلوة الغروب يُسحب مفتوحاً من ذاته. ونهار السبت بعد صلوة الغروب يُغلَق امام الايقونة بنوع فائق الطبيعة * وقد حدث نظير هذا الامر مع القديس يوحنا ديديو. اي انهُ اذ دخل يوماً الى احدى الكنائس لزيارة ايقونة والدة الاله هناك. فقد انسحب ستر الايقونة مفتوحاً من ذاته. بنوع ان خادم الكنيسة ظن البار سارقاً. فجاء اليه ورفسهُ برجله. الا ان ذلك الرجل قد يبست حالاً * فعبّاد هذه السيدة قد اعتادوا دائماً ان يكرموها بواسطة زياراتهم ايقوناتها المقدسة. والكنائس المشيدة على اسمها مراتٍ كثيرةً بحسن تدينٍ. فحسب

قول القديس يوحنا الدمشقي ان هذه الايقونات والكنائس المختصة بوالدة الاله هي مدن الملجاء والحماية. التي بهربنا اليها نجد النجاة من وثبات اعدائنا الجهنميين الذين يحاربونا بالتجارب. ثم الخلاص من العقوبات التي استحقيناها بخطايانا المفعولة منا * فالملك القديس انريكوس كان من عادته في حين دخوله الى كلٍ من المدن. ان يزور قبل كل شيء احدى الكنائس الكائنة هناك على اسم العذراء المجيدة * والاب توما سانكس لم يكن اعتيادياً يرجع الى بيته قبل ان يكرم هذه البتول بزيارة بعض كنائسها * فلا ينبغي اذاً ان يصعب علينا ان نزور ملكتنا كل يومٍ في احدى الكنائس ام المعابد المختصة بها. او قلما يكون في بيوتنا ذاتها. حيث انهُ يكون امرًا حسناً اذا تعين في احد امكنتها مخدعٌ خصوصي في محلٍ منفردٍ. وتكون فيه ايقونتها مُكرمةً بزينةٍ ما. وبزهورٍ وشموعٍ. او بقنديلٍ. وامامها تُتلَى الصلوات من اهل البيت. كالطلبة ومسبحة الوردية وامثالها * ففي شان الزيارات التي نحن في صددها قد الّفتُ كُتيبًا قد طُبع لحد الان ثمان مراتٍ مختصًا بزيارة القربان الاقدس وبزيارة العذراء ايضًا مقسوماً على عدد ايام الشهر. ثم انهُ يستطيع بعض المتعبدين لمريم ان يصنع على مصروفه في احدى الكنائس او المعابد. الاحتفال ببعض اعيادها. مع التسعة الايام المتقدمة على العيد. بصمد القربان المقدس. وبعظاتٍ ايضاً. الامر الجزيل القبول والفائدة *

الاّ انهُ يليق هنا ان ننبه بما اخبر بهِ الاب سبينالي في العدد ٧٥ من كتابه على عجائب والدة الاله. عمّا حدث سنة ١٦١١ في المعبد الشهير المختص بهذه السيدة. في المكان الملقب « بجبل العذراء ». وهو انهُ في بارامون عيد العنصرة. حينما كان اجتمع في الامكنة التي حول هذا المعبد جمٌ غفيرٌ من الناس. الذين التمُوا يسكرون ويرقصون ويبدخون. وهكذا دنسوا المعبد الالهي. فبغتةً اضطرمت نيران الحريق في تلك الامكنة الخشبية. حيث كانوا مجتمعين. بنوع انهُ في مدة نصف ساعةٍ فقط قد افنى اللهيب كل تلك الامكنة. واحالها الى رمادٍ مع الف وخمسمائة شخصٍ قد ماتوا محروقين. ما عدا خمسة انفارٍ قد استمروا في الحيوة. وهولاء شهدوا تحت اقسامٍ رهيبةٍ وحلفاناتٍ احتفاليةٍ. بانهم شاهدوا باعينهم والدة الاله نفسها حاملةً بيديها مشهابين متقدين. وجائلةً تلقي بهما اللهيب في كل تلك الامكنة *

فلذلك انا اتضرع الى عبيد مريم بقدر استطاعتي. بانهم يمتنعون عن الذهاب الى الاعياد التي تُصنَع خارج المدن في بعض كنائس. وبان يجتهدوا في ان يصدوا الآخرين من المضي الى اعيادٍ هذه صفتها. لان الجحيم يحصل منها على اثمارٍ اكثر ممَّا تحصل عليه هذه الام الالهية من العبادة والتكريم. ومن ثمَّ ان ذاك الذي يشعر بانعطافٍ الى ان يزور احد المعابد المومى اليها. تكريماً لوالدة الاله. ام لغايةٍ اخرى صالحة. فليذهب. ولكن لا في الايام التي فيها يصير احتفال اعياد هذه المعابد. بل في ايامٍ اخر سابقة او متأخرة عن يوم العيد ✿

الفصل السابع

✿ في العبادة للبتول الكلية القداسة بحمل ثوبها المقدس ✿ ✿ في عنق المتعبد لها ✿

انهُ كما ان الانام الاشراف المتقدمين في الوظائف الدنية يفتخرون في ان خدامهم يتردون بتلك الاثواب الحاوية علامات شرفهم ام وظائفهم. فهكذا والدة الاله تسرّ بان عبيدها وخدامها يحملون معلقةً في اعناقهم اثوابها المكرسة. علامةً لتكريمها وللتعبد لها مشرفين في خدمتها * فالاراطقة المحدثون حسب عادتهم يستهزئون بهذه العبادة. ولكن الكنيسة المقدسة قد اثبتت عبادة ثوب السيدة بمراسيم ومناشير رسولية عديدة ذات انعاماتٍ وغفراناتٍ سخية * فالاب كراسات. ومثلهُ لاتسانا يخبران بتكليمهما عن ثوب سيدة الكرمل. بأنهُ نحو سنة ١٢٥١ قد ظهرت والدة الاله للطوباوي سمعان سطوكيوس. الذي من بلاد انكلترا. واذ اعطتهُ ثوبها بالصورة المصنوع بموجبها ثوب السيدة. قد قالت لهُ ان اولئك الذين يحملون في اعناقهم هذا الثوب سيخلص انفسهم من الهلاك الابدي. وهذه الفاظها عينها وهي „ اقتبل مني يا ابني العزيز هذا الثوب الذي هو الاسكيم. علامةً لاخويتي التي هي رهبنتك. وهو اختصاص لك ولجميع الرهبان الكرمليتانيين. فكل مَن يموت وهو حاملٌ في عنقه

هذا الثوب. لا يحترق في النيران الابدية". ثم ان الاب كراسات عينهٔ يبرهن. بان هذه السيدة المجيدة قد ظهرت مرةً اخرى للحبر الاعظم يوحنا الثاني والعشرين. وامرتهُ بان يعرّف اولئك الذين يحملون ثوبها المذكور. بان انفسهم عتيدةٌ ان تخلص من العذابات المطهرية. في نهار السبت الاول الذي ياتي بعد موتهم. حسبما اوضح ذلك هذا الحبر الروماني نفسهٔ في منشوره الرسولي الذي اشهرهٔ بعد هذه الرؤيا. المثبت فيها بعد من البابارات الكسندروس الخامس واكليمنضوس السابع وغيرهما. ونحن قد اوردنا في الوجه ١٩٢ من القسم الاول من هذا الكتاب كيف ان الحبر الاعظم بولس الخامس يشير الى جميع ما تقدم عنهُ القول. وكانّهُ يفسر مراسيم سلفائه بشرحه الشروط التي بموجبها تُكتَسب الغفرانات الممنوحة لهذه العبادة. وهي حفظ العفة بقدر استطاعة كل انسانٍ في دعوته. وتلاوة الفرض الوجيز المختص بوالدة الاله. وان الذي لا يمكنهُ ان يتلو هذا الفرض. فليحفظ قلما يكون صيامات الكنيسة. ممتنعاً عن اكل اللحم نهار الاربعا * وامّا الغفرانات الممنوحة لاولئك الذين يحملون ثوب سيدة الكرمل. ومثلهُ ثوب احزان العذراء. وثوب سيدة النجاة. وخاصةً ثوب الحبل بها بلا دنسٍ. فهي غفرانات لا تحصى عدداً. كاملةً وغير كاملةٍ. يومية وشهريةً وسنويةً. في مدة الحيوة وساعة الموت. وانا اتعزى باني مشتركٌ في هذه الاثواب كلها * ويلزم ان انبّه هنا. بان الثوب المختص بالحبل بهذه السيدة البري من الدنس. الذي يُبارَك من كهنة جمعية التياتيين. فما عدا الغفرانات الخصوصية الممنوحة لهُ. توجد ايضاً معطاةً للذين يحملون هذا الثوب المبارك منهم الغفرانات الاخر كلها. الموهوبة لجميع الرهبنات. ولسائر امكنة التقوى. ولكل الاشخاص مجملاً ومفرداً. لا سيما اذا تلى حاملو هذه الاثواب ست مرات „ ابانا الذي. والسلام لكِ. والمجد للاب". تكريماً للثالوث الاقدس. وللحبل بالعذراء البري من الدنس. فيكتسبون كل الغفرانات المعطاة في مدن روميه. واسّيزي. واورشليم. وغاليتسيا. وهذه. تبلغ الى اربعمائة وثلث وثلثين غفراناً كاملاً. ما عدا الغفرانات الغير الكاملة الفائقة الاحصاء. فهذا كلهُ أخذناه عن صكٍ مطبوع من هولاء الاباء التياتيين. حيث تورَد فيه هذه الغفرانات بالتفصيل *

الفصل الثامن

☆ في الاشتراك بالاخويات المختصة بعبادة والدة الاله ☆

انهُ يوجد البعض الذين يذمون الاخويات. او قلما يكون لا يمدحونها. قائلين انهُ مراتٍ كثيرةً توجد هي علةً للخصومات والدعاوي. وان كثيرين يشتركون بها لغاياتٍ بشريةٍ. ولكن كما انهُ لا يمكن ان تُذمَّ الكنائس والاسرار المقدسة. لاجل ان كثيرين ينافقون بها. فهكذا لا يلزم ان تُذمَّ الاخويات لاجل هذه العلة * فالاحبار الرومانيون ليس فقط لم يرذلوا هذه الاخويات بل ايضاً قد اثبتوها ومدحوها واغنوها بالانعامات والغفرانات والاختصاصات * والقديس فرنسيس سالس يحرِّض كثيرًا العلمانيين على الدخول في الاخويات المثبتة * والقديس كارلوس بوروماوس قد ابذل كل عنايته الرعائية في نمو اخوياتٍ هذه صفتها. واهتم في تأييدها. وكان بنوعٍ خاص يحتم في مجامعهِ الاقليمية على خوارنة الرعيه بان يجتهدوا في اقناع تلاميذهم بالاشتراك في الاخويات. وهذا بكل صوابٍ. لان الاخويات. لا سيما المختصة بعبادة والدة الاله. هي نظير سفنٍ نوحية يجد فيها العلمانيون المساكين ملجاً ومهرباً من الغرق العرمرمي. اي من التجارب الشيطانية. ومن الخطايا التي تغرق العالم * فنحن وجمعيتنا قد عرفنا بالعملية. واختبرنا بالتجربة بواسطة الرسالات التي باشرناها في امكنةٍ مختلفةٍ. كم هو عظم الافادة الناتجة للعلمانيين من الاشتراك في الاخويات. لاننا اذا تكلمنا بوجه العموم واعتياديًّا. فنقول انهُ توجد مآثم في رجلٍ علماني غير مشترك بهذه الاخويات. اكثر من خطايا عشرين رجلاً علمانيين مشتركين بها. ومن ثَمَّ يمكن ان يقال عن اخويةٍ مثبتةٍ. ما قيل عن عروسة النشيد „ان عنقكِ كبرج داؤد المبني بالمحاصن المعلق عليه الف ترسٍ. وكلها اسلحة الابطال" (نشيد ص ٤ ع ٤) وهذا هو النجاح الروحي العظيم الناتج من الاخويات. لان المشتركين بها يكتسبون لذواتهم اسلحةً قويةً جداً ضد قوات الجحيم. وفي

هذي الاجتماعات المقدسة يتروضون بممارسة الوسائط التي بها يحفظون انفسهم في حال النعمة الالهية. الوسائط التي خارجًا عن هذه الاخويات تُمارَس نادرًا وبصعوبات وافرة ✿

فاولاً ان احدى هذه الوسائط هو التفكر في الموت. كقول الروح القدس „ اذكر عواقبك فلن تخطيء ابدًا" (ابن سيراخ ص ٧ ع ٤٠) ولذلك كثيرون يهلكون لعدم تفكرهم بالموت. كقول ارميا النبي „ خرابًا خربت الارض لان ليس مَن يفتكر في القلب" (ص ١٢ ع ١١) فالذين يترددون الى الاخويات يتذكرون جيدًا هذه الاشياء مرات عديدةً. من قِبل الصلوات العقلية التي تُمارَس منهم هناك. ومن قِبل القرآت الروحية والمواعظ. كقوله تعالى „ ان خرافي تسمع صوتي وانا اعرفها وهي تتبعني . وانا اعطيها حيوة الابد" (يوحنا ص ١٠ ع ٢٧) ✿

ثانيًا انهُ لنوال الخلاص يلزم التوسل لله والطلب المتصل. كقول مخلصنا „ اسالوا فتعطون ليكون فرحكم كاملاً" (يوحنا ص ١٦ ع ٢٤) والحال ان المشتركين في الاخويات يمارسون في اجتماعاتهم هذه الطلبات بتكاثر. بل باتصال. والباري تعالى يستجيب لهم كوعده الصادق بقوله „ لانهُ ايما اتفق اثنان منكم على الارض في كل شيء يطلبانه . فيكون لهما من قِبل ابي الذي في السموات. لان حيثما اجتمع اثنان او ثلثة باسمي فانا اكون هناك في وسطهم" (متى ص ١٨ ع ١٩ و٢٠) وفي هذا الشان قال القديس امبروسيوس „ ان كثيرين من الصغار الضعفاء اذ يجتمعون بروحٍ واحدٍ فيصيرون اقوياء جدًا. وكذلك صلوات كثيرين بتضرعات متواترة لمن المستحيل الاَّ تُقبَل" ✿

ثالثًا انهُ في الاخويات تُقتبَل الاسرار باكثر سهولةٍ. وباوفر مثابرةٍ. نظرًا الى فرائض هذه الجمعيات. ونظرًا الى النموذجات التي تُعطَى من الواحد للآخر. وبهذه الطريقة تُحفَظ الانفس باكثر سهولةٍ في حال نعمة الله. اذ ان المجمع التريدنتيني المقدس قد اوضح (في القانون ٢ من الجلسة ١٣) ان التناول هو دواءٌ بهِ نُشفَى من زلاتنا اليومية. ونُحفَظ من الخطايا المميتة ✿

رابعًا انهُ ما عدا المواظبة على تناول الاسرار. تُمارَس من ذوي الاخويات اماتاتٌ مختلفةٌ مفيدةٌ للتواضع. وللمحبة نحو الاخوة المرضى. ونحو الفقراء. ولقد يكون امرًا جيدًا ان تدرج في كلٍ من الاخويات هذه العادة المقدسة.

وهي الاعتناء في مساعدة مرضى البلد الفقراء . وتكون الاثمار الروحية عظيمةً جداً اذا جرت العادة في هذي الاخويات بان تصير تكريماً للبتول والدة الاله الجمعيات السرية . المؤلفة من الاخوة الاشد حرارةً في العبادة . والاكثر نشاطاً في الاعمال الروحية . وهوذا انا بكل اختصار اورد ما هي الرياضات التي تُمارَس في هذه الجمعيات السرية . وهي «اولاً قراءةٌ روحية مقدار نصف ساعة . ثانياً ان تُتلَى صلوة الغروب وصلوة النوم المختصتين بالروح القدس . ثالثاً ان تُقال الطلبة . وحينئذٍ الاخوة المعينون لعمل بعض اماتاتٍ . كحمل الصليب على عاتقهم وما اشبه ذلك فيمارسونها . رابعاً تصير صلوة عقلية بالتامل مدة ربع ساعةٍ في آلام مخلصنا المقدسة . خامساً كل واحدٍ من الاخوة يعترف حينئذٍ بالنقائص التي صنعها ضد فرائض الاخوية . ويقبل عنها القانون من الاب المرشد . سادساً تُقرَاء علانيةً من الاخ المعين لذلك اعمال الاماتات التي تكون تمارست مشتهراً من الاخوة في السبّة الماضية . وتُعلَن الايام التسعاوية التي تبتدي في السبّة المقبلة . سابعاً واخيراً تصير رياضة الجلد على تلاوة المزمور الخمسين «والسلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة» . وهكذا كلٌّ من الاخوة يمضي فيقبّل قدمي الصلبوت المقدس الموضوع على درجة الهيكل *

واما فرائض هذه الجمعيات السرّية . فهي اولاً ان كلاً من الاخوة يمارس يومياً الصلوة العقلية . ثانياً ان يزور كل يومٍ القربان الاقدس . واحدى ايقونات والدة الاله . ثالثاً ان يفحص ضميرهُ كل ليلةٍ قبل الرقاد . رابعاً الّا يهمل يومياً القراءة الروحية . خامساً ان يمتنع عن اللعب بالورق وغيرهِ . ويهرب من الاجتماعات العالمية . سادساً ان يواظب على اقتبال الاسرار المقدسة . وعلى بعض اماتاتٍ ممكنةٍ لديه . كحمل زنار الحديد . او عمل الجلد وامثالهما . سابعاً ان يتوسل لله كل يوم من اجل الانفس التي في المطهر . ومن اجل ارتداد الخطاة الى التوبة . ثامناً اذا كان احد الاخوة مريضاً فتلتزم الاخوة كلهم بزيارته . وبهذا كفاية . فلنرجع الى موضوعنا الاول ✿

خامساً قد قلنا فيما سلف كم هو امرٌ مفيدٌ للخلاص الابدي التعبد لمريم العذراء وخدمتها كالواجب . فالاخوة في جمعياتهم ماذا يصنعون الّا واجبات عبادتها وخدمتها . فكم يمدحونها هناك . وكم يتضرعون اليها . اذ انهم منذ اشتراكهم بهذي الاخويات يكرسون ذواتهم لخدمتها وعبادتها . مختارينها بنوعٍ

خاص سيدةٌ واماً لهم. وبالتالي كما انهم عبيدٌ لها وابناؤ اخصاء. فهكذا هي بنوع متميز تعضدهم وتحامي عنهم في مدة حياتهم وفي ساعة موتهم. فاذاً يمكن القول عن كل احدٍ من المشتركين باخويات هذه الام الالهية انهُ مع الاخوية قد اقتبل كل خيرٍ. كقول الحكيم „جآتني والخيرات كلها معها. والثروة التي لا تحصَى في يديها" (سفر الحكمة ص ٧ ع ١١) ✿

الّا ان كل واحدٍ من المشتركين بهذه الاخويات يلزمهُ ان يجتهد في امرين: احدهما هو الغاية. اي في ان يكون تردده الى الاخوية لا لغايةٍ اخرى الّا لعبادة الله وخدمته. وللتعبد لوالدته المجيدة. ولكي يهتم في خلاص نفسهِ. ثانيها ان لا يهمل لاجل اعمالٍ عالميةٍ الذهاب الى الاخوية في الايام المعينة للاجتماع. لان تردده الى الاخوية انما هو لممارسة العمل الاهم والاخص من جميع اعمال العالم. وهو عمل خلاصه الابدي. ثم ان يجتهد بقدر مكنته في ان يجتذب الاخرين ايضاً الى هذا الاجتماع. لا سيما في ان يصيّر اولئك الاخوة الذين تركوا التردد الى الاخوية ان يرجعوا الى حالهم الاولى. لانهُ كم وكم عاقب الله بقصاصاتٍ ظاهرةٍ مهيلةٍ اولئك الذين اذ كانوا مرةً ما مشتركين في احدى الاخويات المختصة بعبادة مريم العذراء. قد اهملوها بعد ذلك بالكلية * ففي مدينة نابولي قد كان احد الاخوة ترك الاخوية مطلقاً. واذ حرّضهُ البعض على الرجوع اليها. اجابهم التعيس قائلاً „اني سارجع اليها حينما تُكسر قصبتا رجلي وتُقطَع هامتي". فقد صار هو نبيًّا على ذاتهِ بهذا القول. لانهُ لم يمضِ على ذلك الّا زمنٌ وجيزٌ. واذا باعداء كانوا لهذا الانسان قد وثبوا عليهِ بغتةً. فكسروا ساقيه. وقطعوا راسهُ * وبالعكس ان عبيد مريم البتول المثابرين على الاجتماعات بهذه الاخويات فهم مسعَفون منها ومنعَم عليهم من قبلها بخيراتٍ روحيةٍ وزمنيةٍ ايضاً. وعنهم قيل „ان اهل بيتها جميعهم لابسون ثياباً مضاعفةً" (امثال ص ٣١ ع ٢١) ✿

ففي الراس ٤ من المجلد ٢ من تاليف الاب اوريايا توجد مدونةً حوادثُ كثيرةٌ في اثبات النعم العظيمة الممنوحة من والدة الاله للمشتركين في اخوياتها. ليس في مدة حياتهم فقط. بل في حين موتهم ايضاً * فيخبر الاب كراسات (في القسم ٥ من المجلد ٢) بانهُ في سنة ١٥٨٦ اذ كان

احد الشبان مناهزًا الموت قد نام ثم استيقظ واعلم معلم اعترافهُ قائلاً „ اواه يا ابتي انني قد حصلت في خطرٍ عظيمٍ للهلاك. ولكن امي الالهية قد خلصتني. لان الشياطين قدموا ضدي في ديوان الله جميع خطاياي. وكانوا مستعدين لان يأخذوني متكردسًا الى جهنم. ولكن قد جاءَت حينئذٍ السيدة والدة الاله. وقالت لهولاء الابالسة „ الى اين اخذين معكم هذا الشاب. واي حقٍ يوجد لكم على احد عبيدي. الذي خدمني زمنًا مديدًا في الاخوية المختصة بالعبادة لي ". فهكذا هربت الشياطين وانا خلصت من ايديهم ✿

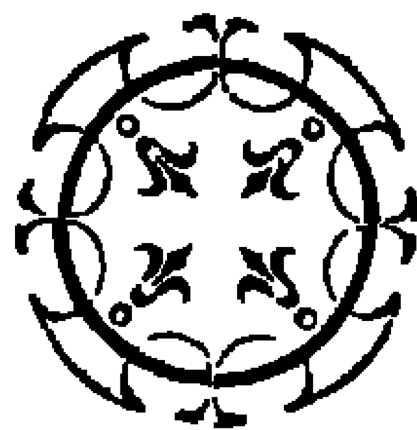
ثم ان الاب المذكور عينهُ يخبر هناك عن حادثٍ اخر. وهو ان رجلاً من المشتركين باخوية العذراء. قد حصل في ساعة موته على معركةٍ قويةٍ جدًا من قوات الجحيم. ولكن اذ انتصر عليهم اخيرًا. قد هتف صارخًا „ يا لهُ من خيرٍ عظيمٍ هو خدمة مريم البتول في اخويةٍ مختصةٍ بعبادتها ". وهكذا مات ممتلئًا من التعزية السماوية ✶ ويضيف الى ذلك. انهُ في مدينة نابولي اذ كان الرجل الشريف دوكا بوبولي مدنفًا على الموت قال لابنه هكذا „ اعلم يا ولدي ان الخير الوجيز الذي انا عملتهُ في حياتي. فانا اعترف انهُ ناتجٌ عن اشتراكي باخوية العذراء. فاذًا لا يوجد عندي خيرٌ اعظم اتركه لك بعد موتي من هذي الاخوية التي اعتبر ذاتي شريفًا بالاشتراك فيها اكثر من شرفي باني دوكا بوبولي " ✿

الفصل التاسع

✿ في اعطاء الصدقة عبادةً لوالدة الاله وتكريمًا لها ✿

ان المتعبدين لمريم البتول الكلية القداسة من عادتهم ان يوزعوا بعض صدقاتٍ. لا سيما في يوم السبت اكرامًا لهذه السيدة ✶ فالقديس غريغوريوس الكبير يخبر في ادابياته عن ذاك الرجل البار القديس عطا الله. الذي كانت صنعتهُ عمل الاحذية. فهذا كان يوزع على الفقراء والمساكين تكريمًا

لهذه الام الالهية في نهار السبت جميع ما كان يربحهُ في ايام السبّة من تعب يديه. فالباري تعالى اظهر في الرؤيا لاحد ابراره داراً عظيمةً ذات قصورٍ ملوكيةٍ في السماء. كانت مهيأةً لهذا الرجل عبد مريم البتول عطا الله. وانها لم تكن تتشيد وتتزين الاَّ في ايام السبوت * والقديس جاراردوس في مدة حياته كلها لم يكن ينكر قط على احدٍ تتميم ما كان يسألهُ اياه اكراماً للعذراء المجيدة. متى كان يُطلَب منهُ باسمها * ومثل ذلك كان يصنع الاب مرتينوس غوتيازاز اليسوعي. الذي اعترف فيها بعد بانهُ قط لم يكن التمس من هذه السيدة نعمةً الاَّ ونالها منها. ومن حيث ان الاوغونوتيين وثبوا يوماً على عبد مريم هذا البار فقتلوهُ وتركوا جثتهُ في الارض. فحينئذٍ ظهرت ملكة السماء وبرفقتها عددٌ من العذارى اللواتي بامرها قد لففن جسدهُ بسباني نقيةٍ واخذنهُ * وكذلك القديس اباراردوس اسقف ساليسبورك كان يتصرف على هذه الصورة. ولذلك قد شاهدهُ في الرؤيا احد الرهبان الابرار. محمولاً من والدة الاله على ذراعيها نظير طفلٍ. وقالت هي عنهُ هكذا „هذا هو ابني اباراردوس الذي قط ما نكر عليَّ شيئًا ممَّا طلبتهُ منهُ". وبمثله كان يسلك الكسندروس ده الاس الذي اذ طلب منهُ يوماً باسم مريم العذراء احد الرهبان الفرنسيسكانيين ان يترهب في قانونهم. فحالاً هو ترك العالم ودخل في الرهبانية المذكورة * فلا يصعب اذاً على عبيد مريم ان يعطوا كل يومٍ صدقةً ما تكريماً لها. وان يصنعوا ذلك باوفر سخاءٍ في يوم السبت. واذا لم يمكن للبعض منهم اعطاء الصدقة. فقلما يكون يمارس تكريماً لهذه السيدة المجيدة بعض اعمالٍ تلائم محبة القريب. مثلاً خدمة المرضى. او التوسل لله من اجل ارتداد الخطاة الى التوبة. والتضرع من اجل الانفس التي في المطهر وما يضاهي ذلك. لان اعمال الرحمة هي كلية القبول لدى ملكة الرحمة هذه ☆



الفصل العاشر

* في الالتجاء المتواتر الى والدة الاله بطلب معونتها واسعافها *
* وفي بعض عبادات اخر *

فانا اقول انهُ فيما بين جميع العبادات والتكريمات التي خدام هذه الام الالهية وعبيدها يكرمونها بها . لا توجد لديها عبادةٌ اكثر قبولاً من التجائهم اليها . واستمدادهم منها النعم والمعونات في جميع احتياجاتهم الخصوصية . نظير طلب المشورة في اعمالهم . او حينما يلتزمون باعطاء المشورة لقريبهم . ام في حين احزانهم وضيقاتهم . او في وقت توارد التجارب الشيطانية عليهم . لا سيما المضادة الطهارة . فمن دون ريبٍ . بل بكل تاكيدٍ هي حينئذٍ تسعفنا وتنقذنا متى بادرنا الى حمايتها والتجأنا الى شفاعتها . وطلبنا معونتها قائلين نحوها „تحت ذيل حمايتك نلتجي يا والدة الاله القديسة" . او „السلام لك يا مريم" . ام اننا نستغيث بمجرد اسمها الكلي القداسة „مريم" . الذي فيه قوةٌ عظيمةٌ خصوصيةٌ ضد الشياطين * فالطوباوي سانتي الراهب الفرنسيسكاني . انهُ جُرب يوماً بتجربةٍ قويةٍ ضد العفة . واستغاث باسم هذه الام الالهية . فحالاً ظهرت هي لهُ . ووضعت يدها على صدرهِ فانقذتهُ من التجربة . ولهذا يفيد كثيراً في وقت التجارب . ان المجرَّب ضد العفة او غيرها من الفضائل . ينظر الى احدى ايقونات والدة الاله . ام يقبّل المسبحة الوردية . او يضمها الى صدره . ام يقبّل ثوب السيدة . وليُعلَم ان مَن يذكر اسم يسوع ومريم فيربح غفران خمسين يوماً ممنوحاً من الحبر الاعظم بناديكتوس الثالث عشر *

ثم انني اضيف الان بعض عباداتٍ اخر تمكن ممارستها تكريماً لوالدة الاله . وهي اولاً تقدمة الذبيحة الالهية . او طلب تقدمتها من الغير . ام قلما يكون حضورها اكراماً لهذه السيدة . فلا يُنكَر ان الذبيحة الكلية القداسة لا تتقدم سوى للهِ الذي تُقرَّب لهُ اولياً وبداءً . اعترافاً بسلطانه المطلق .

ولكن يقول المجمع التريدنتيني المقدس (في القانون ٣ من الجلسة ٢٢) ان هذا لا يمنع ان تتقدم الذبيحة الغير الدموية لله شكراً لهُ على النعم التي وهبها لقديسيه. وللكلية الطوبى والدته. واننا اذ نذكرهم على هذي الصورة فهم يتضرعون لله من اجلنا. ولهذا يقال في القداس „ ان تقدمتنا. كما هي لتكريمهم. فكذلك تفيدنا خلاصًا ". فالعذراء المجيدة نفسها قد اوحت لاحد عبيدها. بان تقدمة القداس على النوع السابق ذكرهُ. وهكذا تلاوة ثلث مراتٍ „ ابانا الذي والسلام لكِ. والمجد للاب ". للثالوث الاقدس شكراً لهُ على النعم العظيمة التي وهبها اياها. فهو شيء كلي القبول لديها. لانهُ اذ لم تستطع هذه السيدة ان تشكرهُ عزّ وجلّ بكفايةٍ عن جميع النعم والاختصاصات والمواهب التي شرّفها هو بها. فتسرّ هي جدًا بان عبيدها واولادها يساعدونها في تقدمة الشكر عن ذلك لديه تعالى. ثانياً تكريم اولئك القديسين اقرباء هذه الملكة الجليلة الاكثر نسبةً لها. نظير القديس يوسف خطيبها. والقديس يواكيم والدها. والقديسة حنه امها. بل ان هذه العذراء المجيدة نفسها يومًا ما قد اوصت احد الانام الشرفاء. بان يكون متعبدًا لوالدتها القديسة حنه * وكذلك تكرمة القديسين الذين في حياتهم كانوا بنوع متميز عن الاخرين مستحرّين في عبادتهم لها. نظير القديس يوحنا الانجيلي. والطوباوي يوحنا المعمدان. والقديس يوحنا الدمشقي المحامي عن ايقوناتها المقدسة. والطوباوي برنردوس. والقديس ايدالفونسوس المناضل عن دوام بتوليتها. وما يضاهي هولاء. ثالثًا قراءة بعض اوراقٍ يوميًا في احدى الكتب المتكلمة عن امجادها وعظائمها. والوعظ والانذار. او قلما يكون التعليم بقدر الامكان. خاصةً للاقرباء والخواصّ بالعبادة لها. كما قالت يومًا هذه السيدة للقديسة بريجيتا „ اجتهدي في ان تصيّري اولادكِ بنينًا لي ". ثم التضرع كل يومٍ من اجل اولئك المستحرين في عبادتها. احياءً وامواتًا *

وهنا نورد بعض العبادات التي تمنح لاجلها من الاحبار الرومانيين غفرانات* خصوصية لتكريم البتول الكلية القداسة * فاولاً يكتسب غفران مئة سنةٍ كل مرةٍ يتلو احد* هذه الكلمات وهي „ فليكن مسبحًا على الدوام من كل البرية. الحبل بمريم البري من دنس الخطية الاصلية ". ويقول الاب كراسات ان مَن يضيف الى لفظة „ البري من الدنس كلمة الكلي الطهر ".

فيربح غفرانًا اخر اسعافًا للانفس المطهرية. ثانياً ممنوحٌ على تلاوة « السلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة ». غفران اربعين يوماً. ثالثاً على تلاوة الطلبة مُعطَى غفران مايتين يوماً. رابعاً كل مَن يحني راسهُ عند ذكر اسم يسوع واسم مريم يربح غفران عشرين يوماً. خامساً كل مَن يصلي خمس مراتٍ « ابانا الذي. والسلام لكِ ». اكراماً لالام المسيح ولاحزان والدته. فيكتسب غفران عشرة الاف سنة ❊

ثم اني افادةً للانفس اريد ان انبه هنا عن غفراناتٍ اخر معطاة من الاحبار الرومانيين وهي اولاً غفران ٣٨٠٠ سنةً لكل من يستمع القداس في اي يومٍ كان. ثانياً ان البابا بناديكتوس الرابع عشر قد منح غفران سبع سنواتٍ لكل مَن يتلو افعال الديانة بنية ان يتناول الاسرار المقدسة في حياته وحين موته. وان من يداوم تلاوتها مدة شهرٍ يومياً فيربح غفرانًا كاملاً اسعافًا لانفس الموتى. وايضًا لذاته في ساعة موته. ثالثاً كل مَن يصلي خمس عشرة مرةً « ابانا الذي. والسلام لكِ ». من اجل ارتداد الخطاة الى التوبة فيربح غفران ثلث القصاصات المستحقتها خطاياه. رابعاً ان البابا بناديكتوس ١٤ عينهُ قد منح غفراناتٍ مختلفةً مع غفرانٍ كاملٍ مرةً في الشهر. بشرط الاعتراف والتناول لكل من يمارس الصلوة العقلية يومياً مقدار نصف او ربع ساعة. خامساً لكل مَن يتلو الصلوة المبدوة « نفس المسيح ». قد منح غفران ثلثماية يوماً. سادساً مَن يرافق القربان الاقدس لمناولة المرضى يكتسب غفران خمس سنواتٍ. وان رافقهُ بمصباحٍ فيربح غفران سبع سنين. ومَن لا يقدر ان يرافقهُ بل يصلي مرةً « ابانا الذي. والسلام لكِ ». فيربح غفران مائة يومٍ. سابعاً كل مَن يجثو امام القربان الاقدس يكتسب غفران مايتي يومٍ. ثامناً لكل من يقبّل الصليب منح غفران سنة واربعين يوماً. تاسعاً كل من يحني راسهُ عند تلاوة « المجد للاب ». يربح غفران ثلثين يوماً. عاشراً قد منح للكهنة الذين قبل القداس يتلون الصلوة المبدوة « انا اريد ان اقدم الذبيحة ». غفران خمسين يوماً. حادي عشر كل من يقبل الثوب الرهباني يكتسب غفران خمس سنوات ❊ ثم مَن يريد الاطلاع على غفراناتٍ اخر كثيرةٍ ممنوحةٍ على عباداتٍ مختلفةٍ. فيمكنهُ ان يراها في تاليف الاب فيفا ❊ وامرٌ معلومٌ هو انهُ ينبغي ان المسيحي يجتهد في ان يبرز فعل الانسحاق

عند اكتسابه الغفرانات المقدم ايرادها. ليكون بذلك متاهباً لربحها ✿
هذا واترك التكلم عن عبادات ٍ اخر مختصةٍ بتكريم والدة الاله موجودة في كتبٍ مختلفةٍ. نظير العبادات التي لافراحها السبعة. والتي لاختصاصاتها الاثني عشر وامثال ذلك * فانا انهي التاليف الحاضر بكلمات القديس برنردينوس الجليلة. الموردة منهُ في العظة الحادية والستين وهي قولهُ نحو والدة الاله هكذا "ايتها الامراة المباركة في النسا كلهن. انتِ هي شرف الجنس البشري. وانتِ هي خلاص شعبنا. يا مَن انتِ حاصلةٌ على استحقاقٍ لا حدود لهُ. وعلى سلطانٍ كاملٍ فوق الخلايق باسرها. فانتِ هي والدة اللّه. وسيدة العالم. وملكة السما. وانتِ هي موزعة النعم كلها. وزينة كنيسة المسيح المقدسة. وانتِ هي النموذج الحي للابرار. وتعزية القديسين وبهجتهم. واصل تخليصنا وافتدائنا. بل انتِ هي فرح سكان الملكوت وسرورهم. وباب السما ومجد الله. فهوذا اننا قد اذعنا مدايحكِ. ومن ثمَّ نتوسل اليكِ يا ام الصلاح بان تتممي نقصنا وضعفنا. وتعذري جرأتنا وتجاسرنا. وبان تقبلي عبوديتنا وخدمتنا. وبان تباركي على اتعابنا بواسطة رسمكِ في قلوب الجميع حبكِ مطبوعاً. حتى بعد ان نكون كافةً احببنا على الارض في مدة حياتنا ابنكِ الالهي. وخدمناهُ وكرمناهُ. فنستطيع ان نسبحهُ ونباركهُ في السموات الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين" ✿
فها انني اودعك. ثم استودعك ايها الاخ القاري العزيز والمحب الصادق لامنا الالهية مريم البتول. وهكذا افارقك قايلاً لك. واظب سالكاً في ان تحب هذه السيدة الشريفة وتكرمها. واجتهد في ان تصيرها محبوبةً من جميع الذين بكل استطاعتك تحثهم وتحرضهم على حبها. ولا يكن عندك ارتيابٌ اصلاً. بل احسن رجاك بطمانينةٍ في انك اذا ثبتَّ مواظباً على عبادتك للبتول والدة الاله الى حين موتك. فخلاصك يكون اكيداً خالياً من الارتياب * فانا انهي خطابي ليس كانهُ لم يعد لي شيٌ آخر اقولهُ فيما يخص تماجيد هذه الملكة العظيمة. بل لكيلا اسبب لك الملل من الاطالة. لان الشيء الوجيز الذي كتبتهُ لحد ههنا يكفي لان يجعلك مغرماً في محبة هذا الكنز الفايق الاثمان. وهو العبادة لهذه الام الالهية التي هي تهتم بنموها بواسطة حمايتها المقتدرة. فاقتبل مني ايها الاخ الحبيب عواطف اشواقي

المتقدة. التي قصدتُ بها بواسطة تاليفي هذا ان اراك مستفيدًا منهُ لذاتك خلاصًا. وان تصير قديسًا. بمشاهدتي اياك قد حصلتَ ابدًا محبًا بل مغرمًا بعشق هذي السلطانة التي هي موضوعٌ كلي للمحبة. واذا كنتَ تعلم انني بكتابي هذا قد افدتك افادة ما ولو قليلةً للغاية المذكورة. فاتوسل اليك بحق المحبة بان تصلي من اجلي لدى مريم البتول طالبًا لي منها هذه النعمة. كما انني انا ايضًا اطلبها لك من مراحمها. وهي ان يشاهد احدنا الاخر معًا يومًا ما في الفردوس السماوي عند قدمَيّ هذه السيدة. ملتمِين جملةً مع ساير اولادها الاخرين الاعزا ✿

ثم اني اخيرًا اتجه نحوكِ يا ام الهي وامي مريم الكلية القداسة. متضرعًا اليكِ بان تقبلي مني هذه الاتعاب القليلة. مع اشواقي الى ان اراكِ محبوبةً ومكرمةً وممدوحةً من الجميع. فانتِ تعلمين جيدًا كم انني رغبت بحرارةٍ في ان اتمم تاليفي هذا المختص بامجادكِ. قبل ان تنتهي ايام حياتي التي ناهزت الاضمحلال ودنت من النهاية. فالان يمكنني القول انني اموت راضيًا مسرورًا تاركًا في الارض كتابي هذا. الذي يستمر حاويًا على الدوام مدايحكِ واذاعة مجدكِ. نظيرما اجتهدتُ باتصالٍ في ان اصنع ذلك في جميع سني توبتي التي نلتها من الله بواسطتكِ. فانا اتوسل اليكِ يا مريم البرية من العيب والدنس من اجل كل الذين يحبونكِ. خاصةً من اجل اولئك الذين يقراؤن كتابي هذا. وبابلغ نوعٍ من اجل اولئك الذين يصنعون معي رحمةً في ان يصلوا لديكِ من اجلي. فامنحيهم كافةً ايتها السيدة نعمة الثبات وقدسيهم جميعًا. لكي تقودينا هكذا كلنا الى ان نمجدكِ ونمدحكِ في السما * فاي نعم ايتها الكلية الحلاوة امي اني انما انا خاطٍ شقي. ولكنني افتخر في اني احبكِ. وانا ارجو منكِ اشيا عظيمةً. وفيما بينها هو ان اموت في محبتكِ. وارجو انّ في حال نزاعي عند موتي. حينما يضع الشيطان امام عينَيّ جميع خطاياي. فالآم مخلصي يسوع المسيح اولًا. ثم شفاعاتكِ عتيدةٌ ان تشجعني وتقويني لان اخرج من هذه الحيوة في حال نعمة الله. لكي اتي الى السما حيث احبهُ تعالى. واشكركِ انتِ يا امي الى جيل الاجيال امين. هكذا اومل وكذلك فليكن لي ✿

(يقول القديس برنردوس او مَن تنسب لهُ العظة ٤ على تفسير „ السلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة ") ✿

ايتها السيدة قولي من اجلنا لدى ابنكِ . ان ليس عندهم خمرٌ . فيا لكاس خمر الحب الالهي الصرفة كم هي رايقةٌ طافحةٌ . لان خمرة حب الله تسكر شاربيها . وتجعلهم محتقرين العالم . ومستحرين واقويا . وتصيرهم في الامور الزمنية متهاونين متناعسين . وفي الامور الروحية نشيطين مستيقظين . فانتِ هي الارض الصالحة المخصبة المتلية نعمةً . والموعبة فضائل . وانتِ هي نجمة الصبح المشرقة متلالية بالضيا ومزينةً بالجمال . فانتِ قد سموتِ متعاليةً نظير مطلع الصبح مشرقةً ومخضّبةً بالاحمرار . لانكِ بعد ان انتصرتِ على الخطية الاصلية بحلولكِ في مستودع امكِ . قد ولدتِ مستنيرةً بنور معرفة الحقائق الازلية . مخضّبةً باحمرار حب الفضيلة . ولم يمكن للعدو ان يغتنم منكِ افادةً لذاته . لانكِ برجٌ مبني بالحصون ومعلقٌ عليهِ الف ترسٍ وكلها اسلحة الابطال . وليس في الوجود فضيلةٌ ما الا وتلالات مشرقةً فيكِ بنوعٍ كاملٍ سامٍ . وكل ما حصل عليهِ القديسون اجمعون من الفضائل والاختصاصات الفريدة . التي كلٌ منهم تلالا بواحدةٍ منها فانتِ وحدكِ جمعتيها كلها فيكِ . فيا سيدتنا ووسيطتنا وشفيعتنا تضرعي من اجلنا لدى ابنكِ . وباستحقاق تلك النعمة التي انتِ ايتها المباركة نلتيها منهُ تعالى صيّري هذا الاله الذي بواسطتكِ تنازل الى ان يشترك بضعفنا وشقاينا . ان يجعلنا بشفاعاتكِ مشتركين في غبطتهِ ومجدهِ امين ✿





* وهي نبذةٌ مضافةٌ منا الى تأليفنا هذا حاويةٌ تسعون خبرًا * ذات جرايح مصنوعة بشفاعات والدة الاله الكلية * القداسة . ماخوذة من كتب علماء * مدققين معتبرين جدًا *

انهُ يوجد البعض الذين اذ يفتخرون باعتدادهم بذواتهم. وبحكومة عقولهم المخدوعة. فيعتبرون كرامةً لهم ان لا يصدقوا شيئًا من العجائب كلها. سوى تلك المدونة اخبارها في الكتاب المقدس العتيق والجديد. وهكذا يحتسبون باقي العجائب الاخر كانها خرافاتٌ نسائية عجائزية. ولكن يفيد ضد هولاء ان نورد ما يقولهُ عدلاً وصوابًا الاب العلّامة الحسن الديانة يوحنا كراسات وهو „ انهُ بمقدار ما ان الانام الصلحا هم متاهبون لان يصدقوا العجائب بسهولةٍ. فبمقدار ذلك الاشخاص الاشرار هم سريعون في ان ينكروها باستهوانٍ. ويستهزئوا بها. ثم كما انهُ لضعفٌ مذمومٌ هو ان الانسان يصدق كل شيء من دون استثناء. فهكذا بالعكس هو اممّا نوعٌ من عدم الايمان رذل العجائب المشهود بحدوثها وبحقائقها من اناس رصينين ثقاة. كانهُ امرٌ غير مستطاع عند الله فعل المعجزات. واممّا هو نوعٌ من الجسارة انكار صدق تخبير انامٍ علما مسيحيين ثقاة خبيرين ". ثم ان الاب كانيسيوس يقول „ انهُ يوجد خطرٌ اقل وادنى في الاعتماد والاعتقاد على ما يكون قيل من اناسٍ صلحا بظروفٍ ممكنة. ولا يكون ذلك رذل من الانام العلما. ويكون راجعًا لصلاح السيرة ولافادة القريب الروحية. من ان يُرفَض ذلك مطلقًا باحتقارٍ وبروح الجسارة ". فلنات اذًا الى ايراد التسعين خبرًا *

☆ الخبر الاول ☆

ان الاب اورياما قد اخبر بانهُ في بلاد جرمانيا قد كان سقط احد الرجال في خطيةٍ ثقيلةٍ. واذ لم يشا من جهةٍ اولى ان يعترف بها لشدة خجلهِ منها. ومن جهةٍ اخرى لانهُ لم يقدر ان يحتمل توبيخ ضميرهِ من قبلها. فلييئسهِ مضى ليطرح ذاتهُ في النهر ليموت. غير انهُ بعد ذلك توقف عن هذا الفعل. وشرع يبكي طالبًا من اللّه بدموعٍ انْ يغفرها لهُ من دون اعتراف بها لاحد الكهنة * فليلةً ما وهو نايم شعر بلامسٍ يهز احد كتفيه مع صوتٍ يقول لهُ „اذهب فاعترف بخطيتك". فقام ومضى الى الكنيسة. ولكنهُ ما اعترف بذنبهِ. واذ سمع في ليلةٍ اخرى الصوت عينهُ. انطلق ثانيةً الى الكنيسة. الَّا انهُ عند وصوله اليها قال انهُ كان يريد بالاحرى ان يموت من ان يورد للكاهن تلك الخطية. ولكنهُ قبل ان يرجع الى بيتهِ اراد ان ياتي امام ايقونة والدة اللّه الكلية القداسة. الموجودة في تلك الكنيسة ويتوسل اليها في ان تسعفهُ. فحالما جثا امامها مصلياً شعر في ذاتهِ انهُ تغيّر بكليته عمَّا كان قبلاً. ومن ثمَّ نهض مسرعًا. وطلب معلم الاعتراف باكيًا بدموعٍ غزيرةٍ من قِبل النعمة التي فاز بها من البتول المجيدة. وهكذا اعترف بخطاياه كلها. وبعد ذلك قال. انهُ قد كان مسرورًا بابتهاجٍ قلبي بنوعٍ افضل واعظم ممَّا لو يكون امتلك جميع الذهب الموجود في العالم كلهِ ☆

☆ الخبر الثاني ☆

انهُ مدون في التاريخ المريمي تحت سنة ١٥٠٥ ان احد الشبان اذ كان مسافرًا بحرًا. قد كان يقراء في كتابٍ دنسٍ محبوبٍ منهُ جدًا. فاحد رفقائهِ الركاب الذي كان راهبًا قد دنا منهُ وسالهُ قائلًا „اتريد ان تهب والدة اللّه شيئًا واحدًا". واذ اجابهُ الشاب „اي نعم اني اريد ذلك". فقال لهُ الراهب „اني اشتهي منك ان تترك حبًا بمريم البتول هذا الكتاب. وانك تطرحهُ في البحر". فاجابهُ الشاب „هوذا الكتاب فخذهُ ايها الاب". الَّا ان الراهب قال لهُ „كلَّا. انا لا اخذهُ بل ارغب منك انك انت ذاتك تصنع هذا الايهاب لمريم العذراء". فقام الشاب ورمى الكتاب في البحر. فوالدة الاله حينئذٍ قد اضرمت في قلبهِ نار حبٍ شديد بهذا المقدار

نحو الله. ونحو فضيلة العفة. حتى انهُ حالما بلغ المركب الى جانوا مكان مولد الشاب. قد ترك هو العالم من دون تاخيرٍ. وتمسك بالعيشة الرهبانية ✿

✿ الخبر الثالث ✿

انهُ يذكَر في الراس ٦ من تاريخ بونيفاسيوس المختص بالعذراء. ان احد النساك في جبل الزيتون في اورشليم كان حاوياً في قلايته ايقونة والدة الاله خشوعية جداً . وكان من عادته ان يصلي امامها متواتراً . فاذ لم يحتمل الشيطان مشاهدة عبادةٍ هكذا حارّة نحو هذه السيدة . شرع يجرّب ذاك الناسك بتجارب قوية جداً ضد العفة. بنوع ان الشيخ المتوحد لنظره ذاتهُ متعوباً بهذا المقدار من التجارب. وانهُ لم يكن يلجو منها بعد صلواتٍ حارّةٍ ومتواترة. فقال هو يوماً ما للشيطان „ ترى ماذا صنعت معك انا من الشرّ حتى انك تعذبني ولا تدعني ان اعيش بسلامٍ". فحينئذٍ ظهر لهُ الشيطان. واجابهُ قائلاً لهُ „ ان العذاب الذي انت تذيقني اياه هو اشدّ مرارةً جداً ممّا انا اعذبك بهِ. فالان احلف لي بقسمٍ بان تحفظ سرًّا ما اقولهُ لك عمّا اريد منك ان تترك صنيعهُ . وانا اعدك بالَّا اعود اقلقك مجرباً ". فالناسك حلف لهُ كمرغوبهِ. ووقتئذٍ قال لهُ ابليس „ اني اريد منك الَّا عدت تنظر الى تلك الايقونة التي انت حاويها في قلايتك". فالناسك قد اضطرب جداً . ومضى الى الانبا ثاودورس لياخذ ارشادهُ فيما كان يلزمهُ ان يصنعهُ . فهذا الاب البار اجابهُ بان الحلف الذي هو صنعهُ للشيطان كان باطلاً لا يلزمهُ بالوقوف عندهُ . وحرضهُ على ان لا يتغافل عن ان يلتجي الى والدة الاله. بواسطة تلك الايقونة الموجودة في قلايته. بل يواظب على تصرفه السابق . فالناسك اطاع الامر وسلك بموجبه . وهكذا بقي ابليس مخزياً ومغلوباً ✿

✿ الخبر الرابع ✿

انهُ يوجد مسطرًا في العدد ٢ من الراس ٣٢ من سيرة حيوة الاب انطونيوس ده كولاليوس. عن امرأةٍ جاءت يوماً ما عند الاب انوفريوس انَّا الذي من الجمعية الملقبة بالاكارين الاتقيا. في مملكة نابولي لتعترف لديهِ بخطاياها وهي مملوة رعدةً وخيفةً . لاجل انها كانت معاشرةً اثنين من الشبان عشرة دنسة . اللذين احدهما بحركة الغيرة الدنسة قتل الاخر. ثم

اخبرت هذا الاب بانها في الساعة عينها التي فيها مات مقتولاً ذاك الشاب الشقي. قد ظهر هو لها متردياً بالسواد. مزنراً بالسلاسل. باعثاً من كل جهات جسده شهب نارٍ متقدة. حاملاً بيده الة حديدية. وانهُ دنا منها ورفع ذراعهُ بذاك الحديد ليقطع بهِ عنقها ذابحاً. وانها هي حينئذٍ قالت لهُ „ اواه يا فلان (داعيةً اياه باسمهِ) ما الذي صنعتهُ بك. حتى انك تريد ان تميتني ". فاجابها الهالك وهو موعبٌ رجزاً وغضباً قائلاً لها „ ويحكِ يا كلبة. اتقولين ماذا صنعتِ بي. فانتِ قد خسرتيني الله ". فحينئذٍ الامرأة استغاثت باسم مريم البتول الكلية القداسة. وحالما سمع ذاك الخيال الجهنمي اسم مريم الوقر من السماويين والارضيين. غاب عن الامراة ولم يعد يظهر لها. ولذلك بادرت هي الى عمل التوبة ✿

✿ الخبر الخامس ✿

كتب باجيوكالي بانهُ حينما كان القديس عبد الاحد يعظ في مدينة كاركاسونا من بلاد فرنسا. قد أُحضر اليه احد الاراتقة الالبيجازيين. الذي لاجل ازدرايه وتكلمه مشتهراً ضد عبادة المسبحة الوردية. قد اعترتهُ الشياطين معذبين اياه. فحينئذٍ القديس المذكور امر الابالسة باسم الاله الحيّ. بان يعترفوا جهاراً. في هل ان كرزه وتعليمه بخصوص الوردية المقدسة. كان صادقاً حقيقياً ام لا. فالابالسة قد صرخوا بصوتٍ مرجفٍ عظيمٍ قائلين „ اصغوا يا مسيحيين واعرفوا ان جميع ما قالهُ عدونا هذا عن مريم. وعن الوردية الكلية قداستها. فهو حقٌ وصدقٌ خالٍ من الارتياب ". ثم اضافوا الى ذلك بقولهم „ انهُ لا توجد لهم استطاعة ضد عبيد مريم ولا قوة بالكلية. وان كثيرين في ساعة موتهم من غير استحقاقٍ منهم يستغيثون باسم مريم ويفوزون بالخلاص ". واخيراً قالوا „ اننا لمضطرون بان نشهر علانيةً. انهُ ولا واحدٌ من اولئك الذين يثبتون على عبادة مريم العذراء ووورديتها يمضي هالكاً. لان هذه البتول تستمد للخطاة منهم قبل موتهم نعمة الندامة الحقيقية وهكذا يخلصون ". فبعد هذا صيّر القديس عبد الاحد الشعب المسيحي الحاضر ان يتلوا المسبحة الوردية. فيا لهُ من عجبٍ. وهو انهُ على تلاوة كلٍ من „ السلام لكِ يا مريم ". كان يخرج من ذلك المُعتري عددٌ وافرٌ من الشياطين بصورة جمرات نارٍ متقدة.

وحينما اكمل الشعب تلاوة المسبحة الوردية قد براء الرجل ونجا بالكلية من الارواح النجسة . فلاجل حدوث هذه الاعجوبة كثيرون من الاراتقة قد ارتدوا الى الايمان الكاثوليكي ☆

☆ الخبر السادس ☆

قال بونيفاسيوس في الراس ٤ من كتابه ٤ عمّا اخذهُ عن الطوباوي الانوس . مخبرًا عن ابنة احد الامرا . بانها كانت عايشةً ضمن احد اديرة الراهبات . ومع ان هذه الابنة كانت حسنة الديانة والنشاط في العبادة . فمع ذلك من حيث ان الروح الرهباني كان فاترًا في ذاك المكان . فهي من ثمَّ لم تكن تتقدم في الفضيلة . ولكن لاجل انها تعلمت فيها بعد من احد معلمي الاعتراف الغيورين . كيفية تلاوة المسبحة الوردية مع التامل في اسرارها . وبداءت تمارس ذلك بالعمل . فحصلت على تغييرٍ عظيم بنوع انها اضحت نموذج الفضائل لجميع الراهبات . ولذلك اذ صعب عليهنَّ روح انفرادها قد حركنَ ضدها اضطهادًا قاسيًا جدًا * فيومًا ما اذ كانت هي تتلو الوردية متوسلةً لوالدة الاله في ان تسعفها في حال ضيقها . وفي الاضطهاد الثائر عليها منهنَّ . رأت واذا برسالةٍ هابطة فوقها من السما . محررٌ عنوانها هكذا „ من مريم والدة الاله . الى ابنتها يوفانا السلام ". وكانت داخلها مكتوبةً هذه الالفاظ وهي „ واظبي يا ابنتي العزيزة على تلاوة ورديتي . وابتعدي عن المعاطاة مع اولئك الذين لا يفيدونكِ في ان تعيشي بالصلاح احترسي لذاتكِ من البطالة . ومن روح الفخفخة والمجد الباطل . وارفعي من قلايتكِ الاشيا الغير الضرورية . وانا احامي عنكِ امام الله ". فبعد ذلك قد جاء رئيس عام الرهبنة ليفتقد ذاك الدير . ويجدد فيه الروح الرهباني . ولكن لم يستفد شيئًا . وقد شاهد يومًا هذا الرئيس العام ان الشياطين كانوا يدخلون الى قلالي الراهبات كلهنَّ . ما عدا قلاية يوفانا . لان والدة الاله التي راى هو امامها يوفانا جاثيةً مصليةً . كانت تطرد عنها هولاء الارواح الشريرة . فلهذا اذ فحص هو عنها وعرف امر مثابرتها على تلاوة الوردية . ثم قضية الرسالة السابق ذكرها . رسم على الجميع ان يمارسوا تلاوة الوردية . وفي زمنٍ قليل اضحى ذاك الدير كانه فردوسٌ سماوي . لاجل التغيير العظيم الذي حصل عند الجميع ☆

☆ الخبر السابع ☆

قد أخبرَ ديوتالوس في عظتهِ على الاحد الاول من الصوم الكبير. بانهُ كانت في مدينة روميه امرأةٌ دنسة السيرة اسمها كاترينا الجميلة . فهذه اذ سمعت يومًا ما القديس عبد الاحد متكلمًا في وعظه عن عبادة المسبحة الوردية المقدسة . اكتتبت هي مشتركةً فيما بين اخوات هذي الشركة . وابتدات ان تتلو الوردية . ولكن من دون ان تترك افعالها الدنسة . فليلةً ما قد جاء اليها شابٌ ما كانَ يظهر عليهِ انهُ شريف الاصل جداً . فهي اقتبلتهُ بكل كرامةٍ. واذ جلس معها على مائدة العشاء واخذ يكسر الخبز. شاهدت هي نقطًا كثيرة من الدم متساقطةً من يديهِ على المائدة . كما انها لاحظت ان جميع الاشياء التي هو كان ياكل منها مصبوغةً بالدم . فحينئذٍ هي سالتهُ ماذا كان ذاك الدم . فاجابها الشاب . بان الانسان المسيحي يلزمهُ ان لا ياكل شيئًا من القوت الَّا ان يكون مخضبًا بدم المسيح . ومملحاً بتذكرة الامه تعالى المقدسة . فلما اندهلت هي من هذا الجواب . طلبت اليهِ ان يعرّفها عن ذاته مَن كان هو . فاجابها قائلاً „ اني ساعرّفكِ مَن انا فيما بعد . ففي نهاية العشا ذهبت هي واياهُ الى محلٍ اخر من بيتها . الَّا انها عندما كانت معهُ هناك شاهدتهُ قد تغيّر عن حالهِ الاولى . وظهر مكللاً على هامتهِ باكليلٍ من شوكٍ . ولحمانهُ كلها مهشمةٌ تسيل منها الدما . ووقتئذٍ قال هو لها „ اتريدين ان تفهمي مَن هو انا . أَمَا تعرفيني . فانا هو مخلصكِ . فاذًا يا كاترينا متى تنهي اهاناتكِ اياي . انظري وتاملي كم انا احتملت من الآلام لاجلكِ . يكفي ما قد احزنتيني بهِ . وجددتِ الامي لحد الان . فكفّي عن ذلك وغيّري سيرتكِ ". فكاترينا عند سماعها هذا الخطاب بدات تبكي بمرارةٍ وشهيقٍ . امَّا يسوع فاخذ يشجعها قائلاً „ فاذًا الان احببيني بمقدار ما اغظتيني . واعلمي انكِ قد فزتِ مني بهذه النعمة لاجل تلاوتكِ وردية امي ". وهكذا غاب عنها . فكاترينا مضت في الصباح التالي لتعترف بخطاياها عند القديس عبد الاحد عينهُ . وبعد اعترافها وزعت على الفقرا جميع ما كان لها . واخذت تسير سيرةً بهذا المقدار مقدسةً . حتى انها بلغت الى درجاتٍ ساميةٍ من الكمال المسيحي . وقد ظهرت لها والدة الاله مراتٍ كثيرةً . بل ان مخلصنا يسوع

المسيح نفسهُ قد اوحى للقديس عبد الاحد. بان هذه التائبة قد اضحت لديه عزيزةً محبوبةً في الغاية ✿

✿ الخبر الثامن ✿

قد كتب الاب اورياما في الراس ١١ من المجلد ٢ من تاليفه عمّا اخبر بهِ الطوباوي الانوس. عن امراةٍ شريفةٍ اسمها عبدة الاحد. التي في الاول كانت مثابرةً على تلاوة الوردية المقدسة. الاّ انها اذ اهملت فيها بعد تلاوتها بالكلية احاق بها الفقر من كل ناحيةٍ بهذا المقدار. حتى انها يوماً ما لاجل يأسها من الحيوة قد ضربت ذاتها بالسكين ثلث ضرباتٍ وانطرحت على الارض مدنفةً على الموت. ولكن اذ كانت في حال النزاع والشياطين منتظرين موتها لياخذوا نفسها. قد ظهرت لها البتول الكلية القداسة وقالت لها „انكِ قد نسيتيني يا ابنتي. ولكنني انا ما نسيتكِ لاجل مسبحة الوردية التي حيناً ما كنتِ تصلين بها تكريماً لي. فاذاً ان كنتِ تعودين الى تلاوتها فانا اردّ لكِ الحيوة الجسدية. والموجودات الزمنية معاً التي فقدتيها". فعبدة الاحد نهضت حينئذٍ من الارض سالمةً. واخذت تواظب تلاوة الوردية بكل عبادةٍ. وحصلت على موجوداتها المفقودة. وعند موتها قد زارتها من جديد هذه الام الالهية. ومدحتها على امانتها. وهكذا تنيحت بقداسةٍ ✿

✿ الخبر التاسع ✿

قد اخبر كارتاجينوس. بانهُ كان في مدينة ساراغوتسا رجلٌ شريف الاصل اسمهُ بطرس. مفسود السيرة بنوعٍ فائقٍ في الشرور والمآثم. وكان نسيباً للقديس عبد الاحد. فلما كان هذا القديس يوماً ما يكرز هناك في احدى الكنائس. قد شاهد نسيبهُ هذا بطرس داخلاً اليها. ولذلك توسل هو باطناً الى القديس لدى الرب. في ان يظهر تعالى للشعب كم كانت سيئةً حال نفس ذاك الانسان التعيس. فاستُجيبت طلبتهُ. لان بطرس قد استحال على الفور الى صورةٍ بشعةٍ مريعةٍ كانهُ مسخ جهنمي مسحوباً من عددٍ كبير من الشياطين ومحاطاً منهم. فالشعب عند نظرهم اياهُ بهذي الحال المخيفة خرجوا من الكنيسة هاربين. حتى امراتهُ نفسها التي كانت هناك وخدامهُ اعينهم تركوهُ وحدهُ. فحينئذٍ القديس عبد الاحد ارسل اليهِ احد ارفاقهُ يقول لهُ ان يلتجي الى والدة الاله مستغيثاً بها. ويبتدي بتلاوة المسبحة الوردية التي

انفذها اليهِ مع الشخص عينهِ. فاذ فهم ذلك بطرس اقتبلهُ باتضاعٍ. وشكر فضل البار. ووقتئذٍ حصل على النعمة في انهُ هو نفسهُ شاهد الشياطين محيطين بهِ. فمن ثمَّ تقدم الى منبر التوبة واعترف بخطاياه بدموعٍ سخينة عند القديس المذكور عينهُ. الذي طمنهُ موكداً لديه ان الله قد غفر لهُ مآثمهُ. ومنذ ذلك الوقت ثابر على تلاوة الوردية ناميًا في القداسة والكمال. حتى ان الرب قد ارتضى بان يظهرهُ في الكنيسة مكللاً بثلثة اكاليل من ورد * فمن يريد الاطلاع على اخبار اخر مختصة بالوردية فليقرا ما هو مشروح عن ذلك في تاليف كارتاجينوس ✿

✿ الخبر العاشر ✿

قد سُطر في الراس ١٥ من كتاب ثاوفانوس رايندوس. بانهُ كان موجودًا في جبال مدينة تريدنتوس. او بالحري ترنتوس احد اللصوص الذايع الصيت في القتل والسلب. فهذا اللص اذ صودف يومًا ما من احد الرهبان الذي اخذ ينصحهُ في ان يغيّر سيرتهُ. فاجابهُ بانهُ لم يعد عندهُ رجاءٌ في اصلاح ذاتهِ. لانهُ لا دواء لامراضهِ الروحية. فحينئذٍ قال لهُ الراهب „لا يا اخي تشجع واصنع ما اقولهُ لك. وهو ان تصوم نهار السبت اكراماً للعذراء والدة الاله. وفي اليوم المذكور لا تضرّ احداً. وهي تستمد لك من الله ان لا تموت خاليًا من نعمته تعالى". فاللص اقتبل هذه المشورة الصالحة ووضعها بالعمل. ملزمًا ذاتهُ بها بنذرٍ ابرزهُ في هذا الشان. ولكيلا يخالف نذرهُ المذكور بداء يجول نهار السبت من دون سلاحٍ * فانفق لهُ انهُ اذ كان في يوم سبتٍ في محلٍ ما. جاءت عليهِ جنود الوالي. فلئلا يثلم هو نذرهُ قد ترك الجنود ان تقبض عليهِ من دون ان يحامي عن ذاتهِ ممانعًا. فحينما مثّل مقيدًا امام القاضي. وهذا راهُ شيخًا شائب الشعر متضعًا اراد ان يعفي عن موتهِ. الّا ان اللص بنعمة والدة الاله طلب اليهِ بخشوعٍ ان يجري عليهِ صرامة العدل. لانهُ كان يريد ان يقتبل الموت كفارةً عن خطاياه. وهناك في ديوان الشريعة عينها شرع يعترف جهارًا بمآثمهِ واحدًا فواحدًا. عن جميع ما صنعهُ في مدة حياتهِ. مدرفًا الدموع الغزيرة. حتى ان الحضار كلهم طفقوا يبكون متخشعين. فبعد ذلك قُطعت هامتهُ ودُفن جسدهُ في حفرةٍ بقلة كرامةٍ. الّا انهُ عقيب دفنهِ قد شُوهدت والدة الاله. وبرفقتها

اربع عذارى قديسات . قد دفونَ من جثة الميت . واخرجنها من تلك الحفرة. ولففنها بسباني نقيةٍ منسوجةٍ بالذهب. وحملنها واتينَ بها برفقة العذراء المجيدة الى باب المدينة . وسلمنها للجنود الحراس . وحينئذٍ امرت هذه السيدة اولئك الجنود بان يذهبوا عند اسقف الابرشية. ويقولوا لهُ عن لسانها هكذا „احتفل بكراعةٍ في دفن جسد هذا التنيح في الكنيسة الفلانية. لانهُ كان عبدًا امينًا لي ". فالامر قد وُضع بالعمل. وقد تقاطرت الشعوب الى هناك . وكلهم شاهدوا باعينهم جثة الميت مدروجةً بتلك السباني المنسوجة ذهبًا. وبعد دفنه الاحتفالي. يقول كيساريوس ان رهبان تلك الجمعية كلهم تمسكوا بصيام يوم السبت ✿

✿ الخبر الحادي عشر ✿

قد كان في بلاد البورتوغال احد المتعبدين للبتول الطوباوية. يمارس تكريمًا لهذه السيدة صوم يوم السبت على الخبز والماء فقط. وكان اتخذ محاميين وشفيعين من اجله لديها القديسين ميخائيل زعيم الملئكة . ويوحنا الانجيلي * فلما دنت ساعة موته . ظهرت لهُ هذه الملكة وصحبتها القديسان المذكوران. واذ تفرست هي فيهِ بوجهٍ باشٍ قالت لهما. اجابةً لتوسلهما من اجلهِ „اني لا انطلق من هنا الّم اصحب معي نفس عبدي هذا الى السعادة الابدية " ✿

✿ الخبر الثاني عشر ✿

انهُ في احد اعمال رسالة ابا جمعيتنا المنسوبة للفادي. قد اتفق انهُ بعد نهاية العظة المختصة بوالدة الاله. التي اعتياديًا تصنعها ابا جمعيتنا في كلٍ من اعمال الرسالات. قد جاء الى احد الابا رجلٌ شيخٌ مملو من السنين ليعترف لديه بخطاياه . وكان موعبًا من البهجة والتعزية . ثم قال للكاهن „اعلم يا ابتِ ان والدة الاله قد صنعت معي النعمة ". واذ سالهُ الاب بقولهِ „اية نعمةٍ صنعت معك ". فاجابهُ المعترف قائلًا „فليكن معلومًا عندك يا ابي اني منذ مدة خمسة وثلثين سنة قد كنت تقدمت الى سر التوبة باعترافٍ نفاقي . لاني حياءً قد اخفيت في الاعتراف خطيةً مميتةً كنت قد سقطت بها. وقد حصلت فيها بعد في بحر هذه السنين مراتٍ كثيرةً في خطر الموت . وبلا شك لو متّ لهلكتُ موبدًا. امّا الان فالبتول

المجيدة قد استمدت لي النعمة . ومسّت قلبي بالتوبة فحضرت لاعترف بخطاياي كلها ". وكان يتفوه بهذه الكلمات مع هطل الدموع السخينة من عينيه . بنوع يحرك الى الخشوع الكلي * فبعد ان تمم الكاهن استماع اعترافه سالهُ اية عبادةٍ كان هو يمارس تكريماً لوالدة الاله . فاجابهُ بانهُ دايماً كان يمتنع في ايام السبوت تكرمةً لهذه السيدة عن اكل البياض مكتفياً بالطبايخ المعمولة بزيتٍ . وانهُ لاجل ذلك قد عاملتهُ ام الرحمة هذه بمراحمها . في انهُ قبل موتهِ يفوز بنعمة التوبة . وقد سمح لمعلم اعترافهِ الموصى اليهِ بان يشهر هذا الحادث ✿

✿ الخبر الثالث عشر ✿

انهُ يوجد مدوناً في الراس ١٠ من الكتاب ٣ المدعو التسابيح . عن احد اللصوص في بلاد نورمانديا . انهُ اذ قُطعت هامتهُ من اعدايه . وطُرحت في احد الوديان . كان يُسمَع صوتٌ يصرخ من تلك الهامة " يا مريم امنحيني ان اعترف بخطاياي ". فلما بلغ هذا القول لاحد الكهنة قد اسرع الى الوادي واستمع اعتراف ذاك الراس المقطوع . وبعد ان منحهُ الحل سالهُ اية عبادة كان يمارس نحو والدة الاله . فاجابهُ اللص بانهُ كان في كل سُبّةٍ يصوم يوماً واحداً تكريماً لهذه السيدة . وانها لاجل ذلك انقذتهُ هي من الهلاك الابدي . وحفظتهُ في الحيوة الى ان اعترف بمآثمهِ ✿

✿ الخبر الرابع عشر ✿

قد كتب العلامة بوفيوس في النموذج التاسع من المجلد ٣ من اخبار عجائب والدة الاله . عن اثنين من الشبان الاشراف كانا في مدينة مادريت عاصمة اصبانيا . يساعد احدهما الاخر على صنيع القبائح الدنسة . وعلى التمرغ في حماة الرذائل . فاحد هذين الاثنين قد شاهد ليلةً ما في الحلم ان رفيقهُ اُخذ من رجالٍ سود . وطُرح في بحرٍ هايج . وان هولاء السودان جاءوا اليهِ ليصنعوا بهِ نظير رفيقهِ . الّا انهُ التجاء هو الى والدة الاله . ونذر على ذاتهِ التمسك بالعيشة الرهبانية . ومن ثمَّ نجا من اولئك الرجال السود . وانهُ قد شاهد ايضاً يسوع المسيح جالساً في ديوان عدلهِ . ممتلياً غيظاً ضدهُ . وان العذراء المجيدة كانت تتوسل لديهِ تعالى من اجلهِ * فلما استيقظ من النوم . وجاء عندهُ رفيقهُ الشاب . اخبرهُ بالحلم الذي راءهُ كما تقدم

القول · فذاك الشاب عند سماعهِ ذلك اخذ يستهزي بهِ ضاحكًا منهُ بسخريةٍ. الا انهُ في الوقت عينهِ قد رُشق بسهمٍ من يدٍ غير منظورة· وسقط في الارض مايتًا· فلما راى الشاب الذي شاهد الحلم ان الرويا قد تحققت في رفيهِ. بادر حالاً الى منبر التوبة واعترف بخطاياه تايبًا· وعزم على ان يضع بالعمل وعدهُ بالدخول في احدى الرهبنات· ولهذا قد باع كل ما كان لهُ· ولكنهُ عوضًا عن ان يوزع اثمانهُ على الفقرا والمحتاجين· قد جذبتهُ ملكاتهُ الردية السابقة الى السقوط من جديد في القبايح· حيث اصرف اثمان املاكهِ في البذخ والسكر والمآثم· وبعد ذلك انطرح مريضًا· فشاهد في الحلم رؤيا اخرى وهي انهُ نظر امامهُ الجحيم مفتوحًا· والديان الالهي كان يبرز ضدهُ حكومة الهلاك· فالتجاء هو من جديد الى العذراء ام الرحمة وهي تقدمت امام ابنها وبتوسلاتها لديهِ من اجلهِ قد خلصتهُ· فنهض من المرض معافى· ولكن عوضًا عن ان يتوب رجع الى افتعال قبايح اشد شناعةً· ثم انطلق الى مدينة ليما في بلاد الهند الشرقي· حيث سقط في مرضهِ عينهِ· وأُخذ الى البيمارستان· وهناك قد مسَّ الله قلبهُ جديدًا للتوبة· فاعترف بخطاياهُ عند الاب فرنسيس بارلينوس اليسوعي· واعدًا اياهُ بان يغيّر سيرتهُ· الَّا انهُ ولا في هذه المرة ايضًا اكمل وعدهُ بالعمل * فاخيرًا اذ دخل فيما بعد هذا الاب الى بيمارستان اخر بعيدٍ عن ليما· قد راى هناك ذاك الشاب التعيس مطروحًا في الارض· فالشاب حينما شاهدهُ عجَّ صارخًا „ اواه يا لتعاستي انا المقطوع الرجا· ان هذا الاب قد حضر الى ههنا لازدياد عذابي· ولكي يشاهد انتقام الله مني· فانا قد جيت من مدينة ليما الى هذا المكان· الذي فيهِ لاجل خطاياي قد بلغت الى هذه الحال الشقية بالعذابات· وهوذا انا ماضٍ الى الهلاك ”· واذ كان يتفوه بهذه الكلمات اسلم روحهُ الاثيمة· من دون ان يحصل ذاك الاب على دقيقةٍ من الزمان ليساعدهُ قبل موتهِ ✿

✿ الخبر الخامس عشر ✿

انهُ يوجد محررًا تحت سنة ١٦١٨ من التاريخ المريمي· عن انسانٍ مجرمٍ كان حُكم عليهِ في بلاد جرمانيا بالموت· الَّا ان هذا المخصوم قد صر على عنادهِ بعدم ارادتهِ ان يعترف بخطاياهُ· قبل ان تجري عليهِ بالعمل حكومة الموت· فاحد الابا اليسوعيين لم يترك من جهدهِ جهدًا في اقناعهِ

بالاعتراف. حتى انهُ كان يتململ على قدميهِ باكيًا بتوسلاتٍ حارّة. ولكن من دون فائدةٍ. فاذ راى انهُ بذلك يضيّع الزمن سدًى لاصرار المذنب على رفضهِ التوبة. قال لهُ اخيرًا « ارجوك اذًا بان تتلو معي مرةً واحدةً « السلام لكِ يا مريم ». فالخاطي قِبل توسلهُ وتلى معهُ السلام المليكي. واذا بهِ على الفور طفق يبكي بشهيقٍ. وحالاً اعترف بمآثمهِ نادمًا بانسحاقٍ قلبي عظيم. واراد ان يموت معانقًا ايقونة والدة الاله المقدسة كما تمَّ ✿

✿ الخبر السادس عشر ✿

قد اخبر الاب اوريايا في الراس ٧ من المجلد الاول بانهُ كان في احدى مدن بلاد اصبانيا انسانٌ اثيمٌ منافقٌ. قد كان اسلم ذاتهُ بجملتها للشيطان. ولم يكن قط اعترف بخطاياه. بل جميع الخير الذي كان هو يصنعهُ لم يكن شيئًا اخر سوى تلاوته كل يومٍ مرةً واحدةً السلام الملئكي. تكريماً لوالدة الاله. فيخبر الاب اوسابيوس نيارامبارك. بانهُ حينما دنا الانسان المومى اليهِ من ساعة الموت. قد ظهرت لهُ في الحلم العذراء المجيدة. وحدّقت اليه بنظرها. فهذه الرمقة بعيني ام الرحمة الملوتين رافةً. قد فعلت في قلبهِ تغييرًا عجيبًا بنوع انهُ حالاً طلب احد الكهنة ليعترف بمآثمهِ. واذ جاء اليهِ الكاهن فهو اقرّ لديهِ بخطاياهُ كلها بندامةٍ شديدةٍ. مذرفًا من عينيهِ انهارًا من الدموع. ونذر على ذاتهِ الدخول في احدى الرهبنات ان بقي هو في الحيوة وهكذا مات ✿

✿ الخبر السابع عشر ✿

قد كتب بوفيوس في الخبر السابع من المجلد الخامس من تاليفه. عن احدى النساء المتعبدات لمريم البتول. بانها كانت دايماً تامر ابنتها بتلاوة السلام الملئكي. لا سيما في حصولها تحت خطرٍ ما. فاتفق ان هذه الابنة يومًا ما اذ خرجت من مكان الرقص واتكمت لتستريح. فحالاً استحوذ عليها الشيطان الذي ظهر لها بنوعٍ حسّي منظور. وشرع يقيّدها بالسلاسل لياخذها الى جهنم. الاّ انها في حال شدتها القصوى صلت السلام الملئكي. فالشيطان غاب عنها هاربًا. وهكذا نجت هي منهُ ✿

✿ الخبر الثامن عشر ✿

ان العلاّمة كيساريوس في الراس ٣٣ من الكتاب ٣ قد اخبر عن امرأةٍ

من اقليم كولونيا . كانت معاشرةً احد القسس عشرةً رديةً . فهذه يوماً ما دخلت الى مخدعهِ فرأتهُ معلقاً مشنوقاً . فبعد ذلك هي تركت العالم ودخلت الى احد اديرة الراهبات. الّا ان الشيطان كان يظهر لها حسّياً ويعذبها. واذ لم تعد تعلم ماذا تصنع لتنجو منهُ. فاحدى الراهبات علمتها ان تقول „ السلام لكِ يا مريم". ولما هي صلت بهذا السلام الملكي . فالشيطان هتف صارخاً „ فلتكن ملعونةً التي علمتكِ ان تقولي هذه الصلوة". وهكذا اضمحل من امامها ولم يعد يظهر لها فيما بعد ✿

✿ الخبر التاسع عشر ✿

قد كتب الاب كراسات . بانهُ اذ كان احد قواد العساكر عايشاً بسيرةٍ رديةٍ في قلعتهِ . قد مضى الى هناك بطريق الصدفة احد الرهبان الاتقيا . الذي قد أُلهم من الله متنوراً فتوسل الى ذلك القائد بان يستدعي اليهِ خدامهُ كلهم . فحضروا جميعاً الى المكان الجالس فيهِ هو والقائد . ما عدا ذاك المتوكل على خدمة مخدعهِ لم يكن يشا الحضور . الّا انهُ اضطر من قِبل امر القائد فجاء اخيراً اغتصاباً . فحينئذٍ ذاك الراهب قال لهذا الوكيل „ اني أُمرك من قِبل يسوع المسيح بان تقول عن نفسك مَن انت" . فاجابهُ قائلاً „ اني انا هو احد شياطين جهنم . الذي منذ اربع عشرة سنةً اخدم هذا القائد الاثيم . منتظراً اياه لان يترك يوماً ما تلاوة السبع مرات „ السلام لكِ يا مريم" . الذي هو اعتاد ان يصلّيها يومياً . لكي اخنقهُ في ذاك اليوم الذي فيهِ يهمل تلاوتها . واخذ نفسهُ الى الجحيم". فالراهب حتم على الشيطان بان يغرب من ذاك المكان . فغاب حالاً من امامهم . وحينئذٍ القائد ممتلياً خوفاً جثا على قدمي الراهب نادماً على خطاياه . ثم غيّر سيرتهُ وعاش عيشةً مسيحيةً مملوةً من الفضيلة ✿

✿ الخبر العشرون ✿

ان الاباء العلما اليسوعيين مؤلفي مجموع البولانديستي الجليل يخبرون تحت اليوم الثالث عشر من شهر ايار . عن الطوباوي فرنسيس باطريتسي . بانهُ بهذا المقدار كان جزيل التعبد نحو السلام الملكي . حتى انهُ كان يتلوهُ في كل يومٍ خمسماية مرةً . فوالدة الاله من ثمَّ قد اعلمتهُ عن ساعة موتهِ . وهكذا رقد بالرب قديساً . وبعد اربعين سنةً قد شوهدت صاعدةً من فمه

قصبة زهرٍ زنبقٍ جميلة في الغاية (التي فيها بعد نُقلت الى مملكة فرنسا) وكان مكتوبًا على اوراق هذه القصبة السلام الملكي. باحرفٍ من ماء الذهب ✿

✿ الخبر الحادي والعشرون ✿

قد اخبر الاب كراسات نقلاً عن كيساريوس. بانهُ كان فيها بين الرهبان الجيستارجياسيين البسيطين احد الاخوة. لم يكن يعرف شيئًا من الصلوات كلها الاَّ "السلام لكِ يا مريم". وانهُ كان يتلوها باتصالٍ وبحسن عبادةٍ. فبعد موتهِ قد نبتت من قبرهُ شجرةٌ. وكانت محررةً على اوراقها هذه الكلمات وهي "السلام لكِ يا مريم يا ممتلئةً نعمةً" ✿

✿ الخبر الثاني والعشرون ✿

انهُ يوجد مسطرًا في الخبر السابع من المجلد الاول من التأليف الملقب "بكنز الوردية". عن ثلث عذارى اخواتٍ متعبداتٍ لوالدة الاله. قد تلينَ بمشورة معلم اعترافهنَّ مسبحة الوردية كلها يوميًا. في مدة اربعين يوماً. استعدادًا لعيد تطهير العذراء. اي تقدمة المسيح الى الهيكل * فليلة العيد المذكور ظهرت هذه الام الالهية للاخت الاولى من الثلث الاخوات لابسةً ثوبًا ثمينًا منسوجًا بالذهب. شاكرةً فضيلتها ومباركةً اياها. ثم ظهرت للاخت الثانية لابسةً ثوبًا بسيطًا. وكذلك شكرت عبادتها. الاَّ ان هذه الاخت قالت لها "ايتها السيدة انكِ ظهرتِ لاختي لابسةً ثوباً اثمن من هذا". فاجابتها البتول المجيدة قائلةً "لان اختكِ البستني اثوابًا غنيةً اكثر منكِ". ثم بعد ذلك ظهرت هيَ للاخت الثالثة لابسةً ثوبًا من خيش. فمن ثمَّ هذه الاخت التمست من العذراء الصفح والغفران عن كونها خدمتها بفتور* ففي السنة الثانية قد استعدت العذارى الثلث استعدادًا حسنًا لهذا العيد. بتلاوتهنَّ الوردية كالسنة السابقة. لكن بكل حرارةٍ وعبادةٍ. ففي الليلة المتقدمة على العيد ظهرت لهنَّ هذه السيدة المجيدة مزينةً باثوابٍ ملوكيةٍ مبهرة النظر. وقالت لهنَّ "تحضّرنَ متاهباتٍ لانكنَّ نهار غدٍ مزمعاتٌ ان تاتينَ الى الفردوس السماوي". فقد تمَّ القول فعلاً. لانهنَّ اخبرنَ بذلك معلم اعترافهنَّ. وفي اليوم الثاني الذي هو نهار العيد تناولنَ القربان الاقدس في الكنيسة. ورجعنَ الى البيت حيث مكثنَ الى حين صلوة النوم. واذا بوالدة

الاله ظهرت لهنَّ جديداً. اذ جاءَت لتاخذهنَّ. وهكذا فيما بين تراتيل الملئكة الواحدة بعد الاخرى قد تنيحنَ بسلام ✿

✿ الخبر الثالث والعشرون ✿

ان الاب كراسات يخبر بانهُ سمع هو شفاهًا من احد قواد العساكر ما ياتي ذكرهُ. وهو ان هذا القائد قد شاهد احد الجنود في معركة الحرب التي حدثت مع عسكر العدو. ضابطًا في يدهِ اكليلاً مع ثوب السيدة. وكان يطلب معلم اعترافٍ. لانهُ كان ضُرب في المعركة برصاصٍ دخل في جبهتهِ وخرج من قفا جمجمتهِ. حيث كان يخرج من الجرح مخاع راسهِ. وبالتالي لم يكن ممكنًا لهُ ان يحيى وهو في تلك الحال. فمن ثم جاءَ اليهِ خوري العسكر فاقتبل اعترافهُ الذي هو صنعهُ بانتباهٍ كاملٍ وبندامةٍ قلبيةٍ. وبعد ان نال الحل قد اسلم الروح بكل هدوءٍ وسلام ✿

✿ الخبر الرابع والعشرون ✿

قد اخبر الاب كراسات نفسهُ عمَّا سمعهُ من القائد المشار اليهِ انفًا. بانهُ اي القائد قد كان حاضرًا يومًا ما فيما بين العسكر. واذا باحدهم اعطى النار لبندقيتهِ ضد الضارب بالبوق. فالرصاص دخل في اثوابهِ نافذًا الى صدرهِ. فالقائد حالاً مضى اليهِ لينظر كيف كان جرحهُ القتَّال. فعندما خلع عنهُ اثوابهُ قد رأى الرصاص باقيًا فوق ثوب السيدة. الذي كان البواق حاملاً اياهُ معلقًا في عنقهِ. بنوع ان الرصاص ليس فقط لم يدخل قلب البواق بل ولا حرق ثوب السيدة ام ثلمهُ بشيءٍ. لكنهُ بقي ثابتًا فوقهُ. فحينئذٍ القائد رفع الرصاص وثوب السيدة معًا واراهما لجميع الحاضرين الذين اضحوا شهودًا عيانيين على هذا العجب ✿

✿ الخبر الخامس والعشرون ✿

قد كُتب في الخبر السادس من المجلد الخامس عمَّا هو مدون تحت سنة ١١٥١ عن شابٍ شريف النسب اسمهُ اسكيلوس. قد كان أُرسل من ابيهِ الامير الى ايدالازميو. المدينة الكاينة في بلاد ساسونيا ليدرس هناك العلوم. الَّا ان هذا الشاب قد استسار في تلك المدينة سيرةً رديةً. ثم بعد ذلك انطرح مريضًا بمرضٍ عضال دنا بهِ الى ابواب الموت. حيث أُعطيت لهُ الاسرار الاخيرة. وبقي منازعًا. ففي هذه الحال قد حصل هو على رؤيا.

وهي انهُ شاهد ذاتهُ أُخذ فوضع داخل اتون نار متوقدة. وأُغلق عليهِ بنوع انهُ ظن بنفسهِ انهُ داخل جهنم عينها. الَّا انهُ قد رأى لهُ نافذةً فهرب منها الى خارج ذاك الاتون. ودخل ملتجيًا في قصرٍ عظيم. فشاهد في قاعته والدة الاله الكلية القداسة جالسةً. فقالت لهُ „ أَهل يمكنك ايها الشقي ان تتجاسر على الحضور امامي. اخرج من هنا حالاً. واذهب الى النار التي انت استحقيتها باثامك ". فحينئذٍ الشاب شرع يتوسل اليها طالبًا الرحمة والرافة. ثم التفت الى اولئك الاشخاص الذين راهم واقفين بحضرتها. متضرعًا اليهم في ان يتشفعوا بهِ لديها. فهم قدموا التوسل امامها من اجلهِ وهي اجابتهم قائلةً لهم „ انتم لا تعرفون حقائق سيرة هذا الشاب الدنسة القبيحة. ومع ذلك لم يكن يستليق ان يصلي امامي ولا مرةً واحدةً السلام الملكي ". فاوليك الشفعاء قالوا لها „ ايتها السيدة ان هذا الشاب يتوب ويغيّر تصرفهُ ". وهو حالاً قال „ اي نعم اني تايب". واعد بان اصلح سيرتي حقيقةً. وساكون منذ الان فصاعداً متعبداً لكِ يا سيدتي ". فحينئذٍ البتول المجيدة قد راقت من غيظها عليهِ. وقالت لهُ „ حسناً فانا اقبل وعدك. فكن امينًا بهِ. وهكذا بواسطة بركتي اياك كن ناجيًا من الموت ومعتوقًا من جهنم ". ولما قالت هذا زالت الرؤيا. فاذ رجع اسكيلوس الى ذاتهِ اخذ يقدم الشكر لوالدة الاله. واخبر الناس بالنعمة التي نالها من مراحم هذه الام الالهية. وعاش بسيرةٍ مملوةٍ من الصلاح حافظًا نحو سيدتهِ عواطف حبٍ متقدٍ. ثم انتخب فيما بعد ورسم رئيس اساقفةٍ لمدينة لود. في اقليم دانيا حيث اجتذب عدداً وافرًا من الكفرة الى الاعتقاد بالايمان المسيحي. وعندما تقدم كثيرًا في السنين والشيخوخة قد تنزل عن الابرشية. ولبس الثوب الرهباني قانونيًا في دير كيارافاله. الذي فيهِ عاش اربع سنين. ورقد بالرب بميتةٍ مقدسة ومن ثمَّ قد أُحصي من الكتبة الكنايسيين في عدد قديسي رهبنة جيستالو ✿

✿ الخبر السادس والعشرون ✿

انهُ يوجد مدونًا في الراس ٦ من المجلد ٢ عند الاب اورياما. عن احد المشتركين باخوية العذراء انهُ قد كان مريضًا في مدينة دولا سنة ١٦٠٤ مرضًا ثقيلاً جداً. فهذا يومًا ما قال هكذا „ اهًا لي ان اخوتي الان في هذا

اليوم العيد هم ملتئمون في الخورس ليسبحوا مريم البتول. وانا ابقى ههنا". قال هذا ونهض قايماً ومضى الى جمعية الاخوية. وحالاً تركته الحمى وشفي معافى بالتمام كانه لم يكن مريضاً. الامر الذي اذهل الجميع ❁

❁ الخبر السابع والعشرون ❁

قد سُطر عند الاب اورياما نفسه. عن رجلٍ اخر من اخوية العذراء. كان صياداً في مدينة نابولي. فهذا لاجل انه قد كان في احدى رياضات الاخوية جلدَ ذاته مع الاخرين بشدةٍ فقد أُضيم في جسدهِ. وانطرح مريضاً مدة ايامٍ ليست بقليلة. فحالما امكنه ان يقوم من المرض ذاقهاً. لاجل كونه فقيراً وذا عيلةٍ كبيرة قد اغتصب ذاته واخذ الشبكة ومضى الى الشط ليصطاد. حيث خاطب والدة الاله قائلاً "ايتها السيدة انني بسببكِ قد تكبدت انا هذا الضرر فعينيني". امّا هذه الام الرؤوفة فقد جعلته حينئذٍ ان يصطاد بسهولةٍ من الاسماك في ذاك النهار بأكثر مما لكان اخذه في مدة كل تلك الايام السابقة انتي بقي فيها مريضاً ❁

❁ الخبر الثامن والعشرون ❁

قد كتب الاب اورياما عينه عن رجلٍ اخر من اخوية البتول الكلية القداسة. انه قد دُعي يوماً ما من اصدقايهِ ليتغذّى عندهُ. فهو اقتبل الدعوة واوعد بالذهاب الى الضيافة ولكنه اراد قبلاً ان يمضي الى جمعية الاخوية. ففي خروجهِ منها بعد الرياضة الروحية قد برح من فكرهِ الوعد الذي اعطاه لصديقهِ ولم يذهب اليهِ. فالرجل الصديق الاحمق احتمى غيظاً منه بهذا المقدار حتى انه مضى اليهِ في شدة رجزهِ. واذ راءه وثب عليهِ ليقتله. ولكنه باحكام الله الغامضة قد قتل ذاته بذاتهِ وانطرح ميتاً. فبلغ الخبر للقاضي وجاءت خدام الشريعة فقبضوا على الاخ الموصى اليهِ كانه هو القاتل. ومن ثمَّ أبرزت ضده حكومة الموت. امّا هو فالتجاء الى والدة الاله بان تسعفه. وهي الهمته بانه انطلق برفقة خدام الشريعة الى امام جثة المقتول وساله قائلاً "اخبر بالحق كيف تمَّ موتك. ومَن هو الذي قتلك". فالميت اجاب علانيةً معترفاً بانه هو نفسه قتل ذاته. وعلى هذه الصورة نجا الاخ من الحكومة معتوقاً ❁

☆ الخبر التاسع والعشرون ☆

انهُ يوجد مدونًا في كتاب تاريخ الاخويات تحت سنة ١٥٩٨ عن رجلٍ اخر من اخوية العذراء كان أُخذ ليُطرح في السجن. لاجل عدم مقدرتهِ ان يفي لاصحاب الديون ما كان لهم عليهِ. فاستغاث هو بوالدة الاله. وهي الهمت الستة الاشخاص الذين كان لهم عليهِ المال. بانهم جميعًا قد تركوا لهُ الدين مجانًا. وهكذا أُعفي هو من الذهاب الى السجن وخلص ناجيًا ☆

☆ الخبر الثلثون ☆

قد اخبر لاوناروس في الراس ٣ من كتابه ٣ عن احد الشبان انهُ كان في الابتدا يتردد الى اخوية البتول المجيدة المشترك هو فيها. ولكنهُ فيما بعد قد اهمل الذهاب اليها مطلقًا. وافسد سيرتهُ بمآثم شنيعة * فليلةً ما ظهر لهُ الشيطان بصورةٍ مرعبةٍ جدًا. امَّا هو فقد استغاث بوالدة الاله. غير ان العدو الجهنمي اجابهُ قائلًا „ انك من دون فائدةٍ تستغيث الان بتلك التي انت تركتها معرضًا عنها. وانت الان لاجل خطاياك تحت ولايتي وخاصتي. فالشاب ابتداء يرتجف خوفًا. وجثا على ركبتيهِ واخذ يتلو صورة اشتراكهِ بالاخوية قائلًا „ ايتها البتول الكلية القداسة والدة الاله الخ". واذا بهذه السيدة المجيدة قد ظهرت لهُ. وفي الحال هرب الشيطان من امامها تاركًا في المكان رائحة منتنة جدًا. وفي هربهِ فتح الحائط نافذًا منهُ. وترك بعدهُ الثغرة مفتوحةً. فالعذراء الرؤوفة قد التفتت نحو الشاب قائلةً لهُ „ انك لم تكن بالحقيقة مستحقًا ان اسعفك معينةً اياك. ولكنني انا اردت ان اعاملك بالرحمة. لكي تغيّر سيرتك وترجع الى جمعية الاخوية". فالشاب حالما بلغ الى الصباح مضى فاعترف بخطاياه بدموعٍ سخينة. ورجع عن مآثمهِ. واصلح سيرتهُ. وشرع يتردد الى الاخوية باشد حرارةٍ. وباكثر عبادةٍ ونشاط من المدة القديمة ☆

☆ الخبر الحادي والثلثون ☆

انهُ حدث في سنة ١٥٥٠ انهُ كان في مدينة برغانتسا شابٌ من ذوي اخوية العذراء. الذي اذ ترك هذه العبادة فتمرغ في كل نوعٍ من حماة الرذائل. حتى انهُ اييئسهِ من ذاتهِ وحالهِ السيئة مضى يومًا ما ليطرح

بنفسهِ في النهر فيموت. غير انهُ قبل ان يرمي ذاتهُ اتجه نحو والدة الاله قائلاً „ عينيني يا مريم انا الذي خدمتكِ في الاخوية". فظهرت لهُ هذه البتول الكلية القداسة وقالت لهُ „ماذا تريد ان تصنع الان. اتشاء ان تخسر نفسك وجسدك معاً. فانطلق من هنا واعترف بخطاياك وارجع الى اخويتي". فالشاب من ثمَّ حالاً رجع الى الله بالتوبة. واصلح سيرتهُ شاكراً انعام هذي السيدة ✿

✿ الخبر الثاني والثلثون ✿

قال الاب اورياما في الراس ٧ من المجلد ٢ مخبراً بان احد الرهبان في بلاد اصبانيا. لحنقهِ ورجزهِ ضد ريسه قد وثب عليهِ بحماقةٍ فقتلهُ وهرب الى بلاد بربريا. وهناك نكر الايمان بالمسيح. وتزوج بامراةٍ. واستسار بسيرةٍ مملوة من المآثم. خاليةً من كل صلاحٍ. الاَّ انهُ حفظ تلاوتهُ يومياً الصلوة المبدؤة „ السلام عليكِ ايتها الملكة ام الرحمة". ففي احد الايام اذ كان هو منفرداً عن الناس مصلياً الصلوة المذكورة. قد ظهرت لهُ والدة الاله. فوبختهُ موبخةً. ثم حرَّضتهُ مشجعةً على تغيير سيرتهِ واعدةً اياه بالمعونة. فحينئذٍ رجع هو الى بيتهِ. ولما رأتهُ امرأتهُ كئيباً محزوناً قد سالتهُ عن السبب. وهو اخبرها باحوالهِ مفصلاً. وبالرويا التي شاهدها. باكياً بدموعٍ غزيرةٍ على شقاوتهِ. فهذه الامرأة قد تشفَّقت عليهِ متوجعةً. واعطتهُ جانباً من المال لمصروفهِ في رجوعهِ الى اصبانيا. كما انها ارتضت معهُ بان ياخذ صحبتهُ احد بنيهِ الذين اتلدوا لهُ منها. فرجع اذاً الى ديره. ولاجل توسلاته ودموع عينيه السخينة. قد قبلتهُ من جديد رهبان جمعيته جملةً مع ابنه. حيث عاش بتوبةٍ شاقّة ثابتاً على عمل البر. واخيراً مات برائحة القداسة ✿

✿ الخبر الثالث والثلثون ✿

قد اخبر الاب اورياما عينهُ في المكان السابق ذكرهُ عن احد الشبان الدارسين. الذي ارتشد من معلمه بان يسلّم على العذراء المجيدة بهذه الكلمات وهي „ السلام عليكِ من الله يا مريم ام الرحمة". فان مارس ذلك مدة حياته. ودنا اخيراً من ساعة الموت. قد ظهرت لهُ والدة الاله قائلةً „ أَمَا تعرفني مَن انا يا ابني العزيز. فانا هي ام الرحمة تلك التي انت سلّمت عليها مراتٍ كثيرة بهذه الكلمات". فحينئذٍ ذاك العابد مدَّ يديهُ مهمَّا

على ان ينهض فيتبعها. وفي الحال اسلم روحهُ بهدوءٍ وسلام راقداً بالرب ✿

✿ الخبر الرابع والثلثون ✿

لقد سُطر عن احد الخطاة انهُ كان عائشاً في المآثم من دون عمل صلاحٍ ما سوى تلاوته اليومية الصلوة المبدوة „تحت ذيل حمايتك نلتجي يا والدة الله القديسة". فيوماً ما قد فاز هذا الخاطي بانوارٍ سماوية من قِبل والدة الاله لمعرفة حاله الشقية. وللرجوع الى الله بالتوبة. حتى انهُ ترك العالم وصار راهبًا. حيث عاش بحفظ القانون مدة خمسين سنةً. بسيرةٍ مملوة من القداسة. قد اعقبتها ميتةٌ صالحةٌ حيث اضحى نموذجًا حيًا للرهبان بفضايل حياته وبصلاح موته ✿

✿ الخبر الخامس والثلثون ✿

قد كتب العلّامة باري عن رجلٍ اراتيكي كان في مدينة طورين مصرًّا على ضلاله. فهذا سنة ١٦١٠ مرض مرض الموت. ولذلك قد جاء اليه كثيرون من الكهنة الغيورين. وابذلوا نخوةً كل اجتهادهم في اجتذابه الى الايمان الكاثوليكي المقدس. ولكن من دون فايدة. لان اتعابهم معهُ ذهبت سدىً لاصرارهِ الشيطاني على ضلاله * فاخيرًا احد هولاء الكهنة توسل اليه بدموعٍ في ان يرتضي قلما يكون بان يقول هذه الكلمات وهي „يا ام يسوع عينيني". فالاراتيكي قبل توسلهُ وقال هذه الكلمات. الَّا انهُ حالما تلفظ بها. فعلى الفور كانسانٍ استيقظ من رقادهِ هتف صارخًا „انا اريد ان اموت كاثوليكيًا". كما تمَّ بالحقيقة. وهو انهُ اقرَّ بحقايق الايمان. واقتبل الحلّ من الارتقة ومن خطاياه. وبعد ساعتين مات ✿

✿ الخبر السادس والثلثون ✿

انهُ يوجد مدونًا تحت اليوم الثامن عشر من شهر ايلول في المينولوجيون. عن انسانٍ اخر كان غير مومن في بلادِ الهند. فهذا اذ بلغ الى ساعة موته. ودنا من انفاسه الاخيرة حيث تركهُ الجميع. فلسماعه في مدة حياته من المسيحيين الدايم عن مريم العذراء. وعن اقتدارها العظيم. اخذ بالالتجاء اليها مستغيثًا باسمها. ففي الحال ظهرت لهُ هذه السيدة الراوفة وقالت لهُ „هوذا انا التي انت تستغيث بي قد حضرت لمعونتكَ. فقم وصِر مسيحيًا". فعند سماعه هذه الكلمات. نهض حالاً صحيحًا معافًى من مرضهِ. فامن

بالمسيح واصطبغ. كما ان كثيرين من الغير المومنين عند مشاهدتهم هذه الاعجوبة صاروا مسيحيين ✿

✿ الخبر السابع والثلثون ✿

قد سُطر عن انسانٍ كان في مدينة مادريد كلي التعبد لمريم البتول. خاصةً نحو احدى ايقوناتها المقدسة التي كانت تُسمَّى „ الايقونة الانطاكية". فهذا الرجل قد اقترن بالزواج الناموسي سنة ١٦١٠ مع ابنةٍ. الاَّ انهُ بعد زواجه لم يكن يجد مع هذه الامراة راحةً قط. لاجل غيرتها وشكوكها في انهُ كان يحب غيرها من النسا. فقد كان من عادة هذا المتعبد لمريم ان يمضي كل يوم سبتٍ غلساً جداً لزيارة الايقونة المار ذكرها حافياً. غير ان امراتهُ كانت تظن انهُ في ذهابه هكذا باكراً كان يمضي عند بعض النسا. ولذلك كانت تفتري عليهِ بالشتايم والاهانات. الامر الذي اذ صنعتهُ هي في احد الايام بزيادةٍ. فهو من شدة غمه وغيظه وقلة صبره من هذا الافترا. اخذ حبلةً فربطها بعنقه وشنق نفسهُ بها داخل البيت بعد ان اغلق الباب. الاَّ انهُ وهو على اخر انفاسه استغاث بوالدة الاله بان تاتي لمعونته. واذا بهذي السيدة ظهرت لهُ بشكلٍ فايق البها والجمال. ودنت منهُ فقطعت الحبل وخلصتهُ. في الوقت الذي فيه كان الناس ملتمين خارج الباب. ومشاهدين الحادث من الشباك غير قادرين على الدخول الى البيت. فحينئذٍ هو فتح الباب واخبرهم بالحادث. ومنذ ذاك الوقت غيرت امراتهُ سلوكها معهُ تايبةً عن افترايها عليه. وعاشا معاً بسلام وحبٍ مستمرّين في عبادتهما نحو هذه السيدة الكلية القداسة ✿

✿ الخبر الثامن والثلثون ✿

قال الاب اورياما انهُ حدث في سنة ١٦١٣ انهُ كان انسانٌ في مدينة فلانصا قد تورط في فعل خطيةٍ قبيحةٍ. وجعلهُ الحياءُ ان يختفي ايرادها فيما بعد كل مرةٍ كان يعترف. وبالتالي اضحى منافقاً بالاسرار في كل تلك المدة. الاَّ انهُ اذ لم يعد يمكنهُ احتمال توبيخ ضميره انطلق في احد الايام لزيارة ايقونة والدة الاله الملقبة بهاله. لكي يتوسل اليها في ان تساعدهُ. فلما بلغ الى باب الكنيسة. واراد الدخول اليها. شعر بقوةٍ غير منظورةٍ كانت تدفعهُ الى الوراء. مانعةً اياه عن الدخول. فحينئذٍ عزم عزماً ثابتاً على ان

يعترف بتلك الخطية. وبعد هذا العزم تقدم الى باب الكنيسة فلم يجد مانعًا. بل دخل بسهولةٍ. ومن ثمَّ اعترف اعترافًا عامًا بخطاياه كلها. وهكذا رجع الى بيتهِ مملوًا من السرور والتعزية ✿

✿ الخبر التاسع والثلثون ✿

انهُ يوجد مدونًا في تاريخ الرهبنة الجيستارجيازية. عن الطوباوي ادم احد اباء هذه الرهبنة. انهُ اذ مضى يومًا ما ليزور مريم البتول في احدى كنايسها. ورای ابواب تلك الكنيسة مغلقةً. فجثا امام الباب مصليًا مسلمًا على هذه الام الالهية. ولكن حالما ركع هناك واذا بابواب الكنيسة قد انفتحت من ذاتها. فدخل اليها البار وشاهد والدة الاله مشعشعةً بانوارٍ سماوية لا يمكن التحدق بها. قائلةً لهُ „يا ادم هلمَّ الى ههنا. اتراك تعرفني مَن انا". فاجاب الطوباوي „كلَّا. يا سيدتي فمَن انتِ". فقالت لهُ „انا هي والدة الاله. فاعلم اني لاجل العبادة والخدمة التي انت تقدمها لي ساهتم بك دائمًا". قالت هذا ووضعت يدها على هامة البار. فاشفتهُ من الوجع الذي منذ ازمنةٍ مديدةٍ كان يتكبدهُ في راسه بالمٍ شديد ✿

✿ الخبر الاربعون ✿

قد سُطر في الراس ٢٣ من الكتاب ٥ من تاريخ الرهبان الاصغرين. عن امراةٍ كانت حسنة العبادة لوالدة الاله. فهذه يومًا ما ذهبت من دون ان يعرف رجلها. لكي تزور احدى كنايس العذراء المجيدة البعيدة عن مكان سكناها. ومن حيث انهُ حدثت في ذلك النهار امطارٌ غزيرة. وعواصف شديدة. لم تعد هذه الامراة تقدر ان ترجع الى بيتها. بل اضطرت لان تبيت خارجًا. ولكنها قد استوعبت غمًا وخوفًا من ان رجلها كان مزمعًا بدون ريبٍ ان يظهر غيظهُ ضدها. فمن ثمَّ التجات الى البتول القديسة في ان تسعفها. ففي اليوم التالي رجعت الى بيتها. وشاهدت رجلها مملوًا من العذوبة والروافة. ولم يقل لها كلمةً ما البتة عن غيابها. فاخذت هي تستفحص وتستدل. فعرفت يقينًا ان العذراء المجيدة قد جاءت في اليوم السابق الى البيت بصورة تلك الامراة. وصنعت جميع لوازم خدمة البيت بكل نشاطٍ. بنوع ان الرجل لم يدرِ ان امراتهُ بقيت خارجًا. فحينئذٍ

هي اخبرت رجلها بالحادث. وازدادا كلاهما معًا حرارةً في عبادة هذه الام الراوفة. التي شرفت منزلهما كخادمةٍ في كل تلك الليلة ✿

✿ الخبر الحادي والاربعون ✿

قد كتب العلّامة لابّاوس في المجلد الاول من تاريخه السنوي عن مدينة ضوؤل. انهُ كان في هذه المدينة (انكاينة في بلاد فرنسا) رجلٌ شريفٌ اسمهُ انسالدوس متقدم في الوظايف العسكرية. فهذا الرجل اذ كان يومًا ما في معركة الحرب قد رُشق بسهمٍ دخل في حنكه بقوةٍ. بنوع ان الجرّاحين لم يقدروا ان يجدوا طريقةً بها يخرجون حديد السهم المكسور من حنكه. بدون قطع لحمانه. فاستمر هذا المسكين مدة اربع سنواتٍ يتكبد الاوجاع. ولكنهُ اخيرًا اذ لم يعد يحتمل الالام. وحصل في حال العدم من قِبل المرض ايضًا. فارتأى حينئذٍ الجراحون ان يفتحوا لحمان حنكهُ. ويخرجوا الحديد. الَّا انهُ قبل ممارسة ذلك قد التجاء هو الى والدة الاله. ونذر على ذاته ان يزور ايقونتها المقدسة المكرمة في ذلك المكان. مقدمًا لها كل سنةٍ كمية من المال. ان حصل على الشفا. فحالما صنع هذا النذر شعر بان الحديد من ذاته قد خرج من حنكه. وبقي في فمه. وهكذا اخرجهُ من دون وجعٍ بالكلية. ففي اليوم التالي اغتصب ذاتهُ وهو في حال مرضه الشديد. وقام فذهب لزيارة تلك الايقونة مقدمًا النذر الذي صنعهُ. وحالما تمم ذلك فاز هناك بالشفا من مرضه ايضًا. ورجع الى بيته صحيحًا معافى ✿

✿ الخبر الثاني والاربعون ✿

قد سُطر عن رجلٍ في بلاد اصبانيا كان معاشرًا واحدة من النسا قريباته عشرةً دنسةً. فيومًا ما اذ كانت هناك احدى البتولات المتعبدات لمريم تصلّي. قد رأت مخلصنا يسوع المسيح في منبر عدله. هامًّا على ان يرسل ذاك الشاب المفسود الى جهنم. الَّا ان والدتهُ الكلية القداسة اذ قالت لهُ ان الشاب كان وقتًا ما متعبدًا لها. فاستمدت لهُ منهُ تعالى مهلةً ثلثين يومًا لاصلاح سيرته تايبًا. فمن ثمَّ تلك الابنة قد أُمرت من والدة الاله نفسها. بان تخبر بهذا جميعه معلم اعترافها. الذي اذ فهم الرويا اعلنها لذاك الشاب. الذي عند سماعه ذلك قد ندم على مآثمه واعترف بها بدموعٍ سخينة. موعدًا بعدم سقوطه من جديد بالخطية مع تلك الامراة.

ولكن لانهُ لم يقطع السبب القريب من بيته. قد رجع نظير الكلب الى قيه. فبعد سقوطه جاء من جديد واعترف بمآثمه مكررًا وعده السابق. غير انهُ قد رجع ايضًا الى الخطية. فمعلم اعترافه اذ لم يعد يراه. مضى اليه ليزوره في بيته. الّا ان الشاب التعيس قد اصرفه من عنده ليس من دون غيظٍ. فلما بلغ اليوم الاخير من الثلثين يومًا. قد رجع الكاهن الى بيت الشاب. ولكن من دون فائدةٍ. لان الاثم اعمى قلب هذا الشقي. فالكاهن حينئذٍ توسل الى خدام البيت بان يخبروهُ فيما يحدث. وانهُ كان مستعدًا للحضور متى دعوهُ. فما انتصف الليل التابع ذاك اليوم. الّا والشاب حصل في اوجاعٍ باطنة شديدة في الغاية. فالخدام اسرعوا واخبروا معلم الاعتراف. الذي جاء وشكًا اليه لكي يساعدهُ. ولكن المنكود الحظ صرخ صوتًا عظيمًا قائلًا „ اواه اني اموت مطعونًا بحربةٍ في قلبي ". وهكذا خرجت نفسهُ مع ذاك الصراخ ✿

✿ الخبر الثالث والاربعون ✿

قد اورد الاب روهوس بانهُ كان في مدينة مديولان شابٌ اسمهُ مازاكيوس. متولعًا في لعب الورق بهذا المقدار. حتى انهُ يومًا ما قد لعب على اثوابهِ التي كان يلبسها. ولاجل الخسارة التي المت بهِ. قام برجزٍ نفاقي كمقطوع الرجا. وضرب بالسكين ايقونة والدة الاله. الّا انهُ قد خرج من جرح الايقونة دمٌ نظير الفصادة. فغسل وجه مازاكيوس الذي حينئذٍ استوعب خوفًا وخشوعًا معًا. وطفق يبكي تايبًا. وهكذا قدم الشكر لهذه الام الراوفة على كونها استمدت لهُ زمنًا لصنيع التوبة ثم خرج من العالم. ودخل في الرهبنة الجيستارجيازية. حيث استمر مدة اربعين سنةً يعيش بالقداسة والفضايل. حتى انهُ حصل على موهبة النبوة. وهكذا مات موت الابرار الذي هو كريمٌ لدى الرب ✿

✿ الخبر الرابع والاربعون ✿

انهُ قد سُطر عن احد الخطاة المتفاقم شرهم جدًا. انهُ اذ رجع الى الله بالتوبة. قد اخذ يومًا ما يبكي بمرارةٍ امام الصليبوت. طالبًا من فادينا علامة ظاهرة يوكد لهُ بها انهُ تعالى غفر لهُ خطاياهُ. ولكن بعد توسلاتٍ كثيرة ودموعٍ غزيرة اذ انهُ لم يفز بعلامةٍ ما. فاتجه نحو والدة الاله المحزونة بتضرعاتٍ متضعة في ان تلتمس لهُ من ابنها هذه النعمة. فحينئذٍ شاهد

في الرويا هذه الام الالهية متوسلةً لدى ابنها بقولها لهُ „ يا ابني هل ان دموع هذا التايب تمضي ضايعةً ". وحينئذٍ سمع هو ان مخلصنا قال لها انهُ غفر لهُ . وهكذا عاش هو باقي زمن حياته بسيرةٍ مقدسة ☆

☆ الخبر الخامس والاربعون ☆

انهُ في احد اعمال رسالات ابا جمعيتنا. قد جاءَ انسانٌ شيخٌ مملو من السنين ليعترف عند احد ابا هذي الرسالة. وهو الاب كيساريوس سبورتالي (الذي منذ زمن ليس بمستطيل قد رقد بالرب برايحة القداسة. وجسده بعد اشهرٍ عديدة من نياحه وُجد غير فاسد) وكان مجي هذا الانسان الشيخ لطلب الاعتراف. بعد استماعه عظتنا على سمو اقتدارِ شفاعة مريم البتول الكلية القداسة. العظة التي من عادتنا ان نصنعها دايمًا في كل بلدةٍ ومكان نمارس فيه اعمال الرسالة. فلما تقدم الشيخ الموى اليه امام منبر الاعتراف قال للاب كيساريوس „ ان العذراء المجيدة يا ابتِ قد صنعت معي عظائم نعمتها ". فاجابهُ الاب المذكور „ ان هذه هي صنعتها الخصوصية ". غير ان الشيخ اردف كلامهُ بقوله „ الّا انك انت ايها الاب لا تقدر ان تمنحني الحل عن مآثمي. لاني في مدة حياتي كلها قط ما اعترفت ". وبالحقيقة كان الامر كذلك. اي ولين كان هذا الشيخ كاثوليكياً فلم يكن قد اعترف قط حتى ذاك الوقت. فالاب حينئذٍ اخذ يشجعهُ ويرشدهُ. ثم عرَّفهُ اعترافًا كاملًا. ومنحهُ الحل بحسب الواجبات بتعزيةٍ لا تُوصَف للجهتين. اي للمعرف وللمعترف ☆

☆ الخبر السادس والاربعون ☆

انهُ يوجد مدونًا في سيرة حيوة الطوباوي برنردوس طولوماي موسس جمعية الابا المدعوين اوليفاتيين. ان هذا البار الذي منذ نعومة اظفاره كان حسن التعبد لوالدة الاله بحرارةٍ. قد صودف يومًا ما هو داخل مكان نسكه الكاين في اكونا في الجبل الملقب باوليفاتوس. موعبًا غمًا وحزنًا لخوفه من ان لا يكون هو من عدد المخلصين. ومن ان لا يكون لحد ذاك الوقت الباري تعالى غفر لهُ خطاياهُ. فاذ هو في هذه الحال. قد ظهرت لهُ البتول الكلية القداسة قائلةً لهُ „ من اي شيءٍ انت خائفٌ يا ابني. كن مسرورًا فرحًا. لان الله قد غفر لك كل مآثمك. وهو عزَّ وجلَّ راضٍ من نوع العيشة المتمسك

انت بها. فداوم مواظبًا عليها. وانا اعينك وهكذا انت تخلص". فهذا الطوباوي ثبت دائمًا يعيش بالبرارة والقداسة الى ان حصل اخيرًا على ميتةٍ صالحةٍ سعيدة مسلمًا نفسه بين يدي والدة الاله ✿

✿ الخبر السابع والاربعون ✿

انهُ سُطّر عن ابنةٍ من بلاد جرمانيا قد كانت تورطت بفعل الدنس مع والدها نفسهِ. واذ ظهرت حبلى منهُ. هربت الى القفر ومكثت منفردةً عن الناس الى ان ولدت. فحينئذٍ ظهر لها الشيطان بصورة انسانٍ راهبٍ. واقنعها بان ترمي الطفل الذي ولدتهُ في بحيرة ماء كانت هناك. ولما تممت مشورتهُ فعلاً. اخذ هو يرشدها الى ان تطرح هي ايضًا ذاتها في تلك البحيرة. فوقتئذٍ هتفت الامراة قائلةً „ يا مريم عينيني". وفي الحال غاب عنها الشيطان مدبرًا ✿

✿ الخبر الثامن والاربعون ✿

ان احد الجنود كان اتفق مع الشيطان. على ان يعطيه هذا الروح النجس كميةً من المال. تحت شرط ان ياخذ لهُ امراتهُ عينها الى احد الاحراش. فتتميمًا للاتفاق اخذ الجندي امراتهُ منطلقًا بها نحو ذاك الحرش. واذ مرًا في الطريق من على كنيسةٍ بالدايمة بكارتها مريم. قد طلبت الامراة من رجلها بتوسلٍ ان يسمح لها بان تزور العذراء في تلك الكنيسة. فسمح لها بذلك وجلس هو خارجًا ينتظرها. فاذ دخلت الامراة الكنيسة. قد خرجت بدلاً منها والدة الاله عينها متشكلةً بصورتها وملبوسها. ودنت من الجندي كانها امراتهُ. ثم ركبت الفرس وسارت معهُ. فلما وصلا الى الحرش. واذا بالشيطان لاقى الجندي قائلاً لهُ „ ايها الخاين الغشاش كيف انك عوضًا من امراتك اتيتني بوالدة الاله التي هي عدوتي". فحينئذٍ اجابتهُ العذراء بقولها „ وكيف انت تجاسرت على ان تقصد ان تضر مَن هي متعبدة لي. فاغرب هاربًا الى جهنم". ثم التفتت نحو الجندي وقالت لهُ „ امضِ فاصلح سيرتك تايبًا وانا اعينك". وهكذا غابت عنهُ. فعلى هذه الصورة رجع وغيّر عوايدهُ الردية وعاش عيشةً مسيحيةً ✿

✿ الخبر التاسع والاربعون ✿

انهُ يوجد مدونًا في المينولوجيون تحت اليوم الثامن من تموز هذا الخبر.

وهو انهُ كانت في بلاد الماسيكوس امراةٌ زانية التي اذ انطرحت في مرضٍ عضّال. فقد تابت عن خطاياها عازمةً على عدم الرجوع اليها. ونذرت بان تقص شعر راسها وتقدمهُ هديةً لوالدة الاله المجيدة. فشفيت من المرض وتممت نذرها. مقدمةً شعرها للعذراء في احدى الكنايس التي كان يوجد فيها تمثال هذه السيدة مجسمًا. فخادم الكنيسة اخذ الشعر ورتبهُ حسنًا. وزيّن بهِ راس تمثال البتول. الّا ان تلك الامراة الخاطية لم تستمر مدةً مستطيلةً في توبتها. بل رجعت الى حالها الاولى القبيحة. ثم مرضت وماتت غير تايبة. فبعد ذلك قد خاطبت والدة الاله من ذلك التمثال الاب يوحنا ماريا سالفاتارا اليسوعي علانيةً بحضور جمعٍ غفير قائلةً لهُ „ارفع عن راس ايقونتي المجسمة الشعر الموضوع عليه. لانهُ هو شعر نفسٍ فاجرة زانية هالكة في جهنم. لا يليق ان يوجد شعرها فوق راس مَن هي ام العفة والطهارة". فالاب المذكور حالاً رفع بيده ذاك الشعر وطرحهُ في النار فاحترق ✿

✿ الخبر الخمسون ✿

قد سُطّر عن احد الهاجربين السودان اسمهُ بدران. انهُ قد كان في بلاد اصبانيا استاسر عبيدًا لهُ كثيرين من المسيحيين. الذين اذ التجاوا الى والدة الاله بان تنقذهم من تلك الحال السيئة. في عبوديتهم لهذا الرجل البربري. فالبتول ام الرحمة ظهرت لذاك السركسي وقالت لهُ „كيف انت يا بدران تتجاسر على ان تحوي عندك اسرى وعبيدًا. اولئك الذين هم خاصتي ومتعبدون لي. فطع اذًا. واتركهم معتقًا اياهم احرارًا". فاجابها بدران بقوله „ومَن هي انتِ حتى اطيعكِ انا". فقالت لهُ „انا هي والدة الاله. ومن حيث ان هولاء المسيحيين قد استغاثوا بي. فانا اريد ان تُعطَى لهم الحرية ليكونوا ناجين من الاسر". فبدران حينئذٍ قد شعر في ذاتهِ بانهُ تغيّر عمّا كان عليه وبالحقيقة انهُ قام فاطلق كل اولئك المسيحيين معتقًا اياهم. وبعد ذلك قدم ذاتهُ للبتول الكلية القداسة التي هي نفسها ارشدتهُ في عقائد الديانة وحقائق الايمان. وعمدتهُ في حوضٍ كبير قد تعمرت فيهِ بعد هذا الحادث كنيسةٌ مع ديرٍ من الرهبان تابعي قانون القديس بناديكتوس ✿

✿ الخبر الحادي والخمسون ✿

قال ايدولفوس كيكتونيوس مخبرًا عن احد الكنايسيين القانونيين بانهُ اذ

كان يومًا ما يتلو مدايح مختصةً بالعذراء المجيدة. وهو على حافـة نهر سانا. فاتفق لهُ انهُ سقط في النهر المذكور فاختنق. ولانهُ كان هو وقتئذٍ حاصلاً في حال خطيةٍ مميتة. فجاءت الشياطين لياخذوا نفسهُ الى الجحيم. الَّا انـهُ حالاً ظهرت والدة الاله وقالت لهم "كيف تجسرون على ان تاخذوا نفس ذاك الذي مات حينما كان يتلو مدايحي". ثم التفتت نحو القـانوني وقالت لهُ "انهض حيًا واصلح ذاتك وكن حسن العبادة نحو الحبـل بي البري من الدنس". فقام ذاك الميت حيًا ودخل بعـد ذلـك في سيرة النسك راهبًا. وعاش باقي زمن حياته الجديدة باداء الشكر نحو المحسنة اليهِ. كارزًا بمدايح الحبل بها البري من تبعة الخطية الاصلية. ومجتهداً في اكتساب القلوب لهذه العبادة ✿

✿ الخبر الثاني والخمسون ✿

انهُ حينما كان رهبان دير كيارافاله يحصدون الحبوب في المزرعة. وكانـوا في الوقت عينه يرتلون مدايح لوالدة الاله. فقد شوهدت هذه الملكة السماوية تجول فيها بينهم كامٍ تملق اطفالها. وشوهدت برفقتها اثنتان من القديسات تمسحان بمناديل نقية عَرَق اولئك الرهبان ✿

✿ الخبر الثالث والخمسون ✿

انهُ قد أُخبر عن اخي سلطان هونكريا بانهُ كان يوميًا يتلو الفرض المختص بوالدة الاله. فهذا اذ حدث لهُ مرضٌ ثقيل. نـذر للعذراء الفايقـة الطهارة حفظ البتولية الدائمة. ان شُفي من مرضه. فحالما صنع هـذا النذر براء من علته. ولكن بعد مدةٍ وجيزة مات اخوهُ السلطان. وهو اعتمد على ان يتزوج بمَن كانت تليق بهِ. ولكنهُ قبل ان يتم الزواج قد انفرد في مخدعه ليتلو كعادته فرض العذراء. فلما بلغ بهِ الى هذه الكلمات وهي "كم انتِ جميلةٌ وبهيةٌ ايتها البتول". قد ظهرت لهُ والدة الاله قائلةً "فان كنت انا جميلةً كما تقول فلماذا الان تتركني لتاخذ لك عروسةً اخرى. فاعلم ان كنت تترك هذه التي انت اعتمدت على الاقتران بها. فساكون انا عروسةً لك بدلاً منهـا. وعوضًا عن مملكة هونكريا ساعطيـك ملك السموات". فهذا السلطان بعد ذلك هرب من هونكريا الى قفرٍ بالقرب من مدينة اكويليا. حيث انهى حياتهُ بقداسة سامية منتقلاً الى الملك السماوي ✿

✿ الخبر الرابع والخمسون ✿

قد اخبر القديس يوحنا كاتب سلم الفضائل عن واحدٍ من الرهبان الحسني العبادة اسمهُ كاركاريوس. انهُ كان من عادته مراتٍ كثيرة ان يرتل قصائد واشعارًا في مديح والدة الاله. وكل مرةٍ كان يشاهد ايقونةً ما خاصةً بها. فدائمًا كان يسلم عليها بتلاوة السلام الملكي. فهذا الراهب قد سقط فيما بعد طريحًا بمرضٍ ثقيل ذي المٍ شديد. حتى انهُ من عظم اوجاعه كان يقرض شفتيه ولسانهُ باسنانهِ. ولذلك ما عاد يقدر على النطق. وحصل في انفاسه الاخيرة منازعًا. ولكن حينما كان الحضّار يتوسلون من اجلهِ منتظرين انفصال نفسه من جسدهِ. قد ظهرت لهُ البتول المثلثة الغبطة وقالت لهُ "اني انما قد جيئت اليك لكي اشفيك. لاني ما عدت احتمل ان اراك معذبًا بذاك الفم الذي بهِ مدحتني كثيرًا. فقم معافىً وكن صحيحًا من مرضك. وداوم على مديحك اياي". قالت هذا ورشمتهُ ببعض نقطٍ من حليبها. فحالًا برأ ونهض معافىً. ولم يكفف قط ساير ايام حياته من مديحها. واخيرًا بكل سلامٍ وهدوٍ وعذوبةٍ عند موته سلم نفسهُ بيد سيدته سلطانة السما ✿

✿ الخبر الخامس والخمسون ✿

ان يوفيوس في الخبر الخامس من المجلد الرابع من تاليفه. ومثله اخرون يوردون ما ياتي ذكرهُ. وهو انهُ اذ كان موجودًا في مدينة رومية القديس فرنسيس بورجيا. قد جاء احد الاكليروس ليخاطبهُ عن قضيةٍ. ولكن من حيث ان القديس كان وقتئذٍ مهتمًا في اشغالٍ ضرورية. قد ارسل عوضهُ الاب اكوسطا. فالكنايسي الموصى اليهِ حينئذٍ اخذ يخاطب الاب اكوسطا قائلًا "اعلم يا ابتِ اني انا رجلٌ كاهن واعظ. ولكنّي عايشٌ في حال الخطية. ومؤيسٌ من امر خلاصي بقطع رجاي من الرحمة الالهية. فيومًا ما بعد ان انهيت وعظي بخطبةٍ صنعتها ضد الخطاة المصرّين على اثامهم. والمويسين بعد ذلك من الرجا بنوال الغفران. قد جاء اليَّ انسانٌ ليعترف عندي. وهذا قد اورد لديَّ في منبر الذمة خطاياي كلها. واخيرًا قال لي انهُ كان هو مويسًا من المراحم الالهية. فانا لكي اتمم وقتئذٍ واجبات وظيفتي قلت لهُ ان يغيّر سيرتهُ ويتكل على الله مترجيًا غفران ذنوبه. فحينئذٍ نهض هو

على قدميه وشرع يوبخني بصرامةٍ قائلاً „فانت الذي تكرز على الاخرين هكذا. لماذا لا تصلح ذاتك وترجع عن مآثمك. ولاي سببٍ تقطع رجاك. فاعلم اني انا هو ملاك الرب قد جيئتُ لاعانتك. فاصلح طريقك وهكذا تنال الغفران من الله". واذ قال هذا غاب هو من امامي. فانا قد امتنعت مدة بعض ايامٍ عن رذائلي. ولكن اذ حصلت في السبب قد سقطت من جديد في مآثمي. فيوماً ما عندما كنت اقدس. فقبل تناولي القربان المقدس قد خاطبني يسوع نفسهُ تحت اعراض السر بالفاظٍ حسّيةٍ مسموعةٍ قائلاً لي „لماذا انت تعاملني هذه المعاملة السيئة. في الوقت الذي انا فيه اعاملك بهذا المقدار من الشفقة والرافة". فبعد ذلك انا عزمت على تغيير سيرتي. ولكن حالما وُجدتُ في سبب الخطية قد تكردست من جديد في القبائح. ففي هذا اليوم منذ بعض ساعاتٍ اذ كنت انا موجوداً في مخدعي. قد دخل اليَّ شابٌ. واخرج من تحت وشاحهِ كاساً وفيها القربان الاقدس قائلاً لي „اتعرف انت هذا الاله السيد الذي انا ماسكهُ بيدي. وهل انك تفطن بالنعم العظيمة التي صنعها هو معك. فالان هوذا عقابك قد بلغ اوانهُ للانتقام من خيانتك وكفرانك بالجميل". واذ قال هذا قد استلّ سيفاً مرهفاً ورفع يدهُ ليضربني بهِ مميتاً اياي. فانا حينئذٍ صرخت بصوتٍ عظيمٍ قائلاً „اني استحلفك حباً بمريم العذراء الاَّ تقتلني. لاني اريد حقاً وصدقاً ان اغيّر سيرتي". فوقتئذٍ هو قال لي „ان هذه الواسطة وحدها قد خلصتك. فاعرف كيف يلزمك ان تراعي هذه النعمة. لانها هي الرحمة الاخيرة نحوك". واذ قال هذا قد تركني. فمن ثمَّ انا اتيت حالاً. واتوسل اليك بان تقبلني في جمعيتكم". فالاب اكوسطا بعد سماعهِ منهُ هذا الخطاب جميعهُ. اخذ يشجعه ويعزيه. وبمشورة القديس فرنسيس بورجيا نفسهُ قد ارسل هذا الكاهن الي جمعية رهبان اخرين قانونيين حيث دخل اليها وعاش باقي ايام حياته بتوبةٍ صادقة حتى الموت ✿

✿ الخبر السادس والخمسون ✿

قد اخبر العلاّمة كيساريوس في الراس ٢٤ من الكتاب ٧ من مسائلهِ الادابية. بانهُ اذ كان واحدٌ من الكهنة مقدماً الذبيحة الالهية سنة ١٢٢٨ في يوم السبت. تكريماً لوالدة الاله. فجاء الى هناك البعض من الاراتقة

الالبيجازيين. ووثبوا على هذا الكاهن فقطعوا لسانهُ. ففي هذه الحال قد ذهب هو الى دير كلوتي. حيث قبلهُ رهبان الدير المذكور بحب وافرٍ. متوجعين لهُ عن العذاب الذي كان هو يشعر بهِ في قرمة لسانهِ المقطوع. غير ان الشي الذي كان هذا الكاهن العابد يتالم منهُ بالاكثر. هو عدم استطاعته على ان يقدس ويصلي الفرض الالهي. لا سيما قانون العذراء المجيدة. حسب عادته السابقة * فلما جاء يوم عيد الغطاس قد صيّر الرهبان ان ياخذوهُ معهم الى الكنيسة. حيث جثا امام هيكل والدة الاله. متوسلاً اليها في ان تردَّ لهُ لسانهُ الذي قُطع لاجل حبه اياها. حينما كان هو يقدم الذبيحة تكريماً لها. لكي يقدر ان يرجع فيستعملهُ في مديحها كالاول. واذا بالبتول الكلية القداسة قد ظهرت لهُ وبيدها لسانٌ. وقالت لهُ „ انهُ لاجل انك حبًّا بالايمان. وتكريماً لي قد فقدت لسانك. فانا الان ارد لك لساناً جديداً". قالت هذا وهي نفسها قد وضعت بيدها ذاك اللسان في فمهِ. فمن ثمَّ الكاهن حالاً رفع صوتهُ ورتل „ السلام لكِ يا مريم". فالرهبان قد التأموا حولهُ مندهلين من العجب. امَّا هو فاراد الاقامة معهم في ذلك الدير. فلبس ثوبهم وترهب عندهم. ليمكنهُ هناك ان يشكر على الدوام السيدة المحسنة اليهِ ويسبحها. وقد كان الجميع ينظرون علامة اتحاد لسانهِ الجديد بالقرمة القديمة. ويمجدون الله ويعظمون اقتدار والدته ✿

✿ الخبر السابع والخمسون ✿

قد كتب ديوتَلوس قائلاً. انهُ اذ كان حادثاً في مدينة رومية سنة ٥٨٨ ذلك الطاعون الشهير الصيت. الذي فيه كان الناس بمجرد عطاسهم يسقطون في الارض موتى. فالقديس غريغوريوس الكبير الحبر الروماني صنع حينئذٍ باعوثاً احتفالياً. فيه زيّح داخل طرقات المدينة ايقونة والدة الاله المقدسة. التي في كنيسة مريم العذراء الكبرى. فلما وصلت الدورة بهذه الايقونة الجليلة الى امام البرج المسمَّى قلعة الملاك. فقد شاهد الحبر المذكور في الفضا ملاكاً كان بيده السيف مستلاً يسيل منهُ الدم. وحالاً قد ردهُ الى غمده. ثم سمع الملئكة يرتلون قائلين „ افرحي يا سلطانة السما الليلويا. لان الذي انتِ استحقيتِ ان تحبلي بهِ الليلويا. قد قام من الموت ناهضاً كما قال الليلويا". فالحبر القديس قد اضاف الى ذلك قائلاً „ صلي من اجلنا لدى الله الليلويا".

امّا الطاعون فمنذ تلك الساعة قد تلاشى من مدينة رومية. وحينئذٍ ابتدات ان تصير الطلبات الكبرى كل سنةٍ في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان ✿

✿ الخبر الثامن والخمسون ✿

انهُ يوجد مسطرًا عن مدينةٍ صغيرةٍ في مملكة فرنسا تُدعَى افنون. قد كانت مرةً ما حوصرت من عساكر الاعداء. فسكان هذه المدينة قد التجاءوا الى والدة الاله. متوسلين اليها في ان تحامي عنهم. حيث اخذوا من احدى الكنايس ايقونتها المقدسة العجائبية ووضعوها فوق باب المدينة. فاذ شاهد احد عساكر العدو رجلاً من اهل المدينة مختفيًا وراء الايقونة قد اوتر قوسهُ واستحكم النيشان ورماهُ بالسهم قائلاً لهُ „ان هذه الصورة لا تقدر ان تنجيك من الموت". الاَّ انهُ قد شاهد واذا بالصورة قد مدت رجلها الى خارجٍ. حيث جاء السهم ووقف بها من دون ان ينفذ الى الانسان المحتمي وراءها (وحتى الان هذه الصورة تُنظَر في المدينة المذكورة. والسهم على فخذها معلقًا) وبهذا النوع حُفظت حيوة ذلك الانسان المتعبد لمريم. فالاعدا اذ راوا حدوث هذه الاعجوبة. قد رفعوا الحصار عن المدينة وسافروا ✿

✿ الخبر التاسع والخمسون ✿

اخبر الاب الوتسا في الراس ٣ من كتابه ٣ بانهُ كان في مدينة نابولي انسانٌ من السودان اسيرًا عند الرجل الشريف اوطافيوس موناكوس. مصرًّا على تمسكه بمذهبه الهاجري. من دون ان تؤثر فيه شيئًا جميع النصائح والتحريضات المقدمة لهُ من كثيرين. غير انهُ كان متمسكًا بعبادةٍ ممارسة منهُ تكريمًا لمريم العذراء. وهي انهُ كل ليلةٍ من دون تفويتٍ كان يوقد على مصروفه الذاتي قنديلاً. امام تلك الايقونة التي كانت لوالدة الاله في بيت سيده المذكور. وكان من عادته ان يقول „ان هذه السيدة عتيدةٌ ان تصنع معي نعمةً عظيمةً" * فليلةً ما قد ظهرت لهُ هذه الام الالهية. وقالت لهُ ان يصير مسيحيًا. امّا هو فاستمرّ يرفض طلبتها هذه. ولكنها اذ وضعت هي يدها على كتفه قائلةً لهُ „يا هابيل لا تصرّ على عنادك اكثر. بل اصطبغ وادع ذاتك يوسف". ففي الصباح التالي حالاً ذاك العبد اشهر رضاهُ باعتناق الايمان بالمسيح. وارتشد بقواعد الايمان. واصطبغ في اليوم العاشر من شهر

اب سنة ١٦٤٨ جملةً مع احد عشر هاجرياً اخرين * ثم يلزم ان ننبه هنا عن هذي القضية ايضاً. وهي ان العذراء الكلية القداسة حينما ظهرت لهابيل المذكور بالنوع المقدم ايرادهُ. فبعد ان اجتذبتهُ الى الاعتقاد بالمسيح. وارادت مفارقتهُ فهو مسك يدها متوسلاً اليها بقوله " ايتها السيدة ارجوكِ بان تجعليني ان اراكِ عندما اوجد محزوناً من حادثٍ ما ". فهي قد وعدتهُ بذلك. كما تممت وعدها. لانهُ اذ كان هو فيما بعد مرةً ما حاصلاً في الغمّ لمصيبةٍ. فقد استدعى اليهِ هذه السيدة. وهي ظهرت لهُ. وبمجرد قولها " يا يوسف احسن صبرك ". قد امتلاء هو تعزيةً وسروراً *

* الخبر الستون *

ان الاب اورياما في الراس ٦ من المجلد ٢ قد اخبر عن احد خوارنة اسالا اسمه بالدوينوس. انهُ قد كان تنزل عن خدمة الخورنة. وصار راهباً في قانون القديس عبد الاحد. غير انهُ اذ كان هو بعدُ في رتبة المبتديين. قد تجرب في الندامة على ما فعلهُ بالدخول في الرهبنة. متصوراً بعقله انهُ لكان يفعل خيراً اعظم. وافادةً اكثر للقريب. لو يكون استمرّ في خدمة خورنته. ومن ثمَّ عزم على ترك ثوب الابتداء والخروج من الدير. وبهذه النية دخل امام هيكل الوردية ليودعها ويخرج. الّا ان والدة الاله قد ظهرت لهُ حاملةً بيديها اناءين مملوين خمراً. فسلمتهُ الاناء الواحد لكي يشرب منهُ. فلما ذاقهُ لوى وجههُ عنهُ. لانهُ ولين كان الخمر جيداً فمع ذلك كان مملواً من العكر. واذ اعطتهُ الثاني فراهُ جيداً من دون شيء اخر. فحينئذٍ قالت لهُ هذه السيدة " ان هذا هو الفرق الكائن فيما بين العيشة في العالم. وبين عيشتك في الرهبنة تحت الطاعة ". فلهذا رجع بالدوينوس. وتمم زمان الابتداء وعاش باقي زمن حياته راهباً مملواً من الفضائل *

* الخبر الحادي والستون *

قد اخبر الاب اورياما عينهُ في المكان السابق ذكرهُ. عن واحدٍ اخر من المبتديين قد انتصرت عليهِ التجربة في الرجوع الى العالم. ولذلك ذهب من قلايته ليخرج من الدير. ولكنهُ قبل خروجه صلى مرةً واحدةً السلام الملكي امام ايقونة والدة الاله. فعندما نهض لينطلق رأى ذاتهُ مسمراً في مكانه غير قادرٍ على الحركة والمشي. فحينئذٍ انتبه على غلطه. ونذر ان يستمر

في الدير. وهكذا انطلق من دون مانعٍ عند معلم المبتدئين طالباً منهُ الغفران. ولبث مثابراً على ما كان ابتداء بهِ الى الموت ✿

✿ الخبر الثاني والستون ✿

قد كتب الاب اوريايا نفسهُ في الراس ٤ من المجلد ١ عن الطوباوي اكليمنضوس الراهب الفرنسيسكاني. انهُ يوماً ما لم يرد ان يذهب الى مائدة الغدا المشاعة. لكي يستمر تالياً بعض صلوات ذات عبادةٍ لوالدة الاله. غير ان هذه البتول الكلية القداسة قد خاطبتهُ من ايقونتها المقدسة قائلةً لهُ „ اذهب مع اخوتك الى المائدة لانهُ يرضيني ان تكمل الطاعة الواجبة عليك. اكثر ممَّا ترضيني العبادات الاخر كلها التي انت تصنعها نحوي " ✿

✿ الخبر الثالث والستون ✿

قد اخبر الاب روهوس بانهُ حينما كانت انجلا ابنة سلطان بوهاميا في دير الراهبات. قد ظهرت لها البتول الكلية القداسة. وبرفقتها احد الملئكة. الذي تقدم الى انجلا قائلاً لها „ انهضي الان يا انجلا واهربي مسرعةً الى اورشليم. لان السلطان اباكِ اعتمد على ان يدفعكِ زوجةً لسلطان بلاد هونكريا ". فالابنة الحسنة العبادة قد سافرت حالاً متجهةً نحو مدينة اورشليم وقد ظهرت لها والدة الاله مرةً ثانيةً في مسافة الطريق. مشجعةً اياها على تتميم السفر. فلما بلغت الى اورشليم قد قبلت فيها بين الراهبات الكرمليتانيات. واستمرت هناك الى ان اعلنت لها البتول المجيدة عينها ارادتها في الرجوع الى وطنها. كما اكملت ذلك. وعاشت باقي زمن حياتها في بلاد بوهاميا بقداسةٍ حتى الموت ✿

✿ الخبر الرابع والستون ✿

قد كتب القديس غريغوريوس الكبير في الراس ١٧ من كتاب ادابياته الرابع. عن ابنةٍ اسمها موزا. قد كانت كلية التعبّد للام الالهية. ومن حيث انها لاجل نموذجات بعض البنات الردية حصلت هي في خطر ان تخسر برارتها. فظهرت لها والدة الاله. مرافقةً من عددٍ وافرٍ من القديسات. وقالت لها „ اتريدين يا موزا ان تاتي انتِ ايضاً صحبة هولاء البارّات " واذ اجابت الابنة „ اي نعم اني اريد ذلك ". فحينئذٍ قالت لها العذراء „ فاذاً ابتعدي عن رفقة البنات الاخريات. واستعدي حسناً. لانكِ بعد

الان الى مدة شهرٍ كاملٍ عتيدةٌ ان تاتي اليَّ ". فموزا قد ابتعدت حالاً عن اولئك البنات. واخبرت الغير عن الرويا التي شاهدتها هي. وان بلغ اليوم الثلثون فجاءت ساعة موتها. وحينئذٍ قد ظهرت لها ملكة السما ودعتها اليها. وهي ان اجابت حالاً " هوذا انا يا سيدتي اتيةً اليكِ. قد سلمت روحها بكل عذوبةٍ وسلامٍ ✿

✿ الخبر الخامس والستون ✿

انهُ يوجد مدونًا في سيرة حيوة البارّة في الملكات حنه غونزاغا. التي كانت زوجةً لفرديناندوس الاول ملك النمسا من عيلة اوستريا. بان هذه الشريفة حينما ترملت بوفاة رجلها المذكور. قد دخلت في جمعية راهبات عبيد مريم العذرآء. وقد صنعت لذاتها تاجًا مرسومةً عليه صُور سبعة احزان البتول الكلية القداسة. قائلةً انها بواسطة هذا التاج تنزلت هي عن تيجان مملكات الارض كلها * وبالحقيقة انها قد رفضت الزواج مع الملك رودولفوس الثاني. وحينما اخبروها فيما بعد بان اختها الصغرى قد تكللت بالاحتفالات العظيمة ملكة. قد اجابت هي قائلةً " فلتتمتع اختي بتاجها الملوكي. واما انا فعزيزٌ هو لديَّ هذا الثوب الذي بهِ اتحفتني ملكتي مريم. وافضل عندي الف مرةٍ من ذاك التاج الملوكي ". فوالدة الاله قد ظهرت مراتٍ كثيرة لهذه البارّة في مدة حياتها وعند ساعة موتها التي بها انتقلت الى الاخدار السماوية بميتةٍ مقدسة ✿

✿ الخبر السادس والستون ✿

قد كُتب في الخبر الثالث من الكتاب المسمَّى " نموذجات العذرآء الطوباوية ". عن احد الكنائسيين المرتسم بالدرجات الصغار. انهُ كان هذا يومًا ما يلعب مع شبّانٍ اخرين في لعب الكرّة. ومن حيث انهُ خاف من ان حركتهُ في اللعب تسبب لهُ ضيعان الخاتم الذي كان في احد اصابعه عزيزًا لديه. لانهُ كان موهوبًا لهُ من احدى النساء المكرمات منهُ. فخلعهُ من اصبعه ليضعهُ في اصبع يد تمثال والدة الاله المجسّم الكاين هناك. الاَّ انهُ حينئذٍ قد جاءهُ فكرٌ في ان يرفض العالم ويحفظ البتولية. متخذًا بواسطة ذاك الخاتم عروسةً لهُ البتول المجيدة نفسها. فان شعر في قلبه بارادةٍ فعالةٍ لان يعد العذرآء هذا الوعد. قد صنعهُ بكل طيبة خاطرٍ. ووضع بهذه النية

ذاك الخاتم في اصبع يد تمثالها المقدس. فالبتول الطوباوية علامةً لقبولها منهُ هذا الوعد. قد طبقت يدها على يده حين تلبيسه اياها الخاتم ثم فتحتها * ولكن بعد مدةٍ من الزمان اراد الشاب المذكور ان يقترن بالزواج مع احدى البنات. غير ملتفتٍ الى ذاك الوعد. فالعذرآء المغبوطة قد ظهرت لهُ حينئذٍ ووبختهُ على عدم امانتهُ. وهو حالاً ندم على فعله. ولكي يحفظ وعدهُ باكثر امانٍ مع هذه العروسة السماوية. هرب من العالم سائحاً في احد القفار. حيث عاش جميع ايام حياته بقداسةٍ حتى الموت ☆

☆ الخبر السابع والستون ☆

انهُ يوجد مسطّراً في تاريخ مدينة فاردون. عند الاب روهوس. انهُ نحو سنة ٨٥٠ اذ كان بارانغاريوس اسقف ابرشية فاردون في اقليم لورانا. ذاهباً يوماً ما الى الكنيسة حيث دخل مجتازاً الى الخورص. فكان وقتئذٍ هناك جالساً عند مدخل الخورص احد الكهنة اسمهُ بارناريوس. يتلو قانون والدة الاله. ومن كون رجل الاسقف المذكور حين دخوله الخورص انصدعت في جسد هذا الكاهن. فلغيظه منهُ في جلوسه هناك. ولعدم نهوضهُ* حالاً. قد رفسهُ برجله بقلة صبرٍ * ففي تلك الليلة ظهرت هذه الام الالهية للاسقف قائلةً لهُ „كيف تحسن عندك ان ترفس برجلك عبدي بارناريوس حينما كان يتلو مدائحي. فانا من اجل اني احبك. اريد انك تفي القصاص عن ذنبك في هذه الحيوة" وحالاً قد يبّست لهُ رجلهُ. فالاسقف عاش باقي زمن حياته بقداسةٍ. ومات كذلك. وبعد سنين كثيرةٍ قد صودف جسدهُ غير فاسدٍ ولا مثلومٍ. ما عدا رجلهُ التي كان رفس بها ذاك الكاهن كما تقدم الشرح فقد بُليت ☆

☆ الخبر الثامن والستون ☆

انهُ قد كتب عن احد الشبان انهُ اذ ورث عن والديه اموالاً كثيرةً جداً. فهو شرع يبددها في اللعب والمسكرات والولائم والرذائل والبدخ مع اصحابه. حتى انهُ نفذ منهُ كل شيءٍ كان لهُ. ولئن كان حفظ ذاتهُ بتولاً غير مدنسٍ بفعلٍ ضد العفة. فلما راهُ عمهُ حاصلاً في الفقر لاجل ما تقدم ذكرهُ. قد حرّضهُ على ان يتلو كل يومٍ قسماً من مسبحة الوردية. واعداً اياهُ بانهُ اذا واظب على ذلك فهو كان مزمعاً ان يهتم في ان يزوجهُ زيجةً شريفةً *

فالشاب قبل المشورة ومارسها بالعمل واصلح سيرتهُ. وكذلك عمهُ أكمل وعدهُ في امر الزيجة * فلما بلغت ليلة العرس. فالشاب انفرد عن الناس ليصلي قسم الوردية كعادته. فعند نهاية صلاته. ظهرت لهُ والدة الاله قائلةً „ اني اريد الان ان اعطيك المكافاة الواجبة عمّا كرمتني بهِ. فانا لا اريد انك تخسر بتوليتك بالزواج. ولذلك بعد ثلثة ايامٍ انت تموت وتاتي عندي في الفردوس السماوي ". وهكذا صار لانهُ حالاً قد اعترت الحمّى هذا الشاب. الذي هو اخبر بالرؤيا. وفي اليوم الثالث رقد بالرب مملوا من السرور والتعزية ✿

✿ الخبر التاسع والستون ✿

قد اخبر المورخ الجليل الملقب بالحسن العبادة في كتابه المسمى „ سر كل نعمةٍ ". عن القديس فينچنسوس فراري. انهُ اذ كان يسال احد المرضى المدنفين على الموت. الذي كان قاطعًا رجاهُ من الخلاص هكذا „ لماذا انت تريد ان تهلك ذاتك. في الوقت الذي فيهِ يريد يسوع المسيح ان تخلص نفسك ". فاجابهُ ذاك الشقي بانهُ اهانةً وبغضةً في المسيح يريد ان يمضي الى الهلاك. فقال لهُ القديس „ انهُ قهرًا عن رداوتك يلزمك ان تخلص ". وهكذا ابتداء هو اي القديس في تلاوة المسبحة الوردية. حاثمًا على الحضار بان يصلوها معهُ. واذا بالمنازع قد تغيّر. وطلب ان يعترف بدموعٍ حارةٍ. كما تمّ وبعد ان اعترف بخطاياه باكيًا بمرارةٍ قد رقد بسلام ✿

✿ الخبر السبعون ✿

قد اخبر المورخ المذكور عن امراةٍ وُجدت تحت رديم بيتها الذي سقط عليها من قبل الزلزلة. فاحد الكهنة احضر فعلةً. وكشف الحجارة والردم الى ان وصلوا عند الامراة. فرأوها معانقةً اولادها. وهي وهم احيا من دون مضرةٍ. واذ سألوها اية عبادةٍ كانت هي معتادةً على ممارستها. فاجابتهم بانها قط ما تركت يومًا تلاوة المسبحة الوردية. ولا زيارة هيكل العذرآء ✿

✿ الخبر الحادي والسبعون ✿

قد كتب هذا المورخ نفسهُ. انهُ كانت احدى النسا معاشرةً احد الرجال عشرةً دنسةً. لافتكارها في انها بدون ذلك ما كان يمكنها لفقرها ان تعيش. فوجد مَن قدم لها المشورة في ان تلتجي الى والدة الاله. مواظبةً على تلاوة

ورديتها. فمارست ذلك بحسن عبادةٍ. واذا بهذه الام الالهية ظهرت لها في احدى الليالي قائلةً «اتركي الخطية. واهتمي في ان تحصّلي قوتكِ بتعبكِ. واتكلي عليَّ وانا اعينكِ». فالامراة نهضت صباحاً ومضت فاعترفت بخطاياها. وابتعدت عن ذاك الرجل تايبةً ففازت من العذرآء بمعونات عظيمة ✿

✿ الخبر الثاني والسبعون ✿

وكذلك اخبر عن احد الخطاة المنغمسين في الرذائل. انهُ لم يكن يستطع بسهولةٍ ان يترك ملكاتهِ الدنسة. فهذا عندما ابتداء ان يتلو يوميًا المسبحة الوردية. رجع الى الله بالتوبة بنوعٍ عجيبٍ واصلح سيرتهُ اصلاحًا كليًا ✿

✿ الخبر الثالث والسبعون ✿

وايضًا أُخبر عن شخصٍ اخر كان اسيرًا لالم المحبة الدنسة. مع امراةٍ شريكةٍ لهُ في القبائح. فلانهُ تمسك بتلاوة المسبحة الوردية. قد شعر في ذاتهِ بتكرهٍ كلي من الاثم. فاي نعم انهُ سقط من جديد في الدنس ولكن لاجل مثابرته على تلاوة الوردية قد نجا من تلك العشرة الردية بالكلية مستسيرًا سيرةً مسيحيةً ✿

✿ الخبر الرابع والسبعون ✿

وكتب هو عينهُ عن امراةٍ ما قد دنت من ساعة موتها. وهي حاقدةٌ في قلبها على رجلها ببغضةٍ قتّالة. فاحد الكهنة الصلحآء الذي كان يساعدها في تلك الساعة. اذ لم يعد يعلم باية طريقةٍ يكتسبها لان تصفح وتسامح وتصطلح مع رجلها قبل موتها. لانها كانت ترفض ذلك. قد انفرد يصلي من اجلها المسبحة الوردية. فحينما انتهى الى البيت الاخير منها. واذا بالامراة تغيّرت عمّا كانت عليه. وندمت على مآثمها معترفةً. وصفحت من كل قلبها لرجلها ✿

✿ الخبر الخامس والسبعون ✿

ثم ان الكاتب المشار اليه يورد اخيرًا. انهُ اذ مارس هو رياضات الرسالة مرةً ما نحو الاشخاص المحكوم عليهم في مدينة نابولي بعقاب الشغل في مراكب الملكة. فقد وُجد فيما بين هولاء اناسٌ الذين صرّوا على عنادهم في ان لا يقتبلوا سرّ التوبة. فضلاً عن غيره من الاسرار المقدسة. فهذا الاب

قد علّم هولاء بانهم قلما يكون يرتضون بان تتحرر اسماؤهم في شركة الوردية المقدسة. وانهم يبتدئون بتلاوة مسبحتها . فاقتبلوا المشورة وحرروا اسماءهم. واخذوا يصلون الوردية جملةً. فما تمموا تلاوتها الّا وشعروا كلهم بارادةٍ فعالةٍ للاعتراف حالاً بخطاياهم. فطلبوا ذلك وتمموهُ بكل ندامةٍ وخشوعٍ. بعد ان كان لهم سنون كثيرة ما تقدموا فيها قط الى منبر التوبة. فهذه المُوذجات التي حدث في زماننا كثيرٌ منها . يجب ان تحرك فينا حسن الرجا في مفعول شفاعات والدة الاله المقتدرة. عند تاملنا في انها هي في الزمن الحاضر لم تتغيّر عمّا كانت عليه قبلاً. وعلى الدوام في اسعاف مَن يلتجي اليها ✿

✿ الخبر السادس والسبعون ✿

قد اخبر القديس غريغوريوس الكبير في الراس ٩ من كتاب ادابياته الاول. عن اسقف مدينة فارانتوس البار. انهُ قد كان كلي الانعطاف والسخا في اعطاء الصدقة منذ نعومة اظفاره. فاتفق لهُ يومًا ما بعد ان صار اسقفًا. انهُ جاءَ اليهِ كثيرون من الفقرا ليطلبوا صدقةً منهُ. فاذ لم يكن بعد باقيًا عنده شيءٌ يعطيهموهُ. قد دخل الى المخدع واخذ علبةً كانت خاصة احد الكهنة ابن اخيهِ. الذي كان باع فرسهُ بعشر قطع ذهبًا . وحفظها في تلك العلبة. فهو كسر العلبة ووزع على اولئك الفقراء العشر القطع الذهب. الّا انهُ حينما جاءَ القس الموصى اليهِ. وعرف ما صنعهُ عمهُ قد احتمى غيظًا من ذلك. وطلب المال بكل لجاجةٍ وصراخٍ. فالاسقف البار ما عاد يعلم كيف يرضيه. ومن اين يفيه مالهُ. فذهب الى الكنيسة امام تمثال والدة الاله لتسعفهُ واذا بهِ ينظر على طرف ثوب التمثال المقدس عشر قطع ذهبًا نظير تلك. فاخذها ودفعها بيد الكاهن مسرورًا ✿

✿ الخبر السابع والسبعون ✿

انهُ يوجد مدونًا في الراس ٦ من المجلد ٢ من الحوادث السنوية. عن امراةٍ اراتيكية في مدينة افغوسطا التي في جرمانيا. انها كانت كلية الاصرار والعناد في مذهبها اللوتراني. فهذه اذ كانت يومًا ما في سنة ١٦٥٦ مارّةً من امام احدى كنائس الكاثوليكيين قد انجذبت من روح البحث الباطل الى ان تدخل اليها . فعند اجتيازها الكنيسة ومشاهدتها هناك ايقونة والدة الاله حاملةً على ذراعيها طفلها الالهي. قد شعرت هي باطنًا بانعطافٍ

كلي الى ان تهب تلك الايقونة. او بالحري للعذرآء المجيدة هديةً ما. فرجعت الى بيتها. واخذت ثوبًا من الحرير. وجاءت بهِ وقدمتهُ لتلك الايقونة المقدسة وانصرفت. فما وصلت الى منزلها الا وقد استنارت من نعمة الله التي استمدتها لها العذرآء الرحومة. وعرفت فساد معتقدها الاراتيكي التي كانت هي عنيدةً بالتمسك فيهِ. فخرجت حالاً وذهبت عند البعض من الكاثوليكيين. وكشفت لهم ارادتها في رفض ضلالها ورجوعها الى الايمان المستقيم كما تمَّ. حيث انها نالت الحل من الارتقة وتمسكت بالديانة الكاثوليكية المقدسة ✿

✿ الخبر الثامن والسبعون ✿

قد جاء في الاخبار انهُ كان في مدينة جازانا رجلان من الخطاة متحدان احدهما مع الآخر بصداقةٍ كلية. فالواحد منهما الذي كان يُسمَّى برتولوماوس مع رذايله وفي حاله الاثيمة لم يكن اهمل العبادة التي كانت فيهِ نحو والدة الاله. بل استمر يتلو يوميًا تكريمًا لاحزانها التسبحة المبدوة „ وكانت واقفةً عند صليب يسوع امهُ” فيومًا ما حينما كان برتولوماوس يتلو هذه التسبحة. قد حصل على رؤيا. وهي انهُ شاهد ذاتهُ كائنًا في بحيرةٍ من نارٍ جملة مع صديقه الاثيم. ثم نظر واذا بالبتول الكلية القداسة قد حضرت اليهِ متشفقةً عليه. ومدت يدها فانتشلتهُ من تلك البحيرة خارجًا. وارشدتهُ الى ان يطلب الغفران من يسوع المسيح ابنها. الذي اظهر ارادتهُ في انهُ غفر لهُ اكرامًا لتوسلات والدته من اجله. فلما غابت الرؤيا عن برتولوماوس ورجع الى ذاته. ففي الحال ورد اليه خبرٌ بان صديقهُ قد مات مقتولاً بالرصاص من احد اعدائهِ. فحينئذٍ هو عرف حقيقة الرؤيا. ولذلك اهمل هو العالم. ودخل في رهبنة الكبوشيين. حيث اصرف باقي زمن حياته بعيشةٍ كلية الصرامة بالتقشفات والاماتات وافعال التوبة. واخيرًا مات في رائحة القداسة ✿

✿ الخبر التاسع والسبعون ✿

انهُ يوجد محررًا في سيرة حيوة الطوباوي ايرونيموس موسس جمعية الآبا السوماسكيين. انهُ حينما كان هو بعدُ في الوظايف المدنية واليًا في احدى الامكنة. قد وثبت عليه الاعدا. واخذوه فطرحوهُ مقيدًا في مغارةٍ ضمن احد

الابراج . فحينئذٍ هو التجاء الى والدة الاله في ان تعينهُ في حال ضيقته هذه القصوى . ونذر بان يمضي فيزور كنيستها التي في ترافيجي * واذا بالعذرآء السريعة الاجابة قد ظهرت لهُ متلالية بانوارٍ سماوية لا يمكن التحديق بها . فدنت منهُ وفكّت لهُ قيودهُ . ودفعت بيده مفتاح الحبس . فقام وخرج من المغارة ومن البرج سايراً نحو ترافيجي لتكميل نذره . الّا انهُ بعد ان اجتاز مسافةً قليلةً . من الطريق . قد سقط من جديد فيها بين الاعدآء . ولهذا استغاث بالسيدة منقذته . فظهرت لهُ ثانيةً . واخذتهُ بيده . واجتازت به في وسط الاعدآء . واوصلتهُ الى حد ابواب مدينة ترافيجي . ثم غابت عنهُ . فدخل المدينة . وزار كنيسة والدة الاله . وترك امام هيكلها القيود الحديد التي فكتها هي لهُ ومنذ ذلك اليوم الى نهاية حياته استسار سيرةً مملوةً من القداسة والفضائل السامية . التي لاجلها استحق بعد نياحه منذ ازمنةٍ قليلة ان يُدوَّن اسمهُ قانونيًا من الكنايسة المقدسة في عدد الطوباويين ✿

✿ الخبر الثمانون ✿

ان الاب سينيسكوس في الراس ٩ من كتابه يخبر عن احد الكهنة الكلي التعبد للعذرا المتالمة المثلثة القداسة . بانهُ كان يمضي متواتراً الى احدى الكنايس منفرداً ليتامل في الام هذه السيدة متوجعًا لها . وكان من عادته ان يدنو من تمثال هذه الام الالهية المجسّم الموجود في تلك الكنيسة . ويمسح بمنديلٍ وجهها ودموعها كانهُ معزٍ اياها * فقد حصل فيما بعد هذا الكاهن في مرضٍ عضال قد آيست الاطبا من شفايه . ولكنهُ عندما دنا هو من ابواب الموت . وناهز ان تفارق نفسهُ جسدهُ . قد شاهد واذا حضرت بازايه سيدةٌ كلية الجمال . فاقتربت منهُ . وطفقت تعزيه بالفاظٍ جزيلة العذوبة . وتمسح عَرَق الموت عنهُ بمنديلٍ كان بيدها . وبذلك قد شُفي هو حالاً من مرضه . فعندما راى هو ذاتهُ قد براء هكذا . هتف نحوها قائلاً لكن مَن هي انتِ ايتها السيدة التي تصنعين معي رافةً بهذا المقدار عظيمةً " . فاجابتهُ هي " اني انا تلك التي انت مراتٍ كثيرةً قد مسحت عن عينيَّ الدموع بمنديلك " . واذ قالت هذا غابت عنهُ وهو نهض من فراشهِ صحيحًا معافى ✿

☆ الخبر الحادي والثمانون ☆

قد كتب الاب تهاوسك في الراس ٢٦ من كتابه ١ عن احدى النسا الشريفات التي كان لها ابنٌ وحيدٌ. فهذه يوما ما قد أُخبرت بان ابنها وُجد مقتولاً مطروحًا في الارض. الّا ان القاتل قد كان بطريق العرض من دون معرفةٍ. هرب الى دار تلك السيدة محتميًا تحت كنفها. فهي حينئذٍ اذ اخذت تتامل في ان مريم البتول قد غفرت لصالبي ابنها يسوع. فارادت هي ايضًا حبًا بهذه العذرآء المحزونة وتكريمًا لها ان تغفر لقاتل ابنها. ومن ثمَّ ليس فقط صفحت لهُ عن ذنبه. بل ايضاً قد امرت بان يُعطَى اثوابًا لملبوسه. ومالاً لمصروف طريقه. وفرسًا لمركوبه. ليمكنهُ ان يفرّ هاربًا من ايدي خدام الشريعة ويفوز بالنجاة * فبعد ذلك ظهر ابن هذي الامراة لها في الرؤيا. واخبرها بان والدة الاله قد خلصتهُ من عذابات المطهر التي كان يلزمهُ ان يتكبدها ازمنةً مديدةً. وذلك مكافاةً عن فعلها الفاضل الذي بهِ تصرفت هي بسخاء مع قاتله. وانهُ هو منطلق الى السعادة الابدية ليتمتع بها سرمداً ☆

☆ الخبر الثاني والثمانون ☆

انهُ يوجد مسطرًا في الراس ١٣ من الكتاب ٤ من تاريخ رهبنة عبيد مريم. عن حادثٍ شبيه بالمتقدم ايراده. قد تمَّ مع الطوباوية بيوندا. وهو ان هذه البارّة كان لها ابنٌ وحيدٌ. فاعدا رجلها المتوفى بغضةً في ابي هذا الشاب قد قتلوهُ واخرجوا قلبهُ من جوفه. وبافتراءٍ بربري صيّروا امهُ المسكينة ان تاكلهُ من دون ان تعرف الامر الّا فيما بعد. فهذه الام عند معرفتها ذلك جميعه ارادت ان تقتدي بصبر والدة الاله المحزونة على موت ابنها. وان تغفر نظيرها لهولاء القتلة. وان تحسن اليهم ايضًا بمقدار استطاعتها. فهذا الفعل قد ارضى قلب والدة الاله التي استمدت لهذه الامراة الارملة النعمة في انها تركت العالم ودخلت في قانون الرهبنة الثالثة المختصة بجمعية عبيد مريم. واجتازت ازمنة حياتها بقداسةٍ وبفضائل عظيمة. حتى انها استحقت ان تصنع عجائب كثيرة في مدة حياتها وحين موتها ايضًا الكريم لدى الرب ☆

☆ الخبر الثالث والثمانون ☆

قد اخبر الاب بوفيوس في الحادث ٣٩ من المجلد ٤ من تاليفه عن

القديس توما كانطواريانزه. انهُ اذ كان زمن صبوته موجودًا مرةً ما فيما بين جمعية شبان علمانيين. الذين ربما كلٌ منهم كان يفتخر في جنون محبته لبعض البنات او النسا. فهذا الشاب البار قال لهم واضحًا انهُ هو ايضًا كان مغرمًا بمحبة سيدةٍ شريفةٍ فايقةٍ في الجمال. وعظيمة الشان. وانها هي ايضًا تحبهُ كثيرًا. واعنى هو بذلك عن والدة الاله. غير انهُ بعد قوله هذا قد قلق ضميرهُ ليلا يكون اخطاء بروح المجد الباطل. ففيما هو مغمومٌ جدًا من هذا القبيل. قد ظهرت لهُ هذه السيدة المجيدة وقالت لهُ بعذوبةٍ هكذا „من اي شي انت تخاف يا توما. فانت بالصدق والصواب قد قلت انك تحبني جدًا واني انا احبك. فاعلن هذا لاصحابك الشبان واكدهُ لهم. وعلامةً لحبي الوافر اياك خذ لهم هذه الهدية التي الان انا اهبك اياها. لينظروها ويتحققوا صدق قولك لهم". قالت هذا ودفعت اليه علبةً حاويةً بدلة كهنوتية بلون الدم. اشارةً الى ان هذه الام الالهية قد استمدت لتوما من ابنها النعمة في ان يصير هو كاهنًا ثم شهيدًا. كما تمَّ بالحقيقة. لان هذا الشاب البار قد أختير فيما بعد وارتسم كاهنًا. ثم اسقفًا لمدينة كونطوربيا في بلاد انكلترا. حيث انهُ بعد ذلك أضطهد من السلطان وهرب الى بلاد فرنسا في دير بونتينياكوس خاصة الرهبان الجيستارجيازيين. فهناك اذ اتفق لهُ ان القميص الخيش الذي كان هو يلبسهُ على لحمانه قد تخزق. واخذ هو يصلحهُ في قلايته بقلة معرفته في الخياطة. فظهرت لهُ ملكتهُ المحبوبة منهُ مريم البتول. واخذت من يده القميص بعذوبةٍ. واصلحتهُ لهُ بخياطةٍ شريفةٍ. ثم اذ رجع فيما بعد الى ابرشيته كونطوربيا فهناك مات شهيدًا. لانهُ قُتل من اعدايه بغضةً في غيرته على حقوق كنيسته ✿

✿ الخبر الرابع والثمانون ✿

قد جاء في الاخبار عمًا حدث من احد رؤُوس اللصوص الذي كان في بلاد ايطاليا تحت الحكم الباباوي. بان احدى البنات المتعبدات لمريم العذرآء. اذ انها يومًا ما كانت في الطريق خارج المدينة وحدها. قد وقعت في يد رأس اللصوص المومى اليهِ. فلخوفها على عفتها. قد توسلت اليهِ واستحلفتهُ حبًا بوالدة الاله الكلية القداسة الَّا يفتري عليها بشيءٍ ضد الطهارة. امَّا هو فاجابها بقولهِ „لا تخافي لانكِ اذ قد تضرعتِ اليَّ باسم تلك التي هي

ام الله. فلا اريد منكِ شيئًا اخر سوى ان تصلي لديها من اجلي". وقد رافقها حارسًا الى ان وصلت حيث لم يعد عليها خطرٌ من احد اللصوص الاخرين. ففي الليلة التابعة قد ظهرت العذرآء المجيدة لهذا اللص في الحلم. وشكرتهُ على فعله الجيد. ووعدتهُ بان تفتكر بهِ. وانها في وقتٍ ما كانت عتيدةً هي ان تكافيه عن جميله. ففيما بعد قد وقع هذا اللص في ايدي جنود الشريعة. وأُخذ مقيدًا وحُكم عليه بالموت. ففي الليلة السابقة على وضع الحكم بالعمل. قد ظهرت من جديد الام الالهية لهذا المشجوب. وسالتهُ ان كان هو يعرفها. فاجابها بقولهِ „ انهُ يبان لي اني رايتكِ مرةً اخرى". فقالت لهُ „ انا هي مريم العذراء. وقد اتيت لكي اكافيك عمّا صنعتهُ لاجلي سابقًا. فانت نهار غدا تموت. ولكن يتم موتك بندامةٍ وتوجعٍ هذا حدهما. حتى انهما يجعلانك ان تاتي الى الملكوت السماوي حالاً". فالرجل قد انتبه من النوم وكان يشعر بندامةٍ وتاسفٍ كليين على خطاياه. بنوع انهُ بدا يبكي بمرارةٍ ودموعٍ سخينة. ويشكر والدة الاله باعلى صوته. وحالاً طلب معلم الاعتراف. واقر لديهِ بمآثمه كلها بتياراتٍ من الدموع. واخبرهُ بالرويا التي شاهدها. وتوسل اليهِ بان يشهر على الجميع هذه النعمة التي صنعتها معهُ مريم البتول. ثم ذهب الى مكان القتل بفرحٍ عظيمٍ. وبعد قتله يقال ان وجههُ كان يظهر نظير وجوه الطوباويين. بنوع ان الجميع اعتقدوا في انهُ كملت معهُ المواعيد التي نالها من والدة الاله ✿

✿ الخبر الخامس والثمانون ✿

انهُ يُورَد في سيرة حيوة الطوباوي يواكيم بيكولوميني الكلي العبادة نحو والدة الاله. انهُ منذ حداثته كان يزور ثلث مراتٍ في كل يومٍ ايقونتها المقدسة ذات احزانها السبعة في احدى الكنائس. وفي كل يوم سبتٍ ساعة نصف الليل كان ينهض ويصنع الصلوة العقلية متاملاً في احزانها * فلننظر كيف ان هذه الام الالهية قد كافتهُ عن عباداته الموحى اليها. فاولاً انها ظهرت لهُ في زمن صبوته. وقالت لهُ ان يترك العالم ويدخل في جمعية الرهبات عبيد مريم كما فعل. ثانيًا في سني حياته الاخيرة قد ظهرت لهُ من جديد حاملةً في يدها اكليلين. احدهما من روبين الحجر الكريم مكافاةً لتاملاته في احزانها والامها. والثاني من لولو مكافاةً لنقاوته المكرسة منهُ في

تكريمها . ثالثاً قد ظهرت لهُ اخيراً حين نياحه . وهذا الطوباوي حينئذٍ التمس منها النعمة في ان يموت هو في اليوم الذي فيهِ مات مخلصنا يسوع المسيح . فالبتول الكلية القداسة قد عزتهُ بقولها لهُ „ استعد وتهيا لانك نهار غدا الذي هو يوم الجمعة تموت حالاً . كما انت ترغب . وهكذا غداً تكون معي في الفردوس ". وهذا جميعهُ قد تمَّ . لانهُ في اليوم التالي الذي كان نهار الجمعة العظيم . حينما كان يُرتَّل في الكنيسة انجيل الالام من بشارة القديس يوحنا . فعندما وصل المرتل الى هذه الكلمات وهي „ وكانت واقفةً عند صليب يسوع امهُ " الخ . قد حصل الطوباوي في اخر نَفَس . وحينما قال المرتل عن يسوع انهُ احنى هامتهُ واسلم الروح . فالطوباوي لَوَى عنقهُ واسلم الروح . وفي الوقت عينهُ قد تلالات الكنيسة من اشرق ضياء عظيم . وعبق فيها نشر رائحةٍ كلية الزكاوة ❀

❀ الخبر السادس والثمانون ❀

انهُ يُذكَر عن الاب الفونسوس سالمارونه اليسوعي . في كتاب سيرة حياته . انهُ اذ كان هو كلي التعبد لوالدة الاله . فلما دنا من ساعة موتهِ هتف صارخاً „ الى الملكوت الى الملكوت . فلتكن مباركةً الساعة التي فيها خدمت انا مريم البتول . ومباركة هي المواعظ والاتعاب . والافكار التي مارستها انا من اجلكِ يا سيدتي . فالى الملكوت الى الملكوت ". وهكذا اسلم روحهُ البارة ❀

❀ الخبر السابع والثمانون ❀

انهُ يوجد مدوناً من فرنسيس لالي كاتب سيرة حيوة القديس روموالدوس موسس الرهبنة الكامالدولازية . ان الامير فارنولفوس قد احضر يوماً ما ابنهُ غويدوس الى هذا القديس . طالباً منهُ ان يقبلهُ فيما بين رهبانه تحت قانونه . لان هذا الشاب كانت اشواقهُ كلها متجهةً نحو ذلك . فالقديس اقتبلهُ بحسن الرضا . ورتبهُ في الدير . ومن حيث ان الفتى غويدوس كان متعبداً لوالدة الاله . فيوماً ما ظهرت لهُ هذه السيدة حاملةً على ذراعيها طفلها الالهي . فالشاب لاعتداده ذاتهُ انهُ غير مستحقٍ اصلاً لهذي الرويا . قد حصل خائفاً جداً . اما البتول المجيدة . فقد دنت منهُ قائلةً لهُ „ لماذا ترتاب . ومن اي شيء تخاف يا غويدوس . فانا هي ام الله . وهذا هو ابني الحبيب يسوع الذي يريد ان ياتي اليك ". واذ قالت هذا قد دفعت طفلها بين

ذراعي غويدوس * ثم في اواخر السنة الثالثة من دخول هذا الشاب في الرهبنة المذكورة. قد دنت منهُ ساعة موته. فالقديس روموالدوس الذي كان حاضرًا عندهُ شاهدهُ يرتجف بكليته خائفًا وقائلاً „يا ابتي امَا تنظركم يوجد في هذي القلاية من السودان البشعي الصوَر". فقال لهُ القديس „افتكر يا ابني لعلك تكون اهملت ان تورد في اعترافك قضيةً ما". فاجابهُ الشاب „اي نعم يا ابي انا الان افتكر باني ما اكملت الطاعة الى رئيس الدير حينما امرني بجمع الوسخ المكنوس. وبرفعهِ من الارض. فانا الان اعترف بهذا تائبًا ونادماً". فحينئذٍ القديس حلهُ من هذه الزلة. وفي الحال حصل الفتى على تغيير عظيم. اذ ان الشياطين هربوا. وظهرت والدة الاله مع يسوع المسيح. وهكذا غويدوس مملواً من الفرح والتعزية فارق هذه الحيوة *

* الخبر الثامن والثمانون *

قد سُطر في المينولوجيون فيما بين قديسي شهر آب المختصين بالرهبنة الكامالدولازية. عن راهبةٍ من تابعات هذا القانون اسمها مريم. كانت في مدينة طولادوس. انها في ساعة موتها حصلت على مشاهدة والدة الاله بالقرب من سريرها. وحينئذٍ هي خاطبت هذه الام الالهية قائلةً „ان النعمة التي فزت انا بها منكِ ايتها السيدة. وهي زيارتكِ اياي تعطيني الجسارة على ان التمس منكِ نعمةً اخرى. وهي اني اموت في مثل الساعة عينها التي انتِ فيها رقدتِ وانتقلتِ الى السماء". فاجابتها البتول الكلية القداسة „اي نعم. وانا اريد ان اتنازل معكِ واهبكِ طلبتكِ. فانتِ مزمعةٌ ان تموتي في الساعة عينها التي في مثلها انا مُتُّ. وتسمعي نغمات التراتيل ذاتها التي بها كان الطوباويون يعظمون دخلتي الى السماء. فاستعدي اذًا متهيّأةً" قالت هذا وغابت عنها. فالراهبات الكاينات عند مريم المذكورة اذ سمعنها تتكلم في ذاتها. ظنينها ساهيةً خارجًا عن الوعي. الَّا انها هي قد اخبرتهنَّ بالرؤيا. وبالنعمة التي نالت هي الوعد بها. فاذًا لبثت هذه البارّة منتظرةً تلك الساعة المرغوبة منها. فلما بلغت (لم يكن الكاتب يعين اية ساعةٍ كانت) فحالما هي سمعت ناقوس الساعة يقرع قالت „هوذا الساعة السابق الايعاز عنها حسبما قِيل لي. وهوذا اني اسمع نغمات تراتيل الملئكة. ففي مثل هذه الساعة صعدت ملكتي الى السماء.

وانا الان منطلقةٌ لاشاهدها. فالبثنَ انتنَّ يا اخواتي بسلام ". وحين تلفظت بهذه الكلمة سلّمت نفسها مايتةً . وفي الحال ظهرت عيناها نظير مصباحين تبعثان انوارًا عظيمةً. ووجهها كان يلمع بلونٍ بهي ☆

☆ الخبر التاسع والثمانون ☆

قد كتب سوريوس المورخ تحت اليوم الثاني والعشرون من شهر نيسان. بانهُ قد كانت في مدينة سانس من بلاد فرنسا عايشةً نحو الجيل الثامن القديسة اوبورتونا الابنة المولودة من دمٍ ملوكي. فهذه البتول البارّة قد ترهبت في ديرٍ قريب من المدينة المذكورة وكانت هي كلية التعبد لوالدة الاله. فلما جاءت ساعة موتها. قد ظهرت لها القديستان كيكيليا ولوكيا. فقالت هي لهما " فليكن قدومكما خيرًا يا اختيَّ. فاخبراني ما الذي ارسلت تقولهُ لي بواسطتكما ملكتي العظيمة ". فاجابتها القديستان قائلتين " انها هي تنتظركِ في السما لتمضي اليها ". فبعد ذلك قد ظهر لها الشيطان. الّا ان القديسة المتشجعة قد طردتهُ من امامها قائلةً " ايها الوحش الشنيع ماذا لك عندي. وما هو عملك نحوي انا التي هي عبدة ليسوع ". واذ بلغت اخيرًا الساعة التي هي نفسها كانت اخبرت عن موتها فيها. قد تناولت القربان الاقدس زوادةً اخيرةً. والتفتت نحو باب قلايتها قائلةً " هوذا والدة الاله هي اتيةٌ لتاخذني معها. فانا اتوسل لديها في شانكنَّ يا اخواتي. واستودعكنَّ كافةً الله. لاني ما عدت بعدُ اشاهدكنَّ في هذا العالم ". ولما قالت هذا رفعت ذراعيها لتعانق سيدتها المجيدة. وحالاً اسلمت الروح بفرحٍ وسلام ☆

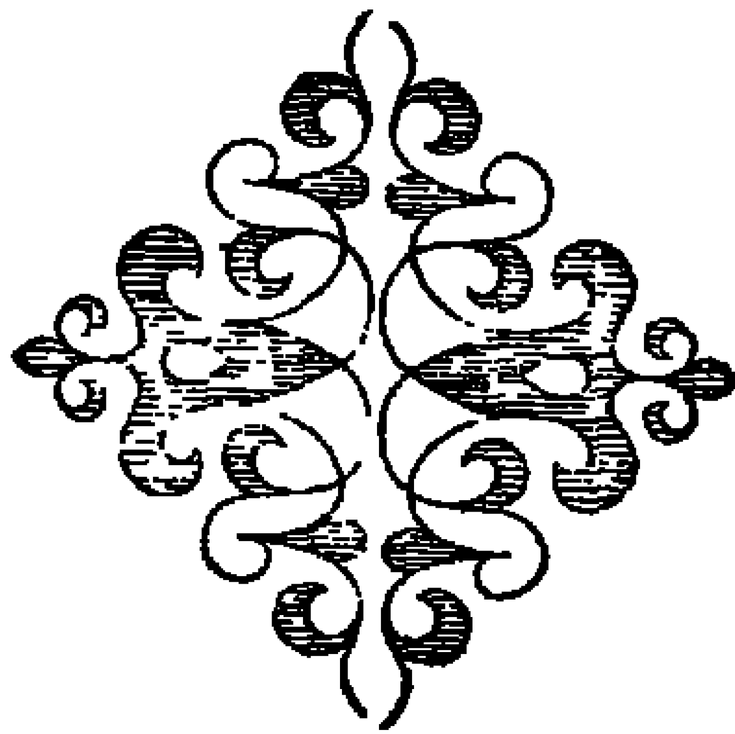
☆ الخبر التسعون والاخير ☆

اننا اوردنا في اخر كتابنا الملقب " بطريق الخلاص ". عن الاب بولس كافارو (الذي كتبنا هناك مختصر سيرة حياتهِ) انهُ كان منذ حداثتهِ منشغف القلب بحبٍ متقد نحو والدة الاله. بنوع ان السامعين مواعظهُ المشتهرة. والمعترفين عندهُ في منبر الذمة كانوا من كيفية تكلمهِ عن هذي الام الالهية. يفهمون جيدًا شدة غرامهِ في محبتها * فحينما حصل هو في مرضهِ الاخير سنة ١٧٥٣ قد وُجدت بهجتهُ وتعزيتهُ الوافرتان في نظرهِ المتكرر. وتفرسهِ التقوي في ايقونة هذه السيدة المجيدة الموضوعة بقرب سريرهِ. ولعظم ثقتهِ

في سواحمها . وشدة اشواقهِ الى مشاهدتها في السما قبل يوم عيد نياحها . قال للحضّار عندهُ في اول شهر اب هكذا ان كنت انا لا اموت قبل اليوم الخامس عشر من هذا الشهر فلا اموت ابداً " . فرجاؤهُ بهذي السيدة المرغوبة منهُ في الغاية قد تمّ فعلاً . لانهُ في اليوم الثالث عشر من الشهر المذكور رقد بسلامٍ رقود الابرار الكريم لدى الرب ✫

✫ ولتكن ههنا نهاية هذا الكتاب الجليل المختص ✫
✫ بامجاد حبيبتنا والدة الاله الدائمة بكارتها ✫
✫ مريم الكلية القداسة . الذي كان التجاز ✫
✫ من طبعهِ ثانيًا في شهر ادار ✫
✫ سنة ١٨٨١ ونحن قد اضفنا ✫
✫ اليهِ مختصر سيرة حيوة ✫
✫ مؤلفهِ الطوباوي ✫
✫ الاتي ✫
✫ ايرادها ✫





ملحق من المستخرج

٭ في سيرة حيوة الطوباوي الفونسوس ليكوري ٭
٭ مولف هذا الكتاب ٭

اقول انا الحقير في الميتروبوليتيين مكسيموس مظلوم رئيس اساقفة ميراليكيا. انني ولين كنت فيما مضى كتبت سيرة حيوة المعظم في رعاة الكنيسة الطوباوي الفونسوس ليكوري. مدونًا اياها في الفصل الاربعين من المجلد الخامس من تاليفي الذي لقبته „بكنز العبّاد الثمين في اخبار القديسين" وهو خمس مجلدات ٭ اذ انني بعد ان حررت في المجلدات الثلثة الاولى منهُ سِيَر حيوة جميع القديسين المدونة اسماؤهم في المينولوجيون. يومًا فيومًا على مدار السنة. ثم في المجلد الرابع (ما عدا اخبار قديسين اخرين كثيرين شرقيين معظمين يُحتفل بتذكاراتهم في السنكسار الروماني. الذي استخرجتهُ عن اصله تمامًا الى العربي. وكذلك في المينولوجيون اليوناني الاقدم من انشقاق الروم) قد سطرت اخبار جميع الاضطهادات التي تكبدتها بيعة الله في مدة اربعة اجيالها الاولى. فقد كتبت في المجلد الخامس والاخير من المصنف المرقوم سِيَر حيوة اربعين قديسًا من جهابزة قديسي الكنيسة اللاتينية المقدسة. الذين تلالأوا مثل الكواكب في افق جلد هذي البيعة الجامعة. في مدة اجيالها الثمانية عشر. ومن ثمّ جعلت اخرهم في رتبة الزمن سيرة الطوباوي الفونسوس المذكور. فمع ذلك رايت ملايمًا لمجد الله. ولمديح عبده هذا الامين. ولافادة القريب. ان احرر ههنا ايضًا بنوعٍ وجيز جدًا اخص سيرة حياتهِ على الاسلوب الاتي شرحهُ ٭

هذا البار قد وُلد في ٢٧ ايلول سنة ١٦٩٦ بكرًا من ابيه البطريق يوسف ليكوري السامي شرفهُ فيما بين عظما مدينة نابولي. ومن امهِ حنه كافاليري احدي شريفات مدينة بريندسي ٭ ومن حيث ان القديسين يعرف بعضهم

بغضًا. فالطوباوي فرنسيس ده ايرونيموس اليسوعي اذ جاء الى بيت هذا البطريق. وقدّم اليه الفونسوس الرضيع ليباركهُ. فهو تفرس فيهِ وتنبأ عنهُ بانهُ كان عتيدًا ان يصير اسقفًا. ويصنع اشيا عظيمةً مقدسةً في بيعة الله. وانهُ يعيش لحد السنة التسعين من عمره. كما تحققت هذه النبوة فيما بعد بالتمام *
على ان الفونسوس اظهر منذ طفوليته وحداثته تعلق قلبٍ كلي بعشق الفضائل. مجاوبًا على حسن عناية اقربائهِ بهِ. خاصةً والدته التي اقامت لارشاده وتعليمه نسيبها الكاهن الجليل توما باغانوس احد كهنة جمعية المصلّى * فكان الفونسوس عاكفًا على ممارسة العبادات. باغضًا الخطية العرضية فضلاً عن الميتة بغضًا كليًا. مثابرًا على اقتبال الاسرار المقدسة اكثر من مرةٍ واحدةٍ في كل سبتٍ. متجنبًا في احاديثه كل ما لم يكن مختصًا بالله وبالفضيلة. محبًا الصمت والانفراد ليتحد مع الله بالروح اشد اتحادًا. صائرًا نموذجًا مقدسًا لاخوتهِ الاصغر منهُ. ولخدام العيلة. ولسائر الشبان قرنآ جنسهِ مذهلاً كل مَن كان يشاهدهُ. مصرفًا الزمن الباقي لهُ خارجًا عن اوقات درس العلوم (عند المعلمين المرتبين لهُ من والده في داره عينها) في الصلوات وزيارة الكنائس. لا سيما المكرسة على اسم والدة الاله الكلية القداسة ✡
واما كم كانت جودة عقلهِ عظيمةً. وحذاقة فهمه فريدةً. ونجاحهُ في العلوم البشرية والشرائع المدنية والفصاحة وعروض الشعر والموسيقى كليًا. فهذا يُعرَف من برهان حصولهِ في السنة السادسة عشرة من عمره. بفحص جمعية علمآء مدينة نابولي وحكمهم. على جائزة ختام الدرس بنوعٍ اذهل الجميع. وبعد سنتين اخرتين اكتتب هو في جمعية العلمآء المذكورة. التي اذ كان من عادة افرادها. فيما بين الرياضات الروحية الاخر. ان يخدموا المرضى. فهو في اتقان هذي الفضيلة ايضًا قد فاق على الجميع * ومع انهُ نظرًا الى طبعهِ قد كان حارًا مائلاً الى سرعة الغضب. فمع ذلك قط لم يسلم ذاتهُ لانفعال هذا الالم. كما ان عيشتهُ في حال كبر مقام اهله بين عظما الدهر. لم تصدهُ عن التقدم يومًا فيومًا في كمال الفضائل السامية. حتى ان العبد الذي وضعهُ لهُ ابوهُ خادمًا خصوصيًا. وكان هو اسميًا. فلانذهالهِ من سيرة سيده هذا الشاب المقدسة قد آمن بالمسيح. واصطبغ وعاش بطهارةٍ. ومات بصلاحٍ ✡
فلما بلغ الفونسوس الى السنة ٢٦ من عمره. قد اعتمد الاعتماد الاخير.

بعد الامتحانات واخذ راي مرشده الروحي. على اعتناق الدعوة الاكليريكية. من دون ان تقدر على تغيير عزمه ممانعات والده الكلية. ومن ثمَّ تنزل هو تنزيلاً مدنيًا شرعيًا عن حق بكوريته (المرتبط معها ميراثهُ كل غنى والديه الواسع) وفك خطبتهُ مع عروسته الاميرة براسيكيو. ورفض اعمال الوظايف الشريفة الملوكية المهياة لهُ. وتردى بالاثواب الكنائسية. وارتسم بالدرجات لحد الدياكونسية من الكردينال بينياتالي رئيس اساقفة نابولي. وحينئذٍ شرع في درس علم اللاهوت. والكتاب المقدس. وتاليفات الابا القديسين اليونانيين واللاتينيين. مهتمًا بنوعٍ خاص في البحث عن الطرايق التي بها كان يمكنهُ ان يجتذب الخطاة الى التوبة ولذلك شرع يمارس الوعظ في الكنيسة. الامر الذي اذ كانت مرافقتهُ نموذجات فضائله السامية. فالاثمار الروحية التي حصل عليها شعب هذه المدينة المتقاطر لاستماعه كانت عظيمةً جداً. ولذلك الكردينال المذكور اذ رسمهُ كاهنًا سنة ١٧٢٦ وهي الثلثون من عمره. قد اقامهُ بوظيفة مرشدٍ عام لعمل الرياضات الروحية لاكليروسهِ. الذين بالامتحان قد اختبروا فيه باندهاشٍ. سمو العلم. وحرارة الغيرة. وعظم الفطنة. مع سائر صفات المرشدين الفريدة المقترنة مع سيرةٍ ملائكيّة. وعنايةٍ عادمة الملل * الّا ان اتعابهُ هذه الشديدة التي صدرت عنها فوايد فائقة الوصف للاكليروس والشعب. بارتداد الخطاة الى طريق الرب وبتمسك الكثيرين بالسيرة الروحية الفاضلة. حتى ان عدداً ليس بقليل من البنات قد فسخنَ عهود الخطبات مع اعراسهن. ودخلنَ في اديرة الراهبات مكرساتٍ لله بتوليتهنّ. قد اوصلتهُ الى ان ينطرح مريضًا بخطرٍ مبين على فقد حياته *

فلما براء الفونسوس من المرض. ومارس صحبة البعض من رفقايه ابناء جمعية الرسالة الرسولية الرياضات الروحية لسكان مدينة سكالا. اجابةً لتوسلات راعيهم. فهناك اتضحت لديه ارادة الله. بواسطة احدى راهبات دير المخلص الكائن في المدينة المذكورة. الشائعة الذكر وقتئذٍ بالقداسة. في انهُ يوسس جمعية قانونية. تكون غايتها الاخص العناية في تعليم واجبات الايمان والديانة والسيرة المسيحية للفلاحين القاطنين في القرى والمزارع. الامر الذي في الاول لم يقبلهُ الفونسوس لعمق تواضعه. ولاعترافه بذاته غير كفوٍ لهُ. الّا انهُ اخيرًا اعتمد عليه تبعاً لمشورة الابوين الجليلين توما باغانوس ولودوفيكوس

فيوريلو. وثقةً بمساعدة السيدين اسقفيّ كاستالامارة وسكالا. وهكذا اسس هو الجمعية المذكورة ملقباً اياها «بجمعية الفادي الكلي القداسة» التي بمقدار ما لحظ العدو الجهنمي عظم الخير العتيد ان يحصل للنفوس من قبلها. فباكثر من ذلك حرك ضد البار موسسها الاضطهادات والمانعات. حتى من ابيه البطريق عينه. ومن الكردينال بينياتالي نفسه. ولكن الطوباوي قد انتصر بعناية الله على كل الموانع. والجميع اقتنعوا اخيراً وهجعوا عن مقاومته. وهو ابتداء بهذا العمل المقدس سنة ١٧٣٢ وهي ٣٦ من عمره. وبعد ان حصل على كهنةٍ كثيرين علما افاضل غيورين قد دخلوا في هذي الجمعية. وصدرت عنها فوائد كلية. فالبابا بناديكتوس ١٤ قد اثبتها بسلطانه الرسولي في ٢٥ شباط سنة ١٧٤٩ بمديحٍ عظيم لمؤسسها. ومن ثمّ في ازمنةٍ غير مستطيلةٍ قد امتدت باديرةٍ واناطيش في بلادٍ كثيرةٍ من ممالك نابولي وسيشيليا وايطاليا وجرمانيا ✿

فقد كان هذا البار يطوف مع الاباء ارفاقه لعمل الرسالة. تبعاً لتوسلات روسا الاماكن اليه من كل ناحيةٍ. مستخدماً لمركوبه في اسفاره جحشاً حقيراً. وكانت الشعوب تزدحم لاستماع مواعظه بالبكا والنحيب مستوعبين خشوعاً من خطبه وارشاداته. وتعاليمه وقداسة سيرته المرافقة مراتٍ كثيرة من جرايح فايقة الطبيعة. وكان بعد اتعابه واعراقه الغزيرة في الوعظ ينحدر من المنبر الى كرسي الاعتراف. مقتبلاً بكل بشاشةٍ جميع المتقاطرين ليعترفوا عندهُ بخطاياهم. وقط لم يكن يظهر تقنطاً من هولاء ولو اتوهُ في ساعة غذائه او رقاده * واما الاوقات الباقية لذاته خارجاً عن خدمة الرسالة. فكان يصرفها في تاليف الكتب. وفي ردّ الاجوبة على الرسائل العديدة التي كانت تاتيه من كل جهةٍ. في طلب المشورات وحل المشاكل. ليس من العلمانيين والكهنة فقط. بل من الاساقفة ايضاً. غير مبدرقٍ من الزمن برهةً ما اصلاً. لانهُ كان ابرز نذراً خصوصياً في ان لا يدع ذاتهُ بطالاً من العمل المختص بمجد الله وخير القريب ولا حصةً ما من الزمان * بل انهُ لكي يصيّر اباء جمعيتهِ بعيدين عن ادنى املٍ بالمكافاة في هذا العالم. بالتقدم في المراتب والوظايف الكنايسية. فما عدا نذوراتهم البسيطة بالفقر والطاعة والعفة والكرازة. مع قَسمٍ بالثبات في الجمعية حتى الموت. قد كان اضاف الى ذلك سنة ١٧٤٢ هذا

النذر ايضًا . وهو انهم لا يقبلون درجةً . ام وظيفةً . او مرتبةً ما خارجًا عن تلك المختصة بالجمعية عينها بعيشةٍ مشاعة ☆

ثم ان كثرة اهتماماته واتعابه لم تكن تميّل عزمهُ عن ان يصرف ساعاتٍ بجملتها يوميًا في الصلوات العقلية . وقد تبجن في مخيلته استحضار الله امامهُ بهذا المقدار . حتى انهُ احترامًا للحضرة الالهية المسجود لها كان يمارس السجود لهُ تعالى حين مشيهِ ايضًا . سائرًا في الطرقات براسٍ مكشوف . او على الكثير مغطى بمنديلٍ في شدة البرد وهطل الامطار . وبالاجمال يمكن القول عنهُ انهُ عاش دائمًا مصليًا ومتحدًا بالله بعواطف الحب الشديد . حتى في اوقات اشغاله وخدمته الرسولية عينها . كما كان يظهر من رفعه عينيه بتكاثرٍ الى السما . ومن تنهداته المقترنة شُهب نار الحب الالهي . ومن مخاطباته عن الله بحرارةٍ تؤثّر في قلوب سامعيه مهما كانت باردة * ولم يكن يسمح لذاته بالنوم سوى خمس ساعاتٍ فقط من الاربعة والعشرين ساعة . برقاده فوق كيسٍ محشو تبنًا مرصوصًا كالصخرة مخبوة فيه بعض حجارة . وقط لم يكن يصطلي على النار في شدة البرد : بل لكي يقوّم اصابع يديه المجلدة بعض الاحيان من الزمهرير ليقدر ان يكتب . فكان يدفيها بحديد محمي في النار * واما اكلهُ الاعتيادي فكان الخبز مع مرقةٍ مسلوقة بها حشائش مُرّة بهذا المقدار . حتى ان الذي كان يفضل عنهُ منها لم تكن تاكلهُ الفقرا بل ولا الكلاب . من شدة المرارة . ثم كان يضيف الى ذلك بعض الاثمار من الفواكه . ممتنعًا عن اكل اللحوم والاسماك . وفي ايام السبوت كان يصوم على الخبز والماء باكلةٍ واحدةٍ فقط . وكان يشد كتفيه على اللحم بخيشٍ . وذراعيه بسلاسل رفيعةٍ . وحقويه بزنارٍ من حديد ذي اشواكٍ حادّة . هذه ما عدا الات أُخر مستعملة منهُ لتعذيب جسدهِ . ومن جملة ذلك كان يجلد ذاتهُ يوميًا لحد اهراقهِ الدم (مداومًا على هذي الرياضة الى ان مُنع عنها بحتمٍ في زمن شيخوختهِ) واذا اتفق بعض الاحيان ان ملابسهِ البيضا تنصبغ بدمهِ المهراق من قِبَل الجَلد فكان يدهن امكنة الدم بكلسٍ مطفى لكيلا تُشاهَد من الغير . بل انهُ مرةً ما قد جَلَدَ ذاتهُ بقساوةٍ كلية ليلجو من تجربة المجد الباطل المسببة لهُ من مجي الكردينال اورسيني اليهِ ليزورهُ . حتى ان احد اعصاب فخذهِ قد انخلع بنوع انهُ استمر مدةً طويلةً يعرج في مشيهِ ☆

فكارلوس الثالث ملك نابولي قد اجتهد في ان يقيم هذا الطوباوي رئيس اساقفة لمدينة سالارنو. الاَّ انهُ هو لتواضعهِ رفض ذلك. وعرف ان يجد حججًا يعفي بها ذاتهُ. غير ان الامر لم يجرِ معهُ هذا المجرى حينما البابا اكليمنضوس ١٣ قد انتخبهُ اسقفًا لمدينة القديسة اغاثي ده كوتي. اذ ان هذا الحبر الاعظم ليس فقط لم يقبل توسلاته بطلب الاعفا. ولم يصغَ الى تضرعات اباء جمعيته (لا سيما حينما البار قد انطرح مريضاً من شدة القلق الذي استحوذ عليهِ من هذا الانتخاب) بل انهُ قد حتم عليهِ بامر الطاعة المقدسة بقبولهِ. ومن ثمَّ التزم هو بان يرتسم اسقفًا على المدينة المذكورة سنة ١٧٦٢ ولكن اباء جمعيته بتفسيمهِ باباوي قد استمروا تحت طاعته رئيسًا عاماً عليهم نظير السابق. مدبرًا اياهم بواسطة نائبٍ خصوصي عنهُ * واما كم كان عظيمًا الاعتبار الذي حصل عليهِ هو من السدة الرسولية حينما ذهب الى رومية ليرتسم اسقفًا. فيكفي لمفهوميته ان البابا المذكور (الذي كان يختلي معهُ ساعاتٍ بجملتها. ويستشيره عن قضايا باهظة) قال في احد الايام للسيد ماستريلي مطران الناصرة هذه الكلمات وهي „ اننا بعد وفاة السيد الفونسوس ليكوري سنحصل على قديسٍ اخر فيما بين قديسي كنيسة يسوع المسيح” *

فاذًا قد انطلق هذا المغبوط بعد ارتسامه الى ابرشيته التي اقتبلتهُ سكانها بفرحٍ عظيمٍ واحترامٍ وسيمٍ لا يمكن وصفهما. وقد حصلت هذه الابرشية في زمن سياسته اياها على اثمارٍ روحية كلية. وتغييراتٍ عجيبة في الاكليروس والشعب. من قِبل مواعظه وتدابيره وارشاداته. ونموذجات فضائله السامية. واماتاته الشاقة. خاصةً عيشته الفقرية في القوت والكسوة والسكنى. وكذلك استرجاعه الى اديرة القانونيين الصرامة القديمة. وملاشاته العوائد الردية واسباب الشكوك. ساهرًا على تصرفات الاكليريكيين. وعلى درس العلوم. وتاييد المدارس. وابادة الكتب المضرة. وعلى حسن تربية المتقدمين الى الدرجات المقدسة. مجتهدًا في تشييد امكنة التقوى والاديرة والكنائس. مواظباً على صنيع الافتقاد الاسقفي مراتٍ كثيرة بصرامةٍ وتدقيق. جائلاً في القرى والمزارع للكرز والتعليم والارشاد. مستعملاً في اسفاره مركوبه الاعتيادي (الجحش). وبالاجمال باذلاً كل استطاعته في تقديس رعيته جميعها. صايرًا كلاً للكل ليربح الكل. بنوع اننا لو اردنا ان نشرح مفصلاً كل ما هو مدون في كتاب

يرة حياته. عن اعماله باسرها المارسة منهُ في مدة ثلث عشرة سنةً في ياسته هذي الابرشية. لكان يطول بنا الخطاب. ولكن لا يليق بنا ان نضرب مفحاً عن ان نشير الى محبته بنوع خاص اسعاف الفقرآء والمساكين ☆

على انهُ قد اراد ان يكون بيتهُ مفتوحاً على الدوام لقبول اخوة المسيح هولاء الصغار. مقدماً لهم احتياجاتهم من دراهم وكساوي وقوت بكل مقدرته. وفي اجتيازه الطرقات كانت الفقرا تزدحم عليهِ اجواقاً مقتبلين من يده مدقات. وكان حاوياً عندهُ دفتر محررة فيهِ اسمآء جميع العيلات الفقرآء المستحيين ان يتسولوا. ليرسل اليهم سراً الاسعافات شهراً بعد شهرٍ بكل عناية. ملزماً خوارنة الرعية بان يخبروهُ دائماً عن الناس الذين هذه صفتهم. بل انهُ مراتٍ كثيرة كان يستحضر اليهِ اصحاب الديون. ويتفق معهم على ان يفيهم هو نفسهُ شيئاً فشيئاً ما لهم ديناً على تلك العيلات. ولم يكن يتغافل عن ان يزور مرتين في كل سبةٍ امكنة المسجونين والمخصومين. ويفي بقدر استطاعته ديونهم. ويسعف عيالهم. مهتماً في تجهيز البنات للزيجة. وفي الوفا للمدارس عن الشبان الفقرآء ما كانوا يلتزمون بهِ من الشهرية * واما في الغلا الذي حدث سنة ١٧٦٤ فقد باع هو مركبتهُ القديمة مع بغالها الموهوبة لهُ من شقيقهِ. ثم صليب الصدر الاسقفي وخاتمين حبريين احدهما كان ثميناً جداً موهوباً لهُ من احد عظما المملكة. وايضاً امتعة سكناه. ما عدا ما لا بد منهُ. ووزع اثمان الجميع على المحتاجين. مضيقاً على ذاته بالمصروف. مكتفياً بان يقتات في كل زمن الغلا بالخبز والمرقة لا غير. وحينما لم يكن عندهُ شيء يسعف بهِ المحتاجين كانت عيناهُ تذرف الدموع بحرارةٍ. وكان على الدوام يحرض الجميع. ويعرفهم التزاماتهم باعطاء الصدقة. موبخاً بجفاوةٍ المتغاضين عن تتميم هذه الوصية حسب استطاعتهم. وهكذا بانعطافٍ قلبي كان يزور المرضى ويعزيهم ☆

الا ان الامراض كانت تعتريه حيناً بعد حينٍ. ولكن اشدها الآماً كان ذاك المرض الذي حدث لهُ. من قبل يبس عرقهِ على جسدهِ. في احدى عظاتهِ التي صنعها في كنيسة القديسة مريم فيكو المشيدة منهُ على اسم القديس نيقولاوس العجائبي. بنوع انها تسع اربعة الاف شخصاً. فقد تكبد هو اوجاع التشنج في اعضائهِ كلها مدة اشهرٍ عديدة بصبرٍ عجيب ووجهٍ

بأن مقتذيا يوميا بالقربان الاقدس من ايدي الكهنة . وان التزم اخيرًا بان يسلم ذاته لفحص الاطبا الذين احضروهم اليه من مدينة نابولي . فهولاء بانذهالٍ عظيمٍ وجدوا تحت عنقه دملةً كبيرةً كادت تستحيل الى الناصور متدفقةً مواد رديئة مفسودة . مع ان الحاضرين حققوا لهم ان البار لم يكن في مدة تلك الاشهر اعطى ادنى علامة توجعٍ أم تنهدٍ من قبل ما كانت تولّه هذه الجمرة الّا فائق الاحتمال * فالاطبا حكموا بانها غير قابلة الشفا . ولكنهم شرعوا بعلاجها . والباري تعالى اشفاهُ منها ومن التشنّج . الّا ان عروق رقبته قد قصرت . بنوع ان راسهُ لبث محنيًا الى صدرهِ بدون انتصابٍ بتةً . حتى انهُ حينما كان يوجد جالسًا على الكرسي فكان يظهر من ورائه انهُ جثةٌ بلا راسٍ لشدة الخفاء هامتهِ . ولذلك حينما رجع هو الى تقدمة الذبيحة الالهية فلم يكن يقدر ان يتناول من الكاس المقدسة الّا بيد احد الكهنة . ولكنهُ عاد الى ممارسة الوعظ والارشادات . من دون ان يستطيع على عمل الافتقاد الاسقفي . الامر الذي حركهُ الى ان يتوسل لدى الحبر الاعظم اكليمنضوس ١٤ في ان يقبل تنزلهُ عن الابرشية . غير ان هذا البابا قد ردَّ الجواب برسالته لهُ قائلًا « ان صلوةً واحدةً مقدمةً منك وانت على فراشك من اجل رعيتك . هي انود لها من الف افتقادٍ اسقفيٍ تتمهُ فيها » *

فبعد ان استمر هو مدة خمس سنواتٍ أُخر يسوس ابرشيتهُ في تلك الحال . قد جدد التوسل لدى البابا بيوس السادس حال جلوسهِ في السدة الرسولية سنة ١٧٧٥ في ان يقبل تنزلهُ . الامر الذي منحهُ اياه هذا الحبر اجابةً لتضرعاته . بعد ان تحقق عجزه الطبيعي . لا سيما ضعف نظره وسمعه من قبل الشيخوخة . اذ كان لهُ وقتئذٍ من العمر ثمانون سنةً * فقد سلّم هو على هذي الصورة الابرشية . وكل ما هو مختصٌ بها للوكلا . وودع رعيتهُ ببكاء الجميع على فقدهم اياهُ . وقد استماح لذاته على سبيل الصدقة من امتعة الاسقفية مفرشةً المحشو تبنًا . وسراجًا من نحاس . وغلاية الشوكولاطا فقط . من دون ان يطلب علوفةً سنويةً من مدخول الابرشية كما كان يحق لهُ . ورجع الى دير القديس ميخائيل كرسي جمعيتهِ . في مدينة باغاني * ولكن عوضًا من ان يستريح من اتعابه السابقة الفائقة الوصف قد اشتد حرارةً في تأليف

الكتب. وممارسة الاماتات والصلوات العقلية. ولبث يمارس الوعظ في كنيسة الدير المذكور ايام الاعياد والسبوت. ويشرح التعليم المسيحي. واستمر هكذا الى ان فقد الاستطاعة على المشي. وحينئذٍ ابتداء ان يتناول القربان المقدس من ايدي الكهنة يومياً. ويغوص في الثاوريا مخطوفاً عن حواسهِ احياناً مدة ثمان ساعات واكثر. وقد صيّر ان يُعمل لهُ كرسي من خشب بيكرات نظير المقعدين. ليقدر بهِ ان يخرج من قلايته بعض الاحيان الى اروقة الدير *

فممّا اوردناهُ حتى ههنا يمكن للقاري ان يفهم بسهولةٍ كم كانت عظيمةً قداسة سيرة هذا الطوباوي وسمو فضائلهِ * فنظرًا الى سمو قداسة حياتهِ. فقد بيان واضحًا من دلايلَ راهنةٍ. ومن براهينَ عديدةٍ مقدمة لدى ديوان مجمع الطقوس المقدس. ان هذا المغبوط قد حفظ بِرَّ المعودية في مدة التسعين سنةً التي عاشها. من دون ان يفقدهُ بخطيةٍ مميتة. حتى ولا ثبت عليهِ ارتكاب خطيةٍ عرضيةٍ بانتباهٍ وتقصد * واما نظرًا الى سمو فضائلهِ. فبعد ان استمرّ المجمع المقدس المذكور يفحصها قانونياً عدة سنوات. قد ابرز الحبر الاعظم بيوس السابع مرسومهُ الرسولي في ٧ ايار سنة ١٨٠٧ في تأييد اتفاق راي اباء هذا المجمع. وحكم باثباتاتٍ قانونية بان الفضائل الالهية الايمان والرجا والمحبة. والفضائل الاخر قد وُجدت في هذا البار بدرجاتٍ سامية جدًا. من دون ان يثبت عليهِ انهُ خالف احداها. او لم يتمّ واجباتها * لانهُ اولاً مَن يمكنهُ ان يصف بكفايةٍ حرارة ايمانهِ المستقيم. وغيرتهِ في المحاماة عن حقائق الامانة الكاثوليكية بشجاعةٍ. واستعدادهُ الى سفك دمهِ من اجلها لو احتاج الامر. واجتهادهُ في ان يبجّن قواعدها في عقول الجميع كبارًا وصغارًا. وفحصهُ البليغ على الكتب المحرمة ليستأصلها. وتأليفاته في اثبات قضايا الايمان ودحض الاضاليل *

ثانياً لقد كان رجاوهُ بالله وطيدًا ثابتاً جداً. وثقتهُ بهِ عظيمةً. ولحسن اتكالهُ عليهِ تعالى قد انتصر على جميع الصعوبات التي داهمتهُ في تأسيس جمعيتهِ. وعلى ساير المضادات. ولوفور ثقتهِ بالعناية الالهية كان يحتم بان اديرة الجمعية تكون مفتوحةً على الدوام لكل المقبلين اليها. ولسد عوز المحتاجين. بل بهذا الرجا الوطيد كان يستمد من الله النعم لتوبة الخطاة. ولتعزية الحزانى. ولشفا المرضى *

ثالثاً باية الفاظٍ يمكن ان تُشرح حقيقة حبهِ العظيم لله فوق كل شيء. واتحادهِ الشديد بهِ تعالى. وغيرتهِ المتقدة من اجلهِ. وحرارتهِ في كل ما يختص بمجدهِ الاعظم. والتهاب قلبهِ بشهب هذي النار المقدسة في اوقات صلواته وتاملاته. اذ انهُ كان ينخطف غايبًا عن حواسه ساعاتٍ بجملتها. بل انهُ اعتياديًا كان يوجد نظير المعتريتهم الحمّى. ولذلك لم يكن يطيق من الملابس الاَّ اخفها. حتى في ازمنة شيخوخته عينها. ومن ثمَّ حسب راي كثيرين انهُ حدث لهُ ما كان حدث للقديس فيلبس نيري باتقاد حرارة حب الله فيهِ بنوعٍ حسّي فائق الطبيعة ✿

رابعاً مَن هو كفوٌ لان يصف عظم غرامه في محبة انقربان الاقدس. الذي منذ حداثتهِ اعتاد على ان يتناولهُ بتكاثرٍ باستعداداتٍ كلية. وبتقدمة الشكر المرافق بسكب الدموع. مثابرًا على زياراته في الكنائس ساعاتٍ عديدة. حتى انهُ الّف كتابًا خصوصيًا في شان كيفية زيارة هذا السر المسجود لهُ. الذي لما كانت الامراض تصدهُ عن تقديسه فكان يوميًا يتناولهُ من ايدي الكهنة ✿

خامساً مَن يستطيع ان يصف حبهُ الشديد لوالدة الاله الكلي قدسها بعد حبهُ لله حبًا فائقًا على كل شيء. لانهُ كان مغرمًا كعاشقٍ بمحبة هذه السيدة العظيمة. مكرسًا ذاتهُ تكريسًا خصوصيًا لخدمتها وعبادتها بدالةٍ ابنيةٍ. ملتجياً اليها في احتياجاته كلها. فايزًا بجميع النعم التي كان يلتمسها من الله بواسطتها. ولم يكن يشبع من مدايحها وتماجيدها في مواعظهِ وتاليفاتهِ وقصائدهِ وخطبهِ. او يمل من تحريضاتهِ الناس على التعبد لها. مواظبًا منذ نعومة اظفارهِ على زيارة ايقونتها المقدسة يوميًا. مشتركًا في اخوياتها وعباداتها. ممارسًا تكريمًا لها صياماتٍ عديدة. مجتهدًا في ان يخترع طرايقَ جديدة تجذب القلوب لمحبتها. ومن ثمَّ لاجل انشغافه الكلي بغرام حبها قد كُنّي بالصواب « برنردينوس الثاني ». ثم لكي يربط ذاتهُ باشد صرامةٍ في عبادتها قد الزم نفسهُ تحت ثقل نذوراتٍ خصوصية بانهُ في كل يوم سبتٍ يصوم على الخبز والماء. وفيهِ يعترف بزلاتهِ تحت حمايتها. وبهِ يعظ بامجادها ويتلو ورديتها. وقد شرفتهُ هذه الام الالهية. بانها ظهرت لهُ مراتٍ كثيرة. ليس فقط بنوعٍ سرّي فيهِ ارشدتهُ الى امورٍ عديدة. بل ايضاً

مشتهرًا. كما حدث لهُ في مدينة مالقى اذ كان يعظ. واتجه بالتضرعات نحو ايقونتها المقدسة. فانخطف عن حواسهِ وارتفع بجسمهِ كلهِ عن الارض متعاليًا. واشرقت من ايقونة العذرآء اشعةٌ عظيمة منبعثةٌ منها الى وجههِ. واستمر هذا العجب امام الشعب الغفير في الكنيسة برهة ست دقائق ☆

سادساً امّا عظم محبتهِ للقريب فتظهر بكفايةٍ من الاعمال السامية التي مارسها في خير النفوس مدة نحو ستين سنة. (بعد ارتسامهِ كاهنًا ثم اسقفًا كما اشرنا اليهِ انفًا). بالاتعاب الرسولية. والغيرة المتقدة. والاسفار المضنكة. والصدقات السخية. والاعتنآء بالايتام والارامل والبيمارستانات وامكنة التقوى. وبتربية البنات. لا سيما الموجودات في خطر فقد عفتهنّ * ثم تتضح محبته من حال كونه موسساً في بيعة الله جمعيته الكلية الافادة للمسيحيين. خاصةً لسكان القرى والمزارع * ولكن محبتهُ خير الانفس قد تلالأت بافضل نوعٍ في تأليفاتهِ الجليلة والكثيرة العدد. والمختلفة الموضوعات. والمفيدة الجميع من كل جنسٍ ونوعٍ وسنٍ ودعوةٍ ووظيفةٍ. اي للاكليروس العلماني والقانوني. وللملوك والولاة والشعب. للدارسين والاحداث والشيوخ. للعلمآء والجهلآء. للابرار والخطاة. من علم اللاهوت النظري والعملي. والاداب. والحق القانوني. والسيرة الصالحة. والرياضات الروحية. والصلوات العقلية واللفظية. بنوع ان عدد مجموع هذه التاليفات قد اتصل الى تسع وثلثين مصنفًا. مُقسّمةً الى نحو ماية مجلدٍ * فهذه المصنفات كلها قد فُحصت من السدة الرسولية بكل تدقيقٍ واهتمام. وأُعطي عنها الحكم القانوني الاحتفالي من الصالح الذكر الحبر الاعظم البابا بيوس السابع في اليوم ١٤ من حزيران سنة ١٨٠٣ باثباتها ومديحها وبانها خاليةٌ من ادنى قضيةٍ تستحق الشجب * فقد انتشرت هذه التاليفات في الممالك والاقاليم والمدن. وانطبعت مراتٍ عديدةً. بل أُستخرج منها كتبٌ كثيرةٌ الى السنٍ مختلفة. كالفرنساوي والنمساوي والاصبانيولي والتركي والارمني (وانا قد استخرجتُ من تاليفاتهِ هذه حتى الان سبع مجلداتٍ الى لغتنا العربية. وهي المجلد الحاضر الذي هو في امجاد مريم البتول. وكتاب الرياضة اليومية في الحقائق الابدية الذي طبعتهُ مثل هذا. وكتاب التهيئي والاستعداد الى الموت. وثلث مجلداتٍ معنونة „ انتصار الكنيسة الجامعة ”. محتوية على تاريخ الارتقات ودحضها. ثم مجلدٌ في خدمة

سر التوبة من التاليف الملقب « بارشاد معلمي الاعترافات ». وبالاختصار نقول ان الفوائد التي حصلت عليها الشعوب من تاليفات هذا الطوباوي. والعتيدة ان تجتنيها منها الناس في الاحقاب المقبلة الله وحده يعرف عظم مقدارها ✿

سابعاً واما الفطنة التي تصرف بها هذا المغبوط في اقواله وافعاله. نظراً الى ذاته والى الذين كانوا تحت تدبيره . سواء كان ينصح او يحتم. يعفي ام يلزم. يرشد او يحترض. يرسم ام يفسح. يحل المشاكل او يقدم المشورات. يرتب العلاجات ام يستمد الراي. يمنع الاعمال او يوبخ. يعلم ام يدحض. وذلك في تصرفاته كلها مع العظما او الادنيا . مع الروسا ام المروسين . فقد كانت فطنة سامية جداً بكل صفاتها . ويكفي القول انه من اجلها لقب صواباً وعدلاً « بمرشد المرشدين » ✿

ثامناً كم قد تلالات فضيلة العدل في هذا المعلم الجليل الذي كان يعرف كل احد التزاماته. معتنياً في ان يحفظ لكل ذي حق حقه. ساهراً على استقامة توزيع الوظائف لمستحقيها. غيوراً على ملاشاة الظلم والتعدي. وعلى حفظ كلما يتعلق بالعدل البدلي والتوزيعي والشرعي ✿

تاسعاً من لا يلاحظ حسناً كم كانت فضيلة شجاعته سامية . في الوقت الذي فيه عاش بهذا المقدار باغضاً الخطية . حتى انه كان يرتضي بان يقطع ارباً ارباً احرى من ان يرتكب خطية عرضية بانتباه وتقصد وكان يوضح لكل احد التزاماته من دون مراياة . او اخذ بالوجوه ✿

عاشراً باية الفاظ يمكننا بنوع ابلغ مما اشرنا اليه حتى الان ان نصف قناعته باصوامه وتقشفاته واماتاته ونسكه وفقر معيشته واسهاره وساير ما تصرف به في هذا الشان. الامر الذي فاق به على كثيرين من السواح والنساك انفسهم. حتى في زمن شيخوخته عينها ✿

ثم ماذا يستطاع ان يقال عن سمو فضيلة طهارته اكثر من القول انه قد حفظ زنبق البتولية مدة حياته كلها من دون انثلام بتة. كما ثبت ذلك من براهين كلية . وقد كان شديد الاحتراس على حفظ هذا الكنز الفائق كل ثمن من ادنى خطر. حتى انه قط لم يكن يحدق بنظرة في وجه امراة ما. وفي كل مدة الستين سنة التي عاشها كاهناً واسقفاً ما سمع

اصلاً لامراةٍ بان تقبّل يدهُ * ثم انهُ بهذا القدار كان تواضعهُ عميقًا. وبغضهُ المجد الباطل. والرفعة الى المراتب شديدًا. حتى انهُ انطرح مريضًا من زيادة الغم حينما انتخبهُ البابا اسقفًا * واما فضيلة صبرهِ. واحتماله الاهانات والافتراء. واحسانهِ الى من اساء اليهِ. ووداعتهِ القلبية. وليونة اطباعهِ. وحسن تسليمهِ التام للمشية الالهية. وطاعتهِ الكاملة للروسا والمرشدين. وشفقتهِ وحنوهِ. وثباتهِ الدائم على عمل الخير. واشتهاه التألم من اجل المسيح. فهذه كلها هي مبرهنةٌ باسهابٍ في كتاب سيرة حياتهِ. وبالاجمال ان هذا الراعي الجليل قد وُجد مزينًا بالفضائل كلها بدرجاتٍ ساميةٍ. كما تقدم القول عن احكام الكرسي الرسولي في هذا الشان * بل ان هذه الفضائل العظيمة قد عطفت الباري تعالى الى ان يهب عبدهُ هذا الامين اختصاصاتٍ فائقة الطبيعة غير اعتيادية. نظير صنع العجائب. وروح النبوة بمعرفة العتيدات ✡

فنظرًا الى العجائب التي صنعها الله بواسطتهِ في مدة حياتهِ بانواعٍ مختلفة. مما تقدمت عنها الاثباتات الى مجمع الطقوس المقدس فردًا فردًا. بظروفها النوعية والشخصية والزمانية والمكانية. المشهود بحقائقها من اناسٍ يوجد بعضهم حتى الان احياء (وانا نفسي في مدينة نابولي وغيرها قد سمعت ذلك من فم اناسٍ كملت فيهم بعض هذه العجائب) فهي ما ينيف عن مائة اعجوبةٍ. هذا ما عدا الجرائح الاخر العديدة جدًا الموردة عمومًا. المصنوعة من الجود الالهي بواسطتهِ في سنين هكذا عديدة. ليس فقط مع اولئك الذين كانوا يتقدمون اليهِ لاخذ بركتهِ ولنوال الشفا من امراضهم. في اجتيازه بالطرقات والكنائس. بل ايضًا مع الذين كانوا ياتون بهم الى قلايته في ازمنة شيخوخته * فمن جملة العجائب الموى اليها هو منحهُ النطق للاخرس ابن اخي الكاهن كارلوس برونو * وتصحيحهُ ثوبهُ الذي قص منهُ جزًا كبيرًا. لياخذهُ بركةً لذاتهِ واحدٌ من الشبان. حينما كان هو يستمع الاعترافات في كنيسة مالفي. فالجزء المقصوص بقي في يد هذا الشاب مع ان ثوب البار لبث صحيحًا بالتمام * واخمادهُ بمجرد رسمه اشارة الصليب المقدس لهيب نار الجبل الكبريتي الشهير الاسم بالقرب من مدينة نابولي. الذي وقتئذٍ قد ارتفع لسان لهيبهِ علوًا مقدار ميلين. وارعب قلوب الشعوب البعيدين فضلاً عن القريبين هلعًا عظيمًا * واعطاوهُ من يده عينها.

في كنيسة دير القديس ميخائيل في مدينة بغاني. الصدقة الشهرية لاحدى النسا التايبات بواسطته عن فواحشهنّ. في الساعة نفسها التي فيها كان هو موجودًا في مدينة نابولي * واستماعه اعتراف احد تلاميذه وهو متّى كالافوليه في منبر الذمة ضمن بيت الرسالة. في الدقيقة عينها التي فيها كان هو يعظ في كنيسة البلد. وهذا العجب قد حدث مرات عديدة مع كثيرين من تلاميذه الذين كانوا يعترفون عندهُ في بيوت الرسالة . وفي خروجهم حالاً وذهابهم الى الكنائس كانوا يجدونهُ يعظ على المنبر *

واما نظرًا الى معرفة العتيدات بروح النبوة فقد ثبت ذلك ببراهين وشهودٍ صادقين في حوادث جزيلة العدد * فمنها هو ارسالهُ ليلاً سنة ١٧٦٤ من دار الاسقفية الى مدينة اريانوس الكاهن ڨابريتسيوس متقدم اكليروسها. ليخلص واليها من ايدي الشعب الذين ارادوا قتلهُ بسبب نقص القوت. من المدينة. مع ان مؤامرة الشعب على ذلك حدثت بغتةً بعد سفر الكاهن المذكور من عنده * ومنها تخبيرهُ في مدينة مالقى احدى النسآء (التي قدمت اليه طفلها ابن ثلث سنين ليشفيه من داء الصرع) بقوله لها بعد اشفائهِ ابنها „ان هذا الطفل كان عتيدًا ان يعيش سالمًا. ويرتسم كاهنًا ويكون غيورًا يكتسب للرب نفوسًا كثيرةً" وهذا جميعهُ قد كمل فيها بعد حرفيًا * وكذلك تنبيهه الشعب في اخر يومٍ من صنيعه الرسالة في مدينة مالقى عينها. بانهُ بعد ذهابه من عندهم في اليوم التالي كان عتيدًا ان يحدث لهم بحركة الشيطان سببٌ يرجعون فيه الى الخطايا. ولكن مزمعٌ ان يحل بهم الانتقام سريعًا في اليوم نفسهِ بزلزلةٍ مهولةٍ. وهذا كلهُ قد تمّ حقًا في اليوم المشار اليه * ثم انهُ كان حين زيارته المرضى يعرف كيفية نهاية المرض سوآ كان بالشفا منهُ. او بالموت. مخبرًا عن هذا لمن يخصهُ. وجميع تخبيره كان يصدق. ولين كانت احوال المرضى تشاهد ظاهرًا بضد قوله. ولكن نحن خوفًا من الاسهاب نعدل عن ايراد حوادث اخر كثيرة. ونأتي الى التخبير عن نهاية حيوة هذا الطوباوي *

ففي ١٨ تموز سنة ١٧٨٧ قد اعترت هذا المغبوط حمّى محرقة ووجع البطن وحصار انبول. اضافة لامراض الشيخوخة الموجودة فيه. هذا بعد ان كان الباري تعالى. لازدياد استحقاق عبدهِ البار قد سمح بان تلمّ به معركة

التجارب المختلفة الانواع. حتى بتصوراتٍ قويةٍ جداً ضد العفة. ثم باليبس الروحي. ولكن بعظم اتكاله على الله. وباستغاثاتهِ المتواترة باسمهِ القدوس. وبتكرار كشف ضميرهِ لمعلم اعترافهِ. ثم باقتبالهِ القربان المقدس. قد انتصر على ذلك جميعهِ. وفاز بالراحة الباطنة والتعزية العظيمة * فقد تزايدت عليهِ الامراض المذكورة الى حد اليوم الاخير من تموز الذي فيهِ يُعتقَد بالصواب انهُ قد تشرف بزيارة والدة الاله الكلية القداسة. لانهُ بعد ان كان هو فاقد حركات حواسه الظاهرة. فاذ قدموا اليهِ ايقونة هذي السيدة بالقرب من فراشهِ. قد فتح عينيهِ حالاً وتفرس فيها. واستحال لون وجههِ الى اللهيب مشعشعاً بانوارٍ ظاهرة. وهكذا بعد ان كان يومياً يتناول القربان المقدس عبادةً. قد اقتبلهُ في ذاك اليوم زوادةً اخيرةً بكل احترامٍ وبحرارة الحب * وفي اليوم الاول من شهر اب سنة ١٧٨٧ نفسها. اذ كان هو ضابطاً بيده فوق صدره الصليب*المقدس مع ايقونةٍ صغيرة لوالدة الاله. فنحو نصف النهار قد جال بنظره الى السماء واسلم الروح بكل هدوٍ وعذوبة كانهُ نايم* * فقد كان تقاطر الشعوب من الكليروس وارخندوس الى دير القديس ميخائيل في مدينة بغاني حيث تنيح هذا الطوباوي. وافراً بمقدارٍ كذا. حتى ان والي المدينة في اليوم المقبل اضطر الى ان يامر بغلق الابواب بعد امتلاء المدينة. ليمنع الآتين من كل الجهات القريبة والجميع كانوا يتوسلون لعلهم يحصلون على اجزاء من ملابس المغبوط. او من الاشياء المستعملة منهُ. كذخائر لاحتياجاتهم. وقد كمل اخيرًا احتفال دفنه تحت الهيكل الملوكي في الكنيسة المذكورة ☆

ولكن قبل دفنه قد شرفهُ الله بصنيع عدة عجائب نكتفي هنا بايراد واحدةٍ فقط منها. وهي اشفاؤهُ بالتمام على الفورِ الطفل يوسف فوسكو ابن سنةٍ وبعض ايامٍ بمجرد مس جسده. وقد كان مدنفًا على الموت بحمى محرقة وبمرض الاسهال. بنوع ان الاطبا كانوا حكموا بانهُ عديم الشفا مطلقًا * الّا ان العجب لم يقف عند هذا الحد. بل ان الكاهن غايطانوس فوسكو عم الطفل. اذ جاء في اليوم الثاني فرحًا ليشاهد ابن اخيه المعافى صحيحًا كمن قام من الموت. فقد دنا من هذا الطفل واراه بيده صورةً صغيرةً كانت مرسومةً فيها هيئة الاسقف المغبوط. فالطفل حالما راءها اخذها بيده وقبّلها واضعاً اياها على راسه. وغاب عن الوعي ثم رجع الى ذاته وصرخ بالفاظٍ جليةٍ واضحة

„ان الفونسوس هو في السما„ مكرراً ذلك مرات. مع انهُ لم يكن قبلاً ينطق بكلمةٍ لصغر سنهِ. بل ان اهل البيت اختبروا الامر عدة امرار باخذهم الصورة اغتصاباً من يد الطفل. وبِبدلها بما يماثلها. فكان يستمر هو صارخاً بالبكا الى ان يرجعوا اليهِ الصورة عينها. وحينئذٍ كان يبتهج ويكرر كلماتهِ بقوله „القديس الفونسوس هو في السما„ ثم ان الجود الالهي صنع بعد ذلك بواسطة صفيه هذا الطوباوي عجائب اخر كثيرة * فمنها هو ان كارلوس فاكيو احد المبتديين في جمعيتهِ قد شفي من مرض الصدر واستفراغ الدم القتال. بمجرد وضعه في شهر ادار سنة ١٧٨٨ علي صدره صورة هذا المغبوط * وكذلك يوحنا كاتولو من ارض جبل الاسد قد شفي بمسهِ قطعةً من اثواب البار بعد ان كان هو في حال الموت * وبمثلهِ براء من داء الفالج الكاهن فينچنسوس ماسارو. وغيره كثيرين. الذين نعدل عن ذكرهم حبًا بالاختصار. ونكتفي بشرح وجيز عن الاعجوبتين المحكوم على حقيقتهما حكماً قانونياً خصوصياً من السدة الرسولية بعد الفحص العظيم *

فالاعجوبة الاولى منهما قد كملت في شخص الامراة مادلينا نونتسيو من ابرشية باڤانتو القريبة من مدينة ناپولي * فهذه الامرأة اذ كانت تنتظر الموت ساعةً فساعةً. من قبيل نزل دموي احتقن في ثديها الشمال في اليوم الخامس عشر من ايلادها طفلها. فأفسد الثدي بنوع ان الجرائحي العلامة يوحنا اورلاندي التزم بان يقطع نصف الثدي ويرسل اللحم المنتن فيدفنهُ في الكمنتير. الّا ان الفساد امتد الى باقي الثدي وحصلت مادلينا من شدة الاوجاع مدنفةً على الموت بعد اقتبالها الاسرار الاخيرة. فاحدى النسا المحبات جاءت اليها بجزءٍ صغير من اثواب هذا الطوباوي. وحرضتها على ان تبلعهُ مع الماء وان تضع فوق ثديها المقطوع صورتهُ. فاذ تممت هي ذلك قد استحوذ عليها حالاً النوم الذي لم تكن تذوق لذتهُ في كل تلك الايام. ثم استيقظت في نصف الليل فرات ذاتها معافاةً. والثدي صحيحًا تامًا يقطر منهُ الحليب كالثدي الاخر. بنوع انها اخذت طفلها وبداءت ترضعهُ منهُ. الامر الذي حينما شاع خبرهُ في اليوم الثاني. تقاطرت الناس جملةً مع يوحنا الجراح الى مشاهدة الثدي الجديد. منذهلين وممجدين الله صانع العجائب بواسطة صفيهِ العظيم *

واما الاعجوبة الثانية. فقد كملت مع القس فرنسيس اوطايانو احد الرهبان الاصغرين. الذي منذ ١٨ تشرين ٢ سنة ١٧٨٦ كان مسقوماً بداء الحمى الردية. وقد زاد عليه في ٩ ايار ١٧٨٧ سعالٌ شديدٌ مدة ست ساعات. وقد استفرغ من حلقه بعد ذلك كمية وافرة من الدم المفسود المنتن. الذي دام يومياً يخرج من فيه بنحو اربعماية درهماً . بنوع ان الاطبا بعد علاجات كثيرة وثمينة لم تفده شيئاً. حكموا بانهُ لا بدَّ من موته في هذا الداء * فالرهبان لخوفهم من ان هذا القس يعديهم. ابتعدوا عنهُ سامحين باخذه الى دار عمةٍ لهُ متقدمة في السن. حيث بقي مطروحاً منتفخ الجسم منتن الرائحة كجيفةٍ. الى نهاية الشهر العاشر منذ ابتداء بهِ المرض. بنوع انهُ ادنف على الموت. حتى انهم في الليل استدعوا اليه معلم ذمته فاعترف. وانطلقوا ليأتوهُ بالقربان الاقدس غلساً * فهو وقتئذٍ شعر باطناً بحركةٍ في ان يلتجي الى الطوباوي الفونسوس. الذي كان مضى تسع وعشرون يوماً من نياحته. فمن ثم اخذ بيده الجزء الذي كان عند عمته من قميص هذا البار ومسَّ بهِ كل جهات جسده. وشرع يتضرع اليه بدموعٍ قائلاً „ايها السيد العزيز الفونسوس. انني الان اريد ان اعرف ان كنت انت بالحقيقة عزيزاً لدى الله. وانك الان تتمتع بهِ في السماء فانا لا اريد ان اموت بهذا المرض المستكره. المرذول انا من اجله من الجميع. فانت اجعلني ان اموت باي نوعٍ اخر كان وانا راضٍ. وافعل هذه النعمة ليس من اجلي انا الخاطي. بل لاجل الحب العظيم الذي انت اتصفت بهِ نحو القربان المقدس. والذي بهِ انت احببت مريم البتول الكلية الطوبى. وانا اعدك ايها السيد المحبوب مني باني متى شفيت بواسطتك. امضي فاذيع بقداستك لدى الجميع بحسبما انت مقبول لدى الرب. وبان اجمع الصدقات. واشتري بها شمعاً. وازور ضريحك في كل سنةٍ مقدماً نذري الشمع المذكور" قال هذا واخذ قليلاً من القوت ورقد مدة خمس ساعاتٍ براحةٍ. ثم استيقظ غارقاً بعرقٍ قد نفذ حتى اسفل مفرشه. فغيّر ملبوسهُ قائلاً لعمتهِ „ان الطوباوي قد اشفاني" ورجع فنام الى الصباح. الذي هو ٣٠ آب سنة ١٧٨٧ عينها. ونهض من فراشه صحيحاً معافى. الامر الذي اوعب قلوب الجميع انذهالاً وفرحاً معاً. وذاع خبر ذلك في كل مكان *

بنفس التصحيح جملتها قد اصدرت الحبر الاعظم بيوس السابع ان يحتفل [illegible] في هذا المرسوم بابوي يتعلق منه في ٢٢ حزيران سنة ١٨٠٣ [illegible] من مرقيتهم البابا اوربانوس الثامن الآمرة بكنيسة النصاري المختصة بالتطويب احد الابرار قبل مرور خمسين سنة من نياحته * وهكذا سمح بادخال دعوى هذا المغبوط للفحص. بعد ان كان في ١٤ من الشهر المذكور ابتدئ تاليفها كلها. كما اوردنا في محله * فلما انتهى فحص هذي الدعوى قانونيا واحتفاليًا في مدة نحو اربع سنوات. قد ابرز الحبر الاعظم منشورة الرسولي في ٧ ايار سنة ١٨٠٧ بان فضايل هذا البار كلها وجدت بدرجات سامية جدًا. حسبما ذكرنا قبلاً. وتبعاً لهذا المنشور البابوي اقيم الفحص على حقائق العجائب التي صنعها المغبوط بعد نياحته * الّا ان الدعوى توقفت بسبب الحروب والتغييرات الزمنية. الى ان رجع الحبر الاعظم من فرنسا سنة ١٨١٤ الى رومية. وحينئذٍ اباء مجمع الطقوس المقدس بعد الفحص الكلي اعلنوا حقيقة الاعجوبتين السابق شرحهما. المطلوبتين لقانونية التطويب. والبابا بمرسومه المصدر في ١٧ ايلول سنة ١٨١٥ قد حكم احتفاليًا بحقيقة هاتين الاعجوبتين * وهكذا بعد صنيع كلما ترسمه الفرائض الرسولية لتطويب الابرار. قد ابرز هذا الحبر الاعظم منشورة البابوي في ٦ ايلول سنة ١٨١٦. الذي بقوته قد احصى هذا المغبوط قانونيًا في عدد الطوباويين. معينًا عيده السنوي في [illegible]. وراسمًا لتكريمه الصلوات المدونة في الوجه التابع * وقد تمت احتفالات التطويب بقراءة المنشور البابوي في كنيسة القديس بطرس في القداس الحبري حسب الرسوم. بعظمة ملوكية. وبهجة عامة. والله تفضلت على للتعزية بوجودي في هذا الاحتفال العظيم *

ثم ان العجائب التي اجترحتها العزة الضابطة الكل بواسطة الطوباوي المذكور بعد الاحتفال القانوني المقدم ذكره. بانواع مختلفة حتى الآن. قد صيّرت الكرسي الرسولي ان يمارس ما يختص باحصاء هذا المغبوط قانونيا في عدد القديسين المعظمين. الامر المباشرة الآن في شانه. الرسوم الواجبة لاجل اصدار الحكم البابوي الكلي الاحتفال *

[illegible] حاشية. ان الحكم البابوي الذي ينوه عنه هنا المؤلف رحمه الله قد صدر في ايام حبرية البابا غريغوريوس السادس عشر الذي دوّنه [illegible]